

اللغة العربية

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي

المجلد السابع

الجزء الأول

يناير 1970

ذوالقعدة 1389

يصدورها

المكتب الرأسم لتسيق التعريب في العالم العربي

(جامعة الدول العربية)

الرباط (المغرب الأقصى)



الأبحاث العربية

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي

سجل لأعمال



- مجامع اللغة العربية
- المراكز العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الرهيات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والقاملين لإعداد اللغة العربية
- ومعلميها في مستوى اللغات العالمية الحديثة

المجلد السابع

يصدراً

المكتب الرأسم لتسيق التعريب في العالم العربي

(جامعة الدول العربية)

(الرباط المغرب الاقصى)

دراسات وأبحاث

- ♦ المقدمة : وحدة اللغات
- ♦ للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- ♦ دخل أم ائبل
- ♦ للاستاذ عبد الحق فاضل
- ♦ اللغة العربية بين اللغات السامية
- ♦ للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
- ♦ اللغات السامية في مجال علم اللغات
- ♦ للاستاذ محمد سليم رشدان
- ♦ التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطورها
- ♦ للاستاذ محمد المبارك
- ♦ علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين
- ♦ للدكتور عبد العزيز مطر
- ♦ حاجتنا الى التعبئة العلمية
- ♦ للدكتور محمد يحيى الهاشمي
- ♦ تنظيم البحث العلمي على مستوى الوطن العربي
- ♦ للدكتور ابراهيم نصال
- ♦ التعريب اهم وسائل تقدمنا العلمي
- ♦ للدكتور عبد الغني ماجد السروجي
- ♦ العرب والحضارة الانسانية
- ♦ للدكتور محمد معروف الدواليبي
- ♦ موامل تطور اللغة العربية
- ♦ للاستاذ عبد الرحمن الكيالسي
- ♦ العربية ورجال المهجر
- ♦ للاستاذ فؤاد الشايب
- ♦ تحديات في وجه اللغة العربية
- ♦ للاستاذ تيمون الجندي
- ♦ الجيل العربي الجديد
- ♦ للاستاذ محمد سمك
- ♦ العربية تعمل في ذاتها نزعاً انسانية
- ♦ للاستاذ زكري الاربنوزي
- ♦ الاسلام ولغة القرآن
- ♦ الجامعة السورية
- ♦ الاسلام عز المروية
- ♦ للاستاذ درويش العلوانسي
- ♦ العربية والاسلام بين الفابر والحاضر
- ♦ للدكتور فؤاد بنعبد الله
- ♦ الرمي الاسلامي يتوي بانتشار اللغة العربية
- ♦ مركز البحوث السورية
- ♦ القرآن عايل جوهرى في وحدة الفكر
- ♦ للاستاذ خليل الهفداوي
- ♦ اللغة العربية وائر القرآن في طورها
- ♦ للاستاذ الفاروقسي الرحالي
- ♦ نظرة في الصلات العربية الفارسية
- ♦ للدكتور محمد التونسي
- ♦ آثار لغة القرآن في لغة المسلمين المعجم
- ♦ للاستاذ سامي الكيالسي
- ♦ اريقيا السلية متحصنة
- ♦ للشيخ مكسي حيدر
- ♦ محنة القومية العربية
- ♦ للاستاذ أحمد الصوفي
- ♦ الاماع في العربية
- ♦ للدكتور حسن نصار
- ♦ مشكلة اللغة والمصطلحات
- ♦ للدكتور يوسف الشوري
- ♦ حرف الجهم بين الشمس والقمر
- ♦ للاستاذ مهديوب الهلبسي
- ♦ اثر اللسان العربي في اللغة الانبانية
- ♦ للاستاذ سامي الحفار الكزيري
- ♦ تشويمات في اللغة العربية
- ♦ للدكتور محمد عبد الرحمن مرهبا
- ♦ تطور النهضة الثقافية في الشام
- ♦ للاستاذ محمد جهيل بيهم
- ♦ كيف نشأت اللغة في المجتمع البشري ؟
- ♦ للاستاذ خليل بنعبد الله
- ♦ اللغة والمجتمع الانساني
- ♦ للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
- ♦ طفلة الصواب
- ♦ للاستاذ عبد الحق فاضل
- ♦ تطور الفكر واللغة في المغرب
- ♦ للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- ♦ اللغة العربية : دورها واهيتها
- ♦ للدكتور جوزيف بيلوسكي
- ♦ اصول اللغة وتحقيق الالفاظ والاساليب
- ♦ مجمع اللغة العربية (بالقاهرة)

إسهام في دعم علم السيمياء الحديث وعلمي الصوتيات والاستغاف

الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة إنسانية عريقة نظرية طريفة تبرز أسس هذه الوحدة

عبد العزيز بن عبد الله

مدير المجلة ورئيس تحريرها

معنى اللفظ أي استجلاء خاصية الظواهر اللغوية من ناحية تطورها الزمني . وقد تشعب هذا العلم منذ نحو أربعين سنة باتساع شبكة اهتماماته التي أصبحت لا تقتصر على دراسة الفاظ معزولة أي منفصلة عن مؤثراتها بل صارت تبحث في مجموعات لغوية تصل بالنحو والاستقاق والتراكيب اللغوية بناء على المدركات والمفاهيم وامتبارا لظواهر اجتماعية وبذلك برزت نظرية جديدة في اللغة مرتبطة بالستروكتوريالية structuralisme تعتبر اللسان كمجموعة مرصومة ترصيصا دقيقا تكون التعابير فيها مجرد تعاريف للنسب والصلات ومع ذلك فقد شعر اللغويون أو الخبراء في اللسانيات linguistes بأن هذه الدراسات سوف تظل مشلولة إذا تحركت في قفص مقل متجاهلة الروابط التي استوتقت في مختلف العصور بين الأمم والشعوب واللغات واللهجات تلك الروابط التي تضي على علم اللسانيات linguistique طابعا إنسانيا شاملا ربما اعتبر من أبرز مظاهر الوحدة الأصلية بين البشر وهكذا ظهر علم السيمياء

علم السيمياء sémantique علم خاص بدراسة معاني الكلمات وتغيراتها وهو علم «حديث» عرف بأورربا وخاصة بفرنسا عام 1883 وهو علم يكمل علم الصوتيات phonétique (أي العلم المختص بالأصوات والنطقيات) ، ويستهدف البحث عن جميع ظواهر اللغة بصفتها مجاليا للتعبير عن خوالج الفكر البشري وهو يستبطن جانبا خاصا من هذه الظواهر هو تطور معاني الكلمات وقد أدرج عنصر جديد في هذا العلم هو التزامن synchronisme أي تزامن الكلمة وظواهرها بمعنى وقوع هذه الظواهر اللغوية في عصر من عصور التاريخ في دراسة صنيع الألسن واللهجات ، وبذلك ظهرت جوانب في هذا العلم تبلورت في السيمياء التزامني sémantique synchronique ونسبته نحن سيمياء «المباني» (1) وهو يستجلي كل ما له صلة في عصر من العصور بالرابطة التعبيرية القائمة بين الدال والمدلول ، أما السيمياء المتعلقة بالتطور التزامني sémantique diachronique أو «سيمياء المعاني» فهو يهدف إلى دراسة التغيرات الطارئة على

(1) اخترنا هاتين الكلمتين وهما البنى والمعنى لوجودهما في الاصطلاحات النحوية العربية .

المصام *sémantique générale* الذي يرى في السيميائية المرتبطة بلغة ما من اللغات مجرد حالة خاصة ولم يمد علماء اللغة يرتكزون - حينئذ - في دراسة تطور التراكييب والاستقاقات على عوامل تختص بلغة ما في بلد ما بل اضافوا الى ذلك عناصر طريفة مختلفة تتمصل بالأمثرات الاجتماعية والاقتصادية والمبادلات بين الامم وكذلك بالملابسات الشمية اي عمل الشعب الذي يستأصل المترادفات الحوشية فتظل عاطلة بين دقات المعاجم ويخلق ويولد وينحت ويصنى مبرهنا على ان اللغة كائن حي تنشأ ولانده لترمرع وتهرم تلقائيا مسابرة مقنضيات التطور والحاجيات المتجددة واذا كان في وسع المجامع والهيئات اللغوية توليد لفظ جديد للتعبير عما يستجد من المدركات فان هذا اللفظ انما يعيش غالباً في نطاق علمي محدود (اي نطاق المصنفات العلمية التي يتداولها الاختصاصيون) اما الحياة الحقيقية فهي تلك التي تنبثق من التجربة العلمية بواسطة الاجهزة الحيوية في الامة كالصحافة والاذاعة ووسائل التعميم والتبسيط المختلفة .

لذا فان علم السيميائية اصبح يهتم بتاريخ تطور اللفظ بالنسبة لتاريخ تطور شعب ما منذ حضارته البدائية اعتباراً لملاقاته مع شعوب اخرى وبذلك امتست كثير من الظواهر والتطورات الاجتماعية تصح ارتكازاً على هذه القامدة بينما كانت الدراسة المنفصلة لكلمة ما هي المتحركة في تكييف معطيات التاريخ والعلائق البشرية وهذا الجانب يهتم به علم هو *sémiologie*

يختص بدراسة « السمات » في المجتمع (2) .

والواقع ان القدماء من غربيين وهرب اهتموا بهذا الجانب من علوم اللسانيات منذ اكثر من الف سنة فقد افرد الفيلسوف افلاطون الموضوع بالتاليف في كتابه « Cratyle » (باريز 1931 -

مجموعة الجامعات الفرنسية) في شكل حوار بين استاذة سقراط والنين من رجال الفكر هما Hermogène وكراتيل Cratyle وقد اكد الفيلسوف « ان للاشياء جوهرها ثابتاً وقاراً وان الكلمة اداة للتعبير عن الحقيقة وبذلك يكون بين الكلمة وحقيقتها الدالسة عليها (اي بين الدال والمدلول والمبنى والمعنى او الاسم والمسمى) تلاؤم طبيعي *justesse naturelle* فلماذا كان اللفظ يعبر عن جوهر الاشياء وكانت الكلمة تبرز اول ما تبرز في وسط بدائي فطري وهذا هو ما حدا سقراط الى القول بان المجتمع البدائي الذي يصفه بالوحشي هو المنبع الاصيل للكلمة ويقول Louis Méridier (الاستاذ في كلية الآداب بجامعة باريز) لدى تعليقه على هذه الظاهرة (ص 19) « ان العلم الحديث يفسر ذلك بالقرابة القائمة بين اليونانية والسنسكريتية او اي لغة اخرى هندية اوردية ، وقد اشار افلاطون الى ما تماز به الحروف من خواص تمبيرية اي علاقة طبيعية مع المدلول والكيونة ولذلك كانت هذه الحروف ادوات للتعبير من ظواهر شتى كالحركة والخفة والطموح والاضطراب والتوقف والانزلاق والاستبطان والمظمة والطول والكورية وغير ذلك بحيث نجد كثيراً من الشبه بين اللغات انطلاقاً من هذه الظاهرة الانسانية الاصلية .

وقديماً ربط علماء اللغة العرب بين هذه المعطيات وبين ما سموه بعلم السيميائية اي علم اسرار الحروف (3) وقد تصدقت في ذلك دراسات الحائمي والبوني وابن خلدون كما افرد روني كينون (في كتابه المذكور) فصلاً خاصاً لهذا العلم ابرز فيه « الجوهر والنسب العددية التي تعبر عنها الكلمات » ولاحظ ان لانتقال كلمات من اقاليم الى اخرى بحكم التبادل بين البشر علاقة وطيدة مع قيام مراكز اشعاعية في مختلف هذه الاقاليم .

(2) سنحلل بحول الله في عدد مقبل مقومات وتطورات هذا العلم الجديد

(3) يرى René Guénon في كتابه (رموز أساسية للعلم المقدس)

« Symboles fondamentaux de la Science sacrée » (Edition Gallimard, 1962)

ان كلمة سيميائية لا يظهر انها عربية صرف وانها مشتقة من كلمة *Semeta* اليونانية بمعنى العلامة وهو واهم في ذلك لان كلمة سيميائية العربية مشتقة من السمة (سيماهم في وجوههم) بمعنى العلامة والاية اي *signe* ايضاً .

وانحدت وجهاتها ولفاتها فبرزت منذ ذلك كثير من
 اوجه التشابه بين لفات البشر من الآريين
 والساميين والهاميين ولا شك ان الانسان الاول قد
 انطلق في نطقه البدائي من ثنائيات صوتية ردد فيها
 الاصوات الطبيعية في حروف اصبحت مع الزمن
 جدورا مشتركة بين المجموعات البشرية المذكورة
 وبذلك يكون منطلق كل لفظ من حرفين اساسيين
 ترتيبين او معكوسين انضافت اليهما في اواخر
 المطاف سوابق ولواحق او صدور وكواسع
 (préfixes et suffixes) تنسم بطابع اقليمي
 يخضع لمؤثرات جوية خاصة وهذا هو سر الاختلاف
 المتزايد مع الزمن بين لهجات كانت موحدة الى عهد
 قريب ثم تناهت الشقة بينها حتى في الاقليم الواحد
 كما وقع بالنسبة للغة العربية ضمن مختلف القبائل
 منذ العهد الجاهلي

ونظرة على لائحة الابدال والمعاقبة بين الحروف
 العربية (المثبتة اواخر البحث) تبرز لنا معيارا دقيقا
 لهذا التطور بالنسبة للغة العربية وهو معيار قد
 تضبط مقاييسه الفطرية حتى على لغات ولهجات
 اخرى في اقاليم غير عربية .

وهكذا تولدت في خاطرنا - منذ ان اتصل
 تفكيرنا بهذه المعطيات المشتركة - نظرية كانت تتضح
 وتتلور كلما امعنا في تتبع الامثلة العديدة التي لم
 تكن نختارها نحن بل كانت تترى في سيل هارم ملك
 علينا مشاعرنا في فترة وجيرة قضيناها في
 الاستعراض والتمحيص وقد اغتنمت فرصة وجودي
 بين مراكز الاستشراق وخبراء اللسانيات خلال
 شهر شتنبر المنصرم في بولونيا والاتحاد السوفياتي
 فعرضت الفكرة - خلال احاديثي - على ثلة من
 الاختصاصيين في اللهجات السامية ، وقد حاولت
 وضع مشروع ضوابط اساسية لهذه الفكرة ارجع
 اليها كقاعدة في البحث وكنت اترك لزملائي من
 المستشرقين الذين امكنني التحدث اليهم في
 الموضوع - حق انتقاء اللفظ الروسي او الفرنسي
 او الانجليزي الموضوع على المحك لاختبار مدى
 انطباق القاعدة عليه وكأنت النتيجة في معظم
 الحالات ايجابية الى حد بعيد كما يتضح من الامثلة
 المعروضة هنا في غير ترتيب .

وقد كان للنحاة العرب منذ صدر الاسلام
 نظريات تتصل بعلم السيمياء الحديث من وجوه مختلفة
 حيث حاولوا ابراز خواص كل لغة من حيث «مبانيها»
 ومن حيث «معانيها» .

ونشير هنا الى ما حققه احد كبار الاختصاصيين
 في اللهجات وهو كوني A. Cuny (4) من وجود
 تشابه عميق بين اللغات الهندية الاوربية اي الاربعة
 من جهة واللغات الهامية (كالمصرية القديمة)
 والسامية (كالعربية والعبرية) من جهة اخرى ،
 قد لاحظ ان وحدة استعمال صيغة المثني مثلا في
 هذه اللغات دليل قاطع على القرابة الاصلية بين هذه
 المجموعات اللغوية ثم ذهب ابعد من ذلك فابرز طابع
 التجانس والتشابه بين التطور الذي حققته اللغسة
 اليونانية انطلاقا من اللغة الهندية الاوربية وبين تطور
 اللغة السامية ابتداء من الثنائية الهامية والسامية
 ولم يخف الاستاذ كوني (ص 33) اصالة التراث
 الموحد المريق في عهد ما قبل التاريخ بين العربية
 الفصحى ولغة شعب اركاديا Arcadie اليونانسي
 (وهو شعب من الرعاة الذين جمعتهم وهرب
 الجاهلية روح البداوة الخلافة) ثم اكد (ص 48)
 انه نظرا للمظاهر العامة في مسيرة التطور يمكن
 القول بان تراث اللغة الهندية الاوربية هو - نسبيا
 على الاقل - من مخلفات المهود السحيقة اي انه
 منبثق من ذلك التراث الاصيل الذي تركته المجموعات
 السامية والهامية ، ثم ختم سلسلة دراساته
 الدقيقة (ص 64) مؤكدا ان مجالي التشابه
 والتوافق الملحوظة بين اللهجات الهندية - الاوربية
 والسامية والهامية حجة حتمية على وجود وحدة
 لغوية اصلية .

* * *

ويرى كثير من علماء اللسانيات ان ابناء نوح
 حاولوا منذ ازيد من خمسة آلاف من السنين اقامة برج
 سامق في بابل Babel للوصول الى السماء ولكن
 الله عاقب هذا الطموح الاخرق بخلق بلبلة في لفات
 كانت قبل ذلك موحدة ومهما تكن قيمة هذه
 « الاسطورة » فلا يبعد ان تكون البشرية بعد
 الطوفان قد انحسرت ابعادها وانحصرت لغويها

Auteur de la « Catégorie du duel dans les langues indo-européennes et chamito-sémitiques ». (4)

نماذج لوحددة اللغات

(القلب يكون من السهل الى الاسهل)

ونورد مثالين آخرين لابراز اهمية التصرف على المترادفات :

الكلمة الاولى هي نور يقابلها في الفرنسية كلمتان هما lumière و lueur فاذا انقلبت نور (طبقا لمبدأ التماكب بين اللام والنون مثل زجل وزجن واصيلال واصيلان وحالك وحالك) .

اصبح : نور = لور = lueur
(وهو يتفق والكلمة اللاتينية الشمسية lucere)

وبهذه المناسبة لاحظ علينا احد المستشرقين الروس ان القاعدة لا تنطبق هنا على المقابل الروسي وهو Svet (تنطق Sviet مع تخفيف حرف V) فعقبنا على ذلك بان لكلمة نور مرادفا هو ضياء لقول الله تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا » (وان كانا يختلفان من حيث القوة) ولهذا صار

ضياء = ضياء = صيات Siat = Sviet
(صى = sie)

(وقد عاتب العرب الضاد والصاد في مثل مض الرمانة ومصها ومنافى ومنافى ودحض المدبوح برجله ودحسه اذا حركه وتضاف الناس وتضافوا الخ) وما زالت كثير من الاقطار الاسلامية في آسيا الوسطى تسمى الحوض حوصا)

اما الكلمة الثانية فهي زهر ومرادفها هو نور (بفتح النون) الذي تقابله في الفرنسية كلمة fleur (التي كان ينطق بها flor او flour في القرن الثاني عشر الميلادي) وفي الانجليزية flower وفي الاسبانية flor وفي اللاتينية flos (التي اعطت floris)

ولناخذ الآن كلمة حبر فانها مؤلفة من العين والباء والراء فاذا اعتبرنا ان الباء تماكب اللام في العربية (مثل قطع وقطل وصقل به الارض وصقما اي ضربها) .

فنحن نسرد هذه النماذج كما اقترحت علينا ونستثنى منها الدخيل الاجنبي الذي شهر في العربية او العكس (وان كان لنا نظر في ذلك قد سبقنا اليه صديقنا العلامة عبد الحق فاضل في سلسلة ابحائه القيمة حول التايل والترسيس (5) .

وتؤكد هنا انه يجب الاتكاز في نظرتنا هذه على دواسة الحرفين الجذريين في الكلمات المتشابهة واعتبار شواهد اساسية سنشير اليها عند الاستعراض غير ان الجذر يكون في الغالب ثنائيا اي يحتوي على حرفين متشابهين . وان كان التماثل قد يصل الى ثلاثة احرف ، وقد ينزل احيانا الى حرف واحد .

نظف مثلا تقابلها في الفرنسية nettoyer (واصلها net وقد وضعت في القرن الثاني عشر الميلادي واتبست منها كلمة net اي واضح اوصاف) ، كما تقابلها في الروسية كلمة natirat

والجذر الثنائي في هذه الكلمات هو نظ (بامتناب ان الطاء في العربية تماكب مع الطاء كقول العرب شطي البيت وشطى اذا انتفخ فارتمت قوائمه) .

نظ = نظ = nat = net

اما التشابه مع الانجليزية فانه يتجلى في مرادف اآخر لكلمة نظف وهو صفى التي يقابلها في الانجليزي :

صفى = nettoyer = to swab
صف = swa

ولهذا وجب قبل التنظير والمقارنة استقصاء المترادفات في كل لغة .

ونضرب لهذا مثلا اآخر بمترادفين عربيين هما زفن ورقص حيث نقابل كلمة زفن بكلمة danser في الفرنسية و tanzawat في الروسية و danzar في الاسبانية و to dance في الانجليزية على اساس : زن - فن = ns

(5) راجع مجلة «اللسان العربي» (وخاصة منها العددين الثالث والخامس)

ولنشر باقتضاب الى بقية الامثلة المعروضة
علينا فنقول :

— مشى : يقابلها marcher بالفرنسية
marchirovat بالروسية و marchar بالاسبانية و
to march بالانجليزية .

اما المشي الخاص للتعقب كالمطاردة مثلا :
فقد اعطى في الانجليزية to tread طارد
سال يقابلها في الفرنسية couler على
اساس ان ك = C = s في الفرنسية (مثل
civil و celeste) اعتبارا لكون السين
تعاقب الصاد في العربية والصاد تستبدل
بالكاف مثل وصب ووكب على الامر اذا واظب
عليه ومك المعظم ومعه بمعنى) . كما ان قبيلة
ربيعة تجعل غالبا الكاف المؤنث شيئا كما قال
الشاعر يصف الغزاة :

فميناش ميناهما وجيدش جيدها
سوى ان عظم الساق منش دقيق
(يريد ميناك وجيدك)

— ملجا ومرادفها معزل وهما يقابلان كلمة asile
(بالفرنسية) و asilo (الاسبانية) و
asilus (بالانجليزية)

— مضغ يقابلها macher ومنها تفرعت مصطكا
masliquer, mastic (ومعلوم ان
الصاد تعاقب الضاد نحو مص ومض وحصب
وحضب في معنى حطب)

— سار يسير سر circular (ف) و
taircoulirovat (ر) و circular
(ا) و to circulate (انج) .

— عشاء pitscha بالروسية (عشاء = اشاء = itcha)
عشاء = echa (بالروسية ايضا)

اما صيغ الافعال في اللغات فقد لاحظنا مثلا ان
ماء الخطاب ونون المتكلمين وياه الفائب او
او الفالبيين متشابهة كقولك : تفعل tu fais
ونفعل nous faisons ويفعل (il fait ou ils font)
(ب = i = il في الفرنسية نحو briller
الخ)

كما ان كلمات الايجاب والنفي موحدة في كثير
من اللغات :

اي = oui = yes = ya = si
(باضافة s في الاسبانية)

اصبحت الحروف : لبر = برل = pri
ومنها parler في الفرنسية و (habra = habla)
في الاسبانية parabola في اللاتينية
و gavorit (v = b) في الروسية
والكلمة تختصر (abarit) في حين تساوت الكلمة
الانجليزية to talk مع مقابل عربي واخر هو
نطق (نطق = طلق = طلق talk)

ومنها لسان طلق وطلاقة اللسان بمعنى فصاحة
القول

وترمز الثنائية الجدلية في حرفتي طس
(مثلها طش نظرا لتعاقب بين السين والشين في
مثل اسدف واشدف الليل اذا اظلم) الى السقوط
واحيانا الى السقوط مع تشتت وتفروق (طش
تقابلها بالفرنسية chute وبالانجليزية
shut down وتعبر لفظة طش في العامية المغربية
عن هذا المعنى واصلها من طشت السماء اذا امطرت
ومن الطشاش وهو الرشاش) ومن ذلك شتاء اي
مطر هائل (س = ت في مثل قول العرب الشت
والناس والتكين والتكين) يقابلها في الروسية
tetch وفي الاسبانية salto (التضمنة ل :
sat) . ولا نطيل في هذا السياق فان القلم اذا
سار على هذه الوتيرة عسر عليه حصر المادة لاسيما
اذا قارنا نفس الكلمات مع مرادفاتها في لغات
مختلفة . وقد ايد احد المستشرقين الروس هذه
الامثلة ملاحظا ان هذا التساوق بين هذين الحرفين
الجدريين وبين فكرة السقوط والتشتت قد يوحي الى
خبراء اللسنيات بفكرة اخرى هي امكانيات وجود
اصول جدلية موحدة غير مدروسة لحد الآن في
كثير من اللغات والتي تنجلي في سعة مدى تفاريع
الجدل الثنائي في مثل : « قب » فانه يرمز الى كل
ما يعتقد او يصنع مقوسا او محدودبا مثل :

قبه = coupole (بالفرنسية) cupula
(الاسبانية) cupola (الانجليزية)

قبو = alcove (بالفرنسية والانجليزية)
alcove (روسية) alcoba بالاسبانية

قبعة = chapeau (ف) chopka (ر) copc
او capelo (ا)

قب = cap = capuchon (انج) capuchon

او capucho (ا) الخ

ومعلوم ان الماء يسمى «مبوه» فى لغة الاطفال
(خاصة فى العامية المغربية) ويسمى الماء boda
بالروسية كما ان كلمة boire معناها شرب
بالفرنسية .

ونلاحظ ان كلمة ميه مشتقة من الماء وهى
متساوقة مع لفظة mouiller بالفرنسية و
mojar بالاسبانية (يقال ايضا aquar) و
to moisten بالانجليزية

ومن جهة اخرى تتشابه كلمة mouiller مع
لفظة لاينية شعبية هي molliare التى اعطت
فى القرن الحادى عشر الميلادى كلمة mouiller
الفرنسية .

كيس cajase او guichet (ف) و caja
(ا) و kacco (ر) و case (انج)

قدما (بضمين) good (انج)
يقال ذهب قدما اى سار الى الامام لا يلوي على
شيء وقد دخلت الى العامية المغربية بعد ان
حذفت منها (ما) فصارت قد = قود = كود
(ينطق بها بالكاف المقنود)

ويستعمل العامة فى المغرب ايضا كلمة دغري
(وزان همري) بنفس المعنى ولعلها من كلمة
داغر وتاتي فى الابعاع كقولهم اذهب صاغرا
داغرا (اى خاضعا ذليلا) (المتن) وفيها معنى
السير الحثيث دون التواء ويمكن تشبيهها بالكلمة

الفرنسية droit حيث يقال marcher tout droit
اى سار دغري

ودر اى اضاع adirer (ف) وهى مقتبسة
قطعا من العربية .

دبر من التدبير يقال دبر الامر اعثنى به ونظر
فى هواقبه

ويقابلها بالفرنسية se débrouiller
وبالروسية rasobratsya

نافذة = fenêtre (ف) و ventana (ا)
و Window (انج) و fenestra (باللاينية) و
akno (بالروسية)

لا (= نا لتعاقب اللام والنون) no (ا)

non (ف) = now (انج) = niet (ا)

شط (بمعنى شاطيء) يقابلة فى الفرنسية
côte (وتعاقب الشين والكاف فى العربية

كما راينا) و costa فى الاسبانية فى حين
ان كلمتي bord الفرنسية و bereg

الروسية تقابلهما بالعربية كلمة بر بنفس المعنى:
يقال وصلت الى البر اى الى الشاطيء واذا

قلبت هذه اللفظة (بر = رب = رف مع
تعاقب الباء والفاء كما هو الحال فى كثير من

اللغات (6) (مثل الروسية حيث B = V)
تساوقت مع كلمات من مادة اخرى مثل rive

بالفرنسية و rib بالانجليزية و ribera
بالاسبانية و ripa باللاينية (7)

خمول humilité (ف) humility (انج)
humilitat (ا) humilitas (باللاينية):

خمل = همل = humilier
بلع تقابلها بالفرنسية avaler وتوجد نفس
الحروف الثنائية فى الانجليزية فى كلمة

to swallow (بل = فل = wal = val)

والعين والالف هنا، اما من الصدور اى
السوابق او الكواسع (اى اللواحق) العارضة

فى اللغات ولعل بلع فى العربية منحوتة اصلا
من بل (او بلل) الحلق .

ونلاحظ ان التساوق بين العربية والاسبانية
يتم بواسطة مادة اخرى هي روق وريق او تروق

(من الريق) و tragar (ا)

سبل (اى شعر) يقابله cil (شعر الحاجب)
و sourcil (سل = cil)

ماء يقابلها باللاينية aqua وبالاسبانية aqua
(بال التعريف فى el gua) وبالفرنسية فى

تفاريع المادة مثل aquatique - aquarium
الخ ..
واصلها : مساء = ماء (8) = ماءك (9) =
ague = aque

(6) مثل زحف وزحج فى العربية .

(7) يلاحظ هنا ان اللغتين الانجليزية واللاينية احتفظتا بالحرفين الجذريين الموجودين فى اللغة
العربية .

(8) نظرا لتعاقب الميم والهاء والهمزة فى العربية مثل اللمجة واللهجة لما يتمل به من الطعام

(9) ينطق بالكاف همزة فى كثير من اللهجات والعاميات العربية فيقال آو أو بمعنى كاو كاو cacao

والجلد الثاني في هذه الكلمات هو نف او فن
(من باب القلب)

وهذه المادة ترمز الى كل ما له ثفرة والنوافل
في الجسم كل سم يوصل الى النفس (10)
ومنها انف nez (ف) و (f) nariz و (n) noso (انج)
ومنها كذلك كلمة fendre وكذلك fissure
التي تقابلها بكلمة فج العربية حيث يقال فج
رجليه اذا فتح ما بينهما والفجة الفرجة بين
الجبليين . وهنا يكون الحرفان الجديان
هما فج = f

الموسى والسكين والمديبة والخدمى الفاظ لمدلول
واحد، وقد شبر بعضها في اقليم خاص
كالمديقة اليمن ولكن العفة البارزة فيها هي القطع
فالموسى هو القاطع وهي كلمة يمكن تشبيهها
بكلمة couteau الفرنسية ويستعمل الانجليز
فعل to cut للتعبير عن القطع واذا حللنا من
جهة اخرى كلمة سكين مثلا نجد ان السين
فيها تبدل من التاء (عند ابي فارس) حيث
يقال السكين والتكين ومنه تك الشيء اذا
قطعه . وهكذا امطت : تك = كت = قط =
cut والكلمة المقابلة في الروسية هي noj
فاذا قلبت التون ميما (كقول العرب البمان
والبنان ومجر ونجر بمعنى عطش وعمبر
وعنبر) وعاقبت الجيم الشين والسين كما في
قول العرب مجدوه ومشدوه وليل دامج ودامس
اي مظلم امكن القول بان : موسى = موس =
نوس = نوج = noj

قط بمعنى حر يقابلها في الفرنسية chat
وفي الانجليزية cat وفي الروسية kochka
وفي الاسبانية gato
ويطول تعداد التشابهات والتساوقات في
مختلف اللغات لانها على مستوى كلمات المعجم
بحيث تكاد تجد في كل صفحة من القاموس
نماذج حية لهذا الشبه وخاصة اذا ما حاولنا

استعراض المترادفات في كل لفة ومقارنة هذه
المترادفات بعضها ببعض مع تتبع عملية القلب
او المعاقبة والبذل في حروفها وتبرز هذه
الظاهرة خاصة في الكلمات التي تصير عن
مفاهيم تندرج في بداية الحضارة الانسانية
اي يكون الانسان الاول قد عبر بها منذ ما قبل
التاريخ من فكرة او شيء برز مع بروز
الانسان الى الوجود او تطور الانسان البدائي
في الحياة وتتصل هذه المعاني خاصة
بالماء والسماء والارض والتراب والالوان
والالات والاواني والاعشاب والبقول والاسلحة
واللحوم التي كانت ضمن
محتويات الكهف او المغارة التي عاش فيها
البشر منذ طلاف السنين، وقد عثر في جبل
او كاي مدن بالمغرب الاقصى على ثلاثة آلاف
وخمسمائة صورة figures rupestres
لهذه الاشياء البدائية كما عثر في جبل
Massif Central بفرنسا على نفس
المجموعات .

فاذا ما تتبعنا الكلمات التي ترمز الى هذه
المسميات وقارنا بينها لاحظنا تشابها مذهلا
يؤكد كما قلنا الفكرة القائلة بان ابناء نوح
تكلموا لفة واحدة تشعبت خلال العصور مع
الاختلاف بنفس الجذر الصوتي فلتقصر
الحديث على امثلة مستقاة من الجسم البشري
او من الالوان التي مر بها الانسان الاول .
فكلمة هيكل تقابل squelette (كل = quel)
وكلمة جيد (اي عنق) تقابل cou (جيد =
كيد = كود = كو = cou (11) وبما ان
الانسان الاول ربما اضطر الى ان يستمد من
معاله الجثمانية الصفات والسمات التي تعرف له
في الخارج ، فانه قابل بين الجيد وبين
انمرجه فاستخلص من cou كلمة coude
وكذلك cube و cubitus (الذي
نسميه اليوم الساعد والذي كان يعني في
اللاتينية coude) على ان هذا الانمرج

- (10) هذه النوافل او المنافل لها اسماء خاصة
الاذنين والخنابتان هما خرقا الانف والطبيجة
(11) الجيم تقلب في العربية كافا مثل ارنك وارنج
والواو في مثل كيد وكود والباء تحول من
بالنسبة لكل عضو في الجسد فالاصران هما ثقب
(بالكسر وتشديد الباء) هو الاست
والقافية في الشعر العربي تتساوق فيها الباء
الواو كالميزان من وزن والميعاد من وعد .

- (2) أشقر (roux = شقر = رخش = roux)
- (3) رمادي : لون الرماد (couleur cendre
(endre = رند - رند - ندر)
- (4) ابلق (bleu = البلق هو لون يجمع بين البياض
والسواد وهو لون السماء بين الصحو والغيم
والأزرق هو كذلك اللون السماوي bleu-azur
والأزرق الزهري والأزوردي
bleu d'outre-mer ou lapis-lazuli
ونحن نرى ان كلمة أزرق تتساق مع كلمة
azur (التي يقول معجم لاروس انها مقتبسة
من كلمة لأزورد العربية)
- (5) أزعر alezan
- (6) مبرقع وابقع bigarré بققع = bigar
- (7) نلاجي blanc neige ثلج = neige
(neige = لج = نج = neige)
- (8) حانط écarlate : يقال احمر حانط
اي قانيء
- (9) ارتكان ocre (ارك - اكر)
وتقابله ايضا كلمة امغر (ocre rouge)
- (10) اربد diapré منقط بالاحمر
(ربد - دبر)
- (11) مرقش ومبرقش ومرقط (اي منقط بالسواد)
moucheté (بقش = مقش = مشق)
- (12) زرجن وزرجون rouge وكذلك اخريج
(ريج - روج)
(rouge = رج)
- (13) جون : خضرة تميل الى السواد وهو الاصفر
jaune ومنه الجواناء أي الشمس

المحوب بشكل مكعب يوجد في امضاء
اخرى من الجسد كالكعب . فاذا ارتقينا في
سلم الاشتقاق الى الاصل الاول لاحظنا ان
كلمة كعب اطلقت في البداية على العظم الناشر
البارز فوق القدم ثم على العظم الذي يلعب
به ونجد ان كلمة cube الفرنسية كان اصلها
في القرن الثالث عشر الميلادي cubus وهي
مشتقة من كلمة Kubos الاغريقية التي معناها
dé à jouer أي كعب اللعب ومن هنا جاءت
صفة مكعب cubique (ف) و cubico
(ا) و cubic (انج) وما زال الانجليز
يستعملون كلمة cubitus للتعبير عن
الساعد (cubito بالاسبانية)

— المصمص يشبه os (ف) و huesco (ا)
و osseux (ف) و osseous (انج)
وهو يقابل خاصة كلمة coccyx (ف) و
kokkyx (الاغريقية)

— مشط (عظم مريض في الكتف) يقابل
omoplate (بالفرنسية والانجليزية) و
omoplato (بالاسبانية) و omopláté
(بالاغريقية)

(الجذر الثنائي هو مط = مت = mote) (12)
— رضة بالتحريك (عظم منطبق على الركبة)
يقابل rotule والجذر الثنائي فيهما هو
rot = رط (13)

— الالية تقابل ilion او ilium (حرقفة) لانها
عبارة عن العجيزة وما يكتنفها من عظام تصل
الى ادنى الخصر .

— ادمة (باطن الجلد التي تلي اللحم) تقابلها
derme و épiderme (دم = dem)

: اما الالوان فنأخذ منها الكلمات الآتية :

- (1) أبيض = blanco (ا) blanc (ف) و blank
(بالألمانية و byelty (بالروسية)
(بيا = bia لان L = ا مثل briller)
ولنتقارن كذلك هذه الكلمات بكلمة ابلج أي
أبيض ناصع

(12) مت في مد ومط ومنه ممتد ومنبسط = plat

(13) الضاد تعاقب الطاء كقول المررب ضفر وطفر اذا وثب

- (14) اصفر cubère مثل قولك جمالات صفر اي ابل سوداء وفسر اصفر اي اسود قد اصفر ذنبه وعرفه (اللسان)
اصفر - اصبر (14) - ابر cubère

- (15) غرابي او غريب : شديد السواد
couleur de corbeau
(غراب - عرب - ارب (15) - كرب
(corbeau

- (16) فربير pourpre اي أرجواني واحمر
قانيء

- (17) نستقي : لون الفستق
couleur de pistache
نستق - بستق - بستش (16)
pistache

- (18) اقره : ictérique مخضر الجسد اخضرار
فلح الاسنان وهو لون المصاب بمرض الصفير
او اليرقان ictère

- (19) اذهب gris (التهبة سواد يضرب بها
الى الخضرة)
قهي - قهي - قري gris
(قه = قغ = gr)

- (20) اكدر : terme (ضارب الى الغبرة المسودة
در - تر ter
(ولعل اصلها من كدرة الارض او التراب ومن
المفيدة مقارنة تراب بكلمة terre (الفرنسية) وارض
بكلمة earth (الانجليزية) terre
(رض - رد - در - تر)
وكذلك محراث بكلمة herse
(اي اداة الحرث)

- (21) قرمزي يقابلها
vermeille
قرمي - لرمي - vermeille
(القاف تعاقبها الفاء مثل افتض وافتض
وتفشع وتفشع)

- (22) امهق : ابيض شديد لا يلمع كالجبص
blanc mat - مسط mat
(الهاء تعاقب الطاء كقولك الوطن والوهس
للضرب الشديد بالخف)

* * *

وهكذا يتضح من هذه الفدلكة التي اوجزنا
فيها القول وتعاشينا التفريع والتشبيب أن بين
اللغات وحدة اصيلة هي مظهر للوحدة الانسانية
الكبرى ، وقد بقي جانب آخر في هذه الدراسة لم
نتعرض له هو اللغة الاصلية التي كانت منبع
الاشتقاق وهو موضوع لا نريد ارتجال القول فيه
لان له صلة بعناصر مختلفة كتاريخ تطور اللفظ في
خصوصه وعلاقة هذا التطور بالمبادلات التاريخية
المحتملة وبالروابط الرصينة الملحوظة بين المترادفات
في لغة ما وغير ذلك فاذا ما امكن الكشف عن
تسلسل موصول بين لفظ ما في لغة ما وبين جدر
صوتي تتجانس تفاريمه في هذه اللغة دون غيرها
فان الحظ يكون اوفر لاعتبار هذه اللغة هي اللغة
الاصيلة للبشرية ، وقد تكون مجموعة لغوية هي
الاصل كالسامية مثلا بالنسبة للهندية - الاوربية
ومهما يكن فان نقطة الارتكاز التي تهم الانسانية في
هذه الفترة المعصيبة من حياتها هي ابراز معالم
الوحدة الاصلية بين البشر مع اعتبار ان التبادل
مهما تكن بنايمه هو ايضا مظهر لهذه الوحدة .

(14) الباء تعاقب الفاء مثل زحف وزحب بمعنى دنا

(15) الفين تبدل من الهمزة كالصواب والصفاب لبيض التمل وزئبر الثوب وزغبه كما ان الكاف
ينطق بها همزة عند البعض

(16) تبدل الشين من القاف كقولك هانق وعانش والقصاب والشصاب .

الإبدال والمعاينة
بين حروف الهجاء

حروف البديل والمعاينة	الحرف الاصل
و = ي	أ (1)
م = ف = ل = ق = ت	ب (2)
د = ط = ه = س	ت (3)
ظ = ذ = ش = س = ت = ح = ب = م = د	ث (4)
ي = د = ك = س = ش = ت = خ = ج = ح = ق = ب = م	ج (5)
ع = ج = ح = غ = ه = ك = س = أ = ث = د = ت = و	ح (6)
أ = ك = غ = ش = ع = ض = ق = ج = ه = ح = ط = ف	خ (7)
ط = ت = ح = ك = ج = ل = ن = ث = ز = ذ	د (8)
ن	ر (9)
ث = س = ص = ت	ز (10)
ت = ز = ش = ج = غ = ب = ل = د = ص	س (11)
ك = ق = ث = ح = ز = د = ق = ذ = م = ج = ع = خ = ص	ش (12)
ط = س = ظ = ج = د = خ = ف	ص (13)
ص = ط = ب = ظ = ض = ز = أ	ض (14)
د = ص = أ = ت = ش = ض = ج = ز = ه	ط (15)
ت = ذ = ك	ظ (16)
ف = ل = أ = ب = ق = ر = و = ك = ن	ع (17)
س = خ = ع = ر = ج = ه = أ = ب	غ (18)
ث = م = ش = ق = ك	ف (19)
ك = ك (كاف معقود)	ق (20)
ق = ت = ر = ص = ج = ف = ب = خ = و	ك (21)
ن = ض = ر = ز = ب	ل (22)
ن = ب = و = د = ش = ع = ر = ت = ه	م (23)
ل = ر = ت = ث = د = س = ج	ن (24)
أ = و = ي = ت = ب = م = غ = س	ه (25)
م	و (26)
ل	ي (27)

- (1) الالف المحولة كالف قال وباع
(تسهيل الهمزة الساكنة في ارجائه وارجيته)
(راجع متن اللغة)
- (2) مثل زحف وزحب وشخب وشخبل الناقة
(حلبها) وبغيث ولقيث واعتذب واعتدق
(اذا ارخى للممامة هذبتين من خلف)
ونبع ونتع وذعالب وذعالت (التهذيب)
- (3) كطلحت وخبر الدرث في طلحة والدرة عند
طيه (الصافاني)
وتابوه وتابوت والنات والناس والتكين
والسكين (ابن فارس) وجت الكبش اي جسه
- (4) مثل تلفه وشلفه اذا شذخ رأسه ودعشه
ودمسه اذا وطئه والحنالة والحنالة والح
والث والب والث اي اقام
ولطم ولطث ولطشه ولطسه (ولطخه لما يقرب
من هذا المعنى) ومكث ومكد اي اقام وتبدل التاء
تاء مشناة في لغة خيبر
- (5) مثل بصرج في بصري وعلج في علي ووشج
في مشي وغلماج في غلامي (عند بني تميم)
وحجل بينه وبين كذا اي حيل (التاج) وايد
وابج واسدف الليل واسجف ودشيشة
وجشيشة وارنك وانج والمجدوه والمشدوه
وليل دامج ودامس اي مظلم والنتفة والنتجة
وانتجب وانتخب وسجر الاناء وسكره اي ملاء
والرجس والرکس وحميء وجمي اذا غضب
واجتته واقتشه اذا استأمله
ونجت ونبت والمهجل والمهبل للرحم وولج
وولب وجرن على العمل ومرن عليه
- (6) مثل حنشه من الامر وحنشه اذا عطفه وزاحم
وزاحم
واخر نشم واجر نشم واجر نشم وسجمت
الحمامة وسجمت وحنن الدمع وحنن
والدح والدس وحشط وكشط وويحك
وويكس ولما ولج اي ابصر والح والث ولحن
ولدس ولس وعقبة محوج ومتوج اي بعيدة
وتحسف وتوسف اي تقشر
- (7) مثل صرا وصرخ
(وهو من غريب الابدال عند الخليل وكذلك
تفسا وتفسخ)
- (8) كقولك ما بالدار دوري او طوري اي احد ومت
ومد ولطم وقادحه وماده اي طاولة وصدمه
وحكمه واجهض وادهض وعدس وعلس وموت
دعاف وذعاف ومرد على العمل ومرن ومكث
ومكد وتوكد وتوكر
- (9) لا تجتمع الراء واللام في كلام العرب (ابن
سيده)
وهو قليل في مثل مكدل ومكدر عند الازهري
وتبدل من النون مثل ضرب وضرب الا ان
ابن سيده يرى ان ذلك لثغات اكثر منه
لغات
- (10) مثل مزج ومثج وسدل وزدل وصدق وزدق
وجاس خلال الديار وجاز ورسب ورزب (لغة
كلب) ولايب لغة في لازب (بنو عقيل)
- (11) مثل خلبه وخبسه بمعنى فتنه او خلبسه
منحوتة من خلت وخلص
(والناس والنات والاكياس والاكيات وجبس
الكبش وجيته) وساب الماء وزاب بمعنى جرى)
والزقر والصقر (بنو كلب) وجاحسه
وجاحشه بمعنى قاتله ودافعه وتسميت المعش
وتشميته وليل دامس ودامج اي مظلم واسدف
واغدق اذا نام واسدف واشدف اذا راخى
ستوره واظلم
وبرد سحت وبعث ولحت اي صادق وساحة
الدار وباحتها وعبق الطيب وعبق وجمد
وجمس الماء وجنس كذلك وهناك قوم من
تميم يقلبون السين صادًا كسراط وصراط
وسبقل وسبقل وسرق وصرق وسخر
وسخر وسخب وسخب . (التاج)
- (12) تبدل من كاف الخطاب المؤنثة مثل رابتك
ورابتش ومن حروف اخرى (مثل عانسق)

- 16) مثل اظلم وارض جلداء وجلفاه (والدعظاية والدعكاية
- 17) مثل خوفه وخوفه وصقل به الارض وصقمها اي ضربها (وانكول ومثكول للشمراخ وخبابة طلعة وخبعة طلعة) وخبنة وخبنة للزيب ومقر وبقر وما ذقت حلوسا وبلوسا (والمثول والقثول والقثول للفدم المسترخى) وتوهل الجبل وتوقله
- 18) مثل الصؤاب والصفاب لبيض القمل . واما والله وغما والله وزئير الثوب وزغبره واسدف واغداف اذا نام (وخطر وغطر بيده) والعسر والفسر للامر اللثا (والراية والغاية بمعنى) والمجط والمفط الخلق المسترخية في طول) ونهض ونغض) وهذافة وغدفة للفرقة من الناس والزغد والزبد (اللسان)
- 19) مثل ثم وثوم وجدث وارث مجد (فم وفوم وجدف وارف مجد) وفلص الامر من يدي وملص) وفدخ وشدخ راسه وفد وشد عن اصحابه وافنض وافنض) والنكة والنفة للابل التي ذهبت اصواتها من الاعياد وخسف صدره وحسك)
- 20) مثل اقنة الطائر واكننه ودم في صدره ودمك اذا دفع وتلفظ الفاء ممزوجة بالكاف وتسمى القاف المعقودة وهي لغة مشهورة لاهل اليمن ونقل عن ابن خلدون انها لغة مصرية (التاج)
- 21) نحو مربي كح وقح وهو مالوك اي مالوق بمعنى مجنون ومعبيت وعصيك والوك وعلوك وعلوج وشقع وشكع اذا جزع من مرض ونحوه والشراسة والشكاسة) ووصب ووكب على الامر اي واظب) ومك العظم ومصه واكده واجده (ونحص وكحص) وكظا وخظا وبظا لحمه اذا اشتد) وتهوك وتهور وهو اهوج واهوك) واستوثر واستكثر
- وعائش والقصاب والشطاب) وتلفه بالمصا وشلفه اذا شدخ راسه) واحكل الخبر لفة في اشكل وحبدا وشبدا الرجل) وزمخ بانفه لفة في شمخ) والرعدة والرعدة وخربسق العمل وخربشه وشال بدنه وذال والهشيم والهشيش والجاسيه والشاسيه وشاكسه وماكسه ولطشه ولطشه ولطخه .
- ومنتاخ ومنتاش للمنتاش (لنقش الشمر) واننشى واننشى
- وليس في كلام العرب شين بمد لام ولكن كلها قبل اللام واستنشى الازهري علوش واللش بمعنى الطرد ورجل لشلش اي خفيف
- 13) مثل اصاد واصطاد والصراط والصراط والصدغ والصدغ والبصاق (اللسان) وشصي الميت وشطي اذا انتفخ فارفعت قوائمه وشطى الميت وصقر وسقر وزقر (التاج) وسقب وسقب وسخر وسخر وسطع الفجر وصطع
- واصلخ واجلخ اي اضطجع ومص ومصد) وانلص وانلخ اذا تخلص) ونكص ونكف)
- 14) مثل مض الرمانة ومصها ومالك منه مناض ومناص ودحض المذبوح برجله ودحص اذا بحث التراب برجله وحركه وتضافوا على الماء اي تصافوا وتضعف وتضعف) وضفر وطفر اذا وثب) وخبين وخبين بمعنى كف وصراف) والبظر والبصر واشتكيت ظهري وضهري وعطت الحرب اي عضت (اللسان) وزقد وضقد اذا عصر حلقة وضفر وافز بمعنى عدا والحصب والحطب والحضب لما توقد به النار .
- 15) مثل مدا الحرف ومطه وتقط وتقد والجرواط والجرواص للتويل العنق) ورطيط ورطيه للاحمق) وتحطم الزجاج وتحتم) وشمخ بانفه وطمخ وانقض وانقطع ولبطه ولبجه اذا صرعه وجلد به الارض) وهطر الكلب وهززه اذا قتله بالخشبة) ووطط ووحش ووخز) والوطس والوهس للضرب الشديد بالخف

(الكثيرة) والفن والفتن للحال والضرب من الشيء) وقعد وقفندد للمظيم الألواح من الناس والنقب والثقب ونخت له وسخت له اذا استقصى في القول ونف السويق وسفه وما في الدار وابن وما فيها وابسر أي أحد) واستوئن واستوئج واستوئر من المال أي استكثر

(25) مثل هراق وراق وهياك وإياك ولاها والله في لا والله (وهذه وهذي) وهنا وهنه وطلحة وطلحت وهذر المال وبلدر وهرهره ومرمره اذا حركه والهرهرة والفرهرة لرثير الاسد وهاجله وساجله

(26) مثل وهذه ومهده وتوجد واو الصلة نحو قف بالديار التي لم يمفها القدمو وواد الاشباع كالبرقوع في البرقع

(27) تكون زائدة كياء الصلة للقواهي (يا دار مية بالعلياء فالسندي) وياه التزيم وياه الاتباع في المصادر والنحوت عند الخليل كقولك كاذبته كيدابا وضاربه ضيرابا أي كذابا وضرابا والياه الفاصلة بين الابنية كياء صيقل وبيطار . وتبدل لاما كالسادي في السادس والخامس في الخامس .

(22) نحو اصيلا (واصيلان) والطجع في اضطجع واحتراد واضطراد والخلامة والخرامة أي الدهارة) وخامل الذكر وخامنه واسود حاله وحاك واويع واوزع به) ولغيت وبيغت وتبدل لام التعريف ميمما في لغة حمير (مثل قوله عليه السلام ليس من امير امصيام الخ . . كما تجمل اللام مع الجيم ضادا اذا سكنت مثل جلد وجفد من الجلاد

وتزاد اللام كما في عسد ومبذل وطيس وطيسل وهيق وهيتل وبكمه بالسيف وبلكمه اذا قطعه

(23) نحو مبر وعنبر ومجر ونجر اذا عطش عطش عطشا شديدا . وما زال رائما ورايبا أي مقيما ورجب الاصم والاصب) وامصيام في الصيام) ودرع دلامص أي قارص ودلامص وزرقم وشدقم في ازرق واشدق وابنم في ابن وخضرم في اخضر وجلدم في جلد وكوم التراب وكوده) ووطا المرأة ومطاهما وشطاهما أي وطاهما والمصد والمصد ومكد وركد أي اقام وامتشق وامتشق أي اختلس وماق وداق أي حمق وتمته وتمته اذا بالغ في الشيء وتها الثوب وتها أي بلى وتقطع واللمجة واللهجة لما يتعلل به من الطعام

(24) مثل زحل وزحن وانجانة واجانة وخرنوب وخروب وطنفس وطرفس اذا لبس الثياب

ابتداء من العدد المقبل :

سنشر بحول الله مقتطفات

من :

« معجم الاصول العربية في اللغات »

الذي يمهده المكتب الدائم

دخيل أم أئيل؟

الأستاذ عبد الحق فاخيل

982	كلمة من الآرامية (السريانية)
850	» » الفارسية
470	» » اليونانية
32	» » التركية
67	» » اللاتينية
42	» » العبرية
17	» » الإيطالية
12	» » الفرنسية
31	» » لغات أخرى

2.503 المجموع (1)

لكن من يستعرض هذه الالفاظ بشيء من الامعان لا يسهه الا ان يأخذ بنظر الاعتبار هذه النقاط الأربع :

الاولى : ان بعض الالفاظ لها في العربية اكثر من صيغة واحدة ، وقد اورد المؤلف منها صيغتين او اكثر فازداد بذلك عدد مفردات قائمة الدخيل . مثلا :

عمد ، عمدان ، معمودية

تخمه (جعل له حدا) ، التخيم : الحد

الحان ، الحاني ، الحانوت

الراحة ، الروح ، الروحاني ، المروحة ، الريح ، الريحان

الهندس ، الهندسة ، الهندوس .

ترك اللغويون العرب غير قليل من الكتابات ادرج اصحابها فيها ما يسر لهم من الالفاظ الدخيلة في العربية من اللغات الامعجية . لكن الغريب انهم لم يعمروا هذا الامر من الاهتمام ما اصاروا النواحي اللغوية الاخرى ، فجاء عملهم ناقصا غير متقن ولا صحيح .

ومن ابسط مظاهر هذا النقص انهم كثيرا ما يعزون هذه الكلمة الى السريانية تارة والى الرومية تارة اخرى ، وتلك الكلمة الى الفارسية انا والى الحبشية انا واخر ، ما يجعل القاريء يفقد الثقة بما يقرأ فينفض يده من الامر بجملته . وهذا مبين لكل ذلك الجد والحرص اللذين عرفوا بهما في تحقيق الشؤون اللغوية الاخرى بله سائر فنون الثقافة والفكر .

ولا يقال ان سبب هذا التهاون الشاذ هو جهلهم اللغات الاجنبية فقد كان بين ظهرانيهم الكثيرون من العارفين بالفارسية والسريانية والحبشية والعبرية ممن كانوا يستطيعون ان يعاونوهم في مجال هذه اللغات الأربع ، على الاقل .

لكن المحدثين من اللغويين كانوا اكثر جدا واستقصاءا في هذا المضمار ، فظهرت بحوث جديدة من الالفاظ الدخيلة في العربية من مختلف اللغات ، شرقيا وغربيا . وقد جمعها الاب وفائيل نخلة اليسومي في كتابه « غرائب اللغة العربية » - ط : 2 - وزاد عليها الفاظا عديدة مما اكتشفه - كما قال ، - فبلغ مجموعها 2503 كلمات من مختلف اللغات ، على النحو التالي :

(1) هذه الأرقام هي الصحيحة حسب ما ورد في جدول التصويب في آخر الكتاب .

الرابعة ، وهي الهم : ان الكثير من هذه البلاد العربية ، لكنها قد لا تقل عن نصف الالفاظ الدخيلة ، ان لم ترد .

الالفاظ عربي ائيل اقتبسته اللغات الاخرى من العربية ، غير ان اللغويين اضافوه فشنا وأي ضفت على ابالة الدخيل . وارجاع هذه الالفاظ - المظنون انها اعمجية - الى ائولها العربية هو الذي سوف نتصدي له في حديثنا هذا .

فلو اننا اسقطنا جميع هذه الالفاظ الواردة في هذه الفقرات الاربعة لما بقي بيدنا من الدخيل الحقيقي الا القليل ، ولعله دون الثلث . ومهما تسامحنا فبالفنا في عدد الدخيل فانه لن يبلغ الواحد في المئة من مجموعة مفردات اللغة العربية التي تبلغ نحو مئة الف كلمة .

* * *

الغلطة التي يقع فيها اللغويون عند المقارنة لغويا او حضاريا بين العرب وغيرهم من الامم انهم لا يخطر لهم الا ابناء البيداء من الامراب . حتى الاب نخلة لم يسلم من الوقوع في هذه الغلطة اذ قال « ان اكثر الكلمات العربية المختصة بالزراعة آرامية الاصل . لان الاعراب كانوا يحتقرون الزراعة » - (حاشية ص : 170) . فهو قد نسي ان اللغة العربية ليست لغة الاعراب وحدهم ، وان اولئك الاعراب الذين لم يمارسوا الزراعة لانهم كانوا يحتقرونها لا يمكن ان يقتبسوا الالفاظ المختصة بها . ونسي كذلك بلاد اليمن على الاخص وعراقتها في الحضارة ولاسيما الزراعة التي افتنوا فيها وفي اساليب توفير الماء لها .

فهكذا جرت مادة اللغويين كلما وجدوا كلمة مشتركة بين العربية وسواها من اللغات ان بعدوا الكلمة دخيلة في العربية ولاسيما اذا كانت حضارية ، بحجة ان العرب امة بداءة وترحل .

نعم ، ما اكثر الالفاظ التي تدل على حياة البداءة والترحل في لغة العرب . لكن هذا يصح على البدو ومن ابناء الفلوات ، الذين لا يزال اخلاف لهم يعيشون نفس العيشة حتى اليوم . غير ان العرب كانوا امة حضارة ايضا ، في المناطق المحيطة بالصحراء .

ان وفرة الالفاظ الحضارية في اللغة العربية بحيث الدهشة في الحقيقة ، وتدلل دلالة صريحة -

فهذه خمس كلمات ، لكن ذكر مشتقاتها ايضا جعلها محسوبة على العربية سبع عشرة كلمة . وباب الاشتقاق في العربية فسبح ، وبالامكان صياغة الفاظ اخرى من هذه الكلمات ، فلا يصح فيما نرى اعتبار كل واحدة من الاشتقاقات كلمة دخيلة قائمة براسها ، لادخالها في الحساب . ولاسيما ان بعضها عربي صميم كالمشتقات الستة المذكورة آنفا من مادة (روح) .

الثانية : ان الكثير من الالفاظ الدخيلة كان استعمالها محصورا في فئات خاصة من الناس ، من ارباب المهن على الاغلب ، كالادوية وبعض الادوات ، مما لا يعرفه ولا يستعمله سائر الناس حتى الادباء والعلماء من غير ذوي الاختصاص . واليك مثلا هذه الكلمات :

ابراميس	سرجل
اردمون	طرخشقون
اسطراون	عرطنيشا
بادرنجبوية	فاشرشتين
دهمست	قربشوش
سبنجونة	بعمبما

فهذه الالفاظ لا القاريه يعرفها ولا كاتب السطور يعرفها ، ويدهي اننا لذلك لا نستعملها . ومن لم لا يجوز ان نعددها من الالفاظ العربية . وانما شأنها شأن الادوية الاجنبية التي تملأ الصيدليات والادوات والمصطلحات المستعملة في مختلف الشؤون من صناعة وهندسة وطيران مما ينحصر استعماله بين اهله .

الثالثة : ان اكثر الالفاظ التي دخلت العربية من اسماء الاطعمة والثياب والاثنية والادوية والادوات ونحوها مما كان يعرفه عامة الناس ، قد بطل استعمالها الان وزالت اسمائها ، او بقيت مستعملة وتغيرت اسمائها ولم يبق منها الا النادر . فيمكننا القول : انها دخلت العربية وخرجت منها . ووجودها حتى اليوم في بعض الكتب والمراجع العربية ليس له الا قيمته الاثرية . . شأن جالية من الغريب تحل في بلد اجنبي وتقيم فيه اجيالاً ثم تجلو عنه او تنقرض فيه ، لتصبح خبيرا يروي ، ولا يسود بالامكان ادخالها في الحساب عند احصاء سكان ذلك البلد . اننا لم نحص عدد هذه الالفاظ المتدثرة لاننا لانعرف شخصيا ما اذا كان بعضها لا يزال مستعملا في بعض

اللها هو (القيمة) ، وان فعلي (خام وخيم) اللهمما (غام وغيم) . و(غام) تعني خيم او عطش ، وهذه من (أم) بمعنى عطش ، وهذه من (الآب) أي الماء .

فيما يخص اللغات السامية ، لما كانت مادتها اللغوية مشتركة فمن الجائز ان تصوغ احدهما كلمة من مادة مشتركة وتقتبسها الاخرى فلا نعرف الآن ايها الايئلة وايها الدخيلة . حتى البنى أي الصيغة العربية الخالصة مثل : اصحاح ، وباعوث ، وسامور ، وشماس ، ومسيح .. لا يكفي للدلالة على عروبة اللها .. فعندئذ نستعين بالمعنى . وانما يمكننا القول بعروبة الكلمة اذا كان معناها اقرب الى سبب استعمالها في ذلك المعنى . مثال ذلك ان (الآب) - زنة الرب - وردت في الارمية بصيغة (ايبو : ebo) بمعنى الشرة . وائل الكلمة هو (الآب) أي الماء . وهي تعني في العربية ما تنبت الارض من عشب وخضرة وهو ما يسببه هطول الماء أي المطر . فهذا اذن اصل التسمية . ولما كان معناها قد تطور في الارمية واختص بالثمر ، يمكننا القول ان الكلمة عربية لا ارمية .

ومهما يكن فاننا لا نريد الآن ايضاح اسس طريقتنا في ترجيح اللغة التي تنتمي اليها الكلمة فان ذلك يتطلب من الاطناب وربما الاملال ما نحن في غنى عنه . لكن الشروح الموجزة التي سوف نرجيها مع كل كلمة ستعطي القاريء الكريم فكرة عن طريقتنا في معالجة هذا النوع من البحث اللغوي .

وقبل ختام هذه الفلذكة التمهيدية نود ان نحبي جهود الاب رفائيل نخلة اليسوعي في جمع هذه الالفاظ المدودة من الدخيل ، فهي فيما نعلم اول مرة تجتمع فيها بهذا التفصيل في كتاب واحد ، بعد استقصاء وتحقيق علمي رصين محايد . وبديهي ان المؤلف حين مرا هذا العدد من الالفاظ الى اللغات الاجنبية لم يرد بالعربية واهلها سوا ، فان تتبع الدخيل في العربية امر يدها المررب منذ بداوا بتدارسون القرءان وما فيه من الدخيل ويتفقهون في العربية بمختلف ارجائها الفسيحة .

والاوربيون كلهم يدرسون لغاتهم على هذا النحو، وبعضها كالانكليزية مثلا كل الفاظها دخيل من لغات اخرى اجنبية على الاغلب ومحلية على الاقل ، والمحلية ايضا لم تعد هي اللغة الانكليزية القائمة

حتى لو كانت كلها مقتبسة - على تحضر بعض القوم كما ان كثرة الالفاظ البدوية فيها تدل على بدائة بعضهم . والفاظ البدائة اغلب بطبيعة الحال ، لكن ينبغي ان نتذكر ان جامعي اللغة قد اخذوا مفرداتها من البدو لا من الحضرة . فما اكتفى اللغويون برفض لغة الحضارة جملة بل انهم رفضوا كذلك لغة الكثير من القبائل البدوية لمجرد مخالفتها الحضرة او مجاورتها الاعاجم . ولولا ذلك لوجدنا في المعاجم العربية من الالفاظ الحضارية من عمرانية وصناعية وزراعية وطربية واحتفالية وما الى ذلك من شؤون الجرد والهلو في حياة المدينة اكثر بكثير مما نجد الآن .

والصراع بين حياة البدائة والحضارة في الجزيرة العربية معروف ومشهور ، وما قال الالهراب من اهل اليمن انهم « مابين حائك برد ودابغ جلد » الا ازدراءا لهم في عرف البدائة ، واعترافا بمدنيتهم واطراءا لهم في عرفنا .

على ان المسألة ليست مسألة تخمين واستنتاج فحسب ، فان تحضر المررب في مختلف انحاء جزيرتهم واقع تاريخي اثبتته الوثائق المدونة . وقد كان الباحثون يظنون ان « المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية هي وحدها التي تشتمل على كتابات عربية جاهلية ، ولكنهم لما اتسعت معارفهم في الآثار العربية اتضح لهم ان جميع بلدان الجزيرة العربية تشتمل على كتابات قديمة » . (1)

فبعد هذا لا يحق لنا مجازاة القوم في اعتبار كل كلمة حضارية مشتركة بين العربية وغيرها دخيلة في العربية .

بل ان اللغويين قد اعتبروا من الدخيل احيانا حتى ما كان اخص بالبدائة كالخيمة التي عدوها من الحبشية ، لمجرد وجودها في الحبشية ، مع انها عماد حياة الصحراء . وضرورة الخيمة للاعرابي كما لا يخفى تكاد تقرب من ضرورة الماء والفضاء ، لانه بدون الخيمة تصهره الشمس وتقضي عليه .

على اننا لا نعتد في تائيل الكلمة على مجرد الاستنباط ، بل على الترسييس أي البحث عن الؤل الكلمة ، فلا تقطع بعروبتها الا اذا تاكدنا من اللها العربي . فالخيمة مثلا لا تكتفي بالقول انها عربية لمجرد كونها من لوازم الميشة البدوية بل لاننا نرى ان

(1) ولغنون - « تاريخ اللغات السامية » - ص 228 .

الكلمات الأساسية في اللغة من أسماء أعضاء البدن والاعداد والشؤون البدائية والبدوية ؟ فالسؤال هو : هل اقتبست العربية كل الألفاظ المشتركة بينهما ؟

جدير بنا ان نقطع برأي في شأن هذه الألفاظ المشتركة الكثيرة قبل البت في امر الألفاظ الدخيلة من الآرامية في العربية . والرأي عندنا هو ما سبق ان ذكرناه من ان العربية هي ام الآرامية ، أي انه لابد ان هذه الألفاظ العربية كانت موجودة في لغة الآريين قبل هجرتهم من الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب وانتشارهم على تخوم سورية والعراق في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، على الرأي الشائع .

لما دامت الآرامية من العربية فلا عجب من التشابه بينهما كالتشابه بين الأم وبناتها .

وبعد ان أصبح الآريون أمة قائمة بذاتها جرى لهم مع العرب تبادل واختلاط ، فلا عجب ان تقتبس كل من اللغتين من الأخرى ، بالإضافة الى ذلك .

ثم ان الآرامية انتشرت فانتسخت اللغات المحلية في الهلال الخصيب حتى أصبحت لغة سكان المنطقة بوجه عام فلا عجب للمرة الثالثة ان تقتبس العربية ولغيرها منها .

وكان الكثيرون من سكان العراق وسورية (من البابليين والآشوريين والكنعانيين) هربا قداما في الأصل ، نزل معهم حرب جدد استقروا في مختلف الأنحاء في هجرات متوالية صغيرة وكبيرة . وهؤلاء جميعا لم تنقلب الآرامية على السنتهم الا بعد ان تركوا فيها آثارا بالغة من لغاتهم كما هي القاصدة عند تصادم اللغات وتغلب احدها على الأخرى . فلا عجب - للمرة الرابعة - ان تقتبس الآرامية من العربية . ويريد الأمر وضوحا اذا تذكرنا آخر الموجات العربية قبل الإسلام من اللخمييين في العراق والفساسنة في الشام .

وما دامت المادة اللغوية الأساسية مشتركة بين الآريين فمن المتصور آونة أن نبت في نسب الكلمة ، أي ان نقرر هل الكلمة مشتركة الا ، أم ان إحدى الآريين اشتقت من إحدى الكلمات المشتركة صيغة ما فاقتبستها الأخرى ، وإينهما التي اقتبست .

الآن . وكل اللغات الآوربية لها معاجمها التي تعين كل لفظة فيها الى اللها ، اجنبيا او محليا .

فاذا نحن رددنا الى العربية الكثير من الألفاظ التي اوردها كتاب « غرائب اللغة العربية » ليليس ذلك تنديدا منا بالمؤلف الفاضل ولا انتقاصا من قيمة المعناه الذي لا بد ان يكون قد كابد ، والذي لا بد ان يجمله كل من لم يكابد مثله .

وانما هي طريقة لنا في البحث يمكن اعتبارها نقدا نزيها او محيضا وتنقيحا للطريقة القديمة .

واذا قلنا ان اللغات الأخرى من سامية وآرية قد اقتبست من العربية فليس قصدنا المباشرة بالعربية ولا التمسب لها ولا التمسب على اللغات او الأمم غير العربية ، ولكننا انما نقرر واقعا تاريخيا كان نتيجة طبيعية لانسياب الموجات العربية قبل نحو احد عشر الف عام ، كالذي اوضحناه سابقا في اكثر من مناسبة . هذا فضلا عن استقرار بعض الشعوب السامية منذ همود سحيقة في مناطق تقطنها الآن شعوب أخرى كآسيا الصغرى وبعض مناطق البلقان وبعض جزر البحر المتوسط ، على ما يراه بعض العلماء . (1)

مع الآرامية

وردت في « غرائب اللغة العربية » 982 كلمة باعتبارها دخلت العربية من الآرامية نفسها او عن طريقها من لغات أخرى . والكثير من هذه الألفاظ في نظرنا هربي خالص او مشكوك في كونه آرميا خالصا ، او ان العربية اقتبسته راسا عن اللغة الامجمية الالة .

واذا قيل ان الكلمات ال (982) قد اقتبستها العربية من الآرامية ، لكونها مشتركة بين اللغتين ، لما القول ان في الكلمات الكثيرة الأخرى المشتركة بينهما من قبيل : ابو (اب) ، اودنو (اذن) ، امو (أم) ، ايدو (يد) ، تيرين (الثان) ، ارقو (ارض) تورو (تور) ، حمشو (خمسة) ، دابو (ذئب) ، ريشو (راس) ، سعرو (سعر) ، شتو (سنة) ، عطمو (مظلم) ، هقربو (مقرب) ، كلتو (كلية) ، لشنو (لسان) ، ليو (ليل) ، ناشو (انسان) .. الى آخر ما هنالك من

ولا جدال في ان العربية استعارت من الارمية
عشرات الالفاظ الدينية ولا سيما النصرانية كالتي
ذكرناها آنفا : اصحاح ، باعوث ، شماس .. الخ .
لكن بعض الالفاظ الدينية كنسي بحث لا يفقه معناه
جمهور قراء العربية ، مثل : ابييل ، اردخل ،
سلاج ، اسكيم ، سلاق ..

فاذا نحن قلنا دون تردد ان الالفاظ النصرانية
المشتركة ارمية الاثل بوجه عام ، فليس بوسعنا ان
نقول مثل ذلك في الالفاظ غير الدينية دون الاعتماد
على برهان مقبول .

ونحن فيما يلي سنتناول بعض الالفاظ ارمية ،
لا كلها ، معتمدين في تحقيقها على الترسيس ،
وراجين لنفسنا السلامة من المزالق والاختفاء .

وما نتوقع ان يكون راينا القول النهائي ، لكن
حسبنا انه سيكون مدعاة لاعادة النظر والبحث في
الموضوع على اساس جديد .

ونأمل ان تكون لنا عودة الى الموضوع نتناول
فيها جميع الالفاظ التي نظنها عربية الاثل سواء اكانت
ممدودة من ارمية او غيرها - حسب تسلسلها في
كتاب « غرائب اللغة العربية » .

آب :

هو الشهر الثامن من التقويم الميلادي . وقد
ذكره الاب نخلة بامتباره مقتبسا من ارمية .
ولئن كان الارميون قد استعملوا هذا الاسم فما هو
ارمي الاثل ، وانما اقتبسوه من الاكديين
(البابليين) . وكذلك شأن بقية اشهر السنة التي
اوردها المؤلف الفاضل على انها من مقتبسات العربية
من ارمية ، فكلمة بابلية ، وهي المستعملة الآن
لدى عرب الشرق الاوسط في التقويم الميلادي
بينما يستعمل عرب الشمال الافريقي اسماءها
الاوربية .

وكان (آب) يعني الشهر الخامس عند البابليين .
ولما كانوا يبدأون عامهم بأول الربيع الذي يبدأ في
تقويمهم بشهر نيسان (وهو الرابع في التقويم
الميلادي) فان شهر آب يقع في نفس الاوان من
الصيف تقريبا عندنا وعندهم .

وقد كنا قرأنا في (المعجم الكبير) ان اسمه عند
الاكديين هو (آبو) وكان يعني بلغتهم في الاصل
(قصب الماء) . وانما سمي الشهر المذكور به لانه
كان موسم جني ذلك القصب . وهذا يعني ان اثل
الاسم هو (آب) اي الماء (الذي ينبت فيه القصب) .
وما تزال كلمة (آب) تعني الماء في الفارسية ولو ان
معناها تحور في العربية فصار فعل (آب يؤوب) يعني
ورود الماء نبلا (وقد فصلنا ذلك في كتابنا « مغامرات
لغوية » - ص 209 (1) .

وهكذا يكون المعنى قد انتقل من الماء الى
القصب الذي ينبت في الماء ، الى الشهر الذي
يجنى فيه ذلك القصب .

وقد لاحظ المعجم الكبير ان الفرس استعملوا
اسم ذلك الشهر بصيغة الجمع (آبان) باضافة (ماه)
- اي شهر - الى آخره فصار ينطق (آبانماه) اي
الشهر العاشر بتقويمهم ، وباضافة (روز) - اي
يوم - حيث ينطق (آبانروز) اي اليوم العاشر ، من
اي شهر .

ويظهر ان الفرس اطلقوا اسم (آبان) على احد
اشهرهم اول الامر واتفق انه كان الشهر العاشر ،
فصار مع الزمن يعني العاشر شهرا او يوما .

ورس كلمة (آب) هو محاكاة صوت هبوب
الهواء (هوووو...) ومنه صيغ (الهو) ، ثم
الهباب ، ثم الاباب ، ثم الاب (كالذي كنا اوضحناه
في المرجعين المذكورين) .

اما ان العربية قد اقتبست هذا الاسم عن
البابلية مباشرة او عن ارمية بواسطة فامر لا
نستطيع الجزم به على اية حال . وثمة كلمات يدل
الترسيس اللغوي على انها مقتبسة عن البابلية رأسا
اي ان شكلها العربي اشبه بالاثل البابلي من صيغتها
الارمية .. او ان البابلية هي التي اقتبستها عن
العربية ، ثم اقتبستها ارمية عن احدهما .

الميسزاب :

اما هذه فعربية خالصة ، اللهم (ارب الماء) :
جري ، ومن الطبيعي على هذا ان يكون (المثراب) :

(1) راجع كذلك مجلة « اللسان العربي » - العدد الرابع ، لسنة 1966

مجري الماء ، كما ورد في المعجم العربية . و (ازب) ائنها (زاب) اي جرى ايضا ، وهذه اللفظ (آب) .

وكثيرا ما قيل ان الميزاب من الفارسية لوجود كلمة (آب) في آخره ، لكننا نستطيع ان نقول باطمئنان ان العربية هي اللفظ الميزاب لانه كما قلنا من فعل (زاب) الذي نعرف الله ورسه في العربية ولوجود اخوات للزاب فيها مثل : ذاب وساب وسال .

وواضح ان العربية ليست هي التي اقتبست الكلمة من الآرامية بل العكس الصحيح ، لانها اطلقت اولا على كل ما تنبت الارض من عشب وخضرة ثم تخصصت في الآرامية بمعنى الثمرة .

والمتراب يؤثله الاب نخلة من المزاب والمزاب . ونحن نتفق معه في وجود العلاقة التطورية بين هذه الكلمات الثلاث لكن بعكس الاتجاه . اي ان فعل (زاب) تطور فصار (زرب) وهذا صار (زرب) ، ومن هذين الاخيرين قالوا المزاب والمزاب .

كذلك نشأت منها في العربية صيغة (العب) - بفتح الحاء - وتخصصت بمعنى الثمرة التي يحملها الحشيش ونحوه من صفات النبات .

والمتراب يؤثله الاب نخلة من المزاب والمزاب . ونحن نتفق معه في وجود العلاقة التطورية بين هذه الكلمات الثلاث لكن بعكس الاتجاه . اي ان فعل (زاب) تطور فصار (زرب) وهذا صار (زرب) ، ومن هذين الاخيرين قالوا المزاب والمزاب .

الاسكفة :

وردت في الآرامية بصيغة (اسكوفتو : askoufto) اي عتبة الباب .

فوجود هذه الكلمة في الآرامية بصيغة (مرزيبو : Marzibo) انما يعني انها هي المقتبسة لغويا . ولا يقال ان الآريين لابد ان يكونوا قد سبقوا العرب في استعمال الميزاب لانهم اقدم سابقة في التحضر ، فهذا ينطبق على البدو الذين لا يزالون بدوا مترحلين حتى اليوم ولم ير احد منهم ميزابا في حياته ، لكنه لا ينطبق على كل العرب ولا سيما الجنوبيين منهم . . ولا سيما ان الكلمة انما تعني مجري الماء اصلا ثم انتقل الاسم الى القناة التي تهبط من اعلى السطح لتصرف مائه الى الارض . ولا نقصد ان الآرامية قد اقتبست الكلمة من العربية حتما بالمعنى المألوف للاقتباس ، لكن يجوز انها كانت في لغة القبيل العربي الذي هاجر من العربية الى الهلال الخصيب فتكونت منه الامة الآرامية .

لكن هذه ايضا من الآرامية ، فقد وردت فيها بصيغة (askuppatt) بمعنى العتبة ايضا . ونطقها اقرب الى النطق العربي .

الاب (زنة الرب) :

واللها فيما نظن السقف ، اي ان اصل معناها هو العتبة العليا ، ثم اطلقت على العتبة السفلى . يؤيد هذا ان (الساكنف) ما زال يعني في المعجم العربي اعلى الباب الذي يقابل عتبه التي توطأ ، اي سقف الباب . اما رس الكلمة فمن محاكاة صوت الدجاجة :

لا بد ان الكثيرين من قرائنا الكرام قد لاحظوا ان الدجاجة حين يقرب وقت احتضانها البيض لا تفتأ تقول : قب قب قب . . . وقد باعدت جناحيها من جسمها . وما زال الموصليون يقولون (قبت الدجاجة) بمعنى رقدت على البيض . ومنها في الفصحى (افتت الدجاجة) : انقطع بيضها ، لان بيضها ينقطع حين يازف اوان احتضانها .

وهي تعني في العربية الكلا او المرعى وما انبتت الارض او الخضرة - على قول القاموس .

وقد وردت في الآرامية بصيغة (ايبو : ebo) بمعنى الثمرة . (1)

واللفظ (الاب) هو (آب) ايضا ، اطلقه العرب فيما يظهر على العشب الذي ينبت في البر حين تتلقى الارض ماء المطر ، اي ان معنى الماء انتقل الى معنى

وقد وردت في الآرامية بصيغة (ايبو : ebo) بمعنى الثمرة . (1)

واللفظ (الاب) هو (آب) ايضا ، اطلقه العرب فيما يظهر على العشب الذي ينبت في البر حين تتلقى الارض ماء المطر ، اي ان معنى الماء انتقل الى معنى

(1) الكلمات الآرامية اوردها المؤلف بالحروف السريانية والفرنسية معا . اما الحروف السريانية فقد ابدلنا بها الحروف العربية تيسيرا للقاريء ، واما الحروف الفرنسية فبعضها عليه علامات مخصوصة لتقابل بعض الحروف العربية كالحاء والخاء والطاء . . . فأوردناها بالحروف الفرنسية الاعتيادية البسيطة ، وبوسع القاريء معرفة نطقها الصحيح في الآرامية بدلالة الرسم العربي .

البرص (زنة المرض) :

يقول المؤلف انها من الارمية (برصو : barso)
وهذه من الارمية ايضا (برص : bras) : حفر ،
ثقب .

واول دليل على ان الكلمة آتت في العربية منها
في الارمية هو ان البرص كلمة لونية ، وهي تعنى
في العربية المرض الذى يجعل في الجلد بقعا بيضاء .

وللكلمة في العربية اخوات : برج ، برث ،
برش ، بزغ ، برق .

وهذه الكلمات تعنى وضوح اللون وسطومه ،
هذا (برز) التى تعنى الظهور عموما ، لكن اصل هذا
الظهور هو الوضوح ايضا . واما (برج) فنعتقد انها
كانت اولا تعنى (برق) وما زال العراقيون يقولون
(برج) بمعنى يبرق، اي يلمع .

ويبدو لنا ان (برق) هي الة هذه الكلمات . واما
اللة (برق) فهو رق الماء ورفرق . ومنها ترقرق
الماء : تلالا .

وقد طالما قالوا ان (البرج) كلمة دخيلة في
العربية . وقد اوردها المؤلف ضمن الدخيل من
اليونانية باعتبارها مقتبسة من (pirghos)
وجوابنا على ذلك هو ان (برج) التى كان اصلها (برق)
صارت تعنى الظهور والارتفاع ، فى المعجم . ومن
معنى الظهور اي البروز اطلق (البرج) فى العربية
على الجزء البارز من الحصن الذى يبنونه نائشا
ومرتعا من سائر جدران الحصن تسهيلا للمراقبة
منه واستطلاع حركات العدو . ومن ثم سمي كل
بناء شاهق قائم (برجا) مثل برج بابل قديما وبرج
ايفل حديثا ، بالاضافة الى بروج السماء . وربما كان
من معانى البروز اسم (البرز : Alborz)
الجبل المشهور فى ايران .

ثم اطلق البرج فى اللغات الاوربية على القلعة .
وفى الايطالية يسمون الفندق (albergo) ،
والظاهر انها تسمية من القرون الوسطى اطلقت اولا
على الفنادق المحصنة خارج المدن . وقد توسعوا فى
استعمالها فصارت (bourg) فى الانكليزية -
وهي اثلا من الفرنسية - تطلق فى القرون الوسطى
على البلدة المحصنة ، اي ان معنى القلعة انتقل الى
معنى المدينة . ومن ثم صارت الكلمة تضاف
فى بعض اللغات الاوربية الى بعض الاسماء للدلالة

تقوس، وقد اوردها الاب نخلة فى مكان آخر باعتبارها
اللة (قف الشمر) فى العربية .

ومن صيغة (قب) فى العربية نشأت (القبة)
التي اوردها المؤلف فى تسلسلها الهجائي ضمن
مقتبسات العربية من الارمية من فصل (قبب :
Qabeb) الذى يقابل فى العربية (قبا يقبو)
اي تقوس .:

وقد وردت القبة فى الفارسية بصيغة (كنبد :
gonbad) ويظن بعضهم انها اللة (القبة)
العربية . اي انها تتنازعها الفارسية والارمية وهي
عربية .

قبل ان ندلي برأينا فى تطور هذه الكلمة
الدجاجية نقول ان من معانيها المعجمية الباقية
الجفاف والتقوس . فقد ورد فعلا (قف وقب)
بمعنى الجفاف والتقويس ، حيث قالوا : قب النبات :
يبس ، وقب اللحم ونحوه : جف وذهبت ندوته .
وقب الرجل البيت : اقام فوقه قبة . كذلك قالوا :
قبا: قوس، كما قالوا قف العشب او الشجر: يبس،
وقف الشمر : قام ، وقف الشيء : انضم بعضه الى
بعض .. الخ .

فيبدو لنا ان قدامى العرب قالوا اولا كالعراقيين
(قب لعاء الشجرة) بمعنى تقفع وتقضب اي ابتعد
عن جسم الشجرة كابتعاد جناحي الدجاجة عن
جسمها عندما تقول (قب قب) . ولما كان تقفع لعاء
الشجرة بسببه جفانه صارت الكلمة تعنى جفاف
النبات والارض والثوب واللحم ، على ما تذكر
المعاجم .

ثم تحورت الكلمة فنطقوها بالفاء (قف) .
وكما صيغت (القبة) من قب صيغ (السقف) من قف.
ومن السقف صيغ (الساكف) ، و (الاسكفة) التى
اطلقت على المتبة العليا اولا ثم على كل من المتبتين .

ومن المحتمل ان يكون البابليون هم الذين
صافروا الاسكفة ثم انتقلت منهم الى الاربين والعرب .
ويبدو ان هذا ارجح من القول بان العرب هم الذين
صافوها ومنهم اخذ البابليون والاربيون . لكن
(الساكف) صيغة عربية خالصة فيما يظهر وربما
كانت هي اللة (الاسكفة)

التمساح والتمسح :

وردت في الازمية بصيغة (تمسح : tamsih) ويبدو ان التسمية نشأت من فعل (مسح) لان التمساح يمسح الارض ببطنه حين يسبح . والقول بان العربية هي المتنبئة ليس له ما يدعمه .

التيمن :

معناها : الجنوب . وقد وردت في الازمية بصيغة (تيمنو : taymno) ولا نشك في ان الكلمة عربية ، وحجازية بالذات . وهي من اسم بلاد (اليمن) الواقعة على يمين الحجازي اذا استقبل مطلع الشمس ، كما ان (الشمال) من اسم ريح الشمال التي تهب من الشّام أي من شماله . وقد تصدينا لبحث نشوء كلمة اليمن وما نشأ منها من معنى اليمن - زنة السكر - والشّام وما نشأ منها من معنى الشؤم (في جريدة « الحرية » العراقية . العدد : 2044 ، يوم 16 - 2 - 1969) .

الجسو :

جو الشيء داخله . يقول ان الكلمة من الازمية (كسو : kawo) ، وجواني : داخلي من (كويو : kawoyo)

كثيرا ما قيل ان (الجواني) و (البراني) من السريانية ، ولا ندري لماذا ، فهما موجودتان في المعجم العربي ، وقد قال الشاعر : « اريد جوا ويريد برا » اي يريد داخل الدار ويريد خارجها .

ومهما يكن فان (الجو) في المعجم : الهواء ، وجو البيت : داخله . ومن هنا يتضح ان الكلمة هوائية ، اي ان الله هو (الهو) الذي يعني الخرق في الجدار يدخل منه الهواء ، ومنه صيغت (الكسوة) بنفس المعنى . ونعتقد ان الهو كان يعني الهواء اول الامر بدليل انهم اشتقوا منه كلمة (الهواء) نفسها . لهذا كان طبيعا ان يكون معنى جوالفرقة هو هوالها ، ثم انتقل المعنى فصار يعني داخلها .

ومن (الجو) في العربية صيغ (الجوف) ، و (الجوز) في قولهم جوز الفلاة واجواز الفضاء اي اجواؤه - والجوز هنا لغير الجوز بمعنى القرينين والشجرة ، فهذه الله (الزوج) ، بينما جوز الفلاة الله (الجو) .

على المدينة ، مثل : بطر سبورك (مدينة بطرس) ، وسالسبورك (مدينة الملح) !

ومن معنى المدينة اشتقوا في الفرنسية اسم (البرجوازي : bourgeois) التي كان معناها : ابن المدينة .

ووجود (البرج) في الاغريقية بصيغة (pirghos) يثبت ان العرب استعملوا الكلمة منذ آمام سحيقة .

ونعود الى (البرص) الذي يعني في الاصل وضوح اللون ، فقد اطلقه العرب على المرض المعروف الذي يسبب بهق الجلد كما قلنا ، ومثل ذلك انهم سموه (الوضح) - بفتحين - ايضا .

اما معنى الكلمة في الازمية فيدل على الحفر والثقب ، اي النتيجة التي يحدثها البرص - والمقصود هنا الجذام - بينما التسمية العربية تدل على سبب التسمية اي اللون ، والسبب يكون دائما قبل النتيجة بطبيعة الحال .

البطيخ :

وردت في الازمية بصيغة (فطيحو : fatiho) وعروية الكلمة لا ريب فيها عندنا . وقد كنا تحدثنا في «اللسان العربي» - عدد : 5 - سنة 1967 ، وكتابنا «مغامرات لغوية» (عن فعل (بط) الذي هو في الاصل محاكاة صوت انبعاث ضفدع يطؤه انسان . وقلنا انه نشأت منه بعض الصيغ مثل : بطح وفتح وفتح وفتح . الخ . ونعتقد انه من صيغة (بطح) نشأت كلمة (بطخ) ومنها سمي (البطيخ) لانه ينبطح على الارض عندما يشد نضجه . ويوجد في الموصل نوع من كبار القناء يصفر لونه اذا ازداد نضجه فينبطح ويتسطح على الارض ويصبح طممه كطمم البطيخ ، ويسمونه (الشلق) . ويقولون في الموصل عن الشخص او الشيء « انبطخ على الارض » مبالغة في معنى الانبطاح .

ونرى انه من (بطخ) قال العرب (طبخ) من معنى شدة نضج البطيخ ايضا . ومنها في الفارسية (بخت : Pokht) بمعنى : طبخ .

للقول بان (البطيخ) العربية من (فطيحو : fatiho) الازمية لا يؤيده الترسيب ، بل ينقضه .

منهما) - الجوز (القرينان او الفرد منهما) -
الجوزان - الجوزاء .

الجسماني :

وردت في الائمة (كوشمونو : gouchmono)

في العربية ظاهرة تلفت النظر هي انهم لم
يصوغوا من معنى (القلع) بعض أسماء اعضاء البدن
فقط بل بعض أسماء البدن نفسه ايضا . فمن أسماء
الاعضاء : الخد ، العضد ، الكرد (الرقبة) .. ومن
أسماء البدن : القد ، الجرم ، الجثة (من معنى
البحث أي القلع كما هو معلوم) .

ومن (الجثة) صافوا (الجسمان) ومنها
(الجسمان) - بضم الجيم كالجثمان - ثم صارت
النسبة اليه بالياء فأصبح (الجسماني) .

ولعل الذي دعا بعض اللغويين الى الظن بان
الكلمة من الائمة هو كثرة الاسماء المنتهية بالالف
والنون فيها ، ناسبن ان الصيغ المنتهية بالالف والنون
في العربية لا يكاد يحصيها الحصر .. كالبنيان
والبهتان والشكران والكفران (من المصادر) ..
وكحمدان وصفوان ونعمان (من أسماء الاعلام) ..
وكالهيمن والولهان والانسان والحيوان (من الاسماء)

ومهما يكن فان ترسييس الكلمة في العربية
يقطع كل ريب في نسبها . ورسها من محاكاة صوت
القطع هكذا : قط - قد - قت - قث - جث ،
جثة - جثمان - جسمان ، جسماني .

لهذا لا نرى بالعربية حاجة الى اقتباس الكلمة
من (كوشمونو) .

بل على العكس ، ان هذا الترسيس هو الذي
يجيب على السؤال : من اين جاءت (كوشمونو) ؟

الحسس :

ورد في الائمة بصيغة (حصو : hasso) .

وسواء اكان قداماء العرب هم الذين صنعوا هذا
البقل بهذا الاسم ام سواهم فان الكلمة ليست ابيلة
في الائمة بل دخيلة ، فقد ورد الاسم في البابلية
بصيغة (خسو : hkassu) . ومن عجب انها
وردت قبل البابلية ايضا في السامرية الشرقية
(السومرية) مكتوبة على شكل (خي - اصن) .

ولعلمهم من (الجوز) ايضا صافوا (الجوز) بمعنى
الاسود او القاتم ، لان جو الدار يكون ممتعا بالنسبة
الى خارجها ، ثم صار الجوز يطلق على الابيض
ايضا من باب التضاد . ومنه في الفارسية (كون :
goun) أي اللون الشبيه ، في مثل قولهم
(كل كون : gol goun) أي مثل لون الورد ، او :
وردي اللون .

الجسوزاء :

وردت في الكتاب في غير موضعها من الترتيب
الالفبائي ، أي بين لفظتي جبار وجبر ، ولم يرد عنها
شرح او تعقيب ، بسبب خطأ مطبعي فيما يظهر .
ولا بأس بان نذكر رأينا في اثل الكلمة مهما يكن
مقابلها الائمة .

ان الكلمة من مادة (الجوز) العربية ، وليس
المتعود هنا جوز الفلاة ولا الثمرة المعروفة بهذا
الاسم ، بل معنى القرنين ، أي انها من (الزوج)
بمعنى الشفع . والذي يؤيد لنا ذلك ان الجوزاء تدعى
باللابنية (gemini) أي التوامين ومنها انتقلت
الى الانكليزية بنفس المعنى ، وبها سمى الامريكبيون
بعض اقمارهم الصناعية .

والجوزاء مجموعة من النجوم في منطقة البروج
كانت تمثل للتدماة صورة شخصين تخيلهما قدامى
العرب (زوجين) فيما يظهر ، وتخيلهما الرومان
(توأمين) ، وما زال الاوربيون يرسمون الجوزاء على
هيئة طفلين .

والذي يبدو لنا ان الاسم العربي الاقدم هو
(الجوزان) أي الزوجان ، ثم ابدلت الهمزة من
النون مع مرور الزمن .

والذي يريدنا اقتناعا بمروية الكلمة هو مراقبة
العرب في علم الفلك . وقد اوضحنا ذلك في فصل
بمعنوان « العرب اول الفلكيين ؟ » (في العدد السادس
من « اللسان العربي » وفي كتابنا الانف الذكر) .

وكنا في مناسبة لغوية اخرى قد اثلنا كلمة
(الجوز) ورسناها من محاكاة صوت كسر فصن
دون انفصال احد طرفيه عن الاخر . ولا بأس من
اعادة الترسيس بايجاز ، هكذا : طو (صوت التكرار
الفصن) - التو (الفرد من الشئيين المقترنين) -
الرو (القرينان كلاهما) - الزوج (القرينان او الفرد

ولعلها كانت تنطق (خيصى) او (خصى) - بكسر الخاء والمغاربة ما زالوا ينطقونها كذلك ، اي بكسر الخاء وبالصاد ، لكن بصيغة التانيث : خصا .

فمادة الكلمة عربية اذن ، وفعل (خصى) يعني فى الاصل (قطع) والله قص . ومن اخواتها : خت ، خد ، قت ، قت ...

وقد سمي هذا النبات (خسا) من معنى القطع كما سمي من نفس المعنى الجزر والقناء مثلا .

ووجود الكلمة فى الشعرية التى حل اصحابها ارض جنوبي العراق منذ نحو سنة مآلاف سنة ، يفتح امامنا بابا من الاحتمالات والتساؤلات نمسك القلم عنها الآن . ويكفي ان نقول ان الكلمة ان لم تكن عربية الا ، او لم تكن قد دخلت العربية عن البابلية راسا من طريق الاحساء المجاورة للعراق مثلا تكون الازمية قد اقتبستها من البابلية وناولتها للعربية .

الروح :

راينا آنفا ان المؤلف الفاضل اوود ست كلمات من مادة (روح) على انها دخيلة فى العربية من الازمية ، باعتبارها كما يلي :

(rawhto	: روحتو
(rouho	: روحو
(rouhonoyo	: روحونويو
(marwahto	: مروحتو
(riho	: ريحو
(rihono	: ريهونو

قال العرب (راقى الشراب) بمعنى صفا . وقد نطق بمض العرب القاف همزة فى هذه الكلمة كما لا يزالون يفعلون فى سورية ومصر كقاعدة عامة فى كل كلمة ، فنشأت صيغة (راه) التى نشأ منها فعل (راى) كما سيأتى بيانه توا .

وقالوا (رترقى الماء) بمعنى صبه رقيقا ، و (رترقى الماء) بمعنى جرى جريا سهلا ، او : جاء وذهب . ومنها نشأت (راى الشراب) : لمح . و (رترقان الشراب) - بضم الراءين - ماترترق منه ، اي تحركه . وما زال العراقيون يقولون ان النسبج (برادى) اي يشف مما تحته ، من معنى الصفاء . ومن هنا نشأ فعل (راى رؤية) فى اعراب اللحن .

ومن فعل (راه) نشأ فى العربية فعل (راح) بمعنى ذهب كما لا يزال فى الدارجيات . لم صار يعنى كذلك المجيء او الذهاب فى المشى . وفعل الامر منه (رح) ينطق فى الدارجيات (روح) اي : اذهب ، ومنه فى الفارسية فعل الامر (رو) بنفس المعنى .

ومصدر فعل (راح) تنومت صيغة فصار منها (الروح والرواح والريح ...) - وكلها بفتح الراء . ويظهر انه من معنى تترقق الماء وراة السراب - وهو هواء يشبه الماء - اطلقوا (الريح) - بكسر الراء - على الهواء .

وقد كانت لها صبغ اخرى فيما يبدو ، منها (الروح) - زنة الجود . ولما كان التنفس الذى هو غوام الحياة انما يعنى دخول الهواء وخروجه فقد تخصصت هذه الصيغة الاخيرة (الروح) بمعنى النفس - زنة النفخ - التى صيغت من التنفس ايضا . ومما يدل على ان الروح كانت تعنى الريح هو انهما كليهما تجمعان على (أرواح) .

ومن الريح صاجوا (المروحة) : اداة الترويح من نفس المراتح عند انفراج ازمته ، مثل قولهم من التنفس ايضا : تنفس الصعداء .

ومن اريح صافوا (المروحة) : اداة الترويح اي تحريك الريح امام الوجه تبردا من الحر . وصيغة (المفعلة) قياسية لاسم الآلة فى العربية مما قد يرجح اليها العربي . لكن يجوز ان تكون المروحة مقبسة من الازميين ، فيقال عندئذ ان العرب حوروا اسمها بما يوافق لفتهم ، وهو قريب جدا من الاسم الازمي (مروحتو : marwahto) لكن مادة الكلمة وصيغتها عربيتان على كل حال .

كذلك يتردد الفكر فى امر (الريحان) الذى يطلق فى العربية على كل نبات طيب الرائحة ، او على شجرة الآس ، بينما مقابلة الازمي (ريهونو : rihono) يعنى الآس وحسب . فيجوز ان تكون التسمية ارمية اقتبستها العربية ولاسيما اذا لم يكن شجر الآس معروفا عند العرب الا عن طريق الازميين . والا فمن الصعب ترجيح احد الاحتمالين . اما (الروحاني) فان كان المقصود معناه الدينى

« اسرار الضمائر » (فى العدد الخامس من « اللسان العربي » لسنة 1967 ، وكتابنا الاتف ذكره) ، ولا نرى ضرورة للاعادة فيه الآن .

وقد تطور (الاس) فنشا منه الارث ، ثم الارض وهي بالانكليزية (earth) وبالالمانية (erd) وقد نشأت منها طائفة كبيرة من الالفاظ العجيبة الوافرة العدد المتنوعة الفعاليات .

ومن (الاس) نشأ (الاسل) وهو نبات طويل الاغصان دقيقا ومستقيما و (الاصل) و (الائل) وهو شجر ايضا .

ومن (الاس) نشأ (الاصيص) اي الوعاء الذى تزرع فيه الرياحين باعتباره ارضا .

ومن (سل) نشأ (السن) ومنه (السنان) . وهي الابرة الكبيرة ، و (السلاء) - بضم السين - وهو شوك سعف النخل ، لشبهه بالملة .

ومن (سل) نشأ (اسن) ومنه (السنان) . ولما كان عمر بعض الدواب يقدر بفحص اسنانها ولاسيما الخيل صارت (السن) تعنى العمر ايضا ، ومنها صيغت (السنة)!

ومن (سل) نشأ فعل (سلت) ومنه (اصلت) ومنه (الصلت) و(الاصليت) وكلاهما يعنى السيف .

ومن (سل) نشأ فعل (صل) بمعنى صفى تصفية ، ومنه فعل (نصل) ومنه (النصل) . ومن (صل) ايضا نشأ اسم (الصل) اي الحية لشبهها بالاسل والنصل .

ومن (سل) نشأ فعل (سلخ) بمعنى نزع الجلد ، ومنه (شلخ) - بالتشديد - بمعنى هرى . ومن (السلخ) نشأ اسم (السخل) : ولد الشاة .

وما هذه الالفاظ الا قليل من كثير ، فان الحديث عن الكلمات التى نشأت من (الاس) والالفاظ المشعبة المتولدة منه يتطلب حديثا مستفيضا سيكون مليئا بالمفاجئات المثيرة . وحسبنا من كل ذلك ان نورد مثلا صغيرا من مواليد الاسل : العسل (من وخر ابرة النحلة) - لسع - علس (مضغ بالعراقية) - علك - اكل - كلا !

اما (الارض) فقد نشأ منها من الالفاظ الكثيرة المتشابكة ما يجعل الحديث عنها هنا امرا فى غير محله .

فهو الذى يمكن القول بكثير من الاطمئنان انه من الازمية . اي ان السريان (الارميين النصارى) هم الذين صافوا (روحاني) من مادة (روح) المشتركة بين اللغتين فاقبستها العربية منهم عندما ادخلوا النصرانية بلاد العرب .

واما ان كان المقصود من (الروحاني) كل ذي روح فعلينا ان نتردد كذلك فى اللفظ امرى هو ام ارمى .

الزواوية

يقول انها من الازمية (زويتو : Zowito)

وقد تطرقنا آنفا الى نشوء كلمة (الزو) بمعنى الزوجين او القرينين من كلمة (طو) التى تطورت فصارت (تو) ثم (زو) . ومن الزو سميت (الزواوية) ، لانها تتكون من ضلعين مقترنين .

الاسى واوريته

فى اثناء تأييلنا الالفاظ السالفة مرت بنا كلمة (الاس) بمعنى الاساس ، التى قال المؤلف انها من الازمية (اشيتو : achito) وهي من الالفاظ الاساسية فى اللغة العربية لكننا اففلناها لما فى ترسيها من بعض التعقيد الذى آثرنا اجتنابه فى هذا الحديث الموجز . ثم مرت بنا كلمة (الاسل) - زنة العسل - وهو شجر قال المؤلف انه من الازمية (اوسلو : awalo) وهي ترجع باللفظ الى نظرها الى (الاسى) فتخطيناها ايضا لقللة اهميتها . وبعد حين مرت بنا الاصلية فالاصيص ، ثم السخلية ثم سلخ ، ثم سنان ، سنة ، شلخ ، صل ، صلت . . وكلها يورد مقابلها اللفظ الازمي الذى يقال انها انحدرت منه .

وكلها فى رايانا ترجع الى الائل الخطير (الاسى) الذى تولدت منه كلمات مهمة كثيرة لا فى العربية وحدها لكن فى الآريات ايضا . فارتائنا بعد كل هذا ان نلم المامة يسيرة بالكلمة آملين ان نتبسط فى الشرح والاستقصاء فى مقام آخر .

ان لكلمة (الاسى) رسين اثنين ، احدهما همزة التنبية (ت) والثانى الضمير الرسى (تا) ، ومنهما تكون الضمير العام (ات) كالذى شرحناه فى فصل

صورة :

يقول انها من (صورنو : sourto)

هذه الكلمة رسما من صوت الهواء الذي سبق الحديث منه . ولا حاجة بنا الى الرجوع الى اول الحديث ، فلنمسك السلسلة من وسطها ، ولناخذ كلمة (راب) بمعنى جرى ، التي مرلفناها آتفا . فهذه صارت (ساب) ثم (سال) ثم (سار) ثم (صار) . ومن هذه الاخيرة نشأ فعل (صيرت الشيء) بمعنى غيرت نومه او حالته كقولهم (صيرت العنب خلا) . ومن هذه نشأ فعل (صوره تصويرا) بمعنى شكله تشكيلا . ثم نشأت الصورة . ولعل منها في الانكليزية (sort) شكل ، نمط .

الفرع :

ندي الشاة والبقرة ونحوهما . يقول انها من (صرهو : sar'o) لكننا نرسم (الفرع) من (الدر) - زنة الشر . فالذي يبدو لنا ان العرب قلدوا صوت تخيب اللبن عند الحلب بقولهم (در در ..) . ومن ذلك (الدرة) - بكسر العين - ما زالت تعني الفرع بالمراية ، واما في الفصحى فتعني اللبن وكثرته وسيلانه ، اما (الدر) فهو اللبن او كثرته .

ومن (الدر) نشأت صيغة (الفرع) ، ومن هذه نشأ فعل (رضع) .

الطحين :

الديقي . يقول انه من الأرمية (طحينو : - thino) ، ثم يذكر الكلمة في مكان آخر مع مقتبسات العربية من الحبشية . لكن ترسيبها في العربية واضح ، فان فعل (طحن) الله (حطم) . وهذا الله (حتم) ، وهذا الله (حت) ، وهذا الله (حد) ، وهذا الله (خد) ، وهذا الله (قد) ، وهذا الله (قط) أي حكاية صوت القط . ومن الطحن صيغت (الحنطة) التي يطحنونها .

القشاة :

وردت في الأرمية بصيغة (قطوتو : qtouto)

هذه الكلمة أيضا ليست أرمية في أثلها ، وإنما انتقلت إليها فيما يظهر من البابلية (قشو : qichchou)

وقد وردت قبل البابلية في اللغة الشمرية بصيغة (أوكوش : ukuch) وهي من مادة (كش) العربية التي نعتقد أنها كانت تعني القطع في الأصل بدليل أن (الكشة) هي القصة - وكلتاها زنة القوة - أي شعر الناصية . والقصة من القص طبعا .

و(القشاة) العربية من (القش) أي القطع أيضا . ومن أخواتها : الجث ، القش ، الحش ...

فإن لم تكن الكلمة من العربية أصلا، ولم تكن قد دخلت العربية من البابلية راسا فقد توسطت الأرمية في نقلها إلى العربية ، أي يحتمل أن يكون الشمريون قد أطلقوا اسم (أوكوش : ukuch) - من مادة (كش) العربية - عندما وجدوا هذا النبات في العراق .

وبلاحظ أنها إذ وردت في الشمرية من مادة (الكش) وردت في البابلية من (القش) ، وفي الأرمية من (القط) ، وفي العربية من (القش) . فلا بد أن قبلا ما ، من هذه الأم أو غيرها ، قد أطلق الاسم على النبات من معنى القطع وكل من اقتبسه نطقه على طريقته .

ويجدر بالذكر أن الكلمة موجودة في الانكليزية بصيغة (cassia) من (القش) بمعنى النبات المسمى بالقشاة الهندي ، ويؤثلونها من الاغريقية المسمى بالقشاة الهندي ، ويؤثلونها من الاغريقية (akakia) التي يظهر أنها مقتبسة من إحدى اللغات المراقية القديمة ، مباشرة او بواسطة .

القصرة (زنة الفرة) :

هي الضفدع . يقول انها من (قرورو : qrouro) الشرخ أي الحيوان الذي يخرج من بيضة الضفدعة .

ومن الواضح أن اسمها العربي من صوتها ، أي انها سميت قررة لأنها تقول (قرورو . قرورو ..) . واما في الأرمية فقد انتقل المعنى إلى الشرخ الذي يخرج من بيضة الضفدعة ، أي الكائن الحي الضئيل المرشح لأن يكون ضفدعا في المستقبل ، وهو بطبيعة الحال لا صوت له ، فلا يمكن أن يكون هو أصل التسمية .

القسط :

المدل او العادل . اورده على انه من الاربية
(قوشتو : qouchto)

ان اثل القسط في العربية هو (القصد)
ومعناه الاستواء والاستقامة ، ومنه الآية « واقصد
في مشيك وانفض من صوتك » .

والقصد اثله (القصد) الذي فيه من معاني المدل
القصاص (العقاب) ، والمقاصد (مجازاة المرء بمثل
فعله ، او تسوية الحساب) . واصل معنى القصد هو
القطع طبيعا ، ورده هو (قط) أي محاكاة صوت
القطع .

وقد وردت من (القسط) في العربية صيغة
(القسطاس) ومنها في اللاتينية (justus)
عادل) ، وهو في الفرنسية والانكليزية : (just

القصر :

وردت في الاربية (قصر) : (qasro
ويقول انها من اللاتينية (castellum : قلعة

كما قد تطرقنا الى تائيل هذه الكلمة (في
« اللسان العربي » - العدد الثاني ، لسنة 1965)
ضمن حديثنا عن الكلمة العربية (الكاخ) أي الكوخ
التي انتقلت الى اللاتينية بصيغة (كاسا : casa)
بنفس المعنى ، ثم صاغ اللاتين منها كلمتي
castrum و castellum بمعنى القلعة . وقلنا ان العربية
عادت فاقبست castrum (لا castellum)
بصيغة القصر . فما دامت هذه الكلمة قد وردت في
الاربية أيضا بصيغة (قصر) فنحن نرجح ان
العرب من طريقها اقتبسوا (القصر) ، ولو أنهم
يجوز ان يقتبسوا عن اللاتينية مباشرة أيضا بالنظر
لحكم الرومان مناطق عربية كالرقعة التي كان يقطنها
الفساسنة مثلا من بلاد الشام .

وهذه الكلمة - القصر - ليست الوحيدة التي
توسطت الاربية في نقلها الى العربية من اللاتينية
او غيرها من اللغات ، لكننا اوردناها كمثال تدل على
غيرها .

الكرخ :

كرخ الماء الى مواضعه : اجراه . يقول انها من
الاربية (كرخ : krakh) اجاله حول مكان .

والعراقيون يطلقون (الكرد) - ذنة النرد -
على ناهورة الماء ، فنحن نؤيد المؤلف الفاضل في ان
اصل المعنى هو الجولان حول المكان ، بل الدوران .

(والكرد) يعني في الفصحى اصل العنق ، وهو
من الامضاء السماء من معنى القطع ، وربما اطلق
اولا على كل ما استدار كالعنق ثم اطلق على الناهورة
لاستدارتها .

ومن اخوات الكرد بهذا المعنى (الكرخ) الذي
يطلق الان على الجانب الغربي من بغداد ، وقد كان
اطلق اصلا على مدينة بغداد التي بنيت مستديرة في
ذلك الجانب فلذلك سموها المدينة المدورة ايضا ،
ذلك بأن (الكرخ) يعني المدور . والجنوبيون من اهل
العراق ينطقون الكرد بابدال كانه جيما مثلشا
(tchard) وكذلك فعل قدامى الفرس بكلمة (كرخ)
- قبل بناء المدينة المدورة باحقاب لا نعرف عددها -
فنطقوها (جرخ : tcharhk) بمعنى العجلة
المستديرة اي الدولاب . ومنها في الفارسية (جرخ
فلك) اي دولاب الفلك .

والل كرخ وكرد هو (قرد) اي قطع . فعلى
هذا يكون ترسيبها من محاكاة صوت القطع هكذا :
قط - قد - قرد - كرد - كرخ .

هيسكل :

اصل معناها معبد الوثنيين ، وهي في الاربية
(هيكلو : haryklo) . وهذه الكلمة ليست اربية
وانما اقتبستها من البابلية وهذه اخذتها عن
الشمرية (السومرية) . وهي في الشمرية تنالف
من كلمتين : (أي كال) بمعنى البيت العظيم (أي :
عظيم + كال : بيت)

وقد تطور معناها في العربية فصارت تعنى
البناء المرتفع ، والفخم من كل حيوان ، والتمثال
والصورة والشخص . والفرس الهيكل : المرتفع .
وقد قال شوقي في وصف انطيوخ :

هيكل يحمله من صافنات الخيل هيكل

وقد وردت في الانكليزية بصيغة (omen) اي الفأل ، وهي من اللاتينية لفظا ومعنى . ومن تفاعل العرب باليمين انهم كانوا يزجرون الطير فاذا طار يمينا استبشروا ومضوا في الامر الذي كانوا مقدمين عليه ، واذا طار شمالا (اي شاملا) تشاموا واوجسوا شرا وانصرفوا عن الشأن الذي كانوا ينتوونه .

وصيغة (اليمين) بمعنى القسم في العربية هي نفسها التي تعني اليد اليمنى ، فلا يبدو ان هنالك مبررا لاقتباسها من الائمة (يمي) ، بل ان هذه الاخيرة هي التي اقتبستها الائمة من العربية لانها هي الحرفة من اللها .

هذه الكلمة اوردناها نموذجا آخر من الكلمات الدخيلة في العربية والائمة معا ، مما توسطت الائمة في نقله الى العربية ، هذا ان لم تكن العربية اقتبستها من البابلية مباشرة .

اليمين :

القسم - بفتح السين . قال انها ارمية من (ييمي : yimi) : اقسام .

والامثل ان يقال انها من (اليمين) اي اليد اليمنى التي كان العرب يتفاهلون بها ومنها صافوا اسم (اليمن) - زنة الشكر - اي الفال الحسن .

مخطوطات لفوية

- 1 « المنتخب في غريب كلام العرب »
مخطوط مجهول المؤلف
الخزانة العامة بالرباط (خع = عدد 336)
مجلدان مكتوبان في القرن الماضي في الاول 149
ورقة وفي الثاني 146 ورقة
- (تضم الالفاظ الواقعة - كما في المقدمة - على الاجسام والامراض من الحيوان والموات والاجناس . .)
- 2 « المحكم والمحيط الاعظم في اللفة » لابن سيده (458 هـ / 1066 م)
يوجد الجزءان الثاني والسادس من 18 جزءا في خزانة جامعة القرويين (خق) = 107 ق و 9 ج و 8 ج
- 3 كتاب البرصان والمرجان والمعيان للجاحظ
نسخة فريدة في العالم في (خق) = ق 87
- 4 كتاب التعازي والمراني للمبرد (286 هـ / 899 م) نادر (خق = ق 226)
- 5 كتاب الامالي لابن دريد (321 هـ / 933 م)
الجزء السابع وهو من اغرب الغرائب التي لا وجود لها بالعالم
(خق = ق 153)
- 6 اضاءة الراموس على القاموس لمحمد بن الطيب الشرقي استاذ الشيخ مرتضى الزبيدي (الخزانة الملكية بالرباط عدد 244)

اللغز العربى بين اللغز السامى

مؤلفه: د. أحمد عبد الرزاق السامى

وشاعت التسمية منذ ذلك الحين ، وخاصة باستعمال المستشرق الألماني ايش هورن Eichhorn وادخاله اياها في مؤلفاته وبحوثه، واستعملها غيره من العلماء الألمان والانجليز والفرنسيين حتى صارت مصطلح علم عندهم ، ذا مدلول معين مفهوم ، ثم وجد هذا المصطلح سبيله الى الأمم الآسيوية والأفريقية والقراية بين اللغات السامية واضحة بينة ، وهي أوضح وأمتن وأوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات « الهندو أوروبية » Indoeurpaichen sprachen « أو الهندوجرمانية » Indogermanischen sprachen على حد تعبير بعض العلماء وليس الاختلاف بين اللغات السامية القديمة ، يزيد على الاختلاف الكائن بين اللغات الجرمانية .

ولقد أدرك مستشرقوا القرن السابع عشر من أمثال : هوتنجر Hottinger (1620-1667م) وبخارت Bochart والبرت سولتنس Albert Schultens (1680-1686) ولود ولف Ludolf وكاسل Edmcastell (1606-1685م) بسهولة الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين تلك اللغات وأشاروا اليها ، ونوهوا بصلة القربى التي تجمع شملها ، بل لقد سبقهم الى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين ، هداهم ذكاؤهم وعلمهم الى اكتشاف تلك الوشائج ، والى التنويه بها .

فقد تحدث عالم يهودي اسمه : يهودا بن قريش Jehuda ben koreish وهو من عاشوا في

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي التي يقال لها العربية الفصحى ، وكذلك سائر لهجات العرب ، هي فروع من مجموعة لغات ، عرفت عند المستشرقين باللغات السامية ، وقد أولع بعض المستشرقين بدرس هذه اللغات ، فالفوا فيها كتباً وإبحاثاً ، وانشأوا مجلات عدة تفرقت لها ، وما زالوا يسعون في توسيعها وتنظيمها وتبويبها ، وقد عرفت دراساتهم هذه ، عندهم بالساميات Semitistik وهي تتناول بالدرس ، كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية ، تتناولها بغض النظر عن وجود اللغة أو وجود اللغة أو عدم وجودها في هذا العصر .

فالبحت علم ، والعلوم تبتغي المعرفة ، دون تقييد بزمان أو بمكان ، وينفق علماء الساميات مجهوداً كبيراً في المقارنة بين اللغات السامية ، وفي معرفة مميزات كل لغة ، وما بينها وما بين اللغات الأخرى من فروق أو تطابق أو تشابه .

وترجع تسمية السامية الى عالم ألماني اسمه شلوتزر Schlotzer فهو أول من استعمل السامية في بحوثه في تاريخ الروم القديم ، ويعود فضل ايجاده الى شجرة انساب الأمم الواردة في التوراة ، والتي ترجع انساب البشر الى أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث « سفر التكوين - الأصحاح العاشر » .

فاطلق العالم شلوتزر لفظ السامية على جملة شعوب ، رجعت التوراة نسبها الى سام بن نوح ،

أوائل القرن العاشر من القرابة التي تجمع بين اللغات السامية ، ومن الخصائص اللغوية المشتركة بين تلك الألسن .

كما أبدى هذا العالم اليهودي ملاحظات قيمة من الأسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات .

ولقد جاء علماء السامية آراء بنيت على اعتبارات دينية ونفسية ، في قدم لغات أبناء سام ، فتمصّبوا للفتهم وحملهم تمصّبهم هذا وتقديسهم للفتهم ، على تفضيل لغتهم هذه على سائر لغات أبناء آدم .

وللمستشرقين آراء في أقرب اللغات السامية إلى الأصل ، فذهب بعضهم إلى أن العبرانية هي أكثر تلك اللغات شبيهاً بالسامية الأولى ، وهي لذلك أقرب بنات سام إليها .

وذهب آخرون إلى تقديم لغة بني « أرم » على غيرها ، جاعليها البنت الأولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الأصلية ، أكثر من اجتماعها في أمة لغة أخرى ، ولهذا استحقت في رأيهم التكريم والتقدير .

وذهب آخرون إلى تقديم العربية على سائر اللغات الأخرى لمحافظة أكثر من بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الأولى وعدم تنصلها منها وتركها لها كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة ، ومن كثرة تمدد قواعدنا التي زالت بقواعد بقية اللغات ، غير أن هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها هذه اللغة يقابلها من جهة أخرى ، مميزات في العربية ، لا نجدتها في اللهجات السامية الباقية ، مما يثبت على الظن أنها طرأت عليها فيما بعد ، وأن اللغة العربية قد مرت بأطوار تطورت فيها قصيراً .

فما من قاعدة من قواعد اللغات السامية ثابت نموها ، ونضجت في تطورها كما نضجت في اللغة العربية ، بعد ذلك التقدم المتطاوّل من أقدم العصور . ففي اللغات السامية أعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ القانون الذي نعرف فيه حدود الأطراد وحدود الاستثناء وفي اللغات السامية اشتقاق ، ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز بأوزانها ومعانيها ، كما تميزت مع تطور اللغة العربية .

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف في غيرها من العائلات اللغوية ، ولكن لغة من اللغات -

سامية كانت أو آرية أو طورانية - لم تنحدر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما انحدرت في لغة الضاد ، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ، ولا مخرج ملتبس بين حرفين .

وفي اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقفان - فوق المنبت - جدورا كالخشب الذي لا يقبل النمو بعدما وصل إليه ، وما من جلد من جلدور نحونا أو صرفنا لم يتزعزع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه .

ويقسم علماء السامية اللغات السامية إلى قسمين : لغة سامية شمالية ولغات سامية جنوبية ، ويقسم العلماء اللغات السامية الشمالية إلى مجموعتين : مجموعة شرقية ، ومجموعة غربية ، ويقصدون بالمجموعة الشرقية : اللغات السامية المتركة في العراق ، ويقصدون بالمجموعة الغربية : اللغات السامية المتركة في بلاد الشام ، ولا يقوم هذا التقسيم على أسس لغوية ، وإنما هو تقسيم جغرافي محض .

وتتألف مجموعة اللغات السامية الشرقية من اللغات : البابلية والآشورية والآكدية ، أما المجموعة الغربية فتتكون من الكنعانية والأخلافية والفينيقية والبونية والآرامية والعبرانية والسريانية والنبطية والحوابية والآشورية والآشورية ، ومن لهجات أخرى محلية .

أما المجموعة الجنوبية فتتألف من اللهجات العربية : المينية والسبالية والقشانية والحميرية والحشبية (الحميرية) ومن لهجات أخرى محلية .

وأما المجموعة الشمالية فهي :

أ - العربية ما قبل الحجازية أو ما قبل القرآنية ، ومنها اللهجات ، اللحيانية والشمودية والصفوية .

ب : والعربية الحجازية أو القرآنية ومنها تفرمت جميع اللهجات المحكية في البلدان العربية وغيرها .

ولقد توصل علماء اللغات السامية ، بعد البحث والدراسة والتنقيب إلى خصائص اللغات السامية ووجدوا أنها :

1 - تعتمد على الحروف الصامتة Konsonant

أكثر من اعتمادها على الأصوات Vokale فنرى أن أغلب كلماتها تتألف من اجتماع ثلاثة أحرف صامتة ،

أما الأصوات فلا نجد لها حروفا تمثلها في اللغات السامية ، وهي بذلك على عكس اللغات الآرية التي اهتمت بالأصوات ، فدونتها مع الحروف الصامتة .

وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة لذلك ، إلى الاستزادة من الحروف فزادت في مداها عن العدد المألوف في اللغات الآرية ، وأوجدت لها حروفا للتفخيم والتضخيم والترقيق ، وإبراز الإنسان والضغط على الحلق .

2 - ويتولد فيها - اللغات السامية - من تغيير حركات الأحرف الثلاثة الصامتة وبديلتها : معان جديدة ، ولكن من أهم واجبات الأصوات في اللغات السامية تغيير حركات الحروف لتولد معان جديدة ، فالأحرف الثلاثة الصامتة إذن : هي التي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ، ولكن مفاهيم هذه الأصول الثلاثة ، لا تبقى على حالها ، حتى تغيرت حركات هذه الحروف .

3 - ومن الممكن أحداث معان جديدة في اللغات السامية ، وذلك بإضافة زوائد تتألف من حركة أو أكثر ، إلى الأصول الثلاثة فيتبدل بذلك معنى الأصل .

4 - وليس في اللغات السامية ادغام للكلمات ، أي وصل كلمة بأخرى لتتكون من كلمتين ، كلمة واحدة يكون لها معنى مركب من معنى الكلمتين المستقلتين ، كما في اللغات الآرية ، وما نراه من عد كلمتين مضافتين كلمة واحدة ، تؤدي معنى واحدا ، فإن هذا النوع من التركيب بين الكلمتين ، شيء جديد في اللغات السامية ، لم يكن معروفا عند أجدادهم القدماء .

5 - وهذا هو سبب ظهور الأعراب في اللغة العربية ، ويذهب العلماء إلى أن الأعراب كان موجودا في جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من أكثر تلك اللغات ، ونرى له سرا يدل عليه في العبرانية ، في حانتي المفعول به ، وفي ضمير التبعية ، وفي السريانية والبابلية في ضمير التبعية ، فإن هاتين الحالتين ، تدلان على وجود الأعراب في أصولها القديمة .

ويرى العلماء أن الفعل قد تطور في اللغات السامية تطورا خطيرا استغرق قرونا طويلة ، وإن ما نعرفه من تقسيم الأفعال إلى ماضٍ ومضارعٍ وأمرٍ ،

لم يكن معروفا على هذا النحو عند قدماء الساميين . إذن مما سبق توضيحه تبين أن اللغة العربية من اللغات السامية - الآرامية والكنمانية والكلدانية والسريانية والآشورية والعبرانية وغيرها - التي نشأت فيما يسمى الآن منطقة الشرق الأوسط . وقد ظلت الآراء مضطربة في الأصل المشترك للغات السامية ، والملم على أي حال لم يعرف الكلمة الأخيرة .

ومما هو جدير بالذكر أن اللغة العربية ، آخر لغة انفصلت عن اللغة الأم « السامية » الأمر الذي مكنها أن تأخذ ما في السامية من مزايا ، وتتجنب إلى حد بعيد ، كثيرا من مزالق ، مما لم يحصل للسريانية والعبرانية اللتين سبقتا اللغة العربية في الانفصال .

وقد استفادت اللغة العربية من تطور السريانية والعبرانية ، وما امتازتا من تحوير وتجديد ، فجاءت بدايتها لا كبداية هاتين اللغتين بمعنى أن بداية العربية جاءت أقرب إلى التفسخ والاكتمال ، من شقيقتها ، فكانت بحق بداية جديدة بان تقود إلى نتيجة هي أكبر نضجا واستقرارا وسعة .

والمراكز التي تبلورت فيها اللغة العربية هي : اليمن والحجاز ، أما في اليمن فكانت العربية أكثر اتصالا بالأكدية والعيشية من أي لغة أخرى ، على أن الهجرات الجنوبية إلى الشمال والغرب جعلت عربية اليمن تؤثر إلى حد بعيد في هذه المناطق .

وأما في الحجاز فقد كان هناك تقارب بين العربية والعبرانية . وهكذا فإن هجرات القحطانيين واحتكاكهم بالمدنانيين ساعدت على تركيز لغة مشتركة .

وهجرات اليمنيين إلى الشام ، وعدم وجود حكومة عربية ، ورغبة العرب بوجه عام في الحفاظ على المقومات القبلية ، لم يكن من شأنه إلا أن يوسع دائرة اللغة العربية ، بما شملته من تعدد المصطلحات للمعنى الواحد ، إذ كان لكثير من القبائل لهجات خاصة ، دون أن يكون التفاهم مع ذلك صعبا بينها ، وإذا كان من الصعب الآن أن نعرف متى نشأت اللغة العربية إلا أننا لا نعدو الصواب إذا قلنا : إنه قد مر أكثر من قرن قبل ظهور الإسلام ، وقبل أن تصل إلى درجة الاتقان .

ولم يقتصر العرب على شبه الجزيرة العربية وحدها كموطن لسكناهم ومعيشتهم ، بل هاجر كثير منهم الى البلاد المجاورة لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام بقرون .

ولما كانت هذه البلاد نفسها موطننا لاناس بينهم وبين العرب صلة شديدة القوة ، كالانباط والاشوريين والكلدانيين ، فقد سهل على المهاجرين من شبه الجزيرة الاستقرار بهذه البلاد ، وكونوا في ظل الحكم الروماني والفارسي ، بعض الممالك التي اشتهر منها : مملكة الحيرة في القرن الخامس قبل الميلاد ، ومملكة هسان في القرن السادس قبل الميلاد .

فلم يكن العرب يعيشون منكسرين على انفسهم ، بل كانت لهم علاقات وطيدة ، بمدينة الفرس والروم . وهذا ينطبق ايضا على سكان الحجاز ، وعرب الشام والعراق .

ولقد كان لعرب الحجاز تجارة واسمة مع الفرس والرومان ، وبعبارة ادق مع العراق والشام . وهي تعتبر منذ زمن سحيق العاصمة الروحية للعرب . والتجار يحتاجون الى تعلم لغة البلاد ، التي لهم علاقة تجارية ، ومن ثم كان لابد ان تدخل الفاظ كثيرة الى اللغة العربية ، من الفارسية والرومانية ، وهذه الالفاظ التي تطمعت بها العربية معظمها من الالفاظ الحضارية . ولغة العرب ظلت ترتبط بالجاهلية الى حد ما بالمحسوسات التي يقع عليها بصر العربي ، ولكن الذي يثير انتباه الباحث ، هو ان كل ما يرتبط بظواهر الطبيعة في حدود شبه الجزيرة العربية يمثل ثروة لغوية لا تقدر . واذا كانت قريش زعيمة قبائل العرب طالما كانت تتولى امور الكعبة وتسيطر على تجارة الحجاز ، فان لهجتها استطاعت في النهاية ان تصهر كل اللهجات العربية لتخلق منها لغة مشتركة . ونقول لهجة قريش ، ولا نقول لغة لانها لم تكن ذات علم مكتوب .

قال جماعة من الباحثين : ان قريشا افصح العرب ، وبلسانها القرمان الكريم ، وذلك لانها كانت - قريش - تختار افضل لغات العرب . وهذا الرأي منسوب الى قتادة المتولي سنة 117 هـ

ويقول الفراه المتولي سنة 207 هـ : « كانت العرب تحضر المواسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش تسمع لغات العرب ، فخلت لغتهم من مستبشع اللغات ، ومستبشع الالفاظ » .

وقال احمد بن فارس المتولي سنة 395 هـ نقلا عن اسماعيل بن ابي عبيدة : « اجمع علماءنا بكلام الرواة لاشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وايامهم ومجالسهم ان قريشا افصح العرب السنة ، واصفاهم لغة ، وذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمدا ، فجعل قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام وولائه ، فكانت وفود العرب من حجاجها وفيرهم يفتدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش في امورهم ، وكانت قريش مع نصاحتها ، وحسن لغاتها ورقة لسانها ، اذا اتهم الوفود من العرب ، تخبروا من كلامهم واشعارهم ، احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخبروا من تلك اللغات الى نحاتهم وسلاتهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك افصح العرب .

وجاء في مقدمة ابن خلدون : « ان لغة قريش كانت افصح اللغات العربية ، واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتشفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة ولطفان وبني اسد وبني تميم » .

واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وفسان واباد وقضاة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاماجم وعلى نسبة بعدهم من قريش ، كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد ، عند اهل الصناعة العربية .

وقد توسع العلماء المحدثون في اثر ما كان « لمكاظ » في تثقيف قريش ، وفي اثر من كان يحضر فيه من الشعراء والادباء بلغة قريش .

ومن هؤلاء سليمان البستاني ، ونظريه ان القرمان الكريم جاء بلغة قريش ، وجدت لها انصارا من العلماء المعاصرين مثل الدكتور طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وعدد كبير من المستشرقين ، فلهجة قريش على رأي هذا الفريق من العلماء هي افصح اللهجات .

وهناك روايات تصف لهجات اخرى بالفصاحة . قال ابو عمرو بن العلاء : افصح العرب عليها هوازن ، وسفلى تميم .

ووصفت بالفصاحة هذيل وثقيف وجرهم ونصر نعين .

وجاء في لسان العرب لابن منظور : « ان بعض العلماء سئل اي العرب الفصح ؟ فقال : نصر قبيس . »

ووصفت بالفصاحة قيس وتميم واسد ، والمجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن . وهم خمس قبائل منها : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية وثقيف .

وقال ابو عبيدة : « واحسب افصح هؤلاء بني سعد بن بكر ، وذلك لقول الرسول انا افصح العرب بيد ابي من قريش ، واني نشأت في بني سعد بن بكر ، وكان مسترضعا فيهم ، وهم الذين يقول فيهم عمرو ابن العلاء افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم . »

وقد عدت هوازن وتميم من افصح القبائل في الاسلام ، ولذلك رحل اليها علماء اللغة للاخذ منها : مثل الخليل والكسائي والازهري وامثالهم من العلماء .

وجاء في كتاب الزهر : « ان ابا نصر الفارابي قال في مقدمة كتابه المسمى : «بالالفاظ والحروف» كانت قريش اجود العرب انتقاء للفصح من الالفاظ ، واسهلها على اللسان هند النطق ، واحسنها مسموها ، وايضا ابانة عما في النفس ، والذين نقلوا اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وهنهم اخذ اللسان العربي من بين القبائل هم : قيس وتميم واسد . فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم . »

قال الدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العراقي : « والقائلون بان العربية الفصحى هي لسان قريش ، متأثرون من كون الرسول من قريش ، وبان القرءان الكريم نزل بين قريش . فهو اذن بلغة قريش ، وبما اورده علماء اللغة من انتقاء قريش لادق الالفاظ واعدبها ، وكتخص سوق « مكافئ » . »

اما ان الرسول من قريش فهذا امر مفروغ منه ، واما ان القرءان بلسان قريش فمسألة فيها نظر ، ونضبة تحتاج الى بحث .

فلو كان القرءان بلسان قريش ، لم سال رجال منهم في تفسير كلمات من كلام الله ؟

ولم لجأ المفسرون الى الاستشهاد بشعر غير قريش وبلغات قبائل اخرى لتفسير كلمة من كلام الله ؟ ولم ندر الشعر في قريش ؟

وقد ورد ان قريشا كانت اقل العرب شعرا في الجاهلية ، فاضطرها ذلك الى ان تكون اكثر العرب اتحالا للشعر في الاسلام .

وورد ايضا : ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء ، الا في الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن ابي ربيعة فاقرت له الشعراء بالشعر ايضا ولم تنازعها .

ولم استشهد العلماء في اللغة بأبيات من الشعر وبكلام الاعراب ، بدلا من الاستشهاد بلغة قريش ؟ ثم من يثبت مقالة من قال : ان قريشا كانت

تخبر الكلام فتنتقي منه اعدبه واصفاه ، وليس لهم دليل جاهلي مكتوب ، ولا اثر حقيق يمكن الاعتماد عليه ؟ ثم ما قولنا في حديث طال بحث العلماء فيه وهو : « انزل القرءان على سبعة احرف » وقد قيل ان خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة ، وهو حديث في امره نظر .

على كل حال ينسب الى عبد الله بن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله ، وذلك ان الذي روى عنه - ان خمسة منها من لسان العجز من هوازن - الكلبي من ابي صالح ، وان الذي روى عنه ان اللسانين الاخرين لسان قريش وخزاعة - قتادة وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه (كما في تفسير الطبري ج 1 ص 23) والعجز من هوازن سعد بن بكر ، وجشم ابن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف .

قيل نزل القرءان الكريم بلسان قريش ولسان خزاعة لان الدار واحدة .

وورد ايضا ان القرءان نزل بلسان قريش . وقد اجمل الطبري في تفسيره (ج 1 ص 25) رايه في لغة القرءان بقوله : ان القرءان كله عربي ، وانه نزل بالسن بعض العرب ، دون السن جميعها ، وان قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين اظهورهم ببعض الالسن التي نزل بها القرءان دون جميعها .

وذهب ابو عبيدة المتوفي سنة 223 هـ الى ان في القرءان لهجات : لهجة قريش ولهجة هذيل ولهجة

المبحرون في اللغات ، ولم يرد في كل الروايات ان قريشا كانت تمتلك هذه الاسباب ليجوز لنا القول بان لغتها كانت لغة الادب والشعر في جزيرة العرب قبل الاسلام . الى هنا وضع كلام الدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العراقي . واثني لادى ان لغة قريش لها من القومات ، ما جعلها تصهر في بوتقتها اللهجات الاخرى . وقد تفاعلت مع اللهجات الاخرى تفاعلا افاد العربية ومن الواضح ان المتكلمين بالعربية لم يكونوا طائفة واحدة ، رغم انتسابهم الى العرب ، ولكنهم كانوا قبائل متفرقة في انحاء الجزيرة العربية ، وقد اضطرت هذه القبائل الى الاتصال ببعضها لتبادل المنافع من تجارة وغيرها ، فاجتمعت في الاسواق ، واتصلت عند شن الغارات والحروب .

وهذه الاتصالات اوجدت سبيلا لتصارع اللهجات ، فباد الضعيف وانتشر القوي ، وما زالت اللهجات تتصارع حتى كتب للقرشية آخر الامر ، التغلب لاسباب هيات لها سبيل الرسوخ والنصر . ومن هذه السبل :

1 - النفوذ الديني :

فقد كان قريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام الذي يقد اليه العرب من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويقدموا قرابينهم ، ويقدموا آلهتهم . لهذا كان القرشيون موضع تقديس العرب جميعا .

2 - النفوذ التجاري :

وقد كان للقرشيين سلطان اقتصادي كبير . فقد كان زمام التجارة بأيديهم فيجلبون البضائع من الشام صيفا ، ومن اليمن شتاء ، ويوزعونها على القبائل العربية ، فأصبحوا قبلة انظار العرب جميعا ، وقد حدثنا كتاب الله بذلك فقال : « لا يبال قريش ابلانهم رحلة الشتاء والصيف » .

3 - النفوذ السياسي :

وقد نهب قريش مكانة سامية بفضل ما اوتوا به من نفوذ ديني واقتصادي وما حبا به من حضارة ، فاصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا ويرشد الى هذا ما قاله ابو بكر الصديق في رده على الانصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة النبي - عليه السلام - « لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفوسوا على اخوانكم » .

هوازن ولهجة يمن ، ولبعضها نصيب كبير فيه . « كما في الاتقان للسيوطي » .

وذكر ابو بكر الواسطي : « ان في القران خمسين لهجة ، ثمانى لغات دخلت فيه « الاتقان للسيوطي » وذكر ابن النقيب ان القران الكريم تضمن مفردات من جميع لهجات القبائل ، وكذلك مفردات من الافريقية والفارسية والحبشية « الاتقان للسيوطي » وجاء ايضا ان الخليفة عثمان بن عفان كان يفضل ان يكون الملمي من هذيل ، والكاتب من ثقيف ، وورد انه قال : « اجملوا الملمي من هذيل ، والكاتب من ثقيف ، وان الخليفة عمر بن الخطاب قال : لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف » .

وقال الصاحبى : قال ابو عبيدة : « واحسب انصح هؤلاء بني سعد بن بكر » .

ويتضح للباحث من هذه الاقوال ان الفصاحة والعربية لم تكن خاصة في قريش وان القران لم يكن يعربيتها حسب .

قال الدكتور جواد علي : « ان لسيادة لهجة ما من بين لهجات عديدة شروطا منها : نبوغ شاعر او شعراء او كاتب او كتاب في تلك اللهجة ، غاية في البلاغة والفصاحة والصناعة ، فتنتشر آثارهم بين الناس ، ويحاكيهم غيرهم في ذلك ، ويكون ذلك سببا في انتشار اللهجة وتفوقها ، كما حدث عند اليونان في الشعر القصصي الذي بلغ كماله في الياذة (هوميروس) المنظومة بلغة اليونانيين في القرن التاسع قبل الميلاد ، وفي الشعر الفنائى المنظوم بلغة الايوليين احدى اللهجات اليونانية ، وذلك لسبق الايوليين غيرهم بهذا الفن ، فلم يقل بمدى سائر اليونان هذا النوع من القريض الا بهذه اللهجة ، وكالذي حدث ايضا في الشعر الخورسي المنظوم باللهجة الدورية عند عموم اليونان .

ومن اسباب تفوق لهجة على اخرى ، سبقها في مضمار التأليف او اتخاذها لغة رسمية في دوائر حكومة قوية لها كيان وسلطان ، او جعلها لغة دينية او تأليف الكتب الدينية بها ، كما حدث في الالمانية ، حيث صارت اللهجة التي ترجم بها (مارتن لوتر) الكتاب المقدس ، في القرن السادس عشر ، لغة الادب نظرا لمحاكاة الشعراء والادباء اياه في استعمالها للتعبير عن آرائهم ومنها ، السيادة السياسية والاقتصادية وامثال ذلك من عوامل بسطها العلماء

4 - النفوذ اللغوي : ان القرشيين لم يقفوا حجر عثرة في سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها ، فاضافوا اليها ، ما هي في ميسس الحاجة اليه ، وما راوه اخف على اسماهم ، وايسر على السنتهم .

فهذه العوامل قد هيات للقرشية سبيل الفوز والنجاح ومكنتها من ان تصبح لغة العرب جميعا ، وقد اكتسبت من هذا الصراع امورا عظيمة ، هيات لها سبيل التقدم والرقي .

فانت ترى ان قريشا ، افردت بملو الكلمة ، وسمة الزعامة ، وسعة الجاه ، ووفرة السلطان وتمام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب ، لما تواتى لهم من ثقافة وخبرة وحكمة .

والذي ورث من لغة الحميريين ليس كثير التمييز من لغة قريش ، سواء في التصريف ام في الالعاب ام في الاسلوب ، بل ان اكثره ظاهر في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة ، فلفظ « انطى » في لهجة الحميريين معناه « اعطى » عند القرشيين ، و « الكتح » عند الاولين هو « اللذب » عند الآخرين ، و « الشناتر » عند حمير هي : « الاصابع » عند قريش ، و « سامدون » في لغة حمير هي : « الغناء » في لهجة قريش ، الى غير ذلك مما تجد له نظيرا في لهجات مضر « كالسدة » فهي « الظلمة » عند تميم و « الضوء » في لغة قريش .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب ، ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الاخرى في لغة قريش التي صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات وقد استفادت القرشية من صراهما مع اللهجات العربية الاخرى ، امورا كثيرة اهمها :

1 - انها استفادت كثيرا من المفردات والاساليب ولاسيما التي كانت تنقصها لتنوع فنون القول ، وتمكنت من التعبير عن جميع الاعراض ، التي كانت تنقصها ، وفتحت بالمترادف والمشتراك والمتضاد ، وغيرها من الامور التي كانت كبيرة الاثر في نمو اللغة وسعتها .

2 - وانها صارت اللغة القومية للعرب جميعا ، لان اللغات او اللهجات اذا تصارعت وكتب لاحداها الفوز ، انجبه الجميع الى التكلم بها ولذلك صارت اللهجة القرشية لغة الشعراء في اشعارهم والخطباء

في خطبهم ، ويؤكد ذلك ان العرب على اختلاف قبائلهم ، ورد اليها شعرهم بلغة واحدة ، الا في القليل النادر ، وهو الذي كان عليه الاعتماد في تصرف البقية من لهجاتهم .

وانت ترى بعد هذا الالعاب ان احتكاك اللهجات العربية ادى في نهاية الامر الى ترمز اللهجة القرشية وصرها جميع اللهجات ، الا انه قد بقي لكل قبيل بعض الالفاظ التي كانوا يستعملونها في مخاطبتهم ، وفي النادر من اشعارهم والذي يرشدنا الى هذه البقية من اللهجات مصدران :

المصدر الاول :

القراءات التي رويت في القردان الكريم من امة القراء الموثوق بهم ، والذين نقلت اليها قراءاتهم من طرق ، لا يتسرب الشك اليها .

وقد روي عن ابي بن كعب ، قال : دخلت المسجد اصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ ، فخالفني في القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من اقراك ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جاء رجل فقام يصلي ، فقرأ وافتتح فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل من صلاته ، قلت من اقراك ؟ قال رسول الله ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كان في الجاهلية ، فاخذت بايديهما ، وانطلقت بهما الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت استقرئ هذين فاستقرأ أحدهما ، وقال : احسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كنت في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر وقال : احسنت ، فدخل صدري من الشك والتكذيب اشد مما كنت في الجاهلية ، فضرب رسول الله صدري بيده ، وقال : اميدك بالله يا ابي من الشك ، ثم قال : ان جبريل - صلى الله عليه وسلم - اتاني فقال : ان ربك - عز وجل - يأمرك ان تقرأ القردان على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف من امتي ، ثم عاد ، فقال : ان ربك - عز وجل - يأمرك ان تقرأ القردان على حرفين ، فقلت : اللهم خفف من امتي ، ثم عاد ، وقال : ان ربك - عز وجل - يأمرك ان تقرأ القردان على سبعة احرف .

فهذا الحديث صريح في اجازة النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة والسلام - القراءات التي هي مصدر لاختلاف اللهجات .

والمصدر الثاني : ما رواه الثقات في كتب النحو والادب واللفظة والتاريخ ، من آثار تلك اللهجات ،

لم تكن كبيرة ، وان اللهجة الفصحى مبنية على جميع هذه اللهجات .

ويعتقد العلامة « فويدي » : ان اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها اهل نجد والناطق المجاورة لها ، ولكنها ليست لهجة معينة لقبيلة معينة .

ويقول « نلينو » : ان اللغة الفصحى وهي لغة الشعر الجاهلي ، هي لغة القبائل التي اشتهرت بالبراعة في نظم القصيد ، والتي تردد اليها النحاة وعلماء اللغة في الاسلام ، ليتعلموا من اهلها صحة النطق بالحروف او المعاني الغريبة والشواهد لقواعد النحو ، وهي قبائل « معد » التي جمع ملوك « كندة » كلمتها قبل منتصف القرن الخامس للميلاد .

ويرى ان اللهجة الفصحى تولدت من احدي اللهجات النجدية، وتهدبت في مملكة كندة وفي ايامها، فصارت اللغة الادبية السائدة بين العرب . وذكر « فيشر » ان العربية الفصحى هي لهجة معينة . ولكن فيشر لم يعين اسم هذه اللهجة .

اما « هارتمن » و« فولرس » فخلاصة رأيهما : ان العربية الفصحى هي لهجة اعراب نجد واليمامة ، غير ان الشعراء ادخلوا عليها تغييرات عديدة ، اما الاجزاء الباقية من الجزيرة ، فكانت تتكلم لهجات اخرى .

ومن رأي « بروكلمن » و « ويتزشتاين » وآخرين : ان اللهجة العربية الفصحى لم يتكلم بها على الشكل الذي نعرفه . ولم يشرح « بروكلمن » علاقة هذه اللهجة ببقية اللهجات .

والعالم « لندبرج » يقول : « ان قواعد اللهجة العربية الفصحى ، من وضع الشعراء ، فمن شعرهم استخرجت القواعد ، ومن قصالدهم استنبطت . »

هذا مجمل آراء كوكبة من كواكب العلم والاستشراق والدراسات الواسعة ، ومع انها آراء تبدو مختلفة ، الا انها جميعها تعطي صورة صادقة لفصاحة القبائل العربية المنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها .

وما يدعو الى الانتباه ان العلماء لم يتفقوا على اول لاهج بالعربية ، ولكن باحثي اللغات اختلفوا شيئا وطوائف ، حسب ما بدأ لهم من اساسها الحدى والتخمين .

وما يذكر استطرادا بهذا الصدد ، ان الخلاف بين اللهجات متعدد النواحي ، متشعب الجهات ، فتارة يكون الخلاف ناشئا عن اختلاف الحروف واخرى من تباين الحركات ، وثالثة من اختلاف حركات الاءراب والبناء وآونة يتعلق بهيئة المنطق ، وبالنظر الى ما وصلنا من لهجات العرب يمكننا ان نحصر مظاهر اختلاف اللهجات فيما يلي :

- 1 - الإبدال : ويشمل ابدال الحروف من الحروف والحركات من الحركات .
- 2 - التصحيح والاملا .
- 3 - الاختلاف في الاءراب .
- 4 - التردد بين الاءراب والبناء .
- 5 - الزيادة والنقصان .
- 6 - الفك والادغام .

7 - هيئة النطق وهي تشمل الامالة والترقيق والتفخيم والاختفاء والاظهار .

8 - تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وهو القلب الكاني .

8 - دلالة اللفظ على معنيين ، وهو المشترك والمتضاد .

10 - دلالة عدة الفاظ على معنى واحد وهو المترادف .

وما سبق بيانه ، يتضح ان قريشا كانت تحتكر التجارة الخارجية في شبه الجزيرة العربية وكانت تقطن مكة ، وما لا يحتاج الى دليل ان مكة من الزمان القديم العاصمة الروحية للعرب ، افلا يكون هذا كافيا لان تتفوق لهجة قريش على غيرها من اللهجات آنذاك .

واذا كنا وصلنا الى هذا الحد من الكتابة عن اللهجات العربية ، وهرفنا آراء علماء العربية فيها ، فلا نرى مانعا من ذكر آراء كوكبة الاستشراق الذين اتوا بأرائهم لمروضة العلم في ذاته ، دون تعصب أو سطحية .

فالمستشرق « نولدكه » يرى : ان الفروق بين اللهجات في الاتسام الرئيسية من جزيرة العرب ، مثل الحجاز ونجد مناطق البادية المتاخمة للفرات ،

فيرى فريق من باحثي اللغات : ان العربية نشأت على يد القبائل البائدة التي لم يشملها الفناء والهلاك كطسم وجديس ، ويستند اصحاب هذه الفكرة الى التوافق بين النقوش المشورة عليها ، والاصوات التي امتازت بها السامية كالضاد والفين .

ويتجه آخرون الى ان يعرب بن قحطان هو اول متكلم بالعربية ، ويؤيدهم كثيرون محتجين ، بان العرب البائدة ، قد ذهبت ادراج الرياح فليس لها اثر محقق سوى الروي من قصصها في الكتب السماوية ، والنقوش على الآثار المشورة عليها . وهذا الراي منسوب الى اليمانيين الذين يمتقدون انهم اصل العرب . ويتجه جماعة الى ان اسماعيل هو اول متكلم بالعربية مستدلين بما ورد في الاثر من ان اول من نطق لسانه بالعربية اسماعيل .

وجاء في المزهرة ، ان اول من تكلم بالعربية ، ونسي لسان ابيه هو اسماعيل - عليه السلام -

ويرى بعض العلماء : ان العربية هي لغة العرب العاربة ، ومنها انتقلت الى القحطانيين فالمدنانيين .

وقال فريق : ان لسان جميع من كان في سفينة نوح هو السريانية ، الا ان واحدا منهم هو جرهم ، فكان لسانه لسان العرب الاول ، فلما خرجوا من السفينة تزوج « ارم بن سام » بعض بنات جرهم ، ومنهم صار اللسان العربي في ولده : عوص ابي عاد ، ومبيل ، وجائر ابي ثمود ، وجديس .

تلك آراء العلماء وقد عززت بالادلة التي وضحت لاصحابها ، ومن النظر البين فيها تتجه النفس الى ان العربية اخذت من بقايا القبائل البائدة ، فليس هلاكها مؤثرا في لغتها ، فهناك قبائل بقيت كطسم وجديس ، ولانه من غير المعقول ان يكون « يعرب » اول ناطق بها ، لانه وفد من المسراق متكلم بلغته التي تفاهم بها في وطنه الذي ارتحل عنه ، وهي غير هربية ، فترك « يعرب » للغته التي تعودها منذ نعومة اظفاره ، ليتكلم بلسان جديد هو : العربية منافع للمألوف ، ومخالف للمعروف .

كذلك لا يمكن القول ، بان اسماعيل العبري اول لاهج بها ، بناء على اثر نبوي فالظن في هذا الحديث بناء على حال اسماعيل قوي ، ولكننا نقبله ونفسره بما يساير الواقع ، ويتفق مع الحاصل ، وهو ان اسماعيل اول ناطق بالعربية من المدنانيين

بعد تعلمها من مخالطة الجراهمة - التي هي نزرع قحطاني - عند نزوله مع امه ببطن مكة سنة الف وسبعمائة قبل الميلاد ، وعلى ذلك لا تنافي بين الاثر والواقع .

والقحطانيون وقد تلقوا لغتهم من بقايا العرب البائدة ، لم يكن لهم لسان موحد في شتى العصور لان العوامل اللغوية فعلت فعلها فتفرعت الى لهجات : اللهجة الميمنية : وهي منسوبة الى الميبيين الذين اسسوا اقدم مملكة في بلاد اليمن ، وقد اتخذوا « قرنا » عاصمة للملكم في القرن الثامن قبل الميلاد غالبا .

اللهجة السبئية : وتنسب الى السبئيين الذين قامت دولتهم القريبة على انقاض الدولة الميمنية ، وقد اتخذوا « مارب » عاصمة لهم .

اللهجة الحميرية : وهي منسوبة الى الحميريين الذين نازعوا السبئيين الحكم امدا طويلا .

اللهجة القتبانية : وهي منسوبة لقبائل قتبان التي نشأت مملكتها في المنطقة الساحلية شمال « عدن » .

اللهجة الحضرمية : وهي منسوبة الى قبائل (حضرموت) وقد انشأوا مملكة قوية نازعت « سبا » السلطان .

فالقحطانيون تلقوا هذه اللغة ، من بقايا القبائل العربية البائدة ، وقد توسعوا فيها حسب مطالب الحياة ، واخذها المدنانيون عنهم ، لجوارهم لفرع قحطاني وهو « جرهم » .

فالعربية عريقة في القدم والثبت ، لها تاريخ ممتد طويل في الزمن الماضي وان التاريخ الطويل يعطي اللغة فاعلية اكثر ، وتفاعلا اسلم ، وتبلورا وتناسقا مع مقتضيات الزمان ، ومتطلبات الحياة .

ومصادر اللغة العربية الاساسية : يمكن ان نستقيها من القرآن الكريم والشعر والامثال والقصص .

اما القراءان فضلا عن كونه احدث تغييرا جذريا في التفكير العربي في جميع مناحي الحياة ، فقد كان مصدرا عظيما للغة التي اثنائها بمصطلحات كثيرة ، وبأسلوب جديد ، وكثير من هذه المصطلحات والاساليب يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين والعقائد والعبادات والمعاملات .

وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يقدم هذا الأسلوب - المنزل عليه في صورة وحي - كأخبار أو جواب عن أسئلة يثيرها العرب « يسألونك عن الأهلة - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك ماذا ينفقون - يتساءلون عن النبا العظيم » إلى آخر تلك الأسئلة .

وفي عهد الرسول لم تثر أسئلة كثيرة حول نصوص القرآن ، فكان على الصحاب ان يأخذوا على انفسهم نقل هذه المسؤولية ، فلم يقدم على ذلك الا قليل منهم كعكرمة ، وابن عباس الذين تصديا للجواب على كثير من الاسئلة التي اثارها المستفسرون .

والتأثر بالخلاف في قراءة القرآن مشكلة ظهور عدة روايات ، تنقلت عن جماعة معينة من القراء ، واحتفظت الآيات بوجه عام بصورتها الحقيقية ، وانما كان الخلاف يتعلق بالحركات ، لا بجوهر اللفظ نفسه ، ومهما يكن من شيء فان القرآن كان مرجعا اساسيا لرواة اللغة الذين اتمدده كقطعة استقرار واستنتاج ، وقد حفظ عدد من الاستعمالات التي لم تعد اليوم جارية في الأسلوب العربي مثل : « ان هذان لساحران - قال رب ارجعون - والارض فرشناها - فقد صفت قلوبكما » .

وكل هذه الاستعمالات وغيرها كان يستشهد للتدليل على صحة ما يقابله من غير القرآن .

ولم يحظ الحديث بمثل هذه الحظوة ، ومع ذلك فتوجد تراكيب مشهورة وردت قصدا أو ضمنا في احاديث النبي ، حتى قيل انها لم تسمع من غيره من قبل ، ومنها : « مات حتف انفه - الحرب خدمة - لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

واما الشعر : فنصدر بالغ الاهمية للغة ، حتى قيل انه لولا الشعر لضاع نصف اللغة ، وانما ظل الشعر مصدرا للغة لسهولة حفظه وروايته ، ولانه لا يحتمل المكذوب والمدسوس ، مثلما يحتمله النثر ، واذا كان الشعر لم يسلم من التحريف والانتحال ، فان بعض الادباء عمدوا الى جمع كثير منه كتابة في وقت متأخر نسبيا ، كابي تمام « الحماسة » وابي فرج الاصفهاني « الاغانى » والذين تصدوا من جماع اللغة للتأليف في هذا الباب ، عمدوا الى الاستشهاد بالشعر ، كما فعل النحاة ايضا ، وهكذا استشهدوا بالشطر التالي على ان « عرب » تطلق على الذكر والانثى .

يا من يدل عربا على عرب

كما استشهدوا في مخاطبة الواحد بلفظ التثنية بقول سويد بن كراع :

فان تزجراني يابن عفان انزجر

وان تدعاني احم مرضا ممنما

وقس على هذه الامثلة ، وقد كان ابن عباس يقول : اذا قرأتم شيئا من كتاب لم تعرفوه ، فاطلبوه في اشعار العرب ، لان الشعر ديوان العرب .

والشعر : هو الكلام الموزون على روي واحد المقوم على حدو واحد لا يخالف بعضه بعضا في الوزن والروي ، وسموه شعرا ، لانه الفطنة بالفواض من الاسباب ، وسموا الشاعر شاعرا : لانه كان يظن لما لا يظن له غيره ، من معاني الكلام وأوزانه ، وتأليفه واحكامه وتثقيفه ، فكان لا يفوته من هذه الاسباب كلها شيء قال معترة :

هل غادر الشعراء من متردم

ام هل عرفت الدار بعد توهم

يعني ان الشعراء لم يدعوا شيئا ، الا وفتنوا له ، يقال شعرت بالشيء اذا فطنت له ، قال الكسائي في قوله تعالى : « ولكن لا تشعرون » شعرت بالشيء شعرا وشعورا ، وبعضهم يقول مشعورة ، وقال ابو سعيد : هو شعرة فحذفوا الهاء : قال وهو مثل : الدرية والفطنة ، وهو على وزن « فعلة » قال : وقيل شاعر لانه يشعر بالشيء ويفطن له ، قال : ومنه قولهم : « ليت شعري » أي ليتني اشعر به .

وسموا الكلمات المنظومة المؤلف بعضها الى بعض « قافية » وجمعها « قواف » قال النابغة :

قوافي كالسلام اذا استمرت

فليس يرد مذهبها التظني

يمنون بالقوافي : الكلام الذي يقفو بعضه بعضا على مثال واحد ، ثم سموا اجتماع القوافي « قصيدة » قال جرير :

في ليلتين اذا حدوت قصيدة

بلغت عمان وطيه الاجيال

يعني بالقصيدة : الكلمة التي ملئت بالمعاني ، وكثرت فيها الالفاظ المستحسنة يقال ناقة قصيدة أي مثلثة كثيرة اللحم سمينة ، فكانهم شبهوا القصيدة بذلك ، قال الشاعر :

نظمت وصاحبي سرح كزاز

كركن الرهن ذعلبة نصيد

فأي لغات الأمم لها كلفة العرب هذه الأسباب اللطيفة ، والمناقب الشريفة التي خصت بها ، وأي أمة جعلت لغتها هذه الحوزة ، واتخذت لها هذه الدراوين ، واحتاطت لها هذا الاحتياط .

فالعرب تكلموا بالشعر الرصين ، المحكم المعاني ، الموزون بالمعروض ، المقوم بالانحاء ، من غير أن يعرفوا عروضاً أو نحواً ، أيدهم الله بقلبه ، والمهمهم وزنه ، حتى أبرزوه بألفاظ حسنة ، ومعان منقنة ، وقواف موزنة ، ومصاريع مستوية ، فرواه أهل اللب والادب منهم ، وقبلة أهل الشرف والحسب عنهم ، وجعلوا رويهم في ذكر الاحساب والمآثر ، ومدح الملوك والعظماء ، والتبلاء من الناس ، وفي ذكر المثالب والسباب ، وهجاء أهل الضغائن والاحقاد ، وفي ذكر الوقائع والحروب .

ونشر كل شاعر محاسن قبيلته ومفاخرها ، ومساويء أهل الشتان والبغضاء لهم ، واستفتحوا كلامهم بذكر النسيب ، وبسطوه بصفات الديار والقفار والتجع والامطار ، ونعت الخيل والابل والوحش ، وغير ذلك .

فنعيت بالشعر الالفاظ الغريبة والمصاني اللطيفة ، وحفظ الرواة عنهم كثيراً من ذلك الشعر ، ودونوه ورواه السلف للخلف ، واعتنى به الخلف عن السلف .

وأما الامثال : فتعتبر كذلك من المصادر الاصلية للغة العربية ، وللعرب منها الشيء الكثير ، وهي ذات اهمية بالغة من حيث ارتباطها اجتماعياً وادبياً بحياة العرب كما أن كثيراً منها يصلح تطبيقه على غير العرب من الأمم والافراد كقولهم : « الحرب خدمة - ومعظم النار من مستصفر الشر - ولا يطاع لقصير امر » . وقد اخذت كثير من دول أوروبا عدداً من الامثال العربية .

وأما القصص : فرواه كل مثل قصة ، حفظت كتب الامثال منها وخصوصاً كتاب «مجمع الامثال» للميداني (517 هـ) ، والقصص تمثل بدورها نماذج صادقة من تفكير العرب وآدابهم واهميتها اللغوية تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ ، وجمال الاسلوب ، واحسن مرجع لها هو كتاب « الامالي »

لابي علي القالي ، وكتاب « الالغاسي » لابي فرج الاصفهاني ، وكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ .

وخلصة القول : ان القرآن والشعر والامثال والقصص ، كل منها قد أدى دوراً بارزاً في حفظ اللغة وتقويتها ، الا ان جميع الدراسات اللغوية اثبتت في وضوح ان سبب نشأة اللغة العربية ونموها واتساعها وشمولها وتبلورها وتطورها ، هو : القرآن الكريم قبل غيره ، وذلك ان الفاظ كثيرة ، يرددها القرآن كانت مثار أسئلة المسلمين منذ عهد الرسول وكان بين هذه الالفاظ ، ما هو غير عربي ، ثم كان المعنى اللغوي يتعين فهمه ، قبل الاقدام على التاويل الشرعي ، فنشأ عن ذلك العناية بتفسير القرآن الكريم .

واختلفت الروايات في قراءة القرآن ، فنشأ عن ذلك علم القراءات التي كانت ذات ارتباط ولبق بالنحو ، واخيراً فان وضع قواعد النحو كان ضرورياً لحفظ آيات القرآن على صورتها الاصلية ، وبقطع النظر عن تمدد القراءات . ولحسن الحظ فقد كان العرب يفتنون الى ضرورة تدوين أكثر ما يمكن من الاشياء التي يخشون على ضياعها بسرعة ، كما فعلوا في تدوين المصحف مثلاً ، فقد بدأوا في ذلك منذ عهد ابي بكر الصديق ، وهذا يدل على ان العرب كان فيهم عدد ممن يحسن الكتابة والقراءة ، بل يمكن ان يفهم من تعليم أسرى مكة لصبيان المدينة اثر معركة بدر الكبرى ، ان الكتابة والقراءة كانتا تنتشران بمكة التي هرفت قبل المدينة ، ومن ثم لتدوين العلوم المتصلة بالقرآن ، قد سبق تدوين غيرها من العلوم .

وبالرغم من ان الكتابة كادت تكون مجهولة ، في باقي اجزاء شبه الجزيرة العربية ، فان الالفاظ اللغوية التي حفظتها القواعد تشكل ثروة هائلة . ولقد كانت لغة الشعر كما يقول : « بروكلمان » اشبه ما يكون بنهر جداوله هي اللهجات المحلية للقبائل ، والتي اشتقت من العمين نفسها .

وإذا كان للقرآن الفضل في انتشار اللغة العربية بشكل لم تكن تعرفه لغة اخرى في العالم ، فان الموارد الاخرى التي استقى منها الرواة ودارسوا اللغة الاولون قد ادت بدورها خدمة للعربية لا ينكر .

والى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال لى تحقيق اللغة، وتمييز صحيحها من فاسدها ، وغريبها من مستعملها ، وان كان الكوفيسوز، قد ساهموا بدورهم فى هذا الميدان الا ان مؤلفاتهم على العموم، لم يتح لها تأثير كبير من حيث الذبوع والانتشار .

وقد ظلت اللغة العربية على متانتها فى عهد الرسول ، وفى ايام الخلفاء الراشدين ، وما سجل من الهفوات واللحن ، على بعض العرب آنذاك لم يكن شيئاً يذكر بالقياس الى ما بلفته العربية من فوضى فيما بعد .

مراجع هذا البحث

- 1 - « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد على ج 1 القسم اللغوي - مطبوعات المجمع العلمى العراقى .
- 2 - كتاب « فقه اللغة » للصبحى طبعة المؤيد 1910 م
- 3 - كتاب « غرائب القردان » للنيسابورى .
- 4 - مقدمة ابن خلدون - طبعة كتاب التحرير 1386 هـ القاهرة .
- 5 - كتاب « الخصائص » لابن جنى ج 1 مطبعة الهلال بالفجالة مصر 1913 م .
- 6 - كتاب « لسان العرب » لابن منظور طبع دار الصاوي 1355 هـ مصر .
- 7 - كتاب « المحتسب فى القراءات » لابن جنى طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1386 هـ القاهرة .
- 8 - كتاب « المتنضب » للمبرد الجزء الاول والثانى طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1386 هـ القاهرة .
- 9 - كتاب « تحرير التحرير » لابن ابى الاصبح - طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1383 هـ القاهرة .
- 10 - كتاب « الاغانى » لابي فرج الاصفهاني طبع دار التحرير للطبع والنشر 1384 هـ القاهرة .
- 11 - كتاب « تاريخ الادب الجاهلى » لمعيد الادب العربى الدكتور طه حسين . القاهرة .
- 12 - كتاب « تاريخ ادب العرب » لمصطفى صادق الرافعى .
- 13 - كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة - مجموعة بحوث القيت بجامعة برنستون بامريكا سنة 1953 م طبع مؤسسة فرانكلين .
- 14 - كتاب « الاتقان فى علوم القردان » الجزء الاول للسيوطى . طبع الحلبي بمصر 1965 م .
- 15 - كتاب « اللهجات العربية » لابراهيم نجا - مطبعة السعادة بمصر 1965 م .
- 16 - كتاب « الزينة فى الكلمات الاسلامية » للرازي ج 1 الطبعة الثانية - دار الكتاب العربى
- 17 - مجلة « اللسان العربى » العدد الثانى - الرباط - المغرب .
- 18 - كتاب « اشعات مجتمعات » لعباس العقاد - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .
- 19 - مجلة « الرواد » العدد الثانى من المجلد الرابع - 1968 م ليبيا .
- 20 - مجلة « اللغات » المجلد الاول ، تصدر عن مركز اللغات بتونس 1964 م .
- 21 - مجلة « المعرفة » المجلد الاول تصدر بالملكة العربية السعودية 1379 هـ .

اللغات السامية

مجال علم اللغات

محمد سليم رشاد

الاستاذ المعاصر في الجامعة الاردنية

عمرت اليمن وجعلت منها موطنها لها ، وجعلت تبتمد هذه الساميات عن امها السبئية بترأخي المصور ، وتنائي الديار ، واختلاط هؤلاء النازحين بمختلف الاقوام (2) ممن جاورهم في اصقاع الارض ..» .

ثم ان هؤلاء العلماء قسموا هذه اللغات السامية الى اسر ، عرفت فيها اللغة الكنعانية وما تفرع منها بالاسرة الغربية ، وعرفت فيها اللغة البابلية وما تفرع منها بالاسرة الشرقية . ثم عرفت فيها اخيرا اللغة العربية وجاراتها الحبشية وما تفرع منها بالاسرة الجنوبية .

وان موضوعنا الذي نخوض فيه يقتضي ان نطيل الوقوف عند الكنعانية التي اصبحت الاصل الذي تشعبت منه لغات الاسرة الغربية . وكانت اللغات العبرية واحدة من هذه اللغات .

وهي الرسم من ان هذه اللغات العبرية قد تسرب اليها الكثير من الدخيل ، بسبب هجرة

ان اول ما نلتفت اليه حتى نتحدث عن اللغات السامية في مجال علم اللغات ، هو ذلك المصدر البعيد ، الذي نبعت منه هذه اللغات السامية جميعا ، وتشعبت منه في الشمال والجنوب في الاقطار المختلفة التي استقر فيها ابناء هؤلاء الساميين منذ اقدم العصور .

وقد اختلف العلماء في تعريف هذا المصدر البعيد وفي نعمته وتسميته ، فمنهم من قال : « ان هذا المصدر الذي تشعبت منه سائر اللغات السامية هو اللغة (السامية الاولى) التي نطق بها في اعماق الدهر اقوام زالت بزوالهم وفنيت بفنائهم ، وبقيت منها ظلال ورسوم ، يلحمها الرائي على السنة احفاد اولئك الاقوام ، الذين تنوعت سنتهم باختلاف مواطنهم (1) في الشمال والجنوب .. »

ومنهم من قال : « ان هذا المصدر الذي تشعبت منه سائر اللغات السامية ، انما هو اللغة (العربية الاولى) ، التي نطقت بها سبا في ظاهر الدهور ، حين

- (1) ذكر هذا الرأي المستشرق (اولس هاوزن Ols Housen) في صدر كتابه ، الذي تحدث فيه عن « اللغة العبرية وتاريخ نشأتها » . والكتاب موضوع في اللغة الالمانية ومترجم الى الانجليزية .
- (2) ذكر هذا الرأي المستشرق اليهودي : (ليون ماحرز Lion Mahraz) وكذلك الدكتور علي العناني ، وذلك في كتابهما الذي صدر بعنوان : « الاساس في الامم السامية ولغاتها » وقد وضعاه في اللغة العبرية .

ابنائها العبرانيين الى مصر ، واقامتهم الاجيال الطويلة فيها ، ثم تشردهم بعد ذلك في بلاد (ملكان) قرابة نصف قرن من السنين ، وهي ايام التيه في سيناء .

وعلى الرغم من ذلك ، فان هذه اللغة ظلت قريبة الشبه من امها الكنعانية ، وغير بعيدة عنها . حتى كان اليهود انفسهم يصفون لغتهم العبرية ، بانها (لسان كنعان) . وقد ورد ذلك صراحة - وفي مواطن كثيرة - في اسفار كتابهم المقدس .

وان اللغة العبرية لم تشارك الكنعانية في اصولها فحسب ، بل شاركتها في حروفها ، ومن اجل ذلك كتبت العبرية - اول ما كتبت - بالحروف الابجدية الكنعانية ، وظلت تكتب بها طوال العهد الذي مر بالعبرانيين منذ استوطنوا ارض كنعان ، الى ان كان السبي وخراب بيت المقدس . وكان شاهد ذلك ، النقش الذي خلفوه في نفق (عين سلوان) عند الزاوية الشرقية من سور مدينة القدس الحالي (3) ، كما كان شاهد ذلك النقود التي عثر عليها في اطلال بيت المقدس من ايام عهد (الهيكل) ومن ايام عهد (المكابيين) الذين شردهم الرومان بعد ثورتهم عليهم .

وقد بقي من آثار اللغة العبرية - التي هي بنت الكنعانية - الكتاب المقدس في عهده القديم ، الذي يدل عليها اكمل دلالة ، ويسهل دراستها للباحثين ، ويقدم لهم صورة تكشف الكثير من ملامح امها الكنعانية ، التي كان من بناتها الى جانب العبرية : الفينيقية والنبطية والعمورية والموآبية ، وسواها من ساميات الاسرة الغربية .

وحين نبغى مقارنة لغات الاسرة الغربية ، بلغات غيرها من بنات الاسرتين الباقيتين ، لا نجد

امامنا ما يصلح لمثل هذه المقارنة غير لغتين اثنتين فقط ، هما : اللغة العربية من بنات الاسرة الجنوبية ، ثم اللغة الآرامية (ام السريانية) من بنات الاسرة الشرقية . وذلك لان ما عداها ، اما انها ضاعت معالمها الاصلية ، لكثرة ما اقتحم عليها من دخيل الشعوب المجاورة ، كاللغة الحبشية في الاسرة الجنوبية ، واما انها زالت بؤوال اهلها ، كالاشورية ، والكلدانية . وسواها من بنات الاسرة الشرقية المتفرعة من البابلية .

ولما كانت اللغة العربية هي موضع الاهتمام كله بالنسبة لنا - نحن ابنائها الناطقين بها - وفي ظلها تدرس اللغات السامية من اجل ان نستكمل الاحاطة بها ، وتوغل الى جذورها البعيدة خلف اعماق الدهر ، حين كانت المبتدأ الذي منه تشعبت هذه اللغات السامية جميعا ، كما تكاد تجمع آراء الباحثين ، لذا فان مثل هذه المقارنة بينها وبين ما نتوصل الى معرفته من بنات هذه الاسر جميعا ، هو نهاية المدى وخاتمة المطاف والغاية التي نستهدفها من هذه الدراسة .

اذن بقي علينا ان نلتمس مثل هذه المقارنة بينها وبين اللغة الآرامية (ام السريانية) ، وعندها لا بد لنا من الوقوف عند مدينة (الرها) لنلم بتاريخها ، ونعرف اخبار علمائها الذين التحقوا لغتهم بالكثير الكثير من روائع المؤلفات في مواضيع مختلفة . ثم نلتفت بعد ذلك الى الاثر الخالد وهو الانجيل في اللغة الآرامية لغة السيد المسيح ، الذي كان وجدته السبب في بقاء هذه اللغة تتردد في ساحات الكنائس على السنة المصلين . ورغم ذهابها من حياة الناس ، حيث استبدل بها اهلها في كثير من ارجاء الارض لغة الشعوب التي فرضت عليهم سلطانها .

ولن ينقص من الاهتمام بهذه اللغة ، كونها لغة انحسر ظلها ، واصبحت في عديد اللغات التاريخية ،

(3) اسمها في لغة الكنعانيين القديما (شلوح) وكانت تطلق على الينابيع عنهم نقلها العبرانيون، وفي اللغة المؤابية تقابلها كلمة : (اشوح) ، وقد وردت في (حجر ذيبان) ، واشير بها الى مورد الماء . وهذا الحجر عثر عليه في الاردن على مقربة من بلدة مادبا.

(4) الرها: اسمها الآرامي (ارهلوي) ، واسمها اليوناني اديسا - Edessa) ، وقد كانت حاضرة العلم . وفيها قامت لها مدارس تنقل الحضارتين الافريقية والهندية الى ابناء المشرق ، ويؤلف علماءها في ذلك الكتب الكثيرة . وهي التي اتمدها المترجمون في عهد الخليفة المأمون العباسي.

تتناول شأنا من شؤون اللغة ، والبحث في تاريخها وأصولها ، وقد استعمل هذا اللفظ قبل الميلاد في مدرسة الإسكندرية للدلالة على معرفة علوم اليونان والرومان في لغتيهما الإغريقية واللاتينية .

ثم تجوز الناس فيه فإذا هم يطلقونه على كل علم من العلوم مهما كان نوعه ، ومهما اختلف موضوعه ، ومهما تشعبت فيه المسالك واختلفت الأسباب . واستمر به الحال على هذه النوال ، حتى كان بدء عهد النهضة العلمية في إيطاليا ، وعند ذلك عاد لهذا اللفظ معناه ، الذي حدد له أيام مدرسة الإسكندرية . وفي أواخر القرن الثامن عشر ، اتسعت دائرة هذا الفن اللغوي ، فشمّل البحث فيه كل لغات بني الإنسان ، وليس فقط اللغتين : اليونانية والرومانية ثم ما في هذه اللغات الإنسانية من إنتاج عقلي ، حتى أصبحت كلمة (فيلولوجيا) تدل على المعنى الآتي وهو : « علم اللغات ، الباحث عن جميع الدراسات ، لدى كل أمة من الأمم ، لمعرفة اللغات وأصولها ، وكل ما أنتجته معرفة الإنسان » .

لذلك كان على (علم اللغات) أن يقدر درجات الرقي الإنساني العام ، في اللغة والأدب وفي النظم الاجتماعية وفي الحياة الفردية ، وفي الدين والصناعة والعلوم . ومن أجل ذلك صح أن يقال : (الفيلولوجيا المصرية) أو (اليونانية) أو (العربية) أو (السريانية) أو (العبرية) أو (الهندية) وما سواها . والمراد من ذلك هو كل ما لهذه الأمم واحدة واحدة من إنتاج عقلي ، ونصيب مدني مدون في لغاتها .

على أن العلماء الذين تفرغوا لدراسة (علم اللغات) ، اصطالحوا إزاء هذا المعنى العام على وصف (الفيلولوجيا الرتبة) أو (الفيلولوجيا المحتدأة) . وذلك عند الإشارة إلى ما كان للاغريق والرومان (6) .

وغرض علماء اللغات عندها من ذلك ، هو الإشارة إلى ما كان يقصد بمدلول (الفيلولوجيا) في مدرسة الإسكندرية ، من أنها العلوم اليونانية والرومانية

التي تدرس من أجل أن تبرز غيرها ، بسبب صلتها بها وقربها منها ، واشترائها معها في الأصول والأهراق ، وذلك حالها مع اللغة العربية وموضعها منها ، ومكانها في إبراز أصولها الجميدة ، ومن أجل هذا :

فإن دارس اللغة العبرية في أصولها القديمة والحديثة ، باعتبارها لغة تاريخية ذات علاقة وثيقة - من ناحية الأصول والصادر - باللغات السامية في أسرها الثلاث ، وبالتالي باللغة العربية ، يحسن به أن يحيط إلى جانبها باللغة الآرامية ، ولو وقف ذلك عند حد قراءة النصوص ، وتصريف الأفعال والأسماء مع الضمائر ، والإلمام بتاريخ هذه اللغة ، ومدارس علمائها يوم كانت في عهد ازدهارها ونهضتها ، وبذلك يكون قادرا على المقارنة بينها وبين العبرية من ناحية ، ثم المقارنة بينهما معا وبين اللغة العربية من ناحية أخرى .

* * *

وحين نبلغ هذا المدى ، يجدر بنا أن نعلم بأن مقارنة لغة بسواها من اللغات القريبة منها أو المشاركة لها في أصولها - كما هو الحال بين اللغات السامية على اختلافها - إنما هو علم له قواعده وأصوله ، يسمونه (علم اللغات) ، وهي تسمية كان لها مدلولها منذ عهد اليونان الأقدمين ، حين كانوا يحملون مشعل المعرفة لمن عاصروهم من أهل زمانهم ، وكانوا يلفظونها يومذاك (فيلولوجيا) وهي مركبة (5) من كلمتين : (فيلولوس) ومعناها صديق ، و (لوجوس) ومعناها كلمة ، وعلى ذلك يكون معنى الكلمتين حين اجتمعتا معا هو : (صديق الكلمة) وقد رمزوا بها إلى العالم الباحث .

وأول من نطق بالكلمة المركبة هو الحكيم (أفلاطون) ، وأراد بذلك توجيه الرغبة إلى البحث العلمي . ثم صار هذا اللفظ يطلق على كل تفرغ إلى استيعاب المعرفة ، أيا كان نوعها ما دامت هذه المعرفة

(5) فيلولوجيا : هذا التركيب المرجسي يكتب باللاتينية (Philologia) كما أن كلمة (فيلوس) : تكتب باللاتينية (Philos) وكلمة (لوجوس) : تكتب باللاتينية (Logos) ، وذلك لمن أراد البحث عن مدلولها مفصلا في المراجع غير العربية .

(6) الرتبة : ومثلها كذلك (المحتدأة) ، ترجمة حرفية للأصل اللاتيني وهو (Classique) الذي كثيرا ما يستعمرونه إلى العربية بلفظه حين يقولون : (كلاسيكي) .

لمعرفة ما في هذه اللغات جميعها من إنتاج عقلي ،
في مجالات الدين، والعلم، والفلسفة، والأدب ،
وتاريخ الأدب، والمقارنات اللغوية، والمعنوية ولذلك
سميت (الفيلولوجيا العامة).

وقد وصلت أبحاث هذا العلم اللغوي الشامل
الى نتائج كبرى ، غيرت وجه التاريخ الانساني ،
وأقامت النهضة العلمية الحديثة ، على اسس ثابتة ،
ودعائم قوية ، وكونت علوما مستقلة ما كانت لتظهر
في عالم الوجود ، لولا علم اللغات .

* * *

وأما ما حصلت عليه البشرية من فوائد (علم
اللغات) ومنافعه الكبرى ، فقد كان كثيرا لا يحصى،
وحسبنا أن نذكر من ذلك أننا بفضل هذا العلم ،
توصلنا الى معرفة العاديات وحل النقوش والخطوط
القديمة ، ومعرفة لغات هذه الخطوط وتلك النقوش،
ومنها الهيروغليفية والكتابة السنسكريتية ، والخط
المسامري في اللغات : السومرية والبابلية والآشورية.

وبينما كان التاريخ العام يستند الى قامته
الاسطورية القديمة ويعتمد على روايات الكتب المقدسة،
ويرى في رحلات الرحالين ، وأقوال الرواة ،
والإخبار التي تقوم على الحدس والتخمين ، بينما كان
التاريخ العام كذلك ، إذ بهذا العلم يزحزحه بقوته
الجبارة ، عن مكانته تلك ، ليرتكز على الأدلة الملموسة
والشواهد المرئية ، من الآثار القديمة ، والعاديات
السالفة والوثائق التاريخية المدونة ، والمخطوطات
القديمة ، فيغير بذلك وجه التاريخ العام تغييرا كلياً،
ويقسمه الى قسمين :

الأول : ويتناول ما دونت حوادثه الآثار ، ودلت
عليه السجلات الرسمية ، وأوضحته وأقرته العلوم
الطبيعية التجريبية ، ويعرف بالتاريخ الصحيح .

والثاني : ويتناول التاريخ المروي، أو التاريخ
الاسطوري . وهو ما لم يتوافر فيه ما توافر في
التاريخ الصحيح من أدلة وبراهين . على أن هذا النوع

القديمة ، وعلوم (التحرر الانساني) التي ابتدأت منذ
القرن الثاني قبل المسيح ، في مدرسة الاسكندرية
المذكورة (7) ، والتي ظهرت بقوة فعالة من جديد في
عهد احياء العلوم .

* * *

ويمكن حصر (الفيلولوجيا) المتعددة بعد عصر
احياء العلوم في (إيطاليا) في أربعة أدوار وأن تداخل
بعضها في البعض الآخر .

الدور الأول : وهو (الدور الإيطالي) ويمتد
تاريخه من منتصف القرن الرابع عشر الى منتصف
القرن السادس عشر .

الدور الثاني : وهو (الدور الفرنسي) ويمتد
تاريخه من منتصف القرن السادس عشر الى أواخر
القرن السابع عشر .

الدور الثالث : وهو (الدور الهولندي البريطاني)
الذي بدأ تاريخه من أواخر القرن السابع عشر ،
واستمر الى نهاية القرن الثامن عشر .

الدور الرابع : وهو الأخير ويسمونه (الدور
الألماني) ، إذ بدأت به ألمانيا من أواخر القرن الثامن
عشر ، ولا يزال في نموه المتطرد حتى الآن .

ولو ذهبنا نحصى ما أنتجه كبار الباحثين
والمفكرين من العلماء في هذا المجال ابتداء من (الدور
الأول) ، حتى (الدور الأخير) ، لضاق بنا الحصر
لكثرته البالغة .

* * *

والى جانب (الفيلولوجيا الربيبية) ، ابتدأت
(الفيلولوجيا العامة) أو (علم اللغات)، وذلك في أواخر
القرن الثامن عشر ، فافردت للبحث اللغوي ، في كل
اللغات الانسانية قديمة وحديثة ، حية وميتة ، وذلك

(7) التحرر الانساني : ترجمة حرفية كذلك لكلمة (Humanism) التي يستعملونها هي
الأخرى الى العربية حين يقولون : (هيومانزم).

المستفيضة في ضوابط اللغتين العربية والعبرية . ان ذلك كله لم يصل الى توسيع دائرة البحث اللغوي الذي يمكن ان تسمى نتائجه (علم اللغات) . وان الفكرة المتطرفة القائلة بان (اللغة العبرية) هي اللغة الانسانية الاولى، كانت مشبطة للهم في البحث اللغوي الحر .

من التاريخ لا يكون محلا للطعن او الرفض الا اذا جاءت البراهين الاثرية ، والنتائج العلمية الطبيعية بعدم صحته ، والا بقي الحكم له او عليه للمستقبل ، وما عسى ان تأتي به البحوث اللغوية الاثرية ، او تجارب العلوم الطبيعية مما يؤيده او ينفيه .

* * *

على ان التقارب بين اللغتين : العبرية والعربية، دفع المشرقين اليهود - منذ القرن العاشر الميلادي - الى البحث والمقارنة بينهما من جهة ، وبين (العبرية) و (الارامية) من جهة اخرى . وفي القرن السابع عشر ادرك المشرقون مدى القرابة بين اللغتين : (العبرية) و (العربية)، فدفعهم ذلك الى البحث عن هذا التشابه ، بين (العربية) واللغات السامية الاخرى، فوصلوا من ذلك الى معرفة المجموعة السامية .

ومن فوائد علم اللغات ايضا ، دراسة العقليات القديمة، وتطور الفكر الانساني ، ومدنيات الاجناس البشرية ، وروابط الامم والشعوب ، ومكانتها في المجهود العقلي الانساني والانتاج الاجتماعي المدني .

وقد اتجج (علم اللغات) علوما كثيرة ، لها اهميتها الكبيرة في حياة الانسان وكذلك في ثقافته العامة ، منها :

وفي القرن التاسع عشر ، وصل الباحثون بفضل (علم اللغات)، الى الكشف عن العلاقة بين السنسكريتية (الهندية القديمة المقدسة) وبين الفهلوية (الفارسية القديمة) من جهة ، وقرابتهما الى اللغات الاوروبية من جهة اخرى ، فوصلوا من ذلك الى تكوين مجموعة (اللغات الآرية) ، او (الهندوجرمانية). وذلك الى جانب المجموعة المتقدمة، التي عرفت بمجموعة (اللغات السامية) . ومن هناك انطلقوا الى دراسة اللغات الاخرى في مختلف انحاء هذا الكون الفسيح، فوصلوا من ذلك الى سلسلة طويلة يضيق عنها الحصر .

(علم مقارنة اللغات) مقارنة لفظية ومعنوية ، و (تاريخ ادب اللغة) ، بعد ان كان ادبا فقط ، و (تاريخ آداب اللغات المغارن) ، و (علم فقه اللغة) ، و (النقد الفني) ، و (النقد الادبي الكامل) . وكان هذا العلم الاخير موجودا من قبل ، ولكن على مستوى لا يجاوز حد البساطة في اذواق الادباء والمتأخرين والمتأدبين من (8) اسلافنا القدماء .

وخلاصة القول ، فان (الفيلولوجيا العامة) او (علم اللغات) ، لم يجاوز كونه وليد القرن التاسع عشر ، وان ما تقدم هذا العهد من الاشتغال بقواعد اللغتين الاغريقية واللاتينية ، وما تقدمه من الابحاث

المراجع :

- 1 - كتاب الاساس في الامم السامية وشعوبها ولغاتها ، للدكتور علي العناني ورفيقه ، ط 1 الجزء الاول . القاهرة - مطبعة بولاق 1925 ، ومن مواطن مختلفة فيه .
- 2 - كتاب تاريخ اللغات السامية للدكتور اسراييل ولفنسون ، وفيه بحث عن اللغات السامية جميعها وشواهد وشروح ، وقد اعتمدت الكثير منها . ط 1 (القاهرة) 1929 .
- 3 - كتاب بروتو كولات حكما صهيون ، من الاجزاء الاربعة . وخاصة ما تناول العبرية وما جاورها من لهجات كنعانية ، تأليف حجاج نوبهض . ط 1 . بيروت 1967 .

(8) فقه اللغة : كان هذا العلم معروفا ايام حضارة العرب ، ولكن في مدلول محدود لا يجاوز حقيقة الفاظ اللغات وكلماتها . وفيه الف الثمالي كتابه: (فقه اللغة). وهو اليوم علم واسع ، يتناول فيما يتناوله في اللغات الحديثة ، العلم الذي يطلقون عليه : (Etymologie)

التفكير على الحضاري في تكسوين اللغة وتطويرها الاستاذ محمد المبارك

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

وكانت السنة اي اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله التي رواها الصحابة المصدر الثاني للاسلام عربية اللغة كذلك وهكذا ترافق الاسلام واللغة العربية منذ ذلك الحين وسارا معا عبر القرون فكانت اللغة العربية معبرة عن الاسلام وحضارته وكان الاسلام متخذاً من العربية وسيلة للتعبير عن عقيدته واحكامه واستمر ذلك حتى العصر الحاضر .

ثانيا : الارتباط الجغرافي :

ولئن كان الاسلام قد عم السواد الاعظم من العرب في وقت مبكر فانه سرعان ما تجاوز الدائرة العربية الى ما هو اوسع منها فدخل بلادا وهم شعوبا ليست العربية لفتها فنشر العربية في قسم من هذه البلاد حتى اصبحت لفتها الوحيدة وذلك كبلاد الشام والعراق وشمال افريقيا وانضات شعوب هذه البلاد الى الدائرة العربية وان كانت لبعضها سابقة صلة بالمروية ثم تجاوز الاسلام هذه الدائرة الى بلاد اجمعية اللغة فدانت شعوبها بالاسلام فكانت العربية بالنسبة اليها لغة الدين الجديد المشتمل على عبادات قوام شعائرها اللغة العربية وعلى معاملات

ان بين الاسلام واللغة العربية صلة وثيقة وتلازما طويل الامد عميق الغور عبر الزمان وعلى مر المصور وفي آفاق الارض التي وصلا اليها وبلغا حدودها وليس التساؤل عن وجود هذه الصلة فتلك بديهية مستقرة في الاذهان ولكن من طبيعة هذه الصلة واسبابها وجوانبها وتجليتها لهذا الموضوع نعرضه من جوانب مختلفة ونحاول ان نبرز مواطن اللقاء وانواع الارتباط بين الاسلام واللغة العربية .

اولا : الارتباط التاريخي :

اللغة العربية كما هو معلوم لغة معروفة في القدم استقلت عن اخواتها الساميات وتميزت منهن بخصائص واخذت صبغا واشكالا انفردت بها وظهر الاسلام فكانت هي اللغة التي حملت رسالته وعبرت عن مبادئه وعماليمه فنزلت آيات القرآن الكريم بها حتى اتم الله آياته فكان القرآن الكريم الكتاب العربي المبين كما وصفه فنزله سبحانه في عدد من آياته :

« انزلناه قرآنا عربيا » 12 - 2 و 20 - 113
« اوحينا اليك قرآنا عربيا 42 - 7 ، « انا
جملناه قرآنا عربيا » 43 - 3 ، « بلسان عربي
مبين » 26 - 195 وآيات اخرى بهذا المعنى .

ليس لها في العربية حرف بصورها اصطلاحات خاصة كالباء المنقطة بثلاث نقط لرسم حرف ال (P) في الفارسية والتركية وغيرها من الحروف التي ليست في العربية .

وهكذا كان سببا في انتشار الكتابة العربية او الرسم العربي في دائرة واسعة جدا تشمل شعوبا كثيرة مختلفة اللغات فكان بذلك حدا ادنى من التفاهم عن طريق الكتابة والحروف وهذه ظاهرة اجتماعية لغوية ذات آثار بعيدة في تفاهم الشعوب والتفاهم وتعاونها تشبه ما عند الامم الاوربية التي تستعمل الحروف اللاتينية وتتشرك في عدد من المفردات .

وهكذا فان الاسلام كان سببا في انتشار العربية لدى نخبة عالية من ابناء الشعوب التي تدين بالاسلام والمنتشرة في اقطار آسيا وافريقيا وفي انتشار عدد كبير من الالفاظ العربية في لغاتها وفي استعمال الحرف العربي وذلك كله يسهل تعليم اللغة العربية مع وجود الدوافع الدينية والثقافية لتعلمها وهي فعلا تعتبر اللغة الثانية في كثير من هذه البلاد . بل ان ثمة عددا كبيرا من المدارس والمعاهد والجامعات تعلم باللغة العربية او تحلها في المحل الاول بعد لغة البلاد في كثير من البلاد الاسلامية كإيران وباكستان واندونيسيا .

الارتباط الفكري والحضاري :

ان الاسلام اذ اتخذ من العربية لغته منذ ظهوره استعمل مفرداتها للدلالة على مفاهيمه الجديدة فاكتملت كثير من الالفاظ معاني جديدة حملها الاسلام وكثيرا من ما نسي المعنى اللغوي الاصلي وبقي المعنى الجديد كلفظ الجهاد والانفال والزكاة والجنة .

لغة خالدة لمفاهيم خالدة :

ونمة نكتة هامة لم يلتفت اليها الباحثون الالتفات الواجب ولم يولوها ما تستحق من العناية بل لعلمهم لم ينتبهوا اليها وهانئذ امرضا بين يدي الاخصاليين وقراء العربية عامة .

ان الاسلام جاء بمقائد ومفاهيم ثابتة لا تتغير ولا ينبغي ان تتغير ولكن اتى لنا ذلك واللغة تتطور

واحكام انما تؤخذ من مصادرها العربية في القرآن والسنة واقوال السلف وهكذا ظهرت احداث جديدة هامة نلخصها فيما يلي :

1 - اصبحت العربية لغة الثقافة بالنسبة الى الخاصة فنشأت طبقة من علماء الدين من الاحاجم تعلموا العربية وحذقوها ثم اتسع الامر فكانت لغة الثقافة بوجه عام ولم تقتصر على الثقافة الدينية اذ اصبحت لغة الحضارة الاسلامية في جميع ميادينها وتكون على مر العصور ذلك الانتاج الضخم في ميادين الفقه والعلوم الاسلامية واللغة والادب والفلسفة والتصوف والتاريخ والطب والعلوم اشترك في تكوينه ابناء البلاد التي دانت بالاسلام والتي غدت جزءا من الدولة الاسلامية ولو لم يكونوا عربا في انسابهم ولغاتهم .

2 - اثر العربية في لغات الشعوب الاسلامية :

وفي خلال هذا التمازج اللغوي والتفاعل الحضاري دخلت الفاظ عربية كثيرة في لغات تلك الامم التي دخلت في الاسلام سواء اكان من الالفاظ العبادات ام كانت من الالفاظ التي ادخل الاسلام مفاهيمها الجديدة كمصفات الله تعالى والمعاملات الفقهية والاحكام القضائية والتنظيمات الادارية والسياسية والمفاهيم الاخلاقية والدينية وشاعت هذه الالفاظ ودخلت في لغات تلك الاقوام .

3 - اصبحت اللغة العربية مصدرا تنهل منه تلك اللغات ما تحتاج اليه من الفاظ حضارية جديدة اما لفقدان هذه الالفاظ فيها او لتصورها من توليدها او رغبة في جمال اللفظ العربي المبرع عنها .

وهكذا دخل من هذه الطريقتين كثير من الالفاظ العربية في اللغات الفارسية والتركية والكردية والسواحلية وغيرها بنسبة كبيرة .

4 - ونضيف الى ذلك امرا آخر ذا شأن كبير وهو شيوع الحرف العربي باعتباره اداة لكتابة لغات الشعوب الاسلامية فاصبحت اللغة الفارسية والتركية والاوردية والجاوية (لغة اندونيسيا والملايو) وغيرها تكتب بالحروف العربية وقد وضعت للاصوات التي

والدلالة الالفاظ او معانيها في تبدل مستمر في جميع اللغات ؟ وهنا نجد في اللغة العربية وحدها دون غيرها الحل لهذه المشكلة . ذلك ان من خصائص اللغة العربية ثبات الحروف الاصلية الثلاثة من كل مادة مهما يطرا على الكلمة من تبدل في اشتقاقها وصيغتها كحروف ع ل م فان جميع الالفاظ التي اشتقت او يمكن ان تشتق من هذه المادة كالعلم والعلوم والعلماء والاستملاء والمعلومات والمعاليم والتعليم والاعلام وغيرها من الالفاظ المشتقة من هذا الاصل تشتمل على جميع الحروف الثلاثة ويقابل ثبات الحروف الثلاثة ثبات المعنى الاصلى والمفهوم المشترك بين الالفاظ وهكذا تبدو خاصة بثبات الاصول في صورتها اللفظية ودلالاتها المعنوية وهذه الخاصة هي التي يتطلبها الاسلام لامكان تثبيت المفاهيم التي يريد تثبيتها في مبادئه واحكامه مع بقائها واستمرارها في اللغة الشائعة المستعملة عند ابناءها دون ان تحدث فجوة واسعة بين الاصل اللغوي المستعمل وما انتهى اليه في صورته ومعناه وهكذا يبقى ابناء العربية على صلة وثيقة وفهم صحيح للنص القديم مهما يطل العهد به . واما اللغات الاخرى فان الالفاظ فيها يعتمرها التبدل والتحول في صورتها حتى تتغير حروفها واصواتها فلا تكاد تعرف اصلها وفي دلالتها المعنوية كذلك وبهذه الصورة يصبح بين الفاظ النص القديم وما انتهت اليه هذه الالفاظ في تطورها بون كبير يؤدي اما الى جهل المعنى القديم او الى الوقوع في خطأ جسيم يحمل اللفظ القديم على اللفظ الحديث او المعنى الجديد .

والفناء ووحددة الشهود والمرضى والجواهر والدور والتسلسل وامثالها) .

القرءان الكريم :

وقد كان القرءان العظيم عاملا قويا في كل ما تقدم لان المسلمين اجمعوا على ان القرءان بنصه العربي المنزل المحفوظ حتى يومنا هذا هو وحده القرءان وان ترجمته الى اي لغة اخرى لا تسمى قرءانا وليس لها احكامه فلا تكون مصدرا للاستنباط ولا يتعبد بها بل لا يجوز ترجمته ولكن ترجمة معانيه بحيث تعتبر الترجمة تفسيراً له باللغة الاجنبية وبناء على هذا الاساس حرض المسلمون على تعلم القرءان بنصه العربي حفظاً او حفظاً وفهماً وبقدر الطاقة واكثروا من تلاوته تعبداً بحروفه العربية التي اضطروا الى تعلمها فكان ذلك عاملاً هاماً في تقوية هذه الصلة بين الاسلام واللغة العربية وفي انتاج النتائج الكثيرة التي بينها فيما سبق من كلامنا .

ومن اجل هذا ايضا كان من مداخل الشعوبية وطرائقهم ابعاد الناس عن الفصحى لاجلال العامية مكانها والدعاية لترك الحروف العربية والكتابة العربية والسعي لانفاء النحو العربي وفساد ملكة اللغة وذلك كله يؤدي طبعا الى ابعاد الناس عن الفصحى والى تفرقهم اما مختلفة والى تهديم هذا الجسر العظيم الذي يصل بينهم ومعهم الشعوب التي دانت بالاسلام وقرات القرءان وتعلمته وتعلمت الحرف العربي بل اتخذته اداة للفتها .

وبهذه الدراسة يبدو لنا الطريقان : طريق التثنت والتطفل على الغير وطريق الوحدة وثبات الذات والتحرر وذلك هو طريق الحرف العربي واللغة الفصحى والقرءان العظيم المنزل بلسان عربي مبين .

فالفاظ الحق والمدعى والتضاه والحكم واليمين والبيعة والشاهد والرهن والاجل والعقد والشرط والخصم وغيرها كذلك من الفاظ العقائد والعبادات ثابتة المعنى ولا تزال مستعملة ومفهومة من الناس الى يومنا هذا .

مصطلحات جديدة :

وقد ظهرت بعد الاسلام مصطلحات لغوية في ميادين الفقه والكلام والتصوف والفلسفة والمنطق والسياسة والادارة واصبحت جزءاً من الثقافة الاسلامية وثبت الكثير منها في المعاجم اللغوية او على

عُلَمَاءُ الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِ سَبَقُوا اللَّغَوِيِّينَ الْمَحْرُفِيِّينَ ابْتِكَارَ نَظَرِيَّةِ التَّمَاثُلِ الدكتور عبد العزيز مطر جامعة الكويت

ثم اضاف «دانيال جونز» ان هذا الاصطلاح قد يتسع فيشمل الحالات التي يتم فيها ادغام احد الصوتين في الآخر ، بحيث يكونان صوتا واحدا ويسمى هذا النوع «التماثل المجمع او الادغام» (Coalescent assimilation)

ويشرح هذا التعريف في معادلتين على النحو التالي :

- 1 - التماثل العادي : الصوت : A يستبدل بالصوت B تحت تأثير الصوت : C
- 2 - التماثل المجمع (الادغام) : الصوتان : A, C قد اثر كل منهما على الآخر ، وادغما واجتمعا في الصوت الموحد : B وتكتفي من امثله بما يأتي :

يمثل «جونز» للتماثل العادي غير التاريخي بالتغير الذي يطرا على صوت ال S في الكلمتين: (Horse, shoe) . عندما تتركبان معا نحو Horse-shoe (حدوة الحصان) حيث تنطق ال S هكذا Sh (ش) ويمثل للتماثل المجمع (الادغام) Coalescent Assimilation بالكلمتين you don't فانهما تنطقان معا هكذا (Dountshu)

ظاهرة صوتية ذات اثر في التطور اللغوي ، اعترف بها ، ورسم حدودها ، وبين اثرها اللغويين المحدثون ، ويمثلهم في هذا البحث : اللغوي الانجليزي «دانيال جونز» (Daniel Jones) واللغوي العربي الدكتور ابراهيم انيس .

وسيفيف هذا البحث حقيقة جديدة ، هي ان هذه الظاهرة الصوتية قد عرفت ايضا عند اللغويين القدماء : ويمثلهم : سيبويه (ابو بشر عمرو ت 180 هـ) وابن جني (ابو الفتح عثمان ت 392 هـ) . وسنبدا اولا بتعريف هذه الظاهرة ، وتحديد معالمها ، وبيان اثرها في التطور الصوتي عند المحدثين ، ثم نعزز ذلك بعرض ما قاله لغويونا القدماء في هذا الصدد .

1 - التماثل عند المحدثين

عقد دانيال جونز فصلا في كتابه (1) (An out line of english phonetics) تناول فيه ظاهرة التماثل (Assimilation) واثرا في تطور اصوات اللغة الانجليزية وقد عرف التماثل بأنه « استبدال صوت باخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاورا له في الكلمة او في الجملة »

(1) صفحة : 217 الفقرات من : 837 الى 853

كذلك يمثل «جونسز» بالكلمتين Roast boef حيث تحولت الـ S الى Z تحت تأثير صوت الـ B المجهور .

ومن العرب المحدثين عقد الدكتور ابراهيم انيس فصلا في كتابه « الاصوات اللغوية » (2) تحت عنوان : المائلة Assimilation شرح فيه الظاهرة ، وبين نوعيها الرجعي (3) والتقدمي (4) ومثل لكل منهما ، ثم وضع درجات تآثر الاصوات المتجاورة .

وقال في شرح المائلة .. « تتأثر الاصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام ... ومجاورة الاصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي السر فيما قد يصيب بعض الاصوات من تآثر » .

والاصوات في تآثرها تهدف الى نوع من المائلة او المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات او الخارج ، ويمكن ان يسمى هذا التآثر بالانسجام الصوتي بين اصوات اللفظة . وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير ان اللغات تختلف في نسبة التآثر وفي نوعه (5)

ومع ان استاذي قد وفي هذه الظاهرة حقها شرحا وتوضيحا ، وتمثيلا وتعديلا ، لاحظت انه لم يربط بين ما قرره المحدثون وما ذكره سيبويه وابن جني ، على ما سنوضحه بعد .

ونمضي الآن في توضيح هذه الظاهرة ، وتحديد معانيها والتمثيل لها بأمثلة من الفصحى واللهجات الحديثة ، ثم نقف بعرض آراء سيبويه وابن جني وتحليلها .

اذا تجاور صوتان متجاورا تماما ، بحيث لا يفصل بينهما صوت لين (حركة) وكانا مختلفين في صفة الجهر والهمس ، او الشدة والرخاوة ، او الاطباق والانفتاح ، فان هذين الصوتين يميلان الى الانسجام بأن يصبحا متماثلين في الصفة ..

وإذا كان هذان الصوتان المتجاوران متقاربين مخرجا او صفة ، او متجانسين ، فان التماثل بينهما قد يصل الى ان يفنى احدهما في الآخر بادغامه فيه .

وفيما يلي توضيح لهذا التحديد للتماثل ، وبيان درجات التآثر بين الصوتين المتجاورين :

1 - الجهر والهمس : يقول الصرفيون ان فاء (افتعل) اذا كانت زايا قلبت التاء دالا ، نحو ازدرج ، ازدهى ، ازدان ، ازدلف ...

فما التفسير الصوتي لقلب التاء في : ازتجر ، وازنهي ، وازمان ، وازتلف وامثالها دالا ؟

في ضوء ظاهرة التماثل نقول : ان التاء قد جاورت الزاي ، والتجاور هنا تام ، اذ لم يفصل بين الزاي والتاء حركة . ولما كانت الزاي صوتا مجهورا وكانت التاء صوتا مهموسا فان الصوتين يميلان الى تحقيق الانسجام بينهما ، وهنا تآثرت التاء المهموسة بالزاي المجهورة فجهر بها ، وحين يجهر بالتاء تصبح دالا لان التاء والدال من مخرج واحد ، فاصبحت الدال والزاي متقاربين كلاهما مجهور ..

ويسمى التآثر الذي تم في هذه الامثلة تآثرا تقدميا ، أي أن الصوت الثاني وهو التاء تأثر بالاول وهو الزاي .

وفي قراءة ابن مسعود : (اذا بعثر ما في القبور) اي بعثر ، يقال ان العين وهي صوت مجهور، جاورت التاء وهي صوت مهموس ، فتآثرت العين بالتاء فهمست ، وحين همست العين تصبح حاء لان الحاء هي النظير المهموس للعين المجهورة ، ويسمى التآثر الذي تم هنا تآثرا تخلفيا اي أن الصوت الاول وهو العين ، تأثر بالتاني وهو التاء .

وفي اللهجة المصرية تنطق : جهاز تسجيل ، هكذا : جهاس تراجيل .

(2) الفصل السابع : من ص 126 الى 148 (ط 3 - 1961)

(3) (Régressive)

(4) (Progressive)

(5) الاصوات اللغوية : 126 .

وقد حدث هنا نوعان من التائر : تائر الزاي المجهورة في « جهاز » بالهاء المهموسة في « تسجيل » ، تأثرا تخلفيا ، فهمس بالزاي فأصبحت سينسا . وتأثر السين المهموسة في « تسجيل » بالجيم المجهورة تأثرا تخلفيا أيضا ، فجهر بها ، وحين يجهر بالسين تصبح زايا لأنها نظيرها المجهور .

وفي اللهجة المصرية أيضا نطق : « خمس دقائق » هكذا : خمز دآييه . ونطق « بالنسبة » هكذا : « بالنزبة » . « وعلى حسب وداد قلبي » هكذا : « على حزب » .. والذي حدث هنا تماثل قلب فيه الصوت المهموس وهو السين الى نظيره المجهور وهو الزاي ، بسبب مجاورة السين للصوت المجهور ، وهو الدال ، أو الباء ، تحقيقا للانسجام الصوتي .

كذلك نطق كلمة « اشدق » وكلمة « مشغول » بجهر الشين ، بحيث تقترب من الجيم الشامية (ج) وتفسير ذلك ان الشين ، وهي مهموسة ، جاورت الدال وهي مجهورة ، فجهر بالشين ، ليصبح الصوتان المتجاوران مجهورين .

2 - الشدة والرخاوة : قال اللغويون ان كلمة ست (للعدد 6) اصلها : سدس ، فقلبت السين تاء فأصبحت سدت ، ثم ادغمت الدال في التاء . وتفسير الحالة الاولى ان السين وهي صورة رخو ، جاورت الدال وهي صوت شديد ، فتأثر الصوت الثاني بالاول تأثرا تقدما فقلبت السين الى نظيرها الشديد وهو التاء . اما الحالة الثانية فقد نفي فيها الصوت الاول ، وهو الدال ، في الصوت الثاني وهو التاء ، والتائر هنا تخلفي .

وقوله تعالى : (وجاءت سيارة) قريء بادغام التاء في السين . وتفسير ذلك ان التاء وهي صوت شديد جاورت السين وهي صوت رخو ، فتأثر الصوت الاول بالثاني فقلبت التاء الى نظيرها الرخو وهو السين . ثم حدث الادغام .

وقوله تعالى : (ولولا اذ دخلت جنتك) قريء بادغام الدال في الدال وتفسير ذلك ان الدال وهي صوت رخو جاورت الدال وهي صوت شديد فقلبت الدال دالا ليصبح الصوتان شديدين ، ثم حدث الادغام .

ومن ذلك قلب الباء الشديدة الى نظيرها الرخو ، وهو الفاء ، في قوله تعالى : (ان تعجب فعجب) وبعد القلب حدث الادغام .

3 - الاطباق والانفتاح : يقول الصرفيون : اذا كانت فاء (افتعل) صوتا من اصوات الاطباق : الصاد أو الضاد أو الطاء أو الظاء ، قلبت تاء الانفتاح طاء ، نحو : اضطرب ، واضطرب ، واطرد واططم ، وهي صيغ (افتعل) من الضرب ، والضرب ، والطرء ، والظلم ..

والذي حدث هنا هو قلب الصوت المنفتح وهو التاء ، الى نظيره المطبق وهو الطاء ، بسبب مجاورة التاء للصوت المطبق ، وهو الصاد ، أو الضاد ، أو الطاء أو الظاء ..

والتأثير هنا تقدمي ، أي ان الصوت الثاني تأثر بالاول . وانما تم هذا التائر ، ليتحقق الانسجام بين الصوتين المتجاورين بحيث يكونان مطبقين .

وفي اللهجات تقول : مسطرة اي مسطرة ، والماء يصخن ، بقلب السين صادًا ، وتفسير ذلك ان الصوت المنفتح وهو السين جاور الصوت المطبق ، وهو الطاء في : مسطرة ، والصوت المستعلى وهو الخاء في : يصخن ، فقلبت السين الى نظيرها المطبق وهو الصاد ، تحقيقا للانسجام بين الصوتين المتجاورين .

4 - انتقال مجرى الهواء : يقرر علماء الاصوات ان مجرى الهواء مع الاصوات العربية يكون من الفم ، الا في صوتي الميم والنون ، فان مجرى الهواء معهما من الانف ..

وقد ينتقل مجرى الهواء مع اصوات الفم الى الانف ، وقد ينتقل من الانف الى الفم ، تحت ظروف لغوية خاصة ، هي التماثل غالبًا ..

ومن امثلة ذلك : ما رواه سيبويه في كتابه : (: 2/412) من قولهم : اصحمترا ، يريد اصحب مطرا . فقد انتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف ، بسبب مجاورة الميم . وحين ينتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف تصبح ميمًا ، ثم حدث الادغام . كذلك انتقل مجرى الهواء مع النون من الانف الى الفم في مثل : ان لم تفعل ، حيث ادغمت النون في اللام ، وذلك ان النون ومجرى الهواء من الانف ، جاورت اللام ، ومجرى الهواء معها من الفم ، فقلبت النون لاما ثم حدث الادغام .

5 - انتقال مخرج الصوت : روى سيبويه في كتابه (: 2 / 414) انه يقال في منبر : منبر بالميم

الصوتين في الآخر ، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالصوت الثاني غالباً أي أنه تأثر تخلفي ..

فإذا تجاوز صوتان متقاربان ، أو متجانسان نحو :
انمت طالباً ، ادغم الصوت الأول وهو التاء في الثاني وهو الطاء ، فنطقت الكلمتان : انمطالبا (سيبويه : 418/2) ونحو : حدثهم أي حدثتهم ، حيث ادغمت التاء في التاء (سيبويه 420/2)

ونحو خبطه أي خبطته ، حيث ادغمت التاء في الطاء ، والتأثر هنا تقدمي حيث تأثر الصوت الثاني بالأول ففني فيه (سيبويه 2 / 423)

وكذلك قوله تعالى : (وجاءت سيارة) حيث ادغمت التاء في السين .

والتجاور في الأمثلة السابقة تام ، حيث لم يفصل بين الصوتين بصوت لين ويسمى هذا الإدغام عند القراء : « الإدغام الصغير » .

وقد يحدث الإدغام مع وجود فاصل هو حركة قصيرة ، وهذا النوع وارد في قراءة أبي عمرو ابن العلاء ، نحو قوله تعالى : (تكلا من حيث شئتما) حيث ادغمت التاء في الشين ، مع وجود فاصل بينهما هو الضمة في (حيث) وقوله تعالى : (وإذا النفوس زوجت) بادغام السين في الزاي مع وجود فاصل بينهما هو ضمة (النفوس) .

7 - التماثل بين اصوات اللين : كما يحدث التماثل بين الاصوات الساكنة ، يحدث بين اصوات اللين تحقيقاً للانسجام الصوتي بينهما ، هو المسمى عند المحللين (Vowel harmony)

ويمكن ان نمثل له بما روي ان بني تميم كانوا يقولون : لثيم ، شهيد ، سعيد ، ونحيف ، ورغيف ونخيل ، بكسر او اللها (6) وما يشيع في بعض اللهجات الحديثة من كسر الاول في نحو سعيد ونشيط وكبير ... ونحو تحية ، بكسر التاء ، تحقيقاً للانسجام بين صوتي اللين المتجاورين .

ومن ذلك فتح الميم في مروحة ومبرد في اللهجات الحديثة ، بدلا من كسرها كما تقضي العربية الفصحى في صيغة اسم الآلة .

ب - المساواة عند سيبويه هي التماثل عند المحللين :

وفي القرآن الكريم : (انبئهم) و (من بعد) اجمع القراء على قلب النون ميماً .

وفي لهجة الكويت نقول : السنبولة بدل السنبولة (نوع من السفن الصغيرة او القوارب ذكره الهمخشري في الاساس (قرب) .

والتفسير الصوتي لما حدث هنا : ان النون جاورت الباء ، وتحقيقاً للانسجام بينهما انتقل مخرج النون الى مخرج الباء ، وحين تنتقل النون الى هذا المخرج تنطق ميماً ، لان الميم كالنون من اصوات الانف ، وكلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ووجود الميم مجاورة للباء يحقق انسجاماً اكثر لان الميم في اصوات الانف ، تناظر الباء في اصوات الفم .

كذلك ينتقل مخرج القاف في لهجة الكويت الى وسط الحنك اذا جاورت صوت اللين الامامي (الكسرة او ياء المد او الفتحة المرفقة او الف المد) نحو : جربه ، جدر ، رفيع ، وجاسم ، بدل قرية ، وقدر ، ورفيق ، وقاسم .

وتفسير ذلك : ان صوت اللين الامامي جاور القاف ، ولما كان صوت اللين الامامي صوتاً يرتفع معه اول اللسان نحو الحنك ، او يهبط نحو قاع الفم ، فقد جذب مخرج القاف الى الامام ، فخرجت من مخرج الجيم ، لان كليهما صوت شديد مجهور .

كذلك ينتقل مخرج الكاف الى الامام في لهجة الكويت ، اذا جاورت الكاف صوتاً من اصوات اللين الامامية ، فيجذبها الى وسط الحنك ، فتخرج من مخرج الشين ، والجيم ، فتخرج صوتاً بينهما ، وهو صوت كالجيم الفارسية ، او كصوت (ch) في الكلمة الانجليزية : (Chicken)

وذلك مثل : جبير ، جلب ، باجر ، اي كبير وكتب وياكر .

وفي الحالات الخمس السابقة يبدو اثر ظاهرة التماثل واضحا ، حيث قلب صوت الى صوت ينظره ، تحت تأثير صوت ثالث ..

6 - الإدغام : يعد الإدغام أقصى درجات التأثر بين الاصوات المتجاورة حيث يفنى أحد

ويعلل سببويه المضارعة في حالتي التقريب من الزاي ، أو ابدال الصاد زايًا بما نسميه « الانسجام الصوتي » ، فيقول : « وانما دعاهم الى ان يقربوها ويبدلوها ان يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا السننهم في ضرب واحد ، اذ لم يصلوا الى الادغام (الذي هو اقصى حالات التاثر بين الاصوات المتجاورة) ولم يجسروا على ابدال الدال صادا ، لانها ليست بزيادة كالتاء في الفعل (اي ان الصوت الاول هو الذي تآثر بالتاني وهو التاثر التخلفي) .

وإذا كان اللغويون المحدثون يشترطون لتآثر احد الصوتين بالآخر ان يكون التجاور تاما بان يكون الاول مشكلا بالسكون (7) . فان سببويه قد نص على ذلك عندما قال : « فاما الذي يضارع به الحرف من مخرجه فالصاد الساكنة ، اذا كانت بعدها الدال » (26/2) كما يتضح ذلك من امثلة : التصدير ، اصدر ، الفصد ، اشدر ، اجدر ، اجدمعوا ، واجدروا (اي اجتمعوا ، واجتروا) .

وان كان سببويه قد خالف ذلك عندما قال في موضع آخر : ان في (صدر) تقريبا من الزاي (259/2) . مع ان الفاصل هنا حركة .

ولكن شرط الابدال عند سببويه الاتحرك الصاد، فقد قال بعد ان ذكر ان بعض العرب يبدل الصاد في التصدير والفصد زايًا خالصة : « فان تحركت الصاد لم تبدل ، لانه قد وقع بينهما شيء » بمعنى الحركة الفاصلة بين الحرفين .

وهذا يدل على لهم سببويه لمعنى التجاور ، وعلى انه يرى ان الحركة تقع بعد الحرف .

ولكن هناك استثناء من شرط سكون الحرف الاول في حالة المضارعة ، اذ لاحظ سببويه ان العرب قد يضارعون في حالة الفصل بالحركة ، نحو صدقت . ثم قال « والبيان فيها احسن » (27/2) واورد استثناء آخر من شرط التجاور اذ قال : « وربما ضارحوا بها وهي بعيدة نحو مصادر ، والصراط ، لان الطاء كالدال » (يظن سببويه ان المضارعة خاصة بالدال ، ولهذا يشبه بها الطاء حين وجد مضارعة في الصراط) ثم اورد سببويه ثلاثة امثلة اخرى تمت فيها المضارعة مع التجاور التام

1 - اشدر ، حيث تجهر الشين ، وهذا معنى قول سببويه « فتضارع بها الزاي » وسبب الجهر

تناول سببويه في اكثر من موضع من كتابه ، ما يحدث من تقرب بين الاصوات المتجاورة سمي هذه الظاهرة المضارعة (: 26/2) وسماها التقريب ايضا (259/2، 27) كما تناول اقصى درجات التاثر بين المتجاورين ، أي الادغام (2/404 - 26) .

وتتضح نظرية التماثل عند سببويه في الباب الذي عقده تحت عنوان : « هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه » (2/26)

ويعني سببويه بالحرف الذي يضارع به حرف من موضعه : « الصاد الساكنة اذا كانت بعدها الدال ، وذلك نحو : مصدر ، واصدر ، والتصدير »

وبعد ان يبين سببويه ان ادغام الصاد في الدال، او ابدال الدال حرفا يناسب الصاد كالطاء غير ممكن في هذه الامثلة ، يفسر ما حدث في هذه الامثلة بانه مضارعة الصاد بالزاي ، أي تقريبا منها ، لان الزاي مجبورة كالدال ، فيتحقق بهذا الانسجام بين المتجاورين . وقد فسر سببويه هذه المضارعة في موضع آخر من كتابه (259/2) اذ قال ، وهو يعلل امالة الالف الى الياء بسبب الكسرة ، بانها تقرب بين الحرفين : « ارادوا ان يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر ، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة ، لان الصاد قريبة من الدال فقربها من اشبه الحروف من موضعها بالدال » .

ولكن سببويه في المثال الاخير : صدر ، لم يقيد الصاد بانها ساكنة ، كما جاء في النص الذي عالج فيه المضارعة (26/2) .

ومما يؤيد ان ما حدث في الصاد هو تقريبا من الزاي قول سببويه « ولم يبدلوها زايًا خالصة كراهية الاجحاف بها للاطباق » ثم يعقب سببويه بانه سمع العرب الفصحاء يجعلون الصاد زايًا خالصة أي بدون طباق ، وينظر لذلك بدهاب الاطباق في الادغام ، ويعني بذلك قولهم « انحصالما ، أي انحص سالما » (2/418)

أي انهم يقولون في التصدير : التزدير ، وفي الفصد ، الفزد ، وفي اصدرت : ازدرت .

(7) الدكتور ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية : 131 .

اي ان السين لما جاورت واحدا من هذه الاصوات المستعلية نالرت به ففخمت ، وحين تفخم السين تبدل صادا . ولكن سيبويه يبين ان « الاصرف الاكثر الاجود في كلامهم ترك السين على حالها وانما يقولها من العرب بنو العنبر » (428/2).

وفي ضوء المضارمة كذلك يفسر سيبويه قول العرب : ست (اي العدد 6) ويذكر ان اصلها سدس . ويبين ان العرب لم يدغموا الدال : « كرهوا ادغام الدال فيزداد الحرف سينا ، فتلتقى السينات ، ولم تكن السين لتدغم في الدال . . فابدلوا مكان السين اشبه الحروف بها من موضع الدال ، ليلا يصيروا الى اقل مما فروا منه اذا ادغموا ، وذلك الحرف التاء ، كانه قال سدت ، ثم ادغم الدال في التاء » (428/2)

وبدل على تمق سيبويه في فهم سر المضارمة واستخدامها في تفسير التغير الصوتي قوله في تعليل قول بعض العرب : يستيع بدل يستطيع : « ان شئت قلت : ابدلوا التاء مكان الطاء ليكون ما بعد السين مهموسا مثلها ، كما قالوا : ازدان (اصلها : ازان) ليكون ما بعدها (الزاي) مجهورا » (429/2) .

اما المضارمة في الحركات (اصوات اللين) فتبدو عند سيبويه فيما يلي :

1 - الامالة (259/2) قال : « فالالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسورة ، وذلك قولك هابد ، وعالم ومساجد،ومفاتيح،ومذافر،وهابيل . وانما امالوها للكسرة التي بعدها ، ارادوا ان يقرئوها منها كما قرئوا في الادغام الصاد من الزاي » اي ان الغرض من الامالة هو الانسجام بين اصوات اللين .

ويؤيد ذلك قوله في باب ما تقلب فيه الواو ياء اذا سكنت وقبلها كسرة (نحو ميزان وميماد) « فكان العمل من وجه واحد اخف عليهم (وجسود حركة الامالة بعد الكسرة) . . كما انهم اذا ادنوا الحرف من الحرف كان اخف عليهم ، نحو قولهم : ازدان واصطبر » (357/2)

2 - في تفسير باب فعل يفعل (مثل فتح يفتح) الذي ورد في الافعال التي عينها او لامها من حروف الحلق (ا - ه - ع - ح - غ - خ) قال : « وانما فتحوا هذه الحروف لانها سفلت في الحلق ، فكرهوا ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجملوا من الحرف الذي في حيزها

هنا ان السين وهي صوت مهموس جاورت الدال ، وهي صوت مجهور ، فجهر بها لتحقيق الانسجام والتقارب ، وحين يجهر بالسين تقترب من الزاي . . ولما كانت الزاي من مخرج غير مخرج السين فقد عبر عن ذلك سيبويه في عنوان هذا الباب ، حين قال « والحرف (السين) الذي يضارع به ذلك الحرف (الزاي) وليس من موضعه »

2 - اجدر ، حيث تنطق الجيم قريبة من الزاي ، اي جيما شديدة التمطيش ، وكتبت عند سيبويه : اشدر ولما كانت الجيم والدال من الاصوات المجهورة ولم يجد سيبويه تفسيراً لهذه المضارمة ، ظل ذلك بالقياس على المضارمة مع السين في اشدر ، اذ قال « وانما حملهم على ذلك انها (الجيم) من موضع حرف قد قرب من الزاي » يعني السين في اشدر .

3 - اجدموا اي اجتمعوا ، واجدروا ، اي اجترعوا . والذي حدث هنا ان التاء وهي صوت مهموس جاورت الجيم ، وهي صوت مجهور ، فتأثرت بها تأثراً تقديمياً (الثاني بالاول) فجهر بها اي ابدلت دالا .

وفي موضع آخر يفسر سيبويه ، في ضوء المضارمة والتقريب ، قول العرب فيما كان على وزن مفتعل من الصبر : مصطبر : فيقول « فابدلوا مكانها اشبه الحروف بالصاد ، وهي الطاء ، ليستعملوا السنتم في ضرب واحد من الحروف ، وليكون عملهم من وجه واحد ، اذ لم يصلوا الى الادغام » (421/2) ومعنى قوله « ليستعملوا السنتم في ضرب واحد » ان نطق الصاد وهي مطبقة لا يلائم نطق التاء ، وهي مرفقة فابدلوا مكان التاء طاء للانسجام بين الصوتين المطبقين .

ومن المضارمة عند سيبويه ايضا : قلب السين صادا اذا كانت بعدها القاف في كلمة واحدة ، عند بني العنبر ، ويعتل ذلك بقوله : « ابدلوا من موضع السين اشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد ، وهي الصاد » (427/2) ثم قاس على ذلك الغاء والعين « لانها بمنزلة القاف ، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم ، وتقربهما من الفم تقرب القاف من الحلق » ثم قاس الطاء على القاف ، لانها في التصعد مثل القاف (428/2).

وهو الالف « (253/2) أي ان الفتح لمناسبة حروف الحلق لان الفتحة بمعنى الالف ، ومخرج الالف (عنده) من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء (2/405) وهكذا نجد ال (Assimilation) وال (Vowel harmony) أي التماثل او المضارعة او التقريب ، والانسجام بين اصوات اللين ، واضحة جدا في فكر سيبويه (ت 180 هـ) .

الادغام الاصغر والتقريب عند ابن جنى

عالج ابن جنى ظاهرة «التماثل او المضارعة» تحت عنوان «الادغام الاصغر» وتعريفه وامثله تنطبق على المضارعة عند سيبويه : يقول ابن جنى في الخصائص (141/2) في تعريفه « واما الادغام الاصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه ، من غير ادغام يكون هنالك ، وهو ضروب .»

وقد اورد ابن جنى من ضروب هذا التقريب : قلب تاء الافتعال طاء اذا كانت الفاء صاد او ضادا او طاء او ظاء (141/2) وقلبها دالا اذا كانت الفاء زاي او دالا او ذالا (142/2) وقلب السين صاد اذا وقعت قبل الحرف المستعمل فتقرب منه (142/2) واورد ايضا تقريب الصاد من الزاي لجاورة الدال ، في مصدر، والتصدير، وقول العرب في مثل « لم يحرم من فزده» اي من فصد له . ويقدم تفسيراً علمياً في ضوء التقريب ، او الادغام الاصغر ، فيقول في هذا المثل « اصله : فصد له ، ثم اسكنت العين ، على قولهم في ضرب : ضرب (بتسكين الراء بدل خفضها) وقوله (القطامي) :

ونفحوا في مدائهم لطاروا

فصار تقديره : فصدله ، فلما سكنت الصاد فضممت به ، وجاورت الصاد - وهي مهموسة - الدال - وهي مجهورة - قربت منها بان اشمت شيئا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر (الخصائص: 144/2) .

ولو ان لغويا محدثا فسر التماثل في هذه الحالة لما خرج مما قاله ابن جنى في هذا التفسير.

كذلك يفسر ابن جنى ما فسر سيبويه من قبل قول العرب : ست (العدد 6) واصلها سدس (الخصائص : 145/2) .

ولم ينس ابن جنى التقريب في الحركات، ونجد من ذلك عنده الامالة « انما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت» اي الفتحة الى الكسرة (141/2) من ذلك عنده الامالة « انما وقعت في الكلام لتقريب العرب : شمير وبعير ورغيف ، بكسر او اللها (143/2) . وقولهم : فعل يفعل (باب فتح) مما عينه او لانه حرف حلقي ، نحو سال يسأل وقوا يقرأ .. » وذلك انهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق ، لما كان موضعاً منه مخرج الالف التي منها الفتحة « (143/2) .

وقد تحدث اللغويون واصحاب المعجمات عن المضاربة والتقريب ، وفسروا في ضوءها كثيرا من التطور الصوتي ، ولكن ما قالوه لم يخرج عما وضع أسسه ، وبين حدوده ، سيبويه وابن جنى . اليس لنا ان نقول ان علماء الاصوات العرب القدماء قد سبقوا اللغويين المحدثين في كشف اسرار التفاعل بين الاصوات المتجاورة ، وابتكار نظرية التماثل Assimilation ؟ بلى .

حَاجَتُنَا إِلَى التَّعَبُّةِ الْعِلْمِيَّةِ

الدكتور محمد يحيى الهاشمي

رئيس جمعية الأبحاث العلمية
حلب (سوريا)

كان القدماء فيما مضى يؤلهون القوة الطافية الجبارة ، لانهم كانوا حيارى لا يدرون من امرهم شيئا ولا يجدون من علمهم مخرجا ، فكان القدماء معدورين في تلك الاتكالية المقيمة ، بل العائقة ايضا في التقدم والاستفادة من مرافق الحياة . اما نحن فغير معدورين في مثل هذا العقم وهذا الخضوع الاعمى . وان السر الحقيقي في هذا التقدم بين الامم هو في التعاون والتكاتف للبحث والتنقيب . تعاونت الامم فتقدمت ولا يمكننا التقدم الا بضم جهودنا الى بعضها بعضا ، وفتح العقول والافئدة للعلوم النافعة وتطبيقاتها العملية ، فالعلم لا يدرس في المعاهد ، والجامعات نحسب ، بل في المخابر والمصانع والمعامل . ومن ثم انه تلك الانقلابات الحيوية التي نجدها في عالم الطب والزراعة والكيمياء والميكانيك والكهرباء والطاقات المختلفة ، فالامم التي كانت في فقر مدقع من جراء ضعف اراضيها في قوة الانبات وصناعاتها متاخرة من جراء قلة مواد الخام والخبرة الفنية ، فبفضل تطبيق العلم على العمل بدلت معالم اراضيها من ضعف في الانبات الى قوة فائقة في ذلك ، فوجدت لها منبعا

في عام 1954 القيت في قاعة دار الكتب الوطنية في حلب محاضرة بعنوان « لماذا تخلف العرب عن الكشوف العلمية ؟ » ، وامتدتها القاءها مع بعض تمديلات على مدرج الجامعة اللبنانية في بيروت في عام 1956 ، ونوهت عنها في المحاضرة التي كنت أقيتها في نفس العام على مدرج الجامعة السورية في دمشق عن الفوسفات ، وقد نشرت نفس الموضوع في اللسان العربي (عدد 5 ، 1967) بعنوان « العرب والكشوف العلمية » ، ولا بد لي هنا من التنبيه الى حاجتنا للتمبئة العلمية لمعالجة تخلفنا عن الامم الراقية ، لان هذا التخلف او بالاحرى التخالذ الذي يلينا به جعل الشقة بيننا وبين المتقدمين بعيدة جدا (1) ، قد نشعر بذلك شعورا صادقا ، ولكننا لا نجد الحاجة الضرورية لتلافي الاخطاء الماضية . وان مجازاة الامم المذكورة في هذه الميادين الحيوية والفعالة لا ياتي بالكلام ولا بالتمني ، بل لا بد من العمل الشمر المنتظم والتعاون والتكاتف . ان عهد المتعة والتقديس ، والاتكالية السلبية قد مضى ، واتي عهد الفكر الصائب والتنفيذ المجدي ، متكافئين لا متخالدين .

(1) لاجل ضرب مثل على تأخرنا وتقدم غيرها من الامم ، فانه تابئني في كل اسبوعين جريدة الكيمياء Chemikerzeitung التي تصدر في هايدلبرغ ولى كل عدد اخبار عن اكتشافات ملن عنها واكتشافات تغطي بزموز فقط ، ولاجل معرفتها يلزم الاتصال بالبيئات اللازمة لكشف النقاب عنها بشروط خاصة ، واتي لا اكاد اطلع على الكشوف الملن عنها فقط ، حتى تفاجئني كشوف جديدة في العدد الجديد ، ونحن منذ الاجيال لم نسجل ولو كشفا واحدا له قيمة . هذا في فرع من فروع العلم فقط .

ثم الى وضع برامج مدروسة مفصلة بطرائق الاستنباط والاستغلال والتصنيع .

لم تمد الحياة تطبيق التواني ولم يعد لتخلف مكان فيها . ولا يزال العلم في حاجة الى المزيد من التقدير ، ولو انه اعطي من الرعاية ما يستحقه لانادات الامة منه خيرا كثيرا ، ولو امكن استخدام العلم في مشروعاتنا لارتفع الانتاج وقلت التكاليف وارتفع مستوى الحياة بين افراد الشعب وكان التقدم العلمي المستمر يخلق ثروات اقتصادية، ولذلك ينبغي تتبع التقدم في العلم والتصرف على موارد الثروة عندنا ، فالعلم تنفق على البحث العلمي بسخاء ، والغريبون مع كثرة المنتسبين للعلم يحفظون كرامة العالم ويسعون دوما لرفع مكانته وتقديمه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . اما نحن فان غايتنا من العلم غاية محدودة ، وهي اما التوظيف او معاطاة بعض المهن المحدودة مثل الطب والصيدلة او غير ذلك للكسب الفردي ، لا لازدياد الثروة القومية واذا حدث ذلك فانه بالنسبة قليل . ونسبي علمنا بالعلم التجاري ، والتجاري الذي يريد الثروة القومية ويؤمن الربح الفردي ايضا . اننا نقول ان فلانا موفق في علمه ومقياس ذلك انه جنى ثروة فردية دون ان يتقدم في اختصاصه ، كما اننا نقول ان فلانا فاشل في عمله وان كان من المساهمين في نهضة صناعية زادت في الثروة القومية ، لانه لم يجن ثروة خاصة . ان الصناعات المحدودة مثل معامل الغزل والنسيج او معامل الاسمنت او الزجاج او غيرها هي ثمرة من ثمرات المتخصصين ، ولو اننا اعطينا لهؤلاء المتخصصين ما يليق بهم من العون المادي او المعنوي لكان للنهضة الصناعية شأن غير شأنها .

ان العلم والتطبيق يحتاجان دوما الى المران والممارسة وان اصحاب الشركات ورجال الاموال ، وجميع الموجهين للمقدرات في الاقطار العربية كلهما مسؤولون عن صقل مواهب الاختصاص ، ولا يخفى ان الاشراك في العمل يكون السبب في صقل المواهب وشحذ القابلية ورفع السوية وجعل البصر حادا ، كما ان الاهمال يعمل مكس ذلك فانه يقتل نواة القابلية في الصميم . يجب علينا الافتخار بقابليات فلة في البلاد ، كما علينا اذا وجدنا من هم ضعفاء في اختصاصهم القيام بتنمية ذلك والابتعاد عن الغلو في ادعاء العلم وزيادة التقدير .

جديدا للخامات الصناعية وسوقا للمنتوجات . ان التخطيط العلمي يلزم ان يمشي مع التخطيط الاقتصادي جنباً الى جنب ، لاننا متى ما علمنا ان من ثمرات العلم النتائج الاقتصادية اقبلنا عليه الاقبال الكلي ، فمن الضروري تنظيم هذا التخطيط العلمي وجعله يسير مع التقدم الصناعي والزراعي جنباً الى جنب ، فالعلم يلزم ان يكون هو المسيطر في حل مشاكلنا في الحرب والسلم على السواء ، لان هذه الامور لا تزدهر الا بالسلم وان الصناعات التي لا تعتمد على ذلك بادت امام الصناعات الحديثة التي اتخذت من العلم هاديا واماما .

نحن نضجع كثيرا من الاوقات في البحث عن الالفاظ بدلا من الترجمة راسا من قبل اختصاصيين في الموضوع ممن عرفوا لغتهم جيدا مع فتح المختبرات للتجارب والاستفادة العملية . ولو ان سلفنا في العهد العباسي عمل ما عملنا لما ترك لنا تراثا شامخا ادرك العالم المتحدث اليوم اهميته وقيمته . ولو ان اليابان لم يقتبس علوم الغرب وصناعاتها راسا وسلسك سلوكنا لبقي حتى اليوم يبحث عن الالفاظ الجوفاء وكان من المتخلفين مثلنا ، ولعله بقي في مؤخرة الامم بدلا من ان يكون في مقدمتها . ان من يريد تعلم السباحة لا يضيع اوقاته في معرفة الالفاظ المتعلقة في السباحة بل عند دراسة قوانينها ان يشديه القول على العمل راسا . حتى اننا يلزم لمعرفة القانون العلمي وضع التدرج المختلفة التي توصلنا من الجزئي الى الكلي .

ان هناك الكثيرين من المدرسين في الاعدادي والثانوي والجامعي مع الاسف يعتمدون على التجارب، حتى ان بعض اساتذة الكيمياء يترفعون عن مسك انبوب الاختبار بايديهم بل يكتفون ببعض التجارب من قبل المساعد او الطالب بالذات ، ويجدون انفسهم ارفع من ان يختبروا بذاتهم ويشقون طلابهم بمعلومات نظرية معقدة هم انفسهم يبيدون عن فهمها . واني شاهدت في الغرب اساتذة كبارا ممن نالوا جائزة نوبل او ان تلامذتهم نالوا هذه الجائزة لا يترفعون عن عمل التجارب بالذات .

نحن اليوم في سبيل نهضة شاملة ، وما زالت في هذه البلاد امكانيات كثيرة من خامات معدنية غير مستثمرة وارض غير مزروعة على النمط العلمي الحديث ومصادر للطاقة والقوة . وكل هذه الامور تحتاج الى عمليات حصر وتقصى وتنظيم وتخطيط ،

انا كثيرا ما نظهر عدم اهمية الاختصاص ونلقى في روع الامة بصورة لا شعورية بان الاختصاصي الوطني هو دون الاجنبي لا من جهة المرات والعمل ، بل من حيث الماهية والجوهر . واعتاد البشر عند تكرار حادثين هما القيام بالتعميم والاستدلال بالشاهد على الغائب ، وبذلك نظن اننا وجدنا قانونا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والحقيقة هي غير ذلك . ان الفروق بين الخبراء الوطنيين والاجانب هي فروق مرضية وليست جوهرية ، واذا اتيح للخبير الوطني ما اتيح للخبير الاجنبي لظهر نفس النتيجة .

متى نبدل التخاذل بالتعاون ونصبح بفضل النضج العقلي اخوانا متحابين ؟ لقد برهننا على اهليتنا في الماضي ، كما برهن نفر منا على اهليته في تلقي العلوم في العالم الاوربي والامريكي في الحاضر ، وكثيرا ما نسمع من علماء امريكيين هم من اصل عربي؟ فلماذا ياترى لم نبرهن على اهليتنا في الحاضر وفي الوطن العزيز ؟ وفي الحقيقة يجب علينا دراسة هذه النقطة الحيوية الهامة ، لا في سن القوانين بل في الدراسة العميقة وتجنب الاسباب المؤدية الى عدم الانتفاع من خبرات امثال هؤلاء . ولعل من اعظم المآسي في الوقت الحاضر في الحياة العلمية هجر نفر لا يستهان به من اهل الخبرة والعلم اوطانهم والانتماء الى امم مختلفة ورغم اني نهيت مرارا الى ذلك وناديت المربين في آخر كتابي عن « المثل الاعلى في الحضارة العربية » فلم يلق ندائي اذنا صافية . نحن اليوم بحاجة ماسة الى تعبئة علمية واسعة النطاق تشمل جميع المهن والطبقات لتأتي تلك التعبئة ، بل ذلك النفير بالثمرة المرجوة .

واذا طالعنا تاريخ العلوم وخاصة في العصر الحاضر لسنا دور العصامية في تركيز العلم فقد قال فولر « ان اول من حضر البولة بطريق التركيب

من المواد غير العضوية) ، وليبيغ (ابو الكيمياء الزرامية) . ولم يكن الاول استادا في جامعة بل مدرساً في مدرسة صناعية ومع ذلك فقد ثبت اسمه في سجل الخلود .

ان التعبئة العامة تستلزم التعاون ، كما تعاون الفرق المختلفة في المارك الحاسمة . فهي لا تقتصر على رجال العلم والمال ومن في يدهم مقدرات البلاد فحسب ، بل يلزم ان تعدى الى اهل الخبرة العملية واهل الادب والفن .

واعتقد ان الادب والفن كماليان لا اساسيان كالزهر على مائدة الطعام ، ولكن اذا لم يكن على المائدة غير الزهور فماذا يستطيع تناوله الجائع المسكين ؟ ان كثيرا من الافكار النظرية بقيت في ادمغة المفكرين لولا ما يتاح لها من عمال ماهرين ابرزوها الى حيز الوجود ، فان نظرية فاراداي في المجال المغناطيسي الكهربائي لها الفائدة العملية ، لولا ما يتاح لسبحس ذلك الحداد الماهر تركيب اول محرك كهربائي ، ولولا اديسون لما تمتعنا بالمصباح الكهربائي وانحاكي والصور المتحركة . . علم ومال وعمل هذه قوام الحياة الثلاثة التي لا بد منها لنهضة علمية حقيقية .

اما الفن والادب فلها صلة وثيقة بالعلم وتفتيح القابلية العلمية . نرى ذلك عند الفنانين والادباء القدماء ، فكل من زار مدينة فينشي في ايطاليا مهبط رأس ليوناردو دافنشي يجد ما اهداه هذا الفنان المبقر للعلم (1) . ولا ينكر احد ما اهداه الشاعر الالماني غوته للعلم ايضا ، وعندما كان وزيراً للمعارف ساهم مساهمة فعالة في تقديم المخترعين والمكتشفين .

واذا نظرنا الى ادبنا القديم نراه على اتصال وثيق بالعلم . ولعل ابرز شخصية تمثل ذلك هي الجاحظ (2) . اما اديبنا في العصر الحاضر فالكثير

(1) لقد اقيم لهذا الفنان والعالم الكبير في مدينة فلورنسا و فينشي من ايطاليا مهرجان بمناسبة مرور 450 عاما على وفاة هذا المبقر . وقد القى محرر هذه الاسطر محاضرة بعنوان : « ليوناردو دافنشي رائد البحث العلمي الطبيعي في اوربا » . بين فيه اهميته في البحث واسبقيته لفرنسيس بيكون المصروف حتى الآن انه الرائد لذلك . ولقد اظهر عالمان بان هذا العالم والفنان الكبير استقى بعض معلوماته عن العرب .

(2) لقد اشتركت في المؤتمر العشرين لتاريخ الطب الدولي العشرين وقدمت بحثا باللغة الالمانية بعنوان : « علم الحياة عند الجاحظ » وبينت في هذا الموضوع اسبقيته لباستور وداروين وغيرهم من كبار العلماء . وقدمت نسخة من هذا البحث الى المجلس الاعلى للعلوم في دمشق .

الفكر من العرب ان يصرخوا صرختهم لايقاظ الضمير الانساني من جهة ولبعث المروءة بين المواطنين من اجل التعبئة العلمية الجديدة التي يلزم ان تتناول جميع الصنف من ابناء الامة من جهة اخرى ، ولكن لا لاجل افناء البشرية والقضاء عليها ، بل من اجل سعادة الانسان ورفاهيته .

لقد كتبت كثيراً في هذا المضمار ولم اجد أي صدى لكلماتي ، فكانها صيحة في واد أو صرخة في رماد ،

منهم بعيدون عن الروح العلمية المصرية ولا يجارون متطلبات الزمن . ندمو الإدباء الى التجند في هذه الصنوف ، لان الحاجة ملحة والتقصير الذي وقعنا فيه يضطرنا الى ان نوجه نداءنا اليهم لتصوير الزمن الذي نحن فيه والواجبات المحتملة علينا .

نحن واقفون على شفاجر ف هار، وان الكشف الحديثة من الطاقة الذرية الى الهيدروجينية الى الكوبلتية الى الصواريخ الموجهة تجعل حياة هذا الكوكب الذي نعيش فيه في خطر ، فعلى رجال

معطيات الاداب الانسانية

في اطار توسيع شبكة الثقافة العربية وتطعيمها بما قد يفيدها من خلاصات الثقافات الاجنبية وتوطيد دعائم التبادل بين معطيات الاداب الانسانية في نطاق اوسع ، يعتزم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي تنظيم دراسات شاملة حول مقومات ومظاهر ثقافة كل امة في مواسم موقوتة مع دراسة مقارنة مع الحضارة العربية .

ولذلك فهو يقترح لسنة 1970 تنظيم موسم ثقافي على الصعيد العالمي تشارك فيه دول مختلفة بدراسات وابحاث تتصل بأداب كل امة ومميزات هذه الاداب .

وقد طلب من بعض الباحثين ان يوافوه بما ستجود به قريحتهم في هذا الباب لتوزيعها في العالم على نطاق واسع .

وتفضلوا بقبول خالص تحياتنا، والسلام .

تنظيم البحث العلمي

مستوى الوطن العربي

الدكتور ابراهيم نحاس

كلية الزراعة - جامعة حلب (سوريا)

وبذلك انشئت في كل دولة مراكز وطنية للبحوث العلمية اخذت على عاتقها القيام بالبحوث المتعلقة بخطة التنمية في الدولة ، الا ان التطور السريع للبحث العلمي في السنوات الاخيرة واتساعه الكبير الذي شمل العالم الا متناهي في الصغر والعالم الا متناهي في الكبر قد حملا الباحثين الوطنيين على التعاون فيما بينهم في مجالات البحث العلمي. وهكذا ولدت في هذه الدول مؤسسات وهيئات مشتركة للبحث العلمي تضم باحثين من الدول المشتركة وذلك بغية التخفيف من كثرة التكاليف التي تتطلبها بعض البحوث والاستفادة من ندرة الاختصاصيين في بعض المجالات العلمية بحيث يجري توحيد جهودهم وتوجيهها في ابحاث متفق عليها من قبل جميع الدول. وقد ظهرت هذه البادرة بوضوح في الدول الغربية .

وقد اتبعت المنظمات الدولية هذه الخطة ايضا وقامت بانشاء بعض المراكز الاقليمية للابحاث العلمية المتخصصة لخدمة مناطق متشابهة مثل مركز الابحاث الهراجية للشرق الاوسط الذي انشيء من قبل منظمة التغذية والزراعة العالمية ومراكز مشابهة في اميركا الجنوبية .

انه لمن الثابت الآن ان البحث العلمي هو المحرك الاساسي لتطور المجتمعات البشرية في عصرنا الحاضر وستزداد أهمية هذا المحرك باضطراد في المستقبل . وقد ظهرت هذه الحقيقة بصورة جلية في البلاد المتقدمة حيث قدم البحث العلمي فوائد عديدة شملت معظم مرافق الحياة . فقد ساعد على اكتشاف الثروات الطبيعية وتنظيم استثمارها واكتشاف الطرق لتفهم قوانين الطبيعة بغية الاستفادة منها في حياة البشر كما ساهم البحث العلمي في دراسة الانسان من وجوه متعددة حيث قدمت العلوم البيولوجية والطبية والاجتماعية فوائد جمة للانسان المعاصر .

لقد ازدهر البحث العلمي بصورة خاصة في الدول الكبرى التي اخذت تخصص له ميزانية ضخمة لخدمة الصناعة والصحة العامة والدفاع الوطني بالإضافة الى اشباع تعطش الانسان لاكتشاف قوانين الكون والاطلاع على أسراره .

وهكذا ولدت في بداية القرن العشرين في تلك البلاد حضارة تعتمد في ابراز شخصيتها على مؤسسات علمية للبحوث وقد ظهرت بوادر هذه المؤسسات في البلاد العربية .

باسلوب علمي حديث بنية ايجاد اسس سليمة لكافة المشاكل الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والدافعية التي تعانيها هذه المجتمعات .

لقد اثبتت تجارب عدد كبير من الدول العربية وغير العربية ان الدول الصغرى تعجز منفردة عن ايجاد الحلول العلمية لمشاكلها المتنوعة والامر يظهر بوضوح تام في الدول العربية التي تعتبر من البلاد النامية التي لا تتوفر عند كل منها على حدة في الملب الاحيان الامكانات البشرية والمادية التي يتطلبها البحث العلمي المتكامل في كافة فروعه ونشاطاته .

ان الوطن العربي بمناخه الفكرية وثرواته الطبيعية يملك دون ادنى شك المؤهلات الاساسية لتطوير شعبه ورفعته الى مستوى الاسم المتقدمة ولجعله يساهم من جديد في تطوير الانسانية جمعاء ، الا ان الامكانات الفكرية مبعثرة وغير منظمة وغير مستغلة لدرجة ان الوطن العربي يعاني بشدة من هجرة الادمغة الى البلاد المتطورة .

ولعل من المسلم به في هذا العصر ان القوة الحقيقية للبلاد العربية هي القوة الناتجة عن القدرة على الاكتشاف والاختراع والابداع وعلى تحويل ذلك الى منتجات متنوعة يمكن ان تستفيد منها المجتمعات العربية . ان بلوغ هذه القوة يتطلب في الدرجة الاولى تنظيم البحث العلمي بشكل يهيئ بيئة ملائمة للكشف والاختراع والابداع على مستوى الوطن العربي .

اننا نؤمن بان هذا هو السبيل الوحيد للارتفاع بالعرب الى مصاف الامم الحديثة . والحقيقة ان تنظيم البحث العلمي على مستوى الوطن العربي سيؤدي حتما الى الاستفادة بشكل فعال من الطاقات الفكرية المبعثرة في هذا الوطن والتي بهاجر قسم كبير منها وذلك من طريق جمعها في مؤسسات مشتركة كما انه سيساعد على تكوين نواة من الباحثين والعلماء المتخصصين في مجالات حيوية من العلوم تؤهل الامة العربية للاختراع على العالم الحديث بنوالمذ هريضة .

ان تنظيم البحث العلمي على مستوى الوطن العربي سيسمح بتوفير الامكانات المادية اللازمة لبعض انواع البحوث التي كان من المعتاد ان تقوم بها

شعرت بعض الدول العربية بعد استيقاظها من غفلتها الطويلة باهمية البحث العلمي في تطويرها الاجتماعي والاقتصادي والفكري وفي الدفاع عن كيانها واستقلالها فاخذت كل دولة عربية تتبج في هذا المجال طريقا تراه مناسباً . الا انه ، نظرا لقلّة الخبرات العلمية القومية المتوفرة في هذه الدول واضطرارها للاعتماد على الخبراء الاجانب وكذلك نظرا لضعف الامكانيات المادية التي يمكن ان تخصص للبحث العلمي عند بعضها فقد نشأ البحث العلمي في كثير من الدول على اسس غير سليمة بحيث لم يستطع ان يؤدي الخدمة المبتغاة منه . كما ان استقلال كل دولة عربية في ابحاثها العلمية قد جعل معظمها يحصر اهتمامه بايجاد الحلول السريعة لبعض المشاكل الزراعية او الصناعية او الاجتماعية الملحة كما جعل بعض الدول العربية عاجزة عجزا تاما عن وضع خطة كاملة للبحث العلمي تخدم كافة النشاطات . وهكذا اهملت في هذه الدول البحوث الطبية والبيترولية والفلكية والجيولوجية والهيدرولوجية ووجوه مختلفة من البحوث الدراسية كدراسة المناطق الجافة وطرق احيائها وبعض البحوث الحراجية كدراسة الاخشاب المحلية وطرق تصنيعها بالرغم من ان هذه البحوث الهمة ترتبط ارتباطا وثيقا بتطور هذه البلاد .

وقد اهملت هذه البحوث بالرغم من اهميتها لسببين هما : عدم توفر الامكانيات المادية لكل هذه البحوث وعدم امكانية توفير الجهاز العلمي الوطني اللازم لتخطيط وقيادة هذه الابحاث والاستفادة منها في الحياة العملية .

لقد اثبتت تجارب العشرين سنة الماضية ان اعتماد الدول العربية في نهجتها على الخبراء الاجانب لا يمكن ان يكون الا حلا مؤقتا ولفترة قصيرة جدا من الزمن كما ان الاعتماد على الخبراء قد اثبت في بعض الدول العربية فشله التام في تحقيق تقدم ملحوظ حتى في ابسط مرافق الحياة .

ولذلك فان البحث العلمي لم يقدم للمجتمعات العربية الفوائد التي جنتها منه الدول الاخرى والتي تجنيها منه باستمرار . ويظهر بجلال تام ان الفرق بين المجتمعات العربية والمجتمعات المتطورة سيرداد باضطراد مع مرور الزمن ان لم تبادر المجتمعات العربية الى وضع كل ما بوسعها لتفجير وتنظيم طاقاتها الفكرية

– لها دور استشاري في مساعدة الدول العربية
الاعضاء في جامعة الدول العربية على تخطيط
سياستها الزراعية والصناعية والتعليمية بحيث
تنسجم مع الابحاث العلمية الجارية في كل بلد عربي
من جهة وعلى مستوى الوطن العربي من جهة اخرى .

– انشاء مراكز ابحاث عربية متخصصة في
البلاد العربية .

– تدعيم الصلات بين مراكز الابحاث المحلية في
كل دولة عربية والمراكز العربية المتخصصة والهيئات
والمؤسسات البحثية في الوطن العربي لتنسيق
نشاطاتها وتبادل الخبرات فيما بينها .

– الاشراف على تعريب المصطلحات العلمية
وتوحيدها بين البلاد العربية (1) وتاليف معجم مصري
للمصطلحات العلمية باللغات العربية والانكليزية
والافرنسية .

– تنسيق التعاون العلمي والتكنولوجي بين
الوطن العربي والهيئات الدولية والبلاد الاجنبية .

– الاشراف على تأليف الكتب العلمية القيمة
من قبل الباحثين والعلميين العرب باللغة العربية او
باللغات الاجنبية وعلى ترجمة الكتب العلمية العالية
الى اللغة العربية .

– الاشراف على اقامة دوريات تدريبية في
حقول متخصصة من العلوم للعاملين وللذين يهيأون
لعمل في البحوث العلمية في الوطن العربي .

– نشر ملخصات دورية عن الابحاث المنشورة
في البلاد العربية وفي العالم على ان تكون هذه
الملخصات مكتوبة باللغة العربية وباحدى اللغات
الاجنبية .

ب – صندوق المنظمة :

للمنظمة صندوق خاص يمول بمساهمة الدول
العربية الاعضاء في الجامعة العربية بنسبة الدخل
القومي لكل منها .

كل دولة عربية على حدة والتي عجزت الدول العربية
من القيام بها حتى الآن مما جعلها من الدول المتأخرة
في مضمات بعض العلوم مثل الابحاث الذرية والفلكية
والطبية والمسكوية ، هذا فضلا عن الروابط المتينة
التي ستنشأ نتيجة هذا الاحتكاك العلمي بين النخبة
المفكرة في البلاد العربية والتي ستكون بمثابة الركيزة
التيينة لاتحاد الدول العربية وتكوين دولة عربية
عصرية تملك كل وسائل النمو والتطور الذاتي وتفيد
الانسانية بقدر ما تستفيد منها . هذا ومن الجدير
بالذكر ان تنظيم البحث العلمي على مستوى الوطن
العربي يخلقه مؤسسات علمية رفيعة سيكون من
العوامل الهامة للاحتفاظ بالعلميين في الوطن العربي
وحتى الآخرين الموجودين في الخارج على العودة الى
الوطن الام للمساهمة في نموه بعد ان توفرت لهم
البيئة العلمية الملائمة لابعابهم والامكانيات المادية
لحياتهم .

اسس تنظيم البحث العلمي

ولبلوغ الاهداف التي حددناها في الفقرة
السابقة تقترح انشاء مؤسسات الابحاث التالية :

- منظمة عربية عليا للابحاث العلمية .
- مراكز ابحاث عربية متخصصة .
- مراكز محلية للابحاث .

وسنهتم في هذه المذكرة بصورة خاصة بالمنظمة
العربية العليا للابحاث العلمية وبالمراكز العربية
المتخصصة اذ ان المراكز المحلية للابحاث هي من
اختصاص كل دولة على حدة .

المنظمة العربية العليا للابحاث العلمية :

نشأ هذه المنظمة على مستوى الوطن العربي
وهي تعتبر الهيئة البحثية العليا في الوطن العربي
وتلحق بجامعة الدول العربية .

1 – اهداف المنظمة :

– اعداد خطة الابحاث العلمية واعداد الباحثين
على مستوى الوطن العربي .

(1) ذلك من اختصاص المكتب الدائم للتعريب بقرار من مجلس جامعة الدول العربية في دورها
المادي الحادي والخمسين (مارس 1969) والمكتب الدائم منكب الان ضمن تصميمه المشاري
على اعداد معجم علمي وتقني هام بثلاث لغات .

ج - بنية المنظمة :

ان مدة العضوية هي اربع سنوات يكون العضو فيها بعيدا عن كل تدخل حكومي وكل مساس بحريته ويعاد انتخاب خمسة من اعضاء المجلس كل اربع سنوات .

تتكون المنظمة من اللجان والمجالس التالية :

- مجلس الوزراء .

- المجلس العلمي للمنظمة .

- اللجان المتخصصة .

للمجلس العلمي رئيس ونائب للرئيس يجري انتخابهما من قبل المجلس العلمي بالاكثرية العادية لمدة اربع سنوات .

ج - 1 - مجلس الوزراء :

تلخص اختصاصات المجلس العلمي فيما يلي :

- مناقشة خطة الابحاث المقترحة من قبل اللجان المتخصصة وتنسيقها والقيام باقرار خطة الابحاث العامة الطويلة الامد والبرنامج السنوي للابحاث في مراكز الابحاث العربية المتخصصة .

يتألف مجلس الوزراء من ممثلين للدول الاعضاء في الجامعة العربية على مستوى الوزراء المختصين (وزارة التخطيط ، وزارة البحث العلمي) ويشغل رئاسة المجلس ممثلو الدول فيه بشكل دوري .

يختص هذا المجلس بما يلي :

- مناقشة ميزانية الابحاث المقترحة من قبل اللجان المتخصصة ووضع الميزانية السنوية للابحاث .

- تنسيق العمل بين الحكومات التي يمثلها وبين المنظمة العربية العليا للابحاث بغية تنفيذ القرارات المتخذة .

- تقديم مشاريع اللوائح التنظيمية التي يراها ضرورية لتحقيق اهداف المنظمة الى مجلس الوزراء لاقرارها .

- الموافقة على خطة الابحاث الموضوعية من قبل المجلس العلمي للمنظمة والمقترحة من قبل اللجان المختصة .

ج - 3 - اللجان المتخصصة :

وهي لجان مؤلفة من اعضاء متخصصين في فروع العلوم التي يراد الاهتمام بالتوسع في دراستها وتتألف كل لجنة متخصصة من عشرة اعضاء يتم تعيينهم على فرار تعيين اعضاء المجلس العلمي للمنظمة .

- الموافقة على الميزانية المقترحة من قبل المجلس العلمي للمنظمة وقرارها .

تقترح كل لجنة خطة الابحاث الطويلة الامد الخاصة بها على مستوى الوطن العربي والبرامج السنوية للابحاث وتعرضها على المجلس العلمي لاقرارها .

يجتمع المجلس في دورة عادية في شهر تشرين الاول (اكتوبر) من كل عام كما يجتمع ايضا بناء على طلب المجلس العلمي للمنظمة او بناء على طلب احد اعضائه .

ويمكن انشاء اللجان المتخصصة التالية :

يتخذ المجلس قراراته باكثرية عشرة اصوات من اصل اربعة عشر صوتا وتعتبر القرارات نافذة وملزمة بالغاية والوسيلة .

ج - 2 - المجلس العلمي للمنظمة :

لجنة الابحاث الطبية - لجنة الابحاث الدرية -
لجنة الابحاث الفضائية - لجنة الابحاث الزراعية -
لجنة الابحاث الجيولوجية - لجنة الابحاث الكيميائية -
لجنة الابحاث الحراجية - لجنة الابحاث الفيزيائية - لجنة الابحاث العسكرية .

وهو يتألف من احد عشر عضوا يعينهم مجلس الوزراء اي ان تعيين الاعضاء يكون جماعيا وينظر فيه الى اختصاص المرشح للعضوية وكفائه العلمية ونزاهته دون النظر الى اعتبار آخر .

مراكز الأبحاث العربية المتخصصة :

وهي مراكز تنشأ في بلد عربي معين بناء على قرار صادر عن المنظمة العربية العليا للأبحاث العلمية للاهتمام ببحوث متخصصة تهم الوطن العربي أو قسم منه وذلك للتخفيف من كثرة التكاليف ولندرة الاختصاصيين بحيث يتطلب الأمر تجميعهم في مؤسسة واحدة تخدم مطالب أكثر من بلد، وتكون هذه المراكز تحت إشراف المنظمة العربية العليا للأبحاث العلمية المباشر .

ومن أمثلة هذه المراكز التي يمكن انشاؤها في الوطن العربي :

مركز الأبحاث البيولوجية ويمكن انشاؤه في الكويت - مركز الأبحاث الذرية في الجمهورية العربية المتحدة - مركز أبحاث المناطق الجافة في الجمهورية العربية السورية . الخ ..

إدارة المركز العربي المتخصص :

يدير المركز العربي المتخصص مجلس إدارة يتألف من :

- رئيس المركز وهو رئيس المجلس

- ممثل عن اللجنة المتخصصة في المنظمة العربية العليا للأبحاث العلمية .

- ممثل عن المركز المحلي للأبحاث في البلد الذي يوجد فيه المركز (أو ممثل عن الهيئات البحثية المعادلة له)

- ممثل عن الجامعة . (القسم المتخصص) .

- رؤساء الأقسام في المركز نفسه .

الميزانية :

ميزانية المركز مستقلة ويساهم فيها البلد الذي يوجد فيه المركز بحدود 15 ٪ والمنظمة العليا للأبحاث العلمية بحدود 85 ٪ .

تعيين الباحثين :

يجري تعيين رئيس المركز العربي المتخصص

والباحثين من قبل المنظمة العربية العليا للأبحاث وذلك دون النظر إلى الجنسية بالاستناد إلى كفاءته العلمية والخبرة والنزاهة .

الملاك ونظام الترقيع والرواتب :

يضع المجلس العلمي للمنظمة العربية العليا للأبحاث ملاكا موحدا لكل المراكز العربية المتخصصة ونظاما موحدا للترقيع للباحثين وجدولا بالرواتب والتعويضات الخاصة بالباحثين والموظفين والعاملين في هذه المراكز .

المراكز المحلية للأبحاث :

وهي مؤسسات للأبحاث العلمية تنشأ في كل بلد عربي تكون مسؤولة عن إجراء الأبحاث العلمية المتوقعة التي تخدم التنمية في الدولة .

وتحتوي هذه المراكز على أقسام الفروع للعلوم المتنوعة :

قسم الأبحاث الزراعية وقسم الأبحاث الحراجية وقسم الأبحاث الجيولوجية وقسم الأبحاث الطبية وقسم الأبحاث الكيميائية الخ ...

ان كل دولة حسب إمكاناتها المادية والبشرية وحسب حاجتها يمكنها ان تركز اهتمامها على قسم معين من الأبحاث أكثر من غيره الا انها تستطيع ان تستفيد من المراكز العربية المتخصصة للأبحاث لإيجاد الحلول لمشاكلها التي لا تستطيع ان تجد لها حلا بنفسها اما لأسباب مادية أو لندرة الاختصاصيين أو غير ذلك .

ومن هنا تبرز أهمية المراكز العربية المتخصصة للأبحاث في دعم المراكز المحلية للأبحاث وفي دعم خطط التنمية عند حكومات الدول العربية

ومن الجدير بالذكر بأن هذه المراكز المحلية للأبحاث العلمية يجب ان تعمل بانسجام تام مع الأبحاث العلمية التي تجري في الجامعات ولذلك فاننا نقترح ان يوجد ممثلون عن الجامعات في مجالس إدارة هذه المراكز وفي اللجان المتخصصة المتفرعة منها

الغريب أهـ وسائل تفرنا العلي

الدكتور عبد الغني ماجد السروي

تفضل الاخ الدكتور فاتح «اللسان العربي» بهذه المحاضرة القيمة التي
لقاها في المؤتمر العربي السادس لطب الاسنان ببغداد ونحن نشرها شاكرين :

ولا يضيق منه الزر مختقنا
ولا يصحن ايضا عند سخطه
هذا العلاج ومن يعلم به سيرى
آثار خير ويكفي امر عنته

انها شكوى مريض ... ؟ وصفة طبيب لم تكتب
بالصيفة اليونانية ولا السريانية ولا الفارسية وانما
كتبت باللغة العربية .. وبلغة الاحساس المرهف بلغة
الشعر ... لقد كان ابن سينا على علم باللفسات
الامجية ولكنه لم يصف علاجه الا بالتماير العربية
التي اتقن علمه بها وحبر كتبه فيها فترجمت الى معظم
لغات العالم وظلت زهاء ستة قرون المرجع العالمي في
الطب ، واستخدمت كأساس للتعليم في جامعات
فرنسا وايطاليا وظلت تدرس في جامعات مونبلييه
حتى اواخر القرن التاسع عشر ... !

وانه لمن دواهي البشر ان استوحى من كلمات
طبيبنا العظيم القوة على معالجة موضوع نحن في
امس الحاجة اليه اذ تعريب مصطلحاتنا الطبية وان
شئت فقل نقل علومنا الطبية . وقد كان لسى شرف
المثول على هذا المنبر في مؤتمرين اثنين الاول في
بيروت والثاني في عمان وقد اتخذت فيهما التوصيات

شكا الوزير ابو طالب العلوي آثار بشر في جبهته
الى الحكيم ابن سينا ونظم شكواه شعرا وانفذه اليه :

سنيعة الشيخ مولانا وصاحبه
وفرس انعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه ادام الله مدته
آثار بشر تبادى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مفتنما
شكر النبي له مع شكر عترته

فاجاب الشيخ الرئيس من ابياته ووصف في
جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

الله يشفي وينفي ما بجبهته
من الادي ويعافيه برحمته
اما العلاج فاسهال يقدمه
ختمت آخر ابياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من
دم القدال ويفني من حجامته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا
يدني اليه شرابا من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد ممتصرا
فيه الخلاف مدانا وقت هجمته

نعتمد في رأينا واقوالنا وسلوكنا على ما رأينا وسمعنا في النالها وتناسى ما لنا من تقاليد وعادات .. ولعل لهؤلاء البعض مدرهم ان تنكروا لدوائهم ... بيد انه لا مدر لهم ابدا ان هم وازنوا بين مستوى الامة التي درسوا عنها او فيها ... وبين مستوى بلادهم لان عليهم رسالة يجب ان يؤدوها الى اهليهم والى وطنهم والى شعبيهم ، واهم ما في هذه الرسالة هو نقل العلوم التي اقتصروا بها الى لسانهم الاصلي لبنوا مع البنائين لبنات حضارتنا العربية وستكون باذن الله منارا للانسانية ورحمة للعالمين ...

وانني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل يترك راسه حيث تصلم وقدومه حيث يمشي ... وانه لمن القريب حقا ان يتنكر احد لثقته وينسفر عن تاريخه ومقدساته ويترك الياس يدب الى قلبه يوهن من عزالته يتألف ويتفجر ولا يضع الحلول البناء التي تخرجنا مما نحن فيه والله در شوقى حين قال :

مثل القوم نسوا تاريخهم
كلقيط عبي في الناس انتسابا
او كغلوب ملى ذاكرة
بشنتكي من صلة الماضي انقسابا

وانني اقول لزملائنا الكرام الذين كانت جل دراستهم بلفة اجنبية ان يعاوسوا الترجمة والتعريب وان ينموا احساسهم بتدقيق مصطلحات لغتهم العربية ليكون مجهودهم مشمرا مفيدا عظيما واتي امتقد ان من واجبه ان يترجموا كما ان من واجب الدولة ان تنتقي منهم المترجمين المبرزين لتدفع رواتب سخية كما كان ايام الملمون فيحكى عنه انه كان يدفع رواتب خيالية لكبار المترجمين ، اذ يقال ان راتب كل من حنين بن اسحق وحبيش الاسم وثابت بن قره بلغ خمسمائة دينار في الشهر ، وهو مبلغ لا تكاد نتصوره لمترجم حتى يومنا هذا . ويقول ايضا انه كان يوزع في كل اسبوع يوم الثلاثاء جوائز عن الاعمال العلمية والادبية الممتازة . واصبحت الكتابة والاشتغال بالعلوم والآداب من اعظم المهن حتى لقد ذاع المثل القائل : الكتابة اشرف المهن بعد الخلافة .

لقد سمعتم حتى الان محاضرات عديدة باللغة العربية ، فهل شعرتم بغرابة او استهجنتم احداها ام انكم وجدتم فيها لذة ومتمعة ووقعا محببا الى نفوسكم .

والقرارات التي تناسب ما نحن بصدد بحثه آنذاك على ان نلتزم به الحكومات العربية وتنسق الممثل المؤدي اليه والى حسن تنفيذه .

ودارت الايام واقف اليوم للمرة الثالثة لا لاردد ما قلته في المرة الاولى على لسان المتنبى :

ولكن الفتى الصربي فيها
فريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان

ولكن لاقول كلمتي في هذا الشأن يحفزني الى القائها عروبة جبلت بدمي وايمان بان الفرصة مؤاتية ليكون لاطباء الانسان العرب اول منطلق لهم نحو تأمين نقل علومهم بالجهد والصبر والتنظيم فنحدو بذلك حدو الاقوام التي تحترم نفسها وتحافظ على لغتها وكرامتها .

واحمد الله ان سهل لنا هذا اللقاء الاخوي فالف بين قلوبنا وقابل بيننا لتبادل الرأي وتداول البحث والمشورة ، فنندني ابنا علم الانسانية ليكون عوننا لنا على خدمة شعبنا من هنت المرض وعودة الداء .

ولكني اساءل كيف يمكن ان ندني علم الانسانية ايننا ؟

وكيف يمكن ان ناخذة وننقله ونتفاعل معه ونبتكر فيه ؟

ان الامر ميسور لتحقيق ما نساله فقد افاء الله على امتنا العربية بكثير من العلماء الانداز الذين اتقنوا علمهم في وطنهم واخصوا بجزء منه في البلاد الاجنبية وقدمت لهم المسامدات المستطاعة ليقتفوا الثمار الضرورية لهضة علمنا العربي وليكونوا اهلا للبحث والارشاد .

وعلى الرغم مما يظهره بعضهم من كبرياء وصلف على ثقافات غيره ، وادعائه بان يكتفي بالنهل الذي نهل منه ، على الرغم من كل ذلك فهناك فئة واعية لمتطلبات وطنها وحاجاته ، تود ان لا تتأثر شخصيتها الى الحد الذي يفقدها اصالتها لدرس بضع سنين في بقعة من هذا العالم لا يجيز لنا ان

الا تتمنون معي أن تكون لكم القدرة على الاداء
بهذه اللغة الحبيبة ؟ قولوا بربكم ألم تمازج نفوسكم
وتنهفوا اليه افئدتكم ؟

انا وايم الحق يجب ان نعرف واقع لغتنا
الذي هو استمرار لواقع لغوي سبقه مع وجود
اختلاف هين بين كلا الواقعيين ، شأن الكائن الحي
المتطور يفيد من تقدم الزمن ، ومن صلته بالآخرين
والؤكد لكم ضرورة رعاية هذا الواقع اللغوي في الوطن
العربي وتناوله بالدراسة على ضوء ما سبقه مما ورد
موصوفا في المراجع لتكتمل بذلك حلقات اللغة
الفصحى ، ونحس نحن العرب اننا امة ينبغي ان تعتر
بماضيها اذا كانت تريد ان تعز في حاضرها وتؤمن
بان الفصحى التي حملها العرب الاولون ليفتحوا بها
اوطانها ويفزوا بها لغات ووطنات في الشرق والغرب
هي **الرابطة الوحيدة التي يمكن ان تجمع العرب في**
كل مكان ، وقد اورد المفكر الفرنسي الكبير الاستاذ
جاك بيريك في محاضرة له على مدرج جامعة دمشق
خلال شهر تشرين الثاني 1967 قوله « **ومن الثوابت**
ايضا اللغة واقول : ان التفسيرات الاقتصادية اذا
كانت تنكر اهمية اللغة ، فليس ذلك ممكنا لو احد مثلي
عاش مع الحضارة العربية ، ووجد ان اللغة العربية
تضمن منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اليوم البنى
ذاتها ، تلك البنى اللغوية التي هي في الوقت ذاته
بنى معنوية او خلقية واجتماعية فمن حق المجتمعات
العربية ان تكافح في سبيل **الحفاظ على لغتها الاصلية**
بصورة خاصة . وما يمكنها بهذه اللغة الانوع من
التعلق بما اُسِمه الثوابت التي تمكننا من اجراء بعض
التبدلات حسب ضرورات كل عصر » .

اسمحوا بدعوتكم لسماع نص صغير لوصف
تسريح الغزالة في كتاب حي بن يقظان لابن الطفيل
الاديب والطبيب الاندلسي اذ يقول :

(فصار لا يدنو اليه شيء منها سوى الظبية
التي كانت ارضته وربته ، فانها لم تفارقه ولا فارقتها،
الى ان اسنت وضعت ، فكان يرتاد بها المراعي
الخصبة ، ويجتني لها الثمرات الحلوة ويظمها .

وما زال الهزال والضعف يستولي عليها ويتوالى
الى ان ادركها الموت ، فسكنت حركاتها بالجملة
وتعملت جميع اعمالها ...

فلما نظر الى جميع اعضاءها الظاهرة ولم ير
فيها آفة ظاهرة . وكان يرى مع ذلك العظلة قد شملتها
ولم يختص بها عضو دون عضو - وقع في خاطره ان
الآفة التي نزلت بها ، انما هي في عضو غائب عن
العيان ، مستكن في باطن الجسد ، وان العضو لا
يفني عنه في فعله شيء من هذه الاعضاء الظاهرة .
فلما نزلت به الآفة عمت المضرة وشملت العظلة ، وطمع
لو انه عثر على ذلك العضو وازال ما به ، لاستقامت
احواله وفاض على سائر البدن نفعه ، وعادت الافعال
الى ما كانت عليه ...

فعمز على شق صدرها وتفتيش ما فيه ، فاتخذ
من كسور الاحجار الصلدة وشقوق القصب اليابسة ،
اشباه السكاكين وشق بها بين اضلاعها حتى قطع
اللحم الذي بين الاضلاع . وافضى الى الحجاب
المستبطن للاوضاع فراه قويا ، فقوي ظنه بان مثل
ذلك الحجاب لا يكون الا لمثل ذلك العضو بانه اذا
تجاوزه لقي مطلوبه فحاول شقه ، فصعب عليه لعدم
الات لانها لم تكن الا من الحجارة والقصب
فاستجدها ثانيا واستحدها وتلطف في خرق الحجاب
حتى انخرق له ، فالضى الى الرئة فظن اولاً انها
مطلوبه لما زال يقبلها ويطلب موضع الآفة بها ...

وجرد القلب فراه مصمتا من كل جهة فنظر هل
يرى فيه آفة ظاهرة ؟ فلم ير فيه شيئا فشد عليه يده
فتبين له ان فيه تجويفا ، فقال لعل مطلوبي الاقصى
انما هو في داخل هذا العضو وانا حتى الان لم اصل
اليه فشق عليه فراى فيه تجويفين اثنين : احدهما
من الجهة اليمنى والاخر في الجهة اليسرى والذي
في (الجهة) اليمنى مملوء بعلق منمقد والسدى في
(الجهة) اليسرى خال لا شيء فيه فقال :

لن يعدو مطلبني ان يكون مسكنه هذين
البيتين «

... اتها وربي الجزالة والفصاحة والعلم ، فما
احلى هذا الجرس والقوى هذا البيان واشرق هذه
المعاني ، فهل تترك هذه اللغة القوية لتلحق بالوطنات
الاجمبية . فتعالوا يا اخواني لترجع الى فصاحتنا
ففيها الخير العميم ؟

نحن لم نعدم الرجال المخلصين والعلماء النابغين
من ذوي الناة والهدف البعيد الذين قدموا الحلول
البناءة ليأخذ العلم العربي مجراه ويصبح مسأيرا

اجنبية واحدة على الاقل تساعده على متابعة العلم وتطوره . والعمل على تنسيق نظم التدريس بين مختلف البلاد العربية وبادل المدرسين بين البلاد العربية حسب الامكانيات ويجاد اتحاد لكليات الطب في البلاد العربية يسمى الى تحقيق هذه التوصيات .

لا تتحقق هذه التوصيات بالنسبة لنا الا بتوحيد جهودنا على مستوى وطننا العربي الكبير وعلى الخصوص البلاد التي تملك كليات لطب الاسنان وذلك بانشاء مؤسسة علمية لطب الاسنان لانها ضرورة من ضرورات بحثنا العلمي الحديث لان عددا كبيرا من العلماء في شتى انحاء العالم ينشرون تبارا ضخما من المعلومات حول ابحاثهم . وهذه المعلومات ترسل عادة على شكل تقارير ونشرات واوراق ومقالات ومجلات ، وان تطور بحوثنا وتشجعها جعل الاطلاع على ما يجري من ابحاث البلدان الاخرى ضرورة لا بد منها ، هذه الضرورة بالذات تدفعنا الى وضع برنامج خاص بالترجمات العلمية ، حتى يتسنى للمترجمين ترجمة هذا السجل من الابحاث العلمية الواردة من الجامعات العلمية من الشرق والغرب على السواء . ولا اكون مخطئا اذا قلت انه لا يصلح علم آخر هذه الامة الا بما صلح به علم اولها فان دار الحكمة التي انشأها المأمون التي كانت مكتبة ومؤسسة للترجمة كانت اجمل هدية تنفق ومزاج الجمهور العربي في ذلك التاريخ . ونعلم ان دور الكتب العربية في ذلك الوقت نمت في كل مكان نمو العشب في الارض الطيبة ففي عام 891 م احصى مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد باكثر من مئة . وبدأت كل مدينة تبني لها دارا للكتب يستطيع اي انسان استعارة ما يشاء منها وان يجلس في قاعات المطالعة ليقرا ما يريد ، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خصمت لهم يتجادلون ويتنافسون كما يحدث اليوم في ارقى الاندية العلمية .

فمكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق كانت تحوي في القرن العاشر اربعين الف مجلد بينما لم نحو اديرة الغرب سوى اثني عشر كتابا ربطت بالسلاسل خشية ضياعها . وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة ، بل انه كان لكل مستشفى يستقبل زواره قاعة صفت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور تباع لتكون مادة لدراسة الطلاب ومرجعا للاطباء ، يقفون منه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث . فاین هي تلك المكتبات الحافلة بالكتب العربية ... الكتب التي لم تكن مطبوعة على آلة بل

لمهضة العلم العالمية فاقروا مبدا الترجمة والتعريب وترجموا حسب امكانياتكم الفردية مصطلحاتنا العلمية واستنكروا تلك الصيحات التي تمزق الى اللغة العربية نصوصها من احياء كلمات تنسجم مع هذه المصطلحات او توليد كلمات لها معان تلبى حاجة تطور العلم الذي يطالبنا كل يوم باختراع جديد وكشف حديث .

ومن نافلة القول ان نتجاهل واقمنا اللغوي الخالد واقع العربية الفصحى التي نصوص بها شعرنا ونثرنا وحديثنا الجاد وحياتنا الراقية ، العربية التي فرضت وجودها منذ وجدت واستوت على المثال الذي ندرسه وننطقه فمند فجر التاريخ هذه اللغة لم ينقطع حتى الان استعمالها من الالسن الناطقة بالضاد وساعد على استمرار هذا الوجود ذلك التراث الادبي العظيم وفي قمته القرآن الكريم ، تلك المعجزة البيانية الخالصة التي كفلت للفصحى دوامها وبقاؤها بدلا من تفرقها الى لغات شتى ، كما منحنا استقرارا في الصورتين اللغوية والتعبيرية على مدى القرون وليس من المقبول ان يقال بان حديثنا العربي لغة متكلفة مصنوعة بل هو عادة وسجية تناولتها يد التعليم والتربية بالتهذيب والتعديل فهي عملية لا بد منها لكل ناطق بلغة حية . فالانكليزي مثلا يتلقى من ابويه لغة الحديث الجارية ولكنه يهدب نطقه ويقوم لسانه في مراحل التعليم المختلفة ليستطيع دراسة آداب لغته ومواصلة البحث العلمي بها . . ولا يمكن القول بان الطريقة التي يلتحقها الطفل في الريف الانكليزي هي الصورة المثالية لنطق الانكليزية التي يريدتها المجتمع الانكليزي لغته وللناطق بها ، وكذلك اللغة الروسية والفرنسية والالمانية وغيرها . ولا يمكن القول بان اللغة المدرسة في معاهد التعليم هنالك مصنوعة متكلفة لمجرد اختلاف ما بينها وبين سابقتها .

لا احب ان يفهم من قولي انني امج تعلم اللغات الاجنبية ولكني احب ان اقرر ان الضرورة ملحة لاقتان اللغات على اختلافها وان تكرر كلها لانصاء مداركنا وابحاثنا العلمية التي شحت مياها وهي بحاجة الى روافد .

طالمت في الصحف من زمن قريب توصيات اللجنة الصحية الدائمة لجامعة الدول العربية فكان من جملة هذه التوصيات ان تهيء الدول العربية جميع الاجراءات الكفيلة بجعل اللغة العربية لغة التعليم الطبي وفسح المجال لطالب الطب لاقتان لغة

يحشد فيه أكبر عدد من العلماء المختصين بالترجمة ولا بد من إيجاد جماعات تتكلم لغات أجنبية متعددة فنستطيع أن نترجم عددا كبيرا من الوثائق والأبحاث الأجنبية . وأن يكون هؤلاء المترجمون في مستوى علمي لا يقل عن مثيلهم في البلاد الأخرى .

ولما كان من الصعب أن يوجد عالم وأديب في آن واحد ، ومن الصعب أيضا أن يوجد مترجم مارس البحث العلمي في لغتين مختلفتين في آن واحد لهذا السبب فإن مخطوطة الترجمة بعد أن ينتهي منها المترجم يجب أن تحول إلى قسم التحرير لينظر فيها قبل أن تدفع إلى المطبعة فتعمر على قسم التحرير العلمي حيث يعاد النظر بالتعابير العلمية التي تتطلب الدقة وقد يستدعي المترجم للدلالة ببعض الأيضاحات والاتفاق معه على المصطلحات عندها تحول المخطوطة إلى القسم الأدبي حيث تجري التصحيحات بالاتفاق بين كل من المحرر الأدبي والعلمي .

ولكي نقضي على الفوضى في وضع المصطلحات العلمية والطبية أو التخصص من أوصافها وأوصافها يجب حصر جميع المصطلحات التي وضعت وانتخاب الإصالح منها وأن تؤلف لجنة من البلغاء يجرون هذا الانتخاب وأن تكون المعاجم الموجودة حاليا هي المنطلق الأول في ذلك كالمعجم الكثير اللغات من الأفرنسية إلى العربية ومعجم يوسف حتى من الإنكليزية إلى العربية أو اعتماد قاموس الاتحاد الدولي لطب الأسنان (Dental Lexicon) وغيرها .

ولا بد كذلك أن تقف على كثير من الأسباب التي طرقها كتابنا وأدباؤنا الأولون لناخذ من تعابيرهم ما يخدم مجريات علمنا الحديث ويعزز لغتنا ويقويها . فاسمحوا لي أن أسمعكم شيئا مما ذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين قال :

« قال صحت التجربة وقامت المبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة من الحروف، منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الأخر .

وقد رأينا تصديق ذلك في الفواه قوم شاهدتهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم وبعد أن بقي منها الثلث أو الربع .

نسخت باليد وبدل فيها كاتبوها مجهودا مضنيا دام شهورا طويلة وأحيانا يفتح سنوات ، ولم تكن تلك الكتب رخيصة الثمن فقد تقاضى ابن الهيثم مثلا 75 درهما أجرا لنسخ مجلد من مجلدات إقليدس ، وهو مبلغ لا يستهان به عاش منه ابن الهيثم ستة أشهر . ولقد ترك ابن الجزار الطبيب والرحالة القيرواني عند وفاته 250 طنا من لفائف رق الغزال التي كتبها بنفسه .

هكذا كانت مؤسسات الترجمة والتعريب عند أجدادنا فهل أعددنا مثلها ؟

وهل في مكنة أمة ناهضة ترغب في مساهمة العصر أن تتخلف عن إدراج علم العالم إلى لغتها ليكون العلم في متناول كل شغوف بالمطالعة والبحث . وجل ما يميزنا في الوقت الحاضر عن أجدادنا أنهم وجدوا علما سابقا فاقبلوا على نقله ثم زادوا عليه وأذابوه في بوتقة علمهم وعبقريتهم ورفدوا الإنسانية بابتكاراتهم وابعائهم .. أما نحن فنجد علوما تسيرو معنا وتسبقنا فلذا كان من الضروري الإطلاع عليها وعلى كل ما يصدر منها لنا بعدد جولات في مسيرة الحضارة الحديثة .

ومما يلاحظ في زمننا الحاضر أن الاختصاص أخذ يلعب دورا هاما في تطور الأمم ، وعلى الأمم التي ترغب بالبقاء والاستمرار أن تتجه كليا نحو التخصص العلمي في شتى ميادينه والإنسان المختص في عالم اليوم هو الرجل الذي يعرف كثيرا وعليه أن يقرأ الكثير مما يكتب حول حقل معين من ميدان اختصاصه والا فلا يمكن إطلاق اسم (الاختصاص) على علمه وبعثه .

ولكن هناك صعوبة تواجه الاختصاص في شتى البلدان وهي أن الأبحاث العلمية التي تنشر تكون عادة مكتوبة بلغات مختلفة متعددة ولا يمكن لعالم مهما كان عظيما أن يتجاهل أبحاث ومكتشفات العلماء الآخرين ...

وكذلك لا بد أن يعمل برنامج للترجمة والتعريب على نقل شتى الأبحاث العلمية الجارية إلى اللغة العربية ووضعها تحت تصرف العلماء الباحثين في شتى المخابر والمراكز والمعاهد والجامعات العربية . ولا بد أن يكون لهذا البرنامج استقلال ذاتي

كمنع نسما ونسوما : انحسرت اللثة واسترخت ،
كنسعت ونثيتاه خرجتا من العمر والمرأة نسما ونسوما
طال ظهرها او سنها او بطنها . وهذا المعنى قريب من
المعنى المطلوب .

ولناخذ مثلا آخر لما ورد ذكره على لسان
العرب :

فلو ربت الاسنان كما نطق بها العرب لاصبح
هذا الترتيب على النحو التالي :

**الثنية والريامية والنايب والفاحك والمارهي
والطاحن والرحسى والناجد وهذه الاسماء خبير من
الاسماء المركبة .**

ولو اخذت كلمة القصم لامكن استعمالها في
انكسار السن عرضا . فيقال : رجل اقصم الثنية
وامرأة قصماء من قوم قصم .

وكذلك كلمة الانقياصي لامكن استعمالها
لانشقاق السن طولاً فيستقط نصفها او بمضغها .
وكلمة القضم فيقال قضمت اسنانه تقضم قضمًا ،
وذلك اذا انكسرت اطراف اسنانه وتفلتت .

وكلمة العجور : وهو صفة تركب الاسنان ، فاذا
كثرت وغلظت لم اسودت او اخضرت فهو القلح
وامرأة قلحاء وقوم قلح .

وهناك كلمات لا حصر لها يمكن الاستفادة منها
او احياؤها، وليس لدي وقت كي استرسل في سردها
وبيان جمالها وتوافقها واني اختتم كلامي بابيات لابن
سينا حكيمنا العظيم بقول فيها :

هدب النفس بالعلوم لتترقى
وذو الكل نهى للكل بيت
اتما النفس كالرجاجة والمعلم
سراج وكلمة الله زيت
فاذا اشرفت فانك حيي
واذا اظلمت فانك ميت

والسلام عليكم ورحمة الله .

وكان عبد الله بن ابي لسان ظريفا يصرف
لسانه كيف شاء ، وكان الالاحاح على القيه قد برد
اسنانه ، حتى لا يرى احد منها شيئا الا ان تطلع في
لحم اللثة او في اصول منابت الاسنان .

وكان سفيان ابن الابرذ الكلبي كثيرا ما يجمع
بين الحار والبار فتساقطت اسنانه جمع ، وكان في
ذلك كله خطيبا بينا .

وقال اهل التجربة ، اذا كان في اللحم الذي
فيه مغازز الاسنان تشمير وقصر سمك (التشمير :
التقليص ، والسمك بالفتح الارتفاع) ذهبت الحروف
وفسد البيان .

كما يجب ان تقوم لجنة ثائية بحصر المصطلحات
العربية المشوثة في معاجم اللغة العربية وارى ان يكون
الانطلاق من كتاب المخصص لابن سيده وكتاب خلق
الانسان لابن ثابت وما يشبههما .

ولا بد ان تاخذ هذه اللجان بعين الاعتبار اصول
التعريب من حيث التعريب اللفظي او المعنوي او
توليد معان جديدة او نحت كلمات جديدة . ولا يجوز
ان ننحت كلمة الا اذا اميتنا وسائل اللغة عن ايجادها
في بطون القواميس وعلى سبيل المثال فقد ترجمت
كلمة (La Pyorrhée) او (Parodontium)
او (Periodonitum) بكلمة (الرهال) وامتد في ذلك
على نحت كلمة (رعل) التي ترمز حروفها الرء الى
الرباط والعين الى العظم واللام الى اللثة .

فلو فتحت القاموس - وليكن قاموس المحيط
للفيروز آيادي - لوقفت في هذه الكلمة على تفسير
طويل لها من معانيها : مثلا رعله كمنعه طعمه طعنا
شديدا ، والرعل انف الجبل ومن الرجل ثيابه ويقال
لما تهدل من الثياب رعل وكذا ما انثنى من المشب
وطال الخ ...

اذن هناك معنى لهذه الكلمة ولا يجوز ان ننحت
كلمة لها اصل في اللغة .

اما لو امتدنا كلمة النساع : الليناها مشتقة
من نسع كمنب او نساع ونسوع ونسعت الاسنان

العرب والحضارة الإنسانية

الدكتور محمد معروف الروالبي

د - بل جزم علماء الآثار أخيراً اعتماداً على دراساتهم العلمية في السنوات الأخيرة في البلاد العربية ، وذهبوا إلى أبعد من ذلك وقالوا : استطاعت الأبحاث الأثرية أن تمد خمس موجات منها ، وأن تؤكد أن ، آخرها وأقواها كانت موجة العرب المسلمين قبل أربعة عشر قرناً ، وأنه لا ريب قد سبق هذه الهجرات العربية التاريخية الخمس هجرات عربية قديمة أخرى قبل التاريخ : امتدت على الفريجية الشمالية والبلقان وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا وإيرلندا وبلاد الشمال (2) ، بل ذهبت مجلة « اللسان العربي » في العدد الثالث منها الصادر في شهر آب من سنة 1965 ، وفي الصفحة 130 إلى ما يدل على أن القرطاجيين الكنعانيين - البونيين - قد وصلوا إلى البرازيل في خط هجرتهم القديمة في مطالع التاريخ ، وهذا ما قد أثبتته البحوث العلمية الحديثة : من وصول العرب إلى أمريكا في مطالع العهد التاريخية (3) .

والمشكلة التي أمتزجت هذا الجزم هي :

أ - إذا كانت الحضارة الإنسانية الأم انما انطلقت من جزيرة العرب .

لقد استقر الرأي العلمي اليوم عند مؤرخي الحضارات القديمة على أن الحضارة الإنسانية الأم التي نشأت فيما قبل التاريخ إنما هي حضارة « مثلث الحضارة القديمة » كما سماه جورج شفاينفورت Georges Schweinfurth ويعني به اليمن وحضرموت على رأس المثلث ، ووادي النيل في مصر في أحد ساقه ، وأراضي الرافدين في العراق في الساق الثاني ، وما بين هذين الساقين في بلاد الشام (1) في قاعدة المثلث .

كما استقر الرأي العلمي على أن هذه الشعوب كلها :

أ - ترجع إلى أصول عربية لا شك فيها .

ب - وأنها نزحت تحت ضغط عوارض الطبيعة في جنوبي الجزيرة العربية عندما اشتد جفافها وضاعت عن أهلها .

ج - وأن هذه الشعوب خرجت إلى مناطق هجرتها متحضرة ومالكة لناصية الحضارة ، ولذلك تشابهت حضاراتها في أصولها .

(1) كلمة « الشام » تعني بلاد الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وهي تشمل اليوم ما هو معروف بفلسطين والأردن وسوريا ولبنان .

(2) « مجلة الحوليات الأثرية السورية » ، المجلد السابع سنة 1957 ، الصفحة 4 ، الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار ؛ وكتاب « الأيتروسك في غربنا وفي أصولنا الفرنسية » لمؤلفه الفرنسي « هيلبردو بارانتون » « Les Etrusques en notre Occident et nos origines françaises » .

طبع باريس سنة 1946 ، المكتبة الشرقية والأمريكية لصاحبها « ميرون نوف G. P. Maisonneuve » الصفحة 1 ، وكتابنا « قلعة طروادة التاريخية » طبع بيروت سنة 1964 ، مكتبة لبنان ، الصفحات 54 ، 56 ، 61 ، 71 .

(3) انظر كتابنا « المدخل إلى التاريخ العام للقانون » الطبعة الثانية ، طبع دار الفكر بدمشق سنة 1963 ، الصفحة 541 .

وكان للبحثة « كيتاني » Ceatani .
الفضل في لفت انظار العلماء الى هذه الظاهرة الهامة ؛
ظاهرة التغير الذي طرأ على جو بلاد العرب ، والجفاف
الذي حل بها في اواخر الدورة الجليدية الرابعة
الاخيرة .

ففي الوقت الذي كانت فيه معظم النواحي
الاوربية وشمالى آسية تغطي الثلوج ارضها ، كانت
جزيرة العرب ذات جو معتدل ، وامطار غزيرة ،
واشجار وزروع . . ثم اخذ الجو يتغير في بلاد العرب ،
ففقد الجو رطوبته ، وسارت البلاد فيها بصورة
مستمرة وبطيئة نحو الجفاف منذ اكثر من اربعمئة
عشر الف سنة ، فالر ذلك بالطبع في حياة سكانها
وفي حياة حيواناتها ونباتاتها ؛ فانقرض ما لم يتمكن من
تكيف نفسه مع المحيط الجديد ، وظهرت الحاجة
الى الهجرات ، فكانت الهجرات التي نتحدث عنها الآن ،
وخاصة بعد ان جفت انهار الجزيرة وتركت لنا آثارها
وهي الاودية ، وقد كان بعضها انهارا عظيمة في وقت
من الاوقات (3) .

وقد تصور « كيتاني » بلاد العرب في
الدورة الجليدية الاخيرة جنة بقيت محافظة على
بهجتها ونضارتها مدة طويلة ، وكانت سببا في رسم
تلك الصورة البديعة في مخيلة كتاب التوراه من « جنة
عدن » ، وان جنة عدن المذكورة في العهد القديم هي
هذه الجنة التي كانت في نظر « كيتاني » في داخل بلاد
العرب (4) ، والتي يقول عنها في الجملة : انها بلاد كانت
كثيرة الامطار ، وكثيرة الانهار ، وكثيرة الاشجار .

ويؤيد هذه البحوث العلمية ان كلمة
« العرب » وجميع مادتها ومشتقاتها انما تدل :

— على المياه الكثيرة ، الصافية ، الشديدة
الجريان .

— او على الانس وعلى الصفاء الملازمين للمياه
الكثيرة الصافية .

وهكذا فاننا نورد فيما يلي موجزا عن
هذه المعاني في معاجم اللغة العربية :

ب - واذا كانت كلمة « العرب » ومادتها كما
جاءت في اللغة العبرانية السامية انما تدل فقط على
الصحراء والجفاف والبدو (1) .

ج - واذا كانت الحضارة لا يمكن ان تنشأ في
صحراء جافة ، فكيف والحال كما ذكرنا يمكن الجزم
بنشوء الحضارة الانسانية الام في جزيرة العرب
الصحراوية الجافة ؟ ، فان هذا مما يتنافى مع شروط
الحضارة .

وللجواب على ذلك لابد من الاشارة الى البحوث
العلمية الحديثة الجازمة التالية :

اولا - نظرية البحاثة « كيتاني » حول انواع
جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وانها كانت اجواء
مطرة ، وان ارضها كانت ممثلة بالانهار .

ثانيا - معنى كلمة « العرب » ومادتها في اللغة
العربية الفصحى المؤيدة لذلك .

ثالثا - بطلان مزاعم العبرانيين فيما سجلوه
في كتب لغتهم من معنى لكلمة « العرب » ومادتها : من
انها تعني الصحراء والجفاف والبدو .

رابعا - نصوص من التاريخ القديم الدالة
على رطوبة الجزيرة العربية فيما قبل التاريخ .

خامسا - نصوص القرآن الكريم عن انواء
الجزيرة المطرة في عهد العرب البائدة ، وكثرة الانهار
في اراضيها .

سادسا - واخيرا نصوص الحديث النبوي
في ذلك ايضا .

نظرية البحاثة كيتاني Ceatani

لقد دلت البحوث والدراسات الحديثة
التي قام بها السياح والطماء من بلاد العرب على ان
تغيرا كبيرا قد طرأ على جوها ، وان هذا الجفاف الذي
يكتنف هذه البلاد في ازماننا لم يكن على النحو الذي
نعرفه في العصور التي سبقت الاسلام كثيرا (2) .

- 1 تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول طبع بغداد سنة 1951 ، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ
العرب مطول ، ليليب حتى ، الجزء الاول ، طبع بيروت سنة 1958 ، الصفحة 53 .
- 2 تاريخ العرب لجواد علي ، الجزء الاول ، الصفحة 97 ، طبع بغداد سنة 1951 .
- 3 تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحات 158 - 159 .
- 4 نفس المرجع السابق ، الصفحة 159 .

بطلان مزاعم العبرانيين

لقد زعم المستشرقون اليهود بأن معنى كلمة « العرب » ومادتها في اللغة العبرانية إنما يعني في الأصل « الجفاف والصحراء والبدو » (2) ، وأن كلمة « عرب » مأخوذة من مادة « عرب » بمعنى « أمحل أو أجذب » في كثير من اللغات السامية ، وأن صيغة « عرابة أو عربية » العبرانية استعملت اسماً للأرض القسراء (3) .

ولنا على ما وصل إليه المستشرقون في مصادرهم اليهودية المزعومة ملاحظات أساسية أهمها ما يلي :

أولاً - أهمل هؤلاء الباحثين لما جاء في أهم اللغات السامية اليوم وهي اللغة العربية والتي يحمل أصحابها وحدهم اسم « العرب » ، وهو أهمل غير مفتقر ولا يدل على حسن قصد ، خاصة وأن معنى المادة في اللغة العربية جاء مخالفاً تمام المخالفة لما جاء في اللغة العبرانية ، وأن موضوع المخالفة متعلق ببلاد اللغة العربية ، ولا يجوز الحكم على معاني كلماتها الأساسية بمعان مستوردة من لغة غير عربية .

ثانياً - إن هذا الخلاف الكبير المتناقض فيما بين اللغتين العبرانية والعربية في معنى كلمة « عرب » يوجب على الأقل لفت النظر إليه ، وإيجاب الأخذ بالمعنى الثابت عند أهل اللغة العربية لا عند أصحاب اللغة غير العربية ، ثم متابعة البحث لمعرفة السبب في هذا التباين المتناقض ، ما دامت اللغتان ساميتين ، والكلمة كلمة أساسية في اللغة العربية وفي تاريخها وتاريخ بلادها ، وهذا ما لم يفعلوه بكل أسف !

ثالثاً - أهملهم الأخبار التي وردت في كتب اليونان والرومان وغيرها من النصوص القديمة ، وكذلك ما نقل عن المصريين القدماء (4) ، وكلها كانت تقول بوجود أنهار طويلة في بلاد العرب ، وبوجود أخشاب ضخمة فيها ، وبأنها « أرض الله » كما سماها المصريون لوفرة خيراتها ونتاج أشجارها من البهار والتوابل ، رغم أن كتب الأخبار القديمة في ذلك متوفرة

« العربية » النهر الشديد الجري ، وجمعهما « عربات » . وما كان المكان ليصلح منزلاً للقوم إلا إذا كان فيه ماء ، ولذلك كثرت الإمكنة التي حملت في جزيرة العرب اسم « عربية » مثل باحة اسماعيل في مكة ، فقد سميت « عربية » لوجود ماء زمزم فيها ، وهكذا لم تلبث صيغة الجمع لكلمة « عربية » أي عربات أن أصبحت علماً في اللغات العربية القديمة على مهد العرب في جزيرتهم لكثرة المياه والأنهار فيها ، وإلى هذا الاسم نسبوا وسموا عرباً باسم بلدهم « العربات » ولا لمعنى « البداوة والجفاف والصحراء » كما نقل عن العبرانيين (1) .

— و « العربات » سفن رواكد كانت على مياه دجلة .

— و « العرب » الماء الكثير الصافي .

— و « والأهراب » الذين يرتادون الكلا ويتبعون مساقط الغيث ومطآن المياه ، لا مناطق الجفاف والصحراء .

— و « التعريب » الإكثار من شرب الماء الصافي

— و « عرب البئر » كثر ماؤها .

— و « امرئ بحجته » إذا افصح بها حتى عبرت عما يريد ، وكأنها أصبحت كالماء الصافي الذي لا يخفي ما فيه .

— و « امرأة عرب » أي متحبة إلى زوجها ، وذلك لصفاء مزاجها كما هو شأن الماء الصافي .

— و « عربت المعدة » أي فسدت وسالت كالماء

وإن معاني هذه المفردات تدل بإجمعهما على أن لكلمة « العرب » ومشتقاتها ومسمياتها صلة بالماء الكثير الصافي ، وليس من المقبول أن يطلق العرب على هذه المعاني كلها كلمة لا تدل مادتها في اللغات السامية إلا على الجفاف والصحراء كما زعم العبرانيون !!

(1) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، طه باقر 172 - 174 .

(2) تاريخ العرب السابق ، لجواد علي ، الجزء الأول ، الصفحة 173 ، وكذلك تاريخ العرب مطسول ، لفيليب حتي ، الجزء الأول ، الصفحة 53 ، طبع بيروت سنة 1958 .

(3) تاريخ العرب السابق ، الجزء الأول ، الصفحات ، الجزء الثاني الصفحة 189 ، طبع بغداد سنة 1956

(4) تاريخ العرب السابق ، لجواد علي ، الجزء الأو ، الصفحات 98 ، 102 ، وكذلك مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الثاني السابق ، الصفحة 189 .

للباحثين كما سوف نعرضه بايجاز في البحث الخاص بها بعد هذا البحث .

وابعا - هدم استعراض نصوص العهد القديم « التوراة » فيما يتعلق بالدلالة على مفهوم كلمة «عربة» فيها وهي كثيرة . وكلها تنادي نداء صريحا بان كلمة «عربة» ومادتها انما تدل حصرا على «الارض الجيدة ذات الامطار والعيون والانهار» ، وانها تفيض لبنا وعسلا ، في ارض الكنعانيين الساكنين في ارض العربة (1) . وقد استخرجتها كلها من اسفار العهد القديم فبلغت العشرات (2) ، وهذا ما يبطل ما جاء في كتب اللغة العبرانية من ان كلمة «عربة» انما تدل على «الصحراء والجفاف والبدو والجذب والارض القفراء !!» اذ كيف يجوز للتوراة ان تصف مساكن الكنعانيين في «العربة» بالارض الجيدة ذات الامطار والانهار والعيون واللين والعسل اذا كانت كلمة «عربة» في العبرانية لا تدل الا على الصحراء والجفاف والجذب !! . اللهم ان هذا ليهتان عظيم !! وقد ابى الله الا ان يفضحه وان يظهر بان معنى الكلمة في اللغة العبرية هو نفسه في اللغة العربية .

نصوص التاريخ القديم

واذا ثبت لدينا فيما تقدم من نظرية « كيتاني » العلمية ، ومن نصوص التوراة في « العهد القديم » ان معنى كلمة «عرب» ومادتها انما تدل على الماء الصافي الكثير ، والارض الجيدة الكثيرة الامطار والانهار ، وذلك تماما مثل ما جاء في معنى هذه المادة في اللغة العربية ، وعلى خلاف ما جاء في اللغة العبرانية المجردة من اي دليل علمي ، فلنستمع الآن الى نصوص التاريخ القديم من عهد الفراعنة واليونان والرومان ، وكلها تدل على بقايا رطوبة الجزيرة العربية حينئذ مما هو معروف قبل التاريخ ، على الرغم من اشتداد حلقات زحف الجفاف على الجزيرة الذي كان قد بدأ قبل ذلك بالآلاف السنين ، ثم ما زالت حلقات تشتد يوما بعد يوم .

فلقد جاء في النصوص المصرية القديمة ما يثبت وجود اخشاب ضخمة في شبه جزيرة العرب ، وان المنطقة الواقعة بين «العلا» و«معون» او «معان» من المناطق الصحراوية في الوقت الحاضر من اراضي نمود قديما ، قد كانت من مناطق الغابات المكتظة بالاشجار ، ولعل ذلك كله هو الذي حمل المصريين القدماء على ان لا يسوا بلاد العرب باسمها الخاص بها ، وانما سموها في كتاباتهم بـ «ارض الله» ، ووصفوها بنتاج اشجارها من البهار والتوابل (3) .

اما الروايات اليونانية والرومانية القديمة فكانت تقول صراحة بوجود انهار طويلة في بلاد العرب (4) .

— فان هيرودوت (ابا التاريخ وقد زار بلاد العرب بنفسه) قد ذكر خبر نهر في بلاد العرب دعاه « كورس » ، وقال عنه انه من الانهر العظيمة ، وانه كان يصب في البحر الاحمر ، وان ملك العرب قد كان عمل على جلب المياه من هذا النهر العظيم بثلاثة انايب من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات ، تمتد الى الصحراء على مسيرة اثني عشر يوما من النهر ، فتصب في مواضع منقورة تستعمل لخزن المياه .

— وكذلك ذكر « بطليموس » اسم نهر عظيم سماه « لار Lar » وقال انه ينبع من منطقة «نجران» ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترفا بلاد العرب حتى يصب في الخليج الفارسي .

وهكذا فقد تصافت ايضا الاخبار القديمة لتدعيم حقيقة ما قد كانت عليه بلاد العرب من انواء رطبة وامطار وانهار ، كما جاءت في معنى ذلك نظرية كيتاني ، وكما دصمها المعنى اللغوي لكلمة «عرب» ومادتها في اللغة العربية واللغة العبرانية كما اثبتنا تحقيقه اعلاه .

في نصوص القرآن والسنة

والآن ناتي في آخر المطاف من هذا البحث السريع الجديد الى معجزة الاخبار في ذلك ، وهي

- 1 انظر سفر الخروج ، الاصحاح الثالث ، الفقرتين 7 - 8 ، وكذلك سفر التثنية ، الاصحاح الحادي عشر ، الفترة الثلاثين .
- 2 انظر كتابي « المدخل الى التاريخ العام للقانون » ، الطبعة الثانية سنة 1963 ، الصفحة 578 .
- 3 تاريخ العرب ، لجواد علي ، الجزء الاول ، الصفحتان 102 ، 105 ، وكذلك مقدمة في تاريخ الحضارات ، لطف باقر ، الجزء الثاني ، الصفحة 92 .
- 4 تاريخ العرب السابق ، الجزء الاول ، الصفحة 189 .

ويتفق مع نص الآية السابقة من كثرة الامطار والانهار قديما في شبه جزيرة العرب ، ما جاء في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد احدا يقبلها منه ، وحتى تصود ارض العرب مروجا وانهارا » . ففي قوله عليه الصلاة والسلام « حتى تعود » صراحة جازمة ايضا بما كان في جزيرة العرب قديما من مروج وانهار لكثرة الامطار، وانها ستعود مروجا وانهارا .

وقد نقل هذا الحديث ايضا الامام احمد في مسنده مبتدئا بلفظ : « لا تقوم الساعة حتى تعود ارض العرب مروجا وانهارا ... » ، وكذلك رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، وكذلك صاحب كنز العمال .

الخاتمة

وبالإشارة الى اصول هذين الباحثين الاخيرين من نصوص القران والسنة الكثيرة مما لا يتسع المقام لاكثر منه ، تكون :

اولا - قد اتينا على آخر الادلة في هذه الدراسة الجديدة حول معنى كلمة « العرب » وجميع مادتها ، وانها الماء الكثير الصافي خلافا لما زعمه المبرانيون في معاجمهم من ان مادة الكلمة تعني الصحراء والجفاف كما نقله عنهم المستشرقون اليهود ، وكما اثبتنا كذبه بنصوص توراتهم المعروفة « بالمعهد القديم » .

ثانيا - تكون ايضا قد قضينا على المشكلة التي اثارها المستشرقون اليهود امام الجزم العلمي بان الحضارة الانسانية الام انما نشأت من جزيرة العرب ، ومنها انتشرت في بلاد الرافدين في العراق ، وفي وادي النيل في مصر على ايدي الهجرات العربية القديمة فيما قبل التاريخ وبعدها ، من عهد قوم عاد « التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وعمود الذين جاؤا (قطعوا) الصخر بالواد ، وفرعون ذي الاوتاد (الاهرامات) » .

ونرجو ان تكون كلمتنا هذه الوجيزة في بحثها خير باحث للقارئ العربي الكريم على العمل لتصحيح التاريخ وتقيته من كثير من افلاط المستشرقين اليهود الذين كان معظمهم حربا ثقافية علينا ، قبل ان تكون صهيونية اليوم حربا علينا سياسيا واستعماريًا .

نصوص القران والسنة التي لا تدع بعد ذلك شكنا فيما نقلناه عن انوار جزيرة العرب فيما قبل التاريخ ، وان جزيرة العرب كانت ذات انوار رطبة ، وسماء كثيرة الامطار ، وارض كثيرة الانهار .

والمعجزة في هذه النصوص انها تدعم منذ نحو اربعة عشر قرنا وبكل صراحة تلك البحوث والاتجاهات التي انتجتها الدراسات العلمية الحديثة ، تلك الدراسات التي لم يكن من الممكن لها ان تقوم في تلك العصور ، ومن قبل امة امية حين نزل عليها القران المعجز في كل شيء .

اما نصوص القران الكريم فقد قاربت نحوا من اربعين آية ، وجاءت كلها في معرض التذكير للعرب في عهد الرسول العربي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام ، والدعوة الى الانعاط بين تقدمهم من الاقوام اصحاب المياه والجنان والممران والقوة والانتار: — من قوم عاد واهل سبا في اليمن وما حولها من جنوبي شبه الجزيرة العربية ، وخاصة قوم عاد من العرب البائدة ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم نوح بعد كارثة الطوفان (سورة الاعراف ، الآية 69) .

وكذلك قوم ثمود في شمال شبه جزيرة العرب ومطالع بلاد الشام ، والذين كانوا اول الخلفاء لقوم عاد بعد ان ابادهم الله (سورة الاعراف ، الآيات 72 - 77)

ونكتفي هنا وفي هذا البحث الوجيز بنقل آية واحدة من القران الكريم ، وهي الآية السادسة من سورة الانعام ، اذ فيها كل ما نريده من صراحة القول ، وقطعية الدليل ، حينما خاطب العرب في عهد ظهور الرسالة الاسلامية ، وتذكيرا لهم بمن قبلهم من الاجداد في سالف الازمان حين عصوا الله فاهلكهم ، فقال في ذلك : « ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن، مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ، وارسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الانهار تجري من تحتهم ، فاهلكناهم بذنوبهم وانسانا من بعدهم قرنا آخرين » .

ففي ذلك صراحة ليس بعدها صراحة في وجود الاجواء المظرة والانهار لدى سكان شبه جزيرة العرب القدماء ، كما قد يبرهن عليه البحثة كيتاني بوسائل العلم الحديث ، مما قد تفسر مع هلاك اولئك الاقوام ، وهو كما يبدو من اعظم اسباب التمكين لاولئك الاقوام في الارض العربية ، وللحضارة الانسانية الام الاولى فيها مما لم يكن لعرب فيما بعد ، وخاصة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث كان الجفاف قد استولى على الجزيرة العربية في معظمها .

فروع اللغة العربية وانتشارها

الأستاذ عبد الرحمن الكبالي

وتقرب الحروف التي ابتدموها، والابجدية التي وضعوها فكانت لكل منها لهجته التي تختلف عن غيره باللفظ، وبعض المعاني حسب المحيط الذي نشأ فيه وحسب التطور الاجتماعي، والحضاري، الذي وصل اليه.

العرب قبل الاسلام :

قال المؤرخ جرجي زيدان في كتابه « العرب قبل الاسلام » (ص 32) (اصطلح المؤرخون في هذا المعمران يسموا الشعوب التي تتفاهم بالعربية والسريانية والعيشية والتي كانت تتفاهم بالاشورية والفنيقية، والارامية شعوبا (سامية) نسبة الى (سام) ابن نوح لان هذه الامم جاء في التوراة انها من نسله. وسموا لغاتهم (اللغات السامية). ولا خلاف بان هذه اللغات السامية متشابهة في الفاظها وتراكيبها، وانها من اصل واحد يسمونه (اللغة السامية) كما تتشابه فروع اللغة اللاتينية، او فروع اللغة السنسكريتية، فيقال مثلا ان اللغتين الإيطالية والاسبانية اختلفتا اختلا مهما اللغتين اللاتينية. وان الفارسية والاوربية اختلفتا اختلا مهما السنسكريتية. كما يقال ان اللغات العامة في الشام ومصر: المغرب، والعراق، والحجاز، واليمن، والسودان اخوات، امها اللغة العربية الفصحى، فهذه الاممات لا تزال محفوظة ويمكن رد بناتها اليها.

اما ام اللغات السامية فلا وجود لها الآن، وقد زعم فلاسفة اللغة انها العبرية وظن غيرهم انها العربية،

نستطيع تاريخيا ان نقول بان اللغة العربية نشأت في الجزيرة العربية مهد اللغة السامية وبناتها. وهي اقدم تلك البنات، واقربها الى هذه اللغة التي لم يتكلم بلهجاتها الا الساميون بعد ما خرجوا وتفرقوا خارج الجزيرة العربية في تاريخ لم يعلم مداه.

واللغة العربية، وهي فروع اللغة السامية لم تنشر خارج تلك الجزيرة الا بعد ظهور الاسلام. اذ امتد الفتح الاسلامي في سرعة لم يماثلها فتح آخر، الى بلاد سورية، والعراق، ومصر، وفارس، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، والسودان، والصحراء، وبلاد الاندلس، وجنوبي فرنسا، وجنوبي إيطاليا، وصقلية، ثم الى بلاد الترك، والافسان، والسند، والهند، وقافقاسيا، وسائر البلاد التي فتحها العرب ودانت بدين الاسلام، واشتركت شعوبها مع العرب الفاتحين في بناء حضارتهم وتكلمت بلفتهم وساهمت بنشر ثقافتهم وتعاليم دينهم.

اللغات السامية وما تبقى منها ؟

واللغات السامية لم يبق منها الا العربية، والعبرانية، والسريانية، والعيشية. وقد كانت البابلية، والاكادية، والارامية، والكنعانية، والتدمرية، والسبائية، تمثل لغة الاقوام السامية الذين تفرقوا في سورية، والعراق، وفارس، وفلسطين، ولبنان، وشمالى افريقيا. وكانت تكتب

وزعم غيرهم انها انبالية ، ولا تخرج اقوالهم عن حد التخمين) .

وقد باد اكثرها لان حضارة الاقوام والقبائل التي كانت تتكلم بها زالت ، ولم يبق منها الا اللغة العربية ، واللغة العبرانية ، واللغة السريانية ، واللغة الحبشية .

اللغة العربية والاقوام التي تتكلم بها :

اما اللغة العربية ففي الوقت الحاضر يتكلم بها ثمانون مليوناً من النفوس يقطنون البلاد العربية : (مصر واليمن ، والجزيرة العربية السعودية ، والكويت ، وسورية ، ولبنان ، والعراق ، وبلاد الأردن ، وفلسطين ، وبلاد المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والسودان ، وحضرموت ، وعدن ، والبحرين) . وكان يشيع استعمالها والتكلم بها كلفة دين ، وادب ، وعلم ، وفن ، وطب ، وفلسفة ، وتشريع ، وتجارة ، وسياسة ، بين الامم الاسلامية التي دانت للعرب ودخل الاسلام الى قلوبهم وديارهم وانتشرت حضارته بينهم ، ويقع تحت حكم خلفائهم وملوكهم وامرائهم اكثر من تسعة قرون ، من عصر صاحب الرسالة المحمدية وخلفائه الراشدين وزمن دولة الامويين والعباسيين ودولة الفاطميين والابويين في مصر وسورية ، والعراق ، وشمالى افريقيا ، ودولة الامويين في الاندلس ومن حكمها ، وحكم شمالي افريقيا من دولة الموحدين والمرابطين وملوك بني حفص وغيرها ، ودولة الحمدانيين وبني مرداس والمالِك السلجوقيين ، والجراكسة في بلاد الشام ومصر ، ودولة آل بويه في العراق ، ودولة خوارزمشاه ، والأتابكية ، وبني آرتق ، ثم دولة ملوك سامان فيما وراء النهر وخراسان ، ودولة ملوك آل سبكتكين ، ودولة بني طولون ، ودولة الاخشيدية في مصر ، وملوك كرمان وغزته ، الى ان انتهت الخلافة العربية وقام بالفتوحات دولة بني عثمان ، ودولة هلاكو والتتار ، وملوك فارس ، وحلت لغات هذه الدول التركية والتتارية والفارسية والاوردية في بلادهم محل اللغة العربية . واخذ كل من هذه الدول ينشر لغته في بلادها وارجائها ، ولكن بالرغم مما اصاب الامبراطورية العربية ، والبلاد الاسلامية من كوارث ومعن وانحلال فقد بقيت اللغة العربية في هذه البلاد لغة الدين والشرع والعبادات ، والتعليم ، تقوى وتضعف حسب تطور كل دولة وكل مملكة ، وبمقدار تمسك اقوامها بالدين الاسلامي ، وتعاليمه ، وبمقدار انتشار الطم وزوال الامية من بين افرادهم ، وبمقدار وجود المدارس

الدينية ، والمؤسسات الروحية ، والجامعات العلمية ، ووجود المكاتب العامة ، والخاصة ، والمطابع ومطبوعاتها في البلاد الاسلامية وفي البلاد التي توجد فيها اقوام اسلامية كالهند ، والصين ، وبلاد غربي آسيا وبلاد السوفيات ، وتركيا ، ودول افريقيا المسلمة ، واندونيسيا ، وافغانستان ، وباكستان .

اللغة العبرية ، واللغة الحبشية ، واللغة السريانية ، وما آلت اليه كل منها :

واما العبرية فقد انحسرت في بقايا بني اسرائيل بحسب العوامل الزمنية والسياسية ، والثقافية . وانحصرت السريانية في بعض القرى والاماكن التي يقطنها بقايا الاشوريين في العراق ، وبعض قرى لبنان ، وسورية ، وايران .

وانحصرت الحبشية (الامهية) والصومالية والحميرية) بسكان اثيوبيا والصومال .

وتختلف اللغات الانسانية في مبلغ انتشارها كما ذكر الدكتور علي عبد الاحد الوائلي في كتابه (علم اللغة) اختلافا كبيرا ، فمنها ما يتاح له فرص مواتية فينتشر في مناطق واسعة من الارض ويتكلم به عدد كبير من الامم ، كما للابينية والبورنغالية والفرنسية والالمانية في المصور الحديثة .

(ومنها ما تسد امامه المسالك فيقفى عليه ان يظل في منطقة ضيقة من الارض ولثة قليلة من الناس) .

اسباب انتشار اللغة العربية :

اما انتشار اللغة العربية فيعود الى عدة عوامل :

اولا — ان اللغة المذكورة عاشت في صراع مع لغة اخرى او لغات اخرى . وتقضي نواميس التنارع اللغوي ان يكتب لها النصر فتحل مناطق اللغة او اللغات المقهورة فينتسج بذلك انتشارها . وتدخل امم جديدة في عهد الناطقين بها ، كما حدث للغة اللابينية في العصور القديمة وكما حدث للغة العربية في العصور الاسلامية اذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الاخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية حتى بلغ عدد الناطقين بها (80) مليوناً من النفوس ينتمون الى خمس عشرة دولة بعد ان كانوا لا يتجاوزون عشرة الاف يقطنون منطقة في الجنوب الغربي والشمالي من جزيرة العرب .

ثانيا - ومن دوامي انتشار اللغة ، ان ينتشر افراد شعب ما على الر هجرة ، او فتح او استثمار يتم فى مناطق جديدة بعيدة عن اوطانهم الاولى وتكون من سلالاتهم بهذه المنطقة امة ، او امة متميزة كثيرة السكان ، والامثلة على ذلك كثيرة فى المصور القديمة والمصور الحديثة .

ثانيا - ومن دوامي انتشار اللغة ، ان ينتشر افراد شعب ما على الر هجرة ، او فتح او استثمار يتم فى مناطق جديدة بعيدة عن اوطانهم الاولى وتكون من سلالاتهم بهذه المنطقة امة ، او امة متميزة كثيرة السكان ، والامثلة على ذلك كثيرة فى المصور القديمة والمصور الحديثة .

فى المصور العربية القديمة هاجرت قبائل عديدة من العرب يمنيون وعدنانيون كما جاء فى تاريخ خطط الشام وتاريخ العرب قبل الاسلام ، فقد هاجرت (سليخ وعنان) والضجائف الى الشمال من بلاد الشمال ، وهاجر التوخيون الى الجنوب وسليم ، وقضاة ، وعاملة الى فلسطين ، ثم لحم ، وحزم ، وذبيان وكلب الى الرملة والجولان ومصر . ثم جهينة والقينة وبهراء ، وتنوخ الى حوران وجبال الشراة ومدائن صالح ، ثم اباد وطى وكندا ، وزبير وهمدان ويحصب ، وقيس ، وهم من عرب اليمن فنزلوا حمص وحماه وسلمية ، وتدمر ، وحلب وكانت دمشق منازل ملوك غسان ، واهلها وما جاورها من قبائل وقرى من بطون قيس ، وبها جماعة من قريش .

فى المصور العربية القديمة هاجرت قبائل عديدة من العرب يمنيون وعدنانيون كما جاء فى تاريخ خطط الشام وتاريخ العرب قبل الاسلام ، فقد هاجرت (سليخ وعنان) والضجائف الى الشمال من بلاد الشمال ، وهاجر التوخيون الى الجنوب وسليم ، وقضاة ، وعاملة الى فلسطين ، ثم لحم ، وحزم ، وذبيان وكلب الى الرملة والجولان ومصر . ثم جهينة والقينة وبهراء ، وتنوخ الى حوران وجبال الشراة ومدائن صالح ، ثم اباد وطى وكندا ، وزبير وهمدان ويحصب ، وقيس ، وهم من عرب اليمن فنزلوا حمص وحماه وسلمية ، وتدمر ، وحلب وكانت دمشق منازل ملوك غسان ، واهلها وما جاورها من قبائل وقرى من بطون قيس ، وبها جماعة من قريش .

وكان من تاثير تلك الفتوحات والهجرات المتواليات ، وتلك الحضارة الشاملة انتشار اللغة العربية وازدهار فنونها ، وعلومها ، وآدابها ، لان الذين هاجروا الى تلك البلاد حملوا معهم حضارة الشرق الاسلامي ، وتعاطوا التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، واختلطوا بالسكان فاحكموا الاندماج ، والترابط ، والامتزاج ، ونشروا الدين وعمموا العلم ثم تعاونوا على تأسيس الملك وادارته وبناء المدارس ، والجوامع ، والمعاهد ، واسسوا المكاتب ، واكثروا من التأليف والنشر . وكانوا فى اخلاقهم ودينهم ، وآدابهم ، ودفاعهم عن الحق وحرية الفكر ، والعمل ، وفى تنفيذهم لاحكام الشريعة فى قضائهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم وفى دفاعهم عن كرامة الدين والوطن من اعدل الحاكمين كما شهد بذلك « فوستاف لوبون » العالم الاجتماعى النفساني .

وسكن بنو تنوخ بقاع حلب ، ومنبج ، والموصل . وسكن بنو بكر بن وائل ديار بكر واورفه . ولم تقتصر الهجرات العربية الى سوريا وفلسطين ولبنان ، بل امتدت الى العراق ايام المناذرة ، وزادت اكثر فاكثر ايام الفتح الاسلامي عندما قاد الجيوش العربية سعد ابن وقاص ، وخالد بن الوليد ، وابو عبيدة بن الجراح ، ثم تابعت ايام الامويين و ايام العباسيين فامتدت الى بلاد واسط والكوفة والبصرة ، وبغداد ، والموصل ، والرقه ثم الى بلاد فارس وما وراء النهرين وبلاد افغانستان والسند والهند والصين ثم الى قافقاسيا حتى باب الابواب وكذلك تدفقت هجرة القبائل العربية ايام عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وموسى ابن نصير وغيرهم من قواد العرب والفاتحين الى شمالي افريقيا والسودان ثم الى بلاد الاندلس حتى جنوبي فرنسا وجنوبي ايطاليا ، ثم الى صقلية . فاستوطنوا وتزوجوا واختلطوا مع البربر وانشأوا المدن ، والقرى والثغور ، والواصم ، واقاموا المنشآت واسسوا الحضارة ، وعملوا على نشر الاسلام والعلم ، واللغة العربية ، وكانوا فى حكمهم عادلين وفى فتوحاتهم بانين ، وفى حضارتهم حاملين لخير الدنيا والدين فلم تقو هوداي الزمن وعواصف الايام على ازالة آثارها الخالدة وما لها من فضل على الاجيال الالية .

والملاجه والمعاهد ، والمكاتب ، ودور الإيتام بسرمة
حيرت المؤرخين والباحثين .

وفى ذلك يقول الفيلسوف اوزفالد شينغلر
الإلماني فى كتابه عن سقوط الحضارة الغربية :

« ان الحضارة العربية كانت تؤمن بثلاثة ابعاد
(الطول والعرض والعمق) لكن الفرق بين العمق
الفادستي (الفادستية مذهب منسوب الى فادست
الإلماني الطبيب العالم الاسطوري الذي باع روحه
للسيطان وعليها بنى « فوته » روايته فادست ،
والعمق الغربي ان الاول يتسامى ليخلق فى الفراغ
بينما العمق العربي يتحدّر ليفوس فى الإصمق لباطن
الأرض ، وهذا وحده كاف ليفسر لنا سر الحميا
الجبارة التى دفنت بالحضارة العربية مندا انطلقت
اخيرا من قيودها واغلاها لتلقى بظلالها على جميع
البلدان التى تنتمي اليها باطنيا منذ قرون وقرون
وقرون سبقت انطلاقتها الاولى .

ان هذه الحميا لدلالة على ان النفس العربية هي
فى عجلة دائمة من امرها . فهي تلاحظ امراض
شيخوختها حتى بلوغ شبابها . وانه والحق يقال
لا مثيل هنالك فى التاريخ لتحرر الجنس الوثني
وانطلاقه كما حدث للجنس العربي بتحرره السريع ،
وانطلاقه الممجز ، فلقد فتحت سوريا لا بل حررت
عام 634 م . وسقطت دمشق عام 637 م واستعيدت
مصر عام 645 م . وبلغ المغرب الهند فى ذات
التاريخ . وفى عام 647 م عادت قرطاجنة . وفى عام
676 م استعيدت سمرقند . وفى عام 710 م سقطت
اسبانيا . وفى عام 734 م اخذ العرب يقرعون ابواب
باريس .

لقد ضغطت فى هذه السنوات القلائل جميع
المواطن العربية المدخرة ، والإمال المؤجلة ، والأعمال
المحفوظة ، هذه التى يكفى لتملا قرونا وقرونا من
التاريخ) .

ثم يقول الفيلسوف المنصف (فالصليبيون امام
القدس ، وسلالة هوهنشتاوغن فى صقلية ، والهانسبا
فى البلطيق ، والفرسان التيوتينيون فى الشرق
السلافى والاسبان فى أمريكا ، والبرتغاليون فى الهند
الشرقية ، وامبراطورية شارل الخامس التى لم تغرب
الشمس عنها ، وبداية العصر الاستعماري الانكليزي
تحت رعاية كرومويل هذه الانطلاقات كلها تعادل فى
زخمها انطلاقة واحدة حملت المغرب الى اسبانيا
وفرنسا وجنوبي ايطاليا والى الهند وباكستان) .

— الاسباب الاخرى لانتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب الفعالة التى ساعدت على انتشار
اللغة العربية خارج البلاد العربية يرجع ولا شك الى
الإسلام ذاته ، فى عدالته وصدق معاملاته ، وقضائه ،
مما جلب قلوب الرهايا وحجب الى النفوس تملها ،
والإيمان بشريعتها ، والطامة لقرءانها .

ثم لاطلاق الإسلام الحرية فى العقيدة ، والفكر
والعمل وفقا للقاعدة الأساسية الإسلامية التى اهلنها
(الخليفة الثانى عمر) عندما سأل عامله (متى استمبدم
الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟) .

ثم للمساواة التى شرعها الإسلام بين افراد
الناس على اختلاف طبقاتهم ، وملهمم والأوائهم ،
ونحلهم ، اذ جعل الجميع يتساوون أمام الحق
والمسؤولية والشريعة ، اذ تقول الآية الكريمة (ان
اكرمكم عند الله اتقاكم) وينص الحديث الشريف
قالا (ليس لعربي على اعجمي من فضل الا بالتقوى) .
ثم يقول الرسول الأهم (الخلق كلهم ميسال الله
واقربهم اليه انفعهم لعياله) ، وفوق كل ذلك امر
الإسلام بالعدل بين جميع الناس فقال عز من قائل
(ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) فهذه المبادئ
التي قام عليها الإسلام وغيرها انفتحت القلوب المغلقة ،
واسهم الناس ، واطاعت الشعوب ، وتعلمت افرادها
اللغة العربية لغة القرآن والحديث .

فالشعوب والامم مهما تكن اجناسها ، ونحلها ،
والوانها ، وانوامها ، لا تقبل على طامة الحاكمين ؛
وتتعلم لغتهم عن رغبة وطوامة ، وتخضع لاحكامهم
بقبول ورضى ولا تعيش فى ظلمه بناءة ، عاملة ،
ومنتجة ، وهادئة ، الا بفعل العدل ، والمساواة
والرعاية ، والحرية والشعور بالحماية والتعاون ،
حسب منطوق الحديث الشريف (كلكم راع وكل راع
مسؤول عن رعيته) أضف الى هذه الفضائل والمبادئ
السامية ، روح النفس العربية فى الامة ذات القومية
المتفتحة ، غير المتعصبة ، ولا المحتكرة ، قومية
تنظمها الاخلاق ، الاخلاق الحميدة ، والحميدة فقط
على وجه التخصيص ، الاخلاق التى تغلب المصلحة
العامّة على المصلحة الخاصة ، والوجدان على العقل ،
والعدل على الظلم ، والروية على الأندفاع ، والعفو
على السفك ، اخلاق تؤمن بان الغاية الشريفة لا يجوز
ان يسلك اليها بوسائل غير شريفة ، وهذا ما جعل
بانتشار الإسلام ولفته وساعد على تعرب الاقوام ،

اغف اليه اهتمام الراعي برعيته ومسؤوليته تجاهها، وصلاح اللغة العربية للنمو والتوسع والتطور . واخيرا تشجيع ذوي الامر من ملوك و خلفاء وامراء ووزراء لرجال العلم والعلماء والتعليم وهدايا الاموال الوفيرة والمكافأة السخية لخدمتهم العلم ونشره والتأليف في مختلف انواعه ولبن درس وخدم اللغة والشريعة والادب والفن .

– العوامل الاخرى التي ساعدت على انتشار اللغة العربية :

ومن الاسباب التي ساعدت على انتشار اللغة العربية ، مقوماتها الطبيعية في الاوطان الاصلية نفسها، فيأخذ افرادها ، وطوائفها في الريادة المطردة ، وتنشط حركة الاقتصاد والعمران في بلادها ، فتكثر فيها المدن والقري ، والداكر ، والعواصم ، وتتعدد المناطق ، والاقاليم ، فيتسع لذلك نطاق انتشارها ، ومدى ارتقاها ، كما حدث لكثير من الدول كالانكليز ، والافرنسيين ، واليابان ، والاسبان ، والبرتغال في بلادهم والبلاد التي احتلوها ، واستمروها والتي هاجروا اليها .

ثم شغف العرب وطماعهم للحصول على المعرفة والعلم اينما كان ومن حيث كان والاخذ بهما من مواردهما، والعمل على نشرهما، وقد سار الاقدمون من العرب وتبعهم المتأخرون على هذه السنة ، وشاركهم في ذلك اهالي البلاد التي دانت لهم فكثر من بينهم حملة العلم ، والنبغاء ، وارباب البحر والاختصاص ، وظهر فيهم اهل الواهب والذكاء فترجموا كتب الاقدمين من هنود ومجم وسريان ويونان الى لغتهم العربية واستقدموا منهم الفلاسفة والاطباء والعلماء الى بلادهم للاستفادة منهم وللترجمة والتدريس . ونقلوا من البلاد البعيدة ذات الحضارة الكتب العلمية واتشأوا دورا للنقل والترجمة والكتيب للدروس والمطالعة ، وبنوا المدارس والمعاهد العلمية للتعليم والتدريس ، واسسوا الجامعات في عواصم بلادهم . وبدلوا المال بسخاء لم يصرف له نظير . وتبادلوا مع انشعوب ما رزقهم الله به من علم ولغة وادب وفن وتجربة .

وبهذا الشغف والظما ، والتشجيع والسخاء والكرم – الدافع القوي – والخصلة السامية ازدهرت الحضارة العربية ، وعم الاسلام ، وانتشرت اللغة العربية ، ونبغ العلماء ، والشعراء ، ورجال اللغة

والادب ، والقراء ، والفقهاء ، ورجال الحديث والمة المذاهب ، والمؤرخون ، واصحاب التفاسير ، والاطباء ، والفلاسفة ، والقضاة ، والمهندسون ، والرياضيون ، والفلكيون ، وسواهم من صنوف العلماء والادباء والمتخصصون وكلهم تنقف بالثقافة العربية وباللغة العربية ، لثة الدين والحكم والتأليف ولغة الدولة ، ولغة العلم والفن والادب ، والفنساء والموسيقى ، تجمهم لغة القراء والحديث واللغة الفصحى وان كانوا من اقوام مختلفة وطبقات متباينة واقاليم قريبة او نائية ، وان كانوا في لهجاتهم متفرقين ، فللغرائي لهجته وللشامي لهجته وللمصري لهجته وللمغربي لهجته وللخراساني لهجته ، هذا لهجات العواصم والمدن ، والارياف ، ولهجات اهل اليمن والحرف ، ولكن الخمسمائة مليون من العالم الاسلامي لم تخرج لهجتهم عن اللغة الفصحى التي حفظها القرآن والحديث فيما يؤلفون وينشرون ويتعلمون ويدرسون ويتراسلون .

وقد ساعد على انتشار اللغة فيما هذا ذلك في القرون التي تلت ظهور الاسلام وفي عصرنا الحديث ازدهار حركة التأليف والنشر فقد ملئت الدنيا بالؤلغات المخطوطة في كل علم وفن وادب .

وكان من الحزن، والمؤسف، ومن الخسارة التي لم نعوذ ، ان اصيب العالم الاسلامي في الشرق والغرب بغزوات المغول ووحشيتهم وبغزوات التتار ومظالمهم والصليبيين وحروبهم ، والاسبان وبربريتهم ومحاكهم في بغداد ودمشق والقاهرة والاندلس ، فارتكب الجميع قتل المغلوبين ، ونهب اموالهم وقصورهم وتهجيرهم بعدما خربوا القلاع ، والمساجد ، والنفوس معظم المكاتب وما فيها من مخطوطات ، ونفاس واضاعوا على العالم ثروة لا مثيل لها من العلم ، والحضارة . وقد شادت الاقدار ان يكون نصيب بغداد من الضياع فوق ما يتصور فقد بقي ماء دجلة عسرة ايام اسود من كثرة ما التي في جوفه من المخطوطات لتمر من فوقها الجنود .

– اثر القراء والحديث والاسلام في انتشار اللغة العربية ونموها ، وتطورها ، وارتقاها :

وفي هذا الموضوع يقول صاحب كتاب فقه اللغة الاستاذ الجليل الدكتور علي عبد الواحد، ما يلي: (ان القراء العظيم مفخرة العرب في لغتهم اذ لم يتح لامة من الامم كتاب مثله (لا ديني ولا دنيوي) من حيث

البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب سواء حين يتحدث عن الله الواحد الأحد، وعن عبادته، وعظمته، وجلاله، أو عن خلقه للسموات، والأرض، وما بينهما، أو عن البعث والنشور، أو حين يشرع للناس مناهج حياتهم، ويقيما على أسس قوية ومبادئ سامية تحقق لهم السعادة في الدارين الأولى والأخرة، وحين يقول الله في كتابه مخاطبا الإنسان « وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين » .

وبعد هذا يمكن تلخيص العوامل التي اثرت تعاليم الاسلام وكتابه المنزل على رقي اللغة العربية وانتشارها وتهذيبها وتوحيدها بما يلي :

أ - تقوية سلطان اللغة القرشية . فقد كان لمجيء القرءان والحديث بلغة قريش وهما دعامة الشرع الاسلامي الذي امتنقته قبائل العرب اعظم تأثير في توطيد هذه اللغة وتثبيت اركانها وقواعدها وتقوية سلطانها على اللسان والهجاء

ب - تهذيب اللغة العربية وتنقيحها والنهوض بها الى ارقى مستويات اللغات والآداب .

ويبدو اثر ذلك في مختلف النواحي اللغوية (في الاغراض، والمعاني والاختلة، والاساليب) .

اما الاغراض : فقد اتمت ايما اتساع بفضل

القرءان، والحديث، وبانتشار الاسلام وتعاليمه في امم ذات ثقافات مريقة، وبما افاده العرب ولغتهم من الاحتكاك بهذه الثقافات وقد فتح القرءان والحديث للغة العرب ابوابا كثيرة من فنون القول مولجت فيها امور لم تكن العربية هالجتها من قبل، وذلك كمسائل القوانين والتشريع والقصص، والتاريخ، والعقائد الدينية، والجدل فيما وراء الطبيعة، والاصلاح الاجتماعي، والنظم السياسية، وشؤون الاسرة، واصول القضاء، ودراسة مظاهر الكون والحياة، والفلك، والطبيعة والنبات والحيوان وهلم جرا .

ثم يقول الاستاد علي عبد الواحد (وقد اضيفت الى هذه الاغراض فيما بعد اغراض كثيرة يرجع فيها الفضل الى الاسلام وانتشاره، واتساع رقعة المملكة العربية وارتقاء مظاهر المدنية فيها . والى ما ورثه

العرب من الامم التي دانت لهم ولحضارتهم، من علوم، وفنون، وصناعات، وثقافة، وصران . وما اقتبسوه من لغاتهم وفنونهم، وما ترجموه من مؤلفاتهم في مختلف الشؤون، واوجه الحياة . فتناولت العربية بجانب ما تناولته من قبل، شؤون التأليف في الرياضيات والفلك والطب والطبيعة والمنطق والكيمياء والفلسفة، والفقه، وفنون اللغة، والنقد الادبي، وتاريخ الادب والرسائل السياسية، وضبط امور الدولة وتنظيم شؤون الدواوين، والرد على المذاهب الزائفة، ومقاومة الكفر والزندقة والالحاد، وصنع القصة والرواية، والمقامات وهلم جرا .

وقد نجم عن اتساع اللغة العربية وارتقائها في ناحية الامراض اتساع وارتقاء في ناحية الاخيلة والاساليب .

ثم قويت على تجلية المعاني الدقيقة التي جلبتها

العلوم السابق ذكرها واستخدمت فيها الحجج العقلية والبراهين المنطقية، والادلة الفلسفية وادخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه، وتهذبت اساليبها، وتشكلت في صور الاساليب العلمية .

ثم يقول (واما المفردات ودلالاتها، فكان الاثر

فيها واضحا كل الوضوح، فقد تجرد كثير من معانيها القديمة، واصبحت تدل على معاني خاصة تتصل بالمبادات والشعائر، وشؤون السياسة، والادارة والحرب، ومصطلحات العلوم والفنون، ومن ذلك الفاظ الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والخليفة، والامام وامير المؤمنين، والقاضي، والوالي، والعامل، والكاتب، والوزير، والشرطة، والدرك، والوظيفة، والقطاع، والجريدة، والصائفة (التي تذهب ايام الصيف)، والشاتية (الكتبة التي تذهب ايام الشتاء) والمرزقة، والمتطومة، والشحنة، والثغور، والعمارة، ودار الصناعة، وديوان الجند، وديوان الرسائل، وديوان الخاتم، والسريير، والسكة والطراز، والمقصورة، والتمجب، والنمت، والتوكيد، والتجويد، والحد، والتعزير، والتكدير، والشبهة، والقياس، والتعريف، والتصرف، والقضية، والسالبة، والوجبة، والمقدمة، والنتيجة، والصرع، والاستسقاء، والذبحة،

ثم يقول الاستاذ (ولا شك ان هذا الحفظ اتاح للهجة قريش ان لا تنتشر في العالم الاسلامي فحسب، بل تحفظ ايضا ، وتظل على مر العصور جديدة فضة لا تبلى مع الزمن ثم انها اكتسحت ما لقيت من لغات، اذ اتخذتها شعوب لامداد لها لسانها ، فاصبح هو اللسان الادبي واللسان العلمي من اواسط آسيا الى المحيط الاطلسي . فكل من عاشوا في هذا الاتحاد تكلموا العربية القرشية اذ حلت محل لغتهم الاولى واصبحوا عربا يعبرون بالعربية الفصحى عن مشاعرهم ومقولاتهم ، وهو اطفالهم ، ومعارفهم بفضل القرآن . فهو الذي حفظ العربية من الضياع ونشرها في الارض وجعلها لغة حية خالدة .

وثاني آثاره انه حول العربية الى لغة ذات دين سماوي وبذلك اصل فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها .

ويقف عادة مؤرخو الادب عند الفاظ ابتداء مثل الفرقان ، والكفر ، والايمان ، والاشراك ، والاسلام ، والنفاق ، والصوم ، والزكاة ، والتميم ، والرکوع ، والسجود ، والتشهد ، والتسليم ، والتكبير ، والاذان ، والقنوت ، والتشهد ، والطلاق ، والفاخرة وغير ذلك من كلمات الدين الاسلامي . ولكن من الحق ان المسألة لم تكن مسألة الفاظ انما كانت مسألة دين جديد له مضمونه الذي لم يكن العرب يعرفونه .

وبمر الزمان تكونت حوله علوم ، ولا مبالفة اذا قيل ان كل ما كسبه العرب من علوم ومعارف ، انما كان بفضل ما غرس فيهم القرآن من حب للعلم كما تقدم ، ومن هذه العلوم المختلفة علم التفسير ، وعلم اسباب النزول ، وعلم اجزاء القرآن وعلم نحوه واهرابه وعلم خاصه وعامه ، مما هيا علوم البلاغة .

ومن العلوم المهمة المتفرعة عنه علم الفقه واصوله . ولا نبأخ اذا قلنا ان العلوم الاسلامية كلها قامت لخدمة القرآن وتعاليمه فهو الذي هيا بقوة نهضة العرب والاسلام العلمية .

وثالث آثاره كما ذكر العلامة الدكتور شوقي ضيف في تاريخه عن الادب العربي (ان القرآن هذب اللغة العربية من الحوضى ، ومن اللفظ الغريب . فاقامها بهذا الاسلوب البالغ الروعة الذي ليس له سابقة ، ولا لاحقة في العربية ، هو الذي اقام عمود الادب العربي منذ ظهوره فعلى هديه اخذ الكتاب

والربو ، والوافدة ، والامزجة ، والشلل ، والمثلث ، والمربع ، والدائرة ، والكون ، والحوادث ، والوجود ، والعرض ، والازل ، والابد ، والبداية ، والنهاية ، والمطلق ، وما الى ذلك من آلاف وآلاف المفردات التي تستخدم في مختلف العلوم والفنون . وبجانب هذه الالفاظ العربية الاصل ، اقتبس العرب لنفسه الالفراض الفاظا امجبية من لغات كثيرة وخاصة من الفارسية ، واليونانية ، والسريانية بعد ان هربوها وصقلوها بمناهج اللسان العربي . ومن ذلك الفاظ البند ، والديوان ، والمسكر ، والصهرنج ، والقيروان (اي القافلة) والطنبور ، والبابونج ، والزرنج ، والمالغوليا ، والاصطرلابه ، والطلسم ، والفضطيس ، والقانون ، والاسطول ، والبارجة ، والفلسفة ، والهيولى وهلم جرا .

وقد جرت عاداتهم في الغالب ان يبحثوا للمعنى الجديد عن لفظ عربي عن طريق الاشتقاق - الذي هو من اهم خصائص اللغة العربية - او عن طريق المجاز ، واذا اميتهم الحيلة عمدوا الى تعريب اسمه الاجنبي . وكثيرا ما يلجأون الى هذه الوسيلة الاخيرة من باديء الامر ، اذا كان اللفظ يدل على معنى اصطلاحي دقيق يخشون ضياعه في ثياب اللفظ العربي .

- ما كان من آثار القرآن في الادب العربي :

اول آثار القرآن الكريم انه جمع العرب على لغة قريش ولهجتها الفصحى . وحقا كانت هذه اللهجة لسود القبائل في الشمال زمن الجاهلية . غير ان هذه السيادة لم تكن تامة فقد كان الشمره من الذين يستخدمونها غالباً .

اما قبائلهم فكانت تلوذ لهجات تختلف عن اللهجة القرشية قليلا ، وكثيرا ، حسب قربها من مكة او بعدها ، فعمل القران على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة القرشية ، اذ كان العرب يتلون آياته وسوره آساء الليل واطراف النهار ثم اخذت هذه اللهجة تعم بين القبائل البدوية متغلغلة في الانحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميرية ولما فتحت الفتوح ، ومصرت الامصار ، اخذت لهجته لسود في مشارق الارض الاسلامية ومغارها ، اذ كانت تلاوته فرسا مكتوبا على كل مسلم ومسلمة . وحث الاسلام على حفظه وتلاوته .

والخطباء والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية .
مهتدين بدبياجته الكريمة وحسن مخارج الحروف
فيه ، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث
تحيط بمعناها ، وحيث تجلى من مفاهاها مع الرصانة ،
والجزالة ، والحلاوة .

وكان العرب ولا يزالون يتحفظون له . فهو
مجمعهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على هداه مهما
اختلفت أقطارهم أو تباعدت أمصارهم ، وأصهارهم .

ويأتي الحديث الشريف بمد ذلك من حيث
التأثير على نشر اللغة العربية وتهذيبها ، لانه فصل
أركان أصول الدين ، وأحكامه التي أتت مجتمعة دون
تفصيل . وهو عماد السنة ، والرسول أوتي جوامع
الكلم ، ولم يتكلم بكلام كما يقول الجاحظ « إلا وقد
حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق . »
وكان له الأثر البالغ في توسيع المادة اللغوية ، بما
أشاع من الفاظ دينية وفقهية . وأحاديث الرسول
المسندة ذات الفاظ عربية سليمة ، وكثر ثمين لها .
وقد استمد المتأدبون من هذا الكنز في رسائلهم
وأشعارهم ما أضاف إليها على مر العصور رونقا
وحلاوة .

— خصائص اللغة العربية ومميزاتها التي
ساعدت على نموها ، ونمو العلم ، والأدب :

تمتاز اللغة العربية من سائر أخواتها اللغات
السامية ، ومن سائر لغات البشر بوفرة كلماتها
حتى قال السيوطي في « الزهر » أن المستعمل
والمهجور منها يبلغ عدده (12.313.780) والزيدي
يقول في « تاج المروس » أن الصحيح يبلغ
(6.620.000) والمعتل يبلغ (6.000) كلمة وذكر
أيضا أن كتابه حوى (120.000) كلمة .

وعدا من وفرة المفردات فإنها ذات أطراد في
القياس في أبنيتها ، ومن هذا ومن تنوع أساليبها ،
وعذوبة منطقتها ، ووضوح مخارجها ، ووجود الاشتقاق
في كلماتها يقول الأستاذ الفاضل محمد عطية
الإبراهيمي في كتابه الآداب السامية . وقد صانت
هذه الخصائص اللغة العربية زمن جاهليتها قرونا
سحيقة ، وهي في جزيرة العرب ودفعت تقدمها في
النظرية التي نشأت عليها آمنة شر الامتزاج
بالمفاهيم ، أو لهجة المغيرين حتى ظن كثير من العلماء
أنها وليدة المواضع وأصطلاح متعمد من حكماء

أهلها لأنها لغة فطرية وفطرية تدريجية ، من أقدم
اللغات السامية ، وهي أصلها على رأي كثير من علماء
عصرنا الشرقيين ، والغربيين . ثم يقول هذا ولا
يمكننا أن ننسى أن الأعراب والإيجاز ، والسجع ،
وكثرة المترادفات ، ودقة التعبير ، تضاف إلى
خصائص هذه اللغة التي هي من أقدم اللغات الحية .
فليس في العالم اليوم لغة محكية أقدم منها . ولا
تزال تحتفظ بالأعراب تماما كاملا شأن جميع اللغات
القديمة .

أما اللغات المذكورة فعلى رأي الأستاذ الجليل
عمر فروخ فقد فقدت الأعراب في اللغة الدانماركية ،
واللغة الروسية ، وهناك للأعراب في اللغات الباقية .

ويبدو أن اللغة العربية ، انفصلت عن أخواتها
الشمالية من اللغة السامية الأم منذ زمن بعيد جدا ،
ثم هادت فانفصلت من المجموعة الشمالية أيضا منذ
زمن بعيد .

ونحن إذا دققنا في اللغات السامية وجدنا اللغة
العربية أتمها صيفا وأكملها صرفا ونحوا ، وأرقاها
بيانا وبلاغة ، وأحسنها أسلوبا ، فمن أجل ذلك لا
يستبعد أن تكون هذه هي اللغة السامية الأم
والفصحى ، وأن البابلية ، والكنعانية ، والآرامية
والحبشية لهجات لها ، ومع كثرة الصلات التي كانت
بين عرب الشمال والجنوب منذ أقدم الأزمنة فإن لغة
حمير ابتعدت كثيرا عن اللغة المضربة (العربية
الشمالية التي نزل بها القرآن حتى قال أبو عمر
ابن الملا منذ صدر الدولة العباسية (ما لسان حمير
وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا) .

وكان جميع العرب الذين يسكنون النصف
الشمالي من الجزيرة في البحرين واليمامة ونجد
والحجاز سواء أكانوا ينتسبون إلى مضر أو اليمن ،
يتكلمون لغة واحدة ، وينظمون أشعارهم منها .

ولقد رأينا شعراء الجاهلية من أي المواطنين
كانوا ينظمون قصائدهم بلغة واحدة في كل شيء ،
ثم يحملون تلك القصائد لينشدوها في أسواق العرب
أوفي جميع البلاد العربية في العراق والشام ، وحتى
في اليمن نفسها مما يدل على أن لغة مضر كانت في
الجاهلية اللغة العامة للعرب .

وبالرغم من هذا لم يمنع أن يكون للعرب
لهجات محلية مأثورة في قبيلة أو قبيلة . على أن
معنى اللهجة هنا ، إنما هو استعمال الفاظ مختلفة

د - ومن ذلك ايضا نظام جمع التكسير الذي لا تشاركها فيه الا اختاها الجنوبيتان اليمنية القديمة ، والحبشية . فقد توسعت هي توسعا كبيرا حتى اصبح للمفرد الواحد عدة جموع من هذا النوع ، (كنهز وانهر ، ونهور ، وانهار . وبحر وبحار ، وبحور وابحر) .

هـ - ومن مميزات النحوية تلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الازراب والنسب تتمثل في اصوات جد قصيرة تلحق اواخر الكلمات ، لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة ، وهذا النظام لا يوجد له نظير في اخت من اخواتها السامية ، اللهم الا بعض آثار ضئيلة في العبرية والآرامية ، والحبشية .

و - ومن خواص اللغة العربية ومميزاتا ، انها اوسع ثروة في اصول الكلمات والمفردات ، من اخواتها اللغات السامية ، هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انواع الكلمة اسمها ، وفعلها ، وحرفها . ومن المترادفات في الاسماء والافعال ، والصفات ، ما لم يجتمع مثله في لغة اخرى . فلقد جمع للاسد خمسمائة اسم ، وللشعبان مائتا اسم ، وللعلل اكثر من ثمانين اسما . ويروي الفيروزبادي صاحب القاموس ان للسيف في العربية الف اسم على الاقل ويقدر آخرون ان للدهاية اربعمائة اسم ، ولكل من المطر والريح والظلام والناقة والحجر ، والماء ، والبئر اسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها ، الى ثلاثمائة في بعضها الآخر . وقد جمع الاستاذ (درهام) المفردات العربية المتصلة بالجميل وشؤونه فوصلت الى اكثر من خمسة الاف وستمائة واربعة واربعين وكذلك الشأن في الاوصاف فلكل من الكريم والبخيل ، والشجعان والجبان ... في اللغة العربية عشرات الالفاظ وقد احسن بيانها ابن سيد في كتابه « المخصص » ، كما احسن ابن جني في كتابه « الخصائص » ، وكما افاد كثيرا الثعالبي (في كتابه فقه اللغة) وكان صاحب تهذيب اللغة ابو منصور محمد بن احمد الازهري المولود سنة 282 والمتوفى سنة 370 ممن خدم اللغة واجاد في بيان خصائصها ومعاني مفرداتها ويوجد كثير من علماء اللغة ممن اتوا في تواميسهم وكتبهم ما يدل على فضلهم وبحرهم ، وعلى ما للغة العربية من خواص ومفردات تعد بمئات الالوف كما تقدم ذكره .

للمعنى الواحد في بعض الاحيان ، والمجسء بصيغ متباينة لتلك الالفاظ احيانا . اما التركيب ، واما النحو والمنطق اللغوي ، فكانت كلها واحدة .

ويقول الاستاذ علي عبد الواحد الوافي (ومن اهم خصائص اللغة العربية عاملان لم يتوانسرا لغيرها من اللغات السامية . احدهما انها نشأت في اقدم مواطن الساميين . وثانيهما ان الموقع الجغرافي لهذا الوطن قد ساعد على بقائها حينما من الدهر متمتة باستقلالها وهزلتها .

وكان من اثر هذين العاملين ان احتفظت باكثر قدر ممكن من مقومات اللسان السامي الاول ، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه اخواتها السامية فتميزت عنها بغواص كثيرة منها ومن اهمها الامور الآتية :

أ - انها اكثر اخواتها احتفاظا بالاصوات السامية ، فقد اشتملت على جميع الاصوات التي لاخواتها ، وزادت عليها باصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها وهي (التاء ، الدال ، الظاء ، العين ، الصاد) .

ب - انها اوسع اخواتها ثروة في اصول الكلمات والمفردات فهي تشتمل على الاصول التي تشتمل عليها اخواتها السامية ، ومعظمها ، وتزيد عليها باصول احتفظت بها من اللسان السامي الاول . ولا يوجد لها نظير في اية اخت من اخواتها هذا الى انه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف انواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ما لم يجتمع مثله للغة سامية .

ج - وتمتاز اللغة العربية عن غيرها بان الاصل الواحد يتوارد عليه مئات من المعاني بدون ان يقتضي ذلك اكثر من تغييرات في حركات اصواته الاصلية نفسها مع زيادة بعض اصوات عليها ، او بدون زيادة ، وان كان ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ مثلا (علم ، علمنا ، اعلم ، يعلم ، تعلم ، اعلم ، اعلمي ، علم ، نعلم ، تعلم ، تعاليم ، علم ، يعلم ، علم ، علامة ، علم ، علوم ، اعلام ، علامات ، علم ، علامة ، علماء ، عالمون ، متعلم ، معلم ، معلم ، معلم ، معلوم ، عالم ، عالمون ، عالم) . الخ . هذا ولم تعلم اي لغة سامية اخرى في هذه الناحية والى هذا الشاؤ .

- اللهجات العربية وسبب حدوثها وماذا
تتناول :

اما اللهجات العربية فالبحت عنها ولا شك هام .
ويحتاج الى دراسة خاصة لانها يجب ان تتناول
اللهجات القديمة والحديثة . وهي متعددة كل منها
بحسب القبائل ، والاقليم ، والامان ، والطبقات
من المجتمع العربي وبحسب البيئة والثقافة . فلمصر
لهجتها ، وللمراق لهجته ، وللمغرب لهجته ، ولبلاط
الشام لهجتها وكذا لليمن ، والحجاز ، والكويت ،
ونجد ايضا لبلاط شمالي افريقيا لهجاتها . وذلك
لاختلاف الاقوام والقبائل التي تسكنها واختلاف
حياتهم ومعيشتهم وحضارتهم .

وهو امر طبيعي يتبع قانون التحول ، والتطور ،
والانتخاب ، والحاجة ، والننازع ، والتربية ،
واختلاف اللهجات قد يتناول الاصوات ، وقد يتناول
بنية الالفاظ وامرابها ، وقد تكون الالفاظ اصيلة او
دخيلة ، منحوتة او معربة ، معرفة او مشوطة ، وقد
يكون معناها مختلفا عن غيرها .

وقد يكون الدخيل الاجمعي او المنحوت ، او
المشتق قليلا او كثيرا تبعا لتقدم المجتمع وتأخره في
العلم ، والمدنية ، وتبعا لكون اصحاب اللهجة المختلفة
من الحكام او المحكومين او من المستعمرين او من
المستقلين ، وتختلف لهجات المدن عن الارياف ، وفي
القطر الواحد قد تمتد اللهجات بين النساء والرجال
وبين اقسام المدن ومحلاتها واحيانها ، وبين اقسام
التعلمين ، والاميين بحيث يصعب على ابن هذا القطر
الواحد ان يفهم الكلام الدارج من ابن القطر الثاني كما
تختلف لهجة رجال العلم ولغة ارباب المهن والحرف
والصنائع والاعمال من رجال الفن ، والادب
والحكومة وارباب الحكم والادارة ورجال الحرب
والامن .

- ما هو المرجع للغة العربية وتوحيد لهجاتها
والباث لحفظ الفصحى وسلامتها ؟

مهما يكن واقع الحال في تعدد اللهجات في
الماضي والحاضر فلا مرجع لتقويمها وازالة منحرفها
وتوحيدها وحفظ الفصحى وتميمها ونشرها
واستكمال سلامتها الا بنشر العلم وتقوية الثقافة
الخاصة والعامية ، وانتشار التعليم والقضاء على
الامية ثم انشاء المعاهد العلمية والجامعات والمجامع
العلمية واللغوية وانشاء الكليات والمدارس الثانوية
والابتدائية وتمميم الجمعيات العلمية والادبية
والفنية والمكتبات والاكتار من المطابع والاكتار من
تأليف الكتب في كل علم وفن وبحث ، وان تكون
الفصحى لغة التدريس والتأليف والنشر خاصة لغة
الصحف والتمثيل ، والاذاعة ، والاعلان والخطابة
فيجب ان تكون هي اللغة الفصحى ، واللغة الفصحى
مع كل هذه المقومات اللغوية والثقافية مرجعها الاول
وحافظها الاقوى والامم هو القرآن والحديث ولا
يزيل ضعفها ويوحد لهجاتها ويقوم معوجها الا الادب
العربي السليم في الشعر والنثر والكتابة ، والفناء ،
والتمثيل ، والاذاعة ، والاعلان ، وما يشمل الادب
العربي من تاريخ ومحفوظات ومخطوطات ومطبوعات .
والامية كلما زالت ، او تقاربت كتب التعليم ومناهج
التعليم في جميع درجاته في البلاد العربية وتوحدت ،
وعمت الوحدة الجامع اللغوية والعلمية ، وتطورت
وساعدتها الحكومات وامتدتها المؤسسات الاهلية بما
يلزمها من المساعدات المادية والمنوية لتفاهم العرب
واسرعوها بتقدمهم ورفيهم وتشييد حضارتهم بالقوة
التي كانت لابائهم في فجر انطلاقتهم الاولى وفي
عصورهم الذهبية والمولى يؤيد من ينصره وهو على
كل شيء قدير .

العربية ورجال المهجر كيف ينبغي أن تستفيد العروبة والاسلام من آلاف الاختصاصيين العرب في «مهاجر» أمريكا؟ الأستاذ فؤاد الكشايبة

مدير مكتب الجامعة العربية
بوينوس - ايرس

توصلنا من حضرة الاستاذ فؤاد الشايب مدير مكتب الجامعة العربية في بوينوس ايرس بأمريكا الجنوبية بجواب متأخر من الاستفتاء حول علاقة الاسلام باللغة العربية وهو يلقي اضواء جديدة على المشكل من جهة خاصة تتصل برجال المهجر العرب في القارة الامريكية ونحن ننشره شاكرين :

ان مصير اللغة العربية في المهاجر يبقى ابدا في قمة المشاغل والاهتمامات التي امانها ويدي مغולה الى منقي. عسى ان يكون في اثار المشكلة ، والتعاون في مجابتهها ما يضمننا واياكم في الطريق العلمية والعملية الصحيحة ، التي يؤلف (استفتاءكم) مرحلة ضرورية من مراحلها الاولى .

وانني اذ اشكر لكم اشراكي في الاستفتاء ، اغتنم الفرصة لادلي ببعض الراي الصريح ، الذي يتجاوز الدراسة الى حيز العمل السريع المنقلد ، في مجابة القضية . راجيا ان يكون شفيح هذا الراي ، شعوركم معنا بأن الذي يمش مع المحنة من كتب ، لا يستطيع ان ينظر اليها بقلبه ولسانه ، دون يده .

عسى ان يكون لكم ولنا بعض بعض اليد الصغيرة، في المرور من مرحلة التفكير الى مرحلة التدبير .

جاء الإسلام والعرب ثقافة ودولة. كانت العربية، في عصر النبي، مهية عبر أطوار متعاقبة من التطور والتكامل، لان تكون لغة الدولة، وحاملة رسالتها الثقافية.

فاذا قلنا ان اللغة العربية تمزجت بالقردان، كان ذلك صحيحا. واذا قلنا ان الإسلام اعتر بالغة العربية، وسال على اسلات اقلامها، كان ذلك صحيحا ايضا. فالوحي اختار منزله الصالح في الارض، والنزل الصالح تسمى حتى استحق استيحاب الوحي.

ان مدى التلازم والترابط بين الإسلام واللغة مدى غير محدود. فاذا نظرنا الى كيف أصبحت اللغة العربية اداة الادب والعلم والحضارة عامة، فيما تجاوز التخوم العربية الى بلاد فارس والروم، وكيف أصبح لتاريخ الفكر العربي اشراق حضاري ساهم فيه مثقفو العصر، على اختلاف امراقهم، أدركنا أهمية الحدث الحضاري، في تلازم الإسلام واللغة معا في تكوينه، دون ما تفاضل او تشاد بين سهم الدين وسهم اللغة في حركة التكوين هذه.

من حيث اللغة، لم يكن في تاريخ العصر، بين لغات الارض، ما هو اكثر تفجرا واشتمالا من اللغة العربية، ضمن حدود السلطان العربي الاسلامي وخارج حدوده ايضا. فكان لزلما على كل من يريد ان يعلم ويتعلم في هذا المدى الجغرافي الواسع، ان تكون بين يديه كبرى ادوات العلم والتعليم: لغة العرب

من حيث الدين فقد سجل الإسلام حدثا فدا في تاريخ تفجر الحركات الانسانية على انه توحيد بين الدين والثقافة في تناسق من الاشراق الفكري والنزوع الانساني. وكان الفتح، بخلاف الكثير من الغزوات في العالم، ثورة ثقافية جديدة عنت لها القلوب قبل الرقاب. وبديهي ان تشرق اللغة، في حنى الدولة، دينها ثورة ثقافية ورسالة حضارية.

وما يقال في تلازم الإسلام واللغة العربية، يقال في تلازمها غربيا. لكن تلازم الغروب تدلعه صفة خاصة، اذ ليس ضعف اللغة هو الذي ادى الى ضعف الإسلام والدولة العربية. بل بالعكس. فان تقلص ظل الدولة قد ادى الى تقلص ظل اللغة. وفي

هذا التلازم الغروبي، ما يشير الى أهمية سلطان الدولة، في اقامة كيان الثقافة والحضارة.

على انه بالرغم عن أهمية عامل السلطان السياسي، في تكوين الكيان الثقافي الحضاري، فقد ناضل الإسلام، واللغة، منفردين او مجتمعين، طوال حقبة وبدون سلطان الدولة، نضالا جبارا ضد قوى الظلم والظلام. بما لم يتيسر ويتوافر كله، لاي دين واية لغة في نهضات الزمن الاخير.

على انه يجب القول هنا، انه بينما كان الدين عنصر مقاومة، في كثير من الحالات السلبية ضد الضياع والخضوع، كانت اللغة، من جهتها، عنصر هجوم في معائل الظلم والظلام. ومع اطلالة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان يشهد في سماء الشرق ان اللغة العربية هدت طليعة الاشراق العربي الجديد.

وعندما تنادى العرب الى ثورة قومية ضد الدولة العثمانية المتلبسة بالإسلام، وانحصر فنساع الصداه التركي للعصر العربي، بحيث هذا الدين شعارا سياسيا، وليس ايمانا، وليس صدقا وحقا، كانت اللغة العربية تقف على قدميها من جديد، في دعوة الى احياء التراث الحضاري ضد مزوري هذا التراث الدائبين على طمس معالمة وجوهه فضائله. وعبر اللغة بدأت حركة تلاقح فكري بين الشرق والغرب، بالترجمة والنقل، من اهم مظاهرها في القرن التاسع عشر، ادب النزعات القومية. ونشأت اجيال عربية جديدة في دور ثقافي وكناه: احياء التراث العربي وتأكيد الوجود القومي المشترك.

ومن اهم ملامح الدور القيادي الذي نهضت به اللغة العربية، نثرا وشعرا في المواطن العربية نفسها، وفي المهاجر التي نزع اليها النازحون، ان شارك المثقفون، مسلمين ومسيحيين، في احياء التراث العربي وفي الدعوة الى قومية عربية مستمدة من امجاد هذا التراث. ولا يجهل باحث في ادب القرن التاسع عشر وطلائع العشرين، اسماء الاعلام العرب الذين كانوا على القيادة الفكرية في المواطن والمهاجر.

وفي المهاجر بصفة خاصة، وباندفاع نادرة المثال، تغنى الشعراء والمؤرخون بامجاد الامة الواحدة،

الاربعمائة الف نسمة - بل اكاد اقول - دون النظر الى العدد الضئيل المحدود من المتنورين - ان ليس للثقافة الاسلامية اثر في تكوين شخصية المسلم الهجري . فلا هو يتلقى الفكر الاسلامي عن العربية ولا هو يتابعه عن الاسبانية في اقل تقدير . انه مسلم لانه لا يتنكر لمولده الديني ، ولكنه يفرق في العجمة باستمرار . وان يكن فخورا بانسابه فلا يكفي ان يكون الفخر وحده عامل المقاومة والاستمرار .

بل لنقل المكس في تأثير اللغة الخارجية على العربي المسلم في المهاجر . ان صديقا لي يدعى حسين عباس ، هو في الهوية وفي المجتمع (خوسيه ابيه) . اما (خوسيه) فهي ترجمة (حسين) . واما عباس فقد اصبح (ابيه) ، كما اصبح عبد الكريم (امريكو) . وهكذا تريد الدولة ان تعطي رعاياها اسما تتسجم مع اسمائها ، لينصهر المواطن في وطنه الجديد . وفي هذا الوطن الجديد، الوف المدارس الاجنبية للاكلير وللفرنسيين وللبرتغاليين، كجاليات، بل لليهود مئات المدارس وهشرات للامن . وليس للجالية العربية التي تبلغ المليون نسمة في المهاجر الارجنطيني ، سوى بضعة مراكز للتدريس العربي غير النظامي لا يكاد يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة .

ايها السادة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب - في الرباط

انني اذ اتخطى في جوابي عن سؤالكم حدود السؤال ، الى طرح قضية ومعالجة مأساة ، فلانني اريد ان اهتبل الفرصة لاطحابكم ليس كمكتب تعريب فحسب بل كجماعة توجه ايضا ، لاسيما وقد تجاوزتم في سؤالكم المحيط العربي الى المجتمعات خارج الوطن العربي .

ليس شائي في هذه المجالة ، ان امضي في كيف يصح اسلام المسلم في باكستان - وايران وتركيا والصين مثلا - بل انني لاهني حقا في كيف يصح اسلام المسلم العربي بالذات في مهاجره الاسيوية والافريقية والامريكية . والمسلم العربي ، كما ارى بوضوح ، لا يمكن ان يصح اسلامه الا بعريته ، كما لا يمكن ان تصح هوية اي عربي آخر الا بعريته ايضا . ان صاحب الرسالة مسؤول ، والعربي هو وريثها الوحيد . وقد رأينا كيف نهضت

التي تحدرت دولة وكيانا من فجر الاسلام . وجرت كلمتا (الاسلام) و (العروبة) على اقلامهم ولهواتهم مترادفتين غير منفصلتين في الجوهر . وتسابقت محافل الشعر الى احياء ذكرى المولد النبوي ، في عواصم المهاجر ، ولم يخل ديوان شاعر مسيحي من قصيدة او قصائد تغنى بمجد الرسول على انغام نهج البردة وعلى انغام واوزان سواها . وبهذا تتجلى مبقرية اللغة العربية مصعدة بالمعمل الادبي ، في احياء التراث منظورا اليه في كلياته المطلقة ومعانيه الخالدة .

من هذه الزاوية ننظر الى كل دعوة تمس كيان اللغة وجوهرها ، كانها دعوة الى توهين العروبة والاسلام على السواء .

ومن هنا ننظر الى ضعف الاسلام في نفوس المهاجرين المسلمين الذين نرحوا الى المهاجر الامريكية، على انه ضعف في اللغة التي تمارس بها العقيدة . وان تكن ثمة اسباب اجتماعية وجبهة في تفسير تساؤل الوهي الاسلامي ، فيجب الان نسي ان من اخطر بواث الوهن الديني وهن اللغة في ربط ما بين لسان المؤمن وشعوره .

وقد شهدت جمهورا مسلما في جامع مهجري ، يصفي الى واطف خطيب يتدفق بلافة وبيانا ، حتى انتقلت الى الجمهور حماسته كما تنتقل الكهرياء ، وراح بعضهم يبكي وينسج . فسالت بعضهم : لماذا تبكون ؟ اتفهمون كل ما قاله الواطف ؟ قالوا اننا نبكي لاننا لا نفهم .

وجاء المترجم يلخص عظة الخطيب ويترجم بعض الآيات فتحركت الرؤوس مرتمشة ببعض المعاني . ولكن الوجوه ظلت جامدة والعيون مطشى لا يطل منها ذلك الاشراق المجيب الذي ينبعث من الاعماق ، حيث تخترق الكلمة الشفاف وتستقر في منابع الاشراق . وتوارى المترجم كانه اقترف ذنبا واحاط الجمهور بالخطيب وهم لا يعرفون العربية وهو لا يعرف الاسبانية ، وفي ميون الجميع ذلك الوله الذي يعبر من مجز البلوغ وامتناع اللقاء .

وفي الجواب من فقرة من سؤالكم اقول :

ليس للفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن ، اي تأثير في لغة الجالية الاسلامية العربية في الارجنطين ، او في لهجاتها . وعددها يكاد يبلغ

اللغة العربية في بدء عصر النهضة الحديثة ، بدور الدين والدولة معا في قيادة المركب العربي الصاعد . وليس من شك في ان هذه الظاهرة الرائعة حدثت من احداث التاريخ جدير باهتمام الباحثين وفتابتهم والحاكمين المسؤولين مثلهم ايضا .

ان رقم المليون عربي مسلما ومسيحيا ، في الاربعينيات يقفز الى اربعة ملايين حتى الخمسة في دول امريكا اللاتينية . وعندنا نمود الى تاريخ هذه الهجرة العربية الضخمة ، منذ مائة عام ، نفكر في مآسيها وفواجعها . ولكن عندما ننظر اليوم الى واقع هذه الهجرة ، لا نلبث ان نحمد هواقبها من باب لا تكررنا شيئا لعله خير لكم . افكر في الزخم الروحي والثقافي الذي اعطته هذه الهجرة لتاريخ اللغة العربية والفكر العربي في المهجر . وافكر في هذه المعجزة التي تمت على ايدي المهاجرين الرواد ، احيوا امجاد الاندلس في الامريكات . ثم افكر في تلك الانطلاقة المستقبلية الكامنة في افاق اربعة ملايين عربي ، عندما تستطيع ان تفجرها اللغة العربية ، والتعليم العربي ، فتردها للعروبة قوى عاملة في كتل بشرية ضخمة تعد نفسها لمستقبل عالم جديد بينما هي اليوم في واقعها قطع جليدية مبعثرة في المحيط ، آخذة يوما بعد يوم بالدوبان او بالانحدار نحو القاع .

اريد ان اتحفظ قليلا فاقول : لسوا مجهودات مشكورة اتخذت طابعا جديا في الاصوام الاخيرة ، لاهياء الدين الاسلامي في قلوب المسلمين ومقولهم من جهة ، ولولا ما تثيره قضية فلسطين في نفوس هؤلاء القوم العرب او من اصل عربي ، من جهة ثانية ، لكانت الصورة اكثر ظلاما . ولكن هذا وذاك ، لا يتدرج باللغة العربية سبيلا الى احياء الدين او احياء الشموخ القومي . وان تدرج قليلا جدا . ويبدو بالاجمال ان هناك غفلة لدى قادة الرأي ، من اهمية اللغة في ربط ما بين العربي ودينه ، وربط ما بين العربي وقوميته .

ومثال ذلك :

انا لا اوافق على ان احياء الدين الاسلامي لدى المهاجرين ، يمكن ان يسلك مسالك التبشير المسيحي في الاصقاع البعيدة ، حيث يتم التبشير بلغة المحيط ووفق لهجاتهم ومصوراتهم المحلية ، كان

يصوروا مريم العذراء - مثلا - بصورة صينية او هندية او زنجية ، تقريبا للصورة من اذهانهم ووجدانهم . والفرق ان الاسلام مفروس في العروبة والعربية ، وبهذا يتميز كرسالة سماوية ، وانسانية ، عما سبقه من اديان .

ومثال ذلك ايضا :

في تجاربي الشخصية ودراساتي للادب المهجري في اوائل هذا القرن ، ان الادباء والشعراء المسيحيين ، الذين كانوا رواد نهضة ادبية مشهودة في الامريكات قد وصلتهم لغتهم وصلا روحيا قويا بقوميتهم وبتراثهم العربي ، الذي في قمته القرآن الكريم . وكانوا اكثر وعيا وتفهما للاسلام ، وامتزاجا به ووفاء لحقه عليهم ، ليس اكثر من العامة العربية فحسب ، بل اكثر من العامة الاسلامية نفسها . وذلك من بديهيات نفاذ اللغة الى التاريخ والتراث ، ومن وحي هذا التاريخ ، وهذا التراث الحضاري ، بلغته لا يمكن الا ان يحبه ويفي له .

ومثال ذلك ايضا :

انه قد غدا من الثابت ، في السابق واللاحق ، من دراسة ثقافات الدعاة وسير حياتهم - من اجانب وعرب - ممن دعوا الى التاليف والكتابة بالعامية ، حتى ممن دعوا الى الكتابة باللاتينية ، انهم اصحاب افراض واهواء مشبوهة . بل خرج بعضهم من الشبهات الى الافتضاح ، ولقدوا يشار اليهم بانهم يعادون العربية لانهم يريدون ان يحرروا انفسهم من تلازم الدين واللغة والعروبة ، اما لانهم يخشون العروبة ، او لانهم يخشون اللاتينيين معا . وليس من شك بعد في ان الدعوة الى العامية محاولة لتحطيم جوهر الوحدة ، والدعوة الى اللاتينية بحجة العالمية ، محاولة لتحطيم مجد الرمز . فاللغة العربية ، بالدولة العربية القادرة ، غدت خلال قرون طويلة لغة الشعوب في آسيا وافريقيا واوربا . وقد اثبتت العربية بين يديها ولم تهدر هي سلامتها تحت اقدام العالمية . وادبنا العربي الحديث ، قد قصر عن العالمية ليس لانه مكتوب في الحرف العربي بل لان الادب الجديد نفسه كعنصر ابداع ، لم يرق بعد الى العالمية ، وما رقي منه حتى الان ، موجود في مكاتب العالم مترجما مصفى اليه محتفى به . ثم لا ننسى شأن الدولة في المرون الى المستويات العالمية .

الاستنتاج بنقاط مختصرة :

- المهاجرون العرب وابناء المهاجرين بحاجة ماسة وعاجلة الى تعلم اللغة العربية والتدرج في فهمها، ابتدائيا واكماليا وثقافيا .

- حتى الآن تراخت الدول العربية ، منفردة او مجتمعة ، عن تقرير خطة مدروسة وتنفيذها .

- اهم ما يجري من حوار حول هذا الشأن قول الدول العربية انه من شان المفترين العناية بلفتهم ، لاسيما وان كثيرين منهم اصحاب ثروات وقدرات . وقول المفترين في الرد على هذا القول ان الدول العربية تهمل المفترين وتدير لهم ظهورها ، وهي التي يجب ان تفتح المدارس وتنفق عليها ، كما تفعل بعض الدول الاجنبية في مساعدة جالياتها المهاجرة - وبالفعل تفعل - .

- ان هذا الحوار سمعته منذ عشرين عاما ، ولا يزال دائرا وسيظل دائرا ، كالحرحى تدور على نفسها وليس ما تطحنه .

- بالحق ان المفترين اولى بالانفاق على مدارسهم . ولكن الحجر الاساسي لبده العمل يجب ان تضمه الدولة العربية - اقول الدولة واهني جميع الدول -

- فالقضية ليست قضية من ينفق . بل هي الان واليوم قضية من يبدأ . والدولة هي التي تبدأ، والاهلون سيتولون الانفاق يقينا . ولكن بعد مرور مرحلة الحجر الاساسي .

- ان القيادات الفكرية في واقع الجاليات الحالي ، ضعيفة ، وغالبا ما تكون مفتقدة والدولة العربية في المرحلة الاولى ، يجب ان تتولى قيادة الرأي . وانا على يقين انها ما ان تضع النار في الشعلة حتى يتكامل الاشتعال بناموس حركة الشرارة .

- ان المدرسين يجب ان ياتوا من البلاد العربية وممهم خبرة التدريس ومواد التدريس وبعض العون المادي لبده التأسيس . اما اشادة البناء المدرسي فيمكن ببسر ان يتم من قبل الجاليات .

من المفيد ان تعلم الدول العربية بان حكومة الارجنتين - مثلا - تشجع تشيير المدارس النظامية التي تدرس لغة البلاد وايه لغة اخرى ، ما دام البرنامج نظاميا . والمساعدة الحكومية يمكن ان تبلغ السبعين بالمئة من ثمن الارض والبناء . فما قول الاخوان في هذا ؟

- اقول يجب ان ياتي المدرسون من البلاد العربية حاملين علما واخلاقا وشعورا بالمسؤولية الكبرى . ليس لان المدرسين مجرد مساعدا (انفاقية) بل لانهم يتولون رسالة ويقومون بدعوة . وهنا اهمية الفكرة .

- بدأت الجامعة العربية بتأسيس صندوق الدعوة العربية . وليس اهم ولا اجل من ان تبدأ الدعوة العربية من اللغة العربية ، ويكون الانفاق على (اللغة) جزءا كبيرا من الانفاق على (الدعوة) : الدعوة للغة، الدعوة للتراث العربي ، الدعوة لفلسطين . وكيف تنفصل الدعوة لفلسطين عن الدعوة لها في الجاليات العربية التي هي في المقام الاول سلاح الدعوة ويجب ان تكون سلاحها ؟ .

- وفي رأيي الاخير ان صندوق الدعوة العربية باشراف الجامعة العربية ، يجب ان يتكامل ويتصاعد بمساعدة الدول العربية والجماهير العربية ، وان يعلن بان تعليم ابناء المفترين جزء من الدعوة ، وموارده ونفقائه جزء من موارد صندوق الدعوة ونفقائه .

قد يعترض معترض ويقول : ان الامية تسود ارجاء الوطن العربي بنسب تتراوح بين خمسين بالمئة وسبعين بالمئة . واولى بالدولة العربية ان تعنى بامبيها قبل ان تعنى بمهاجريها والاعتراض مرفوض لاسباب ، اهمها :

اولا - ان المواطن العربي يريه وطنه ويوجهه ويواصله روحيا باخلاقية الوسط والمجتمع ، ولا خوف عليه من الفضياع . اما المهاجر العربي فهو (يتيم العرب) والمهاجرون يتامى لا صلة لهم بأرضهم ووطنهم فما حكمة القول ان نتركهم يتامى .

ان مجتمعات جديدة ، مثل مجتمعات امريكا اللاتينية ، تفتش عن جذور لها في الامحاق ، لانه ليس لها في تاريخها تلك الجذور . وهي برغم اتجاهاتها نحو الثقافة الاوربية بدافع السياسة احيانا ، والتقليد للغرب احيانا اخرى ، لا تجهل انها امتداد لحضارة اللغة الاسبانية التي تؤلف العربية خمسة عشر بالمائة من قاموسها الرسمي او اكثر (1) . وللاندرلس الاسبانية التي عاشت في دم اهل البلاد ثمانمائة سنة ، وظلت تمتد وتنتشر بعد ذلك في العادات والتقاليد والاقوام النازحة هنا وهناك ، حتى بعد هروبها السياسي . ففي الارجننتين والبرازيل - مثلا - يرمز الى رجل (الفاوتشو) - رجل الصحراء - على انه نموذج الامالة الوطنية، وعلى انه الدفقة العربية التي انساحت في ارجاء البلاد من الاندلس وعلى انه يمثل حقا هراقة الاصول الاولى التي انفرست في الارض قبل ان تغد اليها وفود المهاجرين من اوربا . وفي الارجننتين اليوم تيار ثقافي قسوي يريد اعطاء البلاد اخلاقية عريقة ، هي اخلاقية الرجل (الفاوتشو) ساكن البلاد القديم ، رجل السرورة والحرية والفروسية ، ضد التيار الاوربي الغربي الذي هو في رأي بعض الوطنيين الارجننتينيين من هذه المدرسة تزوير لشخصية الارجننتين الثقافية والاخلاقية - ولهذا الموضوع حديث طويل (2) .

اذن فلا الدين استوطنوا هذه المهاجر بمالدين ، ولا اوطانهم العربية بحاجة حقا الى عددهم . ان خمسة ملايين في المهاجر الامريكية كلها يمكن ان تنتجهم الامة العربية في مدى خمسة اعوام او اقل . ولكنها

ثانيا - اذا كان المواطن المقيم جزءا من بناء الوطن الداخلي، فالمواطن المغترب امتداد لكيانه المادي والثقافي معا . وهو حياة اجتماعية اخرى فيما وراء حدود الوطن . وفي ظروفنا السياسية الراهنة ، يمكن ان يكون المغترب اجدى فعالية من المقيم ، في خدمة بلاده وقضاياها الخارجية . وعلى هذا فان المغتربين ثروة بشرية وموجة حضارية من الطراز الفريد في تاريخ العرب الحديث .

ثالثا - ان النهضة في حياة الامم حركة شاملة ذات اجزاء متكاملة ، لا يهمل بعضها لحساب البعض الاخر، كان يعمل للسياسة دون الاقتصاد ، او للاقتصاد دون الثقافة ، او للرجل دون المرأة ، او للمواطن دون المغترب . هذا اذا وضعنا بديهية اننا امة ذات مستقبل ورسالة حضارية . واننا يجب ان نخطط لهذا المستقبل ولهذه الحضارة . واللغة تراثنا الحضاري الخالد .

قد يعترض معترض آخر ويقول : قضي الامر واندمجت الجاليات العربية في محيطاتها وابتلعتها اوطانها الجديدة التي تنتسب اليها وتندمج فيها .

والرد على الاعتراض :

اولا - لا يهم ان تكون الاجيال من اصل عربي قد انتسبت واندمجت . فالبلاد العربية بالواقع لا تفتش عن مزيد من عدد الرعايا ، التي لا يضير اوطانها ان تعمل في جنباتها روحانية الثقافة العربية العريقة ، بل تفتح لها صدرها اذا وجدت .

(1) يعيش في مدينة (كوردوبا) المدينة الثقافية الجامعية الاولى في الارجننتين ، عربي سوري هو الاستاذ يوسف الفريب . وينصرف الى ترجمة الآثار العربية الى الاسبانية . وقد ترجم (كليلة ودمنة) و (عمر الخيام) ومجموعات من حكم العرب واقوالهم في كتاب (الحكمة العربية) ، كما ترجم جبران ونعمية وشفيق المفلوف . وقضى خمسة عشر عاما في ترجمة القاموس الاسباني الرسمي الى اللغة العربية ، في اكثر من ثلاثمائة الف كلمة ، مشيرا الى الاصل العربي للكلمات الاسبانية . وهو قاموس فريد من نوعه يقع في ثلاثة اجزاء جاهزة للطبع . والاستاذ الفريب في سن السبعين ويعتبر نموذجا للرجل العربي المغترب الذي كرس نفسه لخدمة لغته وتراثه .

(2) يساعد مكتب الجامعة العربية في بونوس ايرس احد الباحثين المؤرخين المعروفين (سيزار كيروس) في تأليف كتاب عن الجذور العربية لرجل (الفاوتشو). ومساهمة هؤلاء الصحراويين الارجننتينيين في معركة استقلال الارجننتين ، كمحاربين اشداء وفرسان مروءة ووطنية .

لا يمكن ان تؤلف هجرة جديدة ، على هذا المدى الفريد في التاريخ الحديث . لقد كانت الهجرة رمية اقداره . ومن ذكاء السياسة احيانا ان يتحالف الانسان مع اقداره . عندما يكون هذا التحالف فاصلا ايجابيا مخصبا .

ثانيا - من عجيب امر هذه الهجرة ، ان الابناء والاحفاد ، الذين هم ارجنتينيون بالمولد لا بالتجنس ، يستفيق جمع منهم على (شرف الانتساب) ، فاذا بهم اكثر احساسا بقضية الوطن الذي تعدر آباؤهم واجدادهم منه . ولهذه اليقظة الروحية اسباب ، اهمها : ثقافة الاجيال الجديدة من جهة ، وبراءتهم من مركب النقص والاضطهاد من جهة ثانية . وعلى النقيض كان آباؤهم واجدادهم فقراء اميين مصابين بدكرياتهم المريرة ، يشعرون بالاضطهاد، سواء في تذكّر المواطن التي هجروها ، ام في المواطن التي لجأوا اليها . فهم ليسوا سوى طالبي امان ورزق ، ونسيان ايضا . ولكن يجب الانسى مع ذلك ، ان الدفقة المهاجرة الثقافية في اواخر التاسع عشر واولل العشرين ، مما المعنا اليه ، قد صدرت من هؤلاء المترحلين الاميين الذين ، كما يقول بعضهم ، (علمتهم غربتهم الوطنية) ، والذين فهموا اسرار اللغة ، في المهاجر ، ودرسوا التاريخ ، واعطوا الادب العربي حياة جديدة .

ان المستيقظة مشاعرهم من الاجيال الجديدة ليسوا كثيرين بعد ولكنهم قلة تدل على وجود الينايع في الارض العميقة .

قد يكون ارتداد بعضهم الى الينايع نموذجاً امريكيًا لاينيًا شائماً في التفتيش من اصالة ، من هراقة ، من جدور عميقة . ولكن من المؤكد ان الارتداد الى منابع النسب العربي ، عن طريق الدين ، او عن طريق اللغة والتراث عامة ، يحمل شعورا عميقاً ، غير مزيف بشهوة التفتيش عن (مظاهر) الاصالة وحدها .

حتى الارجنطيني نفسه من مدرسة (الفاوتشو) يتجاوز في نظره الى المنابع ، موضوع الدراسة التاريخية ، والبحث العلمي ، ويعتبر وجود (الفاوتشو) في الاصول مسألة ثقافية اخلاقية .

ثالثا - يقال ان الجاليات العربية تفسخت في المرحلة الزمنية الاخيرة ، سياسيا وقوميا ودينيا ، وغدت مجموعة من المتناقضات والاتجاهات .

وهذا صحيح . بقي ان نعرف بالتفصيل وجه هذه الصحة . ان امراضهم ليست من صنمهم بل من صنع اوطانهم . والتفسخ هو بضامة مصدرة من المواطن الى المهاجر ثم ان هذا العالم قد تقلصت ابعاده وغدت تجري اخباره بسرعة البرق . وهؤلاء العرب يعيشون في هذا العالم وليس في الكهوف المحجوبة عن اجنحة الطيران والسنة البرق . وكثيرا ما نمجز في الاجابة عن تساؤلاتهم وحيراتهم وشكوكهم . ثم كثيرا ما نطلب اليهم ان يديروا ظهورهم لمشاكل اوطانهم . ويكون الابدون قدوة للاقربين . ولكن كلامنا بالحق ليس سوى (موعظة حسنة) .

ومع ذلك فكثيرا ما جردوا قضية اوطانهم تجريدا ورفعوها الى مستويات العقائد والكتليات وتجاوبوا مع ثورات اوطانهم في الاحزان والافراح ، والهزائم والانتصارات . وقامو وتمدوا على آمال مشرقة وخيبات مريرة .

ومع ذلك فقد منحوا بلادهم مدرسة ادبية فريدة وفجروا في المهاجر وفي المواطن مشاعر قومية اصيلة ، اقوالا واصملا ، خلال خمسين سنة من اوائل هذا القرن . وارسلوا الى اهلهم مليارات من الاموال كانت بالواقع جزءا لا يتجزأ من الدخل القومي العام الذي ساهم في رفع مستوى المعيشة في قرى ومدن كثيرة كبيرة وصغيرة . ولم يكن شعر المهجر وحده الذي يبلغ الاوطان ويشير المشاعر والمخيلات ، بل كانت الوف الرسائل الصغيرة تصل كل عام ليقرأها تحت ضوء قناديل الزيت والكاكاز في القرون النائية وازقة المدن الخلفية ، الوف المواطنين المتواصلين مع اهلهم برسائل الاشواق والاحزان .

لقد منحوا كثيرا ولم نمنحهم شيئا . لم ينسوا اصولهم الى الحد الذي يزعجه المتعمبون ، بل نحن في المواطن قد نسيناهم . وعندما يخطر لنا ان نفكر بهم ، في شأن انشاء مدرسة عربية ، لا نزال منذ ربيع قرن نساءل كأننا اذكيا : من يبدأ؟ هم ام نحن ؟ .. من يدفع ... هم ام نحن ؟

مقررة على مراحل ، تشترك في تمويلها الدول
والجماهير معا ، في المواطن والمهاجر ؟

ابها الاخوة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب

ارجو مملرتي اذا استطردت من الجواب عن
اسئلة استفناكم الى الخوض في تفاصيل الوضع
الاجتماعي والثقافي العربي في المهاجر. وفي رأيي ان
هذا التفصيل ملازم لجوهر القضية ، لاننا اذا طمعنا
الى بعث اللغة العربية خارج حدود الوطن
العربي ، وجب علينا ان نعريف ما هي الشروط
الاجتماعية والثقافية الكائنة والتي يجب ان تكون ،
لتصبح مظامحنا اكثر من امنيات وابساد من مجرد
(دراسات) .

احبيكم واشكركم واضح نفسي ، ما دمت في
هذا المهجر ، صاحب مسؤولية ، تحت تصرفكم في
كل ما يخدم الاهداف السامية التي تعملون في
سبيلها .

يستوي في اعمال المغتربين جميع المواطنين
العربية بالاضافة الى المواطنين الاساسيين : سوريا
ولبنان . والا فكيف نريدهم ، للغة والتراث وللسطين،
وننظر الى واجبات الدول العربية ازاءهم كوحدة ايضا
لنشرهم حقا بانهم اصحاب حقوق واصحاب
تبعات مما ؟

لماذا - مثلا - لا يشترك كويتي في مساعدة
مدرسة وسعودي في ترميم كنيسة ، وليبي في انشاء
جامع ؟ لماذا لا يدمى كاتب سوري الى المغرب او طبيب
لبناني الى اليمن ؟ ولماذا لا نستفيد من خبراتهم ونحن
نركض وراء الاجانب من اصحاب الخبرات ؟ ولماذا لا
نقيم لهم حلقات دراسية وبعثات جامعية .. وجولات
سياحية؟ والنخ الخ الخ .

بل لماذا لا نبدأ على الفور بتخصيص جزء من
دخل صندوق الدعوة العربية لتعليم اللغة العربية
ونشر آدابها وتراثها ؟ ولماذا لا نضع خطة علمية

تحديات وجه اللغة العربية التبشير والفتنة العربية

الأستاذ أنور الجندب

(القاهرة)

واجهت اللغة العربية منذ أوائل العصر الحديث تحديات خطيرة جائرة من خلال النفوذ الاستعماري الذي سيطر على العالم العربي ، ورأى في اللغة العربية عاملا من العوامل الخطيرة التي تعارض تثبيت قواعده . ومن هنا فقد عمد النفوذ الاستعماري الى عملين خطيرين :

اولهما : تجميد اللغة العربية عن التوسع في العالم الاسلامي

ثانيهما : توسيع نطاق اللغات الاجنبية وتشجيع اللهجات المحلية

وقد كان لمخطط التبشير الذي نفذه الاستعمار في العالم العربي اثره الواضح

في هذا المجال

الدعاة الى العامية ومدير دار الكتب بالقاهرة يختار ان يمشي في حي وطني « لكي يستقي العامية من منابعها الاصلية ولا يدون الا ما يسمعه ، ثم يدون ما يسمعه باذنه على كم قميصه خوفا من ان يلاحظه احد المتكلمين فيفقد طبيعته وحرية في الكلام »

وقد شغل عدد من هؤلاء الاجانب بأمر « العامية » المصرية واهتموا بها والفوا عنها وفي مقدمتهم ولهم سبتيا ، وكارل فولرس ، وسلدن ولعمور ، ووليم ويلكوكس . وقد بدأ ذلك منذ 1880 واستمر حتى عام 1926 تقريبا .

وفي خلال ذلك كان لطفسي السيد وقاسم امين وسلامة موسى قد حملوا لواء هذه الدعوة ثم اتصل ذلك بالدعوة التي دعاها عبد العزيز لهي عام 1941 عندما نادى بالكتابة بالحروف اللاتينية هذا في مصر وفي المغرب تولى كولان ومن بعده ماسينون لواء هذه الدعوة وفي لبنان ظهر كثير من الدعاة الى الحروف

فقد وجه التبشير الى اللغة العربية حملة ضخمة قوامها حقيقة اساسية هي ان القضاء على القرآن مصدر الاسلام وقانونه الاسلامي يتطلب القضاء على اللغة العربية الفصحى ولما كان التبشير والنفوذ الاستعماري لا يستطيع ان يكشف هذه الحقيقة صراحة فانه اخفاها وراء كل خطوة اتخذها بشأن الدعوة الى العامية او مهاجمة اللغة العربية وانتقاصها او الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وتكشف جميع النصوص التي بين ايدينا على ان هذا الغرض الدليني واضح في عقل كل من يتصدى لهذا الغرض ، ويبدو خطر الدعوة الى تحطيم اللغة العربية واضحا حينما نرى ان عددا كبيرا من البشريين والمستشرقين قد تصدوا للكتابة في هذا الموضوع واقاموا من انفسهم خداما لهذه الغاية لا يرون بأسا في التخفي وتغيير شخصياتهم في سبيل تحقيق ما يريدون ، حتى ان « ولهم سبتيا » اول

اللاتينية والعامية اللبنانية ، وقد كان هدف هذه الدعوة التي حمل لواءها التبشير اساسا لخدمة مخطط السيطرة الاستعمارية الثقافية انما يرمي الى تمزيق اللسان العربي في العالم الإسلامي كله وليس العربي وحده ، والقضاء على لغة القرآن كلية باحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى في كل قطر وبذلك ينفرط عقد الوحدة الجامعة التي كان قوامها هذا الكتاب المنزل والذي حفظ وحدة اللغة العربية طوال اربعة عشر قرنا .

ويؤكد الباحثون ان اهتمام الاجانب بالعامية « لم يكن من أجل البحث العلمي - ولا من أجل حاجتهم الى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم ان يعيشوا فيها - وتعاملوا مع اهلها وانما من أجل القضاء على العربية الفصحى واحلال العامية محلها (1) »

ومن الواضح ان هؤلاء الاجانب من المبشرين هم الذين وضعوا في مؤلفاتهم هذه الخطة الكاملة التي ما يزال يستقي منها كل دهاء الشعوبية والتفريب واتباع المستشرقين والمبشرين من ادعاءات حول ما يصنفونه بصعوبة اللغة العربية ، وصعوبة الحروف العربية ، واتهام اللغة العربية بانها لا تستطيع مجاراة العلوم الحديثة والفوارق الواضحة بين لغة الحديث ولغة الكتابة .

ولقد يدهش بعض السطاء لاهتمام الاستعمار والنفوذ الاجنبي باللغة العربية بغية القضاء عليها ، ولو علموا مكان اللغة العربية من الاسلام والثقافة وكيان الامم لما دهشوا ، فاللغة هي روح الامة ومزاجها ، وهي ينبوع ما عند الامة من المزاج الخلقى والشعور النفسي .

فلا تفكر الامة الا بلفتها ، والفرق بين الفكر وبين اللغة دقيق وخطير ، ولذلك فان القضاء على اللغة انما يراد به القضاء على روح الامة وافساده .

وفي هذا يقول المازني :

« ان الانسان لا يستطيع ان يفكر الا بالانفاظ فهي وحدها اداة التفكير فلا سبيل اليه بدونها ومن المستحيل ان تمثل معنى مجردا من الفاظ معينة ، ولكل

(1) كتاب تاريخ الدعوة الى العامية

لغة اساليبها وطرائفها فاساليب التفكير وطريقة التصور خاضعة للاساليب التي يتالف على مقتضاها الكلام في اللغات المختلفة ومن هنا يتفق وينشأه ابناء كل لغة ويختلفون عن ابناء كل لغة اخرى ، وهذا هو الفرق بين الانجليزي والفرنسي ، وما بين الانجليزي والهندي . »

وتمتاز اللغة العربية في هذا المجال عن اللغات الاخرى بان لها « كتابا » هو رسالة السماء الى المسلمين ، ومن هنا فهي تترايط بمد الجماعة العربية التي تتكلمها بجماعة اخرى تريد خمسة اضعاف من المسلمين الذين يجدون في هذا الكتاب لغة دينهم ولغة ثقافتهم ، ومن هنا فقد اصبح لغة العربية بهذا الوضع مكان فريد وخطير كان على الاستعمار ان يواجهه بحزم فحيث يذهب الاسلام تذهب اللغة العربية ، ومن هنا فقد عمد الاستعمار الى تجميد اللغة العربية في مختلف بلاد العالم الاسلامي التي سيطر عليها واعان لغته الاجنبية على السيطرة ، كما خلق من اللغات المحلية قوى يركز عليها لمحاربة اللغة العربية .

ومن هنا وفي سبيل اقصاء القراءن عن ثقافة الامم المسلمة سيطر النفوذ الاجنبي على وسائل التعليم وادارها بلفته التي اصبحت هي اللغة الاولى في كل قطر محتل ، واجرى تجميد المعاهد الاسلامية الخالصة كالازهر والقرويين وقد اشار المبشر الاكبر «زويمر» الى خطورة اللغة العربية حين قال :

« ان اللغة العربية هي الرباط الوثيق الذي يجمع ملايين المسلمين على اختلاف اجناسهم ولفاتهم » وكان هذا اشارة الى ضرورة العمل على هدم اللغة العربية الفصحى التي هي لغة القراءن .

وهذا هو المعنى الذي تلفت اليه المرحوم مصطفى صادق الرافعي في حملته على لظفي السيد ودعاء التسوية بين العامية والفصحى ، فقد كان الرافعي يعرف ان الهدف من ذلك هو احلال « لغة وسطى » قريبة من العامية لتكون لغة الكتابة وبذلك يعتمد المسلمون عن لغة القراءن البليغة وبذلك يصبحون عاجزين عن فهم القراءن او التعامل معه وهذا ما يهدف اليه الاستعمار .

انه يؤدي الى حصر العلم في طبقة ضيقة جدا من الامة ويقلل الاساتذة الكفاء ويلاشي القدرة العلمية والفنية التي بلغتها البلاد بما يميز هذه اللغة شيئا فشيئا .

ونصح المستر بلنت للمصريين والعرب بان يحافظوا على لغتهم ودينهم، فقال اذا اراد المصريون ان ينالوا استقلالهم ويحرروا وطنهم فعليهم الاحتفاظ بما احتفظت به كل امة مهضومة ، وهو « الدين واللغة » فان الامة التي تقبل لغة الفاتح تشكل على نفسها اللد والطاعة العمياء والامة التي تقبل دين من اقتصب بلادها تخون شرفها الوطني

ولعل اخطر ما تحمله خطة الفرو الاجنبي بالنسبة للغة العربية هو ما حاوله « ويلكوكس » من تاصيل للعامية والادعاء بانها لغة خاصة مستقلة عن اللغة العربية وانها جاءت من لغة اخرى ماتت هي اللغة البونية ، فقد نشر رسالة عام 1926 بعنوان « سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية » : زعم فيها ان اللغة التي يتعلمها الناس من حلب الى مراكش بما في ذلك مالطة هي اللغة الكنعانية او الفينيقية او البونية ، كما زعم ان اللغة البونية التي هي اساس لغة الحديث عندنا لا صلة لها بالعربية الفصحى فقد دخلت مصر قبل ان تدخلها الفصحى بالف سنة وانها انحدرت اليها من الهكسوس (1) .

وهذه محاولة جريئة وماكرة ومبطللة للقول بان اللهجة العامية هي لغة قائمة بذاتها وانها كانت موجودة قبل الاسلام والهدف من هذا هو تاصيل الدعوة الى العامية في محاولة لاحلالها لغة للكتابة حيث يردد هؤلاء جميعا العلاقة بين العامية والعربية ويقارنوها بالعلاقة بين اللاتينية واللغات الاوربية الحديثة وهي مقارنة باطللة ومضللة وقد رددنا على هذه الاتهامات في كتابنا « اللغات العربية بين حمايتها وخصومها » .

والمعروف ان ولكوكس كان من اكبر دعاة العامية وانه ترجم الانجيل بالعامية - كما ترجم بعض قطع

ومن اخطر دعوات التبشير والتفريب تلك الدعوى التي تحدث كثيرا عن الادب الشعبي والفلكلور ولا يفهم الاحاح في هذه الدعوة الاجنبية الا حين نرى حيرة سبتيا وفولرس وولور وويلكوكس في البحث عن ثقافة شعبية يريدون اسنادها الى اللهجات العامية وبذلك يستطيعون ان يقولوا انها « لغة » وشرط اللغة ان تكون لها ثقافة ومن هنا عمدوا جميعا الى جمع المواويل والاجال والحكم العامية .

وقد جرت هذه الدعوة في الوقت الذي كان « دنلوب » يستولي فيه على مقاليد التعليم في مصر ويضع النظام الذي يريد به تغليب العامية والانجليزية واختصر دراسة العربية وكل ما يتصل بها بعد الاحتلال .

ثم جاء « سلدن ولمور » بعد الاحتلال فاضاف الى دعوة من سبقوه الى العامية - الممثل على كتابة العامية بالحروف اللاتينية .

وازرت مجلة المتكطف وبعض الكتاب من خريجي الارساليات والمعاهد الاجنبية هذه الدعوة ورددوا آراء هؤلاء التي تلخص في اثاره الشبهات من الخلاف بين لغة الكلام ولغة الكتابة وضرورة احلال اللغة الاجنبية في التعليم نتيجة الارتباط بالدول الاوربية .

وكان سعد زغلول « اول ناظر للمصارف العمومية هو اكبر دعاة بقاء اللغة الانجليزية لغة عامية للتعليم ، وقد استطاع الاستعمار والنفوذ الاجنبي به ان ينقل السهام الموجهة الى كرومر ودنلوب الى قلب وزير عربي هو الذي تصدى ليحمل لواء الدفاع عن بقاء اللغة الانجليزية كأساس للتعليم وتجميد اللغة العربية .

وعارض هذا الاساس كبار قادة الصحالة والسياسة في هذه الفترة وفي مقدمتهم : مصطفى كامل ومحمد فريد وعلى يوسف واثاروا الى مدى الخطر الناتج من هذا الاجراء . وكيف

(1) لزيادة التفاصيل راجع كتابنا (اللغة العربية بين حمايتها وخصومها) وكتاب تاريخ الدعوة الى العامية .

لشكبير وقد وجدت هذه الترجمات ازدراء أو احتقارا كبيرين ولم يتقبلها احد .

كما اجري هؤلاء الاربعة (سبيتا ، فولرس ، ولور ، ويلكوكس) محاولات متعددة للدفاع عن العامية وذلك بادعاء القول بان لها قواعد محددة .

وكان الهدف من هذه الحملات المتوالية التي بدأت (1880 - واستمرت الى 1926) واحدا هو ليس فقط كما يقول بعض الباحثين الذين لم ينظروا الى الامور نظرة عميقة « فصل المسلمين والمغرب من ماضيهم وتفتيت وحدتهم بل هو اكبر من ذلك واطغر وهو السر المكتوم في حنايا الصدور : القضاء على لغة القرآن واحلال لهجات تصبح لغات فينطوي كتاب الاسلام الاكبر ويفقد خاصيته الكبرى وهي وحدة الفكر بين المسلمين .

ومن خلال هذه المخططات التي رسمها التبشير والاستشراق ، انبثقت دعوات لطفي السيد وسلامة موسى وعبد العزيز فهمي في مصر وغيرهم في لبنان (الملووف والخوري ومارون حصن) - وما تزال كتابات دعاة العامية في مصر والعالم العربي الى اليوم

تستمد مصادرها ودفاعها وهجومها على الفصحى من هذه الكتابات التي وسدت لهم مجال الدعوة الباطلة .

وكذلك فعل التبشير والاستشراق في كل جوانب الفكر الاسلامي هذا الفعل ، فاعد ركييزة اساسية باقلام رجاله وترك لتابعيه وخداميه الانتفاع بها وترديدها ولقد قرأت في الاقوام الاخيرة رسالة القيت في احدي المؤتمرات الغربية عن العامية ، لا تكاد تخرج في مضمونها عن كلام ويلمور وويلكوكس وان كانت بحروف عربية وبتوقيع اسم عربي .

ولم تمر هذه الحملات على اللغة العربية دون معارضة وتفنيد بل لقد واجهت هذه الحملات ردود فعل قوية وكتب الكثيرون يفندون آراء لطفي السيد ورد عليه مصطفى صادق الرافعي وعبد الرحمان البرقوقي ، وفند الدكتور احمد الحوقي آراء سلامة موسى وفند عبد الوهاب عزام وكثيرون آراء عبد العزيز فهمي .

وما يزال يردد هذه الدعوى كثيرون في هذه الجيل من امثال ميخائيل نعيمة وليويس عوض وسعيد عقل وسوف لا يكون رجاؤهم باكثر من رجاء من سبقوهم .

صدرت للاستاذ انور الجندي الموسوعة الاسلامية العربية في عدة مجلدات نخص بالذكر منها بحوثا حول الفكر العربي في معركة التفريب والتبعية الثقافية ومعالم الفكر العربي المعاصر والفكر الاسلامي والثقافة العربية ، ولسيادته ايضا « معالم الادب العربي المعاصر » (1871 - 1939) .

البحر العربي الجديد

يجب أن يكون موحداً ثقافياً:

- معرفة حقيقة جواهر الدين

- مواكبة الحضارة الحداثة

الأستاذ محمد سركس ولبناش

مستقبلهم السياسي ومصالحهم العامة بالعالم الغربي .

ان هذا التيار الثقافي جرف عددا كبيرا من المثقفين المسلمين وبصورة خاصة اولئك الذين تربطهم بالاسلام لوراثة اكثر من الايمان، او الذين يمارسون الاسلام بالمصيبة اكثر مما يمارسونه بالعبادة .

وكما هو طبيعي ، فقد تركت الثقافة الغربية آثارها العميقة على :

(1) تفكير هؤلاء .

(2) وعلى طريقة تفكيرهم .

واذا كان موضوع الفكر في حد ذاته ليس هو موضوعنا ، الآن فان طريقة التفكير واللغة هي اداها ووسيلته التعبيرية تكشف لنا عن الوقائع التالية :

1 - هناك دعوة ملحة لاستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني كما جرى في تركيا على يد (أتاتورك) ويتزعم هذه الدعوة الاديب اللبناني (سميد عقل) وقد ألف بالفعل كتابا اسمه (بارا) بهذه (اللغة الجديدة) .

انني من الذين يذهبون مذهب الربط بين الاسلام والعربية . وحسبي برهنة على ذلك ان القران الكريم قد انزل باللسان العربي ، وان ملايين المسلمين - مربا وعجبا - مضطرون الى ان يرتلوه ويتلوه به . ثم انني لاحظت ان مستوى العربية في البيئات الاسلامية ارتقى منه في المجتمعات غير الاسلامية . فانتشار اللغة العربية - في اعتقادي - منوط بانتشار الاسلام . ونحن نعلم انه لما خرجت الدعوة من شبه جزيرة العرب خرجت العربية من تلك البيئة الجغرافية المحدودة ، وانطلقت اني انطلق الاسلام . بل لاحظت ان العربية موقرة ، مبهجة في اوساط المتدينين ، اي حيث يقوى الوازع الديني ويشتد .

اما اليوم فان الثقافة الرائدة في لبنان هي الثقافة الاجنبية التي تحمل لواء نشرها وتعميمها البعثات التبشيرية المسيحية الاجنبية وبعض المؤسسات الاجنبية والمحلية الخاصة .

ثم ان كون نصف سكان لبنان على الاقل من غير المسلمين ، وحرصهم على اظهار لونها وكيانهم الذاتي وسط مجموعة من الشعوب الاسلامية التي تحيط بهم في منطقة الشرق الاوسط ادى الى اندفاع هذه الفئة من اللبنانيين نحو الثقافة الغربية بصورة عامة لارتباط

2 - وهناك أيضا دعوة لاستبدال اللغة العربية الفصحى باللغة المحلية المحكية . وقد نشرت بالفعل عدة مقالات وابحاث وصدرت كتب مختلفة « بهذه اللغة » ايضا .

3 - وهناك كذلك دعوة تلقى رواجاً واسعاً في اوساط المثقفين اللبنانيين للخروج من دائرة التعبير اللغوي التقليدي الرصين ، الى دائرة اقل التزاماً بمبادئ اصول اللغة ، وذلك على غرار ما يجري في الدول الاوروبية حديثاً ، ولعل ما بات يعرف الآن بالشعر الحديث هو واحد من نتائج هذه الدعوة .

على ضوء هذه المعطيات الاولية قد يكون من المفيد ان نعود قليلاً الى الوراء ، الى فترة الحكم العثماني في المنطقة العربية ، فلقد كان دين الدولة الاسلام ، دستوراً وممارسة ، وكانت العناصر غير الاسلامية خاصة في لبنان ، تحمل لواء اللغة العربية في مختلف اقطار المنطقة ولاسيما في مصر والعراق . اذ انه في ذلك الوقت ، لم تكن « شخصية » تلك العناصر تتمتع بما تتمتع به الآن من استقلال ذاتي من بقية مجموعة الشعوب العربية .

اما في وقتنا الحاضر فلا يقتصر ما هو كائن على عكس ما كان ، بل ان شعارات الثورة والتقدمية تم بعض الدول العربية حتى تبدو هذه الدول ، وكأنها تحللت ، او على الاقل تحاول ان تحلّل من الاربطلة التي تشدها الى الاسلام كدين للعبادة وكمنهج في الحياة .

وإذا أخذنا لبنان الذي كان منارة الثقافة العربية ، بالتالي منارة اللغة العربية في العهد العثماني ، فاننا نجد الآن يتجه بعمق نحو الثقافة الغربية شكلاً ومحتوى ، نتيجة التحولات المشار اليها في صميم تكوينه المجتمعي . فانتاج دور النشر اللبنانية هو بالفعل انتاج غزير جداً ، غير اننا بعد التعمق في درسه نجد ان اكثره الساحقة هي عبارة عن مترجمات او مقتبسات من الادب او الفكر الغربي ، ونجد ايضا ان الانتاج العربي الصميم غالباً ما يقتصر على اعادة طبع مؤلفات قديمة او تلخيص لتلك المؤلفات . واما الانتاج الحديث فهو في اكثره منطلق فكرياً من معطيات لا تمت الى العربية الا بصلة كون الحواجز مرفوعة بين منابع الثقافة العالمية في عصر صغرت فيه الدنيا ولم يعد يحسب للمسافات حساب .

وهناك ايضا امر آخر لا بد من الوقوف عنده وهو ان نوع المادة المكتوبة في الثلث الاخير من القرن العشرين تفرض الى حد معين نوع اللغة . وبكلام آخر ، لقد تفتحت امام العالم آفاق علمية واسعة من المعرفة ، واستحدثت كلمات وتعابير لم تكن موجودة في اللغات من قبل ، ولما كان موكب الحضارة العربية في هذا الوقت مقصراً عن اللحاق بالركب العالمي ، فان اللغة العربية تبدو بالتالي مقصورة هي الاخرى . ليس المهم هنا القاء المسؤولية على عاتق اللغة او على عاتق اصحاب اللغة انما المهم هو اقرار الحقيقة التالية :

ان انتشار او انحسار اللغة العربية ليس مرتبطاً دائماً بقوة او بضعف الاسلام ، انما هو انعكاس لمدي انفتاح او انغلاق الفكر العربي ولمدى تقصيره او مساهمته في عالم الكشوف العلمية والتحولت السريعة في معرفة حقائق الكون المجبولة .

ومهما بدل العربون من جهود فانهم يبقون عاجزين من ازالة هذه الوصمة من جبين اللغة العربية رغم ان هذه اللغة مهيأة في تكوينها الطبيعي لاستخراج كل ما يحتاجه العلم الحديث من كلمات وتعابير جديدة .

ان المجتمع العربي كما يبدو اكثر وضوحاً في لبنان منه في أي مكان آخر يقوم على اساس ثقافتين اثنتين ، الاولى : ثقافة دينية تجهل اصول العلم والتقنية الحديثين ، والثانية : ثقافة علمية مجردة ، جاحدة او جاهلة لحقيقة الاسلام . ومن المؤسف ان يكون الاحتكاك بين هاتين الثقافتين ، على حساب اللغة العربية من حيث ان الاولى المتهمة بالجهل والتأخر والعجز عن مواكبة تطور العصر تستعمل اللغة العربية اداها التعبيرية ، فتتفر الثانية منها وتزيد في اندفاعها نحو اللغات الاجنبية التي تعتبرها لسان الحضارة . ولذلك فكثيراً ما نسمع مهندسا او طبيباً او حتى محامياً يدمي انه يفكر باللغة الاجنبية ، افضل واسرع مما لو يفكر باللغة العربية . من كل ذلك ، اريد ان اسجل الحقيقة التالية ، وهي ان هناك اسباباً نفسية واخرى ثقافية حديثة الى جانب الاسباب الدينية ، تلعب دوراً أساسياً في تفرير قوة او ضعف اللغة العربية في المجتمعات الاسلامية . ولعل ذلك ما يفسر الفشل في تعميم اللغة العربية حتى الآن في باكستان واندونيسيا وماليزيا او حتى

21

2 - ويدرس مختلف أنواع العلوم باللغة العربية بعد أن يكون قد تم تعريب المصطلحات والمفردات المستحدثة . وبذلك ينبثق من المجتمعات الإسلامية جيل موحد الثقافة يجمع بين معرفة حقيقة جوهر الدين الإسلامي من جهة ، ويواكب سير الحضارة المصرية من جهة ثانية بلغة واحدة قادرة على أن تلبي كل حاجيات التطور ومتطلباته .

في بعض الاقطار الافريقية حيث كل السكان او اكثرية الساحقة من المسلمين الذين يتمسكون بلغة القرءان الكريم كاحدى الروابط الدينية المقدسة التي لا انفصام لها .

اما كيف يمكن التغلب على هذا الواقع فربما تكون هناك وسائل عديدة اهمها في نظري يقوم على تنشئة جيل جديد يدرس :

1 - الثقافة العينية جنباً الى جنب مع الثقافة العلمية الحديثة .

العربية تحمل في ذاتها نزعنا إنسانية . هي إسها والعرب في حضارة العالم الأسيا ذكريّة الارسنوزي

في الالف قادر على انشاء رسالة الى صديق بلاينية مستقيمة ولكن اذا استدمى الامر كتابة العربية فكم منهم من يستطيع ان يعبر عن نفسه في تلك اللغة بأعظم ما يكون من الرشاقة . بل لقد يقروضون من الشعر ما يفوق في صحة نظمة شعر العرب انفسهم - الفارو » .

ولكن لما كرت أوروبا على العرب واحتلت فرنسا لبنان ارتفع صوت مائل لصوت الفارو في الشكوى غير ان الشكوى في هذه المرة كانت من مدرس اللغة العربية على اهمال الناس لغة اجدادهم من اجل لغة الفاتحين (اللغة الفرنسية)

واذا كان مصير اللغة يتبع مصير متكلمها افلا تختلف اللغات بعضها عن بعض من حيث المقدرة على البيان وتشخيص المعنى ونقله حيا الى الاذهان ؟ في مجال المفاضلة بين لغة واخرى كمجموعة من الادوات . يقول الفكر الالماني هوستون شامبرلسن : لو بقي « كانت » على لغة اجداده الانجليز ما كان بلغ ما بلغ من شأو في الفلسفة . وهو يستعمل اللغة الالمانية . واذا كانت شعوب أوروبا قد اتخذت اللغة اللاتينية لغة اساسية في تعليم الناشئة ، فان الاختيار لم يكن بتاثير الدكريات التاريخية (ذكريات روما القديمة) بل لان اللاتينية اصلح من لغات هذه الشعوب لابضاح المفاهيم الانسانية .

احد المؤرخين الفرنسيين (ارنت دين) يقول في حديثه عن الوحدة الالمانية ان مصير اللغة يتبع المصير السياسي لتكلمها ويضرب لنا مثلا بتساوب الناس في الاقبال على اللغة الالمانية او اللغة الفرنسية تبعا لمركز كل من المانيا وفرنسا السياسي في العالم ، وللعرب تجاربهم من هذا القبيل ، فلما بلغ المد العربي في غضون القرون الوسطى سهول فرنسا أصبحت ثقافة العرب منهل الشعوب الاوروبية واليك بعضا مما ورد في هذا الشأن على لسان احد ادباء ذلك العصر :

« يطرب اخواني المسيحيون لاشمار العرب وقصصهم ، فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين ، لا لتنفيذها بل للحصول على اسلوب عربي صحيح رشيق ، فابن تجد اليوم علمانيا يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة ، وابن ذلك الذي يدرس الانجيل وكتب الانبياء والرسول ؟ وا اسفاه .. ان الشباب المسيحيين الذين هم من ابرز الناس مواهب ليسوا على علم من أي ادب ولا اية لغة غير العربية ، فهم يقرأون كتب العربية ويدرسونها بلهفة وشغف ، وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة ، وهم يترنمون في كل مكان بمدح تراث العرب وانك لتراهم من الناحية الاخرى يحتجون في زوايا اذا ذكرت الكتب المسيحية بان تلك المؤلفات غير جديرة بالشفاهم فوا حر قلباه . . . لقد نسي المسيحيون لغتهم ولا يكاد يوجد منهم واحد

وأما مقدرة اللسان العربي على البرهان فقد استرعت انتباه كل من أولى عنايته دراسة لغة الضاد واليك بعضاً من ما تورد القول في هذا الشأن :

« فإما ما نحن بصدد ذكر اللغة العربية فلا نزاع في ميزتها على سائر اللغات وفضلها ، أما السعة فالأمر فيها واضح ومن تتبع فيها جميع اللغات لم يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الاسماء للمسمى الواحد ، على أن اللغة الرومية بالضد فان الاسم الواحد يوجد فيها للمسميات المختلفة كثيراً » (سر الفصاحة لان سنان الخفاجي) يضاف جمال الصوت الى ثروتها المدهشة في المترادفات (الزهر في علوم اللغة للسيوطي) نعم أن المعاني يمكن أن يعبر عنها باللغات الأجنبية ، ولكن العربية تستطيع أن تنقلها بدقة أكثر وإيجاز أتم . (الزهر) وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من البسر في استعمال المجاز ، وأن ما بها من كنيات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق لغة بشرية أخرى . . ومثل هذا الحال يجعل الترجمة المرصية من العربية واليها أمراً مستحيلاً . وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني ، وفي النقل اليها يبين ذلك أن الصورة العربية لأي مثل هي أقصر في جميع الحالات فليس كلام ينقل الى لغة العرب إلا ويجهل الثاني أوجز من الأول مع سلامة المعاني وبقالها على حالها .

ولقد ادهشت اللغة العربية بمقدرتها على البيان . يقول ابو داود الطران وهو عارف باللغتين العربية والسريانية: انه اذا نقل الالفاظ الحسنة الى السريانية قبحت وحسنت « واذا نقل الكلام المختار من السرياني الى العربي ازداد طلاوة وحسناً . ويقول الفارابي بصدد البيان في لغة الضاد . هذا اللسان كلام أهل الجنة وهو المنزه من بين الالسنه من كل نقيصة والمعلي من كل خسيصة والمهدب مما يستهجن أو يستبشع وفضلاً من ذلك فان فصاحة العرب الفطرية مجيبة .

ومع ما عليه مركز العرب السياسي اليوم من وهن فان الأستاذ هنري دوباستيه يكتب في جريدة (لوموند) عن رسالة اللغة العربية نحو الثقافة الانسانية :

« ان اللغة العربية التي نبتت في الصحراء ، حيث يشخص النظر في كل ليلة نحو السماء الثلاثة بالنجوم ، ان تلك اللغة بمحتواها الانساني والالهي ، توجه الأذن نحو السمو ، نحو المثل الأعلى ، نحو المطلق . وهكذا فان اللغة العربية تحمل في ذاتها نعمة انسانية كانت نعمة المسيح والتي لا تستطيع لغاتنا البربرية البتة أن تعبر عنها بوجه من الوجوه وهي تشكل اسهام العرب في حضارة العالم . وهذه اللغة هي كنز العرب .

ونحن الاحفاد ، يحق لنا ان نضيف رأينا في مزايا اللسان العربي الى آراء السابقين في هذا المضمار ولاسيما اذا كان هذا الرأي يفسر لنا سر تفوق هذا اللسان على غيره من اللغات . فنحن نرى أن اللسان العربي أقوى من اللغات الأخرى في توضيح المفاهيم الانسانية بمشابة حسن الرؤية من حواس الجسد . ومزية اللسان العربي هذه ترجع الى الخيال المرن المتضمن في الكلمة والخيال المرن او الصورة هذه تبرز من ثنابا البنية الاشتقاقية للكلمة العربية كظهور صورة الاشراق في معنى كلمة « ذكاه » المتضمنة صورة ذكاه الشمس . ولقد مثلت ذات مرة الكلمة العربية بين شقائقها في الاسرة بمصباح في ثوبا يزداد معناها تألقاً بتجاوبه مع معاني شقائقه في الاسرة . كما مثلتها مرة أخرى بنفيسة في انشودة من حيث اثارها للانفعالات العميقة في تشخيص المعنى وتحقيقه .

فالى م يرجع امر مزايا اللسان العربي هذه ؟ ترجع هذه المزايا الى نشأة لساننا البدائية والانسجام بين المحسوس والمعقول بين المسميات الحسية وبين المعاني المجردة كما ترجع الى الانسجام بين المضمون وبين العبارة ، أي بين المعنى المتضمن في العبارة نفسها . ظل اللسان العربي امتداداً لعبارة الهيجان الطبيعية وتجسيداً لها . الاخ والاخوة والاخاه هي امتداد لعبارة أخ عبارة التوجع الطبيعية . واذا اضيف الى صوت الهيجان اصوات أخرى كالاصوات المستحدثة في الفم (بت الحاصلة من تقاطع اللسان بالنطق ومنها . بتر والباثر واذا اضيفت الاصوات المقتبسة من الطبيعة الخارجية كصوت خرير الماء ومنها خرب وخر ؟

بل هناك البيان الصوتي أيضا . معلوم ان اللسان امتداد صوتي لعبارة الهيجان التي تجسد الشعور وتشارك بتجسيدها آياه الآخرين . واليك مثالا عن هذا المعنى في لساننا من الازراب .

حركة الفتح تعبر عن معنى الركون الحاصل من ركون اللسان عند خروج الصوت وتمدد الدهن في المفعول والفعل الماضي الى المشاركة في هذا المعنى . وحركة الضمة الحاصلة من تدافع الصوت تعبر عن الفعالية وتمدد الدهن للمشاركة في معنى الفعالية في الفاعل وفي الفعل المضارع .

ذلك هو اللسان العربي بمثل الحياة في صمودها نحو الحق والحقيقة .

واذا تجمع ذلك كله فان الحياة تنمو في تطورها بالاستناد الى الايقاع والى حسن الرؤية المتصفة بالوضوح والدقة .

فالى نشأة كل من الكلمات العربية من صوت طبيعي يرجع الانسجام بين المحسوس والمقول . كلمتا ذكاء - الشمس والذكاء في النفس يرجعان الى صوت ذلك وتكون الشرارة الى حالة من ذلك صورة حسية للاشراق (الذكاء) في النفس . وكذلك الكلمتان شريعة وشارع يرجعان الى صوت شر والشارع تعريف بالمحسوس للشريعة كمجموعة قواعد يسلك عليها الناس في علاقاتهم بعضهم مع بعض .

وليس البيان في اللسان العربي بالمجاز فحسب

الإسلام ولغة القرآن في نظر الجامعة السورية

تلقينا من وزارة خارجية الجمهورية العربية السورية اجوبة جامعة دمشق وجامعة حلب ومديرية البحوث ، بوزراء التربية من الاستفتاء الذي نظمه المكتب الدائم للتريب في العام الماضي حول « علاقة الاسلام باللغة العربية » وقد وصلتنا هذه الابحاث بمد ان أصبح العدد السادس من مجلة « اللسان العربي » جاهزا للطبع فأرجأناها الى هذا العدد معتدين :

افترض عليه من التكبير وامر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، ومهما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وانزل به آخر كتبه ، كان خيرا له .

غير انه لا ينبغي ان يكون خافيا في هذا الصدد ، ان مرد هذا التلازم انما هو نزول القران بلغة العرب ، فلولا ان الله عز وجل اقتضت حكمته اختيار هذه اللغة ترجمانا لكلامه وتعبيرا عن خطابه لكان شأنها كشأن أي لغة أخرى بل ولنشا التلازم الذي ذكرنا بين الاسلام واللغة الأخرى التي كانت الحكمة الإلهية تختارها .

ومن هنا نعلم انه لا يمكننا ان نقول بحال : انه لولا ان اللغة العربية هي لغة القران لما انتشر الاسلام .

والواقع التاريخي الذي يبدأ من عصر البعثة النبوية الى يومنا هذا ، اعظم دليل وبرهان على واقع هذا التلازم الذي ذكرناه ، وفيما يتعلق بواقع بيئتنا السورية خاصة ، فان مما هو مشاهد ومعروف عندنا لكل أحد انه عندما كانت البرامج التعليمية عندنا في المدارس الابتدائية والثانوية تعني كثيرا بتدريس

لا ريب ان هناك قدرا من التلازم بين الاسلام واللغة العربية ، بمعنى ان الاسلام كلما ارتفع شأنه وشاعت احكامه ازداد معه شأن اللغة العربية قوة ورفعة وانتشارا ، وان اللغة العربية كلما ارتفع شأنها وتوسعت انتشارها او ازدادت درجة التعمق فيها والدراسة لعلومها ، ازداد بذلك امر الاسلام ظهورا واصبح السبيل الفكري اليه اشد جلاء واستقامة ووضوحا .

وكيف لا يكون اشتداد الوازع الاسلامي اعظم سبيل الى قوة اللغة العربية والمزيد من انتشارها ، وان الاقبال على تعلمها انما يكتسب اذ ذاك معنى التعبد لله عز وجل والمعكوف على فهم دينه واحكامه .

وقد فرغ الفقهاء من بيان انه يجب على المسلم ان يتعلم من اللغة العربية ما يبصره بحكم الله عز وجل في كتابه وسنة رسوله ما لا غنى له عنه ، وفي ذلك يقول الامام الشافعي رحمه الله في كتابه « الرسالة » :

(فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما

اما فيما يتعلق بمدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القردان في اللهجات او اللغات الاقليمية في الاقطار الاسلامية ، فان الامر يختلف بالنظر الى اختلاف التاريخ .

ففيما مضى ، وحينما كان سلطان الاسلام منبسطا على نفوس الشعوب الاسلامية وسلطانها الحاكمة مما ، كان تأثير الاسلام على اللهجات واللغات الاقليمية تأثيرا عظيما وكليا ، ولا يجهل احد ان معظم البلاد العربية اليوم انما كان اهلها اخلاطا من الاحاجم المختلفين ، ولا يجهل احد ان التاريخ القديم والقريب يملأ اذهاننا بأمم من الاكراد والترك والفرس والشركس والهنود تجردوا عن خصائصهم اللغوية ، وصقلت السنتم اللغة العربية بتأثير من الفكر الاسلامي الذي سيطر على نفوسهم .

اما اليوم فمن المؤسف ان نقول : ان التأثير الاسلامي في اللغات الاقليمية او اللهجات المحلية لم يمد قويا كما كان ، ذلك ان سلطان الاسلام قد انحسر مده ولم يمد يتجلى الا في نفوس الشعوب الاسلامية كشعوب ، وهذا القدر لا يكفي لظهور اثر الاسلام ولغة قردانه على اللغات الاقليمية او اللهجات العربية المختلفة .

ان اللهجة الاقليمية التي تشيع في تعابير اقليمنا السوري ، ليست من اللهجات البعيدة عن اللغة العربية الاصيلية ، ومن ثم فان تأثيرها على اللغة العربية تأثير جزئي ولا ريب ان يضعف ويقوى حسب اختلاف التأثير الديني قوة وضعفا .

ومع ان هنالك لهجة عربية اقليمية لدينا ، فان اللغة العربية الاصيلية ، هي وحدها اللغة الطليعية واللغة الدراسية في شتى مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي ، ومهما كانت العلوم التي تدرس فان الاداة التعبيرية عنها هي اللغة العربية وحدها .

اما اللغات الاجنبية ، فشانها كشأن المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب في المدرسة قصدا الى تميم مقوماته الثقافية وتسهيلا لوسائل الترجمة والتعريب .

القردان والعلوم الدينية ، كانت الملكة العربية لدى الطلاب في غاية القوة والاشراق وكانوا من اجل ذلك يهضمون في دراستهم العربية منهاجا زائرا بالعمق والقوة ، فلما قلت العناية اخيرا بالقردان ودراسته وما يحف به من العلوم الدينية التي ثبت الوازع الديني في النفوس وتشد من ازره ضعفت الملكة العربية لدى الطلاب ضعفا بينا وخطيرا ، واصبح منهاج الدراسة العربية ، رغم ضآلته الشديدة بالنسبة للمنهاج القديم عقبة كاداه في طريق الطالب لا يكاد يجتازها الا زحفا وجرا . . هذا بالرغم من حشد كل ما قد يظن انه ضمان لتقوية الطلاب في هذه المادة ، في النظام الدراسي العام ، من مثل الاكثار من الساعات الدراسية ، واشتراط المزيد من الدرجات للنجاح فيها وما الى ذلك .

ولا ريب ان من نتيجة التلازم الذي ذكرناه ، ما هو واضح لكل متأمل من تآثر الوازع الديني والوحي الاسلامي بما يعترى اللغة العربية من قوة او ضعف .

ونحن هنا لا بد ان نفرق بين العاطفة الاسلامية ، والوحي الاسلامي ، فاما العاطفة ، فلعل التلازم بينها وبين اللغة ضئيل ، ومرد ذلك الى ان للاسلام في مجموعه سلطانا على الفطرة الانسانية اذا خلى وشانها ، فالفطرة تنقاد وتتأثر بالاسلام كعقيدة وايمان دون اي حاجة الى وساطة لغة ، اما الوحي الاسلامي وما يتبعه من الوازع الديني الصحيح ، فان منافذه الى الفكر والعقل لا يكون الا في طريق اللغة العربية .

ان بلدة اسلامية كتركيا مثلا ، لا يعدم معظم اهلها عاطفة دينية متاججة رغم جهل عامتهم باللغة العربية ، ولكنهم لا يركنون اطلاقا الى اي ركن شديد من الوحي الاسلامي الذي هو وحده الذي يقدر ان يحمي افكارهم الدينية من اي تلبيس او خداع ديني قد يتسلل اليهم .

ومن اجل ذلك ملاحظة ان الكيد التبشيري ضد الاسلام انما يستهدف تلك المناطق الاسلامية التي توجد فيها حرارة عاطفية نحو الدين ، ولكنها تعيش قاصية عن الوحي الاسلامي بسبب انحباسها في سجن العجمة وانسداد المنافذ التي توصل افكار اهلها بحقيقة الاحكام الاسلامية وما تنطوي عليه من منهج وتنظيم

الإسلام عز العروبة

الأستاذ درويش العلواني

وزير الدولة والأوقاف سابقاً
(دمشق)

ففي أواخر القرن السادس للميلاد كانت القوتان المتقابلتان المسيحية والمجوسية تحيطان بشبه جزيرة العرب وظلت أرض العرب واحة حصينة آمنة من الغزو إلى حد ما إلا من بعض أطرافها ، وكان لموقعها وطبيعتها الجغرافية أثر في حماية أهلها وفي تكوين طباعهم ومزايهم ، فقد حصنتهم البحار المحيطة من ثلاث جهات والصحراء من الجهة الرابعة من تغفل الأماجم ونفوذ الدولتين الكبيرتين إذ ذلك : دولة الفرس ودولة الروم وجملتهم يمتزون بالحرية ويفخرون بالأباء والشمم ويباهون بالحمية والنجدة والكرم والوفاء مما طبع العربي على خصائص وميزات ظلت ترافقه زمناً طويلاً .. وكانت سبباً في إثارة الفيرة والحقد لدى العناصر الأعجمية التي ابت أن تقر لهم بميزة أو فضل ولو ظهر الإسلام في بلادهم وكان القرمان عربياً وصاحب الرسالة من أشرف بطن في العرب ومن خير ولد آدم وكان خياراً من خيار .

لم تكن هناك مناطق زراعية إلا في اليمن وبعض الواحات التي تصل إليها الأودية حاملة بعض الماء عقب الأمطار العارضة والنادرة والمفاجئة أو بعض العيون والينابيع القليلة في أكناف الجبال العالية أو القريبة من البحر . كما لم تكن هناك صناعة تذكر إلا

بطن بعض ذوي التفكير السطحي أن القومية لا تكمل إلا إذا ابتعدت عن الدين وكأنها شيء فوق الأديان أو لا صلة لها بها ، وما عرفوا أن القومية العربية بصورة خاصة لا تستطيع الإبتعاد عن الإسلام ولا عما جاء به كما لا تستطيع اللغة العربية أن تكون ذات شأن بعيدة عن القرمان الكريم . وإنما لا نستطيع أن ندرس التاريخ العربي بعيداً عن الواقع الإسلامي والحضارة الإسلامية .

ويظن آخرون أن الإسلام كائن مستقل من العرب والعروبة وأنه دين فقط كغيره من الأديان السماوية لاعلاقة له بمشئته ولا بالامة التي خرج منها صاحب رسالته ولذا يرون أن القومية العربية ضد الإسلام وأنه بالتالي يجب أن يحاربوا هذه الفكرة الدخيلة .

كلا الطرفين مغال في نظريته بعيد من الصواب لان العرب المسلمين لا يقرون العصبية المنصرية تمشياً مع هدي رسول الله الذي يقول : « ليست العربية لأحدكم من أب ولا من أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي » .. وكان يقول : « سلمان من آل البيت » .. رغم أنه فارسي . كما دعا المسلمين إلى حب العرب إذ قال : « أحبوا العرب لثلاث : لاني عربي والقرمان عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي » .

للمؤمنين وحدهم أو العرب وحدهم بل كانت دعوته انسانية الا اذا حدث عدوان على حدود الله أو عباده . امرهم باقامة العدل ولو كان على انفسهم ومنهم ان يظلموا بسبب شتان بينهم وبين غيرهم وقال لهم : « ولا يجرمنكم شتان قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » . حضهم على طلب العلم لمعرفة آلاء الله و آياته وللاستفادة مما خلق لهم وحثهم على السعي لطلب الرزق وجعل الاجر على قدر المشقة وقال لهم : « وان لبس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوى » .

وقد منح الله العرب شرفا ان النبي الكريم منهم والقمران العظيم جاء بلغتهم وانه ذكرهم فيه كثيرا لطمعهم يعقلون قيمة هذا الشرف « انا انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » . وفي هذا تخليد لامة العرب بان حفظ لها لغتها بحفظ القمران : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . وحفظ لها تاريخها ومجدها ان كان بناء الاسلام الاولون من العرب ومن صحابة وعشيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا لانهم كذلك بل لانهم شعروا بالمسؤولية اكثر من غيرهم وتحملوها كاملة حتى ان ابا بكر حازب المرتدين لامتناعهم عن دفع الزكاة ولم يرض ان يستأهل في منع عناق كانوا يؤدونه الى رسول الله ولو نطقوا بالشهادتين وسير جيش اسامة لعرب الروم ولم يتردد في ارساله رغم حرج الموقف وصعوبة الظروف . وكانت الفتوح وكانت الانتصارات وهلت راية الاسلام برفعها ابناؤه البهليل من العرب الاولين فرجع الله شأنهم واهلى منزلتهم وصار التقرب الى حكامهم قريبا من الله لانهم حملة رسالته وحماة دينه وكانوا سببا في ان يدخل الناس في دين الله اذواجا وهذه حقيقة تاريخية لا تعصب منصري او حجة لاقرار نظرية هرقية لم يدع اليها الاسلام ابدا .

حفظ الله اللغة العربية بالقرآن الكريم :

فرد اكثر علماء الاجتماع وكبار المفكرين في القضايا التاريخية والسياسية ان اللغة اهم عنصر من عناصر تكوين الامة فهي التي تنقل الافكار بايسر وسيلة الى ابنائها وهي التي تخط طريقة التفكير وتساعد على توحيد الآراء وتجانس الانطباعات وهي التي تعبر عن روح الافراد والجماعات .

ما كان من صنع ادوات الترحل والسفر وادوات الحرب والقتال وحتى هذه كانوا يستوردونها من البلاد المجاورة اذ كانوا يشاركون في رحلة الشتاء والصيف الى اليمن والشام ويقيمون الاسواق للمبادلة والتجارة في مكة وما حولها والمدينة وما جاورها وكان البيت المتيق الذي جملة الله للعرب مثابة وامنا فاطمهم من جوع وآمنهم من خوف اثر في تنظيم مكانة ام القرى . هذا المركز التجاري الهام لمكة المكرمة جعل من فيها من العرب من قريش واحلافها سادة الجزيرة وامراء الجيوش في الحروب واصحاب الحل والربط بين القبائل الاخرى واهل الفصاحة والبيان فكثرت فيهم الخطباء والشعراء وازدادت اسواقهم بالمناظرات والندوات الادبية الى جانب البحث في الشؤون الاجتماعية والسياسية التي تنظم حياتهم القبلية على نطاق محدود .

لم يند من بلاد العرب من جهالة المدينة المعاصرة لهم الا بعض اطراف الجزيرة في اليمن وما جاورها وبلاد الشام وارض الحيرة مما جعل هذه المناطق طعمة للغازين بسبب ازدهار الحياة فيها ولطافة الطبيعة نسبيا ووفرة الانهار والامطار فاقاموا السدود وبنوا المدن والحصون وزرعوها الارض وصنعوا ما هم بحاجة الى صنعه والى بيعه في بعض الاحيان الى البلاد الاخرى . وكانت هذه المناطق

العامرة الخصبة مادة جذب للديانات الاخرى من وثنية معقدة كالمجوسية في شرق العراق واليهودية في اليمن والنصرانية في نجران وبلاد الشام وبعض انحاء العراق الشمالية فلما جاء الاسلام وجد العرب فيه ضالتهم والغوه منسجما مع بعض طباعهم اذ دعاهم الى حرية الفرد من تسلط الكبراء وحرية الكبراء وحرية الفكر من تفاهة الوثنية وتعميدات الشرك والى كرامة الانسان باتصاله مباشرة بالواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد . علمهم الایاء والشمم وامرهم برد العدوان على من امتدى عليهم والاستعداد لارهاب عدو الله وعدوهم . ومنهم من العدوان لان الله لا

يحب المعتدين ، وازال العصبية الجاهلية العمياء وجعل اكرمهم عند الله اتقاهم وساوى بين الناس من كل جنس وامرهم بالتعارف والتعايش السلمي وقال لهم : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وكان خطابه للناس كافة وليس

وان حركات التحرير من السيطرة الاجنبية
بتيديه باحباب اللغة والتفني بأجمل ما أنتجه
شعراؤها وخطباؤها في نصائد وخطب ثم السير
على نهجهم وتقليدهم في الاسلوب والموضوع :

ما ارانا نقول الا مصاروا

او معادا من قولنا مكبرورا

وعندما تقوى الامة وتنتصر تنتشر لغتها لا
بالقوة بل بطبيعة ما تستوجه السلطة من وجود رجال
يحكمون ومشرمين يشرمون وقضاة يقيمون العدل
وتجار يتقربون من الحكام لرواج تجارتهم ورجال
صناعة ودراسة يحتاجون لحماية السلطة الحاكمة
لازدهار امالهم ، كل هذا يستوجب انتشار لغة
الحكام الجدد ناهيك من التسابق الى الدخول في
الدين الجديد رغبة في الخير او رغبة من الله وما
يتوجب على بقائهم في الشرك والكفر من عقابهم في
الدنيا والاخرة او على الاقل تقريبا من الحكام
ومشاركة في السلطة على اختلاف وجوهها .

بدهي ، كل هذا حدث للغة العربية عندما نقلها
الاسلام الى ارجاء الدنيا مع الفاتحين والى انكار
المفكرين لكثير من اهل الارض ولو بقوا على دين
ابائهم واجدادهم فاصبحت واسطة التفاهم بين
العديد من العلماء والفلاسفة كما هو الحال بالنسبة
للغات الحية الحديثة في العالم المعاصر . ومن اجل
فهم القردان الكريم وضع ابو الاسود الدؤلي في عهد
الامام على قواعد النحو وذلك عندما كثر اللحن في
الكلام وتداخلت اللغات الاعجمية من فارسية ورومية
في اللغة العربية بسبب الاختلاط بعد انتشار
الاسلام ، ومن اجل القردان الكريم وضمت علوم اللغة
من بلاغة وبيان وبديع وجمعت اوزان الشعر في
العروض وتقرب المختصون في تفسير القردان وجمع
الحديث الى الله بالتمق في فهم اللغة العربية
واسرارها وبيان اعجاز القردان وفصاحته ولولا
ذلك لتغيرت اللغة العربية وانقسمت الى لهجات
واصبحت لغات شتى كما حدث للغة اللاتينية التي
نشأت منها الفرنسية والاطالية والاسبانية
والبرتغالية والرومانية وغيرها . فالاسلام الذي
اوجب الصلاة والدعاء والاذان باللغة العربية واوجب
تلوة القردان وفهمه ، حض المسلمين ان يسارصوا
الى فهم اللغة العربية ولو كان المسلم من غير
العرب .

اما العرب انفسهم الذين انتقلوا مع الدين
الجديد الى انحاء بعيدة في اسية والبريقية واوربة
لقد نشروا لغتهم وكتبوا بها ووصفوا اسس حضارة
اسلامية عريقة واحتراما لدينهم لم يتهاوتوا في لغتهم
ولم يفسدوها بالتحريف والرطانة بل بقوا محافظين
عليها متمسكين بها رغم المحن التي اصابتهم على مر
العصور ورغم تسلط الاعاجم من مسلمين وغيرهم
على بلادهم واكبر مثال على ذلك في التاريخ المعاصر
الثورة الجزائرية عام 1954 م التي انتهت الى النصر
المبين فقد كانت المارك الحربية تسير فيها جنبا الى
جنب مع معركة احياء اللغة العربية والتعريب
ولولا الاسلام لكانت اللغة العربية قد زالت بظفان
الفرنسية وجدير بالذكر فضل رجال الدين المخلصين
في بلاد المغرب العربي الذين تحصنوا بالمساجد
وعلموا القردان الكريم ونشروا اللغة العربية وفضل
جامعة القرويين في «فاس» وجامع الزيتونة في
«تونس» ومساجد الجزائر وجهار جمعية العلماء
فيها . وفي المشرق العربي كان حكم الماليك
والعثمانيين الطويل كفيلا باندثار اللغة العربية لولا
الاسلام والقردان ولولا النور الذي كان يشع من
المساجد والمآذن ويدعو الى الله باللغة العربية .

خلدت الحضارة الاسلامية اللغة العربية وجعلت
العروبة والاسلام صنوان تسمى بماء واحد وقد كانت
العربية قبل الاسلام لغة الحضارة البدائية بسيطة
سهلة تتناول مستلزمات الحياة البدوية في البادية
من تنقل وتوحد ورعي للابل والغنم وركوب الخيل
وغزوات وحروب وفروسية وحض على القتال والثار
وتفاخر بالعصبة وتكاثر بالاموال والاولاد ومباهاة
بالكرم والمروءة والنجدة ومعرفة بالانساب واقتفاء
الاثر وتطلع الى الانواء الجوية وتوقع لتقلباتها من
رياح ومطروح وثر واحاديث تروي في الليالي الطويلة في
الشتاء والليالي القمرية في بقية الفصول ، فلكل هذه
الدنيا البدوية لغة تعبر عنها وكان من ذلك ان كثرت
الترادفات لكثرة القبائل وتنوعت اللهجات بسبب
بعد المسافات والحياة المفلقة التي تعيشها كل
عشيرة على شكل وحدة متنقلة .

اما في الحواضر والمدن فكانت اللغة ارقى بسبب
تعقد الحياة بعض الشيء وما تستلزمه ظروف
الاستقرار من عمران وتنظيم للحياة الاقتصادية
والعلاقات الاجتماعية اذ كانت ادارة القبائل فيها
منظمة بعض الشيء فكانت الاحلاف وحقوق الجوار
وتنظيم مواسم الاسواق للتبادل التجاري والندوات

للمدارسة في الشؤون العامة ومطارحة الشعر والقائه الخطب وتقدير الرجال وتكريم الشعراء وتسلم الرئاسات وما الى ذلك مما جعل اللغة العربية تتقارب لهجاتها وتتوحد مفرداتها لتكون كالفصحى مشتركة للحياة المشتركة وكانت لهجة قريش افصح اللهجات ولما جاء الاسلام جعلها اللغة الرسمية وصارت لغة المسلمين في انحاء الجزيرة وتلاشت تدريجيا اللهجات العربية الاخرى .

وهكذا وحد الاسلام وسيلة التفكير وتقارب المفاهيم واساليب البحث والنقاش بل وظهرت كلمات جديدة كالصلاة والوضوء والزكاة او صار للكلمات القديمة مدلولات جديدة . ولما فرغ المسلمون من الفتح بعد العهد الاموي واتسع لهم الرزق واستقرت بهم الاحوال وانتظمت الدولة الاسلامية وصار لها دواوين وادارات وجيوش جرارة وقيادات وما يتبع ذلك من اعداد وتسلح وتكوين وتدريب وانضباط وتوجيه كما اصبحت للحياة الاقتصادية قيمتها الجديدة بعد اتساع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة وتفرغ طرق المواصلات وزيادة وسائل النقل وبعد ان اصبحت البريد دوره في تنظيم المخابرات وتنفيذ الاوامر ومراقبة الحكام والموظفين كل هذا استوجب ان تتوسع اللغة العربية لتستوعب متطلبات هذه الحياة الجديدة ورغم انها استعانت باللغات الاخرى لدى المسلمين الجدد من الاماجم الا انها نظرا لرونتها وسهولة الاشتقاق فيها تطورت وظهرت فيها كلمات ومصطلحات جديدة اما مصرية او موضوعة مما اغناها ووسع افق التعبير بها .

وفي نفس الوقت اخذ عقل المسلمين يتفلسف في الدين فيثير خلافات دينية ويجهد في كبتها والتوليف بين مظاهرها بعد ان كانت عقيدة المسلمين في اول امرها بسيطة ساذجة لا تلبه لخلاف ولا تلتفت الى بحث وفلسفة وكاد ينقضي العصر الاول في ايمان لا جدل فيه ولما هذا الناس اخذوا ينظرون ويبحثون ويجمعون بين الاشياء ويقارنون بين المناقشات وبخاصة لما كثرت الترجمة ودخلت الفلسفة اليونانية وعرفت المذاهب المختلفة في الديانات الاخرى من يهودية ومسيحية وزرادشتية ومناوية وصائبة ودهرية عند ذلك اخذ العلماء المسلمون يتسلحون بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة ليدافعوا عن دينهم امام اصحاب العقائد الاخرى او امام المتشككين من الدين لم يدخل الايمان في قلوبهم او من المنافقين الذين تظاهروا بالاسلام

ليكيدوا له . في هذه الفترات التي انطى فيها عقل المسلمين في مختلف مجالات العلوم والآداب والمعرفة ازدهرت اللغة العربية ايما ازدهار واصبحت لغة الحضارة الاسلامية وصارت لغة العلم والفلسفة والادارة والاقتصاد وانتقلت مع المسلمين الى انحاء بعيدة في الصين واندونيسيا وجزر « الواق واق » في المحيط الهادي - ويك - حاليا ، وباحتكاك المسلمين مع غيرهم بواسطة التجارة والقوافل انتشر الاسلام من غير حرب ولا فتوح كما في ماليزيا والفلبين واندونيسيا وغيرها وانتقلت اللغة العربية مع القرآن الكريم الى كل هذه الاصقاع وهي وان لم تصبح لغة الشعوب المسلمة صارت معروفة لديهم مقدسة عندهم ودخلت كثير من كلماتها في لغاتهم وصارت المصطلحات الدينية سائدة بينهم من سلام وتحية وحمد لله وشكوه ودعاء وتوسل واستغفار وصار التقى الصالح المقرب الى الله هو الذي يتكلم اللغة العربية ليفهم معاني القرآن وينشر تعاليمه بين مواطنيه واصبحت الحروف العربية حروف اللغات المحلية كالفارسية والاردية مما جعل القرابة اقوى بين هذه اللغات واللغة العربية . وهكذا حفلت مكتبات البلاد الاسلامية بالكتب العربية المخطوطة او المنسوخة في بخارى وسمرقند واهور وشيراز ونيسابور ودلهي وعليكرة رغم ان شعوب هذه البلاد غير عربية ولكن الاسلام وحضارته التي شارك فيها المسلمون كان سببا في جعل اللغة العربية لغة الحضارة في القرون الذهبية ومهدد الازدهار . حتى ان الافلاطونية والافلاطونية الحديثة والفلسفة الاغريقية بصورة عامة لم تصل مشروحة الى الغرب الا بواسطة العلماء العرب كابن رشد في المغرب والاندلس وابن سينا والفسارفي في المشرق وابن الطيلى وابن خلدون وغيرهم .

ليس هذا دليلا على ان الاسلام رفع شأن العربية والعرب في الحضارة العالمية لفترة طويلة من الزمن ؟ الا تدلنا آثار العرب في فرنسا واسبانيا وايطاليا وجزر البحر الابيض المتوسط على مدى ما وصل اليه العرب من حرة وفخار بفضل الاسلام ؟

حق الاسلام على كل عربي ان يفخر به :

وبعد ان المعنا في هذا الاستعراض الموجز الى ما كسبته اللغة العربية من القرآن الكريم والاسلام الحنيف ومن المسلمين الفطاحل من مفسرين

وبعد ان انتشر علماء المسلمين من عرب
وغيرهم فى بلاد الاسلام يعلمون الناس القرءان
ويفسرونه وينشرون تعاليمه . . صار ضروريا
على كل مسلم وحتميا ان يتعلم مبادئ اللغة العربية
ليزداد ايمانا وقربى الى الله .

بعد هذا كله الا يحق لكل عربي ان يفاخر
بالاسلام الذى نصر العربية وجعلها لغة الحضارة
والخلود ومكن العربي ان يتصل بكل مسلم فى انحاء
الارض بمجرد القاء تحية الاسلام واقراء السلام
وهل اكون مبالغا فى النهاية اذا قلت : ان المسلم
لا يحسن اسلامه اذا لم يحب العربية . . والعرب وان
العربي لا تصح مرويته اذا لم يفخر بالاسلام ولو كان
على غير هذا الدين .

ومحدثين ولغويين وعلماء كلام وفلاسفة عظام وعلماء
فى مختلف العلوم الكونية من طب وطبيعة وكيمياء
ورياضيات وفلك وجغرافية وتاريخ وعلم اجتماع .
وبعد ان اصبحت الحضارة الاسلامية عربية الشكل
والقالب حتى لم يعد المحقق يفرق بين التسمية هل هي
اسلامية صرف ام عربية صرف . . . فهي كلتاهما
مما واصبحت امهات المؤلفات والكتب العلمية
والفلسفية والدينية لا تكتب الا بالعربية وما تزال
الى يومنا هذا شاهد عيان على ذلك فى معظم انحاء
العالم الاسلامي وفى كبريات المكتبات العالمية فى
الاسكوريال فى اسبانيا وفى باريس ولندن وبرلين
وموسكو واسطنبول مخطوطات ومجلدات لكتب
عربية اصيلة بعضها لم يشهد النور او لم تصل اليه
اعمال المحققين والدارسين وذلك هذا ما فى المكتبات
الخاصة من ذخائر وكنوز .

العربية والإسلام بين الفسكبر والمحاضر

الدكتور توفيق برو

استاذ التاريخ في كلية اللغات
(جامعة حلب)

أيضا طقوس العبادة : فلكي يصبح الانسان مسلما صحيحا كان عليه ان يدرس القرآن ويتعلم آياته الكريمة ومختلف الادمية وسواها من العبارات الدينية التي تقال اثناء الصلاة وكلها عربية .

ب- مما لا شك فيه ان هناك جهودا كثيرة قد بدلت من قبل خلفاء المسلمين وقوادهم وولاتهم وتجارهم ومبشرينهم في سبيل نشر الاسلام مع اتخاذ الطرق الناجمة الكفيلة باقبال الاقوام غير العربية على اعتناقه . وقد تبع ذلك حركة استعراب بين هذه الاقوام . انما لم تكن حركة الاستعراب بما يتناسب مع قوة امتناق العقيدة الاسلامية وسعة انتشارها . ولم يكن من الضروري قط ان كل من يعتنق الاسلام يتكلم اللغة العربية بحيث يستعرب كليا او جزئيا بمعنى انه يتكلمها نوعا ما الى جانب لغته الاصلية .

الى هنا يظهر ان ثمة سببية بين الاسلام وانتشار اللغة العربية . غير ان ذلك ليس كافيا لاثبات انه لولا الاسلام لما تأتي للغة العربية ان تنتشر في العالم وانه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ، للاسباب التالية :

لا يستطيع الباحث ان يدلي برأي جازم في موضوع السببية بين الاسلام واللغة العربية ، بل يمكن ابداء ملاحظات منها ما هو في جانب الفكرة او ضدها .

ومما هو في جانبها :

ا - ان الاسلام - اثناء نشره ابان حركة الفتوح العربية في مختلف العصور - كان وسيلة احتكاك ولا شك . كان للاسلام دوره التاريخي ، ذلك ان الرغبة في نشره ، حتى يعم العالم ، كانت احد الاسباب في دفع العرب الى حركة الفتوح . وهنا تبدو الملازمة بين نشر الاسلام وانتشار اللغة العربية ، لان المسلمين الذين اخذوا على عاتقهم عبء الفتوح عرب ، دينهم عربي وقرءانهم عربي ، ورجال دولتهم عرب ، والدولة التي كونوها عربية اسلامية ، وتسمن الوظائف كان يقتضي معرفة اللغة العربية ، مما دعا الشمسوب الاجنبية (الامجبية) التي انضوت تحت الراية العربية الاسلامية الى تعلم اللغة لعربية لكي يتاح لها الاسهام في خدمة الدولة . واكثر من ذلك فان الحركة العلمية التي شجعها العرب واخذوا على عاتقهم تسميتها قد اضطلع بها - في باديه الامر - اناس من اصل غير عربي اعتنقوا الاسلام وتعربوا . وهناك

د - وقد يكون النشاط التجاري الصرف من نشر لغة القائمين به ، مثال ذلك تغلب لغة الآراميين في سوريا على لغات بلاد الشام المجاورة لها بسبب نشاط تجارتهم حتى أصبحت اللغة الآرامية لغة عامة في المراسلات التجارية وغيرها في جميع الممالك المجاورة لمملكة الآراميين في التاريخ القديم .

وهناك امثلة من الواقع العربي تثبت ان انتشار الاسلام غير كاف لوحده لانتشار اللغة العربية من ذلك :

ا - من الواضح ان هروبة المغرب العربي لم تكتمل - اثر حركة الفتوح العربية الاسلامية ، بالرغم من اشتاق معظم اهله للاسلام طول اربعة قرون تقريبا - الا بعد هجرة قبيلتي بني سليم وبني هلال العربيين من المشرق العربي الى المغرب واستيطانهما ربوعه في القرن الحادي عشر الميلادي .

ب - ومع هذا لا تزال نشاهد في المغرب العربي هذه الظاهرة : ان العنصر البربري في شمالي افريقية العربية يكثر عدده كلما اتجهنا غربا من برقة الى مدينة مراكش وجنوبا من الساحل الى الصحراء - اي كلما ابتعدنا عن المراكز العربية - وان العنصر البربري في مراكش يبلغ قرابة ثلث السكان ، وهو يكثر عادة في الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها ، وهي المناطق البعيدة عن المحيط العربي الصرف ، ويقل تمييزه في المدن حيث امتزج بالسكان العرب امتزاجا تاما اقرب ما يكون الى الانصهار . فاللغة البربرية لا تزال حية ، اذ لا يزال هناك من يتكلمها لوحدها ومن يتكلمها الى جانب العربية ، وربما يكون هناك من البربر نسبة تتراوح بين 10 - 14 ٪ تتكلم البربرية والعربية معا ، ونسبة تتراوح بين 10 - 20 ٪ لا تتكلم سوى اللغة العربية (بناء على احصاء قديم وقد تكون النسبة اقل من ذلك الان)

كما اننا نشاهد في الجزائر جزرا بربرية ، الا ان افرادها مزدوجو اللغة حيث يتكلمون البربرية والعربية . والذي تجدر ملاحظته ان من يسكن منهم هربي الجزائر شديدو التعرب لسهولة المواصلات مع الاماكن التي يقطنها العرب . مما يستنتج منه ان زيادة الاحتكاك بين البربر والعرب هو العامل الحاسم في تعربهم مع انهم مسلمون منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا . واذا هدنا الى التاريخ نجد ان فرص

ا - انتشر الاسلام اثناء حركة الفتوح على اقطار كثيرة اصبحت الان خارج الحضيرة العربية : مثل الاندلس ، ايران ، افغانستان ، تركستان ، السند (الباكستان) . لكننا نشاهد الان انها اصبحت بعيدة عن العروبة لغة الله الا بقاء بعض التأثيرات اللغوية التي لا تزال نشاهدها في لغة سكانها الاصليين ، وذلك في نفس الوقت الذي بقيت فيه محافظة على اسلامها باستثناء الاندلس . والسؤال الذي يطرح في هذه المناسبة : لو ان الفتح العربي والوجود العربي بقيا مستمرين فيها لم يكن ممكنا ان تبقى هروبتها وطيدة ، وتصبح اللغة العربية لغتها الصميمة كما جرى بالنسبة للمغرب العربي ومصر وبلاد الشام والعراق ؟ - ليس من شك في ذلك اذن . الا نستطيع ان نستنتج من ذلك ان بقاء سلطان العرب بما يتبعه من حركات استيطان للقبائل العربية في هذه الربوع هو الكفيل بدوام هروبة هذه الاقطار ؟

ب - سؤال آخر : لو ان الاسلام لم يكن بين الحوافر الاخرى التي دفعت العرب الى حركة الفتوح ، او بتعبير آخر لو كان هناك حافر فكري آخر غير الاسلام قد رافق الاسباب التي دعت اليها ، واستقر العرب بنتيجة ذلك في الاقطار السالفة الذكر المفتوحة وغيرها ، لم يكن من الممكن ان تبقى اللغة العربية هي لغة سكانها ؟ ان الامثلة الشبيهة بذلك متوفرة بالنسبة الى الممالك الاوربية كفرنسا التي فتحتها الافرنج فاصبحت الفرنجية اللغوية (اي فرنسية) ، وانجلترا التي فتحها الانكلوسكسون فاصبحت لغتها انجليزية ، وامريكا الشمالية التي استوطنها الانجليز اثر حركة توسع استعماري فاصبحت لغتها انكليزية ، مع ان الداعي الى فتح هذه الممالك لم يكن هو نشر الدين .

ج - وهناك امثلة كثيرة اخرى في التاريخ القديم والوسيط والحديث تثبت ان انتقال قبائل برمتها ، او جزء كبير من شعب ما ، من وطنه الى وطن آخر ، وتغلب نسبته البشرية على نسبة سكان البلاد المستوطنة ، يكون عاملا من عوامل طبع المنطقة المحتلة بلغة الشعب القادم ، لاسيما اذا كانت لغته تمتاز بالاصالة والحيوية والتفوق على لغة السكان الاصليين - كما هو شان اللغة العربية بالنسبة للغات المناطق التي احتلها العرب .

يقويان ويضعفان تبعا لما يعثري لغة الضاد من قوة وضعف او ان العكس بالعكس :

**فاعتقادي - بحسب ملاحظاتي - ان ذلك فيسر
وارد بتاتا ، ولا صلة سببية بين الوازع الديني ولغة
الضاد .**

ومن حيث المكانة التي يجب ان تحتلها اللغة العربية في بلدنا بالنسبة للغات الاجنبية ، فمما لا شك فيه ان المكانة الاولى يجب ان تحتلها اللغة العربية بالنسبة للغات الاجنبية . وان كان علينا ان نولي اهتماما باللغات الاجنبية فلجل الاستفادة من تعلمها في اقتباس العلم والتكنيك من الغرب اي دفع طلابنا ومثقفينا الى تعلمها واتقانها ليسهل عليهم متابعة دراساتهم العلمية في بلاد الغرب والاطلاع على المراجع والمؤلفات الاجنبية بكل سهولة ، حتى تتمكن من الاستفادة والافادة .

الاحتكاك بين هذين الشعبين كانت من الامور التي ساعدت على الاستمراب مثل اشتراكهم في الحملات كحملة طارق بن زياد على الاندلس وما تبعها من حملات، واستيطان العرب والبربر معا في الاندلس .

ونلاحظ الامر نفسه بالنسبة للاكراد في العراق وسورية ، حيث نجد ان سكان المدن منهم منصهرون مع المنصر العربي وتكاد لا تفرق واحدا من المنصرين عن الآخر كما هو الامر في دمشق ، بينما نرى ان سكان الجبال والقرى النائية الواقعة على الحدود التركية واليرانية لا يزالون متمسكين بلغتهم ، ولا يعرف العربية الى جانبها سوى القلة المثقفة منهم مع انهم ايضا مسلمون .

* * *

اما من حيث ان الوعي الاسلامي والوازع الديني

الوعي الإسلامي يقوى

بانتشار اللغة العربية في الأقطار غير العربية

على مفتش اللغة العربية الأستاذين صنيح الحنسي
ونديم عدي (سوريا)

تفضل خبيران من مركز البحوث السورية بالجواب الآتي عن استفتائنا
وهما الأستاذ حسي الحنسي ونديم عدي المفتشان الاختصاصيان للغة
العربية :

انتشر فيها الاسلام واللغة العربية ثم تقلص نفوذها
مما حتى زال بسبب زوال الحكم العربي والاسلامي
كبلاد الاندلس . وهناك بلاد انتشرت فيها اللغة
العربية ولم ينتشر الاسلام انتشارا كاملا كلبان فهي
بلاد عربية اسلامية ومسيحية . وان لغات كثيرة قد
انتشرت في العالم من غير وساطة الدين بل بتأثير
النفوذ السياسي والاقتصادي والفكري كالفرنسية
والانجليزية والاسبانية والبرتغالية ، وحتى في هذه
الحالة فقد كان التبشير الديني عنصرا هاما من
عناصر انتشار هذه اللغات .

بعد هذه المقدمة يمكننا ان نقول :

1 - كان من الممكن ان تنتشر اللغة العربية وان
لم ينزل القرآن بها لو ان القوة العربية السياسية
والاقتصادية وصلت الى درجة من القوة تبسط معها
نفوذها على الاقطار المجاورة وتحمل اليها لغتها
ونظرتها الى الحياة وهو انتشار يدوم ما دامت هذه
القوة . ولما كان الدين اكثر ثباتا من القوة السياسية
والاقتصادية فان اثره في بقاء اللغة العربية او في
بقاء آثارها ادوم والبيت . ان الذين ينقلون دينهم او
لغتهم الى الامم الاخرى يكونون اكثر نجاحا اذا كانوا
اكثر عدلا وحرما واخلاقا ورفقا .

ان دراسة تاريخ الادبان وكيف انتشرت تدل على
ان عددا كبيرا منها - ان لم نقل كلها - قد جاوز المكان
الذي ظهر فيه ، وان اللغة هي العامل الاساسي في
انتشارها . ان الادبان افكار وتصورات عن الكون
ومبدهه ومثل عليا اخلاقية وعبادات وانظمة اجتماعية،
وهذه لا تنتشر الا بواسطة اللغة .

والاسلام قد انتشر عن طريق اللغة العربية اذ
حمله العرب نحو البلاد المفتوحة . وساعدت اللغات
المحلية على فهمه وايضاحه للسكان الذين لم يتعلموا
العربية او لم يتقنوها . وقد تعلم كثيرون من ابناء
البلاد غير العربية لغة الدين الجديد ليفهموه وليكونوا
اكثر انسجاما مع الدولة العربية الاسلامية . وهناك
بلاد انتشر فيها الاسلام ولم تصبح العربية لغة للسكان
المحليين كاندونيسيا ، بل أصبحت العربية لغة
العبادة فقط ولما بلاد انتشر فيها الاسلام كما
انتشرت العربية انتشارا محدودا ، فلما تقلص نفوذ
الدولة العربية منها ضعفت اللغة العربية فيها حتى
زالت او كادت مع بقاء الفاظ كثيرة من العربية
شاهدة على تأثيرها في لغة السكان المحليين كإيران
والمغناستان واواسط آسيا وتركيا . وهناك بلاد

ولفاتهم المحلية . ولكنه لا يحولهم الى اللغة العربية الا اذا وافقت الدين الاسلامي هجرة عربية كبيرة تجعل اللغة العربية مهيمنة ثقافيا وعدديا ويكون الدين مشبها لهذه السيطرة .

7 - ان سوريا كانت فيها لغات قديمة قبل العربية ومعها . ودخلتها لغات بعد العربية وتأثيرها في العامية واضح كما ان لها تأثيرا في أسماء الامكنة والبقاع والمهن كالسريانية والتركية والفرنسية ، بل ربما وجدنا في عاميتنا الفاظا فارسية وكردية وهي لا تشبه الطابع العربي الغالب . وان الفرنسية وغيرها من اللغات الراقية تؤثر في اسلوب الفصحى عن طريق الترجمة ودخول الالفاظ الحضارية تعريبا او ترجمة .

8 - ان سوريا لا تسود فيها الا العربية فصحي وعامية الى جانب لغات تتكلمها اقلية محدودة كالشركسية والكردية والسريانية والتركية والاشورية والارمنية وان العربية لصحي وعامية تؤثر في هذه الاقلية فيتعلمونها وكثيرون منهم ينسبون لغتهم الاصلية ويعود ذلك الى المدارس الرسمية واشرف الدولة على التعليم والى التمازج السكاني.

9 - ان نشر العربية في البلاد غير العربية يسهل اذا كانت هذه البلاد تدين بالدين الاسلامي او تكتب باحرف عربية او كانت لغتها بدائية محلية .

2 - وكان من الممكن ان ينتشر الاسلام ولو انه نزل بلغة اخرى غير العربية على غرار ما حصل في الاديان الاخرى لما له من قوة ذاتية تنطلق بالبداية والقيم والمثل .

3 - لقد انتشرت العربية قبل الاسلام فجاوزت الجزيرة العربية الى سوريا والعراق بسبب انتشار السكان ونمو النفوذ السياسي للمغرب في هذين القطرين الى جانب النفوذ الفارسي والبيزنطي .

4 - ان قوة اللغة العربية في بلد عربي عامل على قوة فهم الاسلام ولكنها لا تستدعي بالضرورة قوة الوازع الديني لان هذه القوة اللغوية العربية قد تكون من تأثير الدوافع الوطنية والقومية .

وان ضعف الوازع الديني والوحي الاسلامي لا يحول دون قوة اللغة العربية في البلد العربي .

5 - ان البلاد الاسلامية غير العربية يقوى عندها الوعي الاصلاحى والوازع الديني بانتشار ثقافتها العربية لان دراستها للغة العربية ناتجة عن اسباب دينية لا عن اسباب وطنية وقومية ولان فهم ابنائها للاسلام بلغته الاصلية اقوى من فهمهم اياه بلغتهم المحلية .

6 - ان تأثير الاسلام عن طريق لغة القرآن قوي في البلاد غير العربية . وهو يؤثر في لهجات السكان

القرآن مضموناً ولغةً عاملاً جوهرى في وحدة الفكر بين العرب والمسلمين ... ولكن تعلم اللغات لا يزال الجسر الوحيد إلى العلم والمعرفة

الأستاذ خليل المنداوي

حلب (سوريا)

ومن هنا يأتي دور حماية اللغة العربية من
الاندثار ، كما اندثر الكثير من اخواتها الساميات في
سالف العصور .

ومثلاً على ذلك ، في حالة مد الإسلام حمل معه
اللغة العربية إلى الاقطار المفتوحة ، ونشرها واذاعها
حتى أصبحت اللغة الأولى فيها . وليس التأثير
الفارسي بها عتاً ببعيد ، فبلاد «فارس» بلاد بعيدة
كل البعد عن أن تكون قطراً من اقطار العرب ، ولكن
الإسلام ادناها من العرب ، وكان من الفرس ادباء
وعلماء وشعراء لا يقلون منزلة عن الادباء والعلماء
والشعراء في العرب ، وذلك لان الإسلام الفهم
وجمعهم على حب البيان العربي ، لانه بيان القران .

والفتح العربي - في حالة جزره - حين انحصر
من تلك الاقطار ابقى القران فيها علامة واضحة ،
وان لم يبق فيها كلفة متميزة .

وفي حالة استيلاء العثمانيين على الوطن العربي،
لم ينقل اللغة العربية من الاندثار إلا القرمان . لان
العثمانيين كانوا مسلمين ، والمسلم لا يستطيع ان
يناهض القرمان ، ما دام هو لغة دينه ! ولو ان الاحتلال
كان اجنبياً ، دينه غير دين الإسلام لكان ، هناك ،
كارثة زعمت اللغة العربية ، ولعل في قوله تعالى
ابلق معجزة : « انا نحن نزلنا الذكر واننا له
لحافظون » .

وما دام الامر كذلك بالنسبة إلى الاماچم فانه
سيكون اشد وقعا بالنسبة إلى الاقطار العربية التي
تتكلم اللغة العربية ، فهذه الاقطار - برغم وقوعها

لم يعرف دين من الاديان ذلك التلازم او
الارتباط مع دين اللغة التي نزل فيها ، او عبر بها من
المراضه ، كالاسلام .

وهو امر لا يحتاج إلى المناقشة ، مادام القرمان
الذي هو عمدة الإسلام ، يجعل بيانه احدى معجزاته .
وهو الذي تحدى العرب ، وهم في اوج فصاحتهم
المعبودة ، ان ياتوا بمثله ، او بسورة من سوره !

والبيان القرآني تفنن في تفهيمه ، وتوضيحه ،
وتعليقه اقطاب البلاغة في كل عصر ، وضربوا حوله
دراسات متنوعة ، وآخروهم عبد الرحمان الرافعي
- وهو من هو في عالم البيان - في كتابه « تاريخ
آداب العرب » اذ خصص جزءاً كاملاً من اجزائه الثلاثة
في دراسة بيان القرآن »

ولما انتشر الإسلام في ارض العرب وغير
العرب ، كان القرمان مصاحباً لهذا الانتشار ، لان
الإسلام ، من شعائره الأساسية ترديد آيات من القرمان
في كل صلاة ، والرجوع إلى القرمان في بيان الاحكام
والعبادات . فهو دستور كل مسلم - هربياً كان أو
اعجبياً -

ولذلك كان على كل من اتخذ الإسلام ديناً ان
يرجع إلى القرمان وان يردد بعض آياته في صلواته ،
وان لم يفهما ، وان يتفهم آيات منه للاطلاع على
حقيقة الإسلام .

الإسلام نفسه مظهر من مظاهر اللغة العربية ،
كما ان اللغة العربية وعاء من اوعية الإسلام ، فهما
متلازمان لا ينفصلان .

المصدر الذي انفصلت عنه . والشاهد على ذلك هذه الصحف والمجلات والإذاعات التي لا تحيد عن الفصحى . . ولن يكون ذلك اليوم الذي تتوحد فيه بعميد !

أما بالنسبة إلى اللهجة الأقليمية عندنا - في سورية - فهي من اللهجات التي يقل فيها البعد عن جوهر اللغة الأصلية باعتبار موقعها الوسيط بين الأقطار العربية . وما دخلها من حوشي الألفاظ ، والتواء التعابير إنما يضود إلى المهود المألوفة التي امتزجت فيها الأجنبية بالعربية ، نتيجة لضياع حريتها ، وإن لم تضع شخصيتها !

والآن، كيف يمكن أن نحدد المكانة التي يجب أن تحتلها العربية بالنسبة للغات الأجنبية ؟

لا تعصب إذا قلنا « العربية أولا ، ثم اللغات الأجنبية ثانيا » .

وإذا قدر لاسلافنا أن يطلعوا اطلاما ضيقا على تراث الثقافات الأجنبية في عهدهم بواسطة الترجمة والنقل ، فإن تبدل الحياة وتطور العالم ، وتقدم العلم الذي لا وطن له يدمونا إلى عدم الاكتفاء بالعربية وحدها، ولنا أسوة في غيرنا الذين يتقنون على الأقل لغة أجنبية بجانب لغتهم ، وهم أقل حاجة إليها منا .

بينما نحن نحتاج إلى اللغات الأجنبية ، وسنظل نحتاج إليها زمنا طويلا ، لأنها الآن تحمل عنوان الثقافة ، ولا تزال هي الجسر الوحيد إلى المعرفة ، وتطور العصر .

والذين يقولون بالاكتفاء باللغة العربية لأي سبب كان إنما يدموننا إلى عزلة ثقافية عن العالم . والعزلة الثقافية في حياة شعب إنما هي دمه عن ركب الحضارة ، حتى يفتت ، وبذوب كيانه ، ويتلاشى في مهبط الثقافات .

إننا لا نزال في دور التكوين : ودور التكوين يتميز بالاعتباس . ونحن سنجد أنفسنا وباتي دورنا في المشاركة في الإبداع الحضاري ، تمود لغتنا إلى احتلال المكانة المرموقة بين لغات العالم . واللغة والثقافة اليوم هما توأمان لا ينفصلان .

تحت الحكم فير العربي - بقي وميها الإسلامي ، ووازعها الدين يربطانها باللغة العربية . وكثيرا ما تقلصت اللغة العربية في بعض المجالات ، كالدواوين والمدارس التي جعلت اللغة التركية اللغة الأولى، إلا أنها ثبتت كلفة للتعبير ، وظل القراءان النغمة (أو القرار) الذي يتردد كل يوم في الجوامع والبيوت ، وفي كل مكان ، مما جعل العرب يرتبطون بلغتهم ارتباطا دينيا مقدسا .

وغداة الوهي القومي الذي انتشر ، وذبوع التعليم عادت اللغة العربية إلى وجودها المستقل وشخصيتها المتميزة .

أما مدى تأثير الفكر الإسلامي ، من طريق لغة القراءان ، في الأقطار الإسلامية غير العربية ، فهو ظاهر في صلب هذه اللغات نفسها، وفي شكل حروفها التي لا تختلف من الحروف العربية . حتى دخل في فنونها، ورسم خطوطها، فقبل « الخط الفارسي » ، والخط العثماني أو الخط الرقعي ، كما قبل الخط الكوفي ، وقد تجردت اللغة التركية على الحرف العربي لعوامل سياسية .

أوليس ، بعد ذلك ، من معجزة اللغة العربية أن الجاليات الإسلامية ، في الأقطار الغربية، أو الآسيوية، أو الإفريقية أبقّت نفس اللغة ؟ وقد تختلف اللهجات الدارجة ، ولكن لا يختلف سواء التعبير الفصيح ، لأن القراءان هو الذي جمعها على وحدة التعبير ، والكتابة بالفصحى التي هي لغة القراءان ؟

وما ذلك إلا لأن القراءان يوحد بينها ، ويجمع بينها . فالشاعر العربي - في كل قطر - يتخذ لنفسه الشكل العربي التقليدي نفسه ، والكاتب يكتب لكل من يقرأ العربية بلغة القراءان نفسها .

أما بقية اللهجات واللغات الإقليمية فأمر انتشارها يمود إلى زمان انقطعت فيه أواصر الاجتماع، وجفت موارد اللغة ، وفشت الأعجمية : حتى بات لكل قطر لهجة ، ولكل ثوب رقعة ! وقد تتقارب هذه اللهجات ، وقد تتباعد عن الأصل بحسب مواضعها ومواقعها من الكلام .

ولكن هذه اللهجات صائرة حتما إلى أن تنصهر وتتهلّب وتنقى بفضل التلم والوحي ، حتى تعود إلى

اللغة العربية وأثر القراءات في تطورها

الأستاذ الفاروق في كرجالي

عميد كلية اللغة العربية
(جامعة الترويين)

المستوى الثقافي والحضاري للامة - وتتطور اما الى الحياة واما الى الممات ، واما الى ما بينهما - والبحث عن حياتها او موتها او فتورها كالبحت عن عوارض الكائنات كلها - يرجع الى الكشف عن مقوماتها ، وطوارنها ، ومدى استمدادها لما يطلب منها .

ثم ان عناصر حياة اللغة تتكون من عدة اصول :

- 1) الاشتقاق والقياس .
- 2) وقابلية التطور وصلاحيه الاداء .
- 3) ومرونة الاسلوب وحلاوة المنطق .
- 4) ووفرة المادة ونماء الثروة .
- 5) ونصاحة اللفظ وبلغة الكلام .

اما الاصل الاول فهو في اللغة العربية اجلى مظاهرها ، وسر من اسرار تفوقها وبه كانت احق واجدر بالحياة والبقاء لباب الاشتقاق والقياس واسع في هذه اللغة لا يضيق مهما اتسع مجال العقل وخياله ومثال لذلك المصدر والصفة فلهما في اللغة العربية العدد العديد من الصيغ والابنية واذا لاحظنا ذلك في

قرر علماء اللغة والاجتماع قديما وحديثا - ان القصد من وجود اللغة هو التعبير عما يختلج في الضمير من المعاني والاهراض - وان اقرب طريق وايسر وسيلة الى ذلك هو الالفاظ والاصوات التي لا تكاد تتفاوت في الوصول الى هذه الغاية وان كانت تختلف في افعالها حقها اختلافا كثيرا - وان الوضع اللغوي كان من لطف الله بعباده ليتسنى لهم التفاهم والتعاون لان الانسان لا يمكنه ان يستقل بحياته ولا ان يعيش بانفراده كما ان ذلك اوفق لغرض الدال اذا كان لا يريد اطلاق غير المخاطب على مدلولها ، حيث انها توجد عند الحاجة وتنقضي بانتقضائها - وان معاني الحياة اكثر من ان يعبر عنها فلكل لفظ معنى وليس لكل معنى لفظ .

واللغة العربية من بين اخواتها اللغات السامية حباها الله عذوبة اللفظ وجمال الاسلوب وغازاة المادة وامدها بقوة الدفاع عن حياتها واستقلالها لما تتوفر عليه من عوامل التطور وعناصر البقاء ، وهي ككائن من الكائنات الحية ، وكمنظهر من مظاهر السلوك ، وكظاهرة من ظواهر النشاط تخضع الى سنة التطور وعوامل الزمان والمكان فتتأثر بذلك على حسب

الأفعال ومزاداتها تصاعدت الصور القياسية الى حد لا نظير له في اللغات الأخرى فالقياس والاشتقاق يجعلان اللغة العربية فنية ثرية ، ويفتحان الباب على مصراحيه امام الكتاب والشعراء لتسجيل افكارهم وابراز مواهبهم واذا تجلت قيمة هذا الاصل الى هذا الحد لم يبق شك في فضل براعتها ونمو حركتها، واما الاصل الثاني وهو قبول اللغة للتطور وصلاحيتهما للاداء فهو في اللغة العربية بمكان لا يستطيع انكاره .

كانت تستعمل في اقراض بسيطة مثل التخاطب والعواطف ، والشارات والمواقف وشبه ذلك مما يتناسب وحياة البداوة وقامت بما طلب منها في هذا الشأن خير قيام وبعد ما خفقت راية الاسلام ولبثت حجته اصبحت اللغة لغة دين وحكم وقصص وسياسة واساليب واحتجاجات فوسعت لغة العرب كل ذلك ولم تضق به ذرما كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله في تمجيدها على لسان حالها :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن ابي به وعظات

كيف اضيق اليوم من وصف الالة

وتنسيق اسماء لمخترعات

انا البحر في احشائه الدر كامن

فهل سالوا الغواص من مدفاتي

ثم استعملت في اقراض جديدة اقتضاها الانفاس في الترف والامعان في الحضارة كوصف القصور وما بها من الاثاث والرياش والعمران، وكنتع البساتين وما بها من الاشجار والازهار والالوان الى غير ذلك مما يلائم انظمة الملك واساليب الحضارة التي استدهاها التقدم الفكري والاجتماعي ، ثم كانت لغة علم وادب وتاليف وترجمة فلم يضق صدرها ولم يقصر لسانها عما طلب منها في مصطلحات الطب والصيدلة ، والحكمة والفلسفة ، والفلك والهيئة ، والعلوم الطبيعية والرياضية ، واما الثالث وهو مرونة الاسلوب اي قبولها للابتكار والتجديد في صوغ المعاني وتقلبات اوضاعها فلها فيه الحظ الاوفر والمقام الاول اذ كانت اللغة في عهدها الاول هادية وبسيطة بسيطة معانيها لا تكاد تخرج عن الحقيقة فيرسل المتكلم كلامه على حسب مقتضى الحال بدون تكلف ولا تعمل لا في الفاظها ولا في معانيها فاذا هي في صدر

الاسلام وما بعده من العصور تتراعى في لباس انيق وفي صور زاهية تترقى في البلاغة وتتنوع في المجاز والتشبيه مما زادها حلاوة في النفس ولذادة في الطبع - وذلك شيء ظاهر في اساليب الخطباء والشعراء والكتاب الاسلاميين الذين انفسح المجال امامهم ، بما هيأته لغة التنزيل من افاق جديدة في اللغة وفي المعرفة - ولا يغيب عن الاذهان ان للقرءان العظيم اثرا قويا وثيرا سريعا في نشر اللغة العربية ورفع مقامها وتوفية كلماتها اذ جاء بما لا عهد للعرب به من كلمات كالساعة والسكينة مثلا فان العرب كانت لا تعرف من الساعة سوى الحصة من الزمان ولا تعرف الساعة بمعنى القيامة كما انها لا تعرف السكينة بمعنى الوفاة والطمأنينة ، ويقول ابن فارس في فقه اللغة ان العرب « كانت في جاهليتها على ارض من ارض اباانهم في لغاتهم وادابهم ونسائلهم وقرابينهم فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات ، وابطلت امور ونقلت الفاظ من مواضع الى مواضع اخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فكان مما جاء في الاسلام ذكر المومن والمسلم والكافر والمنافق ، والعرب اتما عرفت المومن من الايمان والايمان هو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بهما سمي المومن بالاطلاق مومنا وكذلك الاسلام والمسلم اتما عرفت منه اسلام الشيء ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الفطراء والستر . فاما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا خلاف ما اظهروا وكان الاصل من نافقاء اليربوع - ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بان الفسق الانفاس في الخروج من طاعة الله - وكذلك الصيام اصله عندهم الامسالة ثم زادت الشريعة النية وحظرت الاكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشمالرة وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشمالره وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده وعلى هذا سائر ابواب الفقه فالوجه في هذا اذا سئل الانسان منه ان يقول فيه انسان لغوي وشرفي ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الاسلام به وكذلك سائر العليوم كالنجو

عربية حيث تكلمت بها العرب وحولتها عن اصلها
واخضعتها لنفوذ حكمها الا ترى انها لا تدمه على لفظه
الذي كان عليه عند المعجم الا اذا كانت حروفه في
المخارج والصفات كحروف العرب .

وذلك مثل تنور وصابون فانه اتفقت فيهما
اللغة العربية واللغة العجمية وعند ذلك يكون منسوبا
الى العرب لا الى المعجم اما اذا لم تكن حروفه
كحروف العرب او كان بعضها كذلك دون بعض
فلا بد لها ان ترددا الى حروفها ولا تقبلها على مطابقة
حروف المعجم - ومن اوزان الكلم ما تتركه على حاله
في كلام المعجم ، ومنها ما تتصرف فيه كما تتصرف
في كلامها واذا فعلت ذلك صارت تلك الكلم مضمومة
الى كلامها كالألفاظ المرتجلة والاوزان المبتدأة بها .

ومما يضمن سعة اللغة العربية كثرة المترادفات
وهو ما يمين الكاتب المولع بالبديع على شجوه
وجناسه وفواصله ، والشاعر المرتبط بميزاته وقافيته
وموازنته فوجود المترادفات في اللغة العربية يتوافق
مع طبيعتها في السحر والابداع .

وهامي كتب لغة اللغة تكفلت بضبط مسميات
الألفاظ ومواقع استعمالها وما بين معانيها من
الفروق وان قلت ودقت فاذا احكم الكاتب او الشاعر
استعمالها كان مصورا للمقاصد والمطالب بكل دقة
وبكل وضوح .

واما الاصل الخامس وهو فصاحة اللفظ
وبلاغة التركيب فقد بلغت فيه العربية المقام الامثل
وقد تجمعت هذه الصفات في مضر ، وانحصرت في
قريش ، وتلخصت في النبي الهاشمي صلى الله عليه
وسلم كما روى عنه انه قال : « انا أفصح من نطق
بالضاد بيد ابي من قريش ونشأت في بني سعد » .
ومن بلاغته صلى الله عليه وسلم انه تكلم بما لم يسمع
من العرب قبله كقوله « مات حتف انفه » - « وحمي
الوطيس » - « ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » - الى
غير ذلك مما سجله الجاحظ في كتاب « البيان
والتبيين » .

لهذه هي اصول حياة اللغة وبقائها ولا نشك
في توفر لغة الامراب والبيان على هذه العناصر وانها
لم تزول كما كانت لغة العلم والثقافة ، لا تاخر عن
مسايرة ركب الحضارة بشرط ان يعمل اهلها على

والمروض والشعر كل ذلك له اسمان لنوي وصنمي»
وقد اصبح كل هذا بحكم القردان من الالفاظ
المستحدثة في العربية بالاضافة الى ما كان جاريا
عندهم ودأجا بينهم ويرجع الفضل الى القردان
الكريم في ارشاد اهله الى العناية بها لما حازته
من اسباب القوة ، والرقي ، والحيوية ، قال تعالى :
« وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ،
« انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ، « وكذلك
انزلناه حكما عربيا » ، بل هو اعظم ضمان لصيانتها
من الضياع وحمايتها من الفساد فهو ديوانها الجامع
ودستورها المانع ، ولذلك نمتقد ان الحق والصواب
مع من حث ويحث على حفظ القردان الكريم صوتا
لادابها وحرنا عليها لطلابها وقديما قالوا القردان
قاموس من لا قاموس له وسند من لا سند له .

ومن هنا كان لقوة الدولة العربية الاسلامية التي
ركزت حياتها على كتاب الله عز وجل اثر كبير في
صقل اللغة واستثمارها والتوسع في دلالتها
واساليبها لاسيما اذا كثرت الحاجات والمحسوسات
وتجددت الوسائل والادوات فان ذلك يساعد على
ترقيتها وتوسيع كلماتها ، وما زال الكتاب المصريون
بطلاننا كل حين بأسلوب جديد وابتكار فريد
وذلك ما يشهد على قدرة اللغة ومرونتها
واستعدادها .

واما الرابع وهو وفرة المادة فهو شيء لا تلام
عليه اللغة العربية بل وربما شكها اهله من كثرة
مفرداتها وصعوبة الاحاطة بها وهذه معاجمها تهديك
الى الحق في هذا الباب فلسان العرب لابن منظور
الافريقي بنطوي وحده على ما يقارب ستين الف
مادة واذا اعتبرت ان كل مادة يدخلها الاشتقاق وما
يتفرع عليه ادركت ان جملة مفردات اللغة لا تكاد
تدخل تحت الاحصاء وبذلك استطاعت لغة العرب
ان تقوم بنفسها وتستقل عن غيرها مما حسدتها عليه
كثير من اللغات الناهضة - ولا عار في وجود الدخيل
من اللغات الامعجية فان ذلك لا ينقصها شيئا من
استقلالها لان مقومات اللغة المكونة لجهازها تامة
وقائمة - ولان اللغات ياخذ بعضها من بعض كما ياخذ
الانسان من الانسان وهذا شأن الكائنات يرتفق
بعضها ببعض ، الا ان نسبة الاخذ قد ترتفع وقد
تنخفض - ولان الكلمات الدخيلة اقلية ولا اعتبار
للاقلية مع الاكثرية - ولان هذه الالفاظ اصبحت

ضمان وجودها في حياتهم ، ونفوذها في عالمهم ، وكما يلد لي ان « اورد قصة طريفة اوردتها ابن الاثير في المثل السائر قال : « وحضر هندي في بعض الايام رجل من اليهود وكنت في الديار المصرية ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه في دينهم وفي غيره وكان كذلك فجرى ذكر اللغات وان اللغة العربية هي سيدة اللغات وانها اشرفهن مكانا واحسنهن وضما فقال ذلك الرجل : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت ااخرا فنفت التبيح من اللغات قبلها واخذت الحسن ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السابقة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني - كوميل - مما لا على وزن فوهيل فجاه واضع العربية وحذف منها الثقل المستبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل في كذا وكذا .. »

الا ان نفسي حدثني ان هذا الكلام اساء الى العربية اكثر مما احسن اليها لان اليهود لا يمكنهم ان يتجردوا عن سمومهم واحقادهم في كل ما يمت الى الاسلام والمسلمين بصلة وقد اكد الله لنا ذلك في كتابه الحكيم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا » وهذه الاساءة تتجلى في ثلاثة مواضع - الاول قوله : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت ااخرا » والثاني قوله : « ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السابقة » والثالث قوله : « فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني - كوميل - الخ ووجه ذلك انه يشير الى انها تولدت عن غيرها وانها مأخوذة من اللغات العبرية على الخصوص مع ان اللغة العربية عند المحققين هي شقيقة اللغات السامية وليست متولدة من شيء منها لا كما يزعم بعضهم انها بنت اللغة العبرية والبيئة على انها اصل بنفسها - انها اقرب اللغات السامية شبا باصلها حسبما اثبته الباحثون في نشأة اللغة الاولى وما تفرع عنها من لغات - وانها عاشت في نواحي منزلة عن بقية اللغات السامية وبذلك يصر اتصالها بها بصلة الاشتقاق والتفريع .

فاللغة العربية في غنى عن شهادة اليهود - اذ هي اوضح وسيلة للتمييز عن الاغراض واقدر على تصوير الحقائق وتحليل الغوامض ، واوسع من ان تضيق من موضوع او محسوس - وهي لغة التنزيل الذي يعتبر حدانا عظيما في تاريخ اللغة العربية لانه

نموذج جديد تطورت العربية فيه فكانت خليفة ان تكون عربية من دين جديد هو في الحقيقة حضارة جديدة ومن الطبيعي ان تتطلب هذه الحضارة الطريفة مادة لغوية جديدة تسمى اللغة الاسلامية او الالفاظ الاسلامية - ومن اجل ذلك وجد الباحثون انفسهم في حاجة الى وضع مؤلفات تشرح هذه اللغة الجديدة فكانت هي الكتب التي تحمل عنوان مجال القردان ، او غريب القردان ، او مشكل القردان ، او تشبيهات القردان ، او معاني القردان ، فمثلا الفاظ الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والقرض والسنة والصدقة والنافلة والحديث وغير ذلك مما يدخل في نطاق اللغة الجديدة - دلت على معان جديدة في هذه الفترة التاريخية من تاريخ اللغة العربية .

ولغة القردان والحديث طبعت اللغة العربية بطابع واضح مبين هو التزامها الاحراب الذي لم يكن شاعرا ولا مستعملا على نحو ما التزمته نصوص القردان ومعنى ذلك ان العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن تتقيد بضوابط الاحراب ولكن لفظة التنزيل هي التي جعلت الاحراب سمة لازمة للعربية التي اريد لها ان تكون كذلك - وعلى هذا فلم يدخل عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدواجية في اللغة - لغة نصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ، ولغة هامية تستعمل في التخاطب والتفاهم ، وربما تعدى الامر فيها مسألة الاحراب الى الالفاظ نفسها حيث تكون بعيدة عن الالفاظ الصحيحة - وعذر العرب انهم كانوا يتأخمون اقواما في اطراف الجزيرة العربية فاعدهم ذلك وغير لسانهم وحرف كلامهم - واعتبارا لذلك يمكن ان تكون صيغ الجموع وغيرها راجعة الى اختلاف اللهجات الخاصة اذا كانت قريبة من اللغة الاصلية .

وعلى اي حال فاللهجات العديدة ، والاستعمالات الجديدة التي لا يعترف بها علماء العربية ما هي الا نتيجة للتطور الطبيعي في اللغة واستمرار حياتها من حيث انها فرضت نفسها فرضا وجمعت حولها جموعا من الناس .

ومن الاستعمالات الجديدة ما روي ان احد الظرفاء جاء الى ابي تمام الشامي المشهور وساله ان يعطيه قارورة من ماء الملام حيث انكروا عليه قوله :

لا تسقني ماء الملام فانني
صب قد استعدت ماء بكالي

في تأليفه هو التشبيه القائم في قول امرئ القيس
أبتلني والمشرني مضاجسي
ومسئونة زرق كانياب الهوال

هل المشبه به معلوم أو مجهول - وهذا الكتاب
يفسر ما في الآيات الكريمة من مواد غريبة ، ويبين
وجوه نظم القرآن التي يوجد مثلها في كلام العرب،
ويتضمن كثيرا من مسائل البلاغة كالتشبيه
والاستعارة والكناية ، والتقديم والتأخير والإيجاز
والإلتفات ، ورتبه صاحبه على حسب ترتيب سور
القرآن وآياته ليسهل تناوله ويعم نفعه ان شاء
الله - وكتاب «غريب القرآن» او «مشكل القرآن» لابي
محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة
213 هـ ورتبه كترتيب ابي عبيدة ، واعتمد فيه على
كتاب ابي عبيدة وعلى غيره ممن سلك هذا المسلك
والمراد انه اخذ من ذلك اخذ الناقد البصير الذي
يمرف ما ياخذ وما يذر ولذلك تراه مرة يتقد نقدا
لاذما واخرى نقدا هادئا - وكتاب «تلخيص البيان»
في مجازات القرآن ، لابي الحسن محمد بن ابي
الحسن المعروف بالشريف الرضى ، المتوفى
سنة 406 هـ يبين فيه ما في القرآن من
استعمالات مجازية ونهج منهج ابي عبيدة في الوضع
والتقرير - وكتاب ابي القاسم عبد الله بن نايقا
البغدادى المتوفى 485 هـ الذى حلق في اجواء
الفناء ، واضفى على التشبيهات القرآنية أنوارا
جديدة وقدم معلومات وافادات طريفة فحق له ان
يكون مرجعا في الدراسات القرآنية والبحوث
البلاغية والاسرار اللغوية - وكتاب «الإيجاز في انواع
المجاز لابي محمد سلطان العلماء عز الدين بن هيد
السلام الشافعي المتوفى سنة 660 هـ بداه
بمعلومات قيمة عن المجاز والبلاغة ورتبه على سور
القرآن الكريم وختمه بطرائف وفراد .

فقال له ابو تمام لا اعطيك ما سالت حتى
تاتيني بريشة من جناح الذل وهو يشير في جوابه
اللطيف الى قوله تعالى في الوصية بالوالدين :
« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وهو يريد
ان يقول ان لاستعمالات المجاز في العربية الوانا من
الإبداع والابتكار فكما ان لغة التنزيل ابتكرت
المجازات الدقيقة اللطيفة ، فصارت من انفس نفالس
العربية ، كذلك يكون من حق الشاعر المبدع ان
يبتكر في استعمال المجاز .

ولا ننسى ان المجاز قام بدور كبير في تطور
اللغة وفي مسألة الدلالة ، والمجاز واقع في كل زمان،
وقام بكل لسان، والكلمة خاضعة للتغير بحكم الطبيعة،
وبحكم الشريعة .

وبعد فقد علمنا - ان انتشار الاسلام كان من
اقوى العوامل في انتشار اللغة العربية اذ هي لسانه
واداته - ومن مادة الناس انهم يتسارعون الى تعلم
لغة الغالب لكي يضمنوا لانفسهم تقريبا من الدولة
الغالبة فيتسمنون المراكز ، ويترسمون المناصب
وذلك شأن المغلوب مع الغالب فلغة الفاتح تنتصر
عندما ينتصر وتستقر عندما يستقر وامان على ذلك
هنا ما في تعاليم الاسلام من التسامح واقامة
ميزان الحق والعدل ، فاقبل الناس على الاسلام وعلى
لغته وسار الاسلام وسارت اللغة معه قدما بقدم -
وقد اثر القرآن الكريم تأثيرا عظيما في اللغة والبلاغة،
وكان باعثا قويا على تدوين اصولها وقواعدها ،
وسائر علومها .

ومن الكتب التي عنيت بدراسة لغة القرآن
واساليه كتاب «مجاز القرآن» لابي عبيدة معمر ابن
المثنى اللغوي المتوفى سنة 208 هـ وقد كان السبب

نظرة في الصّلات العربيّة الفارسيّة حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

وبما أن حديثنا محاط باطار تبادل التائر والتاثير بين العربية والفارسية ، فلذاكر أن للعربية فضلا على الفارسية هو فضل اتمام النقص وسد الحاجة من المفردات التي انتشرت في اللغة الفارسية، مع اقتباس وتشييع بالادب العربي وتاريخه وتاريخه تطوره اثر انتشار الاسلام والعربية في الشرق المسلم . وقد اخذوا منا كثيرا واخذنا منهم اكثر ، اخذنا منهم في العصر الجاهلي والاموي والعباسي والانحطاط ، ولا زالت بقاياها في لغتنا الحديثة الفصيحة منها والعامية، واخذوا منا منذ صدر الاسلام ، ولا زالوا ياخذون حتى اليوم . والمالم عندهم ، قديما وحديثا ، هو الذي يجيد العربية قدر اجادته للفارسية ، ومقياسهم العلمي والادبي للمرء مقدر بمدى معرفته للعربية وتمكنه منها .

يقول العوفي في كتابه « جهار مقاله : المقالات الاربعة » ، في هذا الشأن ما ترجمته : « لا يبلغ كلام الكاتب درجة عالية حتى يأخذ من كل علم نصيبا ، ومن كل استاذ نكتة ، وينبغي أن يمتاد قراءة كتاب رب العزة ، واحاديث المصطفى ، والنظر في صحف الخلف مثل ترسل الصاحب والصابي وقابوس ، والفاظ الامام وقداما ، ومقامات بديع الزمان ، ورسائل عبد الحميد ، ومن دواوين العرب : المتنبي والابيسودي والغزلي . ومن شعر العجم الازرقى والفردوسي » .

للتبادل الثقافي مرحلتان : مرحلة ما قبل الاسلام ومرحلة ما بعده . وبما أن المجال ضيق والحديث

نعم ان العرب والعربية ، يوما ، وصلا اقصى الشرق واقصى الغرب ، اقصى الشرق حتى بلغوا مشارف الصين وتمديهاها ، واقصى الغرب حتى وطلا اعلى جبال البرانس وتخطياها . وقد سارت العربية مع الركبان ، وتغنى بها الحداة ، فسمعها الاغراب عن الاغراب ، فهزهم الشوق الى معرفتها ، فاقبلوا عليها يتعلمونها او غيرة من شهرتها وسلاستها ، فمالوا عليها يريدون أن يمشوا بها ولكن :

كناطح صخرة يوما ليوهنا

فلم يضرها ، واوهى قرنه الومل

ولقد خرجت اللغة العربية في العصور القديمة من الارومة السامية تاركة شقيقاتها : الفينيقية ، الكنعانية ، الاشورية ، العبرية . . وغيرها لتفوقها اسماها وامكانية عشرات المرات ، ولتفزو وحدها لغات فارس ، وباكستان والهند وتركية ، ثم شمال افريقية وقلبها والاندلس وجنوب ايطالية . ولقد لمست اللغة العربية كل لغة من لغات تلك المناطق لمسات تتراوح بين التاثير الزهيد والدوبان التام .

ولا يعني حديثي هذا ان العربية اثرت ولم تتاثر ، لا ، فما من لغة في الدنيا لم تطعم غيرها ولم تتطعم بفيرها ، واللغة التي لا ترفد ولا ترفد تعتبر جالسة ضيقة المحيط والامكانية . كما لا يضير لغة تاثرها بجاراتها او بجاراتها ، ولا يحط ذلك من قدرها .

وقد كانت الاتصالات العربية الفارسية قبل
الحيرة غالبا عبارة عن معارك وأهانت من قبل القبائل
لتنسفيد من خيرات فارس ، فيقوم جند كسرى لصد
وقتل العابثين .

اما من الناحية التجارية ، وهو امر هام كذلك ،
فقد كانت الجزيرة العربية سوقا لبضائع فارسية
وهندية ، كما كانت محطات لقوافل فارسية ، كانت
في طريقها الى بلاد الروم او الى بلاد اليمن السعيد .
وقد كانوا يخشون على قوافلهم التجارية من هجمات
القبائل لذا استعانوا بالعرب كثيرا ، كما اشرت ، على
هذه القوافل ايام السلان والصفقة . وقد كانت مكة ،
كما نعلم ، سوقا عالمية ، فيها تجار من شتى الامتاع .
وكما يحدثنا الواقدي انه كان فيها ممثلون تجاريون
لفارس وبيزنطة ، كما كانت اللراهم الفارسية من
العملات الرائجة آنذاك . وقد كانت بلدة « جرة » على
الخليج العربي سوقا تجارية لبضائع الهند وفارس ،
وقد أسست هذه المدينة في القرن الرابع قبل الميلاد .

وعندما ازدادت اتصالاتهم بالمغرب ، حربيا
وتجاريا ، فكروا بتأسيس امارة على تخومهم ، يحمون
بها انفسهم مغبة هجمات القبائل ، فأسسوا دولة
المناذرة في العراق ، ومهمتها جمع الضرائب وتقديمها
للبلاط الاعجمي ، وحماية التخوم ، كما فعل الروم
بتأسيس دولة الفساسنة على تخوم الشام .

ونظرا الى اهمية الحيرة ومكانتها من الادب
العربي والعلاقات مع الفرس ، ونظرا الى النهضة
الشعرية التي برزت فيها ، اجدني مضطرا للوقوف على
ابواب الحيرة وتصريها ، لاطرقها ، ولانتظر جواب
محدثنا عن الخورنق والسدير .

ترجع نشأة هذه الدولة الى « جذيمة الابرشي »
الذي خضع للفرس ، واستعان بهم على شسء من
السيطرة على القبائل في بادية الشام . ثم ان «رقاش»
أخت جذيمة تزوجت رجسلا من بني اخوالها اسمه
« عدي بن نصر اللخمي الايادي » ، ورزقت منه صبيا
سمته « عمرا » ، فلما مات جذيمة عام 268 م خلفه
عمرو هذا ، واتخذ الحيرة على مقربة من « بابل » ومن
الكوفة اليوم ، منزلا له . فمن عمرو هذا جاء ملوك
الحيرة .. وقيل غير ذلك .

ويظهر ان كلمة (الحيرة) سريانية ، ومعناها
المسكر ، وهي في الاصل (حرثا) . وقد كانت مكونة
من قصور محصنة حول ميدان واسع . وينسب بناءه
قصرى الخورنق والسدير الى النعمان الاول السدي

شيق ، والمرحلتان واسعتان ، فاني اكتفي باستعراض
لمحات ترمي الى مدى التبادل الثقافي الذي كان
يجري في الجاهلية وحتى مطلع القرن الهجري الاول ،
مرجئا الحديث عن المرحلة الثانية ، وهي الاوسع ،
الى مقالة ثانية ان شاء الله .

اما المرحلة الاولى فقد كان العرب على اتصال
مع الفرس منذ كوروش الذي توفي (550 ق. م) اذ
دفعوا له الجزية ، ثم اهانوا ابنه « كوجية » ، والذي
اسماه العرب (قمبيل) ، عام (525 ق. م) على
فتح مصر والسودان . كما يروى ان الفرس كانوا
يعظمون البيت الحرام ، ويحجون الى مكة ، ويطلقون
بالبيت ، ويؤمنون على بشر اسماعيل . ومن جملة
الاكاسرة الذين حجوا الى مكة « ساسان بن بابك »
مؤسس الدولة الساسانية . وفي ذلك يقول أحد
الشعراء الفرس مفتخرا :

وما زلنا نحج البيت قدما
ونلقى بالاباطح آميننا

وساسان بن بابك سارحتي
اني البيت العتيق يطوف ديننا

نطاف به وزمزم عنسد بشر
لاسماعيل تروي الشاريننا

وقد وجدت مدينة عربية بين دجلة والفرات في
زمان « شاور بن اردشير » سنة 273 م ، قبل ان
تعرف مدينة الحيرة وكان اسم مالكا « الساطرون » ،
والعرب تسمى المدينة « ضيزن » ، وسكن فيها
قبائل من قضاة وبني مبيد ابن الاجرم . وكان
الساطرون على حرب دائم مع شاپور . وقد استطاع
هذا فتح المدينة وقتل الساطرون ، وفي ذلك يقول
« عمرو بن آله » :

الم يحزنك والانباء تنمي
بما لاقت سراة بني مبيد

ومصرع ضيزن وبني آبيه
واحلاس الكتائب من تزييد

اتاهم بالفيلول مجللات
وبالابطال ، سابور الجنود

فهدم من اواسي الحصن صخرا
كان ثقاله زبر الحديد

اوائل البعثة الى مكة ، معاديا في ذلك الدين الاسلامي .
ولقد رحل بعض العرب الى بلاد الفرس بقصد

التنزه والسياحة ، او كانوا رسل الملوك والتجار
فراة امينهم معابدهم الكبيرة ، ومبانيهم الفخمة ،
وراوا كيف يمشون ويطعمون ويشربون ، وسمعوا في
مجالسهم الحكايات والاقاصيص وحياة الملوك ، فائر
هذا الى حد ما ، في عقلية العربي ، والشاعر منهم
خاصة ، فذكر ما رأى واستفاد من هبرهم ، واقتبس
من معتقداتهم .

كما كان عرب الحيرة اذ ذاك في رخاء يحسداهم
عليه فبرهم من العرب ، ولخصب ارضهم ولغنى
اقلبيهم . فكان اذا جاء الشاعر الى الحيرة يتأثر
بالطبع من هذه الزيارة ، فيتسع خياله وتناغم افكاره .
وعلى هذا فقد كان لكل ما مر اثر في الادب العربي وفي
الحياة الحضارية والعقلية . فاحاديث جديمة الابرش
واساطير الزباه ، والخورنق والسدير ، والاقاصيص
حول سنمار ، والامثال التي ضربت فيه ، ويومنا
النعمان : نعيمه وبؤسه . كل ذلك وغيره كان سببها
هذا الاتصال الذي كان يجري بين الامتين المعنيتين
ومن اهم الشعراء العرب الذين ذهبوا الى بلاد فارس :
الامشى ، والذي لقب « صناجة العرب » ، وصناجة
كلمة فارسية من (جنك - سنج - صنج) وهي الآلة
الموسيقية المؤلفة من قطعتين معدنيتين مدورتين
يضرب بهما . ويكفي ان نورد قطعة من شعر الامشى
لنستدل على كثرة الالفاظ الفارسية المستعملة في
الجاهلية . يقول في مجلس انس يصف الخمرة وساقها
والازهار المحيطة بهم . وتجد ثمانى عشرة لفظة
فارسية اقلها في وصف الازهار ، في سبعة ابيات :

بيابل لم تعصر فجاوت سلاله

تخالط قنديدا ومسكا مختما

يلوف بها ساق علينا مشوم

خفيف ذفيف ما يزال مقديما

بكاس وابريقى كان شرابه

اذا صب في المصحاة خالط بقما

لنا جلسان عندها وينفسج

وسيسنبر والمرزجوش منمنما

وآس وخيرى ومرو وسوسن

اذا كان هنزمن ورحت مخشما

وشاهسفرم والياسمين ونرجس

يضبحنا في كل دجن نفيما

حكم بين 400 - 418 م . وقد بنى النعمان قصر
الخورنق قرب الحيرة ، بناه المعمار الرومي الشهير
« سنمار » . والخورنق كلمة فارسية اصل لفظها
(خورنكاه) او (خورنه) ، وهو الابوان لدى ملوك
الفرس ، كان يستخدم للاستفادة من اشعة الشمس
وللمصادة ، وهربت الكلمة الى (خورنق) ، ثم صارت
في مصر (الكرنك) .

كما بنى السدير في بادية الشام ، واصل الاسم
(سه دير : القباب الثلاث) . وقد بناهما النعمان
عندما ارسل « بردكرد » وهو « بهرام كور : بهرام
الحمار » الى الحيرة لينشأ نشأة فروسية ، ويربى
تربية قوية ، ويتعلم الفحص ، وينعم بجودة الهواء ،
وكم تفضى الشعراء بجمال هذين القصرين ، وخاصة
هدى والامشى .

وتعلم بهرام هناك العربية ، ويحكى انه قال
الشعر العربي ، كما نسب اليه اول بيت شعر
بالفارسية . وبعد وفاة ابيه نازعه اخوه على الملك ،
فاستعان بالعرب ليصل الى الملك ، وكان له ذلك ،
ولما اهتلى العرش لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد
عليه فتربهم وأعلى شأنهم .

وقد كان للنعمان كتابات عسكرية اهمها اثنتان
الاولى (الشهباء) وهي فارسية ، والثانية (دوسر :
ذات الراسين) وهي عربية . وقد انتقلت التجارة
الفارسية رسميا الى عرب الحيرة ، فنقلوا بضائعهم
وحموا قوافلهم .

نستدل من ذلك كله ان التبادل جرى عن طريق
التجارة اولا وعن طريق الجوار سلما وحربا ثانيا .
هذا الاتصال الوثيق كان يجبر الطرفين ان يستخدموا
مترجمين يقومون بالاتصال بين القصرين العربي
والفارسي ، ومترجمين يرافقون اصحاب القوافل
التجارية . فقد كتب (لقيط بن يعمر الايادي)
لكسرى وترجم له ، وكان (هدى بن زيد) من ترجمة
كسرى ابرويز ، كما كان ابوه زيد على معرفة
بالفارسية .

كما كانت مدرسة (جند يشابور) معهدا
لدراسة الطب والفلسفة والموسيقى ، فرحل بعض
العرب لتعلم الطب ، منهم (العارث بن كدة الثقفي)
الذي اتيقن في ذلك المعهد الطب والعرف . وذهب
كذلك ابنه « النضر » الى هناك ، وكلف بالفارسية .
وهو الذي كان يحكى اقصيص رستم واستفنديار في

فقطع العرب احزمة رواحل نساءهم ، ليستميتوا
دفاعا عن الحرائر اللواتي لا يستطعن الفرار على رواحل
تقطعت احزمتها . فاتجلت المعركة من هزيمة الفرس ،
فأشاد الشعراء بقبائل بكر وشيبان وعجل خاصة ،
كقول الدهان بن جندل :

ان كنت ساقية يوما على كرم
فاسقي نوارس من ذهل بن شيبانا
واسقي نوارس حاموا من ديارهم
واعلى مفارقهم مسكا وربحانا

وكان العراق من اخصب اراضي الجزيرة
بنهرها ، وبالحضارة المتبقية من حضارات الامم
الاصلية ، ومن المناثرة المتأثرين بحضارة الاكاسرة .
وقد امر عمر بن الخطاب (رضى) انشاء مدينتي
البصرة والكوفة حول الحيرة ، فتحوط اليهما كنوز
المدائن وحضارة البلاد . وبما ان سكان هاتين
المدينتين من العرب ومن الموالي ، فقد اضطر هؤلاء
الى تعلم العربية ، فكانوا اول من اتقن العربية والف
فيها .

ولما استقر الاسلام والعرب في العراق وفارس
وخراسان حصل الاتصال المباشر بين الامتين . لذا
فقد اختلفت عوامل الاتصال والتبادل الثقافي بمد
الاسلام عنها قبل الاسلام . فلم تعد فردية ، كما لم
تعد سطحية او ضيقة المجال الزمني ، واذا رجعت
كفة الفرس في الجاهلية ، واذا كان التأخر من طرف
العرب هو الغالب قبل الاسلام فقد اختلف الامر منه
بعد الاسلام ورجحت كفة العرب ، نظرا الى ان الاتصال
جماعي وعميق وطويل الاجل .

ويرجع السبب الاول لهذا الاتصال الى فتح
العرب لارض فارس وحكمها . ولن نتحدث عن المعارك
التي جرت بينهما حتى استقر الامر للعرب ، فهذا
حديث طويل لا نسمه صفحات ضيقة المجال ، كما
انه ليس محور حديثنا . ومن نتيجة ذلك انفتح
المجال لتيارات وصلت الشعبين ببعضهما حياة
وتكرة . وصارت الخيوط التي كانت تصلهما في
الجاهلية طرقا نسيحة مبهدة ، وصارت العلاقات
الفردية روابط اجتماعية وثيقة ، واصبحت الصلات
الموقوتة مري دامت قرونا نسيحة . وحسبنا ان
نشير الى ان العرب اسسوا على حدود الفرس مددا
من المدن اتخذت الطابع الفارسي ، كما كان اسم
اغلبها فارسيا ايضا ، من ذلك : البصرة (بسراه :
بعد الطريق) ، الكوفة ، الانبار (المخزن) ، ثم صارت

ومستقى سبطين وون ويربط
بجاويه صنع اذا ما نرمنسا

وهناك ، كذلك غير الاعشى ، عدى بن زيد الذي
كان ميلا للفرس في بلاط الحيرة . ولن ننسى النابغة
الذبياني وصاحبه النعمان ابا قابوس ، وما كان له من
فضل على ايجاد باب الاعتذار في شعر المصرب ،
واستخدامه للالفاظ الفارسية في الشعر العربي ، ثم
هناك قيس بن الخطيم ، وطرفة ومالك بن نويرة ،
وعمر بن كلثوم ، وحسان .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثرا في الامم وفي
آدابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي
المجوسية ، والمناوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك
بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلهم بها
وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من
عناصر الطبيعة وهي التي عبدها الفرس والشرق ،
وبدا ذلك كله في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار
الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وابى
تمام . ولا ادل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول
ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان
العرب في الجاهلية :

« وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبمضى
قضاة ، وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني
الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في نيمم ،
وكانت الزندقة في قريش . . اخذوها عن الحيرة » .
وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فعزله
قبلا ومين مكانه الحارث بن عمرو امير كنده . بعد ان
اعتنق المزدكية .

وتذكر كتب التاريخ ان يوم ذي قار (610 م) ،
فخر العرب ، حصل فيه اول معركة قام بها العرب
باجماع تقريبا ضد امة عربية حاكمة ، واحداث هذه
المعركة معروفة ، وقصة ظفرنا فيها تحكي صفحة من
صفحات مجدنا العريق . فقد قتل النعمان عدى بن
زيد ، فرد كسرى انتقامه بقتل النعمان ، فاستمد
العرب واستمد الفرس . وكانت النسوة العرب
يخرسن الرجال عن الاستبسال ، ويلهبن بطولتهم
بأناشيد حماسية ، منها :

ان تهزموا نمانق
ونفرش النممارق
او تهربوا نمارق
نراق غير وامق

في العامية عنبر) ، بغداد (الله المعطي ، حديقة الله) . . وسرعان ما امتلأت هذه المدن بالعرب ، وسرعان ما وفد إليها الفرس . ثم غدت مراكز للثقافة العربية الإسلامية .

كما اعتنق الفرس الإسلام مختارين ، تخلصا من المظالم التي اصطلوا بناها قبل الإسلام ، فتسابقوا إلى تعلم العربية على أنها لغة الدين والحكم . وقد ازداد الاختلاط في زمان العباسيين ؛ وكما نعلم أن للفرس ضلعا قوية في تأسيسها . ولقد زاحم الفرس العرب في الوزارة والحجابه وقيادة الجيوش وجباية الاموال وولاية الاقاليم وإدارة الدواوين ومنادمة الخلفاء وقرض الشعر .

ولقد دخلت القرآن الكريم الفاظ فارسية منها : ابريق . طبق . سراب . سجيل . جرف . سندس . مسك . كافور . خندق . استبرق . كنز . ومن شاء الاطلاع على الالفاظ الفارسية في القرآن فليرجع إلى الاتقان للسيوطي أو إلى المعجم الذي كتبه « آرنود جفري » في الدخيل من كلمات القرآن التي قبسها العرب من الفرس ، وهي مما سنتحدث عنها في مقالتنا القادمة .

* * *

ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل راب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه

المعصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآنا ونثرنا وشعرنا وأمثالنا . وإذا كنا نأثرنا بهم حكما وسياسة وتابعة ودينا ولغة قبل الإسلام ، فإننا أثرنا باستقلالهم وأديانهم ولغاتهم بعد الإسلام . ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الإسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت أديانهم وذابوا في الديانة الإسلامية انغمسوا في العربية ؛ قرآنها وآدابها وعاداتها . وما هي الا فترة وجيزة حتى غدت الالفاظ العربية مبنوثة في النصوص والاحاديث الفارسية بشكل لا يمكن التخلي منه بآية حال . فما من نص الا وفيه ثلاثون بالمائة أو أكثر من الالفاظ العربية ، وما من قصيدة الا واغلب قوافيها عربية .

ويعتبر الاثر العربي الاول في الفارسية تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل ، فنراه منذ اوائل الإسلام يغيرون الالفباء البهلوية بالالفباء العربية مضيفين إليها أربعة حروف فقط لم يكن رسمها موجودا في العربية لعدم وجود نطقها ، فرسموها بشكل مناسب للحروف العربية القريبة النطق منها . فكتبوا (ب) باء بثلاث نقاط ، و (ج) جيما بثلاث نقاط ، وكذا (ث) زايا بثلاث نقاط . ووضعوا خطا آخر فوق الكاف للكاف الفارسية .

(يتبع)

إفريقيا المسلمة متحمسة للغة القرآن ... ولكن ضعف الوسائل يحول دون انتشارها

شيخ شرفي مكي حيدر

(حلب)

تحمله حروفها وحكمتها من دلالات ومضامين هدتهم الى فهم آيات القردان واحاديث النبي وكل ما يتصل بروح الشريعة الاسلامية حتى اخذوا يؤلفون بالعربية دون لغاتهم الاصلية التي ما كانت لتستطيع التعبير من آرائهم وخواجهم بهذه الافاق المنطلقة .

والتأليف التي تركوها نقل في قيمتها العلمية من التي ألفها ابناء العرب الخالص .. ولا مبرر لهذا الاتجاه الا الحائز الذي دفعهم لادراك اسرار الشريعة الاسلامية ، ثم النزعة التي فاضت بها القلوب بحب هذه اللغة التي نزل بها القرآن فكانت الشعلة التي اوقدت الافكار فتركوا لنا تراثا ضخما ما تزال البشرية تعيش على روايته مختالة فخورا ..

ولا مجال لذكر الاعلام الذين ألفوا في العربية فهم من شتى الامم ، من الفرس والتراك والديلم والهنود ، حسبى ان اذكر الفارابي ، وابن جني ، والغزالي ، وابن سينا ، والفخر الرازي والبيروني ، والسهورودي ومشرات من الفحول الذين تركوا لغتهم وكتبوا تأملاتهم وادراهم في الدين والتصوف والعلم والادب والحكمة - كتبوها بالعربية الفصحى وما تزال متداولة حتى يومنا هذا ..

وفي خزانتي كتاب باللغة التركية عنوانه « عثمانلي مؤلفري (1) لمؤرخ اديب اسمه «بروسلي

لم اظهر مظاهر الترابط بين الاسلام ولغة القرآن ، ان الاسلام لا يمكن ان يفهم فهما كاملا بدون التعمق بدراسة لغة القردان ..

فقد نزل الوحي الرباني على النبي الكريم بهذه اللغة التي جمعت فاضت .. وكانت من البلاغة وسحر القول ما هز النفوس وايقظ الضمائر ..

وحين استفاضت الدهوة المحمدية لم تشمل العرب فحسب ، بل تجاوزتها الى الكثير من اقطار الدنيا فاستجاب لها امم من الشرق ومن الغرب ، متباعدة الاهداف والانظمة والمقائد واللغات - استجابت للدهوة المحمدية لا لشيء الا لما تضمنته من مبادئ انسانية ونزهات مثالية ونظم خيرة وسنن كريمة ..

وقد اقبل غير العرب على تعلم لغة القردان بنية فهم محكم آياته فانكشفت لهم آفاق ترفع من كرامة الانسان وتصون حقوقه وتثبته ليكون اداة بناء في دعم الحضارة الانسانية ..

وما هي الا فترات لم تطل ، جيلا بعد جيل ، حتى كانت العزبية ، قد هزت افئدة فطاحل الرجال الاذكياء من مختلف الامم ، ففكفوا وهم يدرسونها ، على التعمق في اسرارها فما كادوا يلمسون هذا الجمال ، وهذا الغنى في الفاظها ومفرداتها ، وفيما

(1) الكتاب في مجلدين كبيرين نيفت صفحتاهما على الستمائة صفحة بالحرف الصغير .

محمد طاهر» ترجم فيه لمئات المؤلفين الاتراك الذين دونوا علومهم بالعربية .. فهم مؤرخون وأطباء ورياضيون وجغرافيون وشعراء وأدباء وعلماء — الفوا بالعربية وبالتركية والفارسية وما الفوه بالعربية اكثر ..

* * *

ولا اعلم اذا كانت بعثة الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية والتي قامت بمدة رحلات الى تركيا — قد اهدت الى هذه الآثار وصورت بعضها ..

كان علماء الاتراك في عهد السلطنة العثمانية يؤلفون الكثير من كتبهم بالعربية كعلماء الفرس تماماً ..

ومنذ عهد الغازي اتاتورك ، وقبله بسنوات ، اي منذ ذرت « المنصيرية الطورانية » قرنها — توقف هذا الاتجاه ، بل قضي عليه تماماً بعد ان استبدل الاتراك الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية — وهذه جنابة لا تفنفر لرضها اتاتورك على الشعب التركي الذي فصل بينه وبين الحرف العربي المقدس الذي نزل به القرءان .. وكانى به قد مس الاخوة الاسلامية في الصميم وجعله يتجه الى الغرب بدل ارتباطه بالشرق وبالشرق الاسلامي بصورة خاصة .

واستدرك فاقول ان الشعب التركي بمجموع افراده وطبقاته ومجتمعاته متدين صديق التدين ، يفيض قلبه بروح الاسلام ، وما يزال مرتبطاً بحسه وقلبه وضميره ببلاغة القرءان .. ولكن هذه الصلة بين الروح الاسلامية وبين الجيل الجديد سيمروها شيء من البلبلة والتفكك الا من عصم ربك !

اذكر بهذه المناسبة ان نقاشا كان دار بيني وبين صاحب جريدة « آقشام » — الماء — الاستاذ نجم الدين صادق — وهو من انصار اتاتورك المتحمسين — دار هذا النقاش حول الحرف اللاتيني ، واذكر انه قلت له : ان الجيل الجديد سيعيش فدا في متاهات مظلمة حين يبحث من اصل الكلمات التي دخلت لفته — وقد دخلها الكثير من لغات الشرق والغرب — وضربت مثلاً عدة كلمات منها كلمة « المحبة » — والاتراك يقبلون الحاء « هاء » فيلفظون المحبة « مهبت » ، وامثالكم من الجيل القديم يدرك ان اصل الكلمة من « الحب » وهي كلمة عربية ، اما الجيل الجديد — وقد قطع صلته بالحرف العربي — فسيجعل الكثير من اصل الكلمات التي يتحدث بها او يكتبها — سيجعل اهي عربية الاصل أم الفرنسية أم سنسكريتية — وبذلك تغطي البلبلة على افهام النشء الجديد الذي سيعيش في تبه من الرطانات!

واقر بالامر .. ثم قال اننا اخترنا الخطة التي رسمها الغازي ولا حيلة لنا في الامر ، ولسنا نادمين!

وافتح هذا الكتاب على غير هدى ، واقرا سيرة عالم عرف باسم ال « الكافيجي » او « الكافيه جي » اسمه ابو محمد بن سليمان بن مسعود الرومي احد فضلاء الاتراك ، هجر قريته « برغمه » وقام برحلات الى اطراف الاناضول ، والى ايران ، والى آسيا الصغرى يتصل بالعلماء وياخذ عنهم ، ثم انتهى به المطاف الى مصر فاتصل بالملك الاشرف بريسي الذي اكرم وفادته وخلع عليه الخلع ، ثم ناط به احدى الرتب العلمية .

لقد ترك هذا المؤلف التركي عشرات الرسائل والكتب بالعربية منها :

- 1 - التيسير في علم التفسير
 - 2 - انوار السعادة في شرح كلمة السعادة
 - 3 - تشريح مسألة الاستثناء
 - 4 - الاشراق في مراتب الطباق
 - 5 - سيف القضاة على البفاة
 - 6 - الفرح والسرور في بيان المذاهب
 - 7 - نزهة الارواح ولهبة الاشباح في التصوف
 - 8 - شرح تهذيب المنطق والكلام
 - 9 - منبع الدرر في علم الاثر
 - 10 - منازل الارواح
 - 11 - المختصر المفيد في علم التاريخ
 - 12 - حل الاشكال في مباحث الاشكال والهندسة
 - 13 - تفسير الآيات المتشابهات
 - 14 - نزهة المغرب في المشرق والمغرب
- ويصل عدد هذه الرسائل والكتب الى الاربعين كتاباً .

واكثر الكتب التي اشار اليها مؤلف الكتاب ، هي مخطوطات لى مكتبات استانبول والاناضول ..

عربية صافية تهرز المشاعر بإيقاعها الموسيقي ، وتثير
الإنهام بمعانيها السامية التي صانت «حقوق الإنسان»
وحددت له واجباته ومسؤولياته نحو الله والمجتمع -
استطاعت لغة هذه الرسالة ان تكتسح بقية اللغات
وان تحتل الصدارة في البيئات الرسمية والشعبية
وعلى السنة القوم على اختلاف نحلهم ومداهبهم ،
وما هي الا فترات لم تطل حتى انقلبت بلاد الشام
عربية اللسان ، وعربية الفكر والقلب والوجدان ،
وانضوت باكثريتها تحت راية القرآن .

لقد كان هذا الحدث من اقوى العوامل
والاسباب التي ربطت ، في الاقليم الذي اميش في
ظلاله ، بين العربية والاسلام .

ومن الشام انطلقت البعثات تنشر هذه
الرسالة، رسالة النبي العربي في انحاء الدنيا ..
تنشر الدين واللغة معا . واذا الاسلام ببلاغة القرآن
وبدستوره المحكم يقضي على الوثنيات ويصبح للغة
العربية هذه القداسة في نفوس القوم والاداة المعبرة
من هواجسهم وآرائهم في شتى شؤون الحياة
والمجتمع ، وفي شتى الوان المعرفة ..

هذا وان آثار لغة القرآن جليلة في انتاج علماء
المجم .

نلمس ذلك فيما كتبه شاعر باكستان
المظيم محمد اقبال ، ففي اكثر كتاباته صور من
نفحات القرآن ، والفاظ تنبع من صميم القرآن .

ونلمس هذا عند شاعر الترك الاعظم عبد الحق
حامد . فالكثير من شعره وادبه مردان بنفحات من
كتاب الله العظيم ..

واستطاع القرآن ان يصون لهجات الجاليات
الاسلامية في الاقطار الغربية - من الهلثة ، بل كان
له اثره في اصفاء رونق جميل على ادبهم . وهذا ما
نلمسه في ادب المهجريين وفتنهم واكثرهم من
اخواننا المسيحيين ا

هذا وقد استطاعت العربية ان تفرض ذاتها
على الكثير من الامم الاسلامية فكان لبلاغة القرءان
اثرها في النفوس وفي العقول وفي الادواق .. ومن
هنا ظل الترابط وثيقا بين العربية والاسلام ، وكان
لهذا الترابط اثره في هير المسلمين ولدى
المستشرقين بصورة خاصة فاننا نقرأ لكثيرين منهم
دراسات باللغة العربية على غاية من العمق والقيمة
الفكرية .

قد يقال ان حكوف المستشرقين على تعلم
العربية يختلف كل الاختلاف على اولئك الذين
اجتذبهم الاسلام الى رحابه ودخلوا في دين الله
افواجا .. ولا نقول غير ذلك .. الا ان غنى اللغة
وسحرها واستيعابها لتزوج الاسلام ولشريعته
السمحة هي التي اجتذبتهم الى دراستها فتركوا
آثارا تمتاز بها الدراسات المنهجية وان شاب الكثير
منها نزغات وشكوك ولوثات لم تخف على الباحثين
الذين تناولوها بالرد على ضوء من الحقائق المجردة
التي ترفض العقل والضمير ويقرها الايمان والفكر
الحس ..

ويعد فليس هنا مجال التوسع في هذا
الاستطراد الذي جاء عرضا وانا اشير الى لغتنا
الجميلة التي عاشت مع القرون وما زالت حية نابضة
معبرة عن الكثير من الخلجات الانسانية ، تأخذ
وتعطي دون ان يصيبها الهزال او الشيخوخة او
الموت الذي اصاب الكثير من اللغات ا

وقد ظلت العلاقة بين الاسلام واللغة العربية
غير منفصلة طوال عصور التاريخ .

ففي بلد الشام، ونرجع الى عهد الفتح العربي،
كانت لغة السوريين خليطا من الآرامية والسريانية
واليونانية وغيرها من لغات ولهجات .

وكانت العربية على لسان بعض القبائل
والمشيخات العربية القاطنة في الاطراف والتخوم ،
فلما جاء الفتح العربي يحمل رسالة السماء بلغة

آثار لغة القرآن في لغة المسلمين العجم الأستاذ سالي الشيباني

أحد زعماء أفريقيا السوداء (دكان)

انتشار الإسلام في بقاع نائية مثلا لا تمت إلى العرب بصلة وليس لها أي أمام باللغة العربية . فالإسلام لم يصل إلى هذه البقاع إلا من طريق من حملوا هديه ورسائله وانطلقوا ينشرون تعاليمه في مشارق الأرض ومغاربها . أوليس طارق بن زياد هو الذي حمل الإسلام إلى الأندلس والمغرب من طريق الفتح ؟ . . أوليس عقبة بن نافع هو الذي حمل الإسلام إلى أفريقيا السوداء ينشر تعاليمه ويبشر برسائله من طريق حملاته التوسعية ؟ .

لقد توسع الإسلام في أفريقيا دون وجود بيئة تلم بالعربية أو تجيدها . وكان الفضل في ذلك لمواعظ كبار العلماء وجهودهم من جهة ، ولتوفر الاعتماد الفطري عند الأفارقة لتقبل الدعوة . ففي منطقة « الكازامنس » في السينغال مثلا : كان وجود علماء كبار من أمثال والدي المرحوم الشريف يونس ضرورة أكيدة وهاملا هاما في نشر الإسلام ، واكتساب العدد الأكبر من السكان إلى جانب الدعوة .

لا بد للباحث في هذا الموضوع أن يأخذ بعين الاعتبار عاملين هامين رافقا للإسلام :

– أولهما : هبوط الوحي السماوي على محمد ابن عبد الله (صلم) وهو عربي ومن بيئة عربية .

– وثانيهما : نزول القرآن وهو « قاموس » الإسلام ودستوره بالضرورة – باللغة العربية –

من هنا كان الترابط محكما ومتينا بين الإسلام ، ولغة الإسلام « أي لغة الضاد » ، وكان على مسلمي الأرض قاطبة أن يلموا باللغة العربية ، ليستطيعوا بالتالي تادية فروض الإسلام والقيام بشمائره وترتيل القرآن .

وهكذا كان لابد للغة العربية أن تصل جيشا وصل الإسلام وجيشا حل المسلمون .

وكان لا بد كذلك من أن ينتشر الإسلام بشكل أشمل وأعم في البيئات العربية المنطق واللسان . – فالترابط في نظري – بين الإسلام واللغة العربية ترابط عضوي وأساسي لا يقلل من أهميته إطلاقا

اغناها بسحر آياته وامعجاز كلماته فاهنتت واهنت ،
وليس من المعجب في شيء أن نرى عددا كبيرا من
طلبة المعاهد والثانويات الانفارقة ينزعون الى تعلم
اللغة العربية والقانها بديلا للغات الاجنبية الاخرى .
ولكن للاسف يحول دون العدد الاكبر منهم وتحقيق
غايته نقص الوسائل وعدم توفر الامكانيات .

ان كثيرا من التعابير والآيات القرآنية تمازجت
مع اللغات المحلية واللهجات الاقليمية للمسلمين في
مشارك الارض ومقاربتها ، حتى غدت جزءا من هذه
اللغات واللهجات ، الشيء الذي يؤكد مجددا التلازم
والترابط بين الاسلام واللغة العربية ، هذه اللغة التي
ابت الدويان في غيرها من اللغات على مر المصهور
ورغم ما عانته من هزات وازمات، ذلك ان الاسلام

محنة القومية العربية

الاستاذ أحمد بصوي

(الموصل)

الى ان يقتله رجل اسمه فيروز ويلقب بابي الوؤة
الفارسي الشعبي .

وتحدثنا المصادر التاريخية : - ان اول مخطط
هدام للقضاء على القومية العربية قام بوضعه (عبد الله
ابن سباء) المعروف « بابن السوداء » وقد ولد هذا
اليهودي الحاقدي في مدينة صنعاء باليمن وتثقف
بالثقافة الفارسية واطهر اسلامه لينتقم من المسلمين
ويضل الناس وكان يصبغ مبادئه الهدامة بصيغة دينية
حتى يضل بها عامة الناس فكان يقول : - لقد عجبت
من يقول برجمة المسيح ولا يقول برجمة محمد ،
وبذلك وضع مذهب الرجمة اي رجمة محمد كما روج
بين المسلمين نظرية الحق الالهي التي اخذها من الفرس
الذين احتلوا قبل الاسلام بلاد اليمن موطنه الاصلي .

وقد هيا ابن سباء العقول الى الاعتقاد بان عثمان
ابن عفان المُنصب الخلافة واخذ يؤلب الناس عليه
ويدعوهم الى الثورة على خلافة عثمان بن عفان وبعت
دعائه لنشر هذه المبادئ الهدامة بين عامة الناس
وقد نجحت دعوة ابن السوداء في البصرة والكوفة وفي
مصر ولم تنجح في الشام

وحقق ابن سباء اليهودي الهدام ما كان يرمي
اليه من تاليب الولايات العربية على الخليفة عثمان بن
عفان وقد بلغت دمونه الغاية منها حيث انضم كثير
من اصحاب النفوذ والجاه اليه مما ادى الى قتل
الخليفة عثمان بن عفان بعد ان حاصره الثوار في داره
22 يوما ، فكان ذلك اول فصول هذه المأساة ومسا
اعتبها من نشوب الحروب الاهلية في البلاد العربية
واخذت الكوارث الدامية تحل بالامة العربية الواحدة
تلو الاخرى ، منها واقعة الجمل التي حدثت في
جوار البصرة بين انصار عثمان بن عفان وبين الخليفة

بدا الصراع الدموي بين القومية العربية وبين
الشموبية بعد ان تحرر العراق العربي من نير الاستعمار
الفارسي في عهد خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ،
وانضمام هذا القطر العربي الى الام الوطن العربي الكبير
وربط مصيره باشقائه الاقطار العربية الاخرى كسوريا
ومصر واليمن والحجاز والاقسام الاخرى من الوطن
العربي الكبير الامر الذي ادى الى تكالب الشموبيين
وازدباد حقدهم على القومية العربية التي حملت
رسالة الاسلام الخالدة وانارت بمشعلها الوهاج وانوارها
الساطعة البشرية قاطبة .

والقومية العربية الخالدة التي حملت راية الاسلام
هي التي اوجدت مبدأ الضمان الاجتماعي الذي دعت
اليه تعاليم الاسلام في جوهره يكفل للفرد العيش في
سعة ويؤمن للسكان اجمعين ضمانا اجتماعيا قويا ضد
المادة والوفاة والعجز والشيخوخة ولم تمض حقبة
من الزمن حتى فتح العرب الممورة باجمعها واسسوا
في البلاد المتحررة انظمة مستمدة من تعليم الدين
الحنيف تكفل لجميع الشعوب على اختلاف الوانها
وعقائدها وقومياتها الحرية والمساواة وحرية التملك
وحرية المبادأة وحرية ابداء الراي . هذه هي المبادئ
السامية التي حملتها القومية العربية الخالدة للبشرية
اجمع ، الامر الذي ادى الى حقد الشموبية واليهودية
وقد بدأ التآمر على القومية العربية منذ تولى الخلافة
الفاروق العظيم عمر بن الخطاب (رضي) وما كان
يظن ان تنتهي حياة ذلك العادل المحب لرعيته بضربة
خنجر ولكن ذلك حتى يعلم الناس حقد الشموبيين على
القومية العربية ، فان عمر اذا كان قد ارضى العرب
بما صنعهم وارضى المعجم بما افاض عليهم من العدل
فقد اغضب كبراهم وذوي السلطان عليهم لانه نزل
مروث مجدهم وزلزل تصور عظمتهم الامر الذي ادى

الا انه لم يفرغ لها التفرغ الكامل فقصى - والدولة العباسية مهددة بالروال ، وتناول السيف خليفته المهدي ثم ابنه الهادي ثم اخوه الرشيد .

ولما وقع الشقاق والخلاف بين الاخوين الامين والمامون وجد الزنادقة والاحزاب الهدامة الاخرى متنفسا آخر فازداد نشاطهم . ومن أخطر الحركات التي انبثقت لهدم الاسلام والتضاه على القومية العربية وسحق تعاليم الدين كلها سعيا الى تحطيم السلطة السياسية التي تقوم على هذه التعاليم - تلك الحركة التي تزعمها رجل كان اذكي وأخطر من ابن سبأ ، وهذا الرجل هو المدعو « عبد الله بن ميمون القداح » وهو ابن فقيه ملحد من جنوب فارس ، وكان ميمون بن ديصان امام جماعة من الملحدين يزيفون الاحاديث وينشرون في العامة مبادئ الانتكار والهدم والاباحة ويظهرون في نفس الوقت تشيما لال البيت لاخفاء مقاصدهم الحقيقية ، وما كاد ابن جيمون ينظم جمعياته السرية الهائلة في جنوب فارس حتى بعث بدمائه الى جميع الاقطار العربية يبثون مبادئ التوقيض والهدم والتشهير بالمهدي المنتظر . وكان داعيته في العراق رجلا يسمى « الفرج بن عثمان القاشاني » ويمسرف « بذكرويه » وهو فارسي من مدينة قاشان ، وكان يبث الدعوة سرا ثم نهض في سنة 278 هجرية رجل من اتباعه داعية في الاستهواء والدس بمكان يعرف بالنهرين على مقربة من الكوفة يبث الدعوة جهرا فاستجاب له جمع كثير ولقب بـ (قرمط) وكان يدعو الى خروج المهدي المنتظر الذي يملأ الارض بعدله وكان يأخذ من كل واحد من اتباعه دينارا للامام وجعل عليهم النبي مشر تقيبا سماهم الحواريين ، ولما علم عامل الناحية بامر قبيض عليه وحجسه ففر من سجنه واختفى حينما ازداد انصاره تعلقا به ، وقالوا انه رفع الى السماء ثم ظهر في ناحية اخرى من الكوفة وعكف على بث دعوته ثم فر الى الشام واختفى بمسد ذلك ولم يقف له احد على خير ونشا هذا المذهب الهدام الجديد في انحاء الكوفة واطلق على انصاره (القرامطة) نسبة الى داعيتهم قرمط .

وهكذا قام حزب القرامطة على الشيوع والاباحة فقد بدأ قرمط يجمع من انصاره الضريبة العامة بنسب صغيرة وينسب كبيرة ، ثم افنى الملكية الفردية ثم قرر شيوع المرأة وغيره من صنوف الاباحة القائمة على استغلال اخس الشهوات البشرية وبذلك نظم مجتمعا شيوعيا وسرمان ما تحول القرامطة الى عصابة هائلة من السفاكين والاشقياء تقتل خصومها وتستحل اموالهم واهراضهم وتنتشر الدمار والرهب

علي بن ابي طالب قتل في هذه الواقعة (10) الالف من شجعان العرب ، وليت الامر وقف عند الحد بل اخذت الحروب الاهلية بين العرب تتعاقب بفضل الشعبيين والخرق يتسع بين العرب الذين حملوا راية الاسلام فحدثت حرب صفين بين الخليفة علي بن ابي طالب وبين معاوية بن ابي سفيان المطالب بدم عثمان ، ولم تكن واقعة الجمل على شدة هولها ونظامه امرها الا مقدمة لما هو اشد منها هولاً هو الحرب في صفين . انتهت واقعة صفين التي قتل فيها من شجعان العرب وامجادهم تسعون الفا ، وهو عدد لم يذهب مثله ولا قريب منه في جميع الوقائع الاسلامية من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تاريخها . وما يزيد الاسف ان هذه الحرب لم يكن المراد منها الوصول الى تقرير مبدأ ديني او رفع حيف بالامة انما كانت لنصرة شخص على شخص وقد نتج عن حرب صفين احداث محزنة ومؤسفة حيث انها ادت الى البلبلة والانقسام في صفوف الامة العربية . فقد عاد الشاميون من هذه الحرب الاهلية الى دمشق وانصرف العراقيون الى العراق ولكن شتان بين رجوع اهل الشام وبين اهل العراق عاداهل الشام متفقي الكلمة ورجع اهل العراق وقد وقع الخلاف بينهم ودب الانقسام الى صفوفهم ولقد اقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشائمون ويتضاربون بالسيوط مما ادى الى قيام حرب جديد اطلق على نفسه (الخوارج) ثم اصبحنا امام ثلاثة احزاب بعد ان كنا امام حزبين اثنين . اولا حزب الشيعة ، ثانيا حزب الامويين ، ثالثا حزب الخوارج ، واخذت هذه الاحزاب الثلاثة في التطاحن مما ادى الى اضعاف مقدرة القومية العربية ومناعتها لصد العدوان الداخلي الذي يقوم به الرتل الخامس فكان نفوذ فرق الزنادقة من مجوسية ومزدكية يمتد في فسبح البلاد الاسلامية للكيد ونشر الفوضى تحت شعارات وبراقع مختلفة الالوان حتى نمت الاحزاب الهدامة على حساب القومية العربية .

وكان الامويون قد جردوا السيف لهذا الخطر الداهم ولذلك تواترت الشكاوي على مثل والي العراق زياد بن ابيه وخلفه الحجاج بن يوسف الثقفي لان ولايتهما كانت في قلب الفتن (الصراقي) ول مهيب ريعها فلما رالت الدولة الاموية بدسائس الشعوبية الماكرة ووجد الزنادقة والاحزاب الشعوبية الهدامة مجالا واسعا لبث سمومهم وهدم كيان القومية العربية احس الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بالخطر فاعمل السيف في اربابها كابي مسلم الخراساني وحزبه،

كانوا يلقونه من غلمان الاتراك المرتزقة من اهانات وكبت للحريات ومصادرة للاموال والممتلكات ، ونتج عن ذلك ان غلمان الاتراك وجدوا انفسهم منفردين بالحكم والسلطان واصبحوا هم الامريين في الدولة العباسية ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تعدى الى ان امتدت ايديهم على حياة الخلفاء واموالهم .

ف عندما استلم المتوكل الخلافة وحاول ان يكف ايدي غلمان الاتراك عن التدخل في شؤون الدولة وسياستها قتلوه وصار ابنه المنصور الذي اشترك معهم في قتله طوع بناتهم ، واصبحت الدولة العباسية ميدانا للفوضى والدسائس وفدا امر تولية الخليفة وعزله او حبسه او قتله في ايدي (غلمان الاتراك) .

ومن هنا بدأ ظهور طوائف الملوك في الوطن العربي المستقلة وشبه المستقلة في اطراف الدولة العباسية كدولة الصفارية والسامانية والغزنوية والعلوية في الشرق العربي والدولة الاقلية بتونس والفاطمية ببلاد المغرب والطولونية والاشيدية بمصر وبنو امية بالاندلس ودولة الزيدية باليمن .

وبينما كان الشعب العراقي العربي ينظر الى هذه الكوارث والماسي التي حلت بالعراق على ايدي الشعوبيين بكل يقظة وحذر لكي يتخلص من هذه الطفحة المرتزقة اذا بسيل جارف آخر من الشعوبيين يتدفق صوب بغداد وهو عنصر جديد من بلاد الديلم يعرف باسم (آل بويه) فانزحوا الحكم والسلطان من غلمان الاتراك ببغداد وجعلوا العراق ملكا لاحدهم يتصرف فيه كما يشاء ، والخليفة الشرعي قابض في قصره بالامر بامرهم . وقد ارتكب البويهيون اكبر جريمة في حق الشعب العراقي اثناء سيطرتهم على مقدرات العراق بتشجيعهم الطائفية بين السكان .

وتحدثنا المصادر التاريخية ان معز الدولة البويهي الذي كان يسيطر على مقدرات العراق اصدر امرا في بغداد في العاشرة من شهر محرم سنة 352 هـ يقضي بالزام الناس ان يفلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء وان يظهروا النياحة (الطبك) ويلبسوا قبايا مطوها بالمنوح (الاكفان) وان يخرج النساء ناشرات الشحور ومسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد ناشحات ويلطمن وجوههن على الحسن ابن علي ، فعلم الناس ولم يكن للخليفة العباسي قدرة على منع هذه البدعة السيئة التي لم يكن لها اي صلة بالدين ، وقد بدل البويهيون جهودا عظيمة لنشر روح الطائفية في جميع ارجاء هذا الوطن ، ولتوتوها بصينورة

فيما حولها ، وقد اجتاحت دعوة القرامطة انحساء البحرين والبصرة والاحساء وعمان والجزيرة ، وامتدت الى سوريا والحجاز ، وبينما كان القرامطة يسرون بانفسهم الى الفناء من جراء المعارك الطاحنة كانت دعوة عبد الله بن ميمون السرية تجتاح بلاد اليمن وتبشر بقرب ظهور المهدي فانتشرت الدعوة بين القبائل بسرعة وثاروا على من حولهم من القبائل بالسبي والنهب والقتل وارسلوا اموالا كثيرة الى ولد ابن القداح ثم انتقلت هذه الدعوة الى افريقية وانتشرت الدعوة في قبائل المغرب وفي مصر ثم ظهر حزب ثوري سري هدام وهو اخطر حزب عرفه الاسلام ، وهذا الحزب هو (الطائفة الاسماعيلية والباطنية) استمدت مبادئها من تعليم ميمون بن ديصان وولده عبد الله ومن القرامطة ولبثت هذه الطائفة مدة قرن ونصف قرن اربعت خلالها الدول الاسلامية من فارس الى الشام وحشدت جيوع البسطاء من العامة باسم الدين لتحقيق الغراض السياسية واعتمدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم باكثر مما اعتمدت على الحرب العلنية ، وكانت القومية الفارسية تعتمد على الدعوة الثورية هدفست بشواتها المتعاقبة الى تحطيم نير الدولة العباسية واسترجاع حريتها .

ولما ولي المعتصم الخلافة وكانت امة تركية اهمل المنصر العربي والفارسي واعتمد على الاتراك الذين اتخذهم حرسا له واسند اليهم مناصب الدولة كما فعل اخوه المأمون مع الخراسانيين . وكان المعتصم اول خليفة عباسي اعثنى باقتناء غلمان الاتراك فبعت الى سمرقند وفرغانة لشرائهم وبدل فيهم الاموال الطائلة والبسهم انواع الديباج ومناطق الذهب وكان غلمان الاتراك يتدفقون سنة بعد سنة على اسواق بغداد حتى كثر عددهم ولم يلبث هؤلاء ان اصبحوا آفة على اهل بغداد الذين هانوا من عنتهم وجورهم شيئا كثيرا .

وتحدثنا المصادر التاريخية ان المعتصم كان قد اقصى العرب عن مناصب الدولة المدنية والعسكرية وعن ديوان العطاء واتاح بذلك الفرصة لغلمان الاتراك فزاد نفوذهم واصبحوا خطرا على الخلفاء العباسيين وعلى الدولة العباسية . وقد ادى ظهور المنصر التركي الى تزايد قوة هذا المنصر الدخيل على البلاد وضعف العرب وتفرقتهم الى قبائل وبطون مما ادى الى هجرة عدد كبير منهم من المدن والقضبات حيث فضلوا الاقامة والعيش في الارياف والصحاري تخلصا منها

البطائح الى الانفصال عن حكومة المغول في بغداد ،
والف زعماء البطائح مشيخات وتحصنوا في قراهم
المحاطة بالمياه وازداد نفوذ الشيوخ والزعماء الذين
كانوا يسيطرون على البطائح ، وبمرور الزمان نشأت
الاقطاعات في العراق واصبحت كل مشيخة مؤلفة من
عدة قرى يسكنها أبناء عشيرة واحدة مستقلة عن
المشيخات الاخرى ، واصبح شيخ القبيلة هو الحاكم
بامره يدير شؤون عشيرته وفق التقاليد والمادات
الموروثة منقطعة عن العالم الخارجي يعيشون فيها على
زراعة الارز والدخن بطريقة ابتدائية وتربية الماشية
عراة حفاة تفتك بهم الاوبئة والامراض العفنة ويستولي
الجهل على عقولهم محرومين من كل وسائل الحياة
ويبقوا على هذه الحالة السيئة الى ما بعد فتح الدولة
العثمانية للعراق على يد السلطان سليمان القانوني
في سنة 941 هجرية (1543 ميلادية) وكان حكم
الولاة العثمانيين نافذا في المدن والقصبات ، اما
القبائل التي كانت تقطن على ضفاف الانهر وفي البطائح
من جنوب بغداد حتى الخليج العربي فانها كانت مع
ولاة الدولة العثمانية في حروب وثورات دامية مستمرة .
ولقد حاولت الجيوش العثمانية مرارا اخضاعهم
بارسال الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى زهاء
ثلاثة قرون متواصلة لم تحقق الا بعض نصر موقت ،
اذ ما كانت تعود الحملة العسكرية الى قواعدها بعد حملة
تأديب عارمة حتى يثور سكان البطائح مرة اخرى
ويعلنوا عصيانهم ضد الدولة العثمانية هذا من جهة ،
ومن جهة اخرى شرع ولاة بغداد يزعمون بين سكان
البطائح روح التفرة والتباغض فكانوا ينعمون على
بعض الشيوخ والزعماء منهم بالالاقاب (الباشوية)
ويفرقون عليهم المعطاي من اراض واموال دون الاخرين
لبث روح التنافس والحسد بينهم فيلجأون الى ضرب
بعضهم بعضا .

وفي خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ العراق
ظل سكان البطائح منقطعين - او يكادون - عن العالم
الخارجي محرومين من كل وسائل التمدن الحديثة
صحية كانت ام ثقافية ام اجتماعية محتفظين في
الوقت نفسه بسجاياهم العربية الخالصة كالكرم
والشجاعة والذكاء الفطري وسرعة الخاطر وقوة
الملاحظة والسليقة الشعرية والاخذ بالشار وحماية
الخارجي محرومين من كل وسائل التمدن الحديثة
مستمر مع الدولة العثمانية وتنكر دالم لها حتى
انحسر ظلها عن العراق على اثر احتلال الجيش
البريطاني للعراق اثناء الحرب العالمية الاولى التي
نشبت سنة 1914 .

رسمية الامر الذي ادى الى انقسام الشعب العراقي
العربي الى طوائف متنازعة متنافرة ، ولا تزال روح
الطائفية البيضة تنخر جسم الشعب العراقي العربي
المسلم الى يومنا هذا . وفي اوائل القرن الخامس
الهجري ظهر عنصر جديد من الشعوبيين المرتقبة
جاءوا من وسط آسيا متجهين صوب العراق وهم
الغز من الانراك وعلى رأسهم البيت السلجوقي زحفوا
الى بغداد وامتلكوها وازالوا عنها آل بويه واصبح آل
سلجوق هم السيطرين على مقدرات الدولة العباسية
وانتشر الغز في طول البلاد وعرضها يدمرون القرى
والقصبات ويصادرون اموال الناس داهم القتل
والنهب وحرق القرى وسفك الدماء مما ادى الى خراب
آلاف القرى في انحاء العراق ، واستمر الحال على هذا
المنوال حتى خرج سيل المغول الجارف واجتاح
الدولة العباسية وازالها من الوجود ، وقد كان احتلال
المغول للعراق في القرنين الثالث والرابع عشر الميلادي
وسقوط الخلافة العباسية في بغداد الضربة القاضية
على العراق ، وفي هذه الحقبة التاريخية التي مرت على
العراق والتي استمرت عدة قرون كان الشعب العراقي
العربي يتلقى ضربات متوالية من الشعوبية المجرمة
ولو ان اي شعب من شعوب العالم اصابه ما اصاب
الشعب العراقي العربي المسلم الباسل المؤمن بربه
الشعوبيون اثناء سيطرتهم على مقدرات العراق لزال
من عالم الوجود واصبح في عداد الامم المندثرة ، ولكن
الشعب العراقي العربي المسلم الباسل المؤمن بربه
وقوميته صمد وقاوم مقاومة المستميت في سبيل
صون كيانه وعرويته . وقد وجد له عربنا يحتمي فيه
ليصد الضربات الموجهة ضده من هذه اللذاب
المفترسة فاختر البطائح (الاهور) الواقعة في العراق
قلاها يحتمي فيها ويتحصن بالمياه والسفن ضد
السلطان البويهي وصارت تلك البطائح معاقل حنة
والف زعماء العرب مشيخات يتولى ادارة كل مشيخة
منها زعيم من العشيرة اثناء سيطرة آل بويه ثم مدة
حكم آل سلجوق التركمانيين الراحفين من اواسط
آسيا (بلاد ما وراء النهر) .

ولما استعاد العباسيون بعض نفوذهم في
بغداد رجع سكان البطائح الى طاعة بني العباس
واحترموا النظام واخذوا يؤدون الخراج الى عمال
الخلفاء العباسيين كما كان الامر من قديم الزمان
وازدادت الهجرة من المدن والقصبات الى البطائح
مرة ثانية عندما اكتسحت جيوش المغول المدن
العراقية تخلصا من القتل والنهب ، وعاد سكان

الإبتاع في العربية

الدكتور حسن نصر

(جامعة القاهرة)

وطبيعي ان يلقف تلاميذها عنهما هذه الامثلة، ويسموا وراء نظائرها ، ثم يمنحوها لتلاميذهم . فترد في كتب الإبتاع أسماء يونس بن حبيب والاصمعي وابي زيد وابي عبيدة والكسائي وقطرب وابي عمرو الشيباني والفراء والاحمر واليزيدي وابن الاعرابي ، وتشير المعاجم الى ما تعالج من امثله ، منذ العين للخليل . بل افرد ابن دريد في جملته فصلا للإبتاع (4) .

وبالرغم من ذلك ، اختلف العلماء في تصورهم للإبتاع نتيجة اختلافهم في الصفات التي اشترطوا توافرها في الالفاظ التي يمكن ادخالها فيه . ويحسن بنا - حين نرفب في تتبع هذه الشروط - ان نعالجها وفق التصنيف التالي :

1 - من حيث المعنى : ذهبنت جماعة من المتقدمين الى ان اللفظ التابع لا معنى له اصلا . واقدم من وصلت اليئامنه اقوال ذهب هذا المذهب ابن الاعرابي (231 هـ) . قال ثعلب في اماليه (5) : قال ابن

الإبتاع ظاهرة لغوية عامة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل تنبه من عرف غير العربية من القدماء الى وجودها في هذه اللغات ، فقال احمد بن فارس (1) : « وقد شاركت المعجم العرب في هذا الباب » . ونستطيع نحن ان ندرج تحت « المعجم » من نعرف لفته من الشعوب الاوربية مثل الانجليز والفرنسيين .

وفطن اللغويون منذ عهد مبكر الى ظاهرة الإبتاع . فأورد ابو عمرو بن الملاء رأس مدرسة البصرة امثلة منها . جاء في كتاب ابي الطيب اللغوي (2) : « قال ابو عمرو : سمعت اعرابيا يقول لآخر : انك لتحسب الارض هلي حيصا بيصا ، بكسر اوله .. وقال ابو عمرو : يقال : رجل طب لب . وهو العالم .. » وذكر ابو الطيب ايضا مثالا منه من رأس مدرسة الكوفة ، قال (3) : « حكى اللحياني من ابي جعفر الرؤاسي انه يقال للرجل : انه لمجنون مخنون .. »

(1) الصاحبى 226 . الثعالبي : فقه اللغة 566 . السيوطى : المرهر 1 : 414 .

(2) الإبتاع 14 ، 77 .

(3) الإبتاع 39 .

(4) 3 - 429 .

(5) السيوطى : المرهر 1 : 414 ، 416 . وانظر احمد بن فارس : الصاحبى 226 ، والإبتاع 28 .

مكان عمير بجير . فالعمير من العمارة ، فعيل بمعنى مفعول ، ويجير اتباع .. » .

ونجد امثلة اخرى للتابع فيها معنى معروف ، غير انه لا يستعمل بصيغته هذه وبمعناه هذا منفردا ، بل لا بد ان يجتمع مع اللفظ الذي يتبعه . ويمكن ان تقسم هذه الامثلة الى قسمين : (1) قسم يكون فيه التابع مرادفا للفظ المتبوع . قال (11) : « ويقال يوم مكيك اكيك ، ويوم مكك لك : اذا كان شديد الحر . والاكيك بمعنى الكيك ، الا انه لا يفرد . قال الراجز :

يوم مكيك يعصر الجلمودا
يترك حمران الرجال سودا
وليلة فامدة فمودا
سوداء تفضي النجم والفرقودا

.. وانه لكثير بشير .. والبشير من قولهم : ماء بشر : اي كثير . الا انه لا يقال : شيء بشير اي كثير الا على وجه الاتباع .. ويقال : مائق دائق ، من قولهم : رجل مدوق : اي محقق والدوق الحقيق ، وكذلك الموق . يقال : ماق الرجل بموق موقا . قال الراجز :

يا ايها الشيخ الكثير الموق
ام بمن وضح الطريق

ولا يتكلم بالدائق مفردا . ويقال : انه ليموق موانة ومؤوقا ، ودائق يدوق دواقة ودؤوقا ايضا . (ب) والقسم الثاني لا يرادف فيه التابع متبوعه بل يختلف معناهما ، غير انه لا يفرد ايضا بصيغته ومعناه المرادين في الاتباع . قال (12) : « ويقال : شحيح انيح : من قولهم : انح بحمله يأنح انوحا : اذا تزحر به من ثقله ، ولا يفرد الانيح .. ويقال انه لشحيح بحيج ، وهو من البحة . ولكن لا يجول افراده .. تقول العرب : لا بارك الله فيه ولا تارله . ولا يقولونه الا هكذا . فهو - وان كان مأخوذا من الترك - فلا معنى له في هذا الوضع الا الاتباع »

الامرابي : « سالت العرب : اي شيء معنى شيطان ليطان ؟ فقالوا : شيء تند به كلامنا : نشده . وتابعه الحسن بن بشر الامدي (371 هـ) الذي اعلن (6) : التابع لا يفيد معنى اصلا ، ولهذا قال ابن دريد : سالت لها حاتم عن معنى قولهم : بسن ، فقال : لا ادري ما هو . وسار ورادهما في هذا الطريق ابن الدهان (7) الذي راي ان التابع غير مبين معنى بنفسه من نفسه . ويكاد هذا القول يكون ما قاله فخر الدين الرازي ، وان صب كلامه على انكار الترادف بين التابع والمتبوع حين قال (8) : « ظن بعض الناس ان التابع من قبيل المترادف لشبهه به . والحق الفرق بينهما ، فان المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت ، والتابع لا يفيد وحده شيئا ، بل شرط كونه مفيدا تقدم الاول عليه . »

وخالفت جماعة اخرى من ذكرتهم ، ولم يشترطوا عدم المعنى ، اذ رآوا ان التابع قد يكون له معنى وقد لا يكون . وينتمي الى هذه الجماعة ابو ملي القالي ، وابو الطيب اللغوي ، واحمد فارس ، وابن بري ، والتاج السبكي . قال الاخير برد على الامدي (9) : « التحقيق ان التابع يفيد التقوية ، فان العرب لا تضعه سدى . وجهل ابي حاتم بمعناه لا يضر بل مقتضى قوله : انه لا يدري ، معناه ان له معنى ، وهو لا يعرفه . »

وعندما نتبع امثلة الاتباع عند ابي الطيب اللغوي نخرج بصور مفصلة محددة . فاننا نجد عنده امثلة لا معنى للتابع فيها ويمتنعها اسم الاتباع لانها الاصل فيه . قال (10) : « قال قطرب : يقال : بسلا واسلا : اي حرام محرم . والبسل هاهنا الحرام ، والاسل اتباع . قال الشاعر :

ايثبت ما قلتتم ، ولفى زيادتي
يدي - ان اسيفت هذه لكم - بسلا

اي بيعتي التي اعطيتكم يدي بها حرام عليكم ..
وانه لكثير بشير بدير بجير : كله اتباع .. ويقال :

(6) الزهر 1 : 15 ، 4 . (7) الزهر 1 : 424 . (8) الزهر 1 : 415 . (9) الزهر 1 : 416 .

(10) 20 ، 13 ، 5 . (11) 8 ، 13 ، 42 . (12) 7 ، 17 ، 28 .

ولا يعطينا كتاب احمد بن فارس مثل هذه الصورة الواضحة . ولعل سبب ذلك انه لم يفرد له للاتباع . بل جعله - كما يبين من عنوانه - « للاتباع والمزاوجة » . وقد يتبادر الى الذهن ان المؤلف يعدهما شيئا واحدا . ولكن ذلك غير صحيح . فهو يعلن في السطر الاول من كتابه (13) : « هذا كتاب الاتباع والمزاوجة ، وكلاهما ... » فيفرق بينهما ، كذلك يورد في داخل الكتاب من التعليقات ما يؤكد هذه التفرقة . قال (14) : « قال الاصمعي : رجل خياب تياب . قال : خياب : من خاب ، وتياب تزويج ، وهو يصلح ان يكون اباما » .

ولم يقتصر المؤلف على المزاوجة . بل اورد في كتابه امثلة قليلة مما سماه « الاسجاع » و« الامثال » . على الرغم انه اعلن في آخر الكتاب انه خصص لها كتابا . قال (15) : « وسترى ما جاء في كلامهم في الامثال ، وما اشبه الامثال من حكمهم على السجع ، في كتاب « امثلة الاسجاع » ، ان شاء الله تعالى » . وعلى الرغم انه يعترف ان الاسجاع ليست من صنف الكتاب ، قال (16) : « ومن الاسجاع . وليس من هذا الباب : قول بالغ الدابة : برئت اليك من الجماح والرصاح » .

واورد ما سماه تاليفا للكلام ، وتاكيدا ، دون ان يبين ماذا يقصد من ذلك ، وما صلته بالاتباع ، قال (17) : « ومما يراد به تاليف الكلام قولهم : ارب فلان ، والرب ، فهو مرب وملب : اذا اقام » . وقال (18) : « لا افعله سجييس عجيس : يريدون الدهر . الاصمعي : لا آتيك سجييس عجيس : اي الدهر ، وسجييسه : آخره ، ومنه قيل للماء الكدر : سجييس ، لانه آخر ما يبقى . والعجيس تاكيد ، ونستنتج من بعضها الآخر ان التابع له معنى معروف ، ولا يهم ان يكون هذا المعنى مرادفا لمعنى التبع او مختلفا عنه . قال مثلا (22) : « الحياني : ما عنده على اصحابه تعريج ولا تعويج : اي اقامة وفلان لا يغير ولا يميز ، يقال للميرة الغيرة ايضا .. ويقال ذهب حبره وسبره . الحبر والسبر : الجمال والبهاء » . وقال (23) : تقول العرب : انه لسائب لاسب . فالسائب : الجائع . والاسب : الممي الكال ... ويقولون : خب صب . فالصب : البخيل المسك . والخب : من الخب ... وما عنده

(13) 28 . (14) 29 . (15) 70 . (16) 37 ، 43 . (17) 30 . (18) 49 .

(19) 60 . (20) 61 . (21) 35 ، 54 ، 68 . (22) 34 ، 42 . (23) 29 ، 52 .

فيض ولا فيض : اي كثير ولا قليل . ويقال :
الإعطاء والمنع .

2 - من حيث الصورة : اقدم من تناول هذا
الجانب صراحة ابو علي الثاني ، الذي فطن الى اتحاد
الحرف الاخير في التابع والمتبوع ، او ما سمي بعد
ذلك اتحاد الروي . قال من العرب (24) : «مذهبهم
في الاتباع ان تكون اواخر الكلم على لفظ واحد مثل
القوافي والسجع» .

ولكن ابا الطيب وابن فارس رويوا اتباعا لم يلتزم
الروي الواحد . قال ابو الطيب (25) : « يقال في
الدعاء على الرجل : جوها وجودا وجوسا . فالجود
هو الجوع بعينه . وقولهم جوسا اتباع » . وقد نبه
ابن فارس على هذه الظاهرة الشاذة عندما اورده ،
فقال (26) : «ومما لم يجيء على روي الاول جوها له
وجودا وجوسا» . ودفعه هذا الى مدمم اشتراط
الروي الواحد ..

وفطن ابن فارس ايضا الى ان اكثر الاتباع
يتماثل التابع والمتبوع فيه في الوزن وان كان
ذلك ليس بالشرط الواجب . فقد اورد في الاتباع
(27) : « يقولون : وهو لك ابدا سمدنا سمرمدا .. »
واكثر ابو الطيب من امثلة الاتباع غير المتماثل الوزن.
مثل (28) : « يقال : لا دريت ولا البيت . مقصور
اوله ويقال : جوها ديقومها ، اذا دمي على
الانسان .. ويسب الرجل فيقال : رغبما دفما
شغفما . وفعلت ذلك على رغبه ودغفه وشغفمه » .
ولذلك يحق لنا ان نقول ان تاج الدين السبكي اخطأ
حين قال (29) : « فالتابع من شرطه ان يكون على
زنة المتبوع » .

ويؤكد لنا هذا ان احسن تعريف ينظر الى
هذا الجانب للاتباع هو ما جاء به احمد بن فارس ،

واخذه منه الثعالبي حين قال (30) : « الاتباع : ان
تتبع الكلمة على وزنها او رويها اشباها وتوكيدا » .
فاذا كان اتحاد الروي غير لازم ، واتحاد الوزن غير
محتم ، فان الاتباع لا يخلو منهما معا .

3 - من حيث التعبير : اجمع الذين تعرضوا
للاتباع ان اللفظ التابع لا ينفصل عن المتبوع ، سواء
كان له معنى او لم يكن ، ولا يجيء في التعبير
منفردا مطلقا . واتخذ ابو الطيب من انفراد الكلمة
الثانية المقياس الذي اعتمد عليه في الفعل بين الاتباع
والتوكيد . فما لم ينفرد فيه اللفظان سماه اتباعا .
وما انفرد فيه اللفظ الثاني سماه توكيدا . ولكن ابن
فارس اقر في مرة واحدة وجود اتباع ينفرد .
قال (31) : « ويقال : خراب يباب . وقد ينفرد
اليباب . قال عمر بن ابي ربيعة :

كست الرياح جديدها من تربها

دقفا واصبحت المراض يبابا

فهذا اتباع الا انه افرده » . اما ابو الطيب فقد
تخلص من هذا المأزق بان جعل امثاله في
التوكيد (32) ..

واشترط الكسائي وابو عبيد وابن بري الا
يعطف الاتباع بإداة . قال ابو عبيد في غريب
الحديث (33) : « قال الكسائي .. واما حديث آدم
عليه السلام : انه استحرم حين قتل ابنه ، فمكث
مائة سنة لا يضحك . ثم قيل له : حياك الله وبياك .
قال وما بياك ؟ قيل : اضحكك . فان بعض الناس
يقولون في بياك : انه اتباع . وهو عندي - هلسى
ما جاء تفسيره في الحديث - انه ليس باتباع .
وذلك ان الاتباع لا يكاد يكون بالواو ؛ وهذا بالواو ..
ومن ذلك قول العباس في زمزم : هي لشارب حل

- (24) الامالي 2 : 217 . (25) 35 . (26) 54 . (27) 38 . (28) 10 ، 42 ، 58 .
(29) المزهري 1 : 416 . (30) الصاحبي 226 . فقه اللغة 566 . (31) 29 . (32) 111 .
(33) المزهري 1 : 415 .

وبل . فيقال : انه ايضا اتباع وليس هو عندي
كذلك لمكان الواو .

وجاء في لسان العرب تليقا على قولهم : جوما
ونوما (34) : « قال (ابن بري) : والصحيح ان هذا
ليس اتباعا لان الاتباع لا يكون بحرف العطف ،
والاخر ان له معنى في نفسه ينطق به مفردا غير
تابع . »

ولكن ابا الطيب اللغوي (35) رفض هذا الرأي،
ورد عليه ردا حسنا، معتمدا على مسلك العرب في
تعبيرهم . فقد رآهم يقولون : هذا جائع نالج ،
فدل على انه اتباع . ورآهم يقولون في النساء على
الانسان : جوما ونوما ، فادخلوا الواو . فلو اعتمدنا
عليه قلنا انه ليس اتباعا . ومحال ان تكون الكلمة
الواحدة مرة اتباعا ومرة غير اتباع . اذن ليس
الاعتبار بوجود الواو او عدمها .

ونستبين من دراسة امثلة الاتباع انه ليس من
المحتم ان يتألف من لفظين فقط ، بل قد يتألف من
ثلاثة ليقال (36) : انه لحسن بسن نسن . ولحمه
خطا بظا كظا : وانه لتبجح شقبح لقيح . ويبدو انه
تألف احبانا من اكثر . قال ابو الطيب (37) : « يقال
في الكثرة : انه لكثير نشير بشير بدير عقير ، وعبير
ايضا . »

4 - من حيث الغرض : اول من تعرض للغرض
من الاتباع الكسائي ، واعلم انه يراد منه التوكيد
قال (38) : « انما سمي اتباعا لان الكلمة الثانية انما
هي تابعة للاولى على وجه التوكيد لها . ويؤكد لنا
صحة هذا القول الجواب الذي تلقاه ابن الاعرابي من
العرب حيث سألهم عن معنى شيطان ليطان . »

واتفق ابو علي القبالي (39) مع الكسائي . غير
انه يقصر التوكيد على نوع واحد من الاتباع ، ذلك
الذي يكون فيه اللفظ التابع بمعنى المتبوع .

ووافقهما ابن الدهان ، وجعل الاتباع من
قبيل التوكيد اللفظي ، واتى بالمثل التي تدغم
رأيه . قال السيوطي (40) : « قال ابن الدهان في
الغرة في باب التوكيد : منه قسم يسمى الاتباع نحو
مطشان نطشان ، وهو داخل في حكم التوكيد عند
الاكثر . والدليل على ذلك كونه توكيدا للاول غير
مبين معنى بنفسه من نفسه ، كاتبع وابصح مع اجمع
.. والذي عندي ان هذه الالفاظ تدخل في باب
التوكيد بالتكرار ، نحو رايت زيدا زيدا ، ورايت
رجلا رجلا . وانما غير منهما حرف واحد لما يجيئون
في اكثر كلامهم بالتكرار . »

واعلم السيوطي (41) وجود قوم يفرقون بين
الاتباع والتوكيد . واعتمادهم في هذه التفرقة على
امرئين : اولهما ان الفاظ الاتباع تختلف عن اتبع لانها
تجري على المعرفة والنكرة، على حين لا تجري اتبع
الا على المعرفة ، ولانها غير مفتقرة الى تأكيد قبلها
بخلاف اتبع . والثاني ان الاتباع ما لم يحسن فيه
واو العطف . والتأكيد تحسن فيه الواو .

ويتفق مع هؤلاء تاج الدين السبكي الذي قال
(42) : « الفرق بينه وبين التأكيد ان التأكيد يفيد مع
التقوية نفي احتمال المجاز . وايضا فالتابع من شرطه
ان يكون على زنة المتبوع والتأكيد لا يكون كذلك »

ونستطيع ان نضم اليهم ابا الطيب اللغوي لانه
جعل الواو التي ادخلها في كتابه صنفين : الصنف
الاول سماه الاتباع ، وهو ما لا ينفرد اللفظ فيه ابدا .
وسمى الثاني التوكيد ، وهو ما يمكن ان يستقل لفظه
الثاني بنفسه . وبرغم ذلك لم يكشف لنا ابو الطيب
الغرض من الاتباع . ولعله تعرض لذلك في الجزء
المفقود من مقدمته .

اما احمد بن فارس فرأى ان الاتباع لا يقصد
الى التأكيد وحده ، بل اليه والى ما سماه الاشباع

(34) مادة نوع . (35) 3 . (36) ابو الطيب 71 ، 72 ، 76 ، 77 ، 93 ، 96 ، 99 .

(37) 62 . (38) الزهر 1 : 415 . (39) الامالي 2 : 208 . (40) الزهر 1 : 424 .

(41) الزهر 1 : 424 - 25 . (42) الزهر 1 : 416 .

دون ان يحدده ، كما نستبين في قوله الذي اوردته سابقا .

ويؤدي بنا هذا الى ان العلماء لم يتفقوا على تصور واحد للاتباع ، وان بعضهم اعطاه صفات حرمة بعضهم الآخر اياها . وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان اختلفت الاقسام التي وضعوها له . واقدم ما بين يدي من اقسام ما اضطلع به ابو علي القالي : وكشف عنه في قوله (43) « الاتباع على ضربين :

فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الاول . فيؤتى به توكيدا ، لان لفظه مخالف للفظ الاول .

وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الاول » .

ويؤخذ على هذا التقسيم انه اهل ما لا معنى له من الاتباع ، وهو الاصل . وصورة التابع . وقد فطن احمد بن فارس الى هذا التفسير واراد ان يتجنبه . فجاء بتقسيمين لا واحد . نظر في الاول منهما الى صورة التابع ، وفي الثاني الى معناه . قال (44) : « هذا كتاب الاتباع والمزاوجة . وكلاهما على وجهين :

احدهما ان تكون كلمتان متواليتان على روي واحد .

والوجه الآخر ان يختلف الرويان .

ثم تكون بعد ذلك على وجهين :

احدهما : ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف . الا انها كالاتباع لما قبلها .

والآخر : ان تكون الكلمة الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق » .

ويمكن ان نأخذ على هذا التقسيم ايضا انه اهل الوزن .

واشمل تقسيم للاتباع هو الذي قام به الاستاذ عز الدين التنوخي ، وقال فيه : « ان الاتباع يكون في الاسماء وفي الافعال :

1 - الاتباع الاسمي قسمان :

أ- اما ان يكون التابع متصلا بالتبوع وبمعناه ، اوليس له معنى ، ثم لا يجيء مفردا .

(43) الامالي 2 : 208 .

(44) 28 .

وهو نوعان :

1 - نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد التبوع ، فهو حسن بسن ، وحاد يار .

2 - نوع يجيء فيه لفظان بعد التبوع ، نحو حسن بسن قسن ، ويكثر ان تكون الكلمة التابعة مبدوءة بميم نحو صقر مقر ، وشذر مدر .

(ب) واما ان يكون التابع متصلا بالتبوع وله معنى ، ولا يجيء مفردا كما هو في القسم نحو عطشان نطشان .

2 (والاتباع الفعلي :

1 - والافعال في هذا القسم الثاني قد تكون ظاهرة ولفظ واحد نحو عيس ويسر .

2 - وقد تكون مقدرة كالمصادر التي قدرت افعالها نحو قبحا له وشقحا ..

وقد يجيء الاتباع الفعلي بلفظين تابعين نحو : لا بارك الله في الشعبي ولا تارك ولا دارك » .

والحق ان الاتباع ظاهرة لغوية ، واسعة النطاق متعددة الاشكال . كثيرة الاسباب والغايات . ويجب ان ننظر اليها في ضوء من اشكالها الاخرى لنحسن رؤيتها ، ونتم تصورنا ..

فاللغة عرفت الوانا اخرى من الاتباع ربما لا ترد على خاطر في هذه الدراسة ولكن ذلك واجب ، لانها ذات صلة بما نتحدث عنه الآن .

فقد اجري العرب - وغير العرب - الوانا من الاتباع . فطن اليها اللغويون والنحويون والصرفيون ، ودرسوها ، ولكنهم لم يربطوا بينها وبين ما بين ايدينا الآن من اتباع . ونحن حين ننظر في هذه الالوان نستطيع للتيسير ان نصنفها في فئتين : الفئة الاولى جرت في المفردات اللغوية ، والثانية في المركبات .

اما المفردات فقد خضعت لتوهمين من الاتباع : نوع جرى في حركاتها وآخر في حروفها . وكلا التوهمين يضم المطرد من الاتباع وغير المطرد .

اما الاتباع المطرد في حركات المفردات فيتمثل في عدة ابواب نحوية وصرفية .

فالتقياس في جمع المؤنث السالم من الالفاظ الثلاثية الساكنة الوسط ان تتبع مينا فاهها . فما كان على فعلة جمع على فعلات مثل تمره وتمرهات ، وما كان على فعلة جمع على فعلات مثل حجره وحجراته ، او كان المتكلمون من بني هذيل او تميم . فلهم احكام اخرى .

والتقياس في الفعل الماضي عند بنائه للمفعول : ان كان مبدوءا بتاء زائدة ان يضم حرفه الثاني اتباعا لاوله مثل استخرج المعدن . والتقياس في فعل الامر الماخوذ فعل يفعل ان تضم همزة الوصل فيه اتباعا لضمة مينه . .

والتقياس عند بني تميم فيما كان على فعل الحلقى العين من الافعال كشهد ، والاسماء كفخذ ، والصفات كمحك ، وما كان على فعل الحلقى العين ايضا كسميد ورفيف ، التقياس عندهم فيهما اتباع الفاء للعين فيقولون شهد وفخذ ورفيف .

وقال عيسى بن عمر : ان كل (فعل) كان ، فمن العرب من يخففه ، ومنهم من يشقله نحو مسر ومسر ، ويسر ويسر (بالسكون والضم) .

وان كان عين (فعل) المفتوح الفاء حلقيا ساكنا جاز تحريكه بالفتح ، نحو الشعر والشعر والبحر والبحر ، (بالسكون والفتح) ، وعد ذلك اتباعا لفتحة الفاء .

واما الاتباع غير المطرد في حركات المفردات فأمثل له بقولهم : المغيرة ، ابعوا الميم للفسين ، ومنتن : ابعوا الميم للتاء ، وانبؤله : ابعوا الباء للهمزة ، ومنذ : ابعوا الميم للذال عند من قال : ان اصلها : من ذو ، وغيرها .

كل هذه الالوان من الاتباع : المطرد وغير المطرد ، انما ارتكبتها العربية لتيسر على المتكلم النطق . فبدلا ان تقوم اجهزة النطق بميلين مختلفين في موضعين متقاربين مما قد يتطلب من الناطق جهدا او وعيا ، كفته اللغة مؤونة ذلك بازالة الاختلاف وجعل الملمين متشابهين . واذن فالغرض من الاتباع في مثل هذه الاحوال تيسير النطق وجعله عفويا .

واقصد بالاتباع في حروف المفردات ما يجري فيها حين تخضع لابدال او ادغام . فالتقياس المطرد في نون انفعال من الافعال المبدوءة بميم جواز قلب نونها ميمتا متابعة لميم الفعل ثم ادغام الميمين معا . فنقول امحي في انمحي . والتقياس المطرد في تاء افتعل من الافعال التي فاؤها دال او ذال او طاء او ظاء او ثاء او صاد او سين او زاي او ضاد جواز قلب التاء الى حرف مماثل للفاء اتباعا لها ثم ادغام الحرفين فنقول ادان واذكر واطلم . .

وانما تجري اللغة ذلك لتجعل للحرفين اللذين كانا مختلفين مخرجا واحدا ، فتيسر على الناطق ان ينطق بهما ، كما حدث في الالوان السابقة من اتباع الحركات .

كذلك تخضع المركبات لالوان مشابهة من الاتباع ، اطرد منها ما كان في الفعل المضمف حين يلتقي بساكن آخر . فقد كان الاتباع احد المسالك التي سار فيها العرب للتخلص من التقاء الساكنين . فقالوا : شد الحبل ، ومز ، وعض ، باتباع لام الفعل لفاءه . كذلك لجأ بعضهم الى الاتباع للتخلص من التقاء الساكنين في ميم الجمع ، فقالوا : عليهم الدلة . كقراءة ابي عمرو ، وعليهم القتال كقراءة حمزة باتباع الميم لحركة ما قبلها .

ومن الالوان غير المطردة في التخلص من الساكنين القراءات الشاذة (قم الليل) و (قد استهزيه) و (قالت اخرج) باتباع الحرف الساكن الاول لحركة الحرف الذي بعد الساكن الثاني . .

ومن غير المطرد ايضا قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) باتباع الميم للحاء بعدها .

والمقصود بهذه الاجراءات ما قصد بما جرى في المفردات : التخفيف القائم على تماثل العمل الذي تقوم به اجهزة النطق .

وتخضع المركبات لاتباع يجري في الحروف ايضا . اشهر امثله ما جاء في الحديث النبوي : « ارجعن مازورات غير ماجورات » ، فغير موزورات (من الوزر) حولت الى مازورات اتباعا لماجورات .

ومثاله ايضا الحديث النبوي في هداب القبر : « لا دريت ولا تليت ولا اهتديت » فابدل واو (تلوت) باه اتباعا ليائي الفعلين قبله وبعده .

واقرب الامثلة على ما يشابه هذه الظاهرة ما يكون فى بابى الندبة والاستفهام . فالقاعدة فى المندوب ان يفتح آخره ثم يشيع الصوت به حتى تتولد الف مثل قولهم : وازيداه ، فان لم يمكن ذلك خوف اللبس اشبهت الكسرة فتولد ياء مثل واغلاميكه؛ او الضمة فتولد واوا مثل واغلاميوه . فالمندوب يتلى بصوت مماثل لصوته النهائي دلالة على التفجع .

واذا رابك شيء فى كلام فاستفهمت عنه منكرا له ، جئت بزيادة فى آخر الكلام دلالة على ذلك . فان كان ما قبله مفتوحا ، كانت الزيادة الفا . وان كان مكسورا . كانت الزيادة ياء . وان كان مرفوعا ، كانت الزيادة واوا . وان كان ساكنا ، حركه لثلا يلتقى ساكنا . لان هذه الزيادات مدات ، والمدات ساكن فتحرره بالكسر كما يحرك الساكن اذا لقيه الالف واللام الساكن . فاذا قال الرجل : رايت زيدا . قلت : ازيدنيه . فان قال : رايت عثمان . قلت اعثماناه ؟ لثلا يلتقى ساكنا . ويقول : قدم زيد . فتقول : ازيدنيه . فان قال : رايت عثمان . قلت اعثماناه ؟ فان قال : اتاني ممر . قلت : امروه ؟ فهذه الزيادة المماثلة للصوت المختومة الكلمة به دليل على ما يمثل بنفسه من اتيار .

واذن فقد كانت الزيادة فى باب الندبة دلالة على التفجع ، والزيادة هنا رمزا الى الانكار ، وكانت الزيادة فى البابين مماثلة للحركة التى تنتهى بها الكلمة التى تلحق الزيادة بها . واذن فهذه الزيادة دلالة على الحالة النفسية التى يعيش فيها المتكلم حين نفوه بها ..

والنتيجة الطبيعية لهذا ان اللغة العربية تلجأ الى اتباع كلمة ما بصوت مماثل لنهايتها دلالة على ما يختلج فى وجدان المتكلم من مشاعر . وعلى ضوء من هذا نقول انما الاتباع رمز على حالة شعورية خاصة تمتلك قائله : قد تكون اعجابا فى مثل حسن بسن ، وقد تكون غضبا فى الدعاء ... لا ينم .. فهما اختلف الشعور . فالاتباع رمز له ..

والاصوات التى اضافتها اللغة فى امثال الندبة والاستفهام الانتكاري مبهمه ، لم تتخذ شكلا ، ولم تكتسب معنى ، بل بقيت على حالتها الاولى ، مجرد رمز مبهم . وقد وقف كثير من اصوات الاتباع عند هذه المرحلة ولم يتعداها الى مجال الوضوح . فاقصر

ومثاله ايضا قولهم : انسى لاتبه بالفدايا وبالعشايا . فجمعوا العشية على العشايا متابعة للفدايا .

كذلك تنوين المتنوع من الصرف فى قوله تعالى : (سلاسلوا واهللا) ، نونت سلاسل متابعة لاهللا .

ويمكن ان نجعل منه زيادة (ال) فى ازيدا) فى قول ابن ميادة :

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باحناء الخلافة كاهله
فربما فعل ذلك اتباعا للويد .

اذا نظرنا الى هذه الانواع من الاتباع لم نجد المقصود منها التخفيف ، كما كان الحال فى الانواع الاولى ، وانما المقصود المشاكلة الصوتية: اعني ان يكون لكل من اللغظين رنين مماثل : فيقع فى الاذن عدبا ، وفى الوجدان حلوا . فالغاية هنا الجمال الصوتي ، الشبيه بما نجد فى السجع ، والقافية والجناس .

ونخرج من هذا بان الاتباع فى مجاله الاكبر يمنح الناطق خفة وسهولة ، وفى مجاله الاصغر يمنح السامع شعورا جماليا .

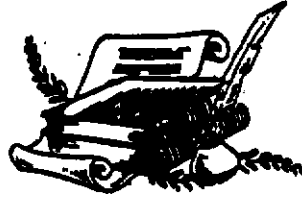
فاذا انتقلنا الى ما درسنا من الاتباع وجدناه يستفيد قليلا من المجال الاكبر ، وكثير من الجمال الصوتي .

ونحن حين نمعن النظر فى اسلوب الاتباع نجده يشبه اساليب اخرى تعرفها اللغة . فهو فى اصله صوت لغوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، او ان شئنا الدقة التامة قلنا : صوت لغوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، او ان شئنا الدقة التامة قلنا : صوت لغوي يتبعه صوت آخر مماثل لآخر الصوت الاول . فهما صوتان مماثلان فى ختامهما ، وفى اكثر الاحيان فى القسط الاكبر من بنيتهما . فاذا ما انفقا فى حرف واحد ، وجدناهما يتفقان فى حرف آخر غير انهما اختلفا فى موضعه ، فجعله احدهما اول والثاني وسطا ، مثل قبيح شقيح ، وسليخ مسيخ ..

ابضا من التماثل الصوتي بين التابع والمتبوع . لان
الستمع غير المتنبه يظن انه سمع اللفظ الواحد
مرتين . تحريرا وتوكيدا . .

وصفة القول ان الاتباع ظاهرة لغوية جميلة :
تدل على ما يعانيه المتكلم من انفعال . وتمنع السمع
متعة فنية . ويجب ان تدرس مع منيلاتها من الظواهر
اللغوية التي لا يقعد المتحدث فيها الى الاخبار الجرد .
ويرمي معه الى المشاركة الوجدانية . .

العلماء انه لا معنى له . وثاروا في بضمه اذ حاولوا
ان يلبصقوا له معنى ما . ولكن بعض هذه الاصوات
تمدى هذه المرحلة . واكتسب معنى مستقلا . وبعضها
الاخر اخذ من الفاظ معروفة المعنى . صلحت من حيث
اصواتها لان تكون اتباعا . ولا شك ان امثال هذا
النوع اكتسبت من الاتصال المعنوي بين التابع والمتبوع
توكيدا للفكرة التي تعبر عنها . ولا شك - عندي - ان
النوع الاول . المكون من تابع مبهم . اكتسب توكيدا



مُشكلات اللغة والمصطلحات

I
الدكتور يوسف الحزوري

رئيس قسم الجيولوجيا
(جامعة دمشق)

القرن الخامس عشر . اذ ركزت كليا وبقيت على هذا الحال الى ان حل النصف الثاني من هذا القرن العشرين . فعمت بوادر الاهتمام بالعلوم واحياؤها الشرق العربي بكامله وبشكل لم يعرف التاريخ له مثيلا منذ انطواء العصر الذهبي . وذلك اثر نشوب ثورة علمية جارفة اكتسحت البلدان العربية التي نالت استقلالها السياسي بعد معارك ضارية قدمت فيها عددا كبيرا من ابناءها على مذابح التضحية والشهادة . دعمت استقلالها السياسي بنشر العلم والثقافة وخلقت المعاهد والجامعات واعادت للعلماء والباحثين اعتبارهم التقليدي باذلة لهم الجوائز ومشجعة اياهم على التأليف والاقتباس والترجمة . واصبح العلم من جديد جزءا رئيسيا من كيانها وحياتها .

ان هذه الثورة العلمية التي نحيهاها تضع امامنا مشكلات جديدة تتصل بكيفية تدريس هذه العلوم ونقلها للجيل الصاعد الذي يتلقف العلم على مقاعد التدريس في الجامعات الحديثة في جميع البلدان النامية التي نالت استقلالها مؤخرا ، وفي جامعات البلدان التي لا تزال تروخ تحت نير الاستعمار والاستغلال بجميع وجوهه واشكاله .

لقد هالج الدكتور بشير العظمة موضوع هذه المشكلات في مقاله اللغة العلوم الذي نشره في العدد

بشيت الواقع التاريخي : ان الامة العربية تاسي في طلعة الامم التي كانت تنشر العلم والمعرفة على البشرية جمعاء . وذلك عندما توطدت لها دعائم الملك فاستغلت امكاناتها ووجهت اهتمامها في باديء الامر لنقل العلوم الاغريقية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية الى اللغة العربية ومن ثم خرجت على البشرية باحدث النظريات التي كانت تسبق المفاهيم العقلية السائدة في ذلك الوقت . والتي تتناسق اليوم مع احدث المعطيات العلمية المتغيرة سيقا علميا يطبع عصرنا هذا بطابع العلم والاختراع . ولنا في مؤلفات البيروني وابن الهيثم وابن سينا وغيرهم من علماء عصرهم اكبر دليل على رقي المفاهيم العلمية في ذلك العصر . الذي يعتبر بحق العصر الاسلامي الذهبي . والذي يمتد من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس . ولقد انصف المستشرق الاميركي « ايريو بوب » البيروني حين قال : ان اية قائمة تحوي اسماء اكابر العلماء يجب ان يكون فيها لاسم البيروني مكانه الرفيع . ومن المستحيل ان يكتمل اي بحث في الرياضيات او الفلك او الجغرافيا او التاريخ او علم الانسان او علم المعادن دون الاقرار بمساهمة البيروني العظيمة في كل علم من تلك العلوم .

غير ان العلوم في الادوار التي تلتها كانت تتذبذب بين انحطاط او ارتخاء ونهضة او يقظة ، حتى نهاية

قدفها جبل النار فجمدت على جوانه واسفله ومننا
استمارها الإبطايون فقالوا Lava والفرنسيون
Lave

وكلمة المرقشيتا وهي ضرب من كبريت الحديد
فقد ذكرها ابن البيطار وكثيرون غيره من أرباب علم
المعادن وقالوا أنها البوريطس Pyrite blanche
أو حجر النار وقد اقتبس الفرنسيون منا المرقشيتا
فسموها Macossite ونحن اقتبسناها من الأراميين
فإنهم يسمونها (مرقشيتا) أو (كيفامقشيتا)
ومعناها الحجر الصلب أو الصلب . فحذف العرب
الكيفاء وأقحموا راء بين الميم والقاف تعريفا عن
المحدوف فصارت كما نرى طلبا للخفة في اللفظ (1).

إن أمثال هذه المصطلحات العلمية التي أخذها
عنا الغرب كثيرة . فالطلق والسفير وغيرها مستعملة
لدى الغربيين ويعنون بها الفاظ : Saphir Talc
وبراد بالأولى البودرة والثانية حجر كريم ، وكذلك
أخذوا عن اللازورد لفظة Azur للدلالة على لون
السماء إذ إن المراد باللازورد حجر كريم مشهور
بحسن لونه الأزرق السماوي .

على أن العرب من ناحيتهم لم يقصروا في
الاقتباس عن غيرهم في عهودهم السابقة ولا سيما في
عهد العباسيين . فقد دونوا كل ما وضعه العلماء
الإقدمون من يونان وفرنس ورومان والغوا في معظم
العلوم وجاءت تأليفهم من أحسن ما كتب والذي نأق
الجميع هو بلا شك أبو الريحان البيروني ، الذي يعد
من أعظم علماء الإسلام . فقد كتب معظم مؤلفاته
باللغة العربية وشارك في أغلب العلوم والفننون
والصنائع حتى قيل فيه « أنه في التاريخ مؤرخ
محقق مدقق ، واسع الإطلاع ، وفي الجيولوجيا ،
جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين ،
وفي الفلك فلكي ممتاز بشهادة الفلكيين المعاصرين ،
وفي الرياضيات رياضي ممتاز بشهادة أساتذة
الرياضيات المعاصرين » ، والكلمات العربية كثيرة في
لغتنا العربية تستعمل بطلاقة وتشمل جميع الفروع
من آداب وعلوم ، فالياقوت مثلا كلمة معربة من
اليونانية وهي Hyacinthos والمغنطيس معربة
من اليونانية أيضا Magnes والرطل هو تعريب
لعبرا Litra الرومية المأخوذة من مثلها في
اليونانية وقد دخلها القلب في العربية ، وقد أجاد

(47) من مجلة « المعرفة » الصادر في دمشق بشهر كانون
الثاني 1966 . فأتى على جميع إبعاده القومية والفنية .
مثبتا أن موضوع استعمال أداة التفاهم الوطنية في
المجال العلمي بديهية لا تبلغ درجة الشك وخلص إلى
ضرورة توحيد لغتنا العلمية من أجل مصلحة المروبة
ومصلحة الإنسانية جمعاء . ثم تلاه عدد من الجامعيين
من أطباء وعلميين فقاموا بمعالجة هذا الموضوع
الخطير . وقد أيد معظمهم الدكتور العظيمة من النواحي
القومية والوطنية وعالجوا بعدها المشكلات التي تترس
أيجاد المصطلحات العلمية في بداية الأمر بشكل يقبل
به جميع الباحثين في الأقطار العربية ، معتمدين على
تجاربهم الشخصية في الجامعات العربية التي درسوا
فيها ومبينين أن ما ينسب للمصطلحات الممول بها
حاليا من أخطاء يعود إلى نقص في التنظيم لا إلى فشل
بالتعليم باللغة العربية نفسها التي تعتبر بحق من
أقدر اللغات على الإداء والتعبير والنحت والتعريف .

ولقد عنيت في هذا المقال أن أدلي بدلوي في هذا
المجال الواسع الإرجاء . مستعينا بالتجارب التي مرت
علي منذ تأسيس قسم الجيولوجيا في الجامعة
السورية بدمشق ، كنت أدرس هذه المادة باللغة
الفرنسية في البداية ثم انتقلت بعدها إلى تدريسها
وبجميع تفرعاتها باللغة العربية القومية مستعينا
بالمصطلحات العربية والمنحوتة . فقد وجدت تجاوبا
كبيرا من قبل الطلاب في تدريس هذه المادة باللغة
العربية وتفهما لم أعده من قبل حين كنت أعطيها
باللغة الفرنسية . وكان يعطيها زميل لي باللغة
الانكليزية . وقد وقفت بنفسي خلال تجربتي هذه على
غنى المصطلحات العربية الواسع في التعبير عن
المواضيع الجيولوجية التي سبق للإقدمين أن عالجوها
باللغة العربية البديعة ، إذ أنهم كانوا ولا شك واقفين
على أسرارها . واعتقد جازما أن مصطلحات إنشاء
الإلسنة الأخرى الحية والمعروفة في عصرنا لا تجاريها ،
وقد أخذوا بقسم كبير منها . ولنا في الأمثلة التالية
خير دليل على صحة ما ذكرت : فاللابة ونريد بها
المهل المتصهرة هي عربية أخذها عنا الغربيون
فاستعملوا كلمة Lava يقول الأب انتناس ماري
الكروملي البغدادي في تعليقه لكتاب : نخب الدخائر في
أحوال الجواهر تأليف السنجاري المعروف بابن
الاكفاني : « عندي أن أصل اللابة للحر « اللابة » لفة
في « الدابة » لأنها كانت في الأصل جواهر ذائبة

(1) كتاب الدخائر في أحوال الجواهر .

عمله في رأي خطوة جريئة شاملة في سبيل تعريب
المصطلحات العلمية في كل قطر عربي ، إذ أنه
تقدم باقتراحات موضوعية في هذا المجال كان تنشأ
في كل قطر عربي شعبية وطنية تكون صلة وصل بينها
وبين المكتب الدائم للتعريب تشمل اختصاصاته
توحيد المصطلحات في جميع الأقطار العربية وجعلها
الزامية .

ولابد لي في النهاية من التنويه بضرورة اتقان
لغة أجنبية حية إلى جانب اللغة العربية ، ولا سيما في
المرحلة الانتقالية التي نجتازها ، والتي يتوقف عليها
مستقبل الأمة العربية جمعاء ، فمكتبتنا العربية ما
زالت مفتقرة إلى كثير من الكتب العلمية باللغة العربية
وإن اقتصار الطلبة على هذا النذر اليسير من الكتب
العلمية العربية لا يكفي لإرواء عطشهم إلى الاستزادة
من هذه العلوم بغية اللحاق بركب الحضارة العلمي
الذي هو هدفنا بالدرجة الأولى ، وإن اتقان لغة
أجنبية يساعد كثيرا على وضع المصطلحات بأحسن
صيغة فنكون بذلك قد افدنا أنفسنا واهنينا مكتباتنا
وجامعاتنا بالمصطلحات العلمية التي نحن بأشد الحاجة
اليها .

ولابد لي من توجيه كلمة شكر وامتنان للقائمين
على مجلة المعرفة التي سقت وفتحت هذا الباب
للمناقشة . خدمة للعلم والعلماء في وطننا بوجه
خاص وللإنسانية والمعرفة بوجه عام . مؤملا عدم
الاكتفاء بما نشر في هذا الموضوع . ومتابعة
المؤسسات المختصة هذا الموضوع للوصول إلى مقررات
توضع موضع التنفيذ وتخدم لغتنا العربية الغالية
علينا وجامعاتنا وثقافتنا ، الخدمة التي نتوق اليها
ونتمناها .

(يتبع)

العرب أيضا في النحت فنحنوا كلمة الماذنبي وهو
نوع من الياقوت يقول النيفاشي في أصلها : « سالت
بعض مشايخ الجوهريين في سبب تسمية هذا النوع
بهذا الاسم فقال : إن هذا الحجر شديد الشبه بجيد
الياقوت ، فإذا قوم بدون قيمة الياقوت ، كأنه يقول
بلسان حال جودته : « ماذنبي » حتى أقوم بدون
قيمة الياقوت » فالكلمة كما نرى إذن منحوتة من ما
الاستفهامية وذنب مضافة إلى المتكلم (2) . والكلمة
هي ضرب من البنفسج الذي يدموه الغرب Hyacinthe

وفي رأيي أنه يمكن لنا وقد زادت الاصطلاحات
الفنية في يومنا هذا زيادة تناسب مع متطلبات
العلوم الحديثة والاختراعات التي أصبحت لا تقع تحت
حصر ، إن تأخذ من هذه المصطلحات بالتعريب
والنحت كما أخذ منها علماءنا في السابق . ونمارس
التدريس بلغتنا القومية في جميع المجالات العلمية
حتى نجاري الأمم التي سبقتنا في هذا المضمار ،
مبينين بذلك أن لغة الضاد هي لغة سخية سمحة
تجاري العلوم والمخترعات ، فهي لغة علوم بالدرجة
الأولى كما أنها لغة آداب وفلسفة وفنون ، فيمكننا
إذا ما اتفقنا على وضع بعض الأسس في تعريب
المصطلحات أن نصل إلى الغاية المنشودة .

لقد سبق لكل من الاتحاد العلمي العربي في
مؤتمره الثالث ومؤتمر التعريب في المملكة المغربية (3)
أن رفعا بعض التوصيات المتعلقة بالخطة العلمية
المثلى في تحقيق التعريب بوجه عام وفي تعريب
المصطلحات العلمية بوجه خاص . وقد أخذت
الجامعة العربية ببعض هذه التوصيات . إذ أنها انشأت
المكتب الدائم للتعريب في المملكة المغربية ويعتبر

(2) كتاب الدخائر في أحوال الجواهر .

(3) راجع العدد الرابع من «اللسان العربي» .

حرف الجيم بين الشمس والقمر

الأستاذ محبوب الحلبي
جامعة دهام - بريطانيا

لقد سببت هذه التغيرات في اللفظ مشاكل شتى في اللغة العربية اخص منها مسألة الجيم كحرف من الحروف القمرية ، اذ كثيرا ما يجنح البعض من ابناء البلاد العربية وخصوصا في العراق وسوريا الى لفظ الجيم كصوت شمسي اي بادغام لام المعرفة في الجيم عند وقوعها في اول الكلمة فيقولون اجمل بدلا من الجمل . ولا تقتصر هذه المشكلة على الصعوبات التي يلاقيها مدرسو اللغة العربية في تلك الاقطار بل تمتداه الى احوال يرتكب فيها بعض الخطباء والمذيعين هذه الاخطاء فيتعرضون بذلك الى الكثير من النقد واللوم. على ان هذا الميل للفظ الجيم كصوت شمسي لا يعدو ان يكون ميلا طبيعيا تتطلبه السهولة في اللفظ والجمال في النطق ، وهذا يدفعنا لكي نضع استفهاما كبيرا عن سبب ابقاء الجيم بين الحروف القمرية دون الاخذ بالامتيازات الاخرى التي تحيط بهذه المسألة .

يشغل حرف الجيم مكانا فريدا بين الحروف الاخرى بتنوع طرق لفظه في اللهجات العربية الى درجة لا يكاد يضاهيه فيها اي حرف آخر ، فهو في الشام رخو قريب الى الشين لما فيه من تعطيش بالغ وهو في العراق اكثر شدة (1) ، فيه اثر ضئيل من التعطيش اما في القاهرة فانه يلفظ شديدا مجهورا (2) على فرار ما يسميه البعض بالجيم القاهرية ، بينما نجده قد صار دالا في بعض مناطق الصعيد المصري وباء عند بعض قبائل الكويت ، وجنوب العراق .

ومما يجدر ملاحظته ان هذه الظاهرة تشتمل الحرفين **J** و **G** في اللغات الاوربية وهما نظيرا للجيم في العربية. اذ ان ال **J** يلفظ ياء في الالمانية وخاء في الاسبانية ، وهو في الانجليزية كالجيم العراقية وفي الفرنسية كالجيم الشامية . كما ان ال **G** يلفظ احيانا في الانكليزية والفرنسية كالجيم القاهرية بينما يتخذ في احيان اخرى اشكالا كالتى اسلفنا ذكرها .

(1) الصوت الشديد هو الصوت الانفجاري الذي يحدث بانحباس الهواء عند مخرج الصوت انحباسا تاما ثم انطلاقه فجأة عند انفتاح المخرج كالبياء والتاء ، وعكسه الصوت الرخو.

(2) الصوت المجهور هو الصوت الذي يستوجب عنده اهتزاز الوترين الصوتيين اثناء مرور الهواء بهما كالدال والظين ، وعكسه الصوت المهموس .

يقول سيبويه « ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز معهن الا الادغام لكثرة لام المعرفة في الكلام وكثرة موافقتها لهذه الحروف واللام من طرف اللسان وهذه الحروف احد عشر حرفا منها حروف طرف اللسان وحرفان يخالطان طرف اللسان . . . والاحد عشر حرفا النون والراء والدال والثاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والدال» واللذان خالطها الضاد والشين « (3) . وبغض النظر عن السبب الذي جعل سيبويه لا يذكر اللام نفسها بين هذه الحروف الا ان الحروف الباقية وهي التي اصطلح على تسميتها بالحروف القمرية لا تدغم فيها لام المعرفة وبجمعها قولك ابغ حجك وخف عقيمه .

واود في معرض هذا الحديث ان يؤكد الفرق بين حالتي الحرف المشار اليه هنا ، الاولى كرمز مكتوب تحفظه الكتب من التغيير عبر المصور والثانية كلفظ مسموع لم يكن هناك من وسيلة لحفظه قبل ظهور اجهزة تسجيل الصوت الحديثة . فالخلط بين الرمز واللفظ امر يجب تجنب الوقوع فيه في حكمنا على الجيم وغيرها في وقتنا الحاضر ، اذ على الرغم من ورود الجيم كحرف قمرى منذ بدء اهتمام العرب بعلم الاصوات الا اننا لا نزال غير متأكدين من الطريقة التي كان يلفظ بها هذا الحرف عند قدماء العرب ، فقد جاء عن الخليل بن احمد الفراهيدي في كتاب العين ان الجيم والشين والضاد شجرية لان مبادها من شجر الفم أي مفرج الفم (4) ، اما سيبويه فقد كان اكثر تفصيلا اذ يخبرنا ان من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، كما انه وصف الجيم بأنها من الحروف الشديدة المجهورة ، فهذه الاوصاف رغم اعطائها فكرة جيدة عن طريقة لفظ هذا الحرف في ايام الخليل وسيبويه الا انها غير كافية لتدلنا على اللفظ بعداثيره .

وقد كانت هناك اكثر من محاولة من قبل المهتمين بعلم الاصوات في وقتنا الحاضر لاستنتاج الطريقة التي كان ينطق بها هذا الحرف عند قدماء العرب فنجد الدكتور ابراهيم انيس يقول « ويظهر

ان الجيم التي نسميها الآن من مجيدي القراءة هي اقرب الجميع الى الجيم الاصلية، ان لم تكن هي نفسها « (5) . واغلب الظن ان المقصود هنا بالجيم الاصلية هي تلك التي كان ينطق بها ايسام الخليل وسيبويه اذ ان من الصعب افتراض جيم اصلية لم يسبقها تطور في اية مرحلة من مراحل التاريخ . ومهما يكن من امر فان الارجح ان الدكتور ابراهيم انيس كان متفائلا في استنتاجه واننا في الواقع لا نزال بعيدين عن التوصل الى صورة اكدية للطريقة التي كان ينطق بها حرف الجيم التي وصفها سيبويه قريبة من التي نسميها الآن من مجيدي القراءة القروانية لوصفها ، كما وصف العين ، بأنها بين الشدة والرخاوة ولما ابقاها بين الحروف الشديدة ، بل ان الجيم وردت كنموذج للحروف الشديدة في الامثلة التي جاءت في المفصل للزمخشري اشرح ابن يعيش . وحتى في القرن التاسع الهجري نجد ان ابن الجزري يعتبر الجيم من بين حروف الثقللة (6) وهي الحروف الشديدة المجهورة . وانا لا استبعد ان يكون تطور الجيم نحو شيء من الرخاوة نوعا من الحرص للابقاء على جهرها وهي بهذا تختلف عما هو اكثر شيوعا وهو الابقاء على الشدة والتطور من الجهر نحو الهمس .

وهناك دلائل تشير الى ان وضع الجيم لم يكن على درجة كبيرة من الاستقرار منذ تلك الايام وان هناك ميلا للانحراف بمخرج الجيم الى مخارج قريبة فسيبويه يكشف ذلك بقوله « . . . وتكون اثنين واربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القراءان ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالثين والضاد الضعيفة . . . » (7) كما نجد ان ابن الجزري بعد ذلك بعدة قرون ينصح بالتحفظ باخراج الجيم من مخرجها « فربما خرجت من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فتصير مزوجة بالثين كما يفعل كثير من اهل الشام ومصر وربما نبا بها اللسان فاخرجها مزوجة بالكاف كما يفعل بعض الناس وهذا

(3) الكتاب، الجزء الثاني صفحة 416

(4) العين صفحة 2

(5) الاصوات اللغوية صفحة 65

(6) «النشر في القراءات المشر» الجزء الاول صفحة 203

(7) لكتاب الجزء الثاني صفحة 404

موجود كثيرا في بوادي اليمن « (8) . على ان ابن الجزري لم يكن بنفسه وانما من مخرج الجيم الحقيقي حيث يقول «للجيم والشين المعجمة والياء غير المدية من وسط اللسان بينه وبين الحنك ويقال ان الجيم قبلهما وقال المهدي ان الشين تلي الكاف والجيم والياء يلبان الشين وهذه هي الحروف الشجرية» (9) . وعلى كل حال فان ابن الجزري يختلف هنا عن بعض اسلافه من امثال ابن علي القالي المولود في اواخر القرن الثالث الهجري والذي اعتبر ان مخرج الجيم يلي مخرج الصاد .

ان ما سبق يشير الى ان ثمة تطورا ما قد صاحب نطق الجيم طوال هذه المدة وان الجيم التي وصلتنا تختلف بكل اشكالها العالية عن نظيرتها لدى الخليل فلا عجب ان نجد الدكتور مهدي الخزومي يخبرنا في كتابه عن الخليل بان المحدثين يخالفون الخليل وسيبويه بالنسبة لمخارج الحروف الشجرية اذ هم يعدون مخرج الياء والجيم من بين مقدم اللسان وسقف الحنك الصلب والشين من بين اسلة اللسان او ما يليها وبين حافة الاسنان . وانا استبعد جدا ان يكون اختلاف الخليل وسيبويه من جيلنا سببا من خطأ منهما وما هذا الاختلاف الا نتيجة حتمية لتطور الجيم ودليلا كافيا على اننا ما زلنا بعيدين عن جيم القرن الثاني الهجري .

وها نحن اليوم ننطق بجيم عراقية (وهي قريبة جدا لما نسمعه من مجيدي القراءة القرآنية) واخرى قاهرية وثالثة شامية ورابعة تنطق بـاء الخ . . اندرت اليانا كلها بهذه التشعبات بفعل عوامل معينة لا تبعد ان تكون هي نفسها التي سببت تشعب نظيرات الجيم في اللغات الاوربية . الا ان المهم في هذا البحث هو موضوع ادغام لام التعريف في الجيمين اللتين اسميتهما بالشامية والعراقية نظرا لان الملايين من الناطقين بالعربية يستعملونهما كل يوم . وعندهم تكون الجيم شمسية اذا تكلموا بصورة عادية وتكون قمرية اذا تكلموا اللفظ واصطنعوا الفصاحة نزولا عند قانون سن منذ التي عشر قرنا خلت تغيرت الجيم وبقي القانون .

وادغام لام التعريف في الحروف الشمسية يتم بالدرجة الاولى نتيجة الافتعاد في الجهد العضلي . وهو امر مسلم به منذ القدم كما يصر عنه سيبويه بقوله « ليكون عمل اللسان من وجه واحد » . فالحروف الشمسية كلها اصوات ذات مخارج لسانية قريبة من مخرج اللام وهذا يسبب تانسر العسوتين بالمجاورة وبالتالي ادغام لام التعريف وفناءها في الحرف الشمسي الذي يليها . بينما لو استعرضنا الحروف القمرية لوجدنا ان اللسان لا يستعمل الا في نطق ثلاثة منها وهذه بعيدة عن مخرج اللام على أي حال ، اما الجيمان الشامية والعراقية فلنبرهنه على انهما يشتميان الى مجموعة الاصوات الشمسية اليك اختبارا بسيطا :

ضع لسانك في الموضع الطبيعي للفظ صوت اللام وابق لسانك في هذا الموضع ولكن بدلا من لفظ اللام لفظ عبارة ابغ حجت وخف عقبه ، وهي العبارة التي تجمع الحروف القمرية كما اسلفنا . ستجد انك تستطيع لفظ العبارة كلها بوضوح فيما هذا الجيم اذا كانت شامية او عراقية .

ان هذا الاختبار على بساطته يربنا كيف ان عمل اللسان في لفظ اللام يكون « من وجه واحد » مع الجيمين وبذلك كان ادغام لام التعريف بهما مناسباً . وبصورة عامة فان هذا الاختبار يعطينا طريقة مباشرة لتقدير اهلية الصوت اللغوي لادغام لام التعريف به اي للحكم على كون الصوت شمسيا او قمريا .

وبناء على كل ما تقدم فاني لا اري اي مسرر للاصرار على ابقاء الجيمين الشامية والعراقية في ضمن الاصوات القمرية وقد حان الوقت لكافة الذين تصادفهم هذه المشكلة ان يتقبلوا الامر على اساس من المنطق . اما الذين يستشهدون بسيبويه فاكرد لهم انه انما كان يتحدث عن رمز معين لا دليل لنا اليوم كيف كان يلفظ ، واني عنى يقين انه لو كان سيبويه اليوم حيا بيننا لوضع الجيمين الشامية والعراقية مع اللواتي « لا يجوز معهن الا الادغام » .

(8) « النشر في القراءات العشر » الجزء الاول صفحة 217 .

(9) المصدر السابق ص 200 .

أثر اللسان العربي في اللغة الإسبانية

الأستاذ سامي الحفار الحزبري (دمشق)

الأستاذ سامي الحفار الحزبري
(دمشق)

واطلق عليهم اسم : « المدجنون » Mudéjares وتولد عن بقائهم فن جديد في الهندسة والصناعة اليدوية سمي : المدجن Mudéjar لذا لا نستطيع ان نقول بان الاثر العربي في اسبانيا قد زال بزوال سلطانهم عليها .

وقبل ان نتحدث عن اثر الموريسكوس والمدجنين في اللغة الاسبانية في مختلف بقاع الاندلس لابد لنا من التحدث عن طبقة « المستعربين » Mozárabes وهم ابناء البلاد الذين تأثروا بالثقافة العربية والحضارة الاسلامية ابان الحكم العربي في اسبانيا . لقد حافظ هؤلاء على معتقداتهم الدينية غير انهم تعلموا العربية وبنوها في حياتهم وكانوا يتكلمون كذلك لغة بلادهم الاصلية المشتقة من اللاتينية والتي كانت تعرف باسم الرومانسية وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمها اثر حكم الفيزقوطيين Romane ، وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمها اثر حكم الفيزقوطيين Visigodos وهم قوم من الجرمان احتلوا اسبانيا في القرن الخامس الميلادي قادمين من ايطاليا وفرنسا وبنوا لغة الرومان الدارجة فيها وادخلوا في تلك اللغة اللاتينية الشعبية بعض تعابيرهم واسمائهم ومفرداتهم ، ولكن حصيلة ما قدموه لتغذية اللغة الاسبانية لا تقارن بما قدمه العرب اليها من

لا ريب في ان اثر اللسان العربي في اللغة الاسبانية من اهم آثارنا في اسبانيا واكثرها خلودا ، كما انه دليل قاطع على ان الحضارة العربية الاسلامية وجدت في الاندلس الارض الخصبة لازدهار اغراسها . فاذا تجلت تلك الحضارة في العلوم والفنون والآداب ، في الهندسة والتجارة والزراعة والصناعة ، ومنحنتنا تراثا عربيا اندلسيا افادت منه الانسانية ، فلقد كان اللسان العربي خيرا اداة للتعبير عن تلك الحضارة خلال تسعة قرون تقريبا . فالعرب عاشوا في الاندلس ثمانية قرون الا قليلا ابان حكمهم لها ، منذ دخول طارق بن زياد الى شبه الجزيرة اليبيرية سنة 711 م حتى خروج آخر ملوك بني الاحمر من غرناطة سنة 1492 م ؛ ولكن من الثابت ان الاثر العربي في بعض مناطقها قد استمر حتى مطلع القرن السابع عشر ، وذلك لان نصف مليون عربي اختاروا البقاء في اسبانيا بعد ان استرجعها ملوكها لشدة تعلقهم بها وبارضها جبلا بعد جبل . وقد عرف هؤلاء باسم موريسكوس Moriscos وظلوا يتكلمون العربية ويكتبونها حتى تم اندماج بعضهم بالاسبان نهائيا لغة ودينا ؛ في حين هاجر البعض الاخر الى الشمال الافريقي . فالموريسكوس هم العرب الذين تنصروا بعد ان استرجع ملوك الاسبان بلادهم من المسلمين العرب ، اما الذين لم يتنصروا وآثروا البقاء في الاندلس فلقد اضطروا للموافقة على التسمية للملوك الكاثوليك

وفلان : Fulano ومولد Muladi
 ومعناها المسلم الاسباني . غير العربي . وقد عرف
 الاسبان الذين اسلموا ابان الحكم العربي باسم
 Muladies) وباطل : Baladi و Balde
 والزيت : Zeite والجبر Algebra ومجد :
 Mezquita ومسكين : Mezquino الخ ...
 والامثلة اكثر من ان تحصى . وكذلك حصر
 الاسبان اسماء المدن والقرى والقلاع التي شيدها
 العرب في بلادهم . في شبه الجزيرة اليبيرية . كما
 اصاب التحريف اسماء بعض الأنهر والمواقع
 الجغرافية التي اطلق عليها اسلافنا أسماء عربية
 ومثالا لذلك نرى ان مدينة مجربط تحولت الى
 « مدريد » ومدينة سالم صارت Mezinaceli
 ومرسية : Murcia و«بني سالم» في جزيرة
 ميورقة مايوركا، Benisalem واليابسة : Ibiza
 وهو اسم احدى جزر البليار ومدينتها الرئيسية .
 وقلعة النور : Calatañazor . وقلعة اعرج :
 Calatarage ونهر وادي العين : Guadalén
 ووادي الرملة Guadarrama ، وغيرها كثير .
 وهذا ما جعلنا نتوقف عند المرور بمثل هذه
 المفردات الاسماء العربية الاصل مستغربين ما لحق
 بها من تحريف .

ثم ان ما نقوله عن التحريف الذي لحق باغلبية
 المفردات والاسماء العربية لدى اندماجها باللغة
 الاسبانية قد اصاب كذلك الاسماء الاسبانية اللاتينية
 لدى نقلها الى العربية ، واعني بها اسماء الاعلام
 واسماء المدن والمقاطعات والمواقع الجغرافية المختلفة
 في شبه جزيرة ايبيريا وفي جزائرها الشرقية . فقد
 تعارف اسلافنا على تسمية بعضها بما يتفق وذوقهم
 السماعي واللغوي فاطلقوا اسم طليطلة على مدينة
 Toledo واسم ملقة على Malaga واسم طركونة
 على مقاطعة Tarragona واسم قطلونية على
 مقاطعة Cataluña

والاهم من هذا انهم تحروا في احيان اخرى
 اصل اسماء المدن القديمة اللاتينية الاغريقية
 الروماني (وشكلوا اسماءها العربية استنادا الى هذا
 الاصل ، فمدينة سرقطة Saragoza مثلا قد
 سميت كذلك عند العرب لانها كانت معروفة في
 القديم باسم Coisarangusta ، ومدينة استجة
 (اليخا اليوم Eclja) كانت في الاصل Astigi ،
 وشاطبه Jativa كانت تسمى Sactabis ، اما

لسانهم الفني اذ انها لا تتجاوز مئة كلمة في حين ان
 ما دخل اليها من العربية تجاوز اربعة آلاف كلمة .

ويقول العالم الاستاذ رافائيل لاپيسو Rafael Lapeso
 في كتابه « تاريخ اللغة الاسبانية » ان العامل
 العربي في تكوينها كبير الاهمية ويأتي مباشرة بعد
 العامل اللاتيني . ونحن نرى فيها اليوم عددا كبيرا
 من المفردات التي تبثديء بال التعريف . وهذا ما
 برشدنا في احيان كثيرة الى اصلها العربي غير ان
 قليلا منها بقي على حاله الاصل كتابا ولفظا مع انه
 حافظ على معناه الاصيل لما اصاب تلك المفردات
 العربية الاصل . سواء منها المتدثرة بال التعريف او
 غيرها . من تحريف لدى دخولها الى اللغة الاسبانية .
 والسبب في ذلك التحريف منطقي وواضح لما يوجد
 من فوارق شاسعة بين حروف العربية وحروف
 اللاتينية وبين جرس الاولى وجرس الثانية واسلوب
 لفظها ؛ وبين ذوق الاذن الاسبانية وذوق الاذن
 العربية ؛ فلكل قوم في لغاتهم ما الفوا وما توارثوا
 لذا اختلفت وسائل التعبير والهجات واللغات . ولذا
 كان لا بد للاسبان من سكب المفردات العربية .
 واسماء الاعلام واسماء المواقع الجغرافية والمدن
 التي اطلق عليها العرب اسماء عربية في قالب سماعي
 يتناسب مع ذوقهم من جهة ومع امكانات لغتهم
 الاصلية واحرف هجائهم من جهة ثانية . فنحن
 نجد ان كلمة « الساقية » قد اصبحت بالاسبانية
 (اتيكيا : Acequia ، والقاضي Alcalde
 والمعصرة Almazaras والضبعة Aldea وذلك
 لعدم وجود كل من القاف والعين بالابجدية اللاتينية،
 ويلاحظ هنا فيما اوردت من امثلة ، في كلمتي
 الساقية والضبعة ان حرف الالف المفتوحة قد
 اصبحت (ايفا مائلة) اي انه قد لحقت به
 الامالة ، فالامالة شامت كثيرا فيما انتقل من
 العربية الى الاسبانية والبرتغالية وهي ظاهرة في
 طائفة كبيرة من الكلمات والاسماء . ثم نجد ان كلمة
 «حتى» اصبحت Hasta ، وكلمة الوزير Alguacil
 وقلعة ابوب Calatayud ومدينة سالم
 Medinaceli ووادي الحجارة Guadalajarra
 ووادي الكبير Guadalquivir الخ . . وما
 يلاحظ كذلك ان الاسماء العربية والمفردات المسكنة
 في آخرها لم تتفق والدوق الاسباني فتحرك آخرها
 لدى اقتباسها باحرف صوتية مثل (ت) او (او) او (اي)
 a, o, i بحيث اصبحت السوق : Zoco

الحادي عشر باسمين مركبين اولهما عربي (ابن او بن او بني) والثاني لاتيني اسباني على غرار كنى بعض الاسر العربية ، فعرفت بينهم اسر مكناة ببني هوميث Benigómez وبينافيدس Benavides وغيرها .

وهناك فى اللغة الاسبانية طائفة من الكلمات التى تبناها الاسبان وحافظوها على معناها العربي واصابها بعض التحريف ومنها : « العيب » Aleve و « حسنة » Hazaña ، كما نجد انهم صرفوا افعالا اسبانية انطلاقا من الكلمة الاسبانية (اللاتينية اصلا) على غرار ما كان العرب يفعلون ، وهذا الاثر واضح فى كلمتي صبح ومساء اللتين تولد عنهما فعلان هما : اصبح وامسى ، اذ انشا نجدهما فى فعلي : Amanecer و Anochecer

واخيرا لا بد من القول بان اثر لساننا العربي كان كبيرا فى اسلوب التعبير الاسباني بل حتى فى اسلوب التفكير ذاته اذ ان الاسبانية تبنت عبارات عربية وجملا برمتها ونقلتها وترجمتها حرفيا ولفتها كقولهم : « ان شاء الله » (Ojalá) واهانك الله : (Dios le ampare) والله يحفظك (Que Dios guarde) وبارك الله بالام التى حملتك (Bendita sea la madre que te parió) الى آخر ما هناك من سلسلة التعابير التى لا يعرفها فى اوربا غير الاسبان ، والتي تنم عن عقلية خاصة عربية اندلسية اسبانية من اسبابها الايمان القوي وصفاء السريرة الانسانية والفة التمنى والتبريك فى الحديث .

واليوم ونحن نستعرض ذلك التاريخ المشترك الطويل ونتحرى عوامل الاثر العربي فى اسبانيا وفى لغة الاسبان لا يسعنا الا ان نقف موقف المعجب بما نقل العرب الى الارض الاسبانية من علوم وفنون وتقاليد ، وبابنائها الاصليين الذين رحبوا بما حملته الفاتحون اليهم من الوان متعددة لتلك العلوم والفنون والتقاليد ، فكانوا خير ترجمة لها فى اوربا الغربية فى القرون الوسيطة . كما يجدر بنا ان نمتدح بفضل « المستعربين » : Mozárabes الذين تاثروا بالتمدن الاسلامي واللغة العربية والتقاليد اذ انهم استعربوا باختيارهم فكرا وقلبا ، وحافظوا على لغتهم وحضارتهم وتقاليدهم قرنا اثر قرن وغاروا عليها ودافعوا عنها ، واسهموا بذلك فى نقلها الى قومهم ولغتهم وتراثهم الادبي والفنسى اولا ثم الى العالم الغربي .

اشبيلية Sevilla فان اسمها العربي مشتق من اسمها اللاتيني Hispalia ، وقرطبة Cordoba من قرطب Corteb اسم القرية الرومانية القديمة التى توسمت بعد الفتح العربي واصبحت عاصمة ملك الامويين . فالامثلة فى هذا الصدد كثيرة تلقى الضوء على حقائق تاريخية هامة .

ولعل جانب الاشتقاق اللغوي الذى جرى عليه الاسبان لدى تبني المفردات العربية من اهم جوانب هذا البحث ، فكما جرى العرب على اقتباس جزء من اسماء المدن القديمة حين تسمية مجريط مثلا حيث انهم شيدوها واعطوها اسما مركبا من كلمة « مجرى » لوفرة مجاري المياه فيها ومن المقطع اللاتيني (ايت IT) فاصبحت مجريط ، نجد ان الاسبان درجوا على تركيب مفردات جديدة فى لغتهم اذ كثيرا ما اتخذت الكلمات اللاتينية معنى هريبا بعد ان اجروا عليها تعديلات مقتبسة من التركيب العربي . لقد الف الاسبان هذه المؤثرات فى حقبة تعايشهم الطويلة مع العرب فشاعت على سنتهم وما زالت جزءا لا يتجزأ من قاموس لغتهم . ونحن نعلم ان العرب تعارفوا على تسمية الفنى : ابن الدنيا ، واللص : ابن الليل لان الظلام يساعد على السرقة فالف الاسبان هذه التعابير الرمزية واصبحوا يسمون اليتيم : ابن الحجر ، والمتدين : ابن الاحسان ، والسطحي : ابن يومه الخ . . ثم درجت فى اللغة الاسبانية كلمة هيدالكو Hidalgo المركبة من Hijodalgo اي : ابن الخير ، واصبحت تطلق على النبلاء الذين يميزون بالخدمات القومية والشجاعة والكرم ، وقد اشار الى تفسيرها الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم وقال انها من المفردات الاسبانية المركبة على غرار بعض الكلمات العربية . والفونسو العاشر (العالم) هو الذى حكم طليطلة بعد خروج المسلمين منها بحوالي مائة وسبعين عاما واشتهر بتكريم ائمة الفكر المسلمين والمسيحيين اي المدجنين والموريسكوس وقد تربهم من بلاطه واستفاد من علمهم وثقافتهم لترجمة مؤلفات ابن رشد وابن سينا وابن باجة من العربية الى الاسبانية . وقد شاع فى مقاطعات ليون وقشتالة والاندلس اطلاق اسماء على الاشخاص او الاسر انطلاقا من التقليد العربي ، لذا كنا نجد افرادا من الاسبان باسم Abolmondar اي « ابو المنذر » و Abohamor اي « ابو حمود » و Almodáfar اي المظفر و Maimón اي ميمون ، كما كانوا يكونون بعض اسرهم حتى القرن

تشويحات في اللغة العربية أحدثها الترجمة

الدكتور محمد عبد الرحمن مرزا

فالعربية السليمة تقضي ان يقال : « نار على
العباسيين » . « شن حرب ابادة على » . « مؤامرة
على » . « احتجاج على » . « العداء للاستعمار »
« الكفاح مع الاستعمار » . « معركة مع الرجعية » .
« التلقيح من الجدري » . « التامين من المرض » .
« مناعة على » « صدر حكم بحق او على فلان » .
« مقاومة المرض » « مقاومتهم للمرض » . « الشكوى
من الظلم والتعسف » . « استند الى الحائط » ..
الخ ..

ومن الرطانات التي جاءت بها الترجمة ايضا
قول بعضهم « بشكل تهديدا للسلام » « بشكل
تقدما عظيما » ، « بشكل عنصرا هاما » ، « يؤلف
مشكلة خطيرة » .. الخ .. مع ان الاصح ان يقال :
« فيه تهديد للسلام » . « فيه تقدم عظيم » ، « وهو
عنصر هام » ، « وهي مشكلة خطيرة » .

وهناك استعمال شائع جدا لا ارتاح اليه تسلسل
الى لغتنا الحبيبة بتأثر الترجمة ايضا وهو : « لعب
دورا هاما في » .

ان اللغة العربية في فني من هذا الاستعمال
الريك ولو ان جميع اللغات الاوربية تستعمله ،
ففيها عبارات كثيرة تؤدي نفس المعنى بمثانة وقوة
وجزالة ، ليست للمباراة الفرنجية . منها ان يقال :
« كان له شأن عظيم » « اضطلع بنصيب كبير في »
« اضطلع بمهمة » « قام بـ » .

ان الترجمة الصحيحة عمل شاق لا يعرفه الا
من عاناه ، وقليل ما هم! واكثر الترجمات التي
تخرج الى الاسواق ترجمات رخيصة تشف عن ضحالة
اصحابها وفقرهم وعجزهم عن فهم ما يترجمون ؛
فحسبهم انهم ترجموا الالفاظ كلمة كلمة . اما
المعنى العام للنص فلا يهمهم في قليل او كثير .

وقد تأثرت اللغة العربية بكثير من هذه
الترجمات فركت وضعفت وقلبت عليها استعمالات
تشعر وانت تقراها بالبعد عن الاسلوب العربي
الرصين اذ ليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف .
وها نحن نورد نماذج منها تقتطفها من هنا وهناك .

« نار ضد العباسيين » ، « شن حرب ابادة
ضد » ، « مؤامرة ضد » ، « غارة ضد » ، « العداء
ضد الاستعمار » . « معركة ضد الرجعية » ،
« التلقيح ضد » ، « التامين ضد » ، « مناعة ضد »
« المقاومة ضد المرض » ، « صدر حكم ضد »
« الشكوى ضد » ، « استند ضد الحائط » .

لكلمة « ضد » هنا لا مبرر لها الا انها ترجمة
حرفية لكلمة Contre الفرنسية او Against
الانكليزية ؛ فاذا كانت كلمة « ضد » ترافق جميع هذه
العبارات في الفرنسية او الانكليزية او غيرها من
اللغات الاوربية ، فلا يصح ان يكون ذلك سببا
لاستعمالها في اللغة العربية ايضا ، لاسيما اذا كان
هناك بديل عربي اقوى منها بكثير .

الإنسان « مع ان البتديء في اللغة العربية يقول :
 « محبة الله لبني الإنسان » . فإذا كانت « نحو » جزءا
 من التعبير الفرنسي أو الإنكليزي فهل من الضروري
 ان تكون كذلك في اللغة العربية ؟ ولكن قائل الله
 الترجمة الحرفية التي تعني من خصائص اللغة
 ومبقرتها !

لقد خف استعمال المفعول المطلق في الترجمة
 وحلت محله - حرصا على « امانة » النقل كلمة
 « بصورة » . « بشكل » : « لدرجة » . « على نحو »
 فيقال مثلا : « مشيت بصورة جيدة » ، « سار بشكل
 حسن » . « ان قامته طويلة لدرجة انها تسد الباب »
 « ظهر على نحو واضح » . ان هذه الاستعمالات
 واشباهها تنبؤ جميعا عن الذوق العربي الاصيل
 وتقفوه . اذ الاصح ان يقال : « مشيت مشيا جيدا »
 « سار سيرا حسنا » . « ان قامته طويلة طولا يسد
 الباب او بحيث تسد الباب » . « ظهر ظهورا
 واضحا » .

وهناك خطأ يقع فيه كثير من المترجمين ايضا .
 وهو خطأ لا يمس الترجمة وحدها . بل هو يمس
 قواعد اللغة ايضا . وهو التعبير عن المثنى بالجمع
 انساقا مع الحرفية . فنرى المترجم يعبر عن المثنى
 ثارة بالثنائية . وثارة بيسى ان الحديث يدور عن
 شيئين فقط فينساق مع النمر الفرنسي ويجمع .
 لانه على ما يظهر في مجلة من امره وبهمه ان يفرغ
 منه ليستأنف نعا آخر . فالمعصر عصر السرعة
 والنسر طويل والضمير بعيد ، فلا عليه ان يلتزم
 بالحرفية ولو كان في ذلك تضحية باللغة وقواعده
 وبسمته وكرامته لعرض من الدنيا قليل .

وهناك استعمال عجيب غريب اقحم في العربية
 اقحاما . فاللغة الفرنسية مثلا تستعمل عند الانتقال
 من فكرة الى اخرى كلمة Concernant او
 En ce qui concerne او Au sujet de
 الخ . فامتلات اللغة العربية بهذه الكلمات :
 بخصوص . وفيما يتصل ، وفيما يتعلق ، وبالنسبة
 الى . مع ان كلمة « اما » « ومن حيث » اجمل من
 هذه الاستعمالات الركيكة واقتوى واكثر تعبيراً
 ومناة . ولم اجد اعجب من الجمع بين « اما » و
 « فيما يتعلق » كالقول : « اما فيما يتعلق بكذا » فان
 « فيما يتعلق » هنا متعممة اقحاما لا معنى له وما
 كان اجمل هذا التعبير لو قلنا : « اما كذا »

ومن الاستعمالات الرطنة ايضا هذه العبارة :
 « كانت هذه الحرب كنتيجة لاغتسال .. » فانا لا
 ارى ترجمة لهذا الكاف لولا انها ترجمة حرفية
 لكلمتي Comme الفرنسية او As الإنكليزية
 الضروريين لتادية هذا المعنى في اغتيهما فقط .
 كما ان هذه الكاف الركيكة اخذت تحمل في لغتنا
 محل استعمال الحال والمفعول به الثاني والمفعول
 لاجله . . اقرا هذه العبارات : « ما احسنه كمتكلم » .
 « ما احسنه كتاب » : « دخل عليهم كرئيس للبلاد »
 « فعل هذا كمنافاة له » : « قال كتمليق على كلامه » .
 « اعتبر العربية كلفة أساسية » : « عامله كحيوان » .
 والاصح ان يقال : « ما احسنه متكلم ! » ، « ما
 احسنه كتابا ! » ، « دخل عليهم رئيسا للبلاد » .
 « فعل هذا منافاة له » : « قال تمليقا على كلامه » ،
 « اعتبرها لغة اساسية » « عامله معاملة الحيوان » .

ومن خصائص اللغة العربية ان يأتي جواب
 « اذا » في الزمان الماضي ، الا في حالات نادرة
 قليلة . فيقال مثلا : « اذا جاء زيد جاء عمرو »
 « اذا امتزج بكذا وكذا حدث كذا » لكن لا يقال :
 « ... يحدث كذا » . او « يجيء عمرو » . غير اني
 لاحظت مع الاسف ان هذا الاستعمال الماضي الجميل
 المناسب لم يعد له وجود تقريبا عند طائفة المترجمين ،
 لا لشيء الا لان الماضي لا يستعمل في جواب « اذا »
 في اللغات الاوروبية التي يترجم منها .

كذلك نشأ في اللغة العربية استعمال رطن
 خلفته الترجمة وهو تأخير الفاعل وتقديم ضميره
 عليه مثل ان يقال : « وفي حديثه من كذا وكذا قال
 الرئيس كذا » ، « وبعد وصوله الى المدينة استقبل
 القائد وفود المهنيين » والاصح ان يقال :
 « والرئيس في حديثه من كذا وكذا قال كذا » ؛
 « وبعد وصول القائد الى المدينة استقبل وفود
 المهنيين » .

وهناك ايضا استعمال شاع بتأثير الترجمة
 ايضا وهو اضافة اكثر من مضاف الى مضاف اليه
 واحد . مثلا « عنابة واهتمام الام بطفلها » « ذكاء
 ومقدرة رجل العلم ، والاصح ان يقال : « وعنابة
 الام بابنها واهتمامها به » « ذكاء رجل العلم
 ومقدرته » .

وكذلك وردت في احدى الترجمات هذه العبارة
 التي تعكس شدة العرص على الترجمة الحرفية
 والتقيد المستكروه بالاصل : « محبة الله نحو بنسي

اصول لاتينية ويونانية : اي الى اصول تشابه فيها لغة التعبير واللفظ والكتابة لوجود لحمه من النسب او لوجود وحدة عضوية بينها - اذ هي من ارومة واحدة ؛ فلكذلك اتسامل بيني وبين نفسي عما اذا كان يمكننا ان نفعل شيئا قريبا من هذا باللغة العربية . فهناك وحدة عضوية بين اللغة العربية وبين كثير من اللغات التي تسمى باللغات السامية . فما المانع ان نرجع اليها في وضع مصطلحاتنا ، ولا ضير في ذلك على اللغة العربية في شيء . بل هو مصدر افتناء لها ، كما ان الرجوع الى اللاتينية واليونانية لم يكن ليضير اللغات الاوربية في شيء بل لقد كان مصدر افتناء لها . وحذا لو كنت محيطا ببعض اللغات السامية لاحكم على مدى قابلية اقتراحي للتطبيق . ولكنني وطبسد الامل ان يصل هذا الاقتراح الى آذان الخبراء بالساميات لبيّنوا لنا مدى امكان الاستفادة منه . وعندئذ لا يقال ان لغة الضاد رديئة جدا من حيث التركيب المزجي .

واخيرا لي ماخذ على بعض الترجمات - حتى القيمة منها - وهو خلوها من ذكر المصطلحات العلمية واسماء الاعلام و عناوين الكتب في لغاتها الاصلية . فانا من حيث المبدأ افضل دائما ان اقرا الكتاب في لغته الاصلية لاني لا اتق بكثير من الترجمات . فغلا عن اني اشعر بغربة كبيرة وانا اقرا كتابا مترجما الى العربية . وكثيرا ما لا افهم ما اقرا ولا عنم اقرا . فالترجم حفظه الله كلما وجد مصطلحا علميا ترجمه بما يتراءى له او اثبت اسم صاحبه كما يريد ، وهذا من حقه . الا ان من حق القاريء عليه ان يثبت له المصطلح بلغته الاصلية وكذلك ان يثبت له اسماء الاعلام الى جانب النص العربي ، ليسهل عليه فهم الموضوع . والا ضاعت الفائدة المتوخاة من ترجمة الكتاب . فان كان القاريء خالي الذهن من الموضوع لم يفهم شيئا بطبيعة الحال . وان كان ملمسا به اصطدم بمصطلحات غير واضحة المعنى فاختلف فهمه للموضوع ولعن الترجمة والمترجمين .

والخلاصة ان الترجمة عمل مضمّن . فلا يقدم عليه من ليس اهلا له . فاما الزيد فيذهب جفاء . واما ما ينفع الناس فيمكنك في الارض .

نحن لا ننادي بعدم الاستئناس بالاساليب الغربية ؛ ولكننا نطالب بالحفاظ على خصائص اللغة العربية . فكل هذه الاستعمالات بجانب الدوق العربي والسليقة العربية والاصالة العربية ؛ ولقد شاعت في الصحف اولا حيث تترجم برفقيات وكالات الانباء حرفيا طلبا للسرعة ورددتها محطات الاذاعة والتلفزيون . ثم عمّت في الترجمات الرخيصة التي اقتدت بها . فليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف . ولكنها غريبة الدم والخير . ان هذه الاستعمالات لا تصدر ولن تصدر عن كاتب عظيم . بل هي لا تصدر الا عن صغار الكتاب والمترجمين . فلم اجد للمازني او العقاد او طه حسين وامثالهم استعمالات ركيكة كهذه . رغم انهم اغنوا الاسلوب العربي كثيرا بالاستعمالات الجديدة دون ان يضحوا بمقريته واصالته .

ولي ملاحظة احب ان ابديها في هذه المناسبة تتصل بتركيب المصطلح العلمي . فمن المعروف ان اللغة العربية فقيرة جدا في التركيب المزجي . فبينما يستطيع المؤلف في اللغات الاوربية تركيب اي مصطلح بالرجوع الى الاصول اليونانية واللاتينية بمسزج الجذور التي يصل اليها بعضها مع بعض نجد اللغة العربية عاجزة عن ذلك عجزا يكاد يكون تاما . فنرى المؤلف في اللغة العربية اذا اراد التعبير عن مصطلح غربي ما . اما ان يبحث كلمة جديدة قد لا تؤدي المعنى المطلوب فلا يتعقد عليها الاجماع . واما ان يستعمل جملة طويلة للتعبير عن مصطلح علمي واحد . واني في هذا المجال اقتراح لا اعلم مدى قيمته لاني اجهل الكثير من ملبساته . فثمن كانت اللغة العربية فقيرة في التركيب المزجي فهي غنية جدا في الاوزان . حتى اصبحت من هذه الناحية مدعاة اعجاب كثير من المستشرقين . وعلى فرض ان هذه الاوزان لا تكفي فيما يرجع الى اللغات الشرقية التي يطلق عليها احيانا اسم اللغات السامية . فنعل فيها اوزانا ليست في اللغة العربية . ولا يقتصر الامر في نظري على هذا . بل يمكن الاستعانة باللغات السامية من ناحية اخرى . رغم كل ما يقال من ان اللغة العربية اغنى منها جميعا . فكما ان الاوروبيين يرجعون الى

تطور النهضة الثقافية في الشام والمجمع العلمي اللبناني

الأستاذ محمد جميل بيهم

(لبنان)

الحملة الصليبية

لقد دعا كل من البابا سلفستر الثاني في سنة 393 هـ - 1002 م والبابا غريغوار السابع في عام 468 هـ - 1075 م ملوك أوروبا وأصحاب الأقطاعات لتخليص بيت المقدس . ولكن دموئيهما ذهبتا ادراج الرياح . حتى إذا ما شب الخصام بين الأسرة السلجوقية بعد موت السلطان ملكشاه ونشبت الحروب بينها بعد نحو عشرين سنة من هاتين الدعوتين كانت صرخة ناسك فقير هناك كافية لجمع كلمة الأوربيين من أجل انقاذ قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثماني حملات كانت اولها في سنة 409 هـ - 1096 م ، والاخيرة في سنة 669 هـ - 1270 م .

وبين هذه وتلك استقر الصليبيون في بلاد الشام مدة طويلة ، وتسلطوا على بيت المقدس الى أن تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام 532 - 589 هـ ، ثم كان المماليك البحرية خلفاء الأيوبيين بمصر سبب صد الحملات الصليبية الاخرى عن مصر ، واخراجها من كافة بلاد الشام .

غير أن هذه البلاد ظلت نحو جيلين دار حرب تكسد فيها سوق العلم والادب ، ولولا الحاجة الماسة الى العلوم الدينية لانصرف الناس عنها ايضا . هذا فعلا من كون أكثر بيوت العلم قد اقلت في تلك الحقبة وان المكتبات قد احرقت بفعل تلك الحروب . وحسبنا ان نذكر أن مكتبة طرابلس التي احرقت في عهد الصليبيين ، او احرقوها ، كانت على ما قيل تحفل

كثيرا ما لاحظت ان الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجمع العلمي اللبناني ويعود ذلك الى قلة السنين التي قضاها ، والى تقصيرنا ، نحن اللبنانيين ، في تدوين اعماله . وهي اعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رايت ان اتلاني هذا التقصير على ان اتخذ هذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخنا ، وأعني بها ناحية تطور نهضتنا الثقافية في بلاد الشام على مر العصور حتى الآن وذلك بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى بحسب رابطة الاسباب بالمسببات .

العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي « العرب والتراك في صراع بين الشرق والغرب » الذي صدر سنة 1957 جعلت هذا العنوان عنوانا للفصل الثالث منه . حيث بينت بالادلة ان القرون الثلاثة التي تبدأ بمطلع القرن الثامن الميلادي وتنتهي بختام القرن العاشر كانت قرونا ذات طابع عربي في العالم ، سواء اكان ذلك في النواحي السياسية والتجارية والصناعية ام في النواحي الصناعية والزراعية والثقافية ، وانها كانت كلها تقتبس من معين الحضارة العربية . ثم جعلت عنوان الفصل الرابع « ابن من سادوا وشادوا وبنوا » ذلك الفصل الذي تناول انهيار العرب ، وتغلب الاعاجم عليهم الى ان استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال هنا فسحا للتبسط في جميع اطراف هذا الموضوع ، وانما اكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية فقط ، وذلك نتيجة للاحداث السياسية .

بثلاثة ملايين مخطوطة . وكل ذلك كان من اسباب
ذبول الحضارة العربية في المشرق .

الحملة المغولية

وجاءت النكبة الثانية على الحضارة العربية من
المشرق فاودت بها . ففي غضون الحروب الصليبية
خف المغول الى اكتساح بلاد الشام . وهم قوم غزاة
كانوا ينزلون في منشوريا بين نهري سنكاري
والايرتس طالما هددوا الصين ، وتمرضوا لها حتى
اضطر احد اباطرتها شي هنج تي لتشييد السور
الكبير ، ابتداء من سنة 240 الى سنة 210 ق م
ليكون سدا بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو
على ما اثبت بكتابي « الاتحاد السوفياتي والصين
الشعبية كانك تراهما » بعد زيارتي له هو نفس سد
ذي القرنين الذي ورد ذكره في القران الكريم . غير
ان هذا السور لم يقو فيما بعد على دفع غارات المغول،
بل ان ملكهم جنكيزخان الذي انشا امبراطورية كانت
تمتد من بحر اليابان الى بحر قزوين فقد تصدها الى
الصين وفرض على حكومتها الشرقية جملا لقاء حراسة
الحدود ، كما ان ولده كوبيلاي نقل عاصمة بلاده من
قره كروم الى بكين .

وكان جنكيز خان يرسو بعين الطمع الى بلاد
الاسلام لما بلغه من خيراتها وعمرانها ثم لما علمه من
تنازع ملوك الترك في اطرافها ، بالاضافة الى ضعف
الخلفاء العباسيين الذين لم يترك لهم هؤلاء الاماجم
الا السلطة الروحية ، فتقدم اليها حتى استولت
على تركستان . ولكن الاجل عاجله قبل ان يدرك
امنيته من البلاد العربية . ولما بويغ الخان منكوبن
طولي سنة 1246 م عهد الى قائده هولاقو فتح بغداد،
كما عهد الى قادة اخرين اكتساح اقاليم اخرى .

وقد ارسل هذا الخان وفدا الى لويس التاسع
ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية
السابقة . بدعوه فيها للاتفاق بينهما على المسلمين ،
كما ان عطف هولاقو على النصارى - اذ كانت امه
وزوجته مسيحيتين - اغرى البابا اسكندر الرابع
بدعوته الى اعتناق دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته
على المسلمين، ولكن هولاقو استنكر هذه الدعوة وبقي
على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينهما
فلم يصل الى توحيد العمل وانما اقتصرت العلاقات
بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولاقو بغداد سنة 656 هـ - 1258 م
قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها والقوا في

دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال م 19
من 392 ، « شيئا لا يعبر منه » ثم لما استتب له
الامر فيها سير جنوده الى فتح الشام ، وقد تمكنوا
من الاستيلاء عليها حتى بلغوا غزة ، غير انهم لم
يتمرضوا للثغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين،
واهمها انطاكية وبيانا ومكا . اما نظامهم فيها
ولاسيما في حلب فعلى قول ابن العبري تجاوزت
الجد الذي ارتكبه في العراق . وكان اشدها تمريضهم
للمكتبات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها .

نتائج الحملات الصليبية والحروب المغولية في الناحية الثقافية

ان الملوك اذا دخلوا قرية جعلوا عاليها سافلها
فيكفي القول ان بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها
من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن
اي من مطلع القرن الحادي عشر للميلاد الى اواسط
القرن الثالث عشر يكفي هذا القول لتقدير سوء
احوالها المادية والمعنوية فضلا عن الثقافية . ولاسيما
اذا اضفنا الى ذلك الحروب الداخلية بين الاسرة
السلجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل ايوب ، ناهيك
بالفتن الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من
حصيلة كل ذلك اندراس المكتبات ، واقفال المدارس ،
وضياع الاوقاف المحبسة على تلك المدارس
والاعمال الخيرية، وتحطيم الاقلام وتقليص التراث على
ان هذه الكوارث لم تنته بانتهاء القرن الثالث عشر ،
وانما استمرت وبرزت على اشدها في مطلع القرن
الخامس عشر بحملة تيمور لنك التركي على آل
عثمان وعلى بلاد الشام فقضت على البقية الباقية من
معالمها الثقافية .

وتجدر الإشارة هنا الى ان العلم كان قد النجا
بعد سقوط بغداد الى مصر وسوريا . وقد رهنا
الايوبيون بمصر والمماليك بعدهم فازدهر بمصر ،
وانتمش ببلاد الشام التابعة لهم الا أنهم طاردوا
الفلسفة ولاحقوا ذويها . وفي ذلك الحين تناولت
حلب علم الزعامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها
على رواية محمد كرد علي في خطط الشام « ثلاث
مدارس للطب ومدرسة للهندسة » ولكن هذه المدارس
وغيرها قضت عليها حملة تيمور لنك فاضاعت
الشهباء ازدهارها .

وعلى كل حال فلولا تلك النهضة العلمية التي
برزت بمصر خلال حكم بني ايوب وخلفائهم المماليك
وشخص الطلبة السوريين لتلقي العلم ولاسيما في

وأما الشعب فلم يكن أحد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ بالتماس مع العالم الغربي بالمدارس والتجارة والهجرة ، وأصبح تواقا للمعرفة ومجاعة الركب العالمي فلم يمه الاقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان علاوة على المدارس الخاصة التي انشأتها الطوائف . فكانت العاقبة ان رعايا السلطنة العثمانية ، الذين هم في الاصل لا يشكلون وحدة قومية ، امسوا كتلا متباينة الاهداف في السياسة ، ومتباعدة في النطاق الملى . وكل ذلك افضى في النهاية الى متاهب واجهتها السلطنة هجلت بزوالها .

ومن رعى لغنا في ارض مسبعة
وغاب عنها تولى رعيها الاسد

النهضة الثقافية الحديثة في الشام :

اثر اختلاط الغرب بالمسلمين في بلاد الشام والاندلس وصقلية ، وفي اعقاب هجرة علماء بيزنطة الى بلادهم بعد فتح العثمانيين عاصمتهم القسطنطينية سنة 857 هـ - 1457 م انتفض الغرب انتفاضة جبارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كانت منطلقا لحياة جديدة في الاجيال اللاحقة . ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية ، وانما تناولت الشؤون الاقتصادية ، وتركزت على القوة العسكرية .

ولكن الغرب على الرغم من انصرافه الى بناء مطرد لم ينس ابدأ بيت المقدس . وآية ذلك ان ملك اسبانيا فيليب الثاني افتتم فرصة وجود الامير فخر الدين المني الثاني في ضيافته بصقلية وذلك في مطلع القرن السابع عشر ، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة . ولكن على الرغم من خصومة الامير لهؤلاء ابي واستنكر وفضل العودة الى بلاده على التواطؤ مع الاجانب على دولته ، وعلى مقدساته .

ثم لما جاء عهد الاستعمار وانتقلت المبادرة الى الدول الاوربية ظلت فلسطين ماثلة امام امين هذه الدول ، ولاسيما حين تدامت السلطنة العثمانية ، واصبحت كل واحدة منها تسمى لان تؤمن نصيبها من ارث الرجل المريض .

وقد وضعت اعتمادها على الارشاليات التبشيرية التي كانت بمثابة طلائع جيش الفتوح لان هذه الارشاليات لم يكن يعمد اليها التبشير بواسطة المدارس فقط ، وانما كانت تعمل كدائرة

ازهر ميودها لاندرست الثقافة في بلاد الشام ، ولما بقي فيها عالم او اديب بالمعنى الصحيح . وعلى الرغم من ان كثرة العلماء امسوا فيها من الحشويين الذين يختارون في التأويل الغريب المدسوس على الصريح المعقول ، ومن ان اكثر الادباء امسوا يمتنون بالالفاظ الرنانة والصبغات المنمقة دون المعاني ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فان البلاد لم يدركها القحط الكلي . بل ظهر فيها من العلماء والادباء نفر اتيح لهم ان يحتموا بالشهرة كابن عساكر المتوفي سنة 616 هـ ، وابن الفارض 645 ، وابن الاثير 637 ، وابن تيمية الولود سنة 661 .

عهد السلطنة العثمانية :

كان من المفروض في بني عثمان الذين اتيح لهم ان يقيموا امبراطورية عظيمة على انقاض الممالك العربية وعلى انقاض الامبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك العصر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض ان يستغلوا مخلفات هاتين الامتيسين وان يعطوا العالم حضارة جديدة او ان يسيروا على الاقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باستثناء سلاطينهم الاولين الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والادب ، وتحلوا بهما انصرفوا عن كل ذلك الى حروب كانت غايتها في البداية التوسع في اوربا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الحربية ، ثم الدفاع عنها تجاه الاتحاد الاوربي المقدس الذي ابرم ضدهم . وبهذا وذلك ظلوا يبيدين عن العلم والادب ، فما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من الغرب الا بعد ان اشرفت دولتهم على الانهيار . على انهم ما ان فكروا في وجوب الخروج من نطاق الجهود وباشروا الاصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية فانشا السلطان مصطفى الثالث (1757 م - 1774) مدرسة الفنون الحربية . ولكن السلطان محمود الثاني (1808 م - 1839 م) ما ان اتيح له القضاء على الاكتشافية ، هذه الطغمة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى عمد الى الانطلاق في سبيل الاقتباس من اوربا . وفضلا عن بنائه المعهد الطبي باسطنبول فقد اوفد بعثة من الطلبة للتخصص في معاهد اوربا . كما ان خلفاءه شرعوا يمتنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز انشاء مدارس اعدادية وعسكرية كانت الغاية منها اعداد الموظفين للحكومة ، واعداد الضباط للجيش .

والخيرية منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا في البداية الى اللجوء للتعاون مع الاجانب ، الذين كانت تحميمهم الامتيازات من اجل تأليف الجمعيات المنشودة . وقد الف بعض علماء بيروت وادبائها سنة 1858 بالتعاون مع بعض المرسلين الاميركان « الجمعية العلمية السورية » التي كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة وخدمة الادب فعاثت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث ان هادت للحياة في عام 1867 ، واصدت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكنها لم تمش طويلا .

وفي اعقاب ذلك تبدل الوضع في سوريا حينما نصب مدحت باشا الملقب بابي الدستور واليا عليها سنة 1829 م . فهو اذ كان يطمح بالاستقلال في بلاد الشام على فرار خيدوية مصر بتشجيع من فرنسا شرع يتحجب الى اهله فاطلق لهم شيئا كثيرا من الحرية . وكان الجو الذي بدا في ايام ولايته وما بعدها مشجعا لبعض اهل العلم والادب من البيروتيين لان يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة 1881 بالاستقلال عن الاجانب . ولعلمهم اختاروا هذا الاسم لجمعيتهم من قبيل التمثل بالاوروبيين ومحاكمتهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العامين من العمر . فانبرى بعيد ذلك المطران يوسف الدبس لانشاء الدائرة العلمية المارونية برئاسة . ولم تكن اطول عمرا من سابقتها . ذلك بان السلطان عبد الحميد الثاني (1876 - 1909) لم يكن يرتاح للتكتلات الشعبية - الامر الذي ادى الى انحلال الجمعيات الخيرية ايضا ، وفي مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية . ولولا ان جمعية شمس البر الادبية كانت تستند الى رعاية الاميركان وحميتهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) . ولا بدع فلقد كان عهد هذا السلطان شديدا للحد من مؤامرات الدول الاجنبية التي كانت تحاك حوله . والى ذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذي تخرج في المدارس الاجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حملته على التشديد في المراقبة والمقابلة على الشبهات احيانا . من ذلك ان شاعرا بيروتيا ، واظنه مصباح البربري نظم قصيدة غزلية كان مطلعها :

ان حبي كل يوم في ازدياد

والهوى ياتي على غير المراد

فقامت قيامة الولاية في بيروت ، وانتصب

استخبارات لتسهيل الفتح ، والاعداد له بشتى الوسائل ومهما يكن من امر فان هذه الارساليات التي ترجع اولها الى عهد الامير فخر الدين المني المشار اليه فانها ولا شك عملت لبث نهضة ثقافية في سوريا ، ولاسيما بلبان رافقتها نهضة تجارية واجتماعية .

ثم كان لاحتلال نابوليون بوناپرت لمصر سنة 1213 هـ - 1798 م اثر كبير في نهضة الشرق العربي ذلك لان هذا الفاتح الكبير استصحب معه لوادي النيل بعثة علمية فنية كانت حافلة باشهر علماء فرنسا ، فوضعت التصاميم الاصلاحية وقامت ببعض المشاريع العمرانية التي كانت فيما بعد منطلقا لنهضة هذا المشرق الحديثة في عهد الاسرة العلوية ، وخديويها ولاسيما في لبنان الذي ساهم اينآؤه في النهضة المصرية .

النهضة الثقافية في لبنان :

منذ عني الاوروبيون بطباعة الكتب العربية وترجمتها في مطلع القرن الخامس عشر بادروا للاستعانة ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولاسيما رجال الاكليروس . فانتقل هؤلاء الى روما والسواكن اكثر العواصم الغربية والجنوبية ، وساهموا فيها بأعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزا لهم وللمتخلفين منهم للالتفات الى وطنهم ، فانشأوا في عام 1042 هـ - 1632 م المدرسة الاولى في قرية حوقه ، والثانية في حلب عام 1073 هـ - 1662 م وكانت اولى المطابع تلك التي استجلبها البطريرك اثناسيوس دباس الى حلب في مطلع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب الحلبي عبد الله زاخر في دير مار يوحنا الطيبة في الخنشارة بلبان ، وفي غضون تسابق الدول الاجنبية الى فتح المدارس التبشيرية في المدن والقرى في كل من ولاية بيروت ومتصرفية لبنان وغيرهما ادرك البيروتيون ، وعلى رأسهم رجال الدين مغبة ترك تربية اولادهم لسواهم فخفت كل طائفة منهم لانشاء المدارس الوطنية .

وكان من نتيجة انتشار العلم في الساحل السوري على وجه عام ذلك الاقبال الشديد الذي برز من قبل مثقفي الشعب على المزيد من فتح المدارس واصدار الصحف ، وانشاء المطابع ، وقراءة الكتب وتاليفها . وقد رافق هذا الاقبال ميل من الشعب لتأليف الجمعيات ولاسيما الادبية

الجزان . لماذا ؟ - لان للسلطان اخا اسمه مراد كان قد اتهم بالخبل فخلع وبويع السلطان عبد الحميد مكانه . ومن هنا اتهم الشاعر بأنه يعرض بالعاقل المخلوع وسيق للمحاكمة .

وفي عهد كهذا ليس من المنتظر ان تتألف الجمعيات ، واذا تألفت لم يكن من المقدر لها ان تعيش .

المجمع العلمي اللبناني :

حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الوفيرة فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب . ولما أصبح له كيان سياسي في عهد الانتداب الفرنسي بالقائون الاساسي والحكم الدستوري اتجهت انظار الطبقة المثقفة فيه الى ان تكون له هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي ، وذلك بانشاء مجمع علمي اسوة بسوريا منذ عام 1919 . وكان الشيخ ابراهيم المنذر الاديب الكبير عضوا في المجلس النيابي اللبناني فثار هذا الموضوع . ثم كانت له وقفات حوله قوية خلال عام 1927 سرعان ما التمرت فقرر المجلس انشاء المجمع المنشود على الرغم من ان الانتداب الذي كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تبعيته عن شقيقاته لم يكن راضيا عن هذا العمل . واستنادا الى قرار المجلس المذكور اصدر رئيس الجمهورية الاستاذ شارل دباس قانونا بانشاء مجمع علمي لبناني وذلك في 20 شباط 1928 غاية المحافظة على اللغة العربية ورفع شأنها ، والعناية بالمباحث والاممال المتعلقة باصولها وآدابها والمحافظة على الآثار ، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته ، وغير ذلك مما يتعلق بادرارة الشؤون العلمية وتنظيمها . واصدر مرسوما آخر بتعيين السادة الآتية اسمائهم اعضاء لهذا المجمع : الشيخ ابراهيم المنذر ، والشيخ عبد الله البستاني ، والشيخ امين تقي الدين (1) ، والشيخ منير عسيران ، والشيخ محمد الحسيني ، والاستاذ بولس خولي ، والبطريرك اغناطيوس الفرام الرحماني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخولي بولس عبود ، والاستاذ وديع عقل ، والاستاذ الياس فياض ، والشيخ احمد عمر الحمصاني ، والاستاذ عيسى اسكندر العلوف ، والاب لويس العلوف ، والشيخ حسين مغنية .

وفي التاسع من شهر اذار 1928 افتتح المجلس اعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذي كان وزيرا للتربية الوطنية ، وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ عبد الله البستاني رئيسا ، والشيخ احمد عمر الحمصاني ، والاستاذ وديع عقل ، معاونين للرئيس . وقد اتخذ المجمع في اول الامر وزارة المعارف والتربية مقرا له ، ثم انتقل الى دار الكتب الوطنية ، ووالى اجتماعاته فيها الى ان استقل في دار له خاصة .

وقد حالت بعض الاسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والاب لويس مطوف ، والاستاذ عيسى المطوف ، والشيخ محمد الحسيني والشيخ حسن مغنية في جلسات المجمع الاولى فقرر اعتبارهم اعضاء مراسلين وانتخب بدلا عنهم السادة : الشيخ علي زين ، والخوري جرجي ستيبي « الذي أصبح من بعد مطران السرايان بدمشق » ، وجرجي صفا ، واسد رستم ، ومحمد جميل بيهم . ونتيجة لهذا التبدل اجتمع المجمع في 25 تشرين الاول 1928 وانتخب الاستاذ وديع عقل رئيسا له ، والياس بك فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع خلاله نظامه الداخلي .

ولما اترف موعد الانتخاب في السنة التالية ، وشعرت السلطة ان نية اكثر اعضاء المجمع منصرفة لانتخابي للرياسة تحركت فوراً لاني كنت من اشد المعارضين بلبنان للانتداب ، والمنادين بالوحدة العربية . وقد مهدت الى الشيخ بشير الخوري المنسوب من وزارة المعارف للاشراف على الانتخابات السمي لتوجيه الاعضاء الى تجديد الرياسة للاستاذ وديع عقل ، وذلك في جلسة الانتخاب المحددة في 18 تشرين الاول 1929 ولما باوت مساميه بالفشل تحول بكليته الي ، وشرع يقنعني بالتخلي عن الرياسة للاستاذ عقل لسنة اخرى على ان اعلن ذلك لزملائي . فكان جوابي له : اني لم اكلف احدا منهم ان ينتخبني ، كما اني لا اعلم من هو المرشح عند كل منهم فكيف يسوغ لي من بعد ان اطلب منهم ان لا ينتخبوني لمنصب الرئاسة واعرض نفسي لقول قائل : من اخبرك اني مزعم ان اصوت لك ؟ . ولما استولى عليه الياس اجل الانتخاب ريثما يقابل نسيبه الرئيس

(1) وهم من المشايخ المدنيين الذين تحمل اسمهم هذا اللقب .

المحصاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، وجرجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد اليها على خير وجه في جو من التعاون والوثام ورفعت الى المجمع تقاريرها لتكون اساسا للبحث والاقرار ، ومن ثم للتنفيذ .

تقرير اللجنة الادارية :

تناول التقرير الاوضاع العلمية والادبية في البلاد العربية ولاسيما لبنان، كما تناول انشاء المجمع العلمي اللبناني واعماله منذ نشأته حتى ذلك التاريخ، و اشار الى ما عقد العزم على تحقيقه في تلك السنة وما بعدها . ولاسيما في حقل توثيق العلاقات بينه وبين الجامعات العربية الاخرى . كما انه اشار الى بعض الدعوات الخارجية التي وردت له، وعلى راسها دعوة المجمع الادبي العام في باريس .

تقرير اللجنة اللغوية :

بعد ان اكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر الجامعات العلمية العربية ، وبمقد ان اشار الى آراء طائفة من اكابر كتاب العرب بشأن اصلاح اللغة توصلت اللجنة الى الاستنتاج بان هؤلاء على خلاف في وجهة المسير . فبينما يقبل بعضهم ما يقدره الافراد المعنيون باللغة فان البعض الاخر كان يرى ان للمجامع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة . وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم راي المجمع العلمي اللبناني قبل ان يجرم في هذا الشأن ان ينتدب رئيسه الحالي الاستاذ جميل بيهم فيقصد مصر . ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض : ويسمى لاجداد صلة بين الهيئات اللغوية والجامع العلمية في الاقطار العربية تمهيدا لمقعد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لاجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية . ولقد سافر الاستاذ الرئيس الى مصر فقابل وزير المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبسط لهما مهمته فلقى منهما الارتياح التام . ثم اخذ يث الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعده على ذلك بعض اهل الفضل والوجاهة بما فقدوه من حفلات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تالفت لجنة في القاهرة من كبار مفكرها وعلمائها جعلت همها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطل المعهد حتى نقلت اليها الصحف البشري بانشاء المجمع المصري للثقافة العلمية وترقية اللغة العربية »

الشيخ بشارة الخوري . ولم يلبث الا قليلا حتى عاد حاملا الي بشري الوعد بتعييني وزيراً للمعارف والتربية الوطنية اذا تخليت عن رياسة المجمع . فقلت له مبسما انت تعلم يا شيخي اني لست من طلاب الوظائف ، كما تعلم ايضا ، مما نشرته الصحف في حينه ، اني كلفت باشغال مناصب عالية من قبل فرفضت التعاون مع العهد ، فكيف تريدني التحول الآن من مبدئي ؟ لهما وسع البشير الا السكوت علي مفض . ولما جرى الانتخاب يومئذ اسفر عن احرازي معظم الاصوات للرياسة ، ومن انتخاب الشيخ ابراهيم المنذر والاستاذ سعيد عقل معاونين لهما . وهنا مجال للتنبؤ بالاستاذ عقل هذا الرجل الوطني الموهوب ذلك لانه تعاون معي في نطاق خدمة المجمع وكان شيئا لم يقع من قبل، وكرس جريدته الراصد للتكلم بلسانه .

وكان اول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظامه الداخلي الموضوع في العام الفائت يتوزع تقسيم امضائه على اربع لجان عهد الي كل منها ان تعمل بجهد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة اليها وهي :

اللجنة الاولى « الادارية » ومهمتها القيام بالامال الادارية ، وتحضير الموازنة المالية كل عام . وكانت تتالف من السادة : محمد جميل بيهم ووديع عقل و ابراهيم المنذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » ومهمتها التدقيق في وضع الكلمات والمصطلحات للمعاني العلمية الجديدة والمسميات الحديثة . والتعاون مع الجامعات العلمية العربية الاخرى توصلا لوضع معجم يوفى حاجة العصر . وكانت تتالف من الشيخ منير ميران ، والشيخ ابراهيم المنذر والياس بك فياض والشيخ امين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » وعهد اليها بالاضافة الى التحقيقات التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على اسلوب علمي حديث . وكانت تتالف من الاساندة اسد رستم ، وبولس الخولي . والخولي جرجس ستيني . والسيد علي الزين ومحمد جميل بيهم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » وعهد اليها بوضع احصاء عام للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية ، وترتيب تدوينها على طريقة علمية تسهيلا لمراجعتها . وكان قوامها الشيخ احمد عمر

والفرنسية في بيروت . فطلبنا الى حفصة الاب هنري لامنس اليسوعي ان يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، والى الاب جبرائيل لوفتك ان يكتب مقاله في جغرافية الجبل الاقتصادية كما انا رفينا الى بعض اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت ، وهم الفريد داي ، ويوليوي برون ، والدكتور ويليم فانديك الكتابة في جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه . واما القسم الاكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ عن البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام . وفي كل منها حقول متنوعة تتناول المدن والقرى ومدد النفوس فيها ، والمداهب ، والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والعامل والماهد العلمية ، ومواطن الآثار، واهم الحاصلات الزراعية والمنتجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون عدا اماكن الاصطياف ، ورفعنا هذه الجداول الى وزارة الداخلية الجليلية لتامر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية . وقد اعدت الجداول المذكورة بمعاية ، وعهد بها الى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح . ولتنسيقها .

تقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

اشار التقرير الى الصعوبات التي تعترض من ينقب عن هذه المخطوطات ، ولاسيما لان اكثرها كان موزعا على مكتبات جامعة لم تعمل بعد ايدي الباحثين للتحري عنها . واكثرها غير معروف ثم بينست اللجنة انها بدأت باحصاء ما في مدينة بيروت ، وانها ستشرع من بعد في البحث عما يوجد في غيرها من المخطوطات حتى اذا اكتمل العمل تنظم منه مجمعا محيطا ليسهل الرجوع اليه على ان يشمل هذا المعجم اشارة الى موضوع كل كتاب . والى الزمير الذي وضع فيه ، واذا كانت له مزية اخرى . وختمت اللجنة التقرير بذكر ما احصته في مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الاميركية :

183 مجلدا و 134 رسالة

مكتبة الآباء اليسوعيين :

245 مجلدا و 44 رسالة

وبعد ان اشار التقرير الى البيان الوافي الذي وضعه سنة 1928 الشيخان عبد الرحمان سلام ، واحمد عمر الحمصاني في كيفية المحافظة على اللغة العربية ، واوجزه بما ورد في الختام : «لذلك نرى ان باب الاستتاق في اللغة العربية يجب ان يفتح على مصراحيه توصلا الى استخدام الافعال والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر ، فيتسع بذلك مجال الانشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانيون من المشاق والمصائب » ومضى يقول : « وسننظر فوق ما تقدم في اصول اللغة ، اي قواعدها الاساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والانشاء . وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الائمة لم يطرح منها باب ، ولا عدلت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لانهم رزحوا تحت امائها ، وضاعوا بين المؤلفات الضخمة ، والآراء المتباينة ، والقواعد المعقدة التي يجب ان تطرح من كتب اللغة سهلا لتناولها . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الامنية من الصعوبة تجاه الثمنتين . ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على عظمتها وتمايزها الشاملة مستعينين باقطابها المدققين العالمين الضاربيين في مشارق الارض ومغربها . »

تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

اشار التقرير الى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على احوال بلاده وثقوا صحيحا ويلم بكل ما فيها من العالم والآثار بالاضافة الى تزامم كبار اللبنانيين الذين تركوا غير ذكر في العلم والادب او الوجاهة مع العمل البناء لم يفسى يقول :

« لما كان العالم العربي في الشرق والغرب في حاجة الى المراجع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة ان يعني المجمع في بدء اعماله ، مناية خاصة ، بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والانهار والجبال في الجمهورية اللبنانية ، وان يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفريق من اساتذة الجامعتين الاميركية

عربية على ان يجعل من هذا النادي دارا للمحاضرات
ومحجا لطلاب المعرفة .

الفاء المجمع العلمي اللبناني :

كان بين الاستاذين الحاميين اميل اده والشيخ
بشارة الخوري تنافس على الرياسات في عهد
الانتداب وبعده . فلما خلف الاستاذ اده الشيخ
بشارة على رئاسة الوزارة ، وهو رائد من رواد هدلة
لبنان واهتمامه على فرنسا لم تترك له اتصالات
المجمع العلمي اللبناني بالمجامع العلمية واللغوية
العربية . لذلك فوجيء المجمع في عهده بمرسوم
صادر من رئاسة الجمهورية مؤرخ في 3 شباط 1930
يقضي بالغائه تحت ستار التوفير على الخزينة .
فكان لهذا المرسوم اثر سيء ، ولا سيما على اعضاءه
الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، ولا يريدون جزاء
ولا شكورا ، فقدموا استدهاء الى وزارة الداخلية
بطلب الترخيص لهم لمتابعة العمل باسم المجمع المذكور
دون الاعتماد المالي . ولكن المجمع اضطر فيما بعد الى
التوقف لان مؤسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات
لا يطول عمرها اذا لم تمدها الحكومات بالمساعدة .
ثم ما برح اعضاء المجمع ، الذين كانوا يشعرون
بالفراغ . يطالبون باعادته . وقد استجاب لهم المجلس
النيابي عام 1944 . وفرر تخصيص مبلغ من المال
لامادة المجمع . ولكن الحكومات المتتابعة ضربت
صفحا منه فقضى نجه هكذا قبل القطاف .

وفي هذه المناسبة يطيب لي ان اذكر ان مكتبة
المخطوطات في داري تحتوي على 41 مخطوطة بعضها
ليس له نسخة ثانية في المكتبات الاخرى .

الى الامام في خدمة العرب والعربية

وقد استمع المجمع الى تقارير لجانه وناقشها ،
وحدث اعضاءها على المزيد من النشاط حبا بالقيام
بالتبعية الملقاة عليهم على حير وجه . وقرر في الجلسة
التي عقدها يوم 29 اذار 1929 تكليفني بأن اتصل
بالمجمع العلمي العربي بدمشق من اجل التماسون على
تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذي كنت دعوت له
في مصر فانجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت مقالا لصاحبها
الاستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع اكمال
دائرة المعارف التي اصدر بعض اجزائها الاستاذ
بطرس البستاني قبل حين فرحب المجمع بهذا
الاقتراح وفوض الى اثنين من اعضاءه : الشيخ عبد
الرحمن سلام والاستاذ جرجس صفا ، لدرس هذا
الموضوع ول يقدم كل منهما تقريرا في الوسائل التي
يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح . وفضلا من ذلك
فقد قرر انشاء ناد يشتمل على مكتبة عامة ، ومجلة



حوار علماء الترسيين (١)

مِيزة البيكان في نشأة الإنسان كيف نشأت اللُغة في المجتمع البشري؟ الأستاذ غليلك عبدالله

المقدمة :

طريق علمي ... وبعد استحضار الطرق واستقراء الأدلة ، يبقى الراجع منها لبعض عناصر هذا البحث قائما على الاحتمال .

أذن لابد لنا من دراسة ما قاله التاريخ القديم . وما جاءت الكتب السماوية حول هذا الموضوع . كما لابد لنا من أن نحقق فيما وصل اليه علماء اليوم سواء في الجيولوجيا او في الفلك او في النفس او في الحياة والحيوان والنبات او في الفيزيولوجيا والذرة . وما شابه ذلك .. ثم نخرج بنظرية او اكثر حول هذا البحث لعل فيها نفعا للباحثين .. ومتمعة للمتفكرين .

النظرة الحيوانية :

لقد درجت اغلب علوم العصر وعلمانه في مختلف المجالات الطبيعية والحياتية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والكونية وغيرها كثير .. على تبني مبدا التطور . والبناء على اساس مذهب التطوريين .. فما هذا المذهب ؟ .. وماذا يقول ؟ .. وما هي نسبة الصواب فيما يقول ؟ ..

يعود هذا المذهب الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما اسدر دارون (Darwin) كتابه المسمى اصل الانواع - سنة 1859 ، ومن ثم كتابه الثاني اصل الانسان - سنة 1871 . ومن ذلك الزمن تغيرت نظرة الانسان الى نفسه . والى

حادثة البيان عند الانسان من الحوادث الغامضة ، والمثيرة جدا ، وهي ايضا مفرقة بالتمعبد ، لا يكاد انسان اليوم يجد لها جوابا مقنعا .. حيث انها تتعلق بتاريخه الغامض . بعض الشيء ؛ كما يدور حولها تكهنات عديدة ، وي طرح على بساطها عدة اسئلة . هي :

اولا - كيف نطق الانسان الاول وابان من مدركاته ؟ ..

ثانيا - باية لغة نطق ؟ ..

ثالثا - هل كان لديه ذخيرة من الالفاظ اطلقها على المراد بيئته بيمتنس الحال ام انه تناول الفاظه من تلك البيئة ؟؟ ..

رابعا - هل كانت تلك اللغة الاولى التي دوت الفاظها على البسيطة هي ام اللغات . واصلها الامسيل؟ .. ام ان لكل لغة نبعا مستقلا ؟ ..

الجواب عن هذه الاسئلة وامثالها . يحتاج الى جهد كبير لكي يوفيه الباحث حفتها . ولانها مفرقة في الابهام . عميقة عمق التاريخ . ولابد لمن اراد ان يتحدث عنها من تقصي كل ما قيل عن الانسان الاول . سواء من طريق نقلي او من طريق عقلي . او من

التطوري . ولذلك نكل الكائنات الحية متساوية القيمة . وليست فكرة التقدم الا فكرة انسانية . ومن المسلم به ان الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة او الفار .

« ولم تصفر الهوة هنا بين الانسان والحيوان . نتيجة المبالغة في اعطاء الحيوان صفات الانسانية ؛ وانما نتيجة التقليل من الصفات الانسانية في الانسان . ومع ذلك فقد ظهر منذ عهد قريب اتجاه جديد ، سببه في الغالب زيادة المعرفة واتساع نطاق التحليل العلمي »

« ان الخطار يتأرجح ثانية : وتتسع الهوة بين الانسان والحيوان مرة اخرى . وبعد نظرية دارون لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا (1) ولكنه بدأ يرى نفسه حيوانا غريبا جدا . وفي حالات كثيرة لا مثيل له . وتحليل تفرد الانسان من الناحية البيولوجية لم يبلغ نمائه بعد . وما هذا المثال الا محاولة لعرض مركزه الحالي ...

« وأول خصائص الانسان الفذة ، واعظمهما وضوحا . قدرته على التفكير التصوري - التخيل - ولقد كان لهذه الخاصية الاساسية في الانسان نتائج كثيرة .. وكان اهمها نمو التقاليد المتزايدة - الناشئة من رصيد التجارب الانسانية - ومن اهم نتائج تزايد التقاليد - او اذا شئت من اهم مظاهره الحقيقية - ما يقوم به الانسان من تحسين لمبىا لديه من مـدد وآلات .. وان العدد والتقاليد لمي الخواص التي هيأت للانسان مركز السيادة بين سائر الكائنات الحية ... وهذه السيادة « البيولوجية » - في الوقت الحاضر - خاصة اخرى من خواص الانسان الفذة « (ص 5/3)

وهكذا يضع علم الحياة - الانسان - في مركز مماثل لما انعم به عليه كسيد المخلوقات .. كما تقول الاديان .. (2) » .

« ولقد ادى الكلام والتقاليد والعدد الى كثير من خواص الانسان الاخرى التي لا مثيل لها بين المخلوقات الاخرى ، ومعظمها واضح معروف » .

« والانسان لا مثيل له ايضا كنوع مسيطر . اذا انقسمت كل الانواع الاخرى المسيطرة الى مئات والآلاف كثيرة من الانواع المنفصلة ، وتجمعت في اجناس

كونه والى تاريخه .. حيث دوت نظرية دارون معلنة ان الحياة قد تطورت من الخلية الواحدة الى الانسان المعقد .. وهذا الانسان قد تطور من حيوان سابق الى حيوان يشبه الانسان (القرد) الى انسان يشبهه الحيوان (الحلقة المفتوحة) .. الى الانسان .

ولقد حطبت هذه النظرية كل ثبات في نظر العلماء والعامية وساعدها عدة عوامل قوية في ميادين السياسة والحضارة والمعتقدات - لا مجال الى شرحها هنا - وتلقاها الجميع بذهول ثم بكل ترحيب . وحملها العامة والخاصة . العلماء والسوقة ، بكل نشوة ومصبية فترة من الزمان ، بدون اعمال العقل وتحكيم الضمير .. وكان الزمان كغيبلا بأخاد هذه الثورة في النفوس .. ورجع هؤلاء الناس الى عقولهم ، وتناولوا النظرية من جديد ؛ بحثا وتدقيقا .. فكان منهم من ردها نهائيا . ومنهم من عدل لميها . ومنهم من بقي ينفخ في رؤوس الناس لقبولها ، مستهدفا بعض الغايات .. - او الاخرى نفس الغايات التي وجدت النظرية بسببها - .

العالم الدارويني الحديث - جوليان هكلي - يؤمن بالتطور كاستاذة دارون ولكن يخالفه بحيوانية الانسان . ويمتقد ان الانسان متسرد بيولوجيا وسيكولوجيا ويتطور على قاعدته الانسانية الخاصة لا على القاعدة الحيوانية . كما يرمع هكلي من الانسان صفة المادة البحتة ، ويلفت النظر الى عمل الفطرة الخلقة في نفس الانسان (بيولوجيا) وان له خصائص لم تلاحظ في أي حيوان . ولهذه الخصائص آثار متفردة .

ولنستمع اليه يقول في كتابه (الانسان في العالم الحديث) - ترجمة حسن خطاب - « لقد تأرجح الانسان كالخطار (البندول) لميما يتعلق بمركزه بالنسبة لبقية الحيوانات ، بين اعجاب الشديد او القليل بنفسه . يفصل بينه وبين الحيوانات هوة سحيقة جدا ، وهيئا آخر هوة صغيرة جدا . »

« ويظهور نظرية دارون بدا الخطار (البندول) يتأرجح مكسيا ؛ واعتبر الانسان حيوانا مرة اخرى .. ووصل الخطار شيئا فشيئا الى انفس مدي تأرجحه ، وظهر ما بدا انه النتائج المنطقية لمروض دارون . فالانسان كغيره من الحيوانات . ولذلك فان آراءه في معنى الحياة الانسانية ، والمثل العليا ، لا تستحق تقديرا اكثر . من آراء الفودة الشريطية او بكتريا الباشلس . والبقاء هو المقاس الوحيد للتجساح

ومصائل عديدة ومجموعات أكبر . أما الإنسان فلنفسه حافظ على سيادته من غير انقسام . ولقد تم تنوع سلالات الإنسان في حدود نوع واحد .

« واخيرا فان الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية في طريقة تطوره .

« وللانسان خاصية اخرى بيولوجية ، وهي تفرد تاريخ تطوره .. ونحن الآن في مركز يسمح لنا بتعريف تفرد الانسان في تطوره . واما خاصية الانسان الجوهرية ككائن هي مسيطر فهي « التفكير المعنوي » .

ولقد كان بحثنا حتى الآن بطريقة ميسرة في خصائص الانسان من ناحية التطور والمقارنة . والآن نعود اليها . ونبحث فيها وفي نتائجها بشيء من الاسهاب .. ناولا يجب الا يعزب عن بالنا ، ان الفرق بين الانسان والحيوان في العقل اعظم بكثير مما نضن عادة .. وكلنا على علم بقوة الفريزة في الحشرات . ولكنها تبدو عاجزة عن معرفة طرق جديدة . وليست الثدييات بافضل من ذلك .. بينما للتفكير عند الانسان اهمية بيولوجية كبرى حتى عندما تسود تفكيره العادة والمحاولة والخطا . ولا بد ان يكون سلوك الحيوانات مرميا - اي انه ثابت في حدود ضيقة - اما الانسان فقد أصبح في سلوكه حرا نسبيا .. حرا في الاخذ والعطاء على حد سواء .. ولهذا الزيادة في المرونة نتائج اخرى سيكولوجية يتناساها رجال الفلسفة العقلية .. والانسان أيضا لم يرد في بعضها . فقد ادت هذه المرونة مثلا الى كون الانسان الكائن الحي الوحيد ، الذي لا بد له ان يتعرض الى الصراع النفسي .. ومع ذلك فطبقا لآراء الحديثة توجد في الانسان اجهزة لتقليل النزاع الى اقصى حد ، وهي التي يعرفها علماء النفس بالكمبت والقمع .

« وهذه الخواص التي امتاز بها الانسان ، والتي يمكن تسميتها - نفسية - أكثر منها - بيولوجية - تنشأ من خاصية أو أكثر من الخواص الثلاث الآتية :

الاولى : قدرته على التفكير العام والخاص .

الثانية : التوحيد النسبي لعملياته العقلية ، بعكس انقسام العقل والسلوك عند الحيوان .

الثالثة : وجود الوحدات الاجتماعية مثل القبيلة والامة والحزب والجماعة الدينية وتمسك كل منها بتقاليدها وثقافتها . (ص 32)

« وهناك نتائج ثانوية كثيرة لتطور العقل من مرحلة ما قبل الانسان الى مرحلة الانسان (3) وهي بلاشك مريدة من الناحية البيولوجية . ولنذكر منها العلوم الرياضية والمواهب الموسيقية ، والتقدير والابداع الفنيين ، والدين ، والحب المثالي ..

« ولكن لا يكفي هنا ان نحصي بعض اوجهه النشاط . ففي الحقيقة ان معظم اوجه النشاط الانساني وخواصه ، نتائج ثانوية لخواصه الاصلية . وكذلك لمهي مذة من الناحية البيولوجية .. وقد يكون لتفرد الانسان نتائج ثانوية اخرى لم تستغل بعد ..

« وبذلك يكون الانسان مريدا في احواله أكثر مما نظن الآن » انتهى كلام هسكلي .

واما العالم الامريكي : « ا . كريسي موريسون » فإنه يرد على نظرية (النشوء والارتقاء) ردا علميا ويستبعد بالكلية اي ارتباط بين الانسان وبين الحيوان كما انه يستنكر ان يقوم الانسان هكذا لوحده ابتداء من الخلية وعلى مبدا الصدفة ولنقرأ ما كتب هذا العالم في كتابه (Man does not stand alone) الذي ترجمه الى العربية محمود صالح الفلكي بعنوان (العلم يدعو الى الايمان) :

« ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) (ص 145) .

« لقد رأينا ان « الجينات » متلق على كونها تنظيمات اصغر من الميكروسكوبية للذرات في خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية . وهي تحفظ التصميم ، وسجل السلف ، والخواص التي لكل شيء هي . وهي تتحكم تفصيلا في الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات ، تماما كما تقرر الشكل والقشر والشعر والاجنحة لكل حيوان بما فيه الانسان » (ص 147) .

... « ويلاحظ ان جميع الكائنات الحية ، منفصل بعضها عن بعض بهوات كثيفة لا يمكن عبورها . حتي ان الحيوانات المتقاربة يتفصل بعضها عن بعضها كذلك » .

« والانسان حيوان من رتبة الطليعة ، وتكوينه يشبه فصائل (السيبيا) - الاورنجتان والفورسلا

والشبهانزي - ولكن هذا الشبه الهيكلى ليس بالضرورة برهانا على اننا من نسل اسلاف سيمائية من القروء او ان تلك القروء هي ذرية منحطه للانسان . ولا يمكن احد ان يزعم ان سمك القد (Cod) قد تطور من سمك الحساس (Haddock) وان يكن كلاهما يسكن البياض نفسها ، وياكل الطعام نفسه . ولهما عظام تكاد تكون متشابهة ... (ص 142)

« ان ارتقاء الانسان الحيوانى الى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده هو خطوة اعظم من ان تتم عن طريق التطور المادى . ودون قصد ابتدائى .

واذا قبلت واقعية القصد . فان الانسان بوصفه هذا قد يكون جهازا .. ولكن ما الذي يدير هذا الجهاز؟ . لانه بدون ان يدار . لا فائدة منه والعلم لا يعمل من يتولى ادارته . وكذلك لا يزعم انه مادى .

« لقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لان نوقن بان الله قد منح الانسان قبسا من نوره . ولا يزال الانسان فى طور طفولته من وجهة الخلق . وقد بدأ يشمر بوجود ما يسميه (بالروح) وهو يرقى فى بطنه ليدرك هذه الهبة . ويشمر بغريزته بانها خالدة .

« واذا صح هذا التعليل - ويبدو ان المنطق الذي يسنده لا يمكن دحضه - فان هذه الكرة الارضية الصغيرة التي لنا . وربما غيرها كذلك : تكسب اهمية لم يحلم بها احد من قبل . فعلى قدر ما نعلم قد تولد من عالمنا الصغير هذا . اول جهاز مادى اضيف اليه من نور الله . وهذا يرفع الانسان من مرتبة الغريزة الحيوانية الى درجة القدرة على التفكير . التي يمكن بها الان ان يدرك عظمة الكون فى اشتباكاتة . ويشمر شمورا غامضا بعظمة الله مائلة فى خلقه . (ص 187 - 188)

« ان اية ذرة او جزيئة Atom, Molecule لم يكن لها فكر قط . واي اتحاد للعناصر لم يتولد منه راي ابدى . واي قانون طبيعى لم يستطع بنشاء كاتدرائية . ولكن كائنات حية معينة قد خلقت تبمسا لحوائز معينة للحياة هذه الكائنات تنتظم شيئا طبيعه جزيئات المادة بدورها . ونتيجة هذا وذاك كل ما نراه من عجائب العالم . فما هو هذا الكائن الحى ؟ .. هل هو عبارة عن ذرات وجزيئات ؟ اجل .. وماذا ايضا ؟ شيء غير ملموس . اعلى كثيرا من المادة لدرجة انه

يسيطر على كل شيء ومختلف جدا عن كل ما هو مادى مما صنع منه العالم ، لدرجة انه لا يمكن رؤيته ولا وزنه ولا قياسه . وهو فيما نعلم ليست له قوانين تحكمه . ان روح الانسان هي سيدة مصيره ، ولكنها تشمر بصلتها بالمصدر الاعلى لوجودها . وقد اوجدت للانسان قانونا للاخلاق لا يملكه اي حيوان آخر ، ولا يحتاج اليه . فاذا سمي احد ذلك الكيان بانه فضلة لتكوينات المادة ؛ لا لشيء سوى انه لا يعرف كتبه بانبوية الاختيار ، فهو انما يزعم زعما لا يقوم عليه برهان .. انه شيء موجود ، يظهر نفسه باعماله . وينفخحياته وبسيطرته على المادة ، وبالاخص بقدرته على رفع الانسان المادى من ضعف البشر وخطئهم الى الانسجام مع ارادة الله .. هذه هي خلاصة القصد الرياضى . وفيها تفسير للاشتياق الكامن فى نفس الانسان للاتصال باشياء اعلى من نفسه . وفيها كشف عن اساس حائزه الدينى .. وهذا هو الدين « .. (ص 201 - 202) .

واما عالم الحياة (الكسيس كاريل) فانه يعتبر ان الانسان حدث فذ مميز وعالم فرد ليس له مثيل على ارضنا هذه ؛ كما يعتبر اننا لا نعلم شيئا عن هذا الانسان المجهول المعقد ، وذلك فى كتابه (الانسان ذلك المجهول) وقد عبره السيد شفيق اسعد فريد .

ولنتقل الان بمضى هذه المعانى :

« هناك تفاوت عجيب بين علوم الجباد وعلوم الحياة .. فعلوم الفلك والميكانيكا والطبيعة ، تقوم على آراء يمكن التعبير عنها ، بسداد ومصاحة ، باللغة الحسابية وقد انشأت هذه العلوم عالما متناسقا كتناسق آثار اليونان القديمة . انها تنسج حول هذا العالم نسجا رائعا من الاحصاءات والنظريات .

« بيد ان موقف علوم الحياة يختلف عن ذلك كل الاختلاف . حتى ليبدو وكان الذين يدرسون الحياة قد ضلوا طريقهم فى غاب متشابك الاشجار ، او انهم فى قلب دغل سحري ؛ لا تكف اشجاره التي لا عداد لها عن تغيير اماكنها واحجامها فهم يزرعون تحت عسبه اكداس من الحقائق ؛ التي يستطيعون ان يصفوها ، ولكنهم يمجزون عن تعريفها او تحديدها فى معادلات جبرية . فمن الاشياء التي تراها العين فى عالم الماديات ، سواء كانت ذرات ام نجوما صخورا ام سحبا ، صلبا ام ماء .. امكن استخلاص خواص معينة كالكتل والابعاد الانساعية .. وهذه المستخلصات - وليست

الحقائق العلمية - هي مادة التفكير العلمي .. ملاحظة الأشياء تدننا فقط بأقل صور العلم شأننا ، ونعنى بها الصورة الوصفية . فالعلم الوصفي يرتب الظواهر . بيد ان العلاقات التي لا تتغير بين الكميات غير القابلة للتغيير - أي القوانين الطبيعية - تظهر فقط عندما يصبح العلم أكثر معنوية . وما ذلك النجاح العظيم السريع الذي نراه في علمي الطبيعة والكيمياء إلا لانهما علمان معنويان كميان . فعلى الرغم من انهما لا يدميان انهما يكشفان القناع عن الطبيعة النهائية للأشياء فانهما يبداننا بقوة التنبؤ بحوادث المستقبل . وتقرير كيفية وقوعها طبقا لإرادتنا . وبتملينا سر تركيب المادة وخواصها استطعنا الظفر بالسيادة تقريبا على كل شيء موجود على ظهر البسيطة فيما عدا أنفسنا ..

« ولكن علم الكائنات الحية بصفة عامة - والإنسان بصفة خاصة - لم يصب مثل هذا التقدم .. انه لا يزال في المرحلة الوصفية .. فالإنسان ككل لا يتجزأ . وفي غاية التعميد . ومن غير المسور الحصول على مرض بسيط له . وليست هناك طريقة لفهمه في جموعه أو في أجزائه ؛ في وقت واحد . كما لا توجد طريقة لهم علاقاته بالعالم الخارجي .

« ولكي نحلل أنفسنا فاننا مضطرون إلى الاستعانة بفنون مختلفة . وإلى استخدام علوم عديدة .. ومن الطبيعي ان تصل كل هذه العلوم إلى رأي مختلف في غايتها المشتركة . فانها تستخلص من الإنسان ما تمكنها وسائلها الخاصة من بلوغها فقط . وبمقد ان نضاق هذه المستخلصات بعضها إلى بعض . فانها تبقى أقل غناء من الحقبة الصلبة .. انها تخلف وراءها بقية عظيمة الأهمية ، بحيث لا يمكن اهمالها

.. « اننا لا نفهم الإنسان ككل .. اننا نعرفه على انه مكون من أجزاء مختلفة وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا . فكل واحد منا مكون من موكب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة ..

« وواقع الأمر ان جهلنا مطبق . فغالب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تغزل بلا جواب ؛ لان هناك مناطق غير محدودة من دنيانا الباطنية ؛ ما زالت غير معروفة . ونحن لا نعرف حتى الآن ، الإجابة عن أسئلة كثيرة مثل :

كيف تتحد جزيئات المواد الكيماوية لكي تكون المركب والاعضاء الموقفة للخلية ؟ .

كيف تقرر « الجينيس » - ناقلات الوراثة - في نواة البويضة الملقحة ، صلات الفرد المشتقة من هذه البويضة ؟؟ .

كيف تنتظم الخلايا في جماعت من تلقاء أنفسها مثل الأنسجة والاعضاء ؟ فهي كالنمل والنحل تعرف مقدما الدور الذي قدر لها ان تلعبه في حياة الجموع ، وتساعد العمليات الميكانيكية الخفية على بناء جسم بسيط ومعقد في الوقت ذاته .

« ما هي طبيعة تكويننا النفساني والسيولوجي؟ اننا نعرف اننا مركب من الأنسجة والاعضاء ، والسوائل والشعور . ولكن العلاقات بين الشعور والمخ ما زالت لغزا . اننا ما زلنا بحاجة إلى معلومات كاملة تقريبا عن سيولوجية الخلايا العصبية .. التي أي مدى تؤثر الإرادة في الجسم ؟ كيف يتأثر العقل بحالة الاعضاء ؟ على أي وجه تستطيع الخصائص العضوية العقلية التي يرثها كل فرد ان تتغير بواسطة طريق الحياة والمواد الكيماوية الموجودة في الطعام والناخ ، والنظم النفسية والأدبية ؟ .

« اننا ما زلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والمضلات والاعضاء . ووجوه النشاط العقلي والروحي .. وما زلنا نجعل العوامل التي تحدث التوازن العصبي ، ومقاومة التعب ، والكناخ ضد الأمراض .

« اننا لا نعرف كيف يمكن أن يزداد الأهلسس الأدبي . وقوة الحكم ، والجرأة .. ولا ماهي الأهمية النسبية للنشاط العقلي والأدبي .. كذلك النشاط الديني

« أي شكل من أشكال النشاط مسؤول عن تبادل الشعور أو الخواطر ؟ ..

« لاشك مطلنا في ان عوامل سيولوجية وعقلية هي التي تقرر السعادة أو التعماسة ، النجاح أو الفشل .. ولكننا لا نعرف ما هي هذه العوامل .. اننا لا نستطيع ان نهب أي فرد ذلك الاستعداد لقبول السعادة بطريقة سنامية .

« وحتى الآن فاننا لا نعرف أي البيئات أكثر صلاحية لإنشاء الرجل المتحدين وتقدمه .

« هل في الامكان كعبت روح الكناح والمجهود ، وما قد نحس به من عناء بسبب تكويننا الفسيولوجي والروحي ؟؟ »

« كيف نستطيع ان نحول دون تدهور الانسان وانحطاطه في المدنية المصرية ؟ »

وهناك اسئلة اخرى لا عداد لها ، يمكن ان تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الاهمية بالنسبة لنا .. ولكنها ستظل جيبيا بلا جواب .. فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان ، غير كاف ، وان معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب ... » (ص 13 - 18) .

« ان معرفة نفوسنا لن تصل ابدا الى تلك المرتبة من البساطة المعبرة ، والتجرد والجمال ، التي بلغها علم المادة . اذ ليس من المحتمل ان تختصص العناصر التي اخرت تقدم علم الانسان .. فعملينا ان ندرك بوضوح ان علم الانسان « هو اصعب العلوم جيبيا » .

« ان الفردية جوهرية في الانسان . انها ليست مجرد جانب معين من الجسم اذ انها تنفذ الى كل كياننا .. وهي تجعل « الذات » حدثا مفيدا في تاريخ العالم .. انها تطبع الجسم والشمور . كما تطبع كل مركب في الكل بطابعها الخاص . وان ظلت غير منظورة .. » (ص 281) انتهى كلام كاريل .

هذا نموذج مصغر من الرد العملي للنظرية القائلة بحيوانية الانسان ، واما من وجهة النظر السياسية فللنظرية فيها ميدان لا يستهان به الخصه فيما يلي :

ان حيوانية الانسان هذه - كما يزعمون - لها اصل اصيل في احد الكتب المقدسة لدى الطوائف اليهودية .. ولكنها حيوانية تختص فقط بالاميين غير اليهود ، فاليهودي هو الانسان فقط ، وهو من نسل ابيه آدم الذي خلقه الله بيده ، واما غير اليهودي فهو من اصل حيواني قد طوره الله الى شكل الانسان لكي يكون جديرا بخدمة شعب الله المختار ، هذا وقد اختلف الحاخامات حول اصل الاميين (غير اليهود) فقال بعضهم : من نطفة حصان .. وبعضهم قال من نطفة كلب وبعضهم وبعضهم .. ولكن (دارون) كان

اذكى واعلم بالحيوان فوجد ان القرد هو اقرب هيكل الى الانسان من غيرها من الحيوانات فانتشرت نظريته .

والتلمود يوحى لمن يقرأه بأنه كتاب الهيمنة المشمودة لدى اليهود على سائر الجنس البشري ، ولها كان هذا الامر شائنا وعسيرا ، اصبح لابد من اقتناع الاميين بنظرياته وتماليبه .. فكان ما قرره - ظنا - دارون من طريق استقراي ناقص نظرية البسها مسوح العلم ، واوهم بها العالم على انها يقينية لا ترد .

ولكن ما علاقة دارون باليهودية وما علاقته بحيوانية الانسان الاسمي التي جاءت في كتاب قديم جدا لليهود ؟؟

ان دارون كان على خط التلمودية الحديثة (الصهيونية) من حيث يدري او من حيث لا يدري ... والوثائق تشير كما اشارت الوثائق بأن دارون كان يسير بموجب ابحاثها .

وهذا ما قرناه في المقررات التي اخذتها الجمعيات الصهيونية العالمية في مؤتمر - بال - عام 1897 .

وقد جاء في البروتوكول الثاني لهذه المقررات ما يلي :

« ان الطبقات المتعلمة ستختال زهوا أمام نفسها بعلمها . وستأخذ جزأيا في مزاوله المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه اليها وكلاؤنا - رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي توخيناها - .

« لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا ان نجاح دارون Darwin وباركس Marx ونيتشه Nietzsche قد رتبناه من قبل . والامر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الاسمي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التأكيد « (4) .

ودارون لم يفعل شيئا سوى انه لمسلسل حيوانية الانسان التي وردت في التلمود في مواضع عديدة نجتزئها ببعضها في سطور :

« جاء في تلمود اورشليم ان النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان ..

الواقع ، وقد رده العلم والعقل معا .. وعليه فهو غير جديد بان يكون اساسا لبحث اميزة البيان في شأن الانسان ، او غيره من الأبحاث العلمية الجادة الهادفة.

ونتيجة لهذا البحث العلمي يتقرر معنا الآتي .. :

- 1 - الانسان مخلوق فذ .
- 2 - حادثة وجود الانسان على الارض حادثة فذة غير مكررة .
- 3 - الانسان متميز عن الحيوان نفسيا وجسديا .
- 4 - لا تماثل بين الانسان والحيوان والشبه العضوي او الهيكللي ليس دليلا على كون احدهما من الآخر .
- 5 - الفطرة ثابتة عند الانسان منذ كانت وان تغيرت صور الدواعي ليها .
- 6 - ويمتاز بـ (التفكير التصوري)
- 7 - ولديه امكانيات اجتماعية واقتصادية وسياسية كائنة في فطرته منذ كان .

وهذا يعني ان الانسان وجد دون مقدمات ويتمتع بنفس الميزات التي لديه الآن - وان تغيرت وتطورت مظاهرها الخارجية وصورها - وميزة البيان من الميزات العديدة التي تميز الانسان عن الحيوان ... ولما كان هذا شأن الانسان امسح من الضروري ان يكون ناطقا مدركا اي مبينا ، منذ وجوده الاول لكي يعبر عن مكونات فطرته ويبين بواسطتها عن احساساته ومدركاته ، ويحقق بوجوبها غاية وجوده .

فيك نطق الانسان الاول فهذا ما سوف نحقق فيه الى جانب تثبيته ما نتج معنا في هذا الفصل . وذلك عند استنطاق التاريخ بما فيه من روايات مختلفة . في الفصل الثاني :

المنظرة التاريخية :

لو هدنا الى اعماق التاريخ لنسأل عن الانسان وكيف كان ؟ . فسوف نجد فساتنا المنشودة .. وذلك بالرغم من تضارب الروايات واختلاف الاخبار .. الا اننا نلح من خلالها خطأ مريضا ينتظم الكل . مع بعض التفرعات . كما نلح واديا مبيحا تسير في شجبه فكرة واضحة عن نشأة الانسان .

« الامم الخارجة عن دين اليهود ليست كلابا مقط بل حبيرا أيضا . وقال الحاخام - ابار باتيل - : ان الشعب المختار هو الذي يستحق الحياة الابدية واما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحبير . ولا قرابة بين اليهود وبين الامم الخارجة من الدين اليهودي لانهم اشبه بالحبير ، وبيوت عبادة باقي الامم يعتبرها اليهود كزرائب الحيوانات وقال الحبر مناخم : ايها اليهود ، انكم من بني البشر لان ارواحكم مصدرها روح الله . واما باقي الامم فليست كذلك لان ارواحهم مصدرها الروح النجسة .

« وكان هذا رأي الحاخام - اربل - ايضا لانه كان يعتبر الخارجين من الدين اليهودي خنازير نجسة تسكن الغابات . فالخارج من دين اليهود حيوان على وجه عام . سمه كلبا او حمارا او خنزيرا .. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان .

« وقال الحاخام - ابار باتيل - المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات وقد خلق الله الاجنبي على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من اجلهم ، لانه لا يناسب الايسر ان يخدمه ليلا ونهارا حيوان على صورته الحيوانية كلا . لهذا مناك للفوق والانسانية .

« فاذا مات خادم يهودي او خادمة وكانا من المسيحيين فليست ملزما بان تقدم له التمازي باعتباره فقط انسانا ، بل باعتباره فقط حيوانا من الحيوانات المسفرة » (5) .

اذن لحيوانية الانسان التي نادى بها التطوريون هذا منطلقا .. ولا بد للصهيونية التلمودية التي تبغي السيطرة على العالم من ان تثبت هذا في افهام الناس بطريق سحري تقبله العقول الضعيفة وجباهيبر الناس لتنتقل بهذا المفهوم بكل حرية محطة تسيود القيم الثابتة والاخلاق السامية والرسالات القومية .. وتميش بالتالي كالحيوانات ، تاكل وتمتع بانواع السموات واللاذئذ بلا رقيب ولا حسيب . وعندما تصل هذه الحيوانات - بالتشبه - الى درجة الفوضى والضياع يسمل قيادها وتلين فتاتها لارباب الصهيونية وبعد ، فالزعم القائل بحيوانية الانسان وتطوره من الخلية الواحدة ، هو زعم فاسد ولا رصيد له من

عبادته ، فلم يزل مجتهدا في العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان « (ص 88 ج 1)
وفي معرض القول عن خلق آدم عليه السلام :

« وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه (يعني ابليس) خلق الله — تعالى ذكره — ابانا آدم ابنا البشر ، وذلك لما اراد جل جلاله ان يطلق ملائكته على ما قد علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة ، و اراد اظهار أمره لهم حين دنا أمره للربوار وملكه وسلطانه للزوال ، فقال — عز ذكره — لما اراد ذلك للملائكة : (اني جامل في الارض خليفة) فاجابوه بان قالوا له : (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء — البقرة 30) فروي عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك كذلك للذين قد كانوا عهدوا من امر الجن كانوا سكان الارض قبل ذلك ، فقالوا لمريم جل ثناؤه لما قال لهم : (اني جامل في الارض خليفة) اتجعل فيها من يكون فيها مثل الجن الذين كانوا فيها ؟ فكانوا يسفكون الدماء ويفسدون فيها ويمصونك ، ونحن نسبح بحمك ونقدس لك ، فقال الرب — تعالى ذكره — لهم : (اني اعلم ما لا تعلمون) يقول : اعلم ما لا تعلمون من انطواء ابليس على التكبر ، وهزيمه على خلافه امري ، وتسويل نفسه له الباطل واغتراره وانا مبد لكم منه لتروا ذلك منه هيانا ..

« فلما اراد الله عز وجل ان يخلق آدم عليه السلام امر بتريته ان تؤخذ من الارض .. كما حدثنا ابو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن ابي زوق ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : ثم امر — يعني الرب تبارك وتعالى — بترية آدم فرمعت ، فخلق الله آدم من طين لازب — واللازب اللزج الطيب — من حما مسنون ، منقن ، قال : واما كان حما مسنونا بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده » — ص 89 — 90 ج 1 —

« حدثنا ابن حميد قال : حدثنا يعقوب العمري عن جعفر بن ابي الخير عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث رب العزة — عز وجل — ابليس ، فآخذ من اديم الارض ، من عذبا وملحها ، فخلق منه آدم ، ومن ثم سمي آدم ، لانه خلق من اديم الارض ، ومن ثم قال ابليس : (اسجد لمن خلقت طينا — الاسراء 61) اي هذه الطينة انا جئت بها . » — ص 90 / 91 ج 1 —

فالاخبار التي تناقلها نسابو العرب في الجزيرة العربية وغيرها تشبه الى حد كبير ما نقله المؤرخون الفرس ، وهذه بالتالي قد تختلف كثيرا وخاصة في اصولها مما حكاه اهل التوراة (في العهد القديم) .. وهذه وتلك وهاتيك تكاد تكون مماثلة لاخبار الاسم السابقة التي ذكرها القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية .

ولقد استطاع المؤرخون العظام في ظل الدولة الاسلامية وفي قمة العصور الذهبية للفكر والتأليف ، امثال ابن الاثير وابن جرير الطبري وابن كثير وابن عساکر وابن خلکان وابن خلدون وغيرهم كثير ... ان يجمعوا الروايات المختلفة والاخبار المتضاربة عن تاريخ البشرية ونشأة الانسان تحتقوا فيها تحقيقا علميا دقيقا ووضعوا بين ابدينا الراي الراجح والخط الواضح لنشأة الانسان .

وسوف نكتفي بتتبع بعض النصوص التاريخية المأخوذة من تاريخ واحد من اوثق التواريخ . من تاريخ الرسل والملوك (6) لمؤلفه ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (224 — 310 هـ) .. هذا التاريخ الذي بنى عليه وعلى امثاله مؤرخو اليوم كثيرا من مؤلفاتهم وتواريخهم وابحاثهم التاريخية .

قال ابن جرير في معرض كلامه عن استكبار ابليس في الارض وهلاكه :

« وقد قيل : ان سبب هلاكه ، كان من اجل ان الارض كان فيها قبل آدم الجن ، فبعث الله ابليس قاضيا يقضي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق الف سنة حتى سمي حكما ، وسماه الله به ، واوحى اليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فعاظم وتكبر ، واتقى بين الذين كان الله بعثه اليهم حكما ، الباس والعداوة والبغضاء ، فانتقلوا عند ذلك في الارض التي سئنا فيها زعموا ، حتى ان خيولهم تخوف في دماهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : (انميينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد — سورة ق 15) وقول الملائكة : (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء — البقرة 30) فبعث الله تعالى عند ذلك نارا ماهرقتهم . قالوا : فلما رأى ابليس ما نزل بقومه من العذاب هرج الى السماء ، فاقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهدا ، لم يعبد شيئا من خلقه مثل

الصور وأفضل الصفات العقلية والجسدية التي تخوله القيام بمهام الخلافة في الأرض وعمارتها ، لذلك كان — منذ كان — بشرا سويا مدركا مفكرا ناطقا له عينان ينظر بهما وله أذنان يسمع بهما وله أنف يشم به وله لسان ينطق به وله يدان يبطش بهما ورجلان يمشي عليهما لاكتساب معيشته وتحقيق غاية وجوده .

ولكن هذه النصوص قد اعتمدت على النقل — غالبا — ولم تعالج الفكرة من وجهة عقلية . فهل عندنا من نص تاريخي يتكلم في عقلانية هذا الموضوع؟؟ لنرجع إذن ، إلى العالم اللغوي والمؤرخ الفيلسوف . واضح علم الاجتماع ، واستناد من كتب فيه من بعده.. إلى البحاثة المسلم ابن خلدون .. حيث يؤمن بما آمن به غيره من المؤرخين بأن الله هو الذي خلق آدم وأن آدم خلق كاملا ، وأودعت فيه فطرة معينة تميزه عن غيره من المخلوقات كما له صفات نفسانية لا يتمتع بها أي حيوان آخر ويتجلى ذلك بالتفكير والتصور الذين يتمتع بهما الإنسان .. كما تجعله هذه الفطرة اجتماعيا يالك الآخرين لينظم مجتمعه ويبيئه على ضوء هديها.

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : (7) .

« الفصل الأول من الكتاب الأول في العمران البشري على الجملة ونبهه مقدمات « الأولى في أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكباء عن هذا بقولهم : الإنسان مدني بالطبع ، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم . وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الإنسان : وركبه على صورة لا يصح حياتها ويقاؤها الا بالغذاء . وهداه إلى التماسه بطهرته وبما ركبها فيه من القدرة على تحصيله ، الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمسادة حياته منه ، ولو فرضنا منه اقل ما يمكن لمرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ ، وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواهب وآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وماخوري . هب انه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله حبا إلى اعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحبوب من غلاف السنبل . ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة ومناجح كثيرة أكثر من الأولى ويستحيل ان تؤمن بذلك كله او بعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه

« ونكر ان الله تعالى ذكره لما خبر طينة آدم تركها اربعين ليلة ، وقيل اربعين عاما جسدا ملقى »
— ص 92 ج 1 —

« فلما نفخ فيه الروح اتته الروح من قبل راسه . فيما ذكر من السلف قبلنا انهم قالوه .. » — ص 94 ج 1 .

« ثم علم الله — عز وجل — آدم الاسماء كلها . واختلف السلف من اهل العلم قبلنا في الاسماء التي علمها آدم : اخصا من الاسماء علم . ام عاما ؟ فقال بعضهم : علم اسم كل شيء .. » ص 96 ج 1 .

« حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابي ، عن سليمان بن خصيف ، عن مجاهد : (وعلم آدم الاسماء كلها) قال : علمه اسم كل شيء .. » ص 93 ج 1 .

« حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع . عن سعيد ، عن قتادة : قوله عز وجل : (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت المليم الحكيم) قال : يا آدم انبئهم باسمائهم » : فانبا كل صنف من الخلق باسمه ، والجاه الى جنسه » . (98)

« وقد قيل : ان الله جل جلاله قال ذلك للملائكة لانه جل جلاله لما ابتدا في خلق آدم قالوا فيما بينهم : ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق ، فلن يخلق خلقا الا كنا اعلم منه ، واكرم عليه منه ، فلما خلق آدم علمه السلام وعلمه اسماء كل شيء عرض الاشياء للنبي علم آدم اسماءها عليهم ، فقال لهم : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في قولكم : ان الله لم يخلق خلقا الا كنتم اعلم منه ، واكرم عليه منه » (ص 100 ج 1)

هذه النصوص عينة بسيطة من النصوص التاريخية التي تكاد تتفق جميعها على خط واحد ، هو ان الله — جل ذكره — تلك القوة العظمى العاملة في هذا الكون فيما ندرك وفيما لا ندرك ، والتي لا يعمل شيء البتة بدونها ، كما لا تعمل نتيجة ما بدون مقدمات ، ولا معلول بدون حلة ، ولا بناء بدون بناء ، ولا مخلوق ينصف بالبداية والنهاية بدون خالق ينصف بالقدم والازلية .. اتول هو ان الله — جل ذكره — اراد ان يخلق .. فخلق .. فكان آدم ابو البشر باحسن

العدوان عنهم لانها موجودة لجميعهم ملابد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من فيهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم يكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بمعدوان وهذا هو معنى الملك ، وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان طبيعة ولا بد لهم منها ، وقد يوجد في بعض الحيوانات المعجم - على ما ذكره الحكماء - كما في النحل والجراد ، لما استقرى فيها بن الحكم والانتباد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنها في خلقه وجناته ، الا ان ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية ، لا بمقتضى الفكرة والسياسة ، اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي ، وانها خاصة طبيعية للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته ، وانه لا بد للبشر من الحكم الوازع ، ثم يقولون بعد ذلك ، وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر ، وانه لا بد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليتبع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف ، وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تسراه ، ان الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه او بالمعصية التي يقتدر بها على تمهرم وحملهم على جادته ، فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبة الى الجوس الذين ليس لهم كتاب ، فانهم اكثر اهل العالم ، ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والاثار فضلا عن الحياة ، وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاتاليم المنخرمة في الشمال والجنوب (ولكن هذه الدول وهذه الحياة) بخلاف حياة البشر (لهم في) موسى (و) دون وازع لهم البتة (ووجود الوازع لهم) فانه يمتنع . وبهذا يتبين لك قاطعهم في (انكار) وجوب النبوات وانه (رايهم) ليس بعقلي . وانما (وجوب النبوات) مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية (8) .

النظرة الواقعية :

البرهان الرياضي يعتمد على مسلمات .

والبرهان الطبيعي يعتمد على موجودات (الظواهر الحسية) .

ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف ، وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع من نفسه الى الاستمانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات المعجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرته الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدره الاسد واللبلب الضعاف من قدرته . ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بهدافته ما يصل اليه من عادية غيره . وجعل للانسان موضا من ذلك كله الفكر واليد ، فاليه مهينة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرياح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة من المخالب الجارحة والثراس النابتة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الامضاء . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات المعجم سيما المفترسة فهو عاجز عن بدافعها وحده بالجملة ، ولا تفني قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للدفاع لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها ملابد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ، ولا تتم حياته لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويماجله الهلاك من مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للدفاع ، وتبت حكمة الله في بقاءه وحفظ نومه فاذن الاجتماع ضروري للنوع الانساني والا لم يكمل وجودهم وما اراده الله من اعمار العالم بهم واستخلافه اياهم ، وهذا هو معنى المبران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم ، وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في نفسه الذي هو موضوع له . وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم . فليس ايضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضل . ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست آلة السلاح التي جعلت دمنه لعدوان الحيوان المعجم منهم كافية في دفع

جزئي .. بحيث لم يمكن دراستها من كتب لمي كالقطة في الفرة المظلمة . فلا يستطيع الدارس تحديدها موضعها الا باستعمال النور واشعاع النور يتبعه خوف القطة وبالتالي تحركها عن موضعها ...

وكذلك اختلاف النظريات حول تاريخ الارض ونشأتها بين العلماء من ملكيين وجيولوجيين لكل واحد منهم نظرية غير نظرية تفرقه . وكل نظرية من هذه النظريات هي مدرسة قائمة بذاتها . وقد برهن عليها قائلها برهانا لا يحتمل الشك واورد عليها ادلة وشواهد لا تجاوز العقل .. واذا اتنوع هذا العقل بالبرهان على النظرية الواحدة تعرض عليه . لسوف يشك اذا استعرضها جميعا على هذا الشكل غير المنطقي .. مثلا:

- 1 - اصل الارض كتلة ملتهبة انفصلت عن الشمس.
- 2 - اصل الارض كتلة من كوكب ضخم انفجر في الفضاء ..
- 3 - اصل الارض تجمع غازات في الفضاء تجددت فيما بعد .. وهكذا ..

اذن استطيع ان اعرف البرهان بانه عملية سحرية ، الغاية منها ارضاء الغرور البشري .. بحيث ان الانسان والمقل الواعي يبه بالذات لا يستطيع ان يدرك دنيا بلا حدود . ولا شيئا بلا بداية ونهاية . ولا ان يدرك امرا غير ملموس بحواسه فياتي البرهان العلمي لكي يشبع هذا الغرور المتجدد في كل لحظة نضع فيها قدمنا على باب جديد من ابواب الغيب والسر والكتان . التي تحيط بعالمنا العام والخاص من كل جانب . ملتصقين بجوانب البرهان الراحة .. ولكنهما راحة مؤقتة بحيث ما يشبه البرهان اليوم قد يتقدم في الغد .

بالرغم مما تقدم ، كان لابد لي من ان اسير هذا المسار . فلتخذ لبحثي اميزة البيان في نشأة الانسان . مسلمات معينة مع اساس فكري معين ، انطلق منه واتيم البراهين على ضوءه . بحيث ان لكل نظرية اساسا فكرية (ايدولوجية) معينة تقوم عليها .

وسوف لا يضير بحثي ان اسير به في ركاب علمائنا العظام الذين اناروا للبشرية طريقها في الحضارة ، ووضعوا لها الاسس الثابتة لخطى العلوم . على الغالب - وهؤلاء المباشرة امثال : ابن

والبرهان التاريخي يعتمد على نظريات الفرضية الخفية) ...

وغالب هذه الاسس استواها ما تبني عليها العلوم صرحها . تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال ، بين الظن واليقين ... بين الحتمية والاحتمال . وبين الواجب والامكان .

فالبرهان الهندسي الذي يقوم على اساس مسلمات اقليدس هو غير البرهان الذي يقوم على اساس مسلمات لويبتشمسكي ، الذي اعتبر المكان على شكل السطح الداخلي للاسطوانة ، تقول فرضيته : من نقطة خارجة من مستقيم يمكن رسم خطوط لا حصر لها موازية لهذا المستقيم . ونتيجة لهذه المسئلة اصبح مجموع زوايا المثلث اقل من قائمتين . ويمكن ان تصور ان الخطين المتوازيين قد لا يلتقيان ابدا على خلاف ما قاله اقليدس ، كما ان هذا وذاك غير البرهان الهندسي الذي يقوم على اساس مسلمات المالمس الالمانى ريمان . الذي فرض المكان كرويا ، تقول فرضيته : من نقطة خارجة من مستقيم لا يمكن رسم خط واحد مواز لهذا المستقيم ، وفي مثل هذا المكان يمكن ان تصور كل الخطوط متقاطعة لانها تكون شبيهة بخطوط الطول على الكرة الارضية ، تتلاقى وتتقاطع عند القطبين . ونتيجة لهذه المسئلة يصبح مجموع زوايا المثلث اكثر من قائمتين . ونحصل بالنتيجة على هذا التقرير المتناقض منطقييا الصحيح عمليا : مجموع زوايا المثلث تساوي قائمتين - اقليدس - مجموع زوايا المثلث اكثر من قائمتين - ريمان - مجموع زوايا المثلث اقل من قائمتين - لويبتشمسكي - .

كما ان البرهنة على مبدا التقيد والحتمية في الطبيعة (هذا المبدأ هو الايمان بوجود نظام ثابت عام تخضع له جميع الظواهر في الطبيعة) لم تسلم من كونها قائمة على اساس الطريقة الاستقرائية (وهي تعميم الحكم الصادر على بعض افراد الفئة على جميع الافراد في الفئة ... اي الانتقال من المعلوم الى المجهول . وهذا يناقض قواعد المنطق القائلة : - صدق الحكم الجزئي ليس دليلا على صدق الحكم الكلي -) ولكن الذي دم هذه البرهنة هو العقل الذي لا يقبل بان تسود الطبيعة الفوضى ، دعها بالرغم من الوقائع المادية ، ايضا ، التي تثبت انفلات عالم الفرة من مبدا التقيد والحتمية ، وعدم امكانية تحديد وضع الكهارب وسرعتها في الوقت الحاضر . (يقال ان تقيد السذرة

سينا . في الطب — وابن الهيثم في البصريات والضوء —
والرازي وجابر الكوفي ؛ في الكيمياء — وابن فرناس
في الفلك والطيران — والفارابي في النفس والجبر
والإعداد — وابن رشد ، والفزالي . في الفلسفة
والإشراق وما وراء الطبيعة .. وكثير غيرهم .. قد بنوا
نظرياتهم العلمية على أساس النظرة الإسلامية العامة
وانطلقوا منها ولم يتجاوزوا حدودها .

ولم يكن نهج هذا قائما على أساس التقليد
الاعمى . بل هو اعتقاد عقلي وتمسك علمي للأسباب
التالية :

(1) لا نستطيع ان نتصور هذا الانسان القديم
باجهزته .. المعقد بتركيبه .. الهادف بفطرته .. الذي
يتألف من مجموعة معالجات روحية ومادية .. دون
منهج يضبط خطاه على الارض دفعا للحيرة . ويحدد
له معاني النور والإشراق في عالمه الخاص والعالم
دفعا للضياع في ظلمات النفس وعمتها .

.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا — الآية
48 المائدة .

فكان الدين هدية من الخالق الى المخلوق .
وهداية له على درب التمر والاجبار .

(قال : ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .
الآية 50 طه .)

(2) وهذا الانسان بما يملك من الاحاسيس والمشاعر
الرائية . وبما ركب فيه من الدوافع الفطرية
المتباينة . مثل : دافعي : الحب والبغض — دافعي
الخوف والغضب — دافعي التملك والجوع .. الخ .
لا يمكن ان يسير هذا المركب المعجب بدون ناموس
عام ثابت يعتد به . ومنهج قوي لا ينحرف ولا
يتأرجح يفسر له العلاقات بين هذه الدوافع
المتناقضة من جهة وبين المشاعر والاحاسيس من
جهة اخرى ..

ا ونفس وما سواها . فآلهما نجورها وتقواها .
قد افلح من زكاهما . وقد خاب من دساها .. ا سورة
الشمس .

منهج فيه معنى السمو والكمال ، يسبح للبراهين
العلمية ان تحوم حوله فتمسيه نارة وتخطوه اخرى
حتى تصل الى الحقيقة .

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق — فصلت 53) .

(3) والاسلام الذي هو خاتم الديانات السماوية .
واكملها تشريعا . واثبتها رواية ونقلها واقربها من
انسان اليوم نزولا من السماء .. هذا الاسلام قد
برهن على صحته واثبت صدقه وتفوقه وموضوعيته
على طول التجربة التي عاشها خلال اربعة عشر
قرنا . واذا كان هناك من يساري ، ويجادل في غير
حق . ويسلك سبيل السفسطائيين في الجدل
المتعيم . فسوف لا يجد مناصا من الأذهان أو السكوت
على جهود امام النصوص الإسلامية التي كشفت
الستر عن المستقبل فتكلمت عنه بايجاز احيانا
وباسهاب احيانا اخرى ، وكذلك النصوص التي
جاءت تستشهد بالظواهر الكونية كدليل على عظمة
الله ؛ لم تتجاوز هذه النصوص الحقائق العلمية
المثبتة حتى عمسنا هذا ، والامثلة على ذلك وفيرة
ويجدها كل من استقرا النصوص القرآنية والاحاديث
النبوية الصحيحة وكان على جانب من الاطلاع
والمعرفة وبعد النظر والانصاف .. وسأثبت بعضها
هنا للاعجاز ..

ا — في الاشارات الفلكية والحقائق الكونية :

(1) الارض تدور .. قال تعالى : (وترى الجبال
تحسبها جاهدة وهي تمر مر السحاب صنع الله
الذي اتقن كل شيء .. — النحل —)

(2) والكواكب والنجوم كلها تدور .. ا والشمس
تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا
الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق
النهار ؛ وكل في فلك يسبحون . — يس — ا .
والنوين في (كل) موضا عن الاضافة التي هي
بمعنى كل ما في الفضاء .. وكلمة يسبحون تدل على
مادة العوالم الاصلية (الاثير) التي يسبح بها كل
شيء .

(3) العوالم منظومات من الكواكب المتجاذبة ..
ا والسما ذات الحيك — ومالها من مروج — وفي
مطلع سورة الملك : .. الذي خلق سبع سماوات
طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
البصر هل ترى من فطور) .

14 المطر من الأرض وإلى الأرض .. (.. والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها ..)

15 والمطر يهطل من السحاب المترام .. (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله - النور 43 -) السودق : المطر .

16 والرياح هي التي تسوق الغيوم .. (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا . نبيسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده . إذا هم يستبشرون - الروم 49 -)

17 والأرض بعدما تشكلت طبقاتها نهضت فيها سلاسل متعددة من الجبال لكي تتماكك تلك الطبقات فلا تنزلق وبالتالي لتتوازن الأرض وتستقر الحياة عليها ..

(والجبال أوتادا - والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون - الحجر - والتي في الأرض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون - النحل -) . وفي الآيات الآتية يلاحظ الانسجام بين مفهومنا وبين مفهوم أحدث النظريات الجيولوجية حول بعض المراحل التكوينية التي مرت بها الأرض .. (.. والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . مناها لكم ولانعامكم - النازعات -)

18 الطيران في الأجواء العالية يؤثر على جهاز التنفس وجهاز دوران الدم ، فيرفع الضغط ويعيق التنفس ، ويصحب ذلك امراض نفسية وجسدية اخرى .. ولننظر الى هذه السورة البليغة المعبرة عن الواقع .. ومن يرد ان يضلله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .. - الانعام 125 - .

19 النفاذ من الجاذبية الأرضية الى الفضاء ، ثم من الفضاء القريب الى فضاء آخر هذا ممكن ولكن بشرط .. (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان .. - الرهمان -)

10 الخطوط المرسومة على البصمات تختلف من انسان الى آخر ، وقد لا تتفق بصمات لانساتين في العالم ، ولما اكتشفت هذه الخاصة استعملت كعلامة مميزة يبرهن بها الانسان على تقريراته وتوقعاته . والقرآن الكريم قد أشار الى هذه الخاصية في معرض القدرة والاعجاز فقال : (.. احسب الانسان ان نجوع مظلما ، بلى ، قادرين على ان نسوي بناته .. - القيامة -) .

ب - اخبار الله تعالى بانتصار الروم على فارس قبل تسع سنوات من الحادث :

الم . غلبت الروم في اذنى الأرض . وهم من بعد غلبهم سيفليون في بضع سنين . - روى ابن جرير - باسناده - عن عبد الله بن مسعود - قال : كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس ، لانهم اهل كتاب وهم اقرب الى دينهم . فلما نزلت : (الم . غلبت الروم في اذنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون ، في بضع سنين) . قالوا : (اي المشركون) : يا ابا بكر ان صاحبك يقول : ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين . قال : صدق . قالوا - هل لك ان نقامر بك (اي نراهنك - وجاء في خبر آخر ان ذلك كان قبل تحريم الرهان بوصفه من الميسر) فبايعوه على اربع قلائص الى سبع سنين . مضت السبع ولم يكن شيء . فخرج المشركون بذلك ، فشق على المسلمين ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : (ما بضع سنين عندكم) : قالوا : دون العشر . قال (اذهب فزادهم وازدد سنين في الاجل) . قال لما مضت السنين ، حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس . فخرج المؤمنون بذلك (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) - الظلال ج 21 ص 25 .

ج - اخبار الرسول الكريم عن العواذك التي ستكون بعد وفاته :

1) بشر محمد صلى الله عليه وسلم بان كنوز كسرى وتيصر ستنفق في سبيل الله .. (عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد مات كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله . » - صحيح مسلم - كتاب الفتن - ج 8 ص 186 - .

وفي هذا إشارة الى السيادة التي استحققتها
رأية الله على ملك كسرى وتيمصر .

12 لقد مرت فترة على المسلمين بعد استشهاد عمر
رضي الله عنه مليئة بالفتن .. وقد أخبر عنها الرسول

(عن اسامة : ان النبي صلى الله عليه وسلم ،
اشرف على اطم من اطم المدينة ثم قال : « هل
ترون ما ارى ؟ .. اني لارى مواعع الفتن خلسلال
بيوتكم كمواقع القطر » . - المرجع السابق 167 -

13 السبئية فئة ضالة اظهرت الاسلام وابطنت الكفر
ترجع نسبتها الى عبد الله بن سبا اليهودي .
لقد عملت هذه الفئة بالبغى بين المسلمين ففرقت
صفتهم واوقعت الحروب بينهم وكانت سببا في قتل
الكثير من الصحابة الكرام ، وقد أخبر الرسول عن
قتل بعضهم :

(عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » - المرجع
السابق -

14 عثمان بن عفان رضي الله عنه من المبشرين بالجنة
وباستشهاد . فقد ورد ان الرسول كان مع ابي بكر
وعمر وعثمان على جبل احد . فاهتز الجبل
فقال الرسول مخاطبا الجبل « اثبت احد ان عليك
الانبياء وصديق وشهيدان » . ومن
الحديث الطويل المشهور الذي اخرجه البخاري
ان ابا موسى الاشعري استاذن لعثمان على
رسول الله ، فقال الرسول : « ائذن له وبشره
بالجنة معها بلاء يمسيه » . - البخاري ج 9 ص 69 .

15 الحسن بن علي سبط رسول الله هو الذي اجهد
على الفتنة وتبرها ومهد طريق الصلح بين المسلمين
ولقد تنبأ الرسول بذلك والحسن ما زال صغيرا .
قال ابو بكر : بينا النبي يخطب جاء الحسن فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « ان ابني هذا سيد
ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين .
- المرجع السابق - .

16 لقد سادت شرمة الاسلام ترونا طويلة كانت
خلالها تترجح - كدولة - بين القوة والضعف ،
وذلك بحسب الاناس الذين يمثلونها ، ويعتبر الغاء
الخلافة الذي اعقبت اعلان الدستور في تركيا في عام

1908 على يد مصطفى اتاتورك والاتحاديين الاتراك
آخر ضربة توجه الى الدولة الاسلامية ، حيث لم
يتم لها قائم بعدها . اللهم الا ما قام بحدود ضيقة
جدا وفي اطراف متباعدة خلال السنين القليلة التي
نعيشها ... ولكن الغالب على الممالك الاسلامية
هو ما انتشر من دعواي الالحاد والمادية والوطنية
والقومية منذ الغاء الخلافة وحتى عصرنا هذا .
وفي الحديث الآتي تحليل رمزي مسبق ومقتضب
لهذه الفترة من التاريخ :

(قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت
اسأله عن الشر مخافة ان يدركني ، فقلت : يا
رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فاجأنا الله بهذا
الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم .
قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم
وبه دخن . قلت وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بخير
هدى تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير
من شر ؟ .. قال : نعم دهاء على ابواب جهنم من
اجابهم اليها فذفوه فيها . قلت يا رسول الله صلهم
لنا ، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا ، قلت
لما تأمرني ان ادركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة
المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا
امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو ان
تمض باسمل شجرة ، حتى يدركك الموت وانت على
ذلك - البخاري - ج 9 ص 65 -) .

د - اخبار الرسول الكريم عن الحوادث التي تسبق
قيام الساعة :

1) عندما نكت اليهود ميوهم مع رسول الله في
المدينة قاتلهم وشتمهم في البلاد ، ولم يكن لهم بعدها
دولة . ولكنه أخبر عن تجمع سيكون لهم ، وقتال
سيتم بين المسلمين وبينهم ، فهناك عدة روايات في
الصحاح وغيرها ، كل رواية لها ميزة وتنفرد
باشارة ، ولكنها تجتمع كلها على ما ذكرت ، فمن
هذه الروايات :

(عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « تقاتلكم اليهود فتسلطون
عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي
ورائي ماتته » .) - صحيح مسلم ج 8 ص

188 - في هذا الحديث إشارة الى انهم هم المعتدون بالاشهاد الى تجمعهم حيث لا يقابل قوم الا ولهم دولة (وقد حدث) .

ب) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يخشبوا اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي قتال فاقته الا الفرقد فانه من شجر اليهود . - المرجع السابق - اذا كان شجر الفرقد لا يزرع الا في فلسطين - كما قال لي تائل - ففي الحديث إشارة الى مكان تجمعهم ، ولعل هذا الشجر قد نسب اليهم لانهم اكثر الناس زراعة له في زمن معين وكان معين .. ولقد شاهدت هذا الشجر على جبال الخليل فهو شجر قصير القامة كثيف الاغصان والاوراق ، اغصانه على تماس مع الأرض مما يجعل له جيوبا تتسع للاختباء . ويحمل ثمرا صغيرا بقياس حبة الفول اليابسة . وهو قريب بالطعم من الخرنوب .

ج) ومن اعجب الاحاديث التي سمعتها - ولا اعلم مدى صحتها - هذا الحديث الذي يحدد مكان القتال بين اليهود والمسلمين :

« لتقاتلن اليهود على نهر يقال له الاردن انتم على شرفيه وهم على غريبه » .

واما الحديث عن الفئتين العظيمتين اللتين ستقتلان ويكون بينهما مقتلة عظيمة .. ومن كثرة الزلازل والشرط وتقارب الزمان .. فالحديث هنا طويل وابراد الشواهد عليها وتحليلها ضرب من المحال في هذا البحث بالذات . وانما اثبت هنا حديثا نبويا ، عجبا ، يمدنا باليقين الذي لا تشوبه شائبة من صدق الاسلام وكون رسوله لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .. هذا الحديث الذي وقعت اكثر مقراته ولسنا وقوعها بايدينا وشاهدناه بام اعيننا قد قرأته في كتاب (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار - لسيدى الشيخ محيي الدين بن عربي) وهو من المطبوعات الاثرية بالخط الحجري في مكتبة استاذي الشيخ محمد أبي الفرج الخطيب .. هذا نصه :

1 وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الحجة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بقلعة باب الكعبة ثم اتبل بوجهه على الناس فقال يا معشر المسلمين ان من اشراط القيامة امانة الصلاة واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء مسقة فوثق سليمان الفارسي رضي الله عنه فقال ، يا بني انت ست وامي يا رسول الله ان هذا ليكون . قال نعم يا سليمان ، وعندها يكون المنكر معروفا والمعروف منكرا قال : ويكون ذلك . قال نعم يا سليمان ، وعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع ان يغيره . قال او يكون ذلك ؟ قال نعم يا سليمان . ويؤتى الخائن ويخون الامين ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ، قال او يكون ذلك قال : نعم يا سليمان ان اولسى الناس قوم المؤمن بينهم يمسي بالخائفة ان تكلم اكلوه وان سكت مات بغيظه . يا سليمان ما قدست امة لانتم من قوبها لضيفها ، قال : ان يكون ذلك ؟ قال نعم يا سليمان . عندها يكون المطر قيطا والولد غيظا وتليظ اللثام غيضا وتغيظ الكرام غيظا ، قال ويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سليمان عندها يعظم رب المال ويباع الدين بالدنيا وتلتبس الدنيا بعمل الآخرة واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من امي لعنة الله ، يا سليمان عندها يلي امي قوم جنتهم جنة الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ان تكلموا قتلوه وان سكتوا استباحوهم لا يرحمون صغيرا ولا يوترون كبيرا لساء ما يزرون ونوطا حرمتهم ويحار في حكمهم عند ذلك تكون امانة النساء ومشاورة الاماء ونفوذ الصبيان على الناس وتكثر الشرط وتتحلى ذكور امي بالذهب ويتهاون بالزنا وتظهر الثينات ويتغنى بكتب الله وتكلم الروبيضة ، قلت يا بني انت يا رسول الله وامي ، وما الروبيضة ؟ قال : يتكلم في امر العامة من لم يتكلم قبل ، قال او يكون ذلك يا رسول الله . قال نعم يا سليمان ، عندها تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتحلى المصاحف بالذهب وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والاسن مختلفة ونوالهم لمة من اعطى على لسان من اعطى شكر ومن منع كفر قال او يكون ذلك قال نعم يا سليمان . عند ذلك ياتي سبانيا من المشرق والمغرب تكون من امي لويل للضعفاء منهم وويل لهم من الله ان تكلموا قتلوا وان سكتوا قتلوا موت على طاعة الله خير من حياة على معصية الله ، قال ويكون ذلك ، قال نعم يا سليمان . عندها تشارك المرأة زوجها

ام أبي . وذلك ما اثبتته ايضا . اصحاب النظريات العلمية في السابق وفي الحاضر كأمثال العالم جيمس جينز - في الفلك - والعالم الدكتور اليكسس كاريل - في علم الحياة - والعالم انشتاين - في الذرة والفضاء - .. الخ وبهذا يتحقق قول الله تعالى :
 اسئريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق .

وهذا يتبعه بالمقل كون الانسان لم يترك سدى . ولا بد له من مرشد ودليل في خضم هذه الحياة الزاخرة بالمتناقضات قال : فمن ريكما يا موسى ؟ قال : ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .. طه - ا .

ولا بد هناك من خط عام وعميق في نفس الوقت لكي يسير عليه خليفة الله في ارضه .. فكان الكتاب (او قل القرآن .. وهو لغة الضم والجع) الذي خطه القلم على اللوح المحفوظ من عالم الازل والذي علمه الروح الامين رسول الله الى الانبياء والمرسلين جبريل عليه السلام (مكان ينزل باحكامه على الانبياء والرسل بحسب ما تحتاجه الامم والقبائل التي ينتمون اليها .

وفي خاتمة المطاف ضم القرآن وجميع كل هذا نسمى قرآنا . وثبت به كلمة الله ومنهاج الله القويم لهذا الانسان .. نجاه الخطاب للبشرية : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ، والدليل على هذا من كتاب الله جل وعلا . ايضا :

« الرحمان . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان »

هذه الآيات الرائعة ذات الوزن الموسيقي البديع تحمل اعنى المعاني ، وادق التعبير .

انها مطلع الاعلان العام - سورة الرحمان - الموجه الى العالمين الانسي والجني . ومفتاح الخطاب في ساحة الوجود .

هذا الاعلان يذكر بالآلاء والنعم .. ويستجلب القلوب الى العراطف المستقيم .. ثم يهدد وينوعد الذين يميلون عنه بالاخذ الشديد والمداب الاليم . وهو بين كل لفظة واخرى يسأل على صيغة الاستفهام التقريرية : فبأي آلاء ريكما تكذبان (مكررا ذلك احدى وثلاثين مرة .. ويرد الثقلان بالقول : (ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ملك الحمد) (9) .

في امره ويمحق الرجل والده ويبر صديقه يلبسون جلود الضان على قلوب الذئاب مما لهم شر من الجيفة قال او يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سلمان . عندها تكون عبادتهم فيها فيما بينهم التلاوة لها فيما ولا بد يسمون في ملكوت السموات والارض الانجاس الارجاس ، قال ويكون ذلك قال نعم يا سلمان . عند ذلك يتخذ كتاب الله مزامير وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم يعطلون الحدود ويبيتون سنتي ويحبسون البدعة ولا يقيم يومئذ بنصر الله لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية ويخطب كما تخطب النساء وبهيه كما تهيه المرأة . عندها تقارب الاسواق قلت بابي انت وامي يا رسول الله وما تقارب الاسواق . قال يقول لا ابيع ولا اشترى ولا رازق غير الله . يا سلمان عندها تلبسهم الجبابرة ويمنون حقوقهم ويملاون قلوبهم رهبا . فلا ترى الا خائفا مرعوبا عند ذلك يرفع الحج فلا حج . يحج كبار الناس للهوى واوساط الناس للتجارة وفقره الناس للرياء والسبحة ، قال او يكون ذلك قال نعم يا سلمان . الحديث ، وسياتي معناه في هذا الكتاب مستوفى من حديث الكناني وقد انتهى المجلس من محاضرة الابرار .. - ص 39 - 40 الجزء الاول - ا .

وبعد ، فلا سبيل الى نكران الاسلام . والوارية عن سبيله المستقيم .. وخاصة بعد ان ثبت صحته . وتبين للقاصي والداني صدق نصوصه ومروياته .

لهذا كله جعلت الاسلام اساسا فكريا لبحث (ميزة البيان في شأن الانسان) والله ولي التوفيق .

الانسان والبيان :

اذا آمنا ان الانسان مركب شديد التعقيد تسير كل خلية من خلاياه بنظام عجيب : واذا علمنا ان عالم الفلك يمج بالكواكب والنجوم : وانه يسير ايضا بنظام عجيب دقيق : واذا تارنا بين هذا الانسان المذهل التركيب ، وبين ذلك الكون بنظامه الدقيق . وحجمه الواسع الشاسع ، لو وجدنا ان الانسان مثله كما قال حافظ ابراهيم :

« وما انا الا ذرة قد حوتها ذرة في نساء ربي تدور »

اذن فالانسان لا يمكن ان يقوم بذاته ولا بد من يد خفية وقوة لا يراها ولا يدركها قد اوجدته تمهرا وسوف تخرجه من هذه الحياة تمهرا وهي تتحكم بصيره شاء

ولم ينس هذا الاعلان ان يذكر الانسان والجان
باصل النشأة وخاتمة المطاف (كل من عليها من)
والذي يوجهنا اليه البحث من الفيض الطاهر العزيز
لهذا الاعلان هو اصل النشأة وميزة البيان لنعود الى:

(الرحمن) .. اسم من اسماء الله الحسنى يلد
الرحمة العظمى التي اشتقت منها كل رحمة والتي
تعود الى فضلها كل نعمة ويضاف اليه فيضها كل منة
كانت وستكون فاسم الرحمن اذن خليق بهذه البداة،
جدير بهذا المطلق في هذا الاعلان العام ..

(علم القرآن) .. هذه الآية جملة لعملية جاءت
بصيغة الماضي . الفاعل فيها الرحمن جل وملا ،
والفعل الماضي ا علم ا يحتاج الى مفعولين فكسان
الاول ا القرآن ا والثاني محذوف قدره كل مفسر
بما الهه الله والاغلب هو جبريل عليه السلام الذي
كان ينزل بالوحي على الانبياء والرسل .

ومجىء هذه الآية ا علم القرآن (قبل ا خلق
الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن
انما له دلالة على كون هذا العلم قد سبق خلق
الانسان بالفعل .

والقرآن تلك النعمة العظيمة التي تعدد طريق
الانسان في هذا الوجود وتسلكه طريق الامن
والسكينة والنجاة : فلا يكون ضائعا في متاهات الكون
والنفس ولا شريدا من حضرة الروح .

لذلك كان القول وتعليمه جبريل قبل خلق
الانسان .. (ملا اتسم بواطن النجوم . وانه لتسم
لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون .
لا ينسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين)
- الواقعة 75 - 80 - .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
المعاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة - قال -
وعرشه على الماء) . - الجزء 7 - باب القدر - .

ومن وصايا عبادة بن الصامت لابنه وهو على
فرائض الموت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : (ان اول ما خلق الله القلم ، فقال له

اكتب ، فقال رب وماذا اكتب ، قال اكتب مقادير كل
شيء حتى تقوم الساعة ..) ذكر الحديث بأكمله ابو
داوود في سننه (10) .

(خلق الانسان) .. بصريح العبارة (خلق الانسان)
لكي لا يضيع هذا الانسان في بحر التساؤلات
والتكهنات .. خلق الله الانسان بكل ما فيه من اجهزة
وخلابا ويكل ما معه من مواهب وصفات وميزات
خلقه .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا
سويا .. واوحى اليه بصريح العبارة ايضا مبينا لماذا
خلقه .. (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ..)
ويتعلق بالعبادة مفهوم المعرفة معرفة الله جل وعلا .

وكيف خلقه : (الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع انما تتذكرون .
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرجع اليه في يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب
والشهادة العزيز الرحيم . الذي احسن كل شيء
خلقه وبدا خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه
وجعل لكم السمع والابصار والانفذة قليلا ما تشكرون
- السجدة - وسياتي معنى توضيح ذلك في قصة
البشرية الاولى .

(علمه البيان) .. البيان هو التعبير والتوضيح
واياته كبيرة تبدأ من الرثتين وما فيها من تصببات
وحجرات الى الحنجرة ثم الاحبال الصوتية والحلق
واللسان والاسنان وما يربط ذلك من اعصاب تتصل
بالدماغ .

لماذا اوردت ميزة البيان عن غيرها من صفات
الانسان علما بان الآلية التي تؤدي اليه ، تقريبا هي
نفس الآلية الموجودة في الحيوان الناطق (الببغاء -
نوع من انواع الطيور) وموجودة ايضا في الحيوان
الابكم (سائر الحيوانات) ..

وهنا سر الاعجاز الالهي ، يتجلى بهذا الابرار،
لفنفس الآلية تجعل من الحيوان مخلوقا ابكم لا
يستطيع التعبير عما يجيش في صدره حيث لم نسمع
على مدى التاريخ ان حيوانا واحدا قد نطق .

وهذه الآلية بالذات جعلت من الببغاء ذلك
الطائر الاليف ، مخلوقا ناطقا ولكن بدون وعي ولا

ادراك ، وهنا ايضا لم يذكر لنا التاريخ على مداه ان
ببغاء واحدا قد اجتاز مرحلة النطق الى مرحلة البيان
والتعبير مما يخلق في حناياه مرحلة النهم والادراك
الصحيح . وشأن الببغاء شأن المردد الذي يرجع
الصوت كما هو ويحاكيه فيما يسمع منه . وما عدا
ذلك فلا نطق ولا كلام .

وبنفس الآلية كان الانسان مخلوقا ناطقا محبرا
مدركا يبين عن احساساته بالنطق ويعبر عنها
بالمسات ويرسم خوالج نفسه بدفقات من الهواء
تخرج من بين اسنانه ولسانه .

لهذا كله امرد البيان وميز في خلق الانسان
ا خلق الانسان .. عليه البيان) . لقد جعل الله لهذه
الآلية سرا وميزة في الانسان ، فلو قال الله - وقوله
الحق - خلق البيان : لقلنا : سوف ينطق الحيوان
لانه يتمتع بنفس الآلية او لكان من الواجب ان تختلف
آلية الحيوان عن آلية الانسان ، والواقع انها واحدة
في الاثنين لظهور القدرة والابداع مختلفة في النتيجة
حيث مكنت الانسان من البيان الكامل ولم تمكّن
الحيوان الا من بعض الاصوات .

وثمة سؤال يطرح نفسه في هذا المجال : متى
نطق ابو البشرية - آدم - هل كان ذلك عقب تيباه
بشرا سويا أم انه عاش فترة زمنية بدون نطق ،
والجواب : انه لا يعقل أن يكون ناطقا وخالقه يقول
ا وصوركم فأحسن صوركم ..) ولابد لهذا المخلوق من
ان يتعامل مع بيئته بحسب ما رسم له من غايات
وأهداف ، والتعامل يكون مبتورا لو كان هذا المخلوق
ابكم لا يدرك شيئا ولا يستطيع التعبير عنه .

وآدم تعامل مع بيئته بالكلام والنطق منذ اول
لحظة لدبيب الحياة في جسده والدليل على ذلك
نستخرجه من قصة البشرية الاولى التي ذكرها الله
بقوله الكريم :

(واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة ، قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني
اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
على الملائكة ، فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم
صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك
انت العزيز الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم ،

فلما انباهم باسمائهم قال : ألم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما تكتمون . واذا
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فآزلهما الشيطان
عنها فآخريهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين .
فقلنا آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب
الرحيم - سورة البقرة - .

ومن سورة الامراء : (فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال : ما
نهاكما ربكما من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او
تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما لمن
الناصحين . فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
وناداهما ربهما ألم انهكما من تلكا الشجرة واتل
لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين .

من هذا السرد الخاطف لكلام الله تعالى في قصة
البشرية الاولى نستخرج عدة ملاحظات تناسب
موضوعنا أهمها :

1 - خلق آدم كان امجازا للملائكة واطهارا لقدرة
الله على تكوين مخلوق مادته من أهد العناصر
ولكنه سام سمو الروح التي فيه ، عالم لامور
لا تعلمها الملائكة الذين يذوقونه بالعنصر
ويتمالون عليه بالنور .

2 - ان ما فرس في لطرة آدم من دوافع اساسية
تدفعه الى التعامل مع هذه الارض واكتشاف
خيراتها وتحقيق خلافة الله فيها ، تلزمه ان
يسمي كل شيء باسمه مما سيوضع تحت يديه،
ومما يراه في بيئته ، فكان ان عليه الله اسما
كل شيء بطريق الالهام ، فلما نزل الى ساحة
المبارزة مع الملائكة كان يجيب على كل سؤال
ويسمي كل شيء ، والملائكة لا تستطيع ذلك ،
وتمت كلمة ربك (.. ألم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون) .

3 — ان فكرة الخلود ، والملائكية التي استطاع
بهما الشيطان ان يطغى آدم وزوجه وكذلك
احساسهما بالخطيئة ، وطلب العفو بالاستغفار ،
ومن ثم الرجوع والتوبة .. كل ذلك يتطلب لغة
عالية ، ومنطقا رفيعا ، وبيانا اصيلا ، للتعبير
منها .

اذن فالمحتبة الاولى ان الله خلق آدم وسواه
بيديه على احسن صورة واكمل شكل ناظرا سامعا
ناطقا مبينا ، وانه نطق من اول لحظة تنسم فيها
نسيم الحياة وتعامل مع بيئته وناسه باسمى لغة
واقى تعبير ...

نسبحان الذي يقول للشيء — اذا اراده — كن
.. فيكون . وصدق الله اذ اتمن على الانسان بقوله :
الم نجعل له عينين . ولسانا ولسنتين وهدىنا
النجدين .

والسؤال الذي يتردد في هذا المجال : ما هي
هذه اللغة التي تكلم بها الانسان الاول ؟؟

اللغة الام :

واوية صغيرة الى التاريخ لتتصور من خلالها
على شكل ممكن وتريب اول السلسلة البشرية
منطلقين من آدم وهو ذكر نمرد على الارض والـ
جانبه زوجه حواء الانثى الفردة .

مقد عاش آدم على الارض زهاء 1.000
سنة ، وقد انجبت له حواء عشرين بطنا في كل بطن
فكر وانثى . وبلغت ذريته في حال حياته تربية 40
الف نسبة ا في — بوذ — وقد اوصى قبل موته الى
ابنه ا شيث . سار آدم في حياته على نهج الصحف
التي نزلت عليه فهو اول نبي واول رسول واليه
ترجع مبادئ علم كل شيء استلزمته حياة البشرية
الاولى .. ومات قبل الطوفان بنحو (726 سنة) بعد
ان ادى الى البشرية ما يلزمها من دواعي البقاء
والاستمرار والتحسن . وبعد ما افرغ اوعية العلق
الذي اودعه الله عنده .

واما ا شيث (الابن الوصي لمقد ولد في العام
130 من حياة ابيه آدم . عاش في مكة يهجر ويمتصر .
وجمع الصحف التي نزلت على ابيه وضمها الى

الصحف التي نزلت عليه وهكذا كان شأن الانسان
باربباطه بالسما على كل فترة شيء جديد وعلوم
جديدة تناسب الانسان في تطلماته الجديدة يضيها
الى سابقتها ويسير على نهجها — وشيث النبي سار
على هذا النهج ، وقام بالامر والنهي والدلالة على
طريق السعادة . ويقال انه بنى الكعبة بالحجارة
والطين . وهي اول بيت وضع للناس ، ولعل بناء
هذا البيت كان المحرك الاول لفكرة البناء التي اخذ
بها الانسان من مصور حقيقة : كما ان ا شيث (هو
المعلم الاول في هذا الموضوع . والبناء الاول . ولد له
نفر كثير ولكن الوصية كانت في ابنه (انوش) .

وتتابع هذه السلسلة التي هي اصل البشرية
فيما بعد ما انوش وولد له نفر كثير واما الوصي فهو
ابنه قينان الذي ولد في العام (325) من حياة آدم ،
وولد لقينان نفر كثير منهم (مهلائيل) وهو الوصي
وولد لمهلائيل نفر كثير منهم (برد) وهو الوصي وولد
لبرد نفر كثير منهم (اخنوخ) وهو الوصي .

واخنوخ هذا هو ادريس النبي سمي ادريسا
لدراسته الصحف التي نزلت على آدم وشيث ،
وادريس هو اول من نظر في علم النجوم والحساب ،
وهو اول من غاط الثياب ونسب المخيط .. فهو اذن من
تلك المحركات التي نهت الدواعي الميعة في الانسان
على درب البناء والتطلع الى المستقبل وتحسين
الوسائل التي بين يديه واكتشاف ما خبيء من اسرار
في هذه الارض وما يحيط بها .

ولد لادريس خلق كثير وكانت الوصية لابنه
ا متوشلخ ، وكذلك متوشلخ اوصى لابنه ا لمك .
ولمك هذا هو ابو نوح الرسول . فكانت السلسلة من
آدم الى نوح كما يلي :

آدم — شيث — انوش — قينان — مهلائيل — برد
— ادريس — متوشلخ — لمك — نوح .

ولقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها كانت
على ملة الحق . وانما وقع الكفر والفساد في القرن
الذي بعث فيه نوح بالانذار والوعيد حيث كثر الفساد
وشاع الكفر والاحاد .

ولد نوح في العام 126 من موت آدم اي في العام
1126 ، من حياة البشرية وقد ارسل الى قومه ،
ومك فيهم يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر زمانا

طويلا ، لما آمن معه الا قليل فدعا دعوته المدمرة التي شملت كل مخلوق على الارض ، ما عدا اهل السفينة (وقال نوح : رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا - نوح 26 - 27) .

امر نوح ببناء الفلك وعندما باشر فيها سخر قومه منه لانهم لم يتصوروا ان بناء ما سيموم على وجه الماء ، وبهذا الفتح الجديد في عالم التجارة والمعوم بالمنجور على صفحة المياه يكون نوح احدى الحلقات في سلسلة العلوم واصولها التي بنت عليها البشرية ، وما زالت تبني حضاراتها المختلفة .

« واصنع الفلك باعيننا ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفترقون . واصنع الفلك وكلما مر عليه مالا من قومه سخروا منه ، قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم . حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه الا قليل .. وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم . وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفترقين . وقيل يا ارض ابلعي ماك وما سماء اقلعي وغبض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين . (هود) »

يتكلم علم الجيولوجيا عن اكثر من مرة طفت فيها مياه البحر والامطار الغزيرة على اليابسة لغمرتها كلها، واهياتا فغمر اكثر اجزائها او بعضها ولكن مع اختلاف بين علماء الجيولوجيا حول تحديد تلك الازمنة الجيولوجية التي حدث فيها طغيان المياه على الارض وترب تلك الحوادث من التاريخ البشري او بعدها منه .. وانكر على سبيل المثال حادثتين مما يذكره علم الجيولوجيا :

1 - حدث طغيان بحري عام (طغيان المصفر السينوماني) دلت عليه الازمات الحوارية في مختلف الاصقاع . وذلك فيمنتصف الدور الحواري (الكرياسي) وهو آخر ادوار الزمن الثالثي الجيولوجي والذي تليه حقبة الحياة الحديثة .

2 - في دور الميوسين (الدور قبل الاخير من الزمن الثالث) تقلص البحر المتوسط الكبير اتبقيس ا حتى اصبح اصغر رقعة من البحر المتوسط الحالي ، ثم طفت البحار على اليابسة فاصبحت رقعة البحر المتوسط واصبحت ابعاده شبيهة بابعاده الحالية واهلق من الشرق ، وذلك في البليوسين . وهو الدور الاخير من ادوار الزمن الثالث - الملقب بحقبة الحياة الحديثة (دور بدء ظهور الانسان على الارض .

هذه المقالة الجيولوجية تتراوح بين تطبي الظن واليقين حتى بين علماء الجيولوجيا انفسهم . واما الذي اومن به انا فهو ان الطوفان قد حصل ، وهو طغيان الماء على اليابسة بشكل عام ذلك الطغيان الذي دمر الحياة واغرق الاحياء والنبات ، ولا زالت الحفريات تكشف عن هيكل احياء تلك الحقبة من ناس وحيوانات وعن اشجارها ونباتاتها المظورة.. وما البترول وتركيبه العضوي سوى دليل واضح على تلك الاجساد التي اغرقت بالماء ، وطمرت عوامل الانجراف . حيث ثبت بالتحليل وجود مواد في البترول تنتج مادة من تحليل يخضور النباتات او خضاب الدم .

كما ان الزمن الذي حصل فيه الطوفان قريب من زمننا هذا وعلى بعد (4.500 - 5.500) وهذا الرقم يكاد لا يذكر امام الارقام الخيالية التي يضمها علماء الجيولوجيا رغم اختلافها ، والذي دللني الى اغفال ما قالوا وتثبت هذا الرقم (4.500 - 5.500) هو :

1 - عدم اتفاقهم على رقم معين ، بالاضافة الى الفروق الشاسعة بين ارقامهم انفسهم .

2 - ما نرضه على الخط الذي اتبعه في بعثي هذا من حيث البناء على الاخبار التاريخية هي التي دلمنتني لوضع هذا الرقم .

لنرجع الى بحثنا الاصيل فاقول :

يعتبر نوح ابا البشرية بعد آدم حيث ان الذين ركبوا معه هم ابناؤه واسرهم المؤمنون (قال عز وجل: وجعلنا ذريته هم الباقين .. ثم افرقتنا الاخرين . (الصافات) .

وقد أجمع المؤرخون ان لنوح أربعة اولاد هم :
كنعان — سام — حام — يافث . لما كنعان مهسو
الفريق ، واما الثلاثة الآخرون فالى نسلهم ترجع
البشرية .

وفي الحديث : الذي رواه اكثر من واحد من
طريق (قتادة والحسن وسرة بن جندب وعمران بن
حصين) رضوان الله عليهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ،
نسام ابو العرب ، وحام ابو الزنج ، ويافث ابو الروم »
نسام اذن ابو العرب ، واليه ترجع اللغات
النسائية كلها ، وكان من اولاده ارم — ورمخشند —
واشوذ — ولاوذ وعويلم .

وولد لارم بن سام : عوص — وغائر — وهويل ،
وولد لعوص : غائر بن عوص ، وعاد بن عوص ،
وعبيل بن عوص . وولد لغائر بن ارم : ثمود بن غائر
وجديس ابن غائر . وكانوا قوما حربا يتكلمون بهذا
اللسان المصري ، فكانت العرب تقول لهذه الاسم :
العرب العاربة لانه لسانهم الذي جبلوا عليه ، ويقولون
لبني اساميل (ابن ابراهيم بن تارح بن ناحور بن
ساروخ ابن ارغوا بن فالخ بن غابر بن شالخ بن قينان
بن ارمخشند بن سام) العرب المتعربة لانهم انما
تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهريهم . فعاد
وثمود والمعاليق (الكتمانين) واميم وجلسم وجديس
وطسم هم العرب (كما يقول التاريخ) .

ومن ولد ارمخشند بن سام الانبياء والرسول
وخيار الناس والعرب كلها والفرانجة بمصر ومن ولد
يافث ملوك الامم كلها من الترك والخزر وغيرهم ،
والفرس الذين آخر من ملك منهم يزديجرد بن شهريار
ابن ابرويز ونسبه ينتهي الى جيومرت بن يافث بن
نوح .

واما تحطان بن حابر الذي حكم اليمن والذي
هو اول من سلم عليه — (ابيت اللعن) فكانت
نسبته الى نوح كالاتي :

« نوح — سام — ارمخشند — قينان — شالخ —
حابر — تحطان — يعرب .. وهكذا » ولقد ولد لحابر
(وهو ابو تحطان) تحطان ومالغ ، ومالغ معناه قاسم
وسمي بهذا الاسم لان الارض قسمت واللسن تبلبت
في ايامه .

وعلى ذكر بلبله الالسن ، ذكر المؤرخون ان اللغة
كانت واحدة بالنسبة لثرية نوح وقد تفرقت واختلقت
فيما بعد ، وقد وردت عدة اسباب لهذا الاختلاف منها :
ما يقوله ابن جرير الطبري في تاريخه (ص 210 ج 1)

« وكان مولد مالغ بعد الطولمان بمئة واربعين سنة
لما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطولمان
هبوا ببناء مدينة تجسمهم فلا يفرقون او صرح حال
يحرزهم من الطولمان ان كان مرة اخرى فلا يفرقون ،
فأراد الله عز وجل ان يوهن امرهم ويخلف ظنهم ويعلمهم
ان الحول والقوة له ، فبدد تسلمهم وشقت جسمهم وورق
السنتمهم ، وكان عمر حابر (474 سنة) »

« وقال الحارث بن محمد : كان يقال لعاد في
دهرم عاد ارم لما هلكت عاد قيل لثمود ارم ، فلما
هلكت ثمود قيل لسائر بني ارم : ارمان ، فهم النبط ،
فكل هؤلاء كان على الاسلام (أي التسليم لله الواحد)
وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن
حام بن نوح فدعاهم الى عبادة الاوثان ، ففعلوا
فامسوا وكلامهم السريانية ثم اصبحوا وقد بلبل الله
السنتمهم فجعل لا يعرف بعضهم كلام بعض ، فصار
لبني سام ثمانية عشر لسانا ولبني حام ثمانية عشر
لسانا ولبني يافث ستة وثلاثون لسانا ، ففهم الله
العربية عادا وعبيل وثمود وجديس وعيليق وطسم
واميم وبني يعطن بن حابر .

وبهذا الموجز التاريخي نكتفي لترجع السى
موضوعنا الاساسي ما هي اللغة الام التي تكلم بها
الانسان الاول ثم ورثها بنيه من بعده .

المعروف ان الاسرة هي المدرسة الاولى للانسان
فمنها يتلقى اول ما يتلقى اللغة ثم العادات والتقاليد ثم
الاخلاق والمثل .. الخ .

ومن السرد التاريخي الموجز الآنف الذكر نجد
بالضرورة ان السلسلة البشرية ما بين آدم ونوح
وبالتالي ابنائه (سام وحام ويافث) كانت تتكلم لغة
واحدة .

اولا — لان الصلة وثيقة بين الاب (الموصى)
والابن (الموصى له) .

ثانيا — لقلة العدد وغلبة الاجتماع في منطقة واحدة
— الا ما ندر .

ثالثا - لطول حياة آدم وقربها من مولد نوح عليهما السلام (126 سنة) .

فإذا ثبت ذلك نرجع لنبحث عن تلك اللغة الواحدة التي سادت تلك العتبة من التاريخ ودوت الناظها على وجه البسيطة .

وبناء على ما تقدم : فإن آدم عليه السلام قد تكلم - أول ما تكلم - في الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض ، وأجرى مناظرته في علم الأسماء مع أهل الجنة من ملائكة وغيرهم ، فما هي لغة أهل الجنة يا ترى ؟ ..

روى الطبراني والحاكم والبيهقي وآخرون عن ابن عباس وعن أبي هريرة بطرق مختلفة بعضها بعضها بعضا ، بهذا المعنى وبهذا اللفظ أحيانا وقريبا منه ما يلي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أحبوا العرب لثلاث لاني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة لي الجنة عربي » (12) .

وعلى هذا يكون آدم قد نطق بالعربية ومن ثم تعامل بها عند ما هبط إلى الأرض ولقنها لابنيه من بعده (والله اعلم) .

واستمرت هذه اللغة يتناقلها الأبناء عن الآباء حتى عهد نوح .

وإذا كان سلم بن نوح هو أب العرب ، فمن باب أولى أن يكون نوح أب العرب أيضا . وقد علم العربية لابنيه الآخرين حام ويانث ، وما تخصص سام بأبوة العرب إلا بمعنى لغات أكثر فروعها على اللسان العربي بمعنى غالبية الفروع في حام ويانث التي تأثرت بالبيئات الجديدة وابتعدت عن موطن اللغة الأم فتطورت كلمات وتكونت لهجات ثم تعمقت لغات على درب البشرية الطويل ويوضح هذا المنح أكثر فأكثر حديث الرسول الكريم الذي يقول فيه : « ليسست العربية لأهكم من أم ولا أب ، ولكن العربية هي هذا اللسان فمن نطق بالعربية فهو عربي » .

ونخلص إلى النظرية التالية :

العربية أم اللغات وأصلها الأصيل ، وكل اللغات الآرية والسامية والعمامية كان أصلها لهجات عربية تولدت عنها وتطورت فيما بعد بحسب البيئات والهاجيات ثم تعمقت كلغات مستقلة على مر العصور .

يقول الإمام القلقشندي في موسومته (صبح الاعشى) (13) عن اللغة العربية :

« أما فضلها فقد أخرج ابن أبي شيبة بسنده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (تعلموا اللحن والفرائض من الله من دينكم) . قال يزيد بن هارون (اللحن هو اللغة) . ولا خفاء أنها أمتن اللغات . وأوضحها بيانا . وأذلتها لسانا وأدها روايات ، وأعذبها مذاقا ، ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله وخاتم أنبيائه وخيرته من خلقه وصلوته من بريته . وجعلها لغة أهل سماه ، وسكان جنته ، وأنزل بها كتاب المبين الذي لا ياتيئه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

« قال في صناعة الكتاب : وقد اتفقت اللغات كلها لغة العرب ، فاقبلت الامم اليها يتعلمونها »

وأما ظاهرة اختلاف الألسن وتمدد اللغات التي مر ذكرها أننا ، للحكمة يريدنا الله ، والاختلاف بعد ذاته آية من آيات الله ، قال تعالى ذكره :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السننكم واللغات . ان في ذلك آيات للعالمين » (الروم 22) .

والاختلاف لا يكون إلا من بعد الاتفاق ، والاتفاق كان على اللغة الأم ، ومن ثم تفرعت وتم اختلاف الألسن .

« وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلطوا ولولا كلمة سبقت من ربك لغضبي بينهم فيما فيه يختلفون » (يونس 19) .

ولعل هذا الاختلاف إنما كان لتمييق الناس من أجل الإصلاح والانفصال والآخر ولعدم اجتماع الناس على الفساد ..

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » ، البقرة 251 .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ... » (الحج) .

الطائفة :

من الماء ، وهذا يعني الساحل لان الساحل
ايضا هو ريف البحر وشاطئه .

من كلمة ريف جاءت كلمة (Ripa) اللاتينية
وهي بمعنى ساحل - ومنها Riviera
الاطالية : ساحل - ومنها Rivière الفرنسية:
وهي بمعنى ساحل تدفيا وهدينا بمعنى نهر -
ومنها Rive الفرنسية : ساحل - ومنها
River الانكليزية : بمعنى نهر .

2 - كلمة (صج) صوت اصطلق العديد منها
(صنج) آلة الطرب النحاسية . ومنها (سنجة)
كلية الميزان - ومنها (سنجة) حجر الميزان .
وبنفس المعنى جاءت كلمة (سنكة) الفارسية
وصيغت منها كلمة (سنك) اي الحجر ، ومن
هذه كائن (Singan) السكونية - و (Sing) الانكليزية
وهي بمعنى يفتني .

3 - كلمة (بلاط) تعني في العربية الارض المستوية
المساء . وهي ام الكلمات الآتية :

Platta اللاتينية بمعنى صحبة .
Piazza الايطالية بمعنى ساحة .
Plate الفرنسية بمعنى طبق .
Piat الانكليزية بمعنى سطح .

وكلها تشترك بمعنى الاستواء والسطحية .

هذا نموذج مصغر مما قيل في العلم ارجاع
اللغات الى اللغة الام (الترسيس) . واما الوصول
الى درجة اليقين المثلث في هذه الناحية بالسذات
فيحتاج الى التحقيق والتدقيق المستمرين .

واخيرا يجيب هذا البحث على ما ورد من تساؤلات
في مطلعها ، وباليقين الثابت ان البشرية ترجع الى آدم
(عليه السلام) وان آدم لم يكن له مقدمات في عالمي
الجن والحيوان ، ولكنه كان على احسن صورة يتمتع
بنفس الحواس والاجهزة التي يتمتع بها انسان اليوم ،
ومنها النطق والبيان ، وقد اودع الله فيه من الاسرار
ما يكفيه ليكون خليفته في ارضه ، كما ان الله سبحانه
وتعالى قد علمه اساء كل شيء مما سيتبع تحسنت
ناظره ويديه ، فكان هذا العلم ذخيرة من الالفاظ
والكلمات المدركة الجاهزة اخذ يطلقها على امرادها عند
اللزوم ، وقد علمها ابناؤه وذريته قبل ان ينتقل السى
العالم الاخر ... وبغير هذا لا يقبل العقل ابدا ..

واما تعدد اللغات فهو ظاهرة طبيعية ومعقولة
ترجع الى تفرع اللهجات عن اللغة الواحدة ، وبالتالي
تحسنت على مر العصور ، وقد رافق ذلك استنباط
كلمات جديدة وتركيب الفاظ حديثة نتيجة لسبببات
مستعينة .

واما من اللغة الام فكان الجواب منها ثابما على
اساس الظن اليقيني او بتصبير آخر على توى الظن؛
وذلك لتولي ان العربية هي ام اللغات واصلها الاصيل.

ولقد بحث بعض علماء اللغات العبية في موضوع
العربية وارجعوا كلمات كثيرة من اللغات الاخرى اليها
من ذلك ما قاله (14) الاستاذ عبد الحق نماضل (نزول
المغرب العربي) :

1 - كلمة (ريف) في العربية معناها الارض القريبة

- 1] عندما نقل احد الباحثين المحققين هذا النص الى كتاب له ، علق هنا بقوله : « هذا مجرد رأي لهكسلي
بوصله - دارونيا - وهو طبعا يمز عليه ان يتراجع من فروض دارون كلية امام ضغط الحقائق
الجديدة ، ولكنه يتراجع بالفعل ، وهو يتظاهر بانه ثابت على اصول النظرية .. والانسان يحتوي
الكيان الحيواني من الناحية العضوية ولكنه ليس حيوانا بالمعنى الذي تقوله الدارونية » .
- 2] هنا يظهر تراجع هكسلي بين ضغط الحقائق وبين مقتضيات الاحاد والمادية .
- 3] نحن ننقل نصوص هكسلي كما هي - بغض النظر عما نخالفه فيه في نشأة الانسان .
- 4] ص 123 - 124 من كتاب الخطر اليهودي - لمؤلفه محمد خليفة التونسي .
- 5] ص 49 - 52 من كتاب التلمود - جمع عبد المنعم شميس .
- 6] طباعة دار المعارف بمصر (ذخائر العرب - 30)

- (7) الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية لمالكها وندبرها السيد عمر حسين الخشاب بمصر .
- (8) الكلام الموجود داخل الاتواس في الاسطر الاخيرة من هذا النص ليس من اصل النص بل هو تفسيري .
- (9) روى الحاكم من جابر قال : ترا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها . ثم قال مالي اراكم سكوتا . الجن كانوا احسن منكم ردا . لما قرأت عليهم هذه الآية : (غياي الاء ريكما تكذبان قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد .) . (تفسير سورة الرحمن في الجلالين)
- (10) كتاب شفاء المليل . لابن قيم الجوزية .
- (11) اخذت هذا الموجز بتصريف من تاريخ الطبري الجزء الاول من الصفحات الاولى حتى الصفحة 250 وعلى الاخص الصفحات 145 - 155 - 167 - 178 - 204 - 205 - 207 - 210 ، فليرجع اليها في حالة الاستزادة .
- (12) كشف الخفاء - ج 1 ص 54 - للمحدث الشيخ اسماعيل بن محمد المجلوني الجراهي المتوفى سنة 1162 هـ .
- (13) الجزء الاول ص 148 .
- (14) بنصرف من العدد الخامس من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب (الرباط) . وقد جاء البحث تحت عنوان (علم الترسيب) .



اللغة والمجتمع الإنساني

أحمد عبد الرقيب السامح

مشيخة جامعة الأزهر

يلجأ الإنسان الى لفته بمفرداتها وقوامدها يستمين بها ، يضع لهذه المعاني الفاظا او ينقل الفاظا من معانيها التي وضعت لها ، الى هذه المعاني الجديدة لتدل عليها فان لم يجد الإنسان في لفته ما يسعفه لجأ الى الاقتراض من لغات اخرى وقد يصقل ما يقترض بمصقل لفته لينتظم فيها وكأنه منها ، ولا يقتصر الامر على الالفاظ بل يمتددا الى الاساليب فهي الاخرى تنمو وتتطور ، فاذا باساليب لا تعرفها اللغة في زمانها السابق تدخل في زمان لاحق ، كل ذلك لان حياة الإنسان تنمو وتتطور واللغة اداة ووسيلة فلا بد لها من ان تسير تطور الإنسان والامات لان حياتها يوفالها .

والذي يرجع منا الى صورته وهو طفل ، وصورته وهو شيخ طامن في السن ، وصورته وهو شاب او صبي ، او كهل ، يرى التغير والتبدل الذي اصاب كيانه واضحا ليما تنطق به الصور ، ولكن الإنسان لا يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل بل يلحظ نفسه وهو في يومه ، ويملق في ذهنه من أمسه بمضه لا كله ، واللغات شأنها شأن الإنسان : فهي تتطور وتتغير وتبدل وكل هذا يحدث في البنية اللغوية في الامس الغابر واليوم المائل .

اللغات هي : مجموعة من الرموز الاصطلاحية من حيث المفردات ، ومجموعة من القواعد النحوية الاتفاقية من حيث ضبط تلك المفردات . فهي لهذا لا تخضع لمنطق حتمي عام ، لانها اصطلاحية اتفاقية تقليدية موروثة او بتعبير آخر : ان اللغة من الامور الاعتبارية والامور الاعتبارية لا يشترط فيها ان تكون عامة بين الناس جميعا ، الا اذا اتفقوا على ما هو معتبر ، اما اذا فقد عنصر الاتفاق اختلف الناس فيما هو معتبر .

وحيث ان اللغة من الامور الاصطلاحية الاتفاقية التقليدية غير المتفق عليها بين الناس ، لهذا اختلفت اللغات فكان لكل لغة مفرداتها الخاصة بها ، وقوامدها ونظمها ، واللغة لشدة التاثر بها والتطبع عليها تبدو لتكلمها وكأنها من الامور الطبيعية ، ويبدو ما يخالفها شادا غريبا لا يقبلونه الا في حدود معينة (1) .

النمو والتطور :

حياة الإنسان لا تستقر على حال : علومه تتطور وافكاره تتسع وحضارته تتقدم وحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي الاخرى تتطور وتتقدم وتتمدد ، وهذا يعني انه يجد في حياة الإنسان الجديد من المعاني التي تتطلب وضع الفاظ لها . لهذا

وعمر اللغة لا يقاس بعمر الانسان ، اذ منها ما بين مولدها وعصرنا ، المئات من السنين فنصفها بأنها حديثة وما هي بالحديثة ، واخرى ما بين مولدها وعصرنا الاولف من السنين ونصفها بأنها قديمة ، لاننا اذا رجعنا الى اصولها ، او الى اصل الاصول ، كان عمر اللغة المئات من آلاف السنين بل الملايين منها ، فهل يمكن ان يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل في هذا الامتداد الزماني؟ الحقيقة لا ، اما لماذا ؟ فلاسباب :

ان اللغة الام لم تخلف لنا من الآثار ما يدل عليها ، ويتطور الانسان تطورت لفته الى لغات وكان التطور تدريجيا فنسي الانسان اسم لفته وعاش حاضرها ، فانقرض ما انقرض وعفى الزمن على ما انقرض ، فنسيته الاجيال ، اما بالنسبة لاصول لغات ماننا الحديث فالتى ولدتها ام وكانت ولادتها حديثة . عرف اصلها اي امها كاللغات المولودة من اللاتينية ، اما ما كانت ولادتها قديمة فقد نسيتم امها ومن اللغات ما دونت مفرداتها وقوامدها ونظمها اللغوية فى الاسفار ومنها ما خلف اسمها آثارا فامكن ان نشين بعض - لا كل - صور تطبيقاتها وتغيرها وتبدلها ومنها ، ما لم يدون فى الاسفار ولم يخلف اسمها الآثار فلا نعرف عنها الا صورتها الحاضرة ، ان لم تكن قد انقرضت ، ونعود الى لغات العالم التى تحتفظ بصور تغيرها وتبدلها وتطورها ونسال هل تعطي هذه الصور واقعا يطابق واقع اللغة وهى تتطور وتتغير وتتبدل فى الامتداد الزماني لهذا التطور والتبدل ؟

الحقيقة لا : لان هذه الصور نسبية تماما كصورة الشيء لا تعنى انها حقيقة الشيء بكل كيانه ومقوماته وصفاته ، فكم من الالفاظ بادت ، وكم من الاساليب عفى عليها الزمن ، وكم من القواعد والنظم لم تصل اليها اجهزة المصور اللغوي فانساهها الزمن .

وسؤال آخر يقفز الى الذهن ويتطلب الجواب :

ما هي اسباب النمو والتطور والتبدل والتغير والانقراض فى اللغات ؟ والجواب على ذلك اننا نجد اهم تلك الاسباب فيما ياتى :

1 - النمو والتطور والتغير والتبدل فى حياة الانسان نفسه وهذا يدفعه الى ان يضع لما يجد من جديد الالفاظ واساليب ونظما لغوية .

2 - نقل الالفاظ الموضوعه للمعاني ، فتطاول الزمان بدعو الى وضع الفاظ جديدة .

3 - من المعاني ما يرتبط بعصر من العصور فاذا انقضى العصر لا تكون هذه المعاني من التراث الفكرى والحضارى للجيل اللاحق فتهمل ثم تنسى باهمال الفاظها .

4 - وعدم وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد تراثه الفكرى والادبى وازاء ذلك يضطر الانسان الى ان يغير ويبدل او يهجر لفته .

5 - التحريف والتغيير والتبدل فى اللغة قد يستقر فى دلالاته فيخرج الاصيل حتى ينسى .

6 - ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية اتفافية غير مستقرة لهذا فقد تلد لغات او لهجات ، وقد تستقر هذه اللغات واللهجات المولدة وتهجر اللغة الام .

7 - تسرب الدخيل والمولد الى اللغة مع عدم الحاجة اليهما وبمرور الزمان قد يتغلب الدخيل والمولد على الاصيل .

8 - تجاوز الام واختلاط الشعوب ، سبب من اسباب تطور اللغة ونموها فتقترض اللغة من لغات الامم والشعوب ما تقترض منا هو ليس موجودا فيها .

9 - تعرض الامم للغزوات والنكبات يعرض احيانا الامم المغلوبة الى فقدان لغتها عندما تفرض الامم الغالبة لغتها عليها ، او تتأثر لغة الامم المغلوبة بلغة الامم الغالبة .

10 - انقراض الاسم والشعوب يؤدي الى انقراض لغتها لان اللغات ترتبط بمتكلمها فاذا انقرضوا انقرضت .

11 - تشتت الامة والشعب يؤدي الى تآثر لغتها او لفته بلغات الامم المخالطة مما يؤدي الى مسخ لغة الامة المشتتة .

12 - بعض اللغات تمتاز بسهولة قوامدها ومرونة اساليبها ، وهذا قد يدفع بعض الامم الى هجر اناتها اذا كانت قوامدها واساليبها شديدة التعميد .

نواحي التطور والتغير اللغوي :

وذاتيتها ، ويتكلمها الملايين ، وهذا هو الذي يدعوننا الى التساؤل ما هي المقاييس التي يقاس بها كون اللغة حية او ميتة ؟

ما يجب به على هذا التساؤل : ان العلماء يختلفون في المقاييس التي تعتبر اللغة : لغة حية والاختلاف اسباب : فمن العلماء من يعتبر المجتمع هو المقياس ، فاللغة التي يرتضيها المجتمع بمفرداتها وقواعدها واساليبها ونظمها ، هي اللغة الحية لان اللغة كما عرفها بعض الباحثين هي وسيلة للتعبير والتفاهم وليست غاية ، وللمجتمع ان يختار الوسيلة التي يرتضيها ، ويضيف العلماء الى ما سبق شرطا آخر اذا توفر في اللغة باضافة الى ارتضاء المجتمع كانت اللغة لغة حية ، وهي ان تكون اللغة سهلة في قواعدها مرنة في اساليبها ونظمها وعلى اساس هذا المقياس : للمجتمع ان يغير ويطور ويبدل في اللغة ما شاء الا في حدود ضيقة كان يجري تأليف وترتيب الكلمات وفق نظام ثابت ليؤدي الكلام المؤلف منها معناه العام .

ان الحياة تتطور وفي تطور مستمر، واللغة ينبغي لها ان تسير هذا ، وهي وسيلة وللمجتمع ان يختار تلك الوسيلة ولا ينبغي لتلك الوسيلة ان تقيد المجتمع وتقف حجر عثرة امام تطوره واحتياجاته .

وبعض العلماء لا يعتبر المجتمع هو المقياس بل يعتبر وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد آثاره الادبية والعلمية والفكرية والمقائدية هو المقياس .

فاللغة التي تفي بذلك لغة حية ولا يسمح هؤلاء العلماء لاممهم ان يغيروا ويبدلوا ويطوروا في لغتهم ، كيفما شاءوا ، بل لابد ان يكون التطور والتغير في اللغة يجري على اساس من قواعدها واساليبها اللازمة الابحار ، وهؤلاء العلماء يربطون بين لغتهم وبين تراثهم العلمي والفكري والحضاري ، ويربطون بينها وبين عقائدهم ونظمهم وبينها وبين مشاهيرهم واهدافهم في الحياة (2) .

نشأة اللغة الانسانية :

قد كثر القائلون والباحثون في نشأة اللغة الانسانية واصلا منذ اقدم العصور ولا زال علماء اللغات يدرسون ويبحثون ، ولقد مالجهما فلاسفة

1 - التبدل الصوتي للحرف والكلمة : وذلك

بان يتغير صوت الحرف وعلى سبيل المثال حرف الجيم العربي يلفظ في لبنان وسوريا بصوت يختلف عنه في مصر ، وفيهما منه في العراق ، وكذلك في مصر نفسها حرف الجيم يلفظ في الصعيد بصوت يختلف عنه في القاهرة ، وكذا حرف القاف والضاد ، او ان يتغير صوت الوحدة اللغوية .

2 - توسيع القاعدة اللغوية وذلك بان يخضع اهل اللسان ما يقترضونه لقواعدهم اللغوية فيجرون عليه ما تجري عليه قاعدة لغتهم او توسيع القاعدة لتشمل الشاذ غير الخاضع لها .

3 - اقتراض المفردات : وذلك حين تعجز قواعد اللغة من الوفاء بوضع مفردات جديدة او لا يكون ذلك من عجز وانما تكون المفردات الاجنبية قد استقرت بحيث لا يمكن احلال مفردات لغوية موضوعة بموجب القواعد اللغوية للغة .

4 - استعارة اساليب او تراكيب لا تعرفها اللغة : ومن امثلة ذلك في اللغة العربية : ذر الرماد في العيون ، وهاش ستة عشر ربيعا ، ووضع المسألة على بساط البحث ، ولا جديد تحت الشمس ، وساد الامن في البلاد .

ومن امثلة ذلك ايضا ، الاصطلاحات الفنية والادارية : كهيئة المحكمة وتشكيل المحاكم ، وانعقدت المحاكم ، وتعريف الرسوم ، واللاسلكي ، والانهائي .

5 - تبدلات نرفية مختلفة : كالنقل والارتجال والاستعمال المجازي والنحت على غير قياس او سماع .

مقاييس اللغة الحية :

من اللغات ما توصف بانها : حية ، ومنها ما توصف بانها : ميتة ، والميتة هي اللغة التي تشتت الشعب الذي يتكلمها فخالط اما وشعبا مختلفة اللغات وكان ان مسخت لغة الشعب المشتت ، وقد يطلق وصف الميتة على لغات تحتفظ بشخصيتها

اليونان وعلماء اللغة العربية والاسلام واهتم بها الباحثون المحدثون من الاوربيين ومشي على آثارهم كثير ممن اخذ عنهم ، وخاصة العرب منذ القرن التاسع حتى اليوم وقد اختلفت وجهات النظر ونتج عن ذلك نظريات كثيرة منها : ان اللغة الهام وتعليم من الله : بمعنى ان الواضع للغات هو الله سبحانه وتعالى وقد بلغها الانسان بطريق الوحي والالهام او بايداع ذلك في طباعه .

1 - وذهب الى هذا الراي جماعة من المفسرين وقد حكى ابن جنى من بعض المفسرين في تفسير الآية « وعلم آدم الاسماء كلها » ان الله سبحانه علم آدم اسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والبرانية والرومانية ، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم ان ولده تفرقوا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه ، واضمحل عما سواها لبعدهم بها ، واذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به (3) .

ومن ابن عباس انه كان يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه الاسماء التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وجمل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها ، ومن مجاهد انه قال : علمه اسم كل شيء ، وقال غيرهما : انما علمه اسماء الملائكة ، وقال آخرون : علمه اسماء ذريته اجمعين .

2 - ومن ذهب هذا المذهب : الاصوليون ، قال الامدي حاكيا آراء العلماء في ذلك: اختلف الاصوليون فيه، فذهب الاشعري واهل الظاهر وجماعة من الفقهاء الى ان الواضع هو الله تعالى ، ووضعه لنا متلقى من جهة التوقيف اما بالوحي او بان يخلق الله الاصوات والحروف ويسمعا الواحد والجماعة ويخلق له اولهم: العلم الضروري بانها قصدت للدلالة على المعاني ، محتجين على ذلك بآيات منها قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » وهذا يدل على ان آدم والملائكة لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم

يعلم » . واللغات داخله في هذه المعلومات ومنها قوله تعالى : « ان هي الا اسماء سميتها واثم واثمكم ما انزل الله بها من سلطان » ذمهم على تسمية بعض الاشياء من غير توقيف ، وقوله تعالى : « ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السننكم » المراد به اللغات لا نفس اختلاف هياكل الجوارح من الاسنة . لان اختلاف اللغات ابلغ في مقصود الآية (4) .

3 - وذهب طائفة من علماء اللغة الى مثل ما ذهب المفسرون والاصوليون حكى ابن جنى في الخصائص عن استاذه ابي علي الفارسي المتوفى سنة 377 هـ قال : ان ابا علي رحمه الله قال لي يوما هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » (5) .

وايد ابن جنى هذا الراي فقد جاء عنه في الخصائص : « واعلم فيما بعد انني على تقادم الوقت دائم التنقيح والبحث عن هذا الموضوع ، فاجد الدوامي والخوارج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التفول على فكري ، وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك علي جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه اصحابنا ، ومنه ما حدوته على امثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده ، وبعد مراميه ، وآماده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما اسعدوا به ، وانضاف الى ذلك وارد الاخبار الماثورة بانها من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقاد كونها من الله سبحانه وانها وحي (6) .

4 - وقال ابو الحسين احمد بن فارس : ان لغة العرب توقيف ، واستدل بالآية « وعلم آدم الاسماء كلها » وتفسير ابن عباس ومجاهد وغيرهما . ولكن ابو الحسين بعد ان اطلق كلامه هذا الاطلاق رجح فخصص ما عمم فقال : ولعل ظانا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد وليس الامر كذلك ، بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء ان يعلمه اياه مما احتاج اليه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم عليه السلام من الانبياء نبيا نبيا ما شاء ان يعلمه حتى انتهى الامر الى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فاتاه الله من ذلك ما لم يؤته احدا من قبله (7) .

الحسين احمد بن فارس فهو تقليد لائمة الدين ، وقد كان الشيخ محافظا شديد المحافظة وقد عدل كلامه فضيق دائرة الدعوى ، واما انكاره على العرب انهم اجتمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فيكفي في رده ما نقله غير واحد من ائمة اللغويين من ان رؤبة الحجاج وجريس وابن احمر الباهلي انفرد كل منهم بالفاظ لم يقلها غيره من العرب ، وانهم كانوا يرتجلون اللفظة احيانا فهذا دليل على استمرار نمو اللفظة حتى العصر الاموي والى انقضاء عصور الفصاحة العربية قبل ان يسيل سيول المجمة وتفسد السلائق باختلاط العرب بغيرهم الاختلاط الاكبر في العصر العباسي ، وليست الواضحة والاصلاح والتواطؤ الذي يريد القائلون به، الا ان يخترع اللفظ مخترع فيقبله منه الناس ويستعملوه .

وخلاصة ما تقدم : ان القائلين بان اصل اللفظة توقيف ووحى يموزهم الدليل العلمي لا الديني ولم نجد هذا الدليل فيما بين ايديهم من فروض واحتمالات .

وقد ذهب هذا المذهب من اليونانيين قديما الفيلسوف « هيراقليط » ومن الاديبيين المحدثين طائفة على راسهم الاب « لامي » في كتابه « فن الكلام » ويستند الى نصي الفقرتين 19، 20 من الاصحاح الثاني من سفر التكوين وهما « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول ، وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يرضه له الانسان فوضع آدم اسما لجميع الحيوانات الستائة وطيور السماء ودواب الحقول » .

وهذا الدليل فوق انه دليل ديني ليس فيه شيء من الاستدلال على اصل الدعوى وقد بان من هذا وما تقدم ان هذا المذهب مجرد دعوى لا سند لها غير الآلة النقلية التي ليست نصا في الموضوع (10)

ولكن بعض العلماء توصل الى دليل عقلي ينهض قويا ليدعم الادلة النقلية وهذا الدليل : ان الانسان الاول لما كان نبيا فهو لا بد له لكي يفهم ما يوحى اليه ولا بلاغ رسالته من لفظة يستطيع بها تفهم وابلغ رسالته ، والا تعذر عليه التبليغ وتفهم ما يوحى ، فالله سبحانه لما خلق ابا البشر واصل الخليقة آدم عليه السلام واسكنه وزوجه الجنة ، وأوحى اليه هو وزوجه ان ياكلا من الجنة حيث شاءا وان لا يقربا

ثم قال فان تعمل لذلك اليوم متمم ، وجد من نقاد العلم من ينفية ويرده ، ولقد بلغنا من ابي الاسود ان امرا كلمه بيمض ما اتكره ابو الاسود . فسأله ابو الاسود عنه فقال : هذه لفظة لم تبلغك . فقال ابو الاسود يا ابن اخي لا خير لك فيما لم يبلغني .

وجاء انه لم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجتمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه (8) .

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا يخفى به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لفظة او احداث لفظة لم تتقدمهم (9) .

قال الاستاذ مصطفى السقا بعد ان اورد اقوال اصحاب المذهب السابق : والذي يلوح لي ان اكثر ما استدلل به اصحاب هذا المذهب ادلة دينية مع ان البحث نظري عقلي ، لا ديني فينبغي ان يستبعد منه الاستدلال بالآيات والاحاديث ونحوها ، على ان الآية الاولى التي هي معتمد القوم في الاستدلال ليست نصا في الموضوع وانما هي من قبيل الظاهر الذي يحتصل اكثر من وجه فقد يمكن تاويلها بان الله اقدر آدم على ان واضع عليها : قال ابن جنى في الخصائص بعد ان اورد الآية وهذا لا يتناول موضع الخلاف : وذلك انه قد يجوز ان يكون تاويله : اقدر آدم على ان واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فاذا كان ذلك محتملا وغير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان ابو هالي رحمه الله ايضا قال به في بعض كلامه .

وليس يعنينا بعد ذلك من الادلة التي استدلوا بها غير كلام ابن جنى وخلصته انه رأى في احكام اللغة ودقة تنظيمها ما جعله يعتقد ان ذلك الاحكام لا يتأتى من غير الله ، وهذا الدليل ان لم يكن صريحا في التدين فهو مقنع بقناع الدين . فان كثيرا من اعمال القدماء كالاغرام وغيرها آية في دقة الصنع فهل نقول ان صناعتها هو الله من اجل اتقانها . على ان ابن جنى نفسه بعد ان ذكر كلامه الذي سبقناه ، لم يلبث ان شعر بما فيه من ضعف فاستدرك على نفسه بقوله ، كذلك لا ننكر ان يكون الله قد خلق من قبلنا وان بعد مداه منا من العطف منا اذهانا واسرع خواطر واجرا حنانا فاقف بين الخليتين حسيرا واكاثرهما فانكفيء مكثورا ، وان خطر خاطر فيما بعد ، يملق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها . قال الاستاذ مصطفى السقا : اما صدر كلام ابي

سمة ولفظاً ، فإذا ذكر حرف به ما مسماه ، ليمتاز عن غيره ، وليفني بذكره عن احضاره الى مرآة العيس ، فيكون ذلك اقرب واخف واسهل ، من تكلف احضاره بلوغ الفرض في ابانة حاله ، بل قد يحتاج في كثير من الاحوال الى ذكر ما لا يمكن احضاره ولا ادناؤه كالفاني . وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد ،

كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جار في الاستحالة والبعد مجراه ، فكانهم جاؤوا الى واحد من بني آدم فأومأوا اليه وقالوا انسان انسان فاني وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هو الضرب من المخلوق ، وان ارادوا سمة عينه او يده اشاروا الى ذلك فقالوا : يد ، عين ، رأس ، قدم او نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا حرف معناها وهلم جرا ، فيما سوى هذا من الاسماء والافعال والحروف ، ثم لك بعد ذلك ان تنقل هذه المواضع الى غيرها ، فتقول الذي اسمه انسان فليجمل مكانه مرد والذي اسمه راس فليجمل مكانه سر ، وعلى هذا بقية الكلام ، وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية فوتمت المواضع عليها لجاز ان تنقل ويولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرهما وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الاسماء كالنجار والصانع والحائك والبناء وكذلك الملاح . قالوا : ولكن لا بد لاولها من ان يكون متواضعا بالشاهدة والايماء « 14 » .

وعلى ذلك اختلفت اقلام ذوي اللغات ، كما اختلفت انفس الاصوات المرتبة على مذاهبهم في المواضع ، وتوسط قوم بين المذهبين فذهب ابو اسحاق الاسفرايني الى ان القدر الذي يدهو به الانسان غيره الى التواضع بالتوقيف ، والا فلو كان بالاصلاح فالاصلاح عليه متوقف على ما يدهو به الانسان غيره ، الى الاصطلاح على ذلك الامر ، فان كان بالاصطلاح لزم التسلسل وهو ممنوع ، فلم يبق غير التوقيف ، وجوز حصول ما عدا ذلك بكل واحد من الطريقتين « 15 » .

وخلاصة الرد على اصحاب هذا المذهب في ان قولهم : باجتماع حكيمين او ثلاثة فصاعدا ، ليضموا لكل شيء سمة ولفظاً ، ليس الامجرد خيال وحس وظن وان الظن لا يفني من الحق شيئاً ، ذلك الى ان القول بان الانسان وضع من اول الامر كلمات ذات مقاطع مركبة يجانفي طبائع الاشياء اذ ان التدرج

شجرة معينة وغير ذلك مما خاطبهم به . فلا بد من غير شك انه علمهما معاني ما خاطبهما به وما اوحى به اليهما . بل الظاهر انه سبحانه علمهما ما يتخاطبان به فيما بينهما او مع الملائكة ، وذلك لانعام النعمة عليهما في الجنة .

نعم من الجائز ان الله اودع في آدم وذريته الاولين قوة توسيع اللغة الاصيلية ثم تفرعت منها لغات بعد ذلك حسب التكتلات البشرية في اقطار المعمورة فكان لكل كتلة منهم لغتها ولهجتها ونفتمتها الخاصة « 11 » .

المذهب الثاني :

ان اللغة تواطؤ واصطلاح : وخلاصة هذا المذهب ان الواضع للغة هو الانسان وان وضع لها ، كان على مراحل ، ولقد ذهب الى هذا المذهب اكثر اهل النظر ، كما قال ابن جنس في الخصائص . هذا موضع محوج الى فضل تأمل ، غير ان اكثر اهل النظر على ان اللغة انما هي تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف « 12 » .

ولعل المراد باهل النظر في كلام ابن جنس المتكلمون عامة والمعتزلة منهم خاصة ، وكان ابن جنس واستاذه ابو علي الفارسي منهم كما ذكر السيوطي في كتاب الزهر .

1 - حكى ابو الحسن علي بن محمد الامدي في كتاب « الاحكام » ان البهشمية وجماعة من المتكلمين ذهبوا : الى ان ذلك من وضع اهل اللغات واصطلاحهم وان واحدا او جماعة انبعثت دأيمته او دأيمتهم الى وضع هذه الالفاظ بازاء معانيها ثم حصل تعريف الباقيين بالاشارة والتكرار كما يفعل الوالد بالولد الرضيع وكما يعرف الاخرس ما في ضميره بالاشارة والتكرار مرة بعد اخرى محتجين على ذلك بقوله تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة والتوقيف (13) .

2 - وزاد ابن جنس على هذا المذهب توضيحا بقوله : ذهبوا الى ان اصل اللغة لا بد فيه من المواضع وذلك كان يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا الى الابانة من الاشياء المعلومات فيضموا لكل واحد

والحركات ، حتى تكاثرت فجعل يحكي الاصوات التي يسمها ، فكان اذا اراد ان يشير الى الغراب قال: غاق ولما وجد حكاية الاصوات هذه تقي بالمقصود اعتمد عليها فحصلت منها اصوات اللفظة ثم طرا عليها التركيب والنحت والحذف والتغيير وما شاكل ، فتألفت سائر الفاظ اللفظة من كل خاطر يخطر في النفس « 20 » .

وبمقتضى هذا المذهب كان الانسان اذا اراد استحضر معنى الحصان عبر عنه بصهيله « حم حم » او معنى الكلب عبر عنه بمحاكاة نباحه « عومو » وهكذا واذا اراد الدلالة على معنى قطع الفصن او قصفه نطق بالصوت « قط او قص » او معنى سقوط الحجر على الارض نطق بالصوت « طق » لما بين هذه الاصوات ومعانيها من المناسبة وقد قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداد فقالوا « صر » وتوهموا في صوت البازي تقطبا فقالوا « صرصر » ومن الطبيعي ان يكون التفاهم في هذا الطور الاول بكلمات متقطعة لا بجمل ، وان هذه الكلمات كانت حكاية لاصوات « الاشياء او حكاية افعال ، اما الحروف التي تربط بين الكلمات في الجمل فلم تكن نشأت بعد « 12 » .

فانت ترى ان اللفظة نشأت بمحاكاة الانسان للاصوات الطبيعية وكانت المحاكاة في اول امرها مضموية اي لم يقصد بها الاصوات الحاكية : التعبير عن المعاني المحكي منها بها للاتصال بالغير ، ان الوظيفة الاجتماعية للغة لم تبرز في اول الامر ، ثم وجد الانسان ان هذه الوسيلة مثمرة وناقعة وسهلة في دلالتها على المعاني ، لهذا أصبح يطلق على الاشياء اصواتا هي حكاية لاصواتها الصادرة عنها للدلالة عليها وللانصال بالغير ، فمضى هذا ان استعمل الانسان للاصوات الحاكية أصبح استعمالا شعوريا اراديا هادفا ، وهنا يبرز العنصر الاجتماعي للغة : الرموز الصوتية ، ثم طرا على الاصوات الحاكية الدالة : التركيب والنحت والحذف والزيادة والقلب والابدال ليدل الانسان على معاني جديدة باصوات متمايزة وبعد ان التفث الى اهمية وفائدة الرموز الصوتية في الدلالة على المعاني المصوتة وغير المصوتة ، المادة وغير المادة ، وكان هذا على مراحل ثم ان التصرف في الاصوات الحاكية بالكيفيات المتقدمة يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات

والترقي من البسيط الى المركب ، هو القانون الملحوظ في نشأة الظواهر الاجتماعية التي من اهمها ظاهرة اللفظة كما يلاحظ ذلك في نشأة لفة الطفل وتدرجها شيئا فشيئا .

واما الاستدلال بالآية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فليس فيه دليل ، لانه يجوز ان يكون التوقيف الذي قبل التواضع بالوحي من غير واسطة اللفظة ، على اننا نقول ما قلناه آنفا ان الاستدلال بالنصوص الدينية في مقام البحث العلمي لا يجوز ، ولذلك كله توقف جماعة من العلماء عن القطع بأحد المذهبين فذهب القاضي : ابو بكر الباقلاني وغيره من اهل التحقيق الى ان كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فرض وقوعه لم يلزم منه محال لذاته واما وقوع البعض فليس عليه دليل قاطع ، والظنون متعارضة يمتنع معها المصير الى التمييز ، ولذلك ايضا قال الأمدي والحق ان يقال ان كان المطلوب في هذه المسألة يقين الوقوع لبعض هذه المذاهب فالحق ما قاله ابو بكر الباقلاني اذ لا يقين من شيء منها « 16 » .

المذهب الثالث :

ان اللفظة نشأت من الاصوات ويرى هذا ، العلماء الاوربيون المحدثون وسبق اليه علماء اللفظة العربية قال ابن جنى في الخصائص : وذهب بعضهم الى ان اصل اللفظة كلها انما هو من الاصوات السموات كدوي الريح وحنين الرهد وخرير الماء وشحيج الحمار ، ونبيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الطيبي - صوت تبس الطباء عند السفاد - ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عند ذلك فيما بعد « 17 » .

ويقول ابن جنى : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل « 18 » .

ويرى الاب « انتناس ماري الكرمللي » نفس هذا الرأي ويقول : الكلم وضعت في اول امرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة لاصوات الطبيعة « 19 » .

وهذا المذهب قال به جماعة من المتأخرين مثل : « آدم سمث » و « روكر ستيورت » ونقل عنهم ان الانسان كان يعبر عما في ضميره بالاشارات

الاجتماعية ثم اقرت هذه الاصوات المنصرف بها مع الزمن ، فبعد كثير منها من اصله وهو الصوت الذي حاكى به الانسان الاصوات الطبيعية وهكذا نشأت اللغة «22» .

ويستدل اصحاب هذا المذهب على صحته :

1 - بأنه اقرب المذاهب الى البساطة التي تقتضيها حياة الانسان البدائي وتقتضي التدرج والتطور الذي تقتضي به طبائع الاشياء والذي يلحظ في نشوء الظواهر الاجتماعية عامة .

2 - وبأنه توجد مناسبة ملحوظة بين الاصوات وما تدل عليه من معنى وهذا امر ظاهر في لغات الامم الاولية .

3 - وبأنه شبيه بنشأة لغة الطفل التي تتدرج من الاصوات الساذجة المستطيلة الى الاصوات المقطعة، ثم يتدرج الى الكلمات ذات المقاطع المركبة اذا كملت اعضاء النطق عنده .

ولا يرد على هذا المذهب من النقد ما ورد من المذاهب الاخرى السابقة ولذلك كان اقرب المذاهب الى العقل ون لم يوصل الى اليقين في نشأة اللغات وقد ارتضاه ابن جنى في كتابه الخصائص حين قال : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل .

والاصوات جمع صوت : وهو الجرس الذي ينتقل بالهواء الى حاسة السمع ، وتنقسم هذه الاصوات بحسب المصدر الى الذي تنبعث عنه الى تسمين : الاول الاصوات الطبيعية كصوت الريح او الرعد او النار، او جري المياه وانصبابها من علو الى اسفل ، وكاصوات الحيوان والطيور والاصوات التي تسمع من الانسان في احوال الانفعال كالانين والصراخ والعيويل وكاصوات الفرح والطرب ونحو ذلك .

والثاني : الاصوات غير الطبيعية كاصوات الحركات والانفعال التي يفعلها الانسان واصوت الآلات والادوات التي يستعملها كازباز الطائرات وجمعجة الطواحين وصوت المنشار في الخشب ووسوسة النقود والحلي وصرير الابواب وصلصة الاجراس وما اشبه ذلك .

ويلحق بهذا القسم الاصوات البدائية التي اخترعها لدعاء الحيوان او لرجوه ، وتنقسم الاصوات من حيث صفاتها الى اصوات ساذجة وهي التي تمتد في استطالة بدون تقطيع كصوت زمارة الانذار عند انتهاء الفارات وكصفير الحيوان او الانسان من غير ترجيع ولا تكرير. وهذا النوع ليس موضوع بحث اللغويين، والى اصوات مقطعة كالحروف التي يلفظونها الانسان بالاعتماد على المقاطع والمخارج وكالاصوات الطبيعية التي سبقت الاشارة اليها فانها وان صدرت عن اشياء لا مقاطع لها كقطائع الانسان فقد تمكن حكايتها بالالفاظ اللغوية الانسانية ذات المقاطع والحروف جرت عليها احكامها «23» .

وهناك من العلماء من يقرر ان اصل اللغة الاصوات الانفعالية للانسان التي كان يطلقها الانسان في ظروف حياته البدائية وهي تختلف باختلاف حالته النفسية والجسمية وباختلاف الظروف المحيطة به وكانت تلك الاصوات في بدايتها عفوية لم يقصد منها الاتصال بالغير بل هي مجرد اصوات تصدر عنه كتعبير عن حالة من حالته الانفعالية ، ولما ارتبطت هذه الاصوات بتلك الحالات الانفعالية نتيجة تكررهما عند تعرضه لها اتجه الى اهمية هذه الاصوات وفائدتها فاخذ يستعملها للاتصال بالغير وبهذا اصبح الصوت يخدم غرضا اجتماعيا وكان ان وسع مجال الصوت في الدلالة على الاشياء تدريجيا وهكذا نشأت اللغة « 24 » .

المذهب الرابع :

يقرر كثير من العلماء المحدثين ان اصل اللغة يرجع الى جذور نفسية وفي هذا عدة نظريات :

1 - اصل اللغة رغبة الانسان في ان يرى الواقع مرمورا اليه وفي ذلك نجد الاستاذ سابر Sapir وهو من المشتغلين بفلسفة اللغة لا يرى ان الحاجة الى التفاهم انشأت اللغة . بل يرى ان منشأها رغبة الانسان في ان يرى الواقع مرمورا اليه او معبرا عنه بالرموز . ثم اكتشف مصادفة ان ذلك خير وسيلة للتفاهم « 25 » .

2 - اصل اللغة التعبير عن الحالات الانفعالية .

3 - اصل اللغة التعبير عن المعاني الكامنة وفي هذا يقول « ماكس » وهو من اشهر من قال بهذه

وكان ان وسع من نطاقها وطورها لتخدم المراضه التي
يمكن ان تؤديها .

المذهب الخامس :

الاصل الاجتماعي وخلصته : ان اللغة نشأت
بظهور البكرة الاولى لتكوين المجتمع ، وان الانسان كان
مضطرا لان يفاهم نبع الاخرين لاسباب ودوائج
كثيرة ، لهذا كان يطلق اصواتا في حالات مختلفة ،
ثم اكتسبت هذه الاصوات صفة التباين النسبي
حتى اصبحت لها دلالتها ، على معان معينة ، فاخذ
يستعملها للتعبير والاتصال بالآخرين لتحقيق غرض
ما ، فنشأة المجتمع هي سبب نشأة اللغة ، واللغة
هي التي جعلت للمجتمع البشري وجودا انسانيا .

النظرية في القرن الماضي 1866 م « في الانسان قوة من
شأنها التعبير عما في ضميره بكلمات ملفوظة فكان الفكر
اول ما يجول في دماغه كأنه يقرع تلك القوة لتصون بالفاظ
يفهم الفكر منها ، وهذه الالفاظ هي اصول اللغة ثم
تقلبت عليها اطوار التعبير والتركيب فتألفت مفردات
اللغة ، ولما تم الاستنباط درج عليها الاستعمال ، ولم
يبق لهذه القوة من حاجة ، فاهلكت وتضعفت ولم
تعد تحس كما يضمف السمع والبصر لقلة
الاستعمال » 26 .

من هذا يتضح ان اللغة انما نشأت بسبب
عوامل ودوافع نفسية بحتة ، ثم وجد الانسان الاول
ان اللغة يمكن ان تحقق له فوائد كثيرة فانتبه لذلك

مراجع :

- 1 - انظر مجلة «النجف» العدد السادس من السنة الثانية ص 73 - العراق .
- 2 - المصدر السابق ص 85 - 86 .
- 3 - الخصائص لابن جني . الجزء الاول ص 39 - 40 مطبعة الهلال بمصر
- 4 - الاحكام في اصول الاحكام للامدي ، الجزء الاول ص 105
- 5 - الخصائص لابن جني ج 1 ص 39
- 6 - المصدر نفسه ج 1 ص 45
- 7 - فقه اللغة للصاحب ص 5 - بيروت
- 8 - المصدر السابق ص 6
- 9 - نفس المصدر السابق ص 7
- 10 - مجلة «المعرفة» العدد 3 من السنة الاولى - المملكة العربية السعودية .
- 11 - مجلة «النجف» العدد السادس من السنة الثانية ص 38-40 - العراق .
- 12 - الخصائص لابن جني ج 1 ص 39 .
- 13 - مجلة «المعرفة» السنة الاولى ، العدد 3 - السعودية .
- 14 - الخصائص لابن جني ج 1 ص 41-42 .
- 15 - الاحكام في اصول الاحكام للامدي ج 1 ص 106
- 16 - مجلة «المعرفة» السعودية العدد 3 السنة الاولى .
- 17 - الخصائص لابن جني ج 1 ص 44-45 .
- 18 - نفس المصدر السابق ص 45 .
- 19 - دراسات في فقه اللغة ص 155 - العراق (الدكتور صبحي العالم)
- 20 - معجم «متن اللغة» ج 1 ص 18 (الشيخ أحمد رضا) - العراق .
- 21 - مجلة المعرفة السعودية الجزء الثالث السنة الاولى .
- 22 - مجلة «النجف» العراقية العدد 6 من السنة الثانية ص 50-51 - العراق .
- 23 - مجلة «المعرفة» السعودية السنة الاولى الجزء الثالث .
- 24 - مجلة النجف العراقية العدد السادس ص 51 - العراق .
- 25 - اصول تدريس اللغة العربية ص 10 العراق .
- 26 - معجم متن اللغة ج 1 ص 19 . والزهر للسيوطي ج 1 ص 36 .

تخطئة الصواب

الأستاذ عبد الحمن فاضل

(الدار البيضاء)

تطورات وتحويرات في كل جيل ماض . واننا لو اطلعنا على اللغة التي تكلم بها القوم قبل الاسلام ببضعة قرون لوجدنا ان اختلافاتها عن اللغة الجاهلية التي وصلتنا غير قليلة . بل ان الاختلافات كانت كثيرة حتى عند ظهور الاسلام بين قبيلة وقبيلة في بعض التعابير مما سبب سوء التفاهم احيانا والفواجع احيانا ، مما دونه لنا الاسلاف .

واذا اعتبرنا ان الاقدم افصح من الجديد المستحدث فقد ارتنا دراسانا الترسيبية ان بعض الالفاظ التي نسميها عامية اقدم من نظائرها الفصحى . اي افصح : وبعبارة اغرب ان بعض الالفاظ الفصحى مولدة او دارجة بالنسبة الى الالفاظ المسماة مولدة او دارجة .

وصفة القول ان اللغة كائن حي متطور ، لا يمكن ان يقف تطوره من حال الى حال الابدية . وما دامت الاجيال الجاهلية قد استعملت حقها في التحوير والتطوير عفويا فمن حق كل جيل جاهل او عالم ان يستعمل حقه في ذلك عفويا وعمديا . ومن يقرأ علم التعمني (Semantics) (1) يعرف تأثير الاطفال والخدم والدهماء في تطوير اللغة جيلا بعد جيل - بالاضافة الى الشعراء والبغاة .

وبينما هذا هكذا اذا بغتة من الناس يخطئوننا كلما تكلمنا - بحجة من الحجج المعجبة الواهنة ،

كنت قرأت في صباي في احد الكتب القديمة ان قولك (اسميت الشيء) افصح من قولك (سميته) . ففرحت بهذه اللقطة استفدتها من ذلك الكتاب ، ودأبت على القول : اسماء ، واسموه ، وهو يسمى - بتسكين السين . . وصرت احور عباراتي في دروس الانشاء لكي اجد المجال فيها لاستعمال هذه الصيغ ، الفصحى على قول ذلك الكتاب .

ثم اتفق اني قرأت في كتاب آخر ان قولك (اسميته) خطأ وان الصواب (سميته) بالتشديد ، فتعجبت وتحيرت .

ثم اطلمت مع الزمن على مجادلات بعض اللغويين ومهاتراتهم وافتئاتهم على اللغة ، وفرضهم على الخلق آراءا خلافية ، وتحريمهم اخرى جوازية ، وتسفيه بعضهم بعضا لمجرد المخالفة والمناكدة .

فتعلمت من ذلك ان الفصحى ما تكلم به فصحاء الناس ، بصريا كان مذهبه ام كوفيا ، ومقبولا عند بعض العلماء ام مرفوضا ما دام مقبولا عند الآخرين . اي اني اخذت بالقاعدة الدينية : يسر ولا تعسر .

وزادتني دراسة اللغة خبرا ، لتبين لي ان ما نسميه كلام العرب ، او العربية الفصحى ، انما هو اللغة التي دونها لنا المدونون ، اي لغة الجاهلية ، وان هذه اللغة لم تصلنا الا بعد ان طرأت عليها

(1) اي علم دلالة الالفاظ او تطور المعاني . نسميه « التعمني » من المعنى لا من المعناه .

في كلام العرب سابقا فقد آن لها ان ترد منذ اليوم ،
فان تعبير (نفس الشيء) له استعماله وتعبير
(الشيء نفسه) له استعماله .

ولست اعلم كيف انتشرت هذه الخرجلة هذا
الانتشار من مشرق العالم العربي الى مغربه ،
فاصبح حتى المتعمسون من الكتاب يتجنبون على
نحو واضح استعمال تعبير (نفس الشيء) في
كتاباتهم ، ويقولون (الشيء نفسه) بدلا منه بالرغم
مما في ذلك من ركاكة وتعمل احيانا .

انا شخصيا كنت مصرا على استعمال (نفس
الشيء) حينما استحسنت ذلك بصرف النظر عن
ورودها او عدم ورودها في لغة العرب . لكن اتفق منذ
عدة اعوام ان اهديت رأيي هذا لبعض الاصدقاء فقام
احدهم - صاحب الدار الذي كنا في زيارته - الى
المعجم ، واذا القول بعدم ورودها في لغة العرب
مكذوب من اساسه . وقد ضرب المعجم مثلا
لاستعمالها بقوله « نفس الجبل مقابلي » .

كيف حدث ان انتشرت هذه الازعومة هذا
الانتشار بحيث صار يعتبر كل ما يخالفها خطأ ؟
لست ادري . لكن الذي ادويه ان الكثير من
التخطئات لا يبرر له ، وما عليك عندما يخطئوك الا
ان تتناول المعجم عند وصولك الدار . وسترى احيانا
ان مخطئك هو المخطيء ، او ان المسألة جوازية
يصح فيها الوجهان ، او اتثر من الوجهين !

اختلف شاعران ذات مرة في كلمة (الوداد)
وردت في شعر احدهما ونطقها بكسر الواو فقال
الآخر ان الصواب نطقها بضمه . فسألاني ان احكم
بينهما ، فضحكت وقلت : الحقيقة اني كنت اظن
الصواب نطقها بفتح الواو ! ورجعنا الى المعجم فاذا
بها يصح نطقها بفتح الواو وضمه وكسره جميعا . .

مهمة ام هامة ؟

وسترى ان مراجعة المعجم مفيدة دائما ، ان لم
تكن في الرد على معارضك ففي تأييد اعتراضه
وتصحيح خطئك ان كنت مخطئا حقا .

قال لي احدهم قبل بضعة سنوات ان (المهم)
خطا وان الصواب هو (الهام) ، وعلى هذا لا يقال :
ذهب فلان في مهمة بل في هامة !

ويقترحون علينا بدلا من التمايز المستحدثة التي
ترد على الستة تعابير اخرى لا ندري من اين جاؤوا
بها، وهي ايضا مستحدثة ، من عند انفسهم ،
وليس ثمة ما يرجعها على المستحدثات التي
يخطئونها . بل ان بعضهم يخطيء صوابا صراحا
يفرض بدلا منه خطأ صراحا .

نفس الشيء :

بمئت ذات مرة مقالا الى مجلة معروفة وردت
فيه هذه العبارة : « .. لصدره عنه نفس التصرف
الذي صدر عنه .. ولسارت القصة .. الى نفس
النهاية المحتومة » .

فما كان من المصحح الهمام الا ان قلب العبارة
فجعل عاليها سافلها فصارت هكذا : « .. لصدر
منه التصرف نفسه الذي صدر عنه .. ولسارت
القصة .. الى النهاية المحتومة نفسها » .

ولكان حذف هذه الفقرة من المقال احب الي من
مرضها على انظار القراء بهذا السبك المضطرب
القبيح .

لقد اعتبر المصحح ان الخطأ في عبارتي من
الوضوح والبداهة بحيث يحق له ، بل يجب عليه ،
ان يتناول بقلمه فيصححه .

نعم ، كثيرا ما قيل لي ان (نفس الشيء) خطأ
وان الصواب ان اقول (الشيء نفسه) . فاذا
سألتهم عن السبب قالوا ان (نفسه) بدل من (الشيء)
في الامراب . فعندها اقول لهم ان ورودها (بدلا) في
هذه الجملة لا يعني انها يجب ان تستعمل بدلا في كل
جملة ولا يجوز استعمالها مضافة الى (الشيء)
ايضا .. فان كون (متروم) مثلا مجرورا في قول
عنتره العبيسي « هل غادر الشعراء من متروم » لا
يعني اننا لا يحق لنا ان نورد الكلمة مفعولا به فنقول
- مع احترامنا للوزن - « هل غادر الشعراء متروما »
.. وان كون (غفورا) اسما لكان في الآية « كان الله
غفورا رحيمًا » لا يعني انه لا يجوز ايرادها خبرا (لان)
في آية اخرى « ان الله غفور رحيم » .

ولا انهم كيف لا يجوز في منطقتهم اضافة
(نفس) الى (الشيء) ويجوز اضافتها الى الضمير
التابع له (الهاء)!

ويقولون - وبالعجب - ان (نفس الشيء) لم
ترد في كلام العرب ، فكنت اجيبهم ان كانت لم ترد

لكن تعبير (همه الامر) يعني اقلقه واحزنه ، او احزنه حتى اذابه ، ومن ثم صار (الهم) يعنى الدوبان - حتى ذوبان الثلج . واما (اهمه الامر) فيعني اقلقه واحزنه ، ومن هنا جاء قولهم (اهمه الامر حتى همه) اي احزنه حتى اذابه . ومن معنى القلق قبل (اهمه الامر فاهتم به) ، وهكذا نشأت صيغ الاهتمام والهمة والمهمة ثم الاهمية .

وإذا كان صاحبي قد راجع معجما (مهما) بعد افتراقنا فقد صحح رأيه ، والا فهو لا يزال يظن ان رأيي في حاجة الى تصحيح .

على ان (المهم والمهمة) قد صدر الحكم ببراهتهما ورفع العطر عنهما أخيرا ، فقد سمعت من احد اساتذة العربية من انصار (الهام والهامية) يقول ان تخطئة (المهم والمهمة) خطأ ، وان الكتاب اخذوا يستعملونهما . ولا ندري من الذي حرم ولا من الذي حل . الا ان الواضح هو ان المسألة كانت تنتهي على خير لو روجع المعجم من اول الامر .

لكن التحذير الذي لا نجد بدا من ذكره هنا هو الا نتخذ من المعاجم المصرية المختصرة حجة دامغة ، فكثيرا ما تهمل هذه المعاجم بعض معاني الكلمة او اشتقاقاتها ، بالإضافة الى انها لا تخلو من اغلاط لغوية ومطبعية .

استهدف :

من احسن ما توصل اليه القدامى من اللغويين العقلانيين قولهم ان ما قيس على كلام العرب فهو منه .

فالمعجم اولا لا يذكر للكلمة جميع صورها الاشتقاقية بل ما روي منها من العرب فقط أي ما سمعه اللغويون منهم منها ، ولا بد ان ما لم يسموه كثير . فاذا لم نجد في المعجم لاحدى الكلمات صيغة الفاعل او المفعول او الانفعال او التفعّل .. فهذا لا يعنى ان العرب لم يستعملوا هذه الصيغ من تلك الكلمة، وانما يعنى ان اللغويين لم يسموها وحسب. ثانيا : حتى لو صح ان العرب لم يستعملوا بعض الصيغ لما كان معنى ذلك اننا لا يجوز لنا ان نستعملها بالمعنى القياسي الذي تدل عليه اوزان تلك الصيغ ، فلكل جيل حاجاته اللغوية ومحسناته التعبيرية .

ثالثا : انه ما من لغوي معاصر - مهما يكن معجميا - لا يستعمل بعض التعبيرات المستحدثة التي

لم ترد على السنة العرب الاقدمين او وردت على سنتهم في غير معانيها الحاضرة ، مثل : التشريع والانتاج والفنان .. وبعضها مفلوط اصلا مثل : المشروع (مفرد المشاريع) والثلاجة والمفكرة والحكومة والدولة والدوائر (الحكومية) والمرسوم والرسمي والتشريفات والتقارير ومحرر (الجريدة) .. لقد بدا للمحدثين ذات يوم ان يقولوا (استهدف الامر) بمعنى رمي اليه او قصده ، غير ان هذا التعبير القياسي السائغ اخفى وحل محله (هدف الى الامر) .

وحجة الذين يخطئون (استهدف) هي ان العرب انما قالوا (استهدف الشيء) بمعنى ارتفع ، و (استهدف له الشيء بمعنى انتصب، لكنهم لم يقولوا، اي اننا لا نعلم انهم قالوا (استهدف الشيء) بمعنى نصبه هدفا او جعله نصب عينيه .

وجوابنا على هذا هو ان العرب لم تقل (هدف اليه) ايضا بهذا المعنى . فاذا كانت المسألة مسألة تحريم ما لم يرد في المعجم فان تعبير (هدف اليه) حرام مثل (استهدفه) . بل هو احرم لانه مؤلف من كلمتين بدلا من كلمة واحدة . وان كانت المسألة مسألة قياس واجتهاد فان الاجتهاد والقياس يعضدان صيغة (استهدفه) لان العرب قالوا (استخدمه) بمعنى اتخذه خادما ، و (استعمله) بمعنى اتخذه عاملا ، و (استكتبه) بمعنى اتخذه كاتبيا ، و (استوزره) بمعنى اتخذه وزيرا .. فلماذا لا يحق للعرب المعاصرين وحدهم ان يقولوا (استهدفه) بمعنى اتخذه هدفا ؟

الشارح الرئيس :

سألني احدهم : هل الصواب نطق (العلاقات الدولية) بفتح الدال نسبة الى الدولة ام بضمه نسبة الى الدول ؟ فقلت له : كلاهما خطأ وكلاهما صواب . والذي اعنيه ان النسبة الى الدولة خطأ عقلانيا، لان المعنى المقصود هو العلاقات بين الدول . واما النسبة الى الدول فخطأ نحويا . فمعلوم ان من مقتضيات القاعدة العربية (الجاهلية) اعادة صيغة الجمع الى الانفراد وصيغة فاعل الى (فاعل) - بفتحيتين - قبل اضافة ياء النسبة . ففي النسبة الى القبائل يقولون (قبلى) بفتح الباء ، والى الربيع يقولون (ربيعى) بفتحها كذلك .

وقد قال لي احد الاساتذة ذات يوم وهو يقرأ شيئا من كتاباتي «اسمح لي ان اصحح هذه الكلمة».

هندل (الراسي) ومعناها يلتبس بمعنى العمودي ضد الاقني . فللخروج من هذا المازق صرفوا النظر من ياء النسبة وقالوا (الشارع الرئيسي) و (الفكرة الرئيسية) و (الامور الرئيسية) .. كانما هنالك رؤساء ومرؤسون بين الشوارع والاشياء كما بين البشر . اي اننا نضحي بالمعنى ونجالي المنطق في سبيل التمسك بقاعدة غير لازية .

افليس الامثل ان تقتدي بعرب الجاهلية وتقول: الشارع الرئيسي والفكرة الرئيسية ، قياسا على المدني والخريفي .. ونستريح ! ام نحن اشد جاهلية من الجاهليين ؟

اذا فرض علينا ان نعيد كل كلمة الى اصلها المجد قبل ان نلحق بها ياء النسبة كان علينا ان ننسب الى كل من (الام) و (الامة) و(الاسم) بكلمة واحدة هي (الامي) . لكن المعاصرين حلوا بمسئلة المشكلة يوم قالوا (الامي) نسبة الى الامم ، ولا نستجد ان ياتي جبل اقل اكرالا بالقواعد التقليدية منا فيقول (الامي) نسبة الى الامة .. كما يقول بعضهم اليوم (الحياتي) نسبة الى الحياة بدلا من (الحيوي) التي صارت تعني الجوهري والضروري .

اولم يقل العرب الاقدمون : مدني ومدني ومدني ومداني ؟

* * *

هذا تقوله مع الاعتذار الى الاساتذة الذين ورد ذكر بعضهم تنويها في هذه الكلمة ، فاننا لا نقصد الطعن بأحد بالاماع الى مناقشات لغوية جرت لنا مع بعضهم ، وانما هي آراء لنا نظنها صائبة ونظن نشرها اصبح من الضرورات اللغوية ، لتصبح موقف الكتاب من الكلمات الشائعة التي تصدنا لها ومن امثالها اولا ، ولاظهار مذهبنا في الاخذ بالقياس وضرورة الرجوع الى المعجم عند الاشتباه ومدى التزامنا بما ينص عليه المعجم ثانيا . والحكم للقاريء وللزمان على كل حال .

قلت « اية كلمة ؟ » .. قال « كلمة بديهي ، فانه يقال طبيعي من الطبيعة شذوذا لكن لا يقال بديهي من البديهة ، فالصواب بدهي » . قلت له « ان اهل الاختصاص من العرب في عصور الثقافة تالفا وترجمة - اي العهد المباسي - قالوا بديهي كما قالوا طبيعي ، فان كانوا مخطئين ليجبني ان اخطيء معهم » .

والواقع ان العرب القدامى نسبوا الى صيغة فعيل ايضا في بعض الاحوال دون ان يجردها من الياء ، في مثل قولهم (الخرفي) و (الخريفي) دون تفريق نسبة الى الخريف ، و (المدني) للانسان و (المدني) للطائر ونحوه نسبة الى المدينة .

اما الجمع فليست ادري كيف استغنى العرب الاقدمون عن النسبة اليه بوجه عام ، لكنني ادري انهم كانوا اذا دعت الحاجة يخرقون هذه القاعدة غير الذهبية عند خشية الالتباس . ومن ذلك قولهم (انصاري) و(مداني) نسبة الى الانصار والمدائن . بل انهم نسبوا الى المشي ايضا فقالوا (بحراني) نسبة الى البحرين . (وهذه من المفارقات اللغوية فان اسم البحرين ينطق بالياء دائما والبحراني بالالف دائما) . وقياسا على هذا نقترح النسبة الى بلاد الرافدين - العراق القديم - بصيغة (رافداني) بدلا من القول انه (يمت الى ارض الرافدين) .

فاذا كان عرب الجاهلية ، اصحاب القاعدة ، انفسهم قد خرجوا على قاعدتهم عند اقتضاء الحال فما بالنا نحن نتخرج من ان نعدو حدوهم وحاجاتنا اوسع من حاجاتهم وكلامنا اكثر تعقيدا وتعرضا للالتباس من كلامهم ؟

ان قاعدتهم الحقيقية هي الشذوذ عن القاعدة عند الضرورة .

كثيرا ما يصادفنا تعبير (الشارع الرئيسي) بدل (الرئيسي) . والذي دلعمهم الى هذا فيما يظهر هو انهم لم يستطيعوا الحاق ياء النسبة بكلمة (الرئيس) بعد تجريدها من الياء ، لانها تصبح

تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث

الاستاذ عبدالعزیز بن عبد الله

واصل اول نواة حضارية عربية تلقاها المغرب بعد الفتح الاسلامي قد جاءت من طريق القيروان التي بدأت تنصر فيها الحضارة الاموية بعد مرور ثلاثة ارباع قرن على الهجرة فاقامت المساجد والدواوين والمسالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته دمشق واندالك من روائع امتزج فيها المنصران الفارسي والروماني واذا اعتبرنا الصلة الوثيقة بين القيروان والمغرب قبل أن تزدهر بالاندلس الحضارة الاموية في اطارها الجديد امكنا القول بان الشام كانت ينبوع المشترك للحضارتين ما لبث ان تعزز بمدد مباشر في عهد الادارة فاذا ما حاولنا التنظير بين عناصر الحضارة الاموية من نشاتها في الشام الى امتدادها بالاندلس لاحظنا وحدة مقومات العمران والبناء والزخرفة والنقش والثقافة والاجتماع والتراتب الادارية والقضائية في اشكالها ومصطلحاتها الا ان الاندلس لم تتصل بهذه المعطيات قبل وصول عبد الرحمن الداخل عام 137 حيث قضى خمس سنوات بالمغرب الشمالي يحاول مبثا اقامة مملكة اموية لان افواج اليمانيين والقيسيين ظلت في صراع حدا البربر انفسهم الى النزوح الى الريف وطنجة واصيلا بين عامي 134 و 136 هـ ولم تكد الدولة الاموية الجديدة تستقر حتى وضع الادارة بفاس اسسا عمرانية كانت وفرة مياها وبساتينها وفنادقها وقبائرها ومسجديها مظهرا خافتا لعاصمة دمشق .

عرف البربر كسائر البدو منذ اعرق العصور حياة بدائية لم تكن تخلو من مظاهر احتفظت بها قبائل صحراوية واطلسية الى الان كالمملكة الجماعية والاشتراكية الفلاحية والسكنى في اكواخ الطوب بالدساكر والانتصار في الاكل على الكسكس والميد وشرب اللبن والعسل والماء القراح ولبس الجبة والبرنس ووضع اكاليل الريش على الرؤوس واستعمال الحراب والاقواس والخناجر والدرفقات الجلدية في الحروب وكان المغربي يرسم على الجدران صورا تمثل حياته اليومية في براعة فنية رائعة كما يتحلّى النساء بالاسورة والمعقود وتمتاز المرأة بنقش الاواني الخزفية ونسج الزرابي في تعاريج هندسية وبرز الاطوار السياسي القبلي في شكل جمهورية صغيرة يمثلها مجلس منتخب وقد طعمت الحضارة القرطاجنية الشرقية هذه المعطيات الاولى بمسادات جديدة كالطربوش والقميص الفضفاض والتكحل والاختطاب بالحناء والاختتان (1) وربما حدث البربر الى التفكير في وضع احرف « تفتاغ » على غرار الهجائية الفينيقية التي تكونت منها الالفبائية العربية اذا لم يكن البرابرة قد اقتبسوا هذه البادرة مباشرة من الهيروغليفيّة المصرية في الجناح الشرقي لافريقيا الشمالية ويظهر ان اليهود النازحين من الشام وخيبر لم ينقلوا الى المغرب شيئا جديدا باستثناء الديانة الموسوية ونثف من العبرية لم تترك اثرا يذكر في اللهجات المحلية .

(1) ماضي افريقيا الشمالية - كويبي ص 148 .

صالح الحميري في تكور (3) في نهاية القرن الاول
استمد في تصميمه من جامع الاسكندرية التي ظلت
مهبط الرواد المغاربة وعلى رأسهم الصوفي احمد
البدوي دفين طنطا وكانت البساطة آنذاك هي طابع
الفن المعماري الذي لم يعرف بمدد المقرنصات ولا
التماريح العربية .

والواقع ان انعدام الاقتباس من الطبيعة
والامعان في دراسة الرياضيات ونزعة الإبداع حدثت
مسلمى الاندلس والقيروان ومصر لم المغرب الى
التسطيرات الهندسية الساذجة التي يظهر انها
وسمت الزخرفة في اوائل العصر الادريسي وكان
استمرار الصراع في الاندلس بين العناصر
السلالية المختلفة من عرب وبربر وفوط عائقا دون
تفتق الفن حيث لم تكد تمر ست سنوات (4) على
تأسيس فاس حتى انحدرت الى المغرب ثلاثمائة
اسرة قيروانية تلتها بعد اربع سنوات ثمانمائة عائلة
جاءت من ارباض قرطبة معظمها من الفلاحين
والمزارعين الذين استقروا بعدوة الاندلس ووصل
بعضهم الى فازان بالاطلس انتجاما للحقول والمراعي
الخصبة واشجار التوت لتربية دود القز وصناعة
الحرير بينما كان مهاجرو حاضرة القيروان من
الفلة الذين اقاموا في مدوة القرويين الخلايا
الاولى للحرف والصناعات اليدوية مدرجين بذلك في
المصطلح الصناعي والتجاري مفردات دخلت منذ ذلك
في التقاليد الحرفية لا نستطيع تحديدها بالضبط
وإذا اعتبرنا ان الوضع الحالي بفاس لا يختلف كثيرا
عما كان عليه من حيث الهيكل العام فاننا نلاحظ ان
عدوة القرويين تضم معظم مقومات الاقتصاد والثقافة
والاجتماع ففيها القياسيات والحرف والمدارس
والزوايا والفنادق ويبلغ مدد احيائها اثنى

وسواء اكان هذا الاقتباس مباشرا او بواسطة
فان الفاظا فارسية دخلت منذ هذا العصر الى المغرب
ودخلت معها مسمياتها وقد اشار الثعالبي (1) الى
نومين منها :

1 - منسية وهريتها محكية اوصلها الى مائة
وواحد واربعين منها البياع والدلال والبقال والجمال
والطراز (الدراز بالمغرب) والخياط والتند والبخور
والغالية والعناء والمضربة والتمري والريبة (الريبة
بالمغرب) والخروج والدواة والرفع والفتيلة والمجمرة
(المجرم بالمغرب) والزراق (انتشر خاصة بالجزائر)
والطبل والقنية والهريسة والمصيدة .

2 - اسماء تفردت بها الفرس فمر بها العرب او
تركوها منها الابريق والطبق والتصمعة والسندس
والياقوت والبلور والسמיד والكمك والكنجيين
والجنجيين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجبيل
والسوسن والياسمين والمسك والعنبر والكافور
والقرنفل .

كما انتقلت الى المغرب في نفس الفترة من
الشام مصطلحات رومية قليلة كالستان
والقسطاس والبطاقة والاسطراب والقنطار والقرمود
والترباق والقنطرة والقيطون (2) والذي يجعلنا
نرجح وجود هذه اللفاظ في المصطلح الداوج
بالمغرب منذ هذا العصر هو ان معظمها يمثل المظهر
الجديد للحضارة الاسلامية التي بقي الشعر والشعراء
في منأى من وصفها لانهم حتى في دمشق ظلوا في
ابراجهم العاجية يكون في اسلوبهم الجاهلي على
الاطلال ويتفنون بالماء الاسن في منقوشان المدينة
الناشئة . واول مسجد على النسق المعماري
الاسلامي في المغرب هو ذلك الذي بناه سميذ بن

(1) فقه اللغة طبعة 1378 - 1959 - القاهرة ص 450 - 455

(2) دار القيطون بفاس اسسها المولى ادريس

(3) مما يبرز تأثير الاندلس احداث السواالي الصقالبة لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة تكور
المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر 1911 ص 97 .

(4) تبلغ الاسر الاندلسية التي هاجرت الى فاس عام 202 هـ \ 818 م اربعة آلاف حسب عبد المالك
الوراق وثمانية آلاف (روض القرطاس ص 25) ودوزي : تاريخ مسلمي الاندلس 1932 ج 1 ص
301) او ثمانمائة (هنري طيراس - تاريخ المغرب ج 1 ص 118) بينما بلغ مدد الاسر الافريقية
التي جاءت من القيروان عام 198 هـ ثلاثمائة ويعتبر ان عدد الربضيين تراوح بين اربعمائة
وثمانمائة اعتبارا للفظ المحتمل الناتج من اضافة صفر للعدد ونظرا للتوازن الديموغرافي بين
المدونين وقد تحدث المقرري في النسخ (ج 1 ص 318) عن الوقعة التي ادت الى طرد الاندلسيين
فذكر ان الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل انهمك في لدائه فخله العلماء بقرطبة
فاجلاهم عن الاندلس ولحقوا بفاس والاسكندرية ومنها الى جزيرة اقريطش .

مشر مقابل نصفها في عدوة الأندلس و 17 حماما
موض سنة و 96 كتابا قرانيا بدل 24 وست مدارس
بدل الثنتين (5) .

هذا وان جامع القرويين الذي اسى عام
245 هـ مع شبيهه جامع الأندلس على يد ام البنين
واختها مريم الفهرية القيروانيين لم يكن يثير الانتباه
بفن جديد نظرا لعدم اختصاص بنائيه القيروانيين
هذا نصيحه الغريب الذي تتوازي بلاطه مع القبلة
على فرار مسجد الشرفاء الأديسي وجامع ابن
طولون بالقاهرة وجامع بعلبك ودمشق وقد اضاف
اليه الناصر الأموي عام 345 اي بعد مرور قرن كامل
على بنائه انني مشر بلاطا جديدا وحول المنارة الى
مكانها الحالي مفضيا بابها «بصفايح النحاس الأصفر»
مع «قبة صغيرة» محلاة بتفافيح موهة بالذهب» (6)
وبذلك انبثقت النواة الأولى للفن الأندلسي المغربي
البارز في مسجد قرطبة ومدينتي الزهراء والزاهرة
حيث امتزج العنصر السوري بالفارسي والبيزنطي
ولعل عهد الناصر الذي ازدهرت فيه الفلاحة
والصناعة والتجارة والفنون والعلوم (7) بالأندلس
كان عهد تحول وانتقال في تاريخ الحضارة المغربية
التي بدأت تتخذ بالعاصمة الأديسية سمات جديدة
في شتى المجالات ، تقل مع ذلك روعة وفخامة من

اصولها بقرطبة اذا اعتبرنا المسافات الاموية بجامع
القرويين وقد انتشرت بدائع هذا الفن في حواضر
أديسية كالبصرة واصيلا أصبحت تنافس مدينة
فاس .

ومن الصعب ان نتعرف على العناصر الحضارية
والمصطلحات التي تسربت الى فاس في القرن
الثالث الهجري وان كنا نعرف مما كتبه مؤرخون
عرب ايشال الحميدي صاحب جلدوة المتبسي
وابن غالب صاحب فرحة الأنفس والروض المطار
للحميري ونفع الطيب للمقري الكثير من ذلك بالنسبة
للأندلس حيث اكتملت مظاهر المدنية في الإدارة
والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة
والاجتماع وال عمران واول ما يبده الباحث حتى
بالنسبة للامويين هو امتزاج العناصر الحضارية
بسبب تداخل الاختصاصات وعدم فصل السلط
حيث تندرج كثير من مقومات الدولة ضمن البلاط
كالجامع والصدقات والامشار والاموال المرسومة على
المراكب الواردة والصادرة والرسوم الموظفة على بيع
الاسواق والمكوس والشرف (8) او الامين ودار
السكة وخزانة الطب والحكمة واذا ما حاولنا ان
تقارن بين مصطلحات هذا العصر والتماير المغربية
دون تحديد لاطارها الزمني فاننا نلاحظ ان اغلبها

(5) ذكر ليفي بروفنسال ان الأندلسيين نقلوا معهم الى المغرب فن البستنة وكذلك تجربتهم للحياة
الحضرية كالبنا والبناء التقليدية (فاس قبل الحماية (Fès avant le Protectorat) وقد لاحظ
لوطورنو من (205) انه اذا كان العرب قد نقلوا الى فاس مظاهر نبلهم فان الأندلسيين قد نقلوا
رفقهم والقيروانيين مهارتهم واليهود حيلهم والبربر صمودهم « وقد اعطانا الاستاذ حسن حسني
ميد الوهاب في كتابه « بساط المقيي » صورة من حضارة القيروان حيث تحدث عن سماطها
(يوجد شبهه بفاس وهو سماط المدول الا انه اصفر منه) وحماماتها العمومية (49حماما) ومصانع
الزربية (ذات الطابع القيرواني الخاص رغم اصلها الفارسي) والزجاج والبلور والورق ودار
الطراز وكان قاضي القيروان شيخا للاسلام في تونس او قاضيا للجماعة كما في فاس وقد لاحظ
الاستاذ التونسي في رسالة بالفرنسية ان الطبقة المتعدنة الفنية من الأندلسيين قد نزلت مدينة
تونس واختلطت باهلها وقلدهم الحفصيون الذين هم فرع من الموحدين . وقد ذكر المقري من
ابن غالب (نفع الطيب ج 2 ص 764) ان اهل الأندلس تفرقوا في المغرب الأقصى مع الريقية فعال
اهل البادية الى ما اعتادوه فاستنبطوا المياه وخرسوا الاشجار واحدثوا الارحى الطاحنة بالماء
وعلموا اهل البادية اشياء جديدة .

ومعلوم ان الأندلسيين كانوا يحتكرون ببلادهم -حسب سرفانطيس مؤلف دون كيشوط - تجارة
الاغذية ويضمون يدهم على الحاصيل عند نضجها وهم لا يشترون العقارات حفاظا على حرية
رواج اموالهم .

(6) زهرة الآس ص 37

(7) ابن حوقل - طبعة Goege ج 2 ص 77

(8) هذه الكلمة معناها امين المال وقد استعملها الموحدون (زهرة الآس ص 82) .

اضيفت لجامع القرويين الذي اتخذ حينذاك شكله الحالي بتميزه المصنوع من « الصندل والابنوس والعناب والماج » (13) وقبته التي كشفتها الحفريات عام 1952 كنموذج للفن في اروع مجاليه .
وهكذا فالنقطة الاندلسيون الذين انتقلوا الى المغرب في العصر المرابطي كانوا اذن اكثر اختصاصا من سلفهم وان كان عملهم لم يتجاوز نطاق هندسة المساجد وبعض المآثر العسكرية لان بداوة اللشمين وتقشغهم حالا دون تقبل عناصر حضارية طريفة زخرت بها آنذاك قرطبة واشبيلية كموسيقى زرباب الذي احدث في الاندلس ثورة جذرية في العادات فكان بحق « مشرع اسبانيا العربية » ، كما يقول دوزي - وظلت المرأة المغربية بدوية الطبع رغم سفورها (14) لم تفتح للشقافة عدا القليلات امثال زينب النفراوية زوجة يوسف بن تاشفين والبطلة الموحدية فانو وام هانيء بنت القاضي عبد الحق بن عطية وحفصة الركونية استاذة نساء دار المنصور (15) بل استاذة عصرها (16) وام عمر وبنت ابي مروان بن زهر طيبة النساء في البلاط الموحدوي وورقاء الفاسية الادبية الشامرة (17) وزينب القرقولية استاذة القراءات السبع بمراكش والفمات وزينب بنت يوسف ابن عبد المومن التي ربيت بالاندلس فكانت صاحبة الرأي في البلاط والشعوف في المجتمع وازاء هذه الندرة من المثقفات في المغرب كانت نساء غرناطة يشهدون الحفلات العامة سافرات ويسفن بوجودهن عليها روعة وسحرا وبشتمن بقسط وافر من الحرية الاجتماعية ، كما كان بالربض الشرقي لقرطبة وحده مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي الذي اتخذ في هذا العصر اشكالا خاصة بالمغرب غير ان الموحدون قفزوا بالفن الى مستويات راقية بالرغم مما ابدوه في البداية من روح التزم

مقاربة عدا كلمات لم يعرفها المغرب مثل صاحب البيان وصاحب البيازرة والاسجال الخراجية وصاحب القطوع (اي الجبايات المرسومة على الاقطاعات) وصاحب الرد (رئيس قسم الشكايات بالقصر الملكي) والكور المجندة والجند المتدون (اي المسجل في الديوان) ونحص السرادق (اي مكان تقام فيه حفلة البروز لتوديع البعث العسكرية وعقد الالوية) والمهرجان (عيد موسمي منه المنصرة التي تعرف بالمغرب) على ان معظم اسماء الحرف موحدة وكذلك اسماء الازهار والاشباب والمصنوعات اليدوية وغيرها (9) واستمر هذا الاقتباس طوال قرن ونصف قرن بدافع من بني زيري وخلفاء المنصور ابن ابي عامر الى ان اصبحت الاندلس جزءا من العدة الجنوبية تحت حكم المرابطين الذين استمدى زعيمهم يوسف بن تاشفين رجال الحرف القرطبيين لاقامة المساجد والسقايات والحمامات والفنادق بفاس (10) ودار الامة بمراكش بينما استعان نجله علي بن يوسف بمهندسي الاندلس لمد قنطرة تسيقت (11) وقنوات الماء وبناء دار الحجر بمراكش (12) وكان لوحدة افريقية والمغرب الاقصى حينئذ اثرها في ضم الآثار القيروانية الى المدد الاندلسي غير ان من الصعب تمييز الاثرين بوضوح لان جامع القرويين نفسه دخلت فيه مواد اندلسية كالمرمر والاجر والجبس عند تجديده على يد محمد ابن حمدون الاندلسي عام 252 هـ ولم ينس المرابطون الصحراويون اقامة القصبات والحصون في عمرانهم العسكري الذي تعزز بتسوير الحواضر ايام علي بن يوسف بايعاز من ابن رشد الاندلسي واذا اردنا دليلا على مدى انسجام الصحراويين المغاربة مع روح العصر واستضافتهم للفن واساليبه ومصطلحاته فان ذلك يتجلى بوضوح في الروائع الجديدة التي

(9) راجع القائمة الكاملة بهذه المصطلحات في الملحق رقم 3 بكتابنا الصادر في الموضوع والذي نشره معهد البحوث والدراسات العربية بعنوان : (تطور الفكر والحضارة في المغرب الحديث (1969) .

(10) زهرة الاس ص 87 وجذوة الاقتباس ص 27 .

(11) الادريسي - مقتطفات من النزهة - طبع الجزائر 1957 ص 69

(12) الاستبصار - ترجمة Fagnan ص 179

(13) زهرة الاس ص 42

(14) حتى الاميرات لم يكن يتحجبن مما حدا المهدي بن تومرت الى نقد سياسة البلاط الدينية للنيل منه سياسيا .

(15) الدر المنثور في طبقات ربات الخلدور ص 165

(16) الاحاطة لابن الخطيب

(17) جذوة الاقتباس ص 335

(18) فاضافوا روائع جديدة الى المائر الاموية تجلت في المنارة الخالدة باشبيلية وجامع حسان بالرباط والكتيبة بمراكش والقصور الفخمة والحدائق الفناء (على مزار مسرة المرابطين المعروفة الآن بالمنارة ونغرب مثلا لهذه الروعة بمنبر الكتبية الذي يرجع الى عبد المومن (19) والذي قارنه ابن مرزوق بمنبر جامع قرطبة واعتبره طيراس وباسي (Terrasse et Bassot) اجمل ما ابدعه الغرب الاسلامي بل العالم الاسلامي « ولعل الوحدة السياسية التي حققتها الدولة البربرية في المغرب الكبير قد تجلت خاصة في تجديد الاتصال بين الفن المغربي الاندلسي والفن المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء (20) وبذلك تميزت الوحدة الحضارية بين جناحي العروبة واندرجت في المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصاراة الاحتكاك الموصول طوال خمسة قرون وبذلك يكون في وسعنا اعتبارا لهذه المعطيات ان نستخلص بعض الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية من خلال اسماء الحرف التي ظلت الى القرن الحالي الصناعة الاساسية لنصف سكان الحواضر (21) فمصطلحات الحرف بمراكش كانت تحتوي نظرا تقرب العاصمة من الصحراء على كلمات بلدية (22) او حضرية ممدودة مثل بعدي (اي اسكاني بدوي) وخطاطري (حفار الخطارات اي

السواقي الصحراوية) وتكموني (صانغ) وقراشلي (حلاج) في حين توخر بالالفاظ العربية التي حرف بعضها تسهيلا للنطق بها مثل بامهاود (اي حكم يتدخل بين الناس للمهاودة) ومواكسي (مصلح المنجانات) وغواسلي (بائع الفاسول) وظل معظمها مما يتيف على المالة في قلبه العربي الفصيح مثل التبان (بائع التبغ) والحرار والحرث والحمار والحمالي (بائع الحمام) والخراط والرحوي (صاحب الرمح المائية) والطاوني (صاحب الطحنة او الطاونة التي تدار بحركة بفل او حمار) والرخامي (صانع الرخام) والزيات والسفاط (صانع الاسفاط اي السلال) والمشاب والتطارني (بائع اقطران والبلاد (صانع اللبد). اما مصطلحات الحرف والمؤسسات العمومية وغيرها بفاس فاذا استثنينا بعض الدخيل فان الكلمات البربرية اقل بينما تظهر الفاظ خاصة مثل مقدم الحومة ودار معلمة (وهي مدرسة لتعليم الخياطة والتطريز للبنات) وشيوخ الفلاحة (وهم خبراء في الشؤون الزراعية من اصل اندلسي) ودار الميمان والمرفطار وسوق الفرش (اي صنع المخاد والحشاي) ومناصر الزيت وكعب فزال (فارسي) والبلاجة (صانع الاقفال) وصناع الاسلحة الاختصاصيين مثل الجمابية (لصنع جباب المسدسات) والسراير

(18) وقد امر المنصور الموحد « بقطع اللباس الغالي من الحرير والاجتزاء بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحفيل والاكتفاء منه بالساذج القليل وامر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت ..» (البيان المغرب لابن عذارى ج 4 ص 81) ففي زمن المنصور والناصر الموحدين كان عدد الاطرزة بفاس 3 094 ودور الصابون 47 ودور الدباغة 86 والصبافة 161 وتسكيك الحديد والنحاس 12 والزجاج 11 وكوش الجير 135 وافران الخبز 1170 واحجار صنع الكافد (اي الورق وهي كلمة تركية) 400 ودور الفخارة 180 (زهرة الاس للجزنائي ص 33) وقد بلغت الارحى بفاس 600 في القرن السابع (حسب ياقوت المتوفى عام 626 هـ في معجمه ج 6 ص 331)

(19) المسند الصحيح الحسن ص 65 - 1925 .

(20) ويليام مارسلي (كتابه حول تاريخ الفن الاسلامي

(21) راجع احصاء قام به ماسينيون عام 1923 - 1924 في كتابنا (معطيات الحضارة المغربية ج 2 ص 78 . وفي كتابه (الحناطي الاسلامية - باريس 1925 ص 38 وقد كان نظام الحناطي (اي النقابات العمالية) ينسج في جميع المصور بطابع الحرية حيث ظل المخزن يحترم مبدأ الحرية التجارية والاقتصادية قبل صدور ظهير 1917 القاضي بتنظيم البلديات

(22) الجاحظ يسمي العمامة لغة المولدين او البلديين (البيان والتبيين ج 1 ص 111)

فرت المنسوجات العربية الاقطار الاوروبية حتى اضطر احد ملوك فرنسا الى تحديد ايرادها « اعراف المسلمين وعاداتهم » (ص 247) .

وقد شمل التمریب معظم المواد والالات والاجهزة والادوات التي استعملها الصانع المغربي الى العصر الحديث وكفي القاء نظرة على معجمنا « الاصول العربية في العامية المغربية » للتعرف على مدى فصاحة الاستعراب في هذه المفردات التي نجد منها في الصفحات الاولى للمعجم الفاظا كالاغشى (مخزول الاسكافي) والبريمة والبرمة والبرميل والبوطة والبلور والتبان والترس وتفصيلة الثوب وتكريشه (تقيضه) والتكة والتنجرة والثومة (القرط) والشح والحنبل (لفظة يمنية) والحنوط والخرقرة والخميرة والخنجر ، ثم ان الفكر العلمي الاندلسي الذي حماه البلاط الموحدى بمراكش لم يكن ليخلو من مظاهر اجتماعية تمثله مثال ذلك البيمارستان (24) الذي احتوى على « النقوش البديعة والزخارف المحكمة » وهرست فيه « الاشجار المشجومات والماكولات » واجريت فيه « مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسطه احداها رخام ابيض » وما له من « الفرس النفيسة من انواع الصوف والكتان والحريير والاديب » وتزويده بالادوية والصيدلة « لعمل الاشربة والكحول » مع ثياب الليل والنهار للمرضى ومجانبة العلاج ورعاية المنصور الموحدى الشخصية له بزيارة اسبوعية لتفقد حال المرضى وقد اشاد مؤرخ فرنسي معاصر بهذا المستشفى الذى بدى فى نظره مستشفيات باريس فى هفتوان القرن العشرين (25) .

وسترى كيف بلغ المصطلح العلمي اوجهه فى هذه الفترة التى ماوى خلالها العرش المغربى فى ظلال مراكش الحمراء اقطاب الفكر الاندلسي الذين مهدوا بكشونهم العلمية فى شتى الميادين عهد النهضة والانبعاث بأوربه حيث ظلوا اساتذتها الرموقين طوال قرون .

لصنع مقابضها) والجوايين (لصنع الافمدة) الصقالة والدهابين والسكاكين والبراولية (باعة خيوط الحرير) والزرادخية (باعة القماش من نوع لزودخان) والنيارة (صانعو نول النجاج) واذا خلدنا مثالا لباقي المدن المغربية فى شخص اصغر مدينة وهي ميناء ازموور لاحظنا وجود معظم هذه الحرف عدا التنويع فى النسيج وحرف جديدة لحرفة البغازة وهم بائعو السمك بالجملة والشراحة بهم مجففو الحوت ، وهناك الفاظ مغربية اندلسية ابتكرة نجدها فى كتابت تطور الفكر والحضارة الخ . شمل القبال والقابض بدل الجمركي او الجايي وقد استند السيد محمد كرد على لهاتين لكلمتين لتتدليل على اصالة الابداع اللغوي فى المغرب والاندلس (عجائب اللهجات - مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953) ويلوح لاول هلة من مقارنة نوع المصطلح فى عاصمتي الشمال الجنوب مدى تاثر فاس بالحضارة الاندلسية حيث دات تظهر مؤسسات اجتماعية واختصاص ادق فى مض المرافق الصناعية بالعاصمة الادريسية ولا بدع فى ذلك اذا اعتبرنا ان مدينة فاس اصبحت فى عصر لموحدين « حاضرة المغرب » الفكرية اجتمع فيها علم القيروان وقرطبة « ولا يوجد فى الدنيا اكثر رافق واوسع معاش واخصب جهات منها » كما قول المراكشي بشيء غير قليل من الضلو على ان لفن بفاس اصبح مزيجا للكثير من العناصر لمربية فاذا ضربنا مثلا بالزليج الذي عرف فى الشرق الفسيفساء لاحظنا انه نوع من الترصيع الخزفي صله من الاندلس كان يصنع منه بالاندلس نوع من لمفضض المعروف فى الشرق بالفسيفساء (التفسح نقلا من ابن سعيد ج 1 ص 187) والترصيع هو التكفيت (كلمة تركية) لها مرادفات منها التليبس والترسيب والتنزيل اصحها عند العرب فى العهد العباسي التطبيق وفن الترصيع سوري فى اصله عرف باوروبا الى الان بالفن الدمشقي Damasquinage وقد دخل الفن العربي الى ايطاليا وبعد الحروب العليبية

(23) « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » طبع بسلا عام 1357 - 1938 (ص 213 - 221) لعبد الواحد المراكشي

(24) نفس المصدر ص 177

(25) الموحدون Les Almohades للسيد Millet - طبعة 1927

غير ان هذه المظاهر الحضارية لم تتجاوز المدن لان البداية (اي الارياك والسواد) ظلت تسببا في معزل عن تياراتها بسيطة في سكنها ومطعمها وسلوكها قد حفظت ثرائها لغويا اصيلا ما زالت الحواضر تطعمه تدريجيا استجابة لقتضيات العصر وسنرى كيف ان قبائل عاشت في ارباض حواصم كرباط الفتح ظلت عالقة الى عهد حديث بترائها اللغوي الجاهلي الخالي من اية شائبة الامر الذي اسفر عن نوع من الخلل بين المصطلح الكلاسيكي القديم ومولدات العصر الحديث .

وقد توافرت هذه المجالي الحضارية ولوازمها اللغوية العربية التركية في العصر السعدي عندما اقتبس المغرب بعض الانظمة العسكرية العثمانية كما دخلت الى المغرب افواج المهاجرين الاندلسيين (29) بلغت في مدن كتطوان اربعين الفا فيهم الاديب والعامل والفنان والعامل المختص والتاجر والفلاح واذا كانت هذه المظاهر تنمكس على العادات الاجتماعية والمآثر العمرانية ، فاننا نلاحظ في خصوص الازياء ان سكان حواضر اندلسية مثل فاس وتطوان والرباط اصبحوا يضعون على رؤوسهم قلائس حمراء قد لفت عليها عمامة تتوسطها شوشة زرقاء (اي خيوط مدلاة او النواصة) بعد النفي العام اوائل القرن السادس عشر الميلادي لان الشوشة الزرقاء لم تكن معروفة بالاندلس قبل عصور التفتيش الصليبي (Inquisitions) حيث اجبر الاسبان العسري المسلمين على التميز بشارة زرقاء

اما المريثيون الذين كانت لهم ارقى القومسات الملكية بالمغرب وانهاها واحقها بتبني التراث الموحد في افريقية والاندلس فان مغربهم الزاهر كان منطلق الاشعاع في مجموع الشمال الافريقي (26) حيث تبلورت مدينتهم الحضرية في اروع ما عرفه المغرب الكبير من حواضر ومساجد ومعاهد وقبب وفنادق ومدارس وملاجيء وحمامات وقناطر وحصون وخاصة في عهد ابي الحسن المريني 731 هـ - 752 هـ 1331-1351م الذي يعتبره الغربيون اقوى جاهل في القرن الرابع عشر وقد كان لتزاوجهم الحضاري مع فرناطة النصرية واردة الاندلس ذيول عززت التراث المشترك الذي ما لبث ان انتقل بكامله مع رجال الهجرة الى المغرب ليشكل الحضارة المغربية الاندلسية الموحدة . وقد ظهرت في الحقل الاجتماعي لاول مرة مدارس هي عبارة عن احياء جامعية مجانية للطلبة في مختلف المدن كفاس وتلمسان والجزائر (27) علاوة على قصور فخمة تجلت فيها مهارة المهندسين والفنانين في تصميم معماري محكم ويمكن ان نقدر من خلال وصف (28) لاحد هذه القصور مدى تطور المصطلح الفني والانواع الجديدة من ارباب الصناعات كالبنايين والنجارين والجباسيين والزليجيين والرخامين والقنويين والدهانين والحدادين والصغارين والجنران المنقوشة بالجبس والزليج والارز المحكم التجارة والصناعات المشتركة كالتوريق والتسطير) مع فروس الرخام والزليج وطباير (فسقيات) المرمر والقبب والخوخ (اي الابواب) والخزائن بنحاسها الموه بالذهب والحديد المقصود «

(26) مارسى Marçais - في كتابه « L'Art dans l'Islam » حول تاريخ الفن الاسلامي ص 134 ، وقد ظهرت في هذا العصر نتيجة للتاثير الفرناطي الموسيقى الاندلسية بمصطلحاتها وبعض التعابير القانونية مثل لفظة الظهير بمعنى المرسوم الملكي .

وقد اسهم العلماء والادباء في الصناعة والتجارة مما اكسب الكثير من المصطلحات طابعا فصيحاً ومنهم محمد الفسائي الذي كان تاجراً بقيصرية واسفي يدبر حانوته بعد الفراغ من تدريس الموطأ والسير والنحو والاداب واللغة وهو من رجال القرن السابع (تونس عام 663 هـ) (الدليل والتكملة) ومنهم كذلك العلامة محمد بن عبد الله من الذي كان يتممش (كلمة مغربية معناها يتممش) بعمل دود القز بفاس (نشر المثاني في ترجمة علماء القرنين الحادي عشر والثاني ج 1 ص 197) .

(27) نخب من « المسند الصحيح الحسن في مآثر ابي الحسن » لابن مرزوق .
(28) نفس المصدر حيث اشار ابن مرزوق الى وضع تصميم معماري لهذا القصر وصفه بأنه رسم في كافد لتقدير الساحة (اي المساحة).

(29) في عام 1019 هـ هاجرت الوف الاندلسيين الى فاس والوف الى تلمسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الاغراب ونهبوا اموالهم في تلمسان وفاس وسلم اكثرهم في تونس وتطوان وسلا ولسعة الجزائر ووصل جماعة الى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثاني عن النسخ ص 101) .

ولباس البياض في مناسبات وفصول خاصة هو أيضا عادة أندلسية حيث كان هؤلاء يخلعون الثياب الملونة ويلبسون البياض ابتداء من يوم المهرجان (أي العنصرة كما تسمى في العدوتين) أي 24 يونيو وذلك إلى أول أكتوبر خلال ثلاثة أشهر متوالية (الفتح ج 2 ص 752)

أما في الحقل العمراني فإن « قصر البديع » الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (986 هـ - 1002 هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولغته فقد ظهرت مع فنون طريفة مصطلحات جديدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية (31) كتبت في إبهائها الأشعار بمرمر أسود في أبيض تذكرنا بروائع الأندلس: فمن شعر أبي فارس عبد العزيز الفشتالي يصف هذا الفن قوله:

فإنها والتبر سال خلالها
وشي وفضة تربها كافور
وكان أرض قراره ديباجة
قد زان حسن طرازها تشجير
وكان موج البركتين أمامه
حركات سحب صافحته دبور
صفت بصفتها تماثل فضة
ملك النفوس بحسبها تصوير

وقد كتب بجدوان المصرية (32) المظلة على الرياض:

باكر لدي من السرور كؤوسا
وأرض النديم أهلة وشموسا
وكان هذا الإطار العمراني الرائع مسرحا لحفلات شعبية بمناسبة حفلات ذكرى المولد النبوي يجري خلالها إمداد أبناء المعوزين ويتبارى الشماعون في تطريز شموع « يحملها صحافون -

كما يقول الفشتالي في مناهل الصفا - محترفون يعمل خدور المرائس عند الزفاف » وهي على رؤوسهم كالمذاري تنبعا الأبطال والإبواق وأصحاب المعازف والملاهي حتى تسوي على منصات بالديوان الشريف حيث يقعد السلطان على أريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة وأمامه شموع من بياض كالدمى وحمرة جليت في ملابس أرجوان وخضر سندسية في حسك ومباخر ترنم خلالها نوبات منشدي المولديات وأشعار الصوفية وتلى قصائد شعراء الدولة يفرلها ونسيبها ومدبحة للرسول عليه السلام وللسلطان وولي عهده في ترايب يتقدمها قاضي الجماعة ثم الإمام المفتي ثم الوزير ثم الكتاب المخزيون ويختم الحفل بنشر « خوان الأطممة والموائد » و « توزيع الإعطيات » وكان هذه القصور الباذخة في فرشها الحريرية ونمازقها المصطفة واستارها وكلها وحجالها المخصوصة بالذهب وحانطياتها ووصفانها وأعالجها بأقبيهم المخصوصة ومناطقهم المرصعة وحزمهم المذهبة (33) - صورحية لفخفة استمرت معالمها في القرن العشرين في بلاط الملوك العلويين وقصور الأثرياء حيث استفيض عن القناع المائتية والبنسية المذهبة وعن الأواني التركية والهندية والطوس والإباريق والصحاف ومباخر العنبر والمواد الشرقية بأهمية لا تقل روعة قد جلبت من مختلف أنحاء الدنيا شرقا وغربا لتضفي هالة من الجمال والسناء على محافل نشرت فيها كالماضي أفصان الرياح الفخز وماء الزهر والورد . كما استبدلت بنوبات المنشدين نوبات الموسيقى الأندلسية الرائعة التي تسحر الألباب بنغماتها الشجية وتلاحنها الإخاذة والوانها الخمسة والخمسين وتوشيحاتها التي تتردد في حنان وخشوع على السنة الخاصة والعامة لتسهم في تحريك نبرات القلوب وتوعية الروح وتأجيج الشعور وتوقير الشراء اللغوي في الدارجة والفصحى على

(31) أي التي فيها خمسون ذراعا بالعمل أي بالنقش وكانت الجدران تحلى أحيانا بأنواع التطريز ومنه النوع الفاسي الذي هو سوري الأصل. وفي سلانماذج من أصل فارسي أو شامي ويلاحظ في تطريز الرباط تأثير الأنسجة الأوربية وكذلك في أزمور التي يرجع تاريخ نماذجها الإسبانية الإيطالية إلى القرن العاشر الهجري (مجلة هسبريس ج 21 عام 1935) . وهناك بناس تطريز علجي الأصل أدخلته إلى المغرب النساء التركيات أو الجركسيات اللواتي تسرى بهن أهل فاس أما التطريز الطوائسي فهو من أصل بلقاني .

(32) المصرية أي الغرفة الواقعة في طبقة عليا ولعل لوجود طبقات في (الإبنية منذ القديم بمصر اثرا في التسمية .

(33) راجع النبعة المسكية في السفارة التركية لعلي بن محمد التامجروني .

السواء فكم من تعابير تخلت الإلحان كانت أرسخ في
البواطن وأملك للوهي وكمن من الهنيات ساحرة
رددتها الرضيع في حبه وربة الخلد في حجلتها كان
أثرها أوقع في النفس ولفظها أعلق باللسان من كل
قصيد يلقي في الكتاب أو درس لغوي يلقي في حلقات
المعلم .

وإذا كان عهد السعديين قد نفذت معالمه
بالزخارف المعمارية والروائع الاجتماعية فإن عهد
العلويين الذي أقيمت فيه نفس القصور والبساتين
مثل دار الهناء والدار البيضاء والصالحة والزاهرة
وجنان رضوان وأجدال بنفس انبذخ قد اتجه إلى
دمع الكيان بالقصبات والقلاع ومن أروع ما يدهك
في قصر من هذه القصور كقصر الرياض بمكناس
عاصمة المولى اسماعيل جمعه بين فخفة البلاطات
الملكية وضخامة التحصينات بأبراجها ومدافعها أزا
البرك الفيضة للتمرير والانبساط في فلكها
وزوارقها وكانت أهراء القصر تضم اثني عشر الفا من
خيل الجهاد وعشرات المستودعات زاخرة بمؤن تكفل
للبلاد اكتفاء ذاتيا وميزانا تجاريا متوازنا وقد بدانا
بالرغم من أصالة اللغة العربية بالمغرب. نسمع في
معماريات العلويين وعمرانياتهم مصطلحات جديدة
فيها الكثير من الدخيل كالتقنايط (أي الهياكل)
المقبوة في الأهراء والأصطبلات المسقفة بالبرشلة
أوهي نوع من أنروافد والعوارض (Pignon) وسواني الماء
الدائرة (أي التوامير المائية) والقرايمد علاوة على
المولدات العسكرية والدبلوماسية واتخاذ الأشرار
أي حفر الخنادق الحربية) وصنع البارود والكور
والبنب (أي القنابل والتدائف) ونصب المهاريس
والكراريس (أي المدافع المجرورة والضوئلي) لتحرير
الشغور المحتلة وبمات الباشدورات إلى طوافية (جمع
طافية) الأصبنيول أو البرتفال أو «النجليز» لأحكام
الصلح ومفاداة الأسرى البلوط بالبلوط واليكانجي
باليكانجي والبحري بالبحري دعما للطبجية (أي

المدفعية) والبحرية المغربية بفلاطها (سفنها الحربية)
وفراكلها (أي حراقاتها) ومراكبها القرصانية. ودخلت
إلى المعجم المغربي بجانب ذلك عشرات المفردات مثل
الكشينة والباصبورط (الجوان) والطنبور والكرتينة
(الحجر الصحي) والمحلة (أي المسكر) وصاكة
الإمشار (أي رسوماها) وصقالة (أي برج) والتوافل
(الرماح) وتفرق البونب (أي انفجار القنابل)
وابستيون (34) وأنواع النقود كالبندقي في أربعين
أوقية من الذهب والفضلون (Doublon) في
النين وثلاثين من الريال (الريال Real) فيه
عشرون أوقية) والبسيطة (خمس أواق) والموزونة
(ربع الدرهم الرباعي أي نصف القرش) والسنجق
وبقسماط (سكوت) وكل تلك مظاهر للمعجزة
التي بدأ المجتمع المغربي يتسم بها حيث «أخذ
ذوو اليسار - كما يقول الناصري (35) المراكب الفارغة
والكسي الرفيعة والدخائر النفيسة وتائقوا
في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لاسيما
بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة
الاعجمية» التي تمزجت مع ذلك بمقتبسات غريبة
صالحة مثل فابريكة (أي مصنع) السكر وفابريكة
تزديح البارود بمراكش وبرج الفنار (لتوجيه السفن
في البحر) باشقار قرب طنجة وبابور البر (التطارد
الحديدي) والتفراف وهكذا إلى غير ذلك وهكذا
بدأت تتجلى في الأفق المغربي على متبة القرن
العشرين مصطلحات استعملها المغرب في قلبها
الأفريقي دون تعديل وسنرى بحلول الله خلال
حديثنا عن تطور هذا الدخيل خلال الحماية وبعد
الاستقلال كيف تمت وحدة نسبية بين جناحي
العروبة عندما ظهرت الصحافة المغربية وأشرابت
الإعناق إلى ما يرد من الشرق العربي وخاصة من
الشام ومصر حيث انبثقت حضارة طريفة ضمت
إلى جوهر الإسلام ومعطياته جوانب من الفكر الغربي
الحديث .

(34) استعمل الناصري في تاريخ المغرب هذه المصطلحات التي بدأ يستعملها وأنداك سلفه من
المؤرخين وقد استعرض الناصري (ص 224) النظام العسكري عند الأتراك فلاحظ أن أهم ما
يمتازون به هو العزوف عن العادات الأجنبية والمصطلحات العجمية حيث «امتت المصيبة في مسكر
المسلمين بالتخلق بخلق المعجم وإذا كان أصل العمل مأخوذا من المعجم فليجتهد المعلم الحاذق في
تعميره» . (راجع الاستقصا الجزء الرابع)

(35) الاستقصا ج 4 ص 233 يصف الوضع بالمغرب عام 1290 هـ وقد شارك الصانع المغربي في
معرض باريس عام 1285 هـ (أي في عهد نابليون الثالث) بنماذج من إنتاجه كالسروج
المذهبة والمناطق المزخرفة والقطائف المنمقة والزليج الفاسي والمطمين الذين يباشرون ترصيعه

الفكر الثقافي

(أ) اللغة والأدب

حتى تقوى ملكته في الأدب واللغة فإذا عاد إلى المغرب كن أسهامه أوفر وأبلغ في تحقيق التزاوج الفكري بين جناحي العروبة والإسلام غير أن الفكر الأدبي في هذه الفترة كان لا يزال في مخاض قد طفت عليه الاتجاهات الدينية والفقهية والمقائدية فسمكو المدراري بسجلماسة قد سمع من عكرمة في نفس الوقت الذي أخذ محمد القيسي عن مالك وسفيان وحمل أبو جيدة الفاسي في أوائل القرن الثالث التفاريع الذهبية فكان التبادل محدودا بين الشرق والمغرب عدا عن طريق الأندلس إلى أن انبثق المعهد البربري حيث بدأت رحلات رسل الفكر تتوالى من الشريف الإدريسي إلى ابن جبير وابن رشيد والمبدري وابن بطوطة وابن خلدون والحسن الوزان ومات الآخرين (2) الذين أساروا أمجاد زملائهم في العواصم الإسلامية بما أنتجته قرائعهم وأبدوه في مناظرهم من عمق في الإدراك وبعد في النظر ودقة في التحليل في أسلوب كلاسيكي أمسى موحدا حتى ليصر على القاري أن يتبين بوضوح جنسية الكتاب والقصيد والخطاب لتناسق المصطلحات وتجاوب الدلالات وإذا كانت هناك فروق نسبية في منهجية التفكير والوان التعبير فهي تكمن خاصة في الدراسات العلمية التي سنستعرض بحول الله جوانب منها من خلال الكشوف المستحدثة في الإطار المغربي .

وقد بلغ التجاوب مبلغا حدا بعض نقاد الفكر إلى التنظير بين أدباء وشعراء من الشرق والمغرب الأقصى والأندلس فمند العصور الأولى حدثنا البكري عن محمد بن حبوس الفاسي الذي نهج في منحاه الشعري نهج محمد بن هانيء في « قصد الألفاظ الرائعة والقماقم المهولة وإيثار التقدير » بينما لقب ابن هانيء بمثنبي المغرب وكان الشرق يتغنى بشعر المغرب والمغرب يردد تلاحين الشرق فهذا أبو هارون موسى بن عبد الله الإغماتي الذي بلغ في جولته بلاد سمرقند يقول :

لعمر الهوى أني وإن شطت النوى
لذو كبد حرى وذو مدمع سكب
فان كنت في أقصى خراسان ناويا
فجسمي في شرق وقلبي في غرب

- (1) راشد مولاه هو الذي أقرأه القرآن وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة والفقه والدين واللغة ورواية الشعر وأمثال العرب وحكمها (الاستقصا ج 1 ص 70)
(2) راجع بحثنا « رسل الفكر بين المغرب والشرق » (معطيات الحضارة المغربية ج 1 ص 72) .

وهذا المهدي بن تومرت يتمثل دوما بقول
المتنبي :

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
ومن شعره :

أخذت بأعضادهم إذ ناوا
وخلفك القوم إذ دموا
فكم أنت تنهى ولا تنتهى
وتسمع وعظما ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى
تسن الحديد ولا تقطع ؟

وكانك وانت تسمع خطاب أحمد بن عطية لعبد
المومن الموحد يتلمس نبرات شعر حطيثة وهو
يتشفع الى عمر بن الخطاب في فلداته :

وصيبة كفراخ الورق من صفر
لم يالفوا النوح في فرع ولا فنن
قد أوجدتهم إباد منك سابقة
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

وإذا استثنينا محاولات نادرة فان المغرب لم
ينجب فحولا أمثال المتنبي والبحتري وأبي تمام ولا
أمثال ابن خفاجة الأندلسي في وصف الطبيعة :

ومن هذه المحاولات التي اكتفت بوصف حركات
خارجية دون استبطان الخواص الدقيقة واستكناه
الخلجات قول ابن مجير يصف خيل المنصور وكأنه
يستعرض ما استعرضه الشعالي في « فقه اللغة »
من ترايب وتدرجات في الألوان مع مجاز رقيق :

مراسي اغنتها الحبول من الحلى
فلم تبغ خلخالاً ولا التمسست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه
وأن جردوه في ملاءته التفا
وأباق اعطى الليل نصف أهابه
وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجا
فأذ حازه دلى له الذيل والعرفا

واشقر مع الراح صرفا اديمه
واصفر لم يمسح بها جلده صرفا
واشهب فضي الاديم مدنر
عليه خطوط غير مفهمة حرفا

وهذا التسراد اللغوي الذي لم يكن يخلو من
روائع بدئية قد انعكس على لغة العامة في مزاولاتها
اليومية حيث دخلت في معجمها الدارج أسماء
عشرات الألوان كالادكن والابلق والارقط والاشخم
والاشقر والاشهل والافر والمبرقش والخمري
والبريش (أي مختلف الألوان) (3) .

وتسم خطب السياسيين المرابطين منهم
والموحدين بالطابع الصوفي مع الضرب على نفس
الآوتار فمن قول عبد الله بن ياسين : « اياكم أن
تجنوا وتفشلوا فتذهب ربكم وكونوا الفة وأخوانا
على الحق وأخوانا في ذات الله وإياكم والمخالفة
والتحاسد على طلب الرئاسة » . ومن نداء وجهه
المنصور الموحدي لجيشه بالأندلس يحضه على
الاستماتة : « شمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين
في جهاد المشركين فمن مات منكم مات شهيدا
ومن عاش عاش غانما ماجورا حميدا » . ففي كليهما لون
من المفاهيم وضرب من التعبيرات كاد يصطبغ بها الأدب
في شتى مجاله فاستمع للقاضي أبي حفص بن عمر
يتحدث عن علم القدماء : « اياكم والقدماء وما أحدثوا
فانهم عن قولهم حدثوا ، أتوا من الافتراء بكل اعجوبة
وقلوبهم من الاسرار محجوبة » .

ومن الاخوانيات (4) التي ضاهت اروغ ما
عرفه الشرق في العصر الفني للنشر رسالة للقاضي
عباس الى الفتح بن خاقان جاء في مطلعها : « عمادي
أبا نصر منى الوزارة ووحيد المعصر هل لك في منة
تفوت الحصر تخف محملا وتبلغ املا وتشكر قولاً
وعملا شكرا تترنم به الحداة ثقلا ورملا .. الخ » .
وأخرى من ابن هانيء السبتي متنبي المغرب أجاب
بها أبا القاسم الشريف عن قصيدة أهداها اليه جاء
فيها : « .. والآن لا ملهج ولا مبهج ولا مرشد ولا
منهج عكست القضايا فلم تنتج فتبذل القلب الذي
ولم يرشح القلم الزكي وهم الانعام وهم الاحجام
وتمكن الاكداء والاجبال وكورت الشمس وسيرت

(3) اقتصرنا على نماذج قليلة من معجمنا « الاصول العربية والاجنبية للعامة المغربية »

(4) ومما امتازت به الاخوانيات عند أهل المغرب كون الخطاب فيها خطاب المواجهة مثل أنت وأنا ..
وربما خاطبوا الواحد منهم بيمين الجمع .. قال ابن شيت في معالم الكتابة « ولا يصرف ذلك
لغيرهم اصبح الاعشى ج 8 ص 148 » .

وقال الامام السهيلي عندما خرب العدو مستقط
رأسه سهيل :

يا دار ابن البيض والارام
أم ابن جيران علي كرام ؟
راب المحب من المنازل انه
حبا فلم يرجع اليه سلام

وكان ابرز ما يمتدح به الملوك اباؤهم وسهرهم
الدائب على حفظ كيان الوطن ولو اداهم ذلك الى
تقلد الحسام والاستشهاد فقد قال ابو بكر محمد بن
صاحب الصلاة عندما قام خطيبا في وفد الاندلس
مام الامير عبد المومن الموحدى :

هم الالى وهبوا للحرب انفسهم
وانهبوا ما حدث ايديهم الصفدا

وقد كان لامثال هذه الحماسيات اثر بليغ
حيث اذكت نفوس الجماهير والهبت احساسهم
واهابت بالملوك لنجدة الاندلس المهتد حتى قال ابن
الخطيب موجها مديحه لسلطان المغرب ابي عنان
المريني .

والناس طرا بارض اندلس
لولالك ما وطنوا ولا همروا

وجملة القول انه وطن
في غير عليك ما له وطر

وقد اوى ملوك المغرب لاجئي الاندلس ومهدوا
لهم سبل الحياة الناعمة حتى قال ابن زمرك متشكرا
للسلطان ابي سالم المريني :

كم من طريد نازح قدفت به
ايدي النوى في الفقر رهن سفار

بلغته ما شاء من اماله
فسلا من الاوطان بالاوطار

صيرت بالاحسان دارك داره
تمت بالحنى وعقبى الدار

ومدحه ابن الخطيب بقوله :

ودم والنى تدنى اليك قطيفها
ميسر اوطار ممهد اوطان

الجبال وعلت سامة وغلبت ندامة وارتفعت ملامة
وقامت لتوهي الادب قيامة حتى اذا ورد ذلك المهرق
(5) وفرغ لخصه الورق تفنى به الحمام الاورق
واحاط بمداد مدائه الفصص والشرق وامن من
الغصب والسرقة واقبل الامل وذهب لاقباله
الفرق ... »

ولم يكذب بيزغ فجر العصر المريني حتى بدأ
المزيغ الاندلسي المغربي يتبلور فظهر علاوة على ابن
خلدون امثال ابن الخطيب وابن زمرك ومشرات
الشعراء والمؤرخين والادباء الذين اذكت شعورهم
نكبات الفردوس المفقود وقد افاد الادب المغربي من
هذا الفيض الذي غمر العواطف وانطق الالسنة
وحرك الافلام واسال الشاعريات؛ ولعل من اروع
ما نظم في هذا الباب الملحون الذى نظم منه الشيء
الكثير امثال الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن
يجيش التازي والشيخ المجاهد محمد بن يحيى
الهلولي الذى قرض الى جانب ذلك اشعارا
وزجليات تترقرق عاطفة وحماسا .

وكان نعيب الشعراء ينسكب في مرائي
محزنة كلما استولى العدو على مفاصي من مغانسي
الاندلس او مريع من مرابعه ولعل من اشد القصائد
تائيرا تلك التى نظمها شاعر مغربي او اندلسي
مجهول لم يعثر على اسمه حتى الآن لما فيها من
المعاني الجريئة وقوة الحماس ومرارة الواقع وقد
قيلت بعد سقوط طليطلة منها :

لتشكل كيف تبسّم الثفور
سرورا بعد ما بثت ثفور
لقد خضمت رقابكن هلبا
وزال عتوها ومضى الثفور

الى ان قال :

فلا تهنو وسلوا كل غضب
تهاب مضاربنا منه التحور

انترك دورنا ونفر عنها
وليس لنا وراه البحر دور ؟

رضوا بالرق يا لله ماذا
رآه وما اشار به مشير

(5) بلاخذ هنا استعمال ابن هانيء لكافة مدق وهو صحيفة بيضاء او ثوب الحرير الابيض يستى
الصمغ ويصقل ثم يكتب عليه وقد قابل به مجمع مصر كلمة Stencil

وكان الشعراء يرسلون زفرات على انتشار عقد
الاندلس الذي ظل منتظما نحواً من ثمانية قرون حتى
صاح بعضهم حيرة وتحرقاً :

كيف السبيل الى احتلال معاهد

شب الاعاجم دونها هيجاهها ؟
وقد قال ابو البقاء صالح بن شريف الرندي :
لمثل هذا يدوب القلب من كمد
ان كان في القلب اسلام وايمان

وقال ابو المطرف بن عميرة الخزومي بمد
سقوط بلنسية :

يحن وما يجدي عليه حينه

الى اربع معروفها متنكر
ملاعب افراس الصباة والصابا
تروح اليها تارة وتبكر

الى ان قال :

وبالجبل الادنى هناك خطى لنا

الى اللهو لا تكبو ولا تمشر
كذلك الى ان صاح بالقوم صالح
وانذر بالبين المشتت منذر
وفرقتهم ايدي سبا واصابهم
على غرة منهم قضاء مقدر

وقال الكفيف وهو من فحول الزجاجين بزوهون
يمدح السلطان ابا الحسن المريني بقصيدة ملحون
منها :

عكر فاس المنيرا الفرا

وبسن سارت بومزابم
وقال ماخر يمدح السلطان :

اما الجهاد فقد احبب معالمه

وقام منه بمفروض ومسنون
واقام مفروض الجهاد بعزيمة
تركت بافئدة العداة فلولا

والله ما ادري وقد حضر الوفي

احسامه او عزمه مصقولاً
حطت البلاد ومن حوته نفورها
وكفى بسمدك حاميا للدار

وقال :

فما رؤوس الكفر الا حصائد

بسيبك سيف الله تجني وتقطف

وقال :

فاق الملوك بسيفه وبسيبه

فبمدله وبفضله يتمثل

وقال القائد محمد بن يحيى اجانا يخاطب
مولاي محمد بن الشريف على لسان الشيخ بن زيدان :

يا مالكا سعدت به اوطانه

فيما مضى وزها به المستقبل
نادى بك النصر العزيز لغرب

ولكم على فاس الجديد الكلكل

فاجابه محمد بن الشريف بقصيدة من اشاد
محمد بن سودة الفاسي :

ما من ملك ذاق لذة راحة

الا تجلى له الهوان فيفعل
الى ان قال :

وانفض غبار الدل وارفض توبه

يزداد وجهك بهجة ويهلل

وهي من الشعر الجريء الذي يذكركنا ببعض
حماسيات شوقي التي كتبها حيث كان منفياً في
باريس الهب بها شعور مواطنيه .

وهكذا زخر الادب المغربي بمبارات والفاظ
حماسية كالعضب ومضارب النحور والسي والحرز
والتحول والرق والوطن والنزوح والاحتلال والاصفاد
والعزم والثفور وقطف الرؤوس والنصر وغبار الدل
ومات اخرى تكاد تتفجر ايماناً وحيوية ولعل هذه
التبرات هي من افنى الآداب العربية في الحقل
القومي نظراً لتتابع الويلات على الاندلس وما كان لهذا
اللون من الحماسيات ان يتفتق بمثل هذه القوة في
الشعر العربي بالمشرق الا ايام الحروب الصليبية
وعند احتلال نابليون لمصر وكانت الصدمة ورد
الفعل الوطني قويين لان المغرب ظل منذ فجر الاسلام
محتفظاً بكيانه واستقلاله ولم يخضع حتى لدار
الخلافة العثمانية التي بسطت نفوذها على جل اقطار
الشرقين الادنى والوسط وبقاع شاسعة على طول
الضفة الاوربية للبحر المتوسط ولم ينح من نفوذ آل
عثمان حتى المغرب الاوسط والادنى فكان من الطبيعي
ان تنخفض في المغرب على اثر محاولات الانتداء
الاجنبية في القرن التاسع حركة وطنية وطيدة افاد
منها تراثنا الفكري كنزاً ادبياً يكاد يكون فريداً في
بابه .

وقد عرف المغرب الوانا اخرى للشعر انظمت
باللق للملوك و احيانا بعمرائيات رقيقة واكبت الادب
الشرقي في عصره الكلاسيكي الذي حفل بالكليشيات
المتحجرة .

لمن ذلك قول ابي فارس الفشتالي ينوه بفتح
السودان :

جيش الصباح على الدجى متدلج
فبياض ذا لسواد ذلك يمحسق
وكانه رايات مسكره التي
طلعت على السودان بيضا تخفق

وهي لسان قصر البديع الذي شاده المنصور
بمراكش :

سموت فخر البدر دوني وانحطا
واصبح قرص الشمس في اذني قرطا
وصفت من الاكليل تاجا لفرقي
ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا
ولاحت باطواقى الثريا كأنها
نشير جمان قد تبتمته لقطا

وللقاضي ابي القاسم بن علي الشاطبي في مجلس
المنصور :

ما بال طيفك لا يزور لماما
وبمنعنى الاحشا ضربت خياما
ابميش فيك هواذلي لسلوهم
واموت فيك صبابة وفراما

ولمحمد بن علي الهوزالي المعروف بالتابفة عند
ابلال المنصور من مرفه :

تردى اذى من سقمك البر والبحر
وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر
وبات الهدى خوفا عليك مهيدا
واصبح مدمور الفؤاد الندى الفمر
الى ان قال :

لئن صدقت بيضى المعالي لقد همدت
تسيء الكماء البيضى واللدن السمر

وانشد محمد بن علي الفشتالي عند فتك
المجاهدين بالمدو في سبته ايام المنصور (عام 996 هـ)

هذه سبته عرف مروسا
نحو ناديك في شباب قشيب

وهي بشرى وانت كفو اللوائى
كافات بطلها بفتح قريب

وقال ابن القاضي عند تحرير اصيلا :

يا ايها المنصور ابشر بالعلسى
قاله ابغ في الصدا الماسولا

انضام سيفا لحنف عدائه
وبكم هذا سيف الردي مفلولا

وفي عهد السلطان الغالب بالله السمدي زار
وزيره وابن اخيه محمد بن عبد القادر مدينة فاس
صحبة عالمين هما قاضي الجماعة عبد الواحد
الحميدي واحمد المنجور فلما تبدت لهم معالم
المدينة ارتجل الوزير :

اخلائي هذا المستقى وربومه
وهذي نواعير البلاد تنوح

وذاك المولى مطرح الشوق والاسى
وتلك منازل الديار تلوح

فاجاب الحميدي :

وتلك القباب الخضر شبه زبرجد
بين فوان طرفهن جموح
يمس كاملود من الروض يانع
شدهن من حول الديار يفوح

فمقب المنجور مرتجلا :

ويرتلن في العلات يختلن في الحلى
ولهن انواع الجمال وضوح

يبادرن ترقيع الكوى بمحاجر
لاقبال حب طال منه نسروح

ومن شعر السلطان زيدان بن المنصور يتفزل
في السوالف والحدود :

فتنتنا سوالف وخذود
وهيون مدمجات رقود

ووجوه تبارك الله فيها
وشعور على المناكب سود

اهلكتنا الملاح وهي ظباء
وخضعنا لها ونحن اسود

ومن روائع النشر ما كتب به المنصور الذهبي الى الشيخين البدر القراني والزين البكري : « هذا وانه اتصل بعلي مغانا كتابكما الذي صدحت على اثنان البلافة سواجعه ومدبت في موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه ولطفت في كل معنى من المعاني افانينه ومنازعه وتالفت على الاجادة في كل مقصد من المقاصد مواصلة العذبة ومقاطعه وابنمت بازهار العناية الربانية اباطحه الفيج واجارعه .. »

كانت بعض الالتاب والتصوت تتسرب من المشرق فتشير نقدا لاذعا لدى علماء المغرب مما حدا ابن الحاج الفاسي الى القول : « يتعين على العالم ان يتحفظ من هذه البدعة التي عمت بها البلوى وقل ان يسلم منها كبير او صغير وحد ما اصطلموا عليه من تسميتهم بهذه الاسماء القريبة المهد بالحدوث التي لم تكن لاحد ممن مضى بل هي مخالفة للشرع الشريف وهي فلان الدين والعالم اولى من يتحفظ على نفسه من هذه الاشياء وبدب من السنة في حق نفسه وفي حق غيره .. »

ومن نتائج النقد اللغوي ما كتبه الاجدائي حول التوشيح والوشاحين معلقا على بيت ابن الرقاق المغربي :

على عاتقي من ساعديها حمائل

وفي خصرها من ساعدي وشاح

حيث استعمل هذا الوشاح في معنى النطاق وهو ما تديره المرأة على خصرها والوشاح ما تتقلده على عاتقها فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرجل وقد خطيء ابو تمام في قوله :

من الهيف لو ان الخلالل صورت

لها وشحا جالت عليه الخلاخل

لانه استعمل الوشاح في الحجاب وانما وصفوا الوشاح بالقلق والحركة لان ذلك يدل على رقة الخصر وضمود البطن ..

وقد ظل اقطاب الفكر ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات كما كان المشاركة يتوقون الى مبادلة علمائنا وجوه النظر وقد عرف الشرق كيف يقدر المغرب في شخص افداذه امثال ابن سليمان الروداني والمقري وابن الطيب الشرفي ويحيى الشاوي واليوسي واحمد بن ناصر واحمد القادري ومحمد (لتحا) الفاسي ومحمد بن

الطيب العلمي المتوفى بالقاهرة واحمد بن الخياط الذي مكث طويلا في القاهرة ايضا واحمد الهلالي الذي ترك لنا وصفا شيقا لرحلته العلمية هذه . لان اساليب الشرق والغرب كانت تتكامل كما ان عناصرها الحيوية يتم بعضها بعضا في هيكل موحد رصين . ولعل ما لاحظته المقري وقبله ابن خلدون من فروق بين الشرق والغرب في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية قد ظل على ما كان عليه اذ بينما كان الشرق مطبوعا بالعمق في ملكة العلوم النظرية طفق المغرب يوفل في البحث اللغوي مع تحقيق ما احتوت عليه بواطن الابواب وتصبح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف الى ذلك من تتبع الآثار وبينما غلب على تأليف المشاركة الاجاز (عدا البعض كالفزالي والفخر الرازي) مع انحصار في الموضوع سواء في التصنيف ام التدريس اذا بالمغاربة من القيروان الى القرويين يوفلون في الاستطراد . واذا كانت صناعة التأليف قد انتهدت في علماء المغرب على صناعة اهل المشرق في شخص ابن ابناء المراكشي فقد حلوا ذلك (براءة نسبة من البداوة) فير ان الامر لم يبلغ الحد الذي زعمه ابن خلدون في المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم على طريق النظر لان التحقيق العلمي ظل طابع الكثير من علماء مهاد الشرفاء هذا مع تحفظات منها نوع من التجرد في المنهج وايغال في استظهار النصوص حيث ادى الحال في بعض نواحي المغرب كسوس الى تطرف في الاستظهار تجاوز التون الى معجم اللغة ولكن هذا الاسلوب الذي كان يحجر الفكر احيانا عند من لا يستطيع ان ينسق بين واهيته وملكته التصورية قد ضخم على المكس عند البعض السليقة العربية ولا ادل على ذلك من وفرة اعداد الادباء والشعراء في سوس حيث لا يزال التحقيق اللغوي خاصة بارزة ولا يمرب هنا ان ابن القزاز البربري هو الذي صحت عليه اللغة بالاندلس بعد ابي علي البغدادي وان اهل شنقيط اقرب الى الفصحى من باقي عناصر الشعوب العربية بفضل تلك الروح الاستظهارية البسيطة .

واذا اردنا ان ندرك نوع المعارف التي كانت سائدة في ذلك العصر والتي احتكرت نشاط رجال الفكر فما علينا الا ان نستعرض زمرة ممن شغلهم المهديان الغربيان امثال اليوسميدي والافلاسي والتمنارتي ومبارة والمرغيشي واليوسي والعباسي

وآل الفاسي والفساني والحلي وابن زكور وأحمد
ابن ناصر وغيرهم نستتبع لنا خطوط ذلك الأطار
الذي انحصر فيه النشاط الفكري .

فمن عالم يكدر في خمبول موزها يومه ييسن
التدريس والعبادة الى مصنفه لا يعدو شرح النصوص
الفقهية او جمع تراجم الصوفية او وضع لوائح مطولة
من شيوخه واجازاته الى فقيه انصرف للقضاء او
الفتيا فاحكره حديث النوازل والاقضية والخصام
والشجار .

ولكنك تجد ازاء هذا النزوع الفقهي والوجهة
الصوفية اتجاهات من نوع جديد تضي على المجتمع
الفكري الوانا طريفة فانك تشر في هذه الفترة على
دواوين شعرية وتحريرات تاريخية الى جانب
كتابات في الحساب والفلك والطب فهذا عبد الرحمن
التنارتي يتولى الفتيا والقضاء ويقرض الشعر العالي
ويؤرخ لسوس العالة في فهرسته القيمة وهذا
المرغيشي يدلي دلوه في كثير من شعب المعرفة بعد ان
اقام في زاوية الدلاء محفل الآداب والعلوم فيكتب
في الرياضيات والهيئة ويجمع معلومات شيقة من
مجتمع عصره مازجا ذلك بفوائد مختلفة تتراوح بين
التنزيلات الروحانية والوصفات الطبية والشوارد
الادبية وقد استقى الافرائي مادة تاريخ المجتمع
السعدي من امثال هذه المصنفات ، وهناك نوع
آخر من التصانيف يتجلى في (الدر الثمين) لمبارة
حيث نجد الى جانب الديبول الفقهية والتعاليق
الصوفية طرائف من الحركة الفكرية المعاصرة وبرحنة
المياشي يظهر اسلوب جديد في البحث يحاول ان
يتجاوز النطاق المغربي المحدود الى ذلك الفضاء
الواسع الذي يمتد الى الشرق الادنى حيث المناهج
الدراسية تختلف نوها ما عنها في المغرب وحيث
طرائق التصنيف ومواضيع التأليف تتسم بميزات
من طراز جديد فنرى المياشي يحاول ان يدرس خصائص
الشرق ليقارنها بالحالة المغربية مخللا ذلك بنظرات
تاريخية وتلويحات صوفية واستطرادات ادبية فهو
يحدثنا من شراب البن في الشرق مشجرا الى انعدامه
اذ ذلك بالمغرب كما يصف لنا يوم المحمل بمصر ثم لا
يلبث ان ينتقل الى الطرقية ومناكر المواسم معرجا
على جزئيات كتطويل اللحية وحكمها وعدد العوالم ثم
يدرج فوائد طريفة كاستيناس المصريات المترفات
بشراء ربال من الازهار كل يوم ولا شك ان شيوخ هذا
النوع من التأليف في الوسط المغربي يحدث السره
السريع .

وقد افرق العلماء في التصنيف حتى بلغت
تأليف بعضهم المائة والسبعين وهذه الوفرة من ابرز
مميزات العهد العلوي يضاف اليها التنوع حيث تجد
الرجل الواحد يؤلف في الطب والهيئة والفقه
والتاريخ والتراجم والآداب ولكن اذا كانت بعض
المصنفات صوره صادقة لذلك العصر كمحاضرات اليوسي فان
الكثير يمتاز بموضوعية متطرفة لا تتسرك مجالا
لانبثاق ذائبة المؤلف مما يفقدها الروح والتممة
فالمحاضرات تصور لك الحركة بكيفية تثير في النفس
حب التطلع وروح الانسباق مع المؤلف حتى ليخيل
للقاريء انه يمشي في ذلك العصر وهل هناك لوحة
تاريخية تبلغ من تلك الصور المتتالية التي يرسمها
اليوسي فيشخص فيها الادباء في مساجلاتهم
والصوفية في حضراتهم والمبشرين في دعاويهم
والعوام في خرافاتهم وتشب الرحلة اليوسية رحلة
احمد ابن ناصر من حيث الاضافة في الحديث عن
الشرق .

ثم ينبثق القرن الثاني عشر فيتسع نطاق
النشاط الفكري ويتضخم التنوع فيظهر امثال الرياني
والوزير الفساني والشريف العلمي .

فالرياني مؤرخ دقيق الملاحظة يخطو بأسلوب
البحث والتحقيق خطوات ويوسع موضوعه ليكشف
عن الحياة في جزء من القارة الاوربية وينتجع اسلوبه
التاريخي بمنزوع جديد لانه يعاول مزج وصف
الاحداث بنظرات عن نظام الحكم والحالة الفكرية .
اما رحلة الفساني الى اسبانيا فانها وثيقة عرفت
ادباء المغرب اذذاك بأساليب الحياة في بلدان مسيحية
ووصفت المجتمعات الاوربية وحيات البلاطات والطبقات
الارستقراطية الاسبانية ، وتجد الشريف العلوي
يفرد ادباء وشعراء بتأليف خاص فيشجع بالتصنيف
اتجاها فنيا يهدف الى النقد والتحليل والتنظير من
خلال محاورات اجراها مع النبي عشر من معاصريه
كالحلي وابن زكور ومسمود المريني والقرال
والبوعصامي غير ان هذا (الانيس المطرب) جاء رغم
ذلك موسوما بالطابع العام الذي كان يصطبغ به
التصنيف في القرن الثاني عشر وهو الانتشار وعدم
التزام الموضوع وقد شبهه بعضهم من هذه الناحية
بقلائد العقبان للفتح بن خاقان او المنتقى المقصور لابن
القاضي . فنحن نجد الى جانب هذا البيت الذي هو
من نظم المؤلف نفسه يخاطب به المولى اسماعيل :

امولاي امننت البلاد واهلها
فله رب الناس ثم لك الشكر

قصيدة للحلي مظلما :

يا رب اني ضعيف هالتي الوجع

ما حيلتي يوم هول المرض ما العمل

واخرى لابن زاكور (وحيد البلاغة وفريد

الصياغة) صدرها بقوله :

اتق الله ما استطعت فان

الله ربي مع الدين اتقوه

هذا مع ان للحلي مقامات عارض بها الحريري

ولابن زاكور (عنوان النفاسة في شرح الحماسة)

و (مقياس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد)

والصنيع البديع وشرح المقصور والمدود وشرح

لامية العرب والمغرب المبين وغير ذلك .

وهذه النزعة الصوفية نجدها عند معظم شعراء

هذا العصر فالشاعر مسعود المريني (واعظ المدينة

المرتدي بالوقار والسكينة) الذي له تأليف في

المتصوف وقصائد عارض بها ابن الوفا وطاول ابن

الفارض يقول في مطلع قصيدته :

يا رب انك موجدي ومكوني

ومدبري ومصوري ومشكلي

وفي اخرى :

سهام الموت راشقة النبال

ونحن مع البطالة لا نبالي

ولكنه يقول ايضا :

طيف الخيال تعرضا

اخذ المقام واعرضنا

وائار وجدا كان نسي

طي الاضالع اجهضا

ويقول في رسالة التزم فيها السنين محتديا

بابن الخطيب :

سلام كنسمة مسك سرت

لانفاسكم بنسيم سحر

لساحتكم ساقه مستهام

سباه سنا حسنكم وسحر

ومن شعراء العصر ايضا محمد بن العربي

الشرقي (شاعر الاوان الذي لم يشتمل على مثله

ديوان) القائل في حقيقة الشاعر : (ان اسم الشاعر

لا يطلق الا على من وقف في حرم المعاني بكل المشاعر

اما من سلك طريقة واحدة فأراؤه فاسدة وبنائه على

غير قاعدة) ولعل هذا التعريف صورة لذلك العصر

الذي كان شعراؤه يستوحون من ارواحهم المضطلمة

باوار التقوى وفي ذلك الحوار الذي دار بين هؤلاء

الشعراء وبين الشريف العلمي الوان شتى وضروب

مختلفة للاداب والفنون التي كانت رائجة في ذلك

العصر .

وبعدما يذكر العلمي شعراء معاصرين آخرين

امثال احمد عمور نراه يمرج على كتاب العصر كالمهدي

الغزال القائل في وصف راقصة :

قامت بكأس الروم راقصة

بين الغواني رقصها يطرب

كانها والكاس في يدها

بدر تبدي حوله كوكب

وفي وصف بنتان :

انظر الى الروض وقد نثرت

عليه اوراق من الياسمين

يحكي بساطا نامعا صيغ من

زبرجد يعطوه در لمبين

ولكنه يقول ايضا متأثرا بنزعة العصر :

الموت لا شك آت

وككل آت قريب

فتب وتب قبل ان

يعتريك منه وثوب

ومنهم عمر الحراق القائل في ديوانه يفاخر

بمسقط رأسه شفشاون :

ما شعب بوان ما مرج دمشق وما

نيل بمصر وما العاصي لدا حلب

في جنب شفشاون الغراء ان فخرت

بتينها وبزيتون وبالمنب

ومنهم احمد دادوس (صاحب التماريض في

الضروب والاعاريض) الذي رثى وغزل وجد ما شاء

وهزل) والاديب البوعصامي (بليغ مصره وامام

الادباء في مغربه ومصره رحل الى المشرق، وطلع عليه

كالبدر المشرق) القائل :

(يتصرف في فنون الكلام كثير الاقرب لا يعلم له
مراد ولا يفهم من ابيانه الا افراد) .

وهناك شعراء وكتاب آخرون لم يذكرهم
الشريف العلمي في انيسه امثال عبد الواحد
البوهناني مفتي فاس الذي هنا المولى اسماعيل على
تحرير العرائش بقوله :

الا ابشر بهذا الفتح نور
قد انتظمت بعزكم الامور
وقد وصف اشرياب ائناق المدن المختلفة الى
التحرر على يد السلطان فقال :

وهو ان نادي كل يسوم
متى ياتي الامام متى يزور
وقال قبله :

اذا ما جاء سبتة في مشي
تناديه اذا كان البكود
ومنهم عبد السلام بن حمدون جوس القائل :

رفعت منازل سبتة اقوالها
تشكو اليكم بالذي قد هالها
مع بادس وبريجة فتعطفوا
وتنبهوا كي تسموا تسألها
فلقد قضيت للعرائش حاجة
مع طنجة فاقضوا الذي آملها
وارفع لهذا الغرب رأسا انه
في الضعف ما دام المدا انزالها
وقال عبد السلام القادوي :

علا عرش دين الله كل العرائش
وهد بنصر الله قصر العرائش
تلك الوان خاصة من الشمر الوطني الذي
يحاول فيه الشاعر التمييز عن آلام الشعب وآماله .
وعندما قام المشايخ ابو حفص لوقاش يدعي
الملك قائلا :

انا عمر الموصوف بالباس والندي
انا عمر المذكور في ورد الجفر
اجابه ابن بجة الريفي بقصيدة منها :
في صفحة الدهر قد خطت لنا عبر
منها ادماء الحمار انه بشر

محي بدمع كالعقيق محاجري
شوقا لطيبة والعقيق وحاجري

ولهذا الشاعر باع طويل في ترتيب النغمات
الثمان التي عليها مدار الفناء والالغان.
ومنهم ايضا الشاعر عبد القادر بن شقرون
القائل :

اسقياني كؤوس بنت الدوالي
ان مراني السقام لهي الدوالي
الى ان قال :

كم ليال قطعنها في نعيم
حفظ الله عهدك تلك الليالي
بين راح وشمعة ومفن
وظباء قنصتها باحتيال
ولكنه ينفل (لثرة مصر) فيقول :

رب يسر لمبدك الفتح واشرح
صدر من صدره من العلم خال
ومنهم الكاتب محمد بن سليمان (شاعر
مطبوع .. واديب همام) القائل :

عديري من هوى فحسن وطيب
اراني البدر من فوق القضيبي
مليح فاتر الاحاظ طفل
صبوت لحسنه بمد المشيب

ومنهم الحاج علي مندوصة الذي كلامه (يفار
منه امرؤ النيس ويحن اليه جميل بثينة وقيس)
القائل :

الى كم فدمك النفس ترمي فؤادنا
بسم نفسي اللحظ ازياقه هذب
الى ان قال :

فدونكم ربات قرط خريدة
مفوفة هيفاء هام بها الحب
مبرقمة لياض فضة بضة
سوى انها عذراء ناهدة مرب

ومنهم محمد بن يعقوب (صاحب الابيات السهلة
العبارة اللطيفة الاشارة) ومن تلك النماذج تدرك
ان شعراء العصر العلوي الاول مراتب فهم بين فحل

وهذا لعمرى ابداع فى فن الاقداغ .

والشيخ رايتنه
بفعل ما لا ينفسى

قلت له انت بسرى
قال بلى انا بسرى

ويمكن القول بان تلك الهبة الادبية الرائعة
التي همت بلاد سوس فى العهد العلوي حتى فتحت
القرايح من بعض ما انتجه الفكر المغربى - انما يرجع
فضلها للحركة الناصرية التي نشرت العلوم والفنون
الى تخوم الصحراء .

وهذه المجالة تضيق من استعراض النماذج
المختلفة للحياة العقلية فى العصر العلوي ولعل فى
كتاب (نشر المثاني لاهل القرن الحادى عشر والثاني)
لمحمد القادري مادة وافية لمن اراد ان يقف على الوان
الحركة الفكرية بالمغرب خلال قرنين .

وقد ضرب الملوك الادياب بسهم وانر فى هذه
الحركة لحفظ السلطان محمد بن عبد الله الاغانى
للاصفهاني مع صحاح الحديث وامهات الكتب تركيزا
للملكة العلمية وكان فى ذلك بعث جديد للغة العربية
واصولها وآدابها وفى هذا العصر ظهر محمد بن
الطيب الفاسى استاذ الشيخ مرتضى الزبيدي
المصري الذى الف اكبر موسوعة لغوية فى العصر
الحديث هي تاج المروس فى شرح القاموس
للفيروز اباذي (6) والذي كان يصحح من املاءاته
معاجم اللغة كما فعل ابن القزاز البربري فى المعصوم
الاولى .

اما القرن الثالث عشر فانه لا يكاد يختلف فى
مجموعه عن سابقه فقد امتدت الى اوائله حياة
رجلين هما محمد التاودي ومحمد المنالى الزبيدي
الذان مات كلاهما عام 1209 وكانا نموذجا جديدا
لعلماء يحرمون على انتاج الشرق للتبحر فى علوم لم
تكن منتشرة فى المغرب الا عند الخواص وقد كان
العلمان رسولين من المغرب الى الشرق فى هذه الفترة
للاقتباس من الفكر العربي هناك وخاصة فى القاهرة
حيث تبلورت معطيات الحضارة الاسلامية فى
الازهر الشريف ومن نبغ فى هذا القرن من رجال
الفكر ابن عجيبة الذى تحتوى فهرسته على معلومات

وفى هذا العصر كانت زاوية شرقاوة فى ناحية
نادلا محفلا للاداب والفنون وقد خلفت زاوية الدلاء
فشملت بعطفها كثيرا من الادياب الذين وجدوا فى
ربما المقام الرحب كالافرانى الذى بدأ حياته
التصنيفية بشرح بديع لتوشيح ابن سهل الاندلسي
وهو نموذج للنشر (الفنى) فى ذلك العصر اما الزاوية
الناصرية فقد احتفظت باشعاعها فى الجنوب وفى
(الدرر المرصعة) لمحمد المكي الدرهمى صور ناصعة
لائار هذه الزاوية فى العلم والاداب والكتاب ينطوي
على معلومات ادبية قيمة وقصائد رائعة منها مقطوعات
كلها تفجع على اهل الدلاء كقول العربي الفاسى:

ادار بذات السدر فى الجانب الشرقي
سقال الحيا ما دام صوب الحيا يستقى

اما درعة فقد قيل فيها بين ما قيل :

الم بدرعة واختر للنزول بها
زاوية الفضل ماوى المجد والكرم

وهناك مقطوعات منها للهاشمى الشكلى
الرباطي :

يا حاديا اسرع بذات الزمام
وارع رعاله الله حق اللمام

فاننى امسيت ذا قلق
من شدة الشوق وفرط الغرام

وقال :

ورشا من آل يافث
لحظه بالسحر نافث

بخطا السين الى ناء
المثاني والمثالث

قلت جدلى بوصال
قال دع منك الوثاوث

- وتذكرى هذه الايات بالبيتين الذين ساقهما
الجاحظ فى البيان والتبيين :

(6) قال الزبيدي فى شيخه هذا: ورايت شرح شيخنا الامام اللغوي ابي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد
الفاسى المتولد بفاس سنة 1110 والمتوفى بالمدينة المنورة سنة 1170 وهو عمدتى لى
هذا الفن والمقلد جيدي بحلى تقريره المستحسن (التاج - المطبعة الخيرية - مصر 1306 هـ ص 3)

حول الحالة الفكرية في تطوان وسليمان الحوات
الذي جمع في البدور الضاوية اجازات الدلائيين
ومراسلاتهم ومقتطفات من اشعارهم والشيخ حمدون
ابن الحاج الذي ترك لنا ديوانا حافلا بمدائح المولى
سليمان الذي حركت مآثره المشاعر حتى قال محمد
ابن ادريس الفاسي :

بسليمان قد سلمنا وسرنا
فاللئى منزل له والملاء
كفه كفت الفساد وكفت
كل عاد فما لكم اكفاء

وبلغ صدى الفاخر السليمانية تونس الشقيقة
فتحركت شاعرية فعلها الهمام ابراهيم الرياحي
الذي نظم قصيدته الخريدة التي مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار
فلنا بزورة نجله استبشار

ومنها :

هذا الذي رد الخلافة لغة
وسما به للمسلمين منار

ومن شعر ابن ادريس يستنفر الشعب لحرب اسلى
مشيرا الى زحف العليبية من الشرق ضد الاسلام :

يا اهل مغربنا حق النفيير لكم
الى الجهاد فما في الحق من فلفظ

فالشرك من جنبات الشرق جاورك
من بعد ما سام اهل الدين بالشطط

فواج المكر تبدو من خوائمه
فمنده المكر والمكروه في نمط

من جاور الشر لا يعدم بوائقه
كيف الحياة مع الحيات في سفظ

وقد تمزق النشر بالمطبعة الحجرية التي اسست
بفاس في منتصف القرن الماضي فصدرت عشرات
المصنفات القيمة التي زخرت بها مكاتب المخطوطات.
وقد اتصل جبل الادب على الطريقة التقليدية في
النتصف الاول لهذا القرن كما تواصلت حلقات
التصنيف في نطاق محدود على فراد القرون السالفة
مع اقبال في الاقتصار على الجمع والتنسيق بكيفية
تجرد عالم التأليف من كل روح .

ومن الصعب التمييز استنادا الى منهجية التعبير
وحده بين مصنفات يتأرجح تاريخ انبثاقها بين
قرون ذلك ان اسلوب الادباء واللغويين ظل في
كلاسيكته المتحجرة في منأى عن الاهتزاز للكثير من
النبرات الجديدة المتفاعلة مع لوازم البعث الحضاري
المتجدد واذا كانت اللغة كائنا حيا يتدرج في مراحل
النمو بين الطفولة والهرم ثم الانبعاث في طفرات
جديدة فان اللغة العربية بالمغرب الاقصى خاصة قد
احتفظت بطابع اصيل خلال خضم الاحداث
السياسية والحضارية واذا كان هنالك عامل منطقي
لتعليل هذا التحجر فهو ان الكثير من ادبائنا ولغويينا
ظلوا عالقين بابرار عاجية في حين ان لهجة التخاطب
كانت قد درجت في المجاري العيرة الفياضة
وبذلك اتسعت الهوة بين الفصحى والعامية بتسرب
الدخيل الاجنبي وقد تجلت روح التجديد عند ادباء
او في مراسيم ومراسلات رسمية فظهرت بدلا من
مصطلحات معربة في قالب رصين الفاظ عامية على
حساب اللغة الاصيلة الفاظ عامية تكثر وتقل تبعا
للحاجة الملحة في ضبط الوقائع وتدقيق المعاجريات
وان كانت خطابات ووثائق سياسية اخرى احتفظت
باسلوبها الكلاسيكي الرنان على حساب الدقة
والوضوح .

اما في صحراء شنقيط فقد نشر الشيخ احمد
ابن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة مصنفه القيم
« الوسيط في تراجم ادباء شنقيط » منذ عام
1329 هـ - 1911 م في الوقت الذي انبثقت الثورة
من اقصى الجنوب برعاية ما والعينين لتحرير المغرب
من الزحف الصليبي فاتحفنا بصور رائعة عن فنون
من الشعر الرقيق ابدعته قرائح الصحراويين المغاربة
في قلب الفيافي القاحلة مجددين بذلك عهد الجاهلية
الاولى في نضاعة الاسلوب وجزالة اللفظ ورقة المعنى
وفخامة المبنى وكانت ضرور القول لا تتعدى الاطار
التقليدي من مفاخرة ومهاجاة ومدبج وغزل
وتشبيب وقد برز عشرات من الشعراء والناشريين
خلدوا اللغة في اصالتها وروعتها الاولى .

فمن شعر ابداء محمد بن محمود يصف مرافق
الصحراء :

حملنا الخيام وانفادها
وسرنا جيما تقسلا بطا
فجر العجاف رويدا لثلا
تخب فتبهر او تثلططا

ومن الأرجال العامية التي أصبحت تسيّر
مسرى الأمثال عند الجماهير قصائد « الملاحون »
للقيه الشاعر الهادي بن محمد (المتوفى عام
1319 هـ) .

مدمن مـ لـ لـ لـ

محدود المـ المـ المـ

افـ كل اسـ وـ الـ

اسـ من حـ نـ سـ (7)

ومنها يدم قبيلة بأسلوب عربي لاذع :

ما فـ المـ فـ فـ

وبـ لا خـ مـ اكـ بـ (8)

أما الصحافة فقد ظهرت في المغرب منذ أزيد
من مائة وأربعين سنة ولكن بلغات أجنبية خاصة في
سنة وطنجة إلى عام 1868 حيث برزت جريدة
اسبوية بثلاث لغات (العربية والفرنسية والإسبانية)
تحل أحداث العالم وماجريات المغرب ، وفي عام
1889 صدرت أول جريدة عربية اسمها « المغرب »
وتنافست المفوضيات الأجنبية فصارت كل واحدة
منها تصدر صحيفة باللغتين الأصلية والعربية لمهاجمة
الحكومة المغربية تمهيدا للحماية .

ولم تكن تعمل اليشا آنذاك سوى جريدة
« الأهرام » المصرية التي كان المغاربة يتهافتون على
قراءة الأعداد القليلة الواردة منها ثم توالى الصحف
العربية في أوائل القرن العشرين فظهرت « الفجر »
و « لسان المغرب » و « السعادة » . وانصرف الفكر
المغربي طوال ثلاثين سنة لتعزيز المقاومة المسلحة فلم
تظهر أول دورية وطنية إلا عام 1932 وهي مجلة
« مغرب » التي ما لبثت أن تمزقت بصحيف أخرى مثل
مجلتى (السلام) و(المغرب الجديد) و(جريد الحياة) تعضدها في
المساجد محاضرات تكونت في حلقاتها نخبة وأمية

شكلت الأطر الوطنية الأولى للخلايا التي انبثت في
البلاد تركز لغة القرآن وتقرأ بثلهف ما يتسرب خفية
إلى المغرب ضمن الحركة الشرقية للتأليف والنشر
من الصحف والمجلات (9) وبدأت روح جديدة تنفتح
في أسلوب حماسي رائع يستمد أواره من النهضة
القومية بالجنح الشرقي للعروبة وخاصة بمصر
والشام فظهر شعراء لمع نجمهم وبدأ الشعر يعنى
بالقضايا الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي
ويتخلص تدريجيا من وطأة المفاهيم الكلاسيكية حول
الغزل والتشبيب والمدح والهجاء متفتحا لمعطيات
طريفة أكثر صلة بمتحدثات العصر ومتطلبات
التطور ومع ذلك فإن هذه الفترة لم تكن خالية من
تخضم كمرحلة انتقال بين عهد برز فيه جبل ما
قبل الحماية وجبل التوثب الجديد الذي أشاد به
الأستاذ علاء الفاسي في مخطوط حياة « وادي
الجواهر » فمنهم محمد فريط صاحب « فواصل
الجمان » حيث ترجم لأزيد من ثلاثين من « وزراء
وكتاب الزمان » كان ينظر إلى قيمتهم الأدبية بمقياس
جديد فقد تحدث عن أديب « استكتب في وزارة
الخارجية إلى أن شالت نعمته ووسدت في التراب
هامته في عام نيف ومئسة وثلاثمائة والف » ثم حاول
تعريف قطاع وزاري جديد في أسلوب قانوني ينم عن
اهتمامات العصر في الحقلين الدبلوماسي والسياسي
حيث قال : « وزارة الخارجية عبارة عن الاستقلال
بمباشرة دعاوي أهل الحماية وتنفيذ ما تملق بها من
عزل أو ولاية والوساطة بين السلطان وبين سفراء
الدول وكبرائها وكتابة الرسائل للوكها ووزرائها » .
ومن نظمه الرائع نشيد مدرسي نحا فيه منحى
طريفا بين التوشيح والتخميس في « مان جديدة » .

قال :

يا بني الدهر اجيبوا

داهي التصح النبـ

(7) مد أي ماذا وعلا من العـ يعني الذي يحلب نوق الناس بعد أن تذهب للري من عند أهلها وهو
عندهم وصف في غاية الدم ومعدود أفـ لـ أي معدود في العيال أي عالة على الناس والأنوال
بيوت من الشعر وأسر من حنش أي أكثر من الحنش سري .

(8) فم أي أصله ثم وهي لغة والتفسير التخلق كالتعدد أي التشبه بمعد بن عدنان) بأخلاق بني
مغفر ومغفر قبيلة بناحية فاس والخيم هو حسن السجية وهو الخلق كما عند ابن
سيده في الحكم (فارسي مغرب) ومعنى البيت أن هؤلاء القوم مجردون من كل الأخلاق
المغفرية ومن السجايا الحسنة .

(9) وأهمها مجلة « المنار » للشيخ رشيد رضى التي كانت قليلة حتى اضطر بعض رجال الفكر من المغرب
إلى التوجه للجزائر للاطلاع عليها .

هذي البواخر لي همق البحار وفي
 اعلاه تفعل فعل الفارس البطل
 هذا التمدن هذا الفضل فامن به
 ليس التمدن بالالمان وانفزل
 ومن بين من برز من الشعراء في هذه الفترة :
 محمد السليمانى الذى تمخضت رحلته الى
 الشرق العربى الناهض من ثورة فى احساسه
 ومنهجيته ومن نفاثاته التى يواكب فيها شاعر
 الكنانة حافظ ابراهيم قوله :

ولست الى النسيب اهش كلا
 لسان وراه لمح السراب
 ولا وصف الجالس يردهيني
 ولا جس العثاني والريباب
 اليك امني فقدت حجابها
 وهذا عزها وشك الذهب
 وهذا صبحها يحكي مساء
 هزالتها توارت بالحجاب

وقد وصف في دقة وروعة جانباً من الآسى
 الاجتماعية والاقتصادية التى توالى على المغرب
 المحتل مشيراً الى تكة العريضة وتقلص ظلها
 وسياسة التفتير والتجهيل التى نهجها الاستثمار :

رضينا الي حتى لا نصيح
 اذا ما قال سررك فى الجواب
 ولا احد من اهل العلم منا
 يقيم لسانه عند الخطاب
 مصانعا الم بها فساد
 فاصبحت الصنائع فى اضطراب
 وساد على تجارتنا كساد
 فراس المال منخرم الحساب
 وزاحم فى فلاحنا اتاس
 جنوا من ريمها عجب العجاب
 ونحن ازاهم فقراء نلقى
 بانفسنا باحضان المرابي (10)

واستجدوا ذكر قطر
 كان ذا صيت شهير
 جددوا للضرب مجدا
 واركبوا كدا وجدا
 واقدحوا للعلم زندا
 والبسوا للهزم بردا
 وابتضوا هديا ورشدا
 تسموا شكرا وحيدا
 وتروا رعبا جميلا
 من ذوي القدر الخطير

ومنهم احمد البلغيشي الذى يعتبر انموذجا
 للعالم المبرز وللغقيه الضليع والمفني البارع الذى
 يحقق قضايا القانون فى مصطلح دقيق يستجلي بواطن
 المعضل الى جانب شاعرية فياضة جمعت بين الصفاء
 والجزالة . ومن نظمه :

بدت لي ترونو بالعيون الفوائر
 ولكن لها فى القلب وقع البوائر
 بدت لي وفى قلبى المني بعبها
 لوامج اشواق كحمر الهواجر

اما عبد الله الفاسي نائب السلطان مولاي
 حفيظ بطنجة وسيره بباريس فهو خطيب واعظ
 وناقد قانوني ، ومن شعره :

ليس التمدن ما يلهيك من عمل
 برقى البلاد ويعلى الفكر والنظرا
 ليس التمدن فى عيب الدين مضوا
 بل التمدن فى اجلال من فبرا

وقال فى تصيدة اخرى يصف بعض ما ظهر
 آنذاك من طائرات وسيارات وقطارات وبواخر
 وغواصات :

هذي المناطد فوق الجو تنشدا
 هذي الآئر والآئر فى الدول
 هذي المراكب تطوي الارض تحفنا
 قرب المرار ويمن السير والنقل
 هذا القطار يخد الارض منتظيا
 متن البسيطة فى سهل وفى جبل

(10) راجع «الادب العربى فى المغرب الاقصى» لصديقنا الاستاذ محمد بن العباس القباج

وقد كانت الدعوة الى التجديد في نطاق الروح
الاسلامية هي شعار مصر يتردد في كل قصيد
فمن ذلك ما قاله السليماني :

فكل زمان له حلة

فالق دلاءك بين الكرام

ومجد الله الفاسي :

والبس لكل زمان حل حله

فالشهم من يعرف الإدوار والمصرا

وقد اتجه القريض خاصة لوصف مظاهر
حضارية مستحدثة كمنظر الشاهر محمد بوعشرين
بين الكهرباء والماء حيث يقول :

قد سبج الماء في انبويه سحرا

فقطب الضوء كالزور من غضب

الكهرباء اراها قوة جبلت

على الحرائق والاسراف والمطب

ضوء الزيت وضوء الشمع قد محيا

من آية الليل اذ اشرفت من حجب

الى ان شبه هذه المناظرة الطويلة برواية شخمت
ادوارها في اسلوب جذاب واستعمل فيها تماييز
طريفة حيث قال :

تلك الرواية من تعبير نادرة

تشخيص ادوارها من ابداع الخطب

وقد ردد المغرب في تليف وحنان اصداه
الشرق المتناهي الذي حالت دونه حجب وهوائق
مترسما خطاه في كل شاد وفاذ فقد عبر محمد
ابن اليميني الناصري عن حرقة الابداء في فجيئتهم
بالمفلوطي حيث قال مشيرا الى فن الفقيده والسوان
بديمه :

ما للمعارف ترسل «النظرات»

نحو الثرى وتسلسل «المبرات»

فالمغرب الاقصى يمزى مصر في

ذاك الابسي مذلل العقبات

يا مصطفى وليت هنا لابسا

حلل الشفاء موثق الخطوات

قد كنت لينا مرشدا ومهدبا
ومشدا بالخير خير نبات

* * *

وظفر المغرب طفرته الرائعة بروامة الاستاذ علال
الفاسي ورفاقه الاحرار عام 1933 عند مطالبة الشعب
بتخليد الذكرى السنوية للعرش المغربي كمنسوان
للوطنية الصادقة التي اظهرها جلاله المرحوم محمد
الخامس وقدمت الكتلة الوطنية في العالم التالي
برنامجا مركزا للاصلاح برهن بالاضافة الى روحه
التحررية من الخطوة الحريثة التي قطعتها الفئة
العربية في فترة وجيزة اصبحت خلالها قابلا حيا
لمفاهيم جديدة ومصطلحات طريفة ردها الشعب في
شعاراته مثل الغاء الحكم المباشر وفصل السلطة
وتشكيل مجالس وطنية منتخبة وقرار الحريات
العامة وحق الاضراب وتوحيد التعليم وضمان الملك
العائلي وتوسيع القرض الفلاحي ومحاربة سياسة
الادماج وتكوين الاحزاب وفتح المجال للبعثات العلمية
الى الشرق العربي وحماية الصناعة الوطنية وضمان
السكن الصالح للجميع وتمززت هذه المطالب بحركة
« تضامن » بين تونس والجزائر والمغرب وانعقدت
«مائدة مستديرة» بين الكتلة الوطنية وادارة الحماية
وصدرت صحف عربية جديدة ك « الاطلس » . فقطع
المغرب بفضل هذه الانتفاضات خلال نصف قرن ما لم
يقطعه في آحاد عريضة حيث تقاربت الاحاسيس
وتجاوبت العواطف بين الشعوب العربية واتحدت
مجالي التعبير بعربية حية تساوقت مصطلحاتها
وتجانست مفرداتها في الصحالة والاذاعة في عواصم
الشرق والمغرب العربيين وانبثقت الى جانب هذه
الثورة الفكرية نهضة علمية انمكنت صورها على
مجلات ودوريات مثل « رسالة المغرب » التي اصبح
عنوانها رمزا لمدرسة القاهرة الناهضة في شخص
« رسالة الحسن الزيات » ورفاقه من الاخصائيين
العرب الذين بذروا في روينا الايمان بقضية العربية
كلفة للعلم والحضارة في مصر الحديث فكان
للمفاهيم الجديدة وتماييزها الطريفة صدى عميق
في نفوس نخبة حية من المثقفين المغاربة ما بين
مزدوجي الثقافة وموحدتها . ولاعطاء صورة عن
« رسالة المغرب » التي تبلور فيها الانتاج الفكري
الرصين في المغرب قبل منتصف القرن الحالي
ناخذ العدد الاول (11) من السلسلة الاسبوعية

(11) ونلاحظ ايضا في هذا العدد فراها ابيض هو عبارة من جزء مقال قصته رقابة الحماية لانطوائه
على منصر لم يرقها وكثيرا ما كانت المجلات والصحف الوطنية تصدر بيضاء :

وتحت عنوان «رؤيا» قال الشاعر الاستاذ محمد
الحلوي :

اي دنيا انت يا دنيا الرؤى
يا ملاذ الروح يا نبع النبي ؟

سبحة من سبحات الروح فى
أفقك الصحري عمر ذهبي

ونسيم مطر منسكب
منك فى قلب وجيع متمسب

نمة تخلق من الامه
مبتريا مبدعا للعجب

فى مجاليك استقيت الفن من
نبع الفياض صافي المشرب

وتلقى قلبي اللحن الذي
يتلقى مثله كل نبي

سال فى روعي شعاما حالما
غاب فى قلبي وروى ادبي

ومن شعر الاستاذ عبد المجيد بن جلون خريج
« جامعة القاهرة » :

يا نديمي اسق نديمك
زده نعمى وحبورا

زده صفوا وسرورا
وخبيلا وشمورا

يا نديمي اسق نديمك
فملا الاكوان خمرا

يتدلح منها الشمور
ثم قل كون كبير

او فقل كون صغير
اوليس الكون سرا ؟

الليالي والمصور
فى محيط تتقلب

انها حتماء تصطب
والزمان الفظ يلهب

ظهرها وهي تدور
ومن شعر الاستاذ عبد الله ابراهيم رئيس

الحكومة سابقا :
سر كرمش الكهربا

الشته السنة القضاء

الجديدة (عام 1368-1949) حيث نستشف من عناوين
الابحاث والدراسات الوجيهة الجديدة فى الادب
والثقافة فى المغرب الناهض فهناك دراسات حول
الانثية ومجزرة الاسلام المعاصرة
وزهراء مجدولين او تنارح العوازل
والمبقرية شدوذ والتثقيف الداني ورتاء شاعر مصر
علي الجارم وقصيدة للشاعر المرحوم عبد الكريم بن
ثابت الذي قضى شطرا من حياته فى مصر
« وجهك الباسم » وهي من بواكير الشعر المنشور
جاء ليها :

وجهك الباسم لي نعمى وروح وهناء
ورجاء لغواذي كلما عز الرجاء

وشفاء لجراحاتي وسلوى وعزاء
ونعيم ذكرتي نفحة منه الخلود

حين كنا نجعل الدنيا والام الوجود
تملا الفرحة روحينا وبدي وتميد

وكلانا يا حبيبي مثل انفاس الصباح
مثل همس البحر النائم فى غود القمر

يتفنى بالاندية

ونقرا فى الفهرس العام لسنة 1950 فبفساه
من الدراسات يمطي مجرد عنوانها لمحة من اتجاه
المصطلح العربي فى المغرب منها : الشعور والانفعال
- عصامية الادب - صلاتنا الثقافية مع مصر - الفكر
الاجتماعي والفكر النقابي ورسالة الشعر واردة
الشعوب وكياننا الروحي ودفاع عن اللغة العربية
والنزف الثقافي والعلم والشاعرية وثقافة هذا
الجيل ومركب الكمال وشرقية الحضارة المغربية
الخ ..

ونستشف من خلال نماذج شعرية اتجاه الفكر
المغربي الحديث ، وللاستاذ الكبير ملال الفاسي :

مضى الشطر من عمري وانى دالما
حليف هوى مقر وخذن اذى مصدي

واطمح للروحي كبسهم جرحها
فتابى سوى صدي وتابى سوى ردي

واطلب عقلي منجدا فى كفاحها
ولكنها تطفى على العقل فى الحد

تجادبني امواها وتمد لي
ظلالا من الالوان لامعة المد

نبراته وقراقية
مثل الزلال بلا وتر
وجداول فوارة
يلفون بصفتها الزهر
والورد بلبل خده
فطرات ابداء الحر
في مثل حبات الجليد البيض
او سقط الصدر

تلك نماذج من نتاج الفكر المغربي في مختلف
المصور وخاصة في الحقبة الحديثة تعطينا صورة من
تطور الفكر في الوان الطريفة وانكاساته التي تشرق
وتخفت على التعبير اللغوي الذي واكب رغم تناسي
الديار تطور الفكر العربي ضمن الوحدة الكبرى .

المؤثرات الدينية

كان تعليم القراءان والفقهاء هو الانطلاقة الاولى
لتعريب الجهاز الديني في المغرب الاقصى حيث اناط
طارق بن زياد بسبعة وعشرين من العرب رسالة
تلقين مبادئ الشريعة الاسلامية الى الجيش البربري
ثم عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الثانية وما
لبثت الدعوة ان تقلصت بسبب الاضطرابات
السياسية بين الامويين والعباسيين فظهرت في
الميدان فرق الخوارج التي نقلت اراءها التحريرية
بعزلة بالقراءان والحديث ولعل انتشار الفكر القراءاني
في الوسط البربري هو الذي حدا مؤسس النحلة
البرهغاطية الى وضع قرءان بالبربرية في ثمانين
سورة اطلق عليها اسماء للانبياء كآدم ونوح او
حيوانات كالجمال والديك والحجل والجراد او
الفاظ اخرى مقتبسة من القراءان كهاروت وماروت
وابليس والحشر وقد توثقت الصلة بين المغرب
والشرق منذ عصر التابعين حيث ارتحل العالم
سكوا ابن واسول والد امير سجلماسة المدراري الى
المدينة لاخذ العلم وربما العقيدة الخارجية من
عكرمة (1) مولى ابن عباس تمزنت دولة الضغرية
الخارجية في الصحراء المغربية الى منتصف القرن
الرابع حيث استعالت في عهد الناصر لدين الله الى
امارة سنية تخضع للمذهب المالكي الذي انتشر في
مجموع اصقاع المغرب اذا استثنينا فلولا معدودة من
الفرق ظلت تنافس الخوارج كالشعبة الموسويين

فانا هنا نسوي اندفاع
ليس يحكمها ذكاء
نسل النجوم لو النجوم
تجيب في لغة الضياء
وسل الصخور الجائحات
بدون ياس او رجاء
وسل الصباب الضخم يزحف في انخفاض واعتلاء
وسل الرياح الهوج تبدو بين عنف والتواء
يا ليت شعري ما القضاء وكيف الضماني القضاء ؟
امصير اتماب الشعوب وما ينته الى القضاء ؟
ومن شعر ادريس حسن العلمي من قصيدة
طويلة بعنوان « الصفاء » :

لدى منبع النور مهد السناء
زها الفجر روتقه والسماء
وفي صفحة النهر نائمة
يلمس النسيم ورقص الضياء
وبين الخمائيل اطيارها
تطربها بلديد الفناء
وعند المروج وعطر الزهور
وعند الهضاب وسحر المساء
نشدت لروحي الرضى والصفاء
ومن شعري النادر في صباي :

النور بدد ما امتلك
لما بدا ضوء القمر
والارض في جنباتها
مرف الريح قد انتشر
وانساح في الروض المنعم
خده موج البشر
متناكرا متزاوجا
مستمرنا حلو السمير
فالجر يفتاه السناء
بيرقة تجلو النظر
والقلب يخفق نشوة
فيشع بالزهو البصر
والنفس تبع فيهما
فتزاحمت فيهما الفكر
والطير يشدو زاهيا
من فوق افنان الشجر

(1) ذكر ابن خلكان ان عكرمة كان بربريا يرى واي للخوارج .

مالك فان منطقة نفوذه تجاوزت البصرة والحجاز الى
الاندلس والجزر المتوسطة كصقلية وقرطبة حيث
امتدت من مصر الى تونس والسودان والمغرب
الاقصى (9) واذا كان هذا المذهب قد تمزج بالاندلس
بفضل يحيى بن يحيى الليثي الذي كان مكيئا عند
الامويين وفي الفريجية بفضل سحنون صاحب
المدونة (10) فانه تركر عندنا لاسباب شتى منها ان
الادارة ساندوه لمساندة مالك بيعة الطوليين
وتقديم البربر لمدينة الرسول عليه السلام ولعادتها
التي اعتبر مالك العمل بها دعامة لمذهب مع اقرار
المصالح المرسله وتحكيم الاعراف التي لا تصطدم مع
روح الشريعة واهى المولى ادريس الا ان يسند القضاء
لتلميذ مالك وسفيان الثوري محمد بن سعيد القيسي (11)
وقد نشأت جامعة القرويين عام 245 هـ في
احضان هذا المذهب كجامع تركزت فيه دراسة علوم
الدين وعلوم الآلة مثل سائر المساجد التي تعتبر
معهدا ومعهدا ياوي اليها الغريب ويجتمع في حلقاتها
طلبة العلم ولكن هذا الجامع ما لبث ان اصبح في
القرن الرابع مهيبطا لرواد الفكر يتقاطرون على
عاصمة استوطنها قرطبيون وقبرانيون من رجال

بافعات والروافض بالاطلس الكبير (2) والبلجيين (3)
يسوس وقد استاصل المرابطون في صراعهم ضد
البرفوطيين شافة هذه الطوائف التي اسهمت نحو
من ثلاثة قرون في نشر العربية ضمن دعاويها
المقاتلية .

وكانت فاس ملتقى لشتى المذاهب السنية فقد
عرفت مذهب الاوزامي ومذهب ابي حنيفة قبل ان
يستقر فيها مذهب امام دار الهجرة وكان الاوزامي
امام اهل زمانه - كما يقول مالك - انتشر مذهبه في
الشام نحو مائتي سنة (4) وكذلك في الاندلس
قبل الامويين (5) اما ابو حنيفة فقد ظهرت نظرياته
بافريقية الى آخر القرن الرابع ومنها دخل الى
الاندلس وفاس حيث لم يحتد الصراع بين المذاهب
لانصراف المغاربة الى المذهب المالكي على ان الاسام
ابا جيدة الفاسي قد حمل معه من الشرق وثائق
شافعية (6) بالاضافة الى تضلعه في التفارح المالكية
بينما لم يقدر ذلك للمذهب الحنبلي بالرغم مما اشيع
من دخول احمد بن حنبل نفسه الى المغرب (7)
وكذلك للمذهب الظاهري الذي تزعمه ابن حزم
بالاندلس في القرن الخامس (8) . اما مذهب الامام

- (2) حسب ابن حوقل وهم اتباع موسى الكاظم الذي اخذ له والده جعفر الصادق البيعة بعد وفاة
ابنه اسماعيل (الامام السابع للاسماعيلية) وقد رفضت البيعة لموسى لعرفت بالرافضة التي
وجدت بالاطلس الكبير حسب البكري .
- (3) اتباع علي بن عبد الله البجلي بماسة وتارودانت .
- (4) خطط الشام لمحمد كرد علي .
- (5) مدارك القاضي مياض (ج 1 ص 66) الى ان رحل الى مالك فرعوس وشبطنون زياد بن عبد
الرحمن الذي ادخل الموطأ الى الاندلس وغيرهما فالزم هشام بن عبد الرحمن الاموي الناس بمذهب
مالك حوالي 170 هـ اي في حياة مالك حيث كان شيخ المثنين صمصمة بن سلام تلميذ الاوزامي
وامام مذهبه قد ادخل كتب الحديث الى الاندلس (جدوة المقتبس للحميدي طبعة 1952 ص 227)
وقد لاحظ محمد كرد علي (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد 20 ص 321) ان بعض المذاهب
كمذهب الاوزامي لم تكن تقل عن غيرها شائنا غير ان الملوك لم يعضدوها ولم يهتم بها الخاصة
والعامة وللأوزامي كتاب رد فيه على ابي حنيفة في خمس وثلاثين مسألة حربية اي من القانون
الدولي العام وانتصر الشافعي في كتابه الام (ج 7 لاكثرها) .
- (6) توفى ابو جيدة حوالي 360 هـ (سلوة الانفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 93 طبعة فاس
الحجرية)
- (7) كما ورد ذلك في الاعلام للزركلي (ج 1 ص 192) وفي شعراء بغداد للخاقاني (ج 1 ص 386)
ومجلة اللسان العربي (عدد 3 عام 1965) .
- (8) لاحظ احمد امين (ظهور الاسلام ج 2 ص 7) ان الاجتهاد انحصر منذ القرن الرابع في اربعة
مذاهب وابطل كما قيل نحو خمسمائة مذهب .
- (9) الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرحون المطبعة الحجرية بفاس ص 17) .
- (10) (جدوة المقتبس ص 360) .
- (11) الجدوة ص 13

الفتحة والسنة وكان جامع الأزهر (12) يؤدي نفس الرسالة في الجانب الشرقي لأفريقيا الشمالية بينما ظلت جامعة الزيتونة بتونس العاصمة تتنافس مع القيروان ثم مع بجاية في القرن السابع وقد ظهرت في بادية الجنوب أول مدرسة عرفها المغرب كدار للرابطين يلحق فيها القراءان ومبادئ العلم أسسها وجاج بن زلو اللطفي تلميذ أبي عمران الفاسي الذي كان انتهى به المطاف في تجواله لانتجاع العلم والمعرفة إلى حاضرة إفريقية حيث برز أمثال أسيد بن الفرات وسحنون وابن أبي زيد القيرواني والقاسبي من رجالات الفتحة والاصول وكانت قراءة حمزة هي الشائعة بين القراءات القرآنية السبع إلى ان اختار المغرب كالقيروان قراءة نافع منذ صدر المائة الرابعة لتبسيط تلقين القراءان في الكتابيب التي كانت مجرد جناح في المسجد (ولذلك تسمى السيد وهي تحريف مسجد) وكانت للعوامل السياسية بد قوية في الاختيارات العقائدية اذ ما كادت مثلا مخطوطات « احياء علوم الدين » للغزالي تنتشر بالمغرب حتى انبرى خصوم المهدي بن تومرت من الرابطين يدهون إلى تحريفها لما شاع آنذاك من انحال لرجلين (13) وكان لتسرب المفاهيم والتماييز الفلسفية الغزالية اثرها في اوساط الفقهاء الذين ما لبث المهدي بن تومرت ان حملهم على عقيدة الاشعري السلفية من تاويل متشابه القراءان والحديث استنادا إلى ضرورب المجازات مما يتلام وروح الشرع وبعضه العقل والطبع وحظر المنصور الموحدى التقليد في الفروع وحمل الناس على الرجوع للاصليين على طريقة الاجتهاد المطلق واحرق كتب المذهب المالكي بعد

تجربتها من الحديث والقرآن كمدونة سحنون (14) وكتاب ابن يونس ونوادير ابن ابي زيد ومختصره وهديب البرادمي وواضحة ابن حبيب مستفيضاً عنها بأحاديث اقتبست من المصنفات العشرة على غرار ما نسقه ابن تومرت من احاديث الطهارة فنصار المنصور يملها بنفسه كما يفعل السلطان الملوي محمد بن عبد الله في القرن الثاني عشر الهجري (15) وقد انتشرت هذه الجاميع وحفظها الناس من العوام والخواص (16) فكان فيها تراء للغة واندرجت منذ ذلك العهد في الفصحى والعامية مات الكلمات ذات الاصل القراءاني والحديث الفقهي . ومعلوم ان الاشعري لم يكن يؤمن بقدرة العقل المطلقة في البحث عن البراهين للدفاع عن الدين ولكنه لم ينكر ايضا قيمة العقل فلذلك هدف إلى ابراز « موافقة العقل الصريح للشرع الصحيح (17) ولم تكن هذه الانتفاضات الموحدية خلوا من دخيل سياسي كالمهدوية الشيعية التي عزز بها ابن تومرت نظام دولته .

وتروى في قصة المهدوية احاديث وآثار واخبار اوصلها ابن ابي نعيم إلى الاربعين واضاف إليها السيوطي المصري ما نماها وحظها فراجت في المغرب واثارت موجة من الادعاءات حملت ابن خلدون على نقضها وتفصيل القول في منكرها ومع ذلك ظهر متبثون كابن هود الماسي وحاميم الفماري وابن ابي محلي ووجد الكهان مجالا واسما لمخاريق اسندوها إلى حسابات الجفرية وهي جداول منسوبة إلى جعفر الصادق امام الشيعة محشوة بالتنبؤات من ماجريات المستقبل بارقام ومربعات اصيحت لفة للكتاب

- (12) بني جامع الأزهر جوهر الصقلي عام 359 او 360 هـ في حين تأسس جامع الزيتونة سنة 141 هـ (758 م) (صفحة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار للشيخ بيرم ج 1 ص 122)
- (13) أكد ملافة ابن تومرت والغزالي ابن الخطيب في الحلل واليوسي في المحاضرات والركشي في تاريخ الدولتين والزبيدي ولم يجزم ابن خلدون في تاريخه ولا صاحب المعجب وقطع بنفيه ابن الاثير في الكامل والصواب في نظرنا التوقف لعدم وجود الدليل على هذا اللقاء .
- (14) أول من ادخلها إلى فاس دراس بن اسمايل المتوفى عام 362 هـ
- (15) الا أن هذا السلطان كان ينهى في نفس الوقت من تدريس الاصول اذ لم يبق في نظره اجتهاد (الاتحاف لابن ريدان ج 3 ص 213).
- (16) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (طبعة سلا عام 1357 - 1938 ص 177)
- (17) هذا عنوان كتاب للحافظ ابن تيمية وقد تار ابو بكر بن العربي في كتابه (القواصم والمواسم) ضد ما اصاب العلماء في عهد الرابطين من جمود على تفاريع المذهب وضد طريقة التعليم التي تدرجت واندك من تلقين القراءان إلى الادب ثم الموا فالمدونة فونائق ابن المطار فاحكام ابن سهل .

الذي عرف في مصر بأبي الخطاب السوسي وادخل الى المغرب مسائل الخلاف وحفظ البرهان لامام الحرمين ومحمد بن المنذر المراكشي (21) تلميذ امام الحنابلة الشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي وقد درس الحديث والفقه بفسداد ومحمد بن الخضار السبتي الذي سمع من ابن اصلاح كتابه في علوم الحديث (22) وعلي الحرالي الذي كان ابتدع في التدريس منهاجا « ينزل في التفسير منزلة اصول الفقه في الاحكام » ملاوة على تبريزه في المنطق والطبيعيات والالهيات (23) ومحمد بن عمران الشريف الكرزي الفاسي شيخ المالكية والشافعية بالديار المصرية والشامية (24) ويونس بن طريفة القصري الذي ولي التدريس بدار الحديث الكاملة بالقاهرة سنة 641 هـ وبذلك اعطى المغرب الاقصى الدليل الناصع على اهلية كاملة لتحمل رسالته الروحية الخالدة في العالم الاسلامي وبرزت فصحي هذا الشق الثاني من جناحي العروبة كأبلغ ما تكون العربية في اصالتها وجزالتها ودقة مصطلحاتها في الخلاف العالي والتفاريع الفقهية وبذلك يمكن القول بان الانتاج المغربي قد اتحد مع الشرق في هذا المجال مبني ومعنى على ان نزعة الاصلاح والتجديد لم تقتصر على الطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة - كما سنرى بحول الله - بل شملت حتى علوم الآلة كنظرية ابن مضاء قاضي (25) قرطبة ايام الموحدين انكار العامل في النحو ، وقد اصيحت فاس (26) آنذاك بجامعة حاضرة المغرب العلمية وملتقى علمي (27)

المشعوذين وخاصة في الاطلس الصغير وذاع صيت المغاربة شرقا لاستبحارهم في علوم الطلاسم والتنزلات الروحانية التي تخللت تماييزها حروف سريانية وعبرية وتداخلت هذه المعطيات مع اسرار التنجيم التي خبرها فقهاء ومتصوفة ادرجوا معها خواص الاسماء وكان لذلك اثره في تعقيد التأويلات القردانية وخلق مصطلحات جديدة اورد بعضها ابن خلدون الذي علل لنا ببرامته بعض مناصرها مشيرا الى تكهنات مالك بن وهيب فقيه المرابطين ضد ابن تومرت الذي استغل في دعاويه هذا الاستعداد الفطري في نفوس العامة فبدأ بتأسيس رابطة للعباد جمع فيها طلبة القبائل ولقنهم تعاليم التوحيد بكتابه « المرشدة » باللسان البربري ولقب انصاره بالموحدين ووصم خصومه بالتجسيم وهب لتعاليم باسم الدين ومهما يكن فان سوق القردان والحديث نفق ظهر اول تفسير للقردان لابن عطية اقتبس من كشاف الزمخشري مجردا من عناصر الاعتزال كما تلمذ للشرق محدثون مغاربة منهم ابن سمجون اللواتي الطنجي الذي اقام يقرر الحديث في المشرق ولم يدخله حتى حفظ - كما يقول ياقوت - اربعة وثلاثين ألف بيت من شعر الجاهلية (18) ومحمد الجبائي (19) البغدادي الذي روى عن الطبري وجلب من تأليفه احكام القردان واصول الفقه والرد على ابن حنبل وميمون بن ياسين الذي قرا على الطبري صحيح سلم وجمال الدين البغدادي الشافعي الذي ولد بقصر نشامة بشمال المغرب وعمر بن الطوير المراكشي (20)

118 مجمع البلدان ج 6 ص 62 (19) توفي عام 546 هـ اسوة الاناس ج 3 ص 267

120 توفي عام 622 كما في الدليل والتكملة .

21 الاعلام للمراكشي ج 4 ص 883 ، 22 توفي بدمشق عام 634 هـ (درة الحجال ص 282) .

23 حتى كان يقض النجاة لابن سينا انيل الابتهاج بابا السوداني ص 187 . (24) قال فيه تلميذه القرافي انه تفرد بمعرفة ثلاثين علما وحده وشارك الناس في علومهم (الديباج المذهب لابن فرحون ص 286)

25 احمد امين ا ظهور الاسلام ص 118) حيث لاحظ نقلا عن ابن جنى « ان الحركات من الرفع ومن النصب والجر والجزم انما هي للمتكلم نفسه لا لشي غيره .. وان ضرب انتهت بمجرد النطق بها فلا يمكن ان تكون عاملا في زيد او عمرو .. »

26 المعجب للمراكشي ص 221 .

27 وصف هذه الدروس الرحالة البلجيكي اكلينسار الذي زار المغرب عام 948 هـ (1540 م) وكتب رسالة باللاتيني عن القرويين وهوالد الطلبة واوصل عدد مدارس فاس الى المائتين وعلله يعني الكتابيب القردانية .

التوفيت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب
وسائر العلوم العقلية ..

وقد تابع مات العلماء رحلتهم الى الشرق نذكر
منهم كمنادج لنوع التبادل بين الجناحين :

تاج الدين محمد بن ابراهيم المراكشي (701 -
752 هـ) الذي اعاد بقية الشافعي بالقاهرة وولي
تدريس المسروبة ودار الحديث الاشرافية حيث
خلفه تقي الدين السبكي (31) وابن المواق احمد
التجيبى الذي استظهر الموطا بمصر فحرب شيوخ
المالكية الطبول على راسه (32) .

والمحدث الفقيه التاودي بن سوادة الفاسي شيخ
مرضى الزبيدي (33) .

وابن زكري الفاسي الذي عقد علماء الازهر
مجلسا لمناظرته فى القضايا الفقهية كحرب
الدخان (34) .

ويحيى بن موسى الرهوني الحافظ الاديب
المنطقي الذي تولى التدريس فى المنصورية والخانقا،
الشيخونية بالقاهرة (35) .

وجمال الدين محمد بن موسى المراكشي الذي
سمع من شيوخ مصر والشام والقدس واليمن حيث
ولي مدرسة الناصر (36) .

والكمال بن ابي البركات الكناسي شيخ المحدث
الحافظ ابن حجر المستقلاني (37) ومحمد تقي الدين
الفاسي الذي وافق ابن حجر فى السماع بمصر
والشام واليمن (38) .

وابن الخطري المراكشي المصري الذي ذكر المقرئ
انه كان يحفظ المدة والاسماء لابن دقيق العيا

القيروان وفرطية وتركزت فى القرويين بالاضافة
الى علوم التفسير والحديث والاصول والفقه والعلوم
التقليدية كالنحو والبيان والمعاني والبدع والمنطق
والعروض والكلام والتوحيد والتصوف واللغة
والادب والتصريف وكذلك الطب والرياضيات
(وهى الحساب بالمغرب) والجغرافية والتاريخ
وتزييدات افواج الطلبة الواردين على فاس من مختلف
الانطار الانريقية والغربية مثل جيربير Gerbert
الذى عين بعد ذلك على راس الكنيسة باسم البابا
سلفستر الثاني Sylvestre II عام 999 م وادخل
الارقام العربية الى اوربا . وقد هزرت دولة بني
مرين هى الاخرى نظامها السياسى بتكتيل الطلبة
تحت شعار السنة وبناء المدارس (28) ومساندة
الصوفية وتشجيع الزوايا والاضرحة التى تفق
فيها - كما سنرى - سوق جديدة بعاداتها وتقاليدها
ودسائسها ومناطق نفوذها وادبها الخاص ولغتها
ومصطلحاتها .

ورغم تصارع الانكار فى هذا الخضم من البدع
التي هزت السنة فى مقر دارها فان العلم بالمغرب
ظل محاطا بسياج من القداسة بالرغم من فقدان
الملكة والتحقيق العلمى - كما يقول ابن خلدون
(29) وغلبة الاستظهار حتى قال علي بن ميمون الذي
زار الشرق فوازن بين فاس وبين حواضره فى الشام
والحجاز ومصر من حيث الاصاله العلمية فقال :
« ما رايت مثلها (اي فاس) ومثل علمائها فى حفظ
ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل وفزاره الحفظ
لنصوص امامهم مالك وحفظ سائر العلوم الظاهرة
من الفقه والحديث والتفسير وحفظ نصوص كل
علم مثل النحو (30) والفرائض والحساب وعلم

(28) مفضل المدري صاحب الشرطة والحسبة بفاس اول من سن سنة بناء المدارس (جدوة
الاقتباس لابن القاضي ص 220) وقام ضد بنائها محمد الابلى العبدري شيخ ابن خلدون
ملاحظا ان ملكة العلم اندرست مع بناء المدارس وايده بابا السوداني (نيل الابتهاج ص 246) وقد
بلغ عدد المدارس بفاس اربعة عشر هى عبارة عن احياء جامعية اى مساكن للطلبة تحتوي على غرف
(29) نشر المثاني للقادري ج 2 ص 97 .

(30) كان موسى بن زيري الهسكوري المعروف بالبخاري يحفظ كتاب سيويه عن ظهر قلب (درة الحجال
- طبعة الرباط 1934 ص 314) . (31) الدارس فى تاريخ المدارس للتعميمي ج 1 ص 458 . (32) توفى
عام 725 هـ (السلوة ج 3 ص 244 . (33) راجع مادة سود فى شرح القاموس للزبيدي .

(34) السورة ج 1 ص 83 . (35) توفى 774 هـ (درة الحجال ص 490) . (36) مات عام 823 هـ (الاعلام
للزركلي ج 4 ص 50 وذيول طبقات الحفاظ . (37) الاصابة ج 4 حرف م . (38) نيل الابتهاج ص 318)

ولم يحظ المغرب الأقصى في مختلف العصور بزوار من علماء المغرب اذا استثنينا الوالدين في عهد المنصور السعدي (أي أوائل القرن الحادي عشر الهجري) من الحجاز وللسطين ومصر والشام والعراق والهند وقد سبق لصالح الدين الأيوبي أن يمث وفدًا إلى المنصور الموحد في عام 585 هـ يطلب منه إمداده بأسطول لحاضرة مكا ومصر وطرابلس الشام وأولد إليه أبا الحرث عبد الرحمن بن منقذ مع رسالة من إنشاء القاضي الفاضل وقصيدة من نظم ابن منقذ مطلعها :

سأشكر بحرا إذا حباب قطمته

إلى بحر جود ما لاخراه ساحل

وكل من الرسالة والتصيدة لا تختلفان في معانها ومبناها من اللون المادي التحجر الذي وسم الأدب العربي في هذا العصر شرقًا وغربًا والذي جعل مصطلحاته متناسقة موحدة .

واستسمح حضرات الأخوة اذا أنا ازمنجتهم بلائحة طويلة استهدفت من سرد اسمائها اعطاء صورة عن اتجاه علماء المغرب الجديد في اعطاء الاسبقية للعلوم الاسلامية لاسيما منها التفسير والحديث والفقہ مما اضفى على دراساتهم - رغم كلاسيتيتها وتفايرها الاستطراذية الملمة - طابعا خاصا جعل منها مرجعا هاما في تاريخ التشريع الاسلامي وتاريخ تطور اللغة واذا كان الرحالون المغاربة من العلماء قد تضاءلوا في القرن الماضي بسبب الحواجز الاستعمارية التي اقيمت في طريق الحجيج بالجزائر منذ عام 1830 م فان المغرب ظل مع ذلك يتتبع بثلف جميع حركات التجديد المنبثقة من الشرق ويوالي بعث وفود رسمية تحمل دوريا هدايا وصلات لرجال الفكر وارباع الاوقاف المرصودة لامانة الطلبة (46) وقد جدد السلطان محمد بن عبد

والشاطيبين والطوالح في اصول الدين وابن الجلاب والرسالة في الفقه والحاجبية والملحة وغالب الفيسة ابن مالك والتلخيص وقد طارح الادباء وقرئ الشعر وشارك في اللغة والطب والهيئة وولى تدريس الفقه في مصر بجامع الحاكم والقرانستقرية والحسنية والحديث بالفاضلية والامادة بالكاملية والمنصورية (39) .

وعبد الرحمن سقين الذي اخذ الحديث من القلقشندي وزكرياء الانصاري والسخاوي مصر ومن ابن فهد بمكة (40) .

وادريس العراقي الفاسي الذي كان له كما يقول صاحب السلوة فضل على محدثي مصر حيث استدرج احاديث كثيرة على الجامع الكبير للسيوطي تنيف على الخمسة آلاف وكان احفظ من ابن حجر (41) .

ومحمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي الذي وصفه صاحب خلاصة الاثر بأنه « فرد الدنيا في العلوم » حصلت له بعد التطواف بمصر والحجاز والشام وبلاد الروم الرياسة العظمى في علوم خاصة بالطبيعي والالهي والرياضي والارتماطيقي والمساحة والرمل والحروف والسيمياء (42) وله كتاب جمع فيه كل مصنفات الحديث ضمن مقارنات علمية رائعة (43) .

ومدرسة الشيوخونية كانت اكبر مدرسة بمصر نظم اليها علماء مغاربة برزوا في شتى العلوم الفنون وقد قامت على اكتاف الفنان عبد الكريم فاسي - كما يقول تيمور - (45) نهضة متواضعة - صناعة الخرف بمصر في القرن الماضي حيث كان يصنع الواح القاشاني (تسمى الحائطيات بالمغرب) تنطوية جدران العمارات وتوجد الآن نماذج منها في دار الآثار العربية بالقاهرة .

(39) توفي عام 872 هـ (الاعلام ج 4 ص 125 . (40) السادة ج 2 ص 160 .

(41) السلوى ج 1 ص 142 . (42) توفي عام 1094 (الاعلام للزركلي ج 4 ص 334) .

(43) طبع باسم مجمع الفوائد في مجلدين .

(44) نيل الابتهاج ج 84 و 96 وقد كان بمصر في اواخر القرن الماضي (عام 1898 م) نحو 1500 مغربي .

(الوثائق المغربية ج 11 ص 1907) .

(45) في كتابه حول التصوير عند العرب .

(46) وقد حبس السلطان محمد بن عبد الله مصنفات شتى على مكاتب القاهرة والاسكندرية وجلب كتبًا من الشرق ورتب لاهل الحجاز واليمن مائة الف مثقال ذهبي كل عام (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 251) والمثقال الذهبي قد عوض الدينار بالمغرب وضرب نوع منه بالرباط عام 1787م وكانت قيمته اقل من الدينار .

دائبة ما فتىء يبدلها رسل الفكر طوال الف عام من الاستقلال الا ان المغرب الاقصى رهبا انفرد بسون خاص يرجع لانتشار حفظ القرآن والحديث والتون الفقيه والنصوص النحوية وحتى المعاجم اللغوية .
 (في شنيق وسوس) مما فسح المجال لسات المفردات العربية الخالصة التي طمعت لغة الخاصة والعامية وكان للحلقات العلمية التي تعقد يوميا وبحضرها الجمهور في مختلف المساجد (وما اكثرها بالمغرب حيث بنفت بفاس وحدها في عهد الموحدين زهاء خمسين وسبعمائة) اثر قوي في توعية الشعب وتفصيح لسانه حتى اصبحت الاي القراءاتية والاحاديث النبوية والحكم الصوفية تتردد على كل لسان وامسى القراءان معجم المساكين - كما يقول المثل العامي - يصحون منه اللغة واذا تعرنا التنظير بجزء يسير مما ورد في كتابنا « المعجم الصوفي من القروان » فان حرف الالف منه يبلغ المائة منها كلمات الاخلاص وارذل العسر والاستدراج والاستفائة والاستفاد والاستقامة والاسراب والاصنام والاطلاذ على الغيب والاعتصام والاقتصاد واقتصرار الجلد والالواح والامانة والامثال والانابة وانباء الغيب والانداز والانصاب والانفاق والاوزان والاوزان والاوليا والاحاد والائمة والايمان .

وقد دخلت كثير من التعابير القرآنية في لغة العامة مثل قولهم « قتل كيف قدر » (اي ما د طبقا لما قدر في الازل) و« قاتلهم الله » و« خذو فاقتلوه » (وهي كتابة عن فعل الشيء باستعجال وبالله وتعال بمعنى تعال واثت) وقيل باسم الله او توكل على الله (اي اشرع في العمل) والصلوا على النبي (اشارة الى النهاية او الكفاية خبرا ا انشاء) ولا الضالين (كتابة عن الموافقة بدلا من نعم وبالتي هي احسن (اي بالمول) الى غير ذلك .

ومن المصطلحات التي تسربت الى الفصحى والعامية عن طريق الحديث النبوي الشريف قوله حج فلان (اي بلغ الغاية) وصلى عليه صلاة الجنائز (اي يس من خيره وشره واعتبره كأنه مات) وكفر عليه (اي افتناظ منه) وفلان حال واحوال (اي كثير النكير) وقد استعملت مثلا لفظتان في المغرب بمعنى خاص طبقا لمفهوم حديثين شريفيين وهما « المظاهر » بمعنى المرائض (وتسمى عندنا ايضا الميضات طبقا للحديث الذي رواه مكحول عن معاذ مرفوعا « اتخذوا على ابواب مساجدكم المظاهر » وكذلك لفظ « البيت » بمعنى الجزء الصغير من الدار كلها .

الله عصر الموحدين بالدعوة الى السلفية ودراسة الحديث وامهات الكتب تركيزا للملكة العلمية بدلا من الانكباب على المختصرات التي حجرت الفكر وضرب لذلك امثلة حية بتصنيف نماذج رائعة كما اصدر نجله السلطان سليمان رسالة نحا فيها منحى السلفية الصحيحة بالتحذير من الحياد عن المذهب السنسي وعدم التفالي في المراسيم الصوفية وكان كتاب عبيد الله بن سعود قد وصل وانذاك الى تونس وفاس يحفل اسس الدعوة الوهابية . اي المذهب السلمي كما يراه محمد بن عبد الوهاب (فتصدى للجواب عنه عالم فاس الشيخ حمدون بن الحاج باسم السلطان وحمل الجواب الى الحجاز نجله الامير ابراهيم في وفد من العلماء لمناظرة الوهابيين .

وهكذا برهن المغرب دوما عن روح اسلامية رياضية اهلت الشمال الافريقي لاحتضان التراب الاندلسي ولربط امجاد الماضي والحاضر والسهل على معطيات الفكر الاسلامي في سلفيته الحق ولطبع الاجيال المتوالية بميم المثالية في نطاق الوحدة الاسلامية وكانت هذه الروح تدكسي حتى المرأة في خدرها بالرغم من الدور المحدود الذي اسهمت به في تركيز التكوين الفكري في المجتمع المغربي نظرا لانتشار الامية بين النساء واذا كانت المرأة هي المدرسة الاولى للحياة والنواة الجوهرية للدم الوهي الديني داخل الاسرة فان حصانة المرأة المغربية قد جعلت منها - بالرغم من ثقافتها المحدودة - مربية بارعة تضرب المثل الحي برصانة تفكيرها وحسن تدبيرها على ان تلة من النساء قد نبضن - على قلتهن - في مختلف المجالات الثقافية وخاصة في العلوم الاسلامية كخيرونة الفاسية والشيخة ام قاسم الاسفية وام هانيء المبدوسية، وقد توالى بناء المدارس الدينية حتى بلغ عددها المائتين في سوس وحدها وانتشرت آلاف الكتابيب القراءاتية على نطاق واسع في السهل والجبل كروافد للكليات والمعاهد « الاصلية » التي انطلق منها الاشعاع الديني بلغة القروان وقد ظلت جامعة القرويين طوال مدة الاحتلال الاستعماري منبثقا للاحرار الذين اجبوا نار الثورة ووثقوا الصلة مع زعماء الاسلام في الشرق امثال الالفاني وعده ورشيد رضى - بعد ما اوهنتها دسائس الاستعمار .

وهكذا نستجلى من هذا الاستعراض لتطور الفكر الاسلامي في المغرب الاقصى صورا لوحدة اللغة وتناسق مصطلحاتها مع الشرق العربي بفضل جهود

وما أنتهت للجوف فهي الجائفة
وقوله :

والرقيق داء الفرج في النساء
كالتقرون والعفل والافضساء
والبضع بالبضع هو الشفار
وهقده ليس له فرار
وسمي الفاسن بالجميل
كذلك بالزميم والكفيل
والجنس بالجنس هو المراطة
بالوزن أو بالمد فالعبدلة

ولا تخلو بعض مصنفات الفقه في الشرق من هذا الإيجاز الفاضل التي حررت الملازم « العديدة » لحل الغازه كمختصر الشيخ خليل المصري الذي ادخله الى المغرب منذ القرن الثامن الهجري محمد ابن الفتوح أمكناسي (49) والذي حفظه الطلبة وحتى العامة عن ظهر قلب وبذلك تكون العلوم الإسلامية قد أسهمت بحظ وان في تطوير لغة الضاد بهذا الجناح الغربي للعروبة . غير أن التعليم الإسلامي ما لبث أن تقلص وتقلصت معه حركة الوعظ والإرشاد في المساجد وما تستتبعه من توعية شعبية عن طريق اللغة العربية وبدأت الإذاعة والتلفزة والصحافة تقدم يومياً للشعب حصيلة لا بأس بها من مصطلحات العصر تعزز أحياناً بفتاوى دينية تصل بين ماضي هذا البلد المسلم المحافظ وحاضره المتأرجح بين مختلف التيارات وراى حماة العربية من رجال القرويين وغيرهم في ذلك مأساة لمستقبل اللغة في روعتها الأصيلة فحدثت خفارتهم اليقظة الجبل الجديد الى الدموة لعربية عصرية تستجيب لمقتضيات الحضارة الحديثة وللتقنيات الملحة في دقتها ووضوحها .

فمن أحمد بن حنبل أن زوجة أبي حميد السامدي قالت : « يا رسول الله اني احب الصلاة معك » قال : « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك فقد دقت مفاهيمها وكتبت حول نصوصها ومتونها مات الشروح التحليلية واصبحت لغتها من اعمق اللغات دلالة ووضوحاً وقد وضعنا مجماً للفقه المالكي (بالفتن العربية والفرنسية (47) يعطينا صورة عن مدى تلك الدقة وقد اندرج معظم هذه الالفاظ في الحياة اليومية ونكتفي هنا بالإشارة الى كلمات من حرف الالف كإبراء واتفاق العلماء والبيات الدليل والاجبار والاجتهاد والاجارة والاجرة والاجل والاختبار والارتداد والاثراء والاستحقاق والاستحالة والاستماع والاشتراك والاصول والافتصاب والافتاء والاقالة واقامة الحدود والاقرار واقامة البينة والامر بالمعروف وامضاء البيع وامارة المؤمنين والاتفاق والانكار واهل الحل والعقد .

وقد كان للروح الاستقلالية في التشريع بالمغرب مظهرها البارز في الاجتهاد داخل المذهب المالكي نفسه حيث فرضت فاس مثلاً نظرها الخاص في قضايا قانونية وفقمية تجلت في العمل الفاسي الذي نظمه الشيخ عبد الرحمن الفاسي وشرحه الشيخ السجلماسي .

وقد صنفت الآلاف من الكتب في الفقه والفتاوى وانوارل واحكام بدت ما عرفه الشرق وحفلت بالتعريفات الدقيقة للمفاهيم والدلولات التي تزخر بها تلك المصنفات حتى صار المدرس الفقهي في كراسي جامعة القرويين عبارة عن تحليل لتلك التمازيف (48) التي كثيراً ما تنظم شعراً يقول ابن عاصم في تحفته :

- (47) نشر في العدد الرابع من مجلة اللسان العربي (ص 215) مع المعجم الصوفي (ص 176) .
(48) عرفت تونس أيضاً شيئاً من ذلك يتجلى في تعريفات ابن عرفة .
(49) المتوفى عام 818 هـ (درة البحال ج 1 ص 293) وقد دخلت كتب الحديث واللغة الى الاندلس ومنها الى المغرب على يد قاسم بن ثابت بن حزم وهو اول من نقل كتاب العين (تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ج 1 ص 294) كما نقل ابن الضابط عثمان بن ابي بكر الصدي كتاب غريب الحديث للخطابي ومحمد بن ابراهيم التلمساني شامل بهرام وشرحه لمختصر خليل وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال علي ابن الحاجب في الفقه (شجرة النور ص 254) اما في الادب والفلسفة فقد ادخل عثمان بن المشي القرطبي (المتوفى عام 273 هـ) شعراً ابي تمام بعد ان قرأ عليه (ابن الفرضي ص 249) وفرج بن سلام القرطبي كتاب « البيان والتبيين » باجازة من الجاحظ (ابن الفرضي ص 286) وابو الحكم الكرماني رسائل اخوان الصفا (طبقات الامم ص 71) .

الأثر الصوفي

منصور عبد القاهر البغدادي وربها تبعاً لاصحابها
على حسب الحروف الهجائية .

ويبدو لي أن انقل لهؤلاء الذين يزعمون أن
التصوف المغربي نازحاً بالنزعة الصوفية المسيحية -
لا سيما ماسينيون الذي زعم أن الشيخ ابن عربي
العالمي استمد من نظريات الكنيسة ما قرره
المشترق الإسباني اسين بلاسيوس من أن نزعات
دانتي (Dante) الإيطالي وأوصافه لعالم الغيب
مستمدة من كتب محيي الدين العالمي دون كبير
تصرف وكذلك اكهارت الألماني أول الفلاسفة الصوفية
الغربيين الذي نشأ في القرن الثاني لعصر ابن عربي
ودرس في جامعة باريس وهي الجامعة التي كانت
تمتد على الثقافة الإندلسية في الحكمة والعلوم وقد
اقتبس ريموند من ابن عربي خاصة في كتابه أسماء
الله الحسنى) لأنه كان يحسن العربية. وعاش بعد ابن
عربي بقرن واحد وجعل أسماء الله الحسنى مائة
وهي لم تعرف بهذا العدد في الديانة المسيحية قبل
ذلك .

وسبينوزا Spinoza اليهودي البرتغالي كان كلامه من
الذات والصفات نسخة من فلسفة المتصوفة المسلمين
مع قليل من التحوير والمسيحية تكاد تكون فارغة من
الفكرة الصوفية كما اعترف بذلك ميشو بيلير في
محاضراته (ص 29) حيث ذكر أنه إذا استثنينا
ما في بعض الأساطير من ذكر الكرامات وكذلك سيرة
القديسة تيريز والقديس فرانسوا داسيز فإنه لا يبقى
شيء بالمرة .

ويقول جامي في نفحات الإنس (ص 34) بأن
أول من تسمى صوفياً هو أبو الهاشم الكوفي المعاصر
لسفيان الثوري ويرى السراج في اللوح (ص 22)
أن أهل بغداد هم الذين اخترعوا هذه الكلمة .

وأول من تكلم في بغداد في الحقائق الإلهية
والتوحيد سري السقطي (تذكرة الأولياء ج 1 ص
274) وأول من حاضر الناس في التصوف يحيى بن
معاذ الرازي المتوفى سنة 258 هـ (التذكرة ج 1 ص
299) .

التصوف المغربي قطعة حبة من التصوف
الإسلامي العربي لما تركته نظريات الصوفية المغاربية
من آثار عميقة في الفكرة الصوفية الشرقية .

ونزعة فصل التصوف عن الروح العربية
الإسلامية نزعة شبيهة بما حاوله بعضهم أمثال
رونان الذي قرر في كتابه (ابن رشد ومذهبه)
(Averroès et l'Averroïsme) من أن ما يسمونه فلسفة
عربية ليس إلا مجرد محاكاة أو تقليد لارسطو وضرباً
من التكرار لأراء وأفكار اليونانيين كتب باللغة
العربية (ص 7) ولكنه تناقض مع نفسه حيث
اعترف (ص 89) (بأن العرب مثل اللاتين - مع
نظائرهم بشرح أرسطو عرفوا كيف يخلقون لأنفسهم
فلسفة ملأ بالعناصر الخاصة ومخالفة جد المخالفة
لما كان يدرس في اللسيوم) ولم يخف هذا التناقض
على أحد معاصري رونان وهو دوكا الذي ذكر في
مقدمة كتابه (تاريخ الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين)
أنه لا يمكن لعقبة كعقبة ابن سينا إلا أن تنتج
جديداً .

وقد ضربت مثلاً بالفلسفة (50) لما بينها وبين
التصوف من وثيق الصلة حتى قيل أن التصوف
قطعة من مذهب الفارابي الفلسفي لا ظاهرة عرضية
فيه كما يزعم كارادوفو صاحب (مفكر الإسلام)
وقد تأثر الفيلسوف المغربي ابن طفيل بالنزعة
الصوفية في (رسالة حي بن يقظان) حيث وصف
بطل القصة (ص 114) بأنه (لما فني عن ذاته وعن
جميع الذوات ولم ير في الوجود إلا الواحد القيوم
وشاهد ما شاهد هاد إلى ملاحظة الأغيار عندما أفاق
من حاله تلك التي هي شبيهة بالسكر خطر بباله أن
لا ذات له يفاير بها ذات الحق وأن حقيقة ذاته هي
ذات الحق ... بل ليس ثمة شيء إلا ذات الحق)
وقد ذهب الناس مذاهب شتى في تعريف التصوف
حتى ساق ابن السبكي في طبقاته (ج 3 ص 239) ألف
تعريف سهر على التقاطها من مختلف المصادر أبو

(50) أحمد بن عبد الله بن محمد الذرور المراكشي نزول القاهرة جنح إلى التصوف الفلسفي ونسخ
الفتوحات المكية والتنزلات الموصلية فكان أبو حيان لذلك يرميه بالزندقة وصار هو يصف إيا حيان
بأنه ظاهري حتى في النحو .
وأحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان : مشارك في الفلسفة والتصوف كلف بالعلوم الإلهية تلميذ
ابن عبد الملك المؤرخ وشيخ ابن الخطيب .

ان تاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذي لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب بل يتجاوزها الى الجانب الثقافي والروحي . على ان التصوف المغربي كان له كبير اثر في توجيه وتلويح جميع مرافق الحياة بحيث انتشرت شدرااته في مصنفات لم يكن من المنتظر ان تحفل به فانك تجد اخبار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية التي قامت في المغرب في وقت مبكر - مبشرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات ، بل حتى كتب الفقه مثل شرح ميارة علي المرشد ومعمار الونشريسي الذي تحوي اجزائه نفا متناثرة لو نسقت لتحصلت منها مجموعة لآباس بها في وصف التيارات المتعاكسة التي خلقها انشاق الطريقة في المغرب .

ويطلب على ظننا ان الحركة الصوفية كانت انشط في الجبل (الاسيما الريف) والقرى منها في العواضر اللهم الا بعض مدن الساحل التي كانت مهبطا لصوفية الاندلس كسبتة واسفي وسلا او مدن داخلية كمراكش وعاس نظرا لاشعاعها الثقافي الذي تجذب له النفوس . . ومهما يكن فان اولي التراجم الصوفية انما حظيت بها قسرى البادية ككتاب « المقصد الشريف والمنزوع اللطيف في ذكر صلحاء الريف » لعبد الحق البادسي (في القرن الثامن) والمعزى في ترجمة ابي يعزى « وائمد العيينين » لابن تجلات في مناقب الاخوين الهزميريين الذين عاشا ردحا طويلا في الهماة ثم حظي صوفية المدن بكتب منها « المنهاج الواضح » في ترجمة ابي محمد صالح (المتوفى عام 631) تلميذ ابي مدين الفوث ا ومدينة اسفي نفسها انما بنيت حول ضريح ابي محمد صالح كما قامت مدينة زرهون حول الضريح الادرسي بعد بناء المولى اسماعيل لهذا الضريح عام 1110 هـ وتأسيسه جامع الخطبة الكبير المتصل بالضريح وكذلك وزان) « والسلسل العذب الاحلى في صلحاء فاس ومكناسة وسلا » لمحمد الحضرمي الذي صنفه في القرن الثامن وكذلك « الكوكب الوقاد فيمن حل بسبته من العلماء والصلحاء والعباد » .

ولعل من اقدم الرباطات المغربية رباط وجاج بن زلو اللمطي السوسي الذي كان يسمى دار المرابطين وقد اتخذ مجمعا لطلبة العلم وقرأه القراءان حسبا ورد في المشوف (ص 36) الذي نجد من بين رجاله الصوفية كثيرا من « الملمين » المنقطعين لتعلم

وقد اصبح التصوف مذهبا منظما اناء الجزء الاخير من القرن الثالث (نيكولسن ص 28) ويلوح من ثنايا الرسالة التفسيرية والتذكرة ونفحات الانس ان صوفية هذا القرن اتخذوا القراءان والسنة ميزانا لجميع ما يخوضون فيه من بحوث نظرية وما يحسونه من حالات وجدانية .

ولكن منذ ذلك العصر تسربت شوائب مريبة الى الفكرة الصوفية التي بدأت تقية طاهرة وقد ذكر عبد الله الانصاري الهروي المتوفى سنة 481 هـ ان كثيرا من الاكاذيب انتحلت باسم ابي يزيد البسطامي مثل قوله صعدت الى السماء وضربت قبتي بازاء العرش (نفحات الانس ص 63) وهو القول الذي بنوا عليه قضية معراج ابي يزيد التي يقصها فريد الدين العطار في تذكروته بتفصيل .

وانتظام هذا المذهب ليس معناه اتحاد وجهات نظر من دان به لان تعاريف التصوف بلغت كما قلنا الالف ورد منها مائتان في الرسالة والتذكرة والنفحات وهذه التعريفات العديدة تدل على تعدد وجوه النظر في تصور الفكرة الصوفية (مجلة الجمعية الاسيوية سنة 1906 ص 330) فقد عرف الكرخي التصوف بأنه الاخذ للحقائق والياس مما في ايدي الخلائق (الرسالة التفسيرية ص 149) ووصفه ابو حفص الحداد بأنه تمام الادب (التذكرة ج 1 ص 331) وذكر ابو الحسين النوري ان التصوف برقة محرقة (الرسالة ص 149) وقرر ابو سعيد بن العربي ان التصوف ترك الفضول (نفحات الانس ص 348) وقال ابو الحسن البوشنجي : التصوف ضعف الامل ومداومة العمل .

اما الخانقاهات والرباطات الصوفية فقد بدأت تظهر قبل نهاية القرن الثاني الهجري واول خانقاه اسس لتصوفة المسلمين (على ما في النفحات ص 34) كان بالرملة في فلسطين وذكر القريري في خططه (ج 2 ص 414) ان الخانقاهات - او الخانقاوار كما يسميها - وجدت في الاسلام في القرن الخامس الهجري .

والخانقاه اهمق في التزمت والرهينة مما عرف بعد بالروايا لان هذه الخانقاهات كانت مبنية في معظمها على نظام صارم من التبذل والرهينة .

كتاب الله . وهذا مظهر ثان لنوع ما كان يشتغل به الصوفية اذ ذلك وسنرى فيما بعد كيف تطورت الفكرة الصوفية فانضامت الى التعمد بالقرءان تعبدات بالادمية والاذكار .

وكان هناك نوعان (51) من الرباطات : رباط من الطراز الذي اشرنا اليه وكان يشمل المدينة بأكملها كرباط ماسة ورباط تيط ورباطة زرهون ورباط من نوع آخر هو عبارة عن محلة يربط فيها المجاهدون وقد روى ان الضفة اليسرى لمصب ابي وقرق كان يربط فيها نحو من مائة الف من الفزاة الذين كانوا يتطوعون لمقاومة التحلة البرغواطية .

وبين هذه وتلك الرابطة التي ابتناها عبد الله ابن ياسين في جزيرة قرب الساحل وتبتل فيها ثلاثة اشهر مع نفر من كدالة وفي مقدمتهم يحيى ابن ابراهيم امير صنهاجة وقد توارد الناس على هذا الرباط حتى بلغ عدد المرابطين الفاس من اشرف صنهاجة كانوا النواة التي قامت بتأسيس الدولة المرابطية فكانت هذه هي الدولة الثالثة التي قامت في المغرب على اساس فكرة مذهبية بعد الدولة المرابطية في سجناسة والدولة الادريسية في الشمال وقد نسح استعداد المغاربة الروحي المجال للعبادة الهدوية مثل محمد بن تومرت الذي اسس دولة الموحديين والمبيدي الذي قام بعده في جبل ورغة من احواز فاس حيث تبعه كثير من قبائل المغرب اول عام 600 هـ .

وكانت نفس الحركة ملحوظة كذلك في الاندلس ايام المرابطين حيث ذكر صاحب لسان الميزان (ج 1 ص 247) ان احمد بن قسي ابني مسجدا في بعض قرى شلب (بالبرتغال) وتحدث بالباطيل ، كما ادمى النبوة ابراهيم الفزاري الساحر .

وقد تسربت الى المغرب من الاندلس الطائفة المسيحية التي لم ينتشر نفوذها لقيام العثمانيين بتقده وفي طلبعتهم الامام ابن حزم الذي لا نعرف نظريات ابن مسرة الا من خلال انتقاداته وهذه الطائفة وان كانت لا تنسب بالطابع الطرقي الا انها من المذاهب

التي اوتكر انتحالها على مذهب صوفي اساسه التأويل الرمزي للقرءان على طريق الاسماعيلية التي لعبت دورا كبيرا في تبلور الفكرة الصوفية في الاسلام ! . . ومنها الطائفة الاندلسية التي اسسها محمد الاندلسي نزيرل مراكش وكان رجلا مولما بالطب والكيمياء نسب الائمة فافنى فقهاء الحمراء بتخليقه وزج به السلطان في غياهب السجن .

وقد ظل المغرب خلال العصور الاولى بعيدا عن الطوائف الضالة وعن النظريات الشاذة التي كانت تصف اذ ذلك بالشرق وقد شهد ابو بكر الطرطوشي الذي صنف كتابا في البدع والمعادنات في رسالة وجهها من الاسكندرية الى سلطان المغرب بان اهل المغرب هم المشار اليهم في الحديث الشريف « لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق » لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين !

فنحن لا نكاد نجد اثارا بدعة جافية في ربوع المغرب قبل القرن السادس ولا يمكن ان نعتز فيما صنف خلال القرون الاولى كالتشوف على اشارة الى شذوذ عند الصوفية او صدور دعاوي نابية عنهم لان التصوف كان اذ ذلك مطبوعا بالسطوة ولم يكن الصوفية يختلفون من بقية الناس الا بكثرة العبادة وتلاوة القرءان وسرد المآثور من الادمية وكانت الاذكار نفسها مقتبسة من الآثار الواردة ومن القرءان من ذلك بعض الاحزاب لاسيما احزاب الشاذلي التي تتألف مطالعها من سلسلة آيات ولم يكن لبس الخرقعة والمرقعة صفة لازمة للصوفي المغربي الا اذا جاء ذلك مفوا عن طريق الزهادة في متع الدنيا وكانت الرباطات عبارة عن مجامع لقراء العلم وتلاوة القرءان والجهاد فاذا طالمت تشوف ابن الزيات وجدت ان كثيرا من رجاله كانوا « معلمين » او مدررين يعلمون القرءان للصبيان !

وكان الامر على خلاف ذلك في الشرق حيث ترجع معظم المستحدثات الشاذة الى القرن الثالث كوحدة الوجود والحلول والتحدث بلسان الحقيقة المحمدية والابفال في لسن المرقعات واندساس

(51) عدد الربط والزوايا في سبعة سبع واربعون محاذية للبحر داخل المدينة والارياض (اختصار الاخبار لمحمد بن القاسم الانصاري Hespéris م 12 عام 1931 ص 155 .

الإدعياء في صفوف النزهاء حتى كان التشييري ينشد
إذا جلس إليه الصوفية وعليهم الهيئات والمرقصات
أياماً منها :

أما الخيام فأنها كخيامهم

وأرى نساء الحي غير نساها

ثم يقول أما الهيئات والمرقصات لمعروفة وأما
القلوب لمعكرة وكان الجنيد ينشد :

أهل التصوف قد مضوا

صار التصوف مخرفة

صار التصوف ركوة

وسجادة ومدلقة

غير أن الفكرة الصوفية ما لبثت أن تشعبت
فتسرب إليها الانحراف والشذوذ بعد القرن الثامن
الهجري على اثر انتشار الطريقة واندساس الأدعياء
في الزوايا والرباطات فانتحل الكثير المذهب الصوفي
لأغراض لا تمت إلى الروح بصلة وأصبح التصوف
عرضة للافتيات يستغله كل من يريد التوصل إلى
أمراض الدنيا من طريق السحرة والتدليس على
العوام والدهماء فتجردت الطريقة من شتى مظاهر
الرواء والسمو والجاذبية والجمال

وبدأت الفكرة الصوفية المغربية تتبلور منذ
القرن الثامن محاطة بهالة من الشكليات المتجددة
وما زال التراث الصوفي يتضخم ويتسع إلى أواخر
القرن الثاني عشر حيث اتضحت الخطوط واكتملت
الرسوم والحدود بفضل ذلك النبع الفياض من
التأليف التي ترجمت للصالحين ومناقبهم وطرائقهم .

والحقيقة أن التصوف بدأ يتدهور منذ أصبح
في متناول العوام تلوكة سنتهم في غير هدى ولا
اتزان ولن أضرب لك سوى مثل واحد وهو طريقة
أبي محمد صالح دفين أسفي وتلميذ أبي مدين
الفوت فقد كان أماً ذائع الصيت يرد عليه الصوفية
حتى من مصر للاخذ منه وانتشرت طريقته خلال
القرن السابع فكثرت تلاميذه في الشام وبلاد الكنانة
حتى مدحه البوصيري بقصيدة طويلة مطلعها :

ففا بي على الجرءاء من جانب الغرب
ففيها حبيب لي بهم به قلبي

غير أن طريقته هذه التي كانت سنية المعالم ما
لبثت أن انحرقت بما دسه فيها الدخلاء والإدعياء
وأصحاب الأفراض من الدجاجة والمبسين .

وفي القرن الثامن ظهر ابن خلدون بكتابه
« شفاه السائل » فرد الطريقة إلى أصولها وحل
خصائص الصوفية الحقيقيين ليتميزوا عن الأدعياء .

وفي القرن التاسع برز محتسب الصوفية
الإمام الناقد الشيخ زروق بكتابه « عدة المريد الصادق
من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث
الوقت » ، وقد علل انتشار المبتدعة والأدعياء بانتقاص
الإيمان والجهل بأصول الطريقة وامتقاد أن الشريعة
خلاف الحقيقة (وهذا عنده من مبادئ الرندقة)
وحب الرياسة مع الضعف عن أسبابها ثم أكد أن
الصوفية الحقيقيين أنفسهم عرضة للخطأ وأن
مقالاتهم يجب أن تعرض على الكتاب والسنة وأن
الفقه والأصول شرطان في التصوف فلا تصوف إلا
بفقهه .

وقد تعرض إلى الأسس العملية التي بنى عليها
الطريقون مددهم فذكر أنهم قرروا مخالفة النفس
بكل وجه وغلطوا في هذا الإطلاق لأن المقصود موافقة
الحق بمخالفة النفس لا مجرد مخالفتها واستشهد
بقول عمر بن عبد العزيز :

« إذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالريد »

وأنهم تجردوا عن المعتادات بدلاً من الإنس
بها وتغالوا في بعض المظاهر كتوفير ما تحت اللحية
وإدخولها على أنفسهم المشاق والأجر على الإتيان لا على
قدر المشقة وقد أشار إلى الفتننة التي وقعت في
الاندلس في القرن الثامن حول قضية اتخاذ المشايخ
حتى تضارب الناس بالنمال وكتبوا إلى البلدان
الإسلامية يستفتون ولا شك أن شيبوب هك
الفتن كانت نتيجة مباشرة لانحراف التصوف عن
الجادة وتدخل العوام في وقائعه ، كما كان أبو
الحاسن الفاسي ينهي عن ذلك مؤكداً أن كتب
الحائمي وأبن الفارسي « تسد على الناس باب الفتح »
حسب تعبيره ويدعو إلى الإدمان على حكم ابن عطاء

الله . والشمراني (52) نفسه كان ينهى مرديسه عن قراءة كتب التصوف والتوحيد المطلق كمصنفات ابن عربي وغيره من « غلاة الصوفية » (البحر المورود ص 274) وهذا لا يتنافى مع ما جاء في مقدمة اليواقيت والجواهر من الدعوة الى كتب ابن عربي فانه احترس هناك - كما يقول زكي مبارك - حين اقتنع المرید بأن ما جاء في كتب ابن عربي مخالفا للشرع انما هو من وضع الدسائس .

كما حمل اليوسي في محاضراته حملة شعواء على ادمياء الطريقة ورسوم لنا صورة مما انتهى اليه التصوف المغربي بسبب من اندس في حظيرته من مفرضين فقد قال : « كم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون او معتوه او موسوس او ملبس فيقع به الاغترار للجهلة الالهام .. وقد يشايه من هو مثله من الحمقى ومن الفجار » (ص 39) ومن الحرب ما حكاه اليوسي (ص 40) ان رجلا ورد على سجلماسة واتسم بالصلاح فاقبل عليه الناس ثم تبين بعد انه يهودي .

وكانت البداية المغربية اكثر ابغالا في الابتداء واشد انحرافا عن الروح لغلبة السداجة على اهلهما الذين كانوا يلفون في التبرك بالآثار الصالحين حد الشلوذ .

وفي القرون الاخيرة اختلفت المقاييس وتشتت الدعاوي واستفحلت النحل فكنت ترى افواج الناس يقصدون ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه كل سنة للوقوف به يوم هرفة ويسمون ذلك حج المسكين وتجد آخرين يسمون انفسهم بأهل الخواطر يتجمعون بأحد مساجد عدوة الاندلس للتحدث عن الخواطر وعرضها على الشيخ وتاويلها غير ان علماء الصوفية كانوا حريصين على فضح الدجاجة الذين يندسون في حظائرهم التماسا لاهراض الدنيا وحطامها على ان دعاء السلفية امثال الطرطوشي وابن العربي المعافري وابي محفوظ راشد من المغاربة وابن القيم وشيخه ابن تيمية وابن

الجوزي من المشاركة قد تشبعوا هم انفسهم بالتصوف السني واذا رجعنا بين المتأخرين الى سيرة محمد عبده وجدنا تلميذه مصطفى عبد الرازق يؤكد في الكتاب الذي خصصه لترجمته ان الشيخ درويش اثر بتربيته الصوفية في الاستاذ وبطل هذا التأثير قائلا : « اذا كانت التربية الحديثة تدعو الى تهذيب الاذواق بفنون الجمال الحسي فان التربية الصوفية تدعو الى تلييف السر بأنواع من الرياضة » وقد جاء في ملخص سيرة عبده المنشور في المجلد الثامن من المنار « انه لكثرة الانهماك في الذكر والنظر في كتب التصوف والتنقل في احوال القوم ومقاماتهم يخرج (اي الاستاذ) عن حسه ويروج في عالم الخيال او عالم المثال كما يقول فيناجي ارواح السالفين » وقد كان التصوف والتفسير هما « قرنة عين الاستاذ » على حد تعبير مصطفى عبد الرازق غير ان جمال الدين الافغاني « خلق محمد عبده من التصوف بمعنى الدروشة والانتطاع الى التحنن والرياضة الى معنى للتصوف جديد (ص 74) وقد ترجم محمد عبده شيخه الافغاني في صدر رسالة الدهريين فوصفه بأنه « حنيفي مع ميل الى مشرب السادة الصوفية رضي الله عنهم » .

وحمل زكي مبارك على الصوفية ما شاء له فكره الثائر وقلمه الجامح ولكنه عاد آخر الامر فقال في كتابه « التصوف الاسلامي » : الصوفية هم الناس ومن عداهم اشباح بلا ارواح » (ج 2 ص 205) وقال : « ان الصوفية اعقل من الابداء واشرف سيلقى الصوفية ربهم راضين مبتمسين اما نحن فنسندهب الى النار في ركاب امريء القيس الذي انلده الرسول » (ج 2 ص 322) .

وقد قدر للمعاني الصوفية الرقيقة ان تستهوي جميع اصناف المثقفين في مختلف العصور ولكن كل طائفة نظرت الى اسرار التصوف من خلال مزاجها واللون الخاص الذي تكيفت به روحها في الحياة وقد لاحظ ذلك زروق في قواعد (القاعدة رقم 59) .

(52) ذكر الشمراني في « تنبيه المفترين » (ص 7) ان بعض الناس دس في كتابه البحر المورود في المواليق والمعهود وفي مقدمة كتابه « كشف الغمة من جميع الامة » ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة واثار ذلك فتنة في الجامع الازهر ولم تخمد الفتنة الا بعد ان ارسل النسختين الاصيلتين المجازيين من بعض مشايخ الاسلام الى العلماء الازهريين للاطلاع عليهما وقد اشار الشمراني في كتابه الى ما استحدثه كثير من مشايخ وقرءاء عصره مما يخالف السنة حتى اصبحت اصول التصوف قريبة عند منتحلي الطريقة

المصر ذروتها . لكن سقوط الدولة المرينية كان على يد الصوفية بسبب ما اتسم به بعض امراء بني وطاس من ميع وانحلال .

فقد انتشرت شرارة الثورة السعدية من سوس نعمت البلاد ملتزمة ما تبقى من نفوذ الوطاسيين واغلب ما في الامر ان محمد الشيخ مؤسس الدولة السعدية ما لبث ان انقلب على الصوفية فقد امتحن ارباب الروايا منذ سنة 958 وذلك خوفا على ملكه لما كان للامة في اصحاب الطوائف من اعتقاد . وفي ايام زيدان تضعف نفوذ السعديين واستقل المجاهد العياشي الصوفي بالامر في كثير من النواحي وكانت شوكة الصوفية قوية وجانبهم منيما حيث بلغت الزاوية الدلائية عنفوانها .

وقد قام ضد زيدان احد الادعياء التمهدين وهو احمد بن ابي محلى الذي توجه الى بلاد القبلة ودعا لنفسه فاستخف قلوب العوام .

ولما استقر الملوك العلويون بالنفوذ في المغرب قضى مولاي رشيد على زاوية الدلاء بعد معركة دارت بينه وبين اهلها في بطن الرمان اوائل المحرم عام 1079 هـ وهم السلطان المذكور كذلك بمحمد ابن محمد بن ناصر وجيز مقلته للزحف الى زاوية درعة ولكنه عدل عن ذلك بعد ان تحقق صدق ولاية الرجل .

كما جدد المولى اسماعيل بعض الاضرحة التي لم تكن في ذلك العهد اكثر من مساجد تقام فيها الصلوات وترتل فيها آي القران والاذكار والدعوات فلم ير المولود ما يدمر الى استنقاصها بيد ان الاستعمار وصنائع الاستعمار اسدوا جوانب من هذه الروح الطيبة التي كانت تسري في هذه البيوت الطاهرة .

ولعل من ابرز نماذج التصوف المغربي اي الفلسفة الروحية والخلقية المغربية رجلا تغلفت مقالاته السيادة في قرارة النفوس فقومت اودها طوال اجيال متوالية وطبعت التصوف المغربي بيمس خاص افرقت منه الحقيقة الصوفية في قوالب شرعية وروح التوكل في صورة السبب ولطائف الروح واسرار النفس في اشكال مبسطة وذلك الرجل هو سيدي يوسف الفاسي الفهري - ويمكن

واذا استعرضنا تاريخ الثقافة المغربية وجدنا ان قطاب التصوف كانوا في نفس الوقت جهابذة الفنون وزعماء العلوم وقد ذكر صاحب « نشر الثاني » انه لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن وهم محمد بن ناصر رئيس زاوية درعة ومحمد بن ابي ابيكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء وعبد القادر الفاسي الذي تبلورت في هذه الطريقة الزروقية وغالب فقهاء افريقيا - كما قيل - تلاميذه وقد قيل في العربي ابن ابي الحاسن الفاسي ان به ختم علماء المغرب وكذلك والده وهم ابو زيد الذي افاض ابو العباس المقرري في وصف غزارة مادته لعلماء مصر عندما سألوه عن علماء المغرب فشبهه كما شبهه غيره بالسوطي لوفرة علمه وقد تمحض ابو زيد لتربية المريدين وتلقيس الاوراد على سعة علومه وذكر صاحب الديباج ان محمدا المقرري تكلم في طريق الصوفية كلام ارباب المقال ودون في التصوف « اقامة المريد » و « رحلة المتبتل » و « كتاب الحقائق والرفائق » الذي شرحه زروق .

وقد تمخضت الحركة الصوفية عن نمو وازدهار الثقافة في برع المغرب لاسيما البادية ولا يخفى ما اسدته الزاويتان الناصرية والدلائية من اباد بيضاء في هذا الباب وقد كان في زاوية محمد بن وسعدن السوسي تسمانة طالب يكسبهم ويظمهم من ماله الخاص وظل مستمرا على مبرته هذه اربعين سنة .

وكانت كتب التصوف تدرس الى جانب كتب الحديث والتفسير فهذا ابو الحاسن الفاسي يدرس قوت القلوب والاحياء والشريشية في آداب السلوك ويلتف حوله خلق كثير وفي آخر حياته نفخ يده من سائر العلوم الاخرى واقتصر على التفسير والحديث والتصوف واهل الحاسن هذا كان اذا توجه من فاس الى القصر تعطلت الاسواق او كادت لخروج الناس لمقابلته .

وهذا النفوذ الذي كسبه الصوفية حدا المرابطين والموحدين الى امتحانهم حيث استدموا من الاندلس او افريقيا امثال ابن العريف وابي الحكم بن برجان وابي مدين الغوث .

وقد هدات نوعا ما حركة الامتحان في عهد المرينيين الذين لم يكونوا يخشون امتداد نفوذ الصوفية لان الدولة كانت قوية الجانب قد انصرفت الى اتمام صرح الحضارة المغربية التي بلغت في ذلك

القول بأن نظريات هذا الرجل الخلقية والنفسية والالهية تتركز فيها خلاصة النظريات المغربية في هذا الباب .

ومن نظرياته الطريفة ان الرجل قد يؤخذ من العالم الأدنى ليرقى الى العالم الاسنى وذلك عندما يتمحص صدقه واخلاصه وتضمحل انانيته فتتكشف في باطنه حقائق وتحتاج في سره وقائق

وتعرض له احوال وجدانية لا تنضبط ولا ترتبط بمهمود وقد تسمو روحانية الصوفي فيتجرد عن بشريته ويتحد أي في التوحيد لان الغناء هو اتحاد بلسان المجاز وتوحيد بلسان الحقيقة. وهذه الظواهر كلها ذوقية وجدانية (فمن ذاق - كما يقول الشيخ يوسف - عرف ومن لم يدق لسلا حرج اذا سلم واهترف وهذه طرائف تقصر عنها العبارة ولا تلحقها الاشارة اذ لا يفهم منك الا من اشرق فيه ما اشرق فيك) .

وقد تجلى ابرز مظهر للتصوف الحقيقي في المغرب في اقرار التسامح والسلام في المجتمع واسماف طبقاته المعوزة واجراء الامدادات الموصولة لتخفيف وطأة البؤس فهناك مذهب صوفي مغربي بعث يرجع الفضل في وضع اسمه ونشر دعوته لرجل من اهل القرن السادس هو ابو العباس السبتي (53) الذي كان يبرى ان لباب القوانين الشرعية هو الصدقة فكان يجلس في الاسواق والطرق ليحض الناس على البذل والجود مرددا بكلماته الخالدة :

(اصل الخير الاحسان واصل الشر البخل)
وقد اشتهر مذهبه ايما اشتهار حتى نمته مفاصره الحاشي في فتوحاته الكمية بصاحب الصدقة في مراكش .

وقد كان لهذه الدعوة الرها فأسست الملاجيء في مختلف انحاء المغرب حيث كان يايي المعجرة

والفقراء والطلبة فيجدون الطعام السائغ والفراسح الوديع وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهرات الاحسانية فاضطر الملوك الى المساهمة فأسسوا الزوايا في الفلوات لا يوايه عاري السبيل واوقفوا لها الاوقاف الوفيرة .

ومن نماذج الاسلوب الادبي الرائع في التصوف ما كتبه ابن خلدون في مقدمة كتابه « شفاء السائل » حيث قال : « وقمني بعض الاخوان ابقاهم الله على تقبيد وصل من عدوة الاندلس وطن الرباط والجهاد وماوى الصالحين والزهاد والفقهاء والمباد يخاطب بعض الاعلام من اهل مدينة فاس حيث الملك يزار وبغار العلم والدين تزخر وثواب الله بعد لانصار دينه وخلافته ويدخر طالبا كشف الغطاء في طريق الصوفية اهل التحقق في التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية هل يصح سلوكه والوصول به الى المعرفة الذوقية ورفع الحجاب عن العالم الروحاني تعلمنا من الكتب الموضوعه لاهله واقتداء بأقوالهم الشارحة لكيفيته فتكفي في ذلك مشافهة الرسوم ومطالمة العلوم والامتداد على كتب الهداية الوافية بشروط النهاية والبداية كالاحياء والرهابة ام لا بد من شيخ يبين دلالته ويحذر لهوائه ويميز للمريد عند اشتباه الوردات والاحوال مسائله فتتزل منزلة الطبيب للمرضى والامام العدل للامة الفوضى » .

ثم تحدث عن اغراض التصوف ومصطلحاته فقال : « نبيان هذه الاصطلاحات يتضح الكثير من هذا الغرض » فمن ذلك تحليله لتكشف عند الصوفية بقوله : « وبيان ذلك ان المبصر اذا رأى شخصا ثم همضت الاجفان دونه بقي متخيلا ثم اذا فتح اجفانه مرة اخرى رآه كما كان فبين العاليتين كشف »

وقد تحدث باسهاب عن هذه المصطلحات فقال : « اقتضى التعليم والمفاوضة في المجاهدة الخاصة المنفردة من الجمهور الانفراد باصطلاح خاص يكون لهم في مفاوضتهم والفاظ مخصوصة بمكان من

(53) وجه ابن رشد الى مراكش هالما قرطبيا لدرس نظريته التي لاحظ انها مرتكزة على المبدأ القائل بأن « الوجود ينفع للوجود » وقد لاحظ التادلي في منحق التشوف (الاعلام للمراكشي - فاس 1355 ج 1 ص 240) انه « يرد اصول الشرع الى الصدقة » وكان القراءان على طرف لسانه ولد عام 524 هـ ومات بمراكش عام 601 هـ وشيخه الفخار هو صاحب عياض - كان يجلس حيث امكنه الجلوس من الاسواق والطرق فيحض الناس على الصدقة » وكان يمبر رفع اليدين للتكبير للتخلي عن كل شيء والركوع بالمشاطرة والسلام بالخروج من كل شيء وان سر الصوم الجوع وتذكر الجائع والزكاة التدرب على البذل .

غير ان هذه المصطلحات الصوفية المتعددة لم يدخل بعضها للمغرب الا في عهد المرينيين ضمن التراث الاندلسي اذ ان كتب التصوف قبل القرن الثامن كانت اشبه بكتب السير محشوة بآيات الوعظ القراءانية والاحاديث والاذكار النبوية

من ذلك ما عزز به التادلي الفكر الصوفي في كتابه « التصوف في رجال التصوف » (وقد شرع في تصنيفه عام 617 هـ أي ماخر الموحدين) من رأي قراءانية تصف التقوى والخشية والمعرفة الالهية مثل قول الله تعالى : « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » وقوله : « وعلّمناه من لدنا علما » ا ومنه العلم اللدني) وقد روى احاديث وغيرة لدمم نظريات الصوفية ومصطلحاتهم منها كلمة الابدال في حديث انس بن مالك عن الرسول عليه السلام وقد ذكر الابدال فقال « كلما مات منهم واحد ابدل الله مكانه من المؤمنين واحدا » . ومنها التوسم في الحديث الذي رواه البزار عن انس « ان لله عبدا يعرفون الناس بالتوسم » وقد انتشرت هذه اللفظة بالمغرب عوض الفراسة حتى قيل في العامية « فلان موسوم بالخير » .

ومنها الحثالة في حديث مرداس الاسلمي « يذهب الاولياء الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشمير او التمر لا يبالي الله بهم » (البخاري - كتاب الرقاق - باب ذهاب الصالحين) .

وتجديد مفهوم «الولاية» نفسها مقتبس من الحديث فقد روى البزار عن ابن عباس : « قال رجل يا رسول الله من اولياء الله ؟ قال : الذين اذا رؤوا ذكر الله » (55) ومن مظاهر بساطة الاسلوب الادبي في هذا العصر ما حدثنا به التادلي عن ابي زكرياء الجرجاني الذي كسر رجل قنفذ سهوا بقوله : فربط رجله بجائر وادخله في خايبة فكان يستقيه الماء ويطعمه التين والزبيب الى ان انجبر فذهب .

وهذا النص صورة لبساطة اسلوب الادب الصوفي في القرن السابع حيث لا يحتوي على اي لفظ تجفوه السنة العامة .

وقد حفلت كتب الادب وحتى الفقه بالتماييز الصوفية من خلال الادعية والتوسلات والابتهالات فمن ذلك قول عياض : « الحمد لله المنفرد باسمه الاسمي

طريقهم كالمقام والحال والفناء والبقاء والمحو والايات والنفس والروح والسر والبواده والهواجم والخواطر والوارد واللوامع والطواع والتلويح والتمكين والفرق والجمع وجمع الجمع والدوق والشرب والغيبة والحضور والمحو والسكر وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين والمحاورة والمكاشفة والمشاهدة والمعاملة والمنازلة والمواصلة وعلم المعاملة وعلم ونشر الى شرح هذه الالفاظ .. وهنا بدا ابن خلدون يستخلص من كل معنى تفاريمه الصوفية بعبارات لها مفهوم دقيق يدل على الاطار الخاص الذي استعملت فيه ومسئ هذه الالفاظ الارادة والتوبة والتقوى والورع والزهد والقناعة والتوكل والخشوع والتواضع والشكر والصبر والمراقبة والرضى والعبودية والاستقامة والاخلاص والصدق والمحبة والشوق والانزعاج وانرجاء والخوف والقبض والبسط والهيبة والانس وهي كلمات قراءانية تحدد النطاق الصوفي ومدلوله الاسلامي في المغرب ويدل اندراج معظمها في اللسان العامي في المغرب بنفس المفهوم ان القرآن كان هو المصدر الاول الذي زود المعجم الصوفي بكلمات تفرمت عن بعضها كثير من الاشتقاقات وبذلك يكون القرآن قد امد الفكر الصوفي بالفاظ لم يوسق ماسينيون في حصرها كالذكر والسر والقلب والتجلي والاستماع والاستقامة والاستواء والاصطفاء والصدق والاخلاص والرضى والنفس المطمئنة والراضية واللومة والامارة والسكينة والتوبة واليقين والنور والحق وقد افلح المستشرق الفرنسي مات الكلمات كما يتجلى ذلك بوضوح من الالئحة الابدعية للكلمات الصوفية المقتبسة من القرآن (54) يضاف اليها ما تطورت معانيه من طريق النحاة كالضمير والمحقق والاشارة والمجاز والافتران او المتكلمين كالعقل والمعدل والتوحيد والعرض والصفة والصورة والقدم والثبوت والوجود او ما في الاثر والحديث كسبحات الوجه والحدة البيضاء والكبريت الاحمر والاسم الاعظم والديك الابيض وعتقاء مغرب ومقلب القنوب وسبحات الجلال والقطبانية والغوية والفردية والابدال والاوراد والنجباء والنعناء او ما تسرب الى العربية من دخيل يوناني او فارسي او ارامي منذ صدر الاسلام او العهد الجاهلي كالافلاك والاكوار والازياج والمهرجان والدستور والكناش والترياق والديوان الخ ..

(54) راجع كتابنا « المعجم الصوفي » و « المعجم الصوفي من القرآن »

(55) سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب 4

يا من خزائن رزقه في قول كن
امتن فان الخير عندك اجمع

وقول السجاسي (57) :

طيب يذكر الله فاك فانه
لاجل ما فاهت به الانواء
ما لفتنى لا يرعوى وصباحه
ومساؤه يعطانه بسواه
تلقاه تياها على من دونه
ولسوف يعطشه الذي ارواه

وقول العلامة سيدي العربي بن السائح رضي
الله عنه مشيرا الى طريق الصوفية التي كنى عنها
بالاتاي (وهو الشاي في لغة المغرب)

واصل شراب حليفة الامجاد
واترك مقال احي هدي وعناد
صفراء تسطع في الكؤوس كانها
من مسجد عصرت بأعصر عاد
تدعى الاتاي وذاك رمز ظاهر
يدريه من يدري من الامجاد

وقد كنى ايضا عن الطريق بالقهوة مستعملا
الجناس بين اللون (لونها) والنهي (نهي) حيث قال :

اشرب اخي قهوتنا
ولونها اولوا النهي
ولا تمسك لساذل
من لونها لسونها

ومن قول العراقي علي نسق ابن الفارض :

اتطلب ليلي وهي فيك تجلت
وتحسبها فيرا وفيبرك ليست

المختص بالملك الامر الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا
وراه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما الباطن تقدسا
لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما « وورد من
تسيبحات المهدي ابن تومرت : « سبحان من ارسى
مهاد الارض الشامخات وارتفعت بقدوته السماوات
ودبر الارمان بالنور والظلمات وتكدت لجلاله
الغايات .. الخ » . ومن مناجاة ابي العباس السبتي
« اللهم افضلت نعم افضالك واتمت نعم نوالك
وفرت الذنوب فتكامل احسانك وسترت الميوسب
فتواصل غفرانك .. الهي كيف يحيط بك علم خلقت
ام يدركك بصر انت شققت الخ .. » . ومن ادهية
سيدي عبد السلام بن مشيش شيخ ابي الحسن
الشاذلي امام التصوف بمصر : « اللهم صل على من
انشقت له الاسرار وانفلقت الانوار وفيه ارتقت
الحقائق وتنزلت علوم اادم فاهجر الخلائق وله
تضاهت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق
فرباض المنكوت برهر جماله مونة وحياض الجبروت
بنيض انواره متدفقة » ومن احزاب الشاذلي « انهم
انك تعلم اني بالجهالة معروف وانت بالعلم موصوف
يقد وسعت كل شيء من جهاتي بملكك نسع ذلك
برحمتك » .

ومن الاندلسيين الذين عاشوا في المغرب واثروا
بشعائره الصوفية ابن الخطيب (56) السلطاني الذي
استجلى بروحه الوفاة الشاعرة مخابر الفن والجمال
فقال : « الحب الحقيقي حب يصعدك ويرتقيك
ويخلدك ويبقيك ويظمك ويستيقك ويخلصك الى
قبة السعادة ممن يشقيك » . اما في الشعر فقد
سقتنا في القسم الادبي من عناصر تطور اللغة ومن
نتفا رائعة لا يمكن فعلها عن الادب العام ومن شعرا امام
السهيلي الذي اصبح الخاصة العامة تلهج به :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع
انت الممد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشائد كلها
يا من اليه المشتكى والمفزع

(56) في كتابه المخطوط « روضة التعريف بالحب الشريف » وقد نشر المقرري جزءا منه في نفع الطيب
في ترجمة ابن الخطيب (راجع كتابنا « الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب » الذي نال جائزة معهد
مولاي الحسن بتطوان عام 1947) .

(57) اللخيرة السنية ص 55 وقد انتشرت في المغرب الحكم المطايبية وتداولتها الالسن وشرحها من
المغاربة الكثيرون واصبحت تجري حتى على السن العامة منها « من لا ينفعك لحظه لا ينفعك
لفظه » .

وقد استوثق التبادل بين المشرق والمغرب في هذا المجال في مظهرين اولهما انتشار طريقتين صوفيتين مغربيتين لكل من ابي الحسن الشاذلي الفماري وعلي بن ميمون الفاسي صاحب كتاب « متفهمة ومتفكرة مصر والشام 1581 بالاضافة الى نفوذ احمد البدوي الفاسي دفين طنطا ، وثانيهما انتشار مصنفات صوفية شرقية بالمغرب ككتاب الحكم المطايع الذي صار الناس يحفظونه من ظهر قلب وقد حل عليه العلماء في شروح وفيرة كشروح ابن عباد وزروق والقلصادي ومحمد جسوس الفاسي والحراق وابن عجيبة التطواني ومحمد بن عبد السلام بناني والشيخ الطيب بن كيران الخ . . كما تبودلت رسائل منها جواب الشيخ الغرواني عن امثلة الناصر اللقاني المصري وهي نموذج للتاويلات الصوفية المغربية للقرءان اما القصائد المغربية التي اصحبت تجري على السنة العامة فكثيرة منها ارجوزة حدائق الازهار في الزاوية الليازغي والمقباس للوزير الفسائي ودبوان الحراق الذي نحا فيه منحى ابن الفارض وابن عربي وعبد الفنى التابلسي في وحدة الوجود والتلبس بما يسمونه الحقيقة الحمديية وبعلو نفس الحراق احيانا فيكاد يطول سلفه ابن الفارض في رقة الاسلوب وسمو المعنى ومما يتسم به بالتصوف العام قصيدة لاحمد الشريشي السلوي الشاعر الطبيب وقد شرحها كل من احمد الصومعي واحمد ابن ابي المحاسن الفاسي وهناك كتاب يمكن ان يعتبر خلاصة للادعية النبوية التي جرت على السنة الصوفية بعد القرن التاسع وهي دلائل الخيرات الذي شرحه افراد من العائلة الفاسية وقد انتشر في العالم الاسلامي هو وذخيرة المحتاج للشيخ المعطي الشرقي وقد نحا المغاربة منحى الصوفية المشاركة في مدح الاشياخ بقصائد لا تخلو من معلومات تفيد المؤرخ من ذلك دالية اليوسي في مدح سيدي محمد بن ناصر الدرعي وهي « مشهورة بين اهل الادب » عارض بها دالية البوصيري في ابي الحسن الشاذلي وابي

الم ترها القت عليك جمالها
ولو لم تقم بالذات منك اضحلت
بديعة حسن ولو بدا نور وجهها
الى امه اضحى برى كل ذرة
عزيز لقاها لا ينال وصالها
سوى من يرى معنى بغير هوية
اذا شئت ان تلقى السعادة والمنى
وبلغ ما منه الرجال تولت
فظهر بماء الذكر قلبك جاهدا
بصدق اللجا وانسله من كل هلة
ومكن بكف الشرع امسك كله
فدونك ان لم تفعل الباب سدت
فنور سرى في الكون صورة احمد
به تهندي لله كل الخليقة
ولسيدي فدور العلمي من المتأخرين : وهو من
المحور المنبس من القرءان مع تحريف بسيط :
سبحان من قضى وحكم
وعلم الانسان ما لم يعلم
سبحان الدايم بالداوم
من لا يهسى ولا ينام
مول القدرة مول الحكام
الساكن نقلوب المومنين
سبحان الواحد الوحيد
سبحان المالك المجيد
يفعل فملكو ما يريد
ما له شريك ولا عوين

(58) المتفكرة كالتصوفة وهم الذين يتصنعون الفقر وهو التصوف بلغة المغرب وهي من الآية الشريفة « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله » . ويظهر ان السبب في اقبال صوفية المشرق على كل ما هو مغربي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (باب الامارة) : « لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » وقد كتب ابن حجر في فتح الباري على هذا الحديث مشيراً الى رواية اخرى عن احمد انهم ببيت المقدس بدل المغرب وكذلك عن الطبراني بهذه العبارة « يتألقون على ابواب بيت المقدس » وفي هذا اشارة مبيقة الى الوضع الحاضر .

تخلو منه زاوية او دباط وخاصة بمناسبة المولد النبوي الذي بدأ العربون يحتفلون به في سبتة ثم مارك بني مرين في باقي الحواضر وبذلك اندرج عنصر جديد طور لغة الضاد بالمغرب وطبع اللسان الدارج وخاصة منه البربري الذي اقتبس ما كان ينقصه في هذا المجال فتقاربت الشقة بين الفصحى والعامية في اللسانين .

المباس المرسى وقصيدة البوصيري هذه تدل على ما كان للصوفية المغاربة من مكانة في نفوس صوفية الشرق (وقد مدح البوصيري كذلك ابا محمد صالح (59) بالتصوف وان كان قد اهترأه شيء من الانحلال فقد كان له كبير الأثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة فأصبح الشعب يلجج بالادعية والاذكار ويتلو قصائد الغزل والمديح في سماع لم تعد

(59) كان قطب الدين القسطلاني بمدرسة الحديث بالقاهرة كثير الامتناء بأصحاب ابي صالح الوالدين على مصر .

□



اللغة العربية

دورها وأهميتها في القرون الوسطى وفي أيامنا الحاضرة

الدكتور بيدرو ستي

جامعة فاروسيا
ترجمة وتحليل الاستاذ محمد بن زيان

لذلك السبب ، ثم ما لبث ان فك هذا الربط فاستقل علم اللغة وانشئت له المدارس والمراكز فاشتهرت من بينها في القرن التاسع للميلاد خاصة البصرة والكوفة في العراق ، وقد تميز فقهاء اللغة في البصرة بطريقة كانت تفلح عليها الصبغة النظرية بينما كان مذهب الكوفيين يكتسي صفة تجريبية فكانوا - مثلا - يكتثرون من جمع العناصر المستمدة من اللهجات لتمييز وجهة نظرهم ..

ولقد نشأ من هذا التنافس ازدهار في علم اللغة وتطور اللغة العربية لم يسبق له نظير ، وظهر من بين اعلامه الخليل ابن احمد صاحب اول معجم وهو « كتاب العين » ، وسيبويه مؤلف « الكتاب » وهو من اعظم ما ظهر من المؤلفات في النحو كما يدل على ذلك تمدد شروحه وبقاؤه حتى الآن اساسا من اساس دراسة النحو .

وقد اتبع فقهاء اللغة في وضع كتبهم نظاما مختلفة اهمها ثلاثة :

اولا - النظام السيميائي المرتكز على جمع المترادفات حول موضوع ما كالخيل والابل والنخيل والصحراء ...

ثانيا - النظام المرتكز على مخارج الصوت واللفظ كما هو مطبق في كتاب « جمهرة اللفظة » لابن دريد (المتوفى سنة 934 ميلادية) وفي « تهذيب اللفظة » للازهري (المتوفى سنة 980 م) وكان هذا المؤلف الاخير من امهات كتب اللغة ومن المصادر

تحت هذا العنوان وفي هذا المدد من مجلة « اللسان العربي » نشرنا باللغة الفرنسية - نقلا من البولونية - مقالا ممتعا بقلم الدكتور بيلا وسكي رئيس قسم اللغة واللهجات العربية والاسلام بجامعة فرسوفيا .

ومن اهم ما ابرزه في هذه الدراسة القيمة من تطور لغة الضاد انها احدث اللغات السامية واعظمها ثروة ، وقد تحولت بصورة مذهشة من لهجة كان البدو يتكلمون بها في صحراء شبه جزيرة العرب الى لغة ثقافية وحضارة وعلم فانتشرت حيثما انتشر القرآن الكريم والاسلام حتى اصحت هي اللفظة القومية والرسمية او على الاقل لغة الدين في الامبراطورية العربية الشاسعة الاطراف من الصين والهند شرقا الى محيط الاطلس واسبانيا غربا .

والدكتور بيلاوسكي شديد الميل الى النظرية الحديثة التي ترجع اصل لغة القرآن الى نجد بدلا من مكة وان كان النحاة وكل من تبهمم اجتمعوا على ان لهجة قريش هي التي كانت اصل العربية ، معللا ذلك بازدهار الشعر الجاهلي في الربوع النجدية وحبوية اللغة فيها وفصاحة أهلها وبلافتهم .

وعلى كل فان هذه اللغة التي طالما بقيت على الفطرة اصبحت منذ القرن الثامن الميلادي موضوع البحث والدراسة وكان البامت على ذلك في المرحلة الاولى هو الحرص على الضبط والتدقيق في تفهم كلام الله وشرحه فكان ارتباط علمي اللغة والدين وثيقا

الكبرى التي أصبحت منهلا للمعاجم الموضوعية بعد ذلك مثل « لسان العرب » لابن منظور (القرن الثالث عشر بعد الميلاد) الذي رتب فيه الكلمات ترتيبا الفبائيا لكن ابتداء من اواخر الحروف .

ثالثا - النظام المرتكز على الترتيب الالفبائي ، وقد ظهر لأول مرة في جزء فقط من اجزاء « جمهرة » ابن دريد - ثم في « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف ، « بالصحاح » لأبوجوهري (المتوفى سنة 1003 ميلادية ، ثم في « مقاييس » اللغة لابن فارس المتوفى سنة 1008 ميلادية .

وسمى اشتهروا في الاندلس وعرب الاسلام من علماء اللغة ابن سيده المتوفى سنة 1065 واضع « كتاب المخصص في اللغة » و « كتاب المحكم والمحيط الاعظم » وهذا المعجم الاخير له يطبع منه الاثلاثة اجزاء وهو مرتب ترتيبا صوتيا على غرار طريقة الخليل .

كما اشتهر بعد ذلك - في القرن الثامن عشر - الزبيدي صاحب « تاج العروس » الذي يعتبر ركن من اعظم اركان اللغة العربية .

بعد هذه النظرة الموجزة عن الدراسات اللغوية وما انتجه النحويون - خصوصا - في القرنين التاسع والعاشر للميلاد نخلص الدكتور بيلوسكي الى موضوع تعريب اقاليم الامبراطورية الاسلامية وانتشار الفصحى واللهجات العربية ، فبين كيف راحت لغة القرآن تغزو غيرها من اللغات وتحل محلها فاضمحت امامها الصابية والمينية في جنوب الجزيرة ، والارامية في الشام وفلسطين والعراق ، والتبعية واليونانية في مصر على ان حركة التعريب اصطدمت ببعض المقاومة لدى المسيحيين السوريين والاقباط فلم يتم تعميم استعمال العربية بينهم الا في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين .

اما في بلاد الفرس فقد اخذت لغة الضاد في الانتشار منذ الفتوحات الاسلامية الاولى واستمر استعمالها ممعما حتى القرن العاشر للميلاد حيث ظهرت حركة مقاومة تهدف الى احياء اللغة الفارسية التي استعادت مكانتها القومية في الادب والشعر خصوصا دون ان تستطيع اقضاء العربية في المجالات الدينية والقانونية والعلمية .

واما في المناطق الشمالية من افريقيا فقد لاقى التعريب صعوبات تعود اسبابها الى عوامل جغرافية واجتماعية ولا سيما في النواحي الجبلية حيث تعيش

القبائل البربرية متشبثة بموآئدها ولهجاتها التي لا تخلو من الحيوية .

ولما فتحت اسبانيا في القرن الثامن (711 م) انتشرت اللغة العربية بين اهاليها من عرب ومستعربين فازدهرت وتطورت هناك مع ازدهار العلوم والفنون وتطورها العظيم الى ان حلت سنة 1492 التي انهزمت فيها آخر امارة عربية .

ومن الشمال الافريقي ايضا انتقلت العربية الى جزيرة مالطة حيث تطورت وصارت تكتب بالحروف اللاتينية فكانت اصلا للغة القومية التي ما زال اهمل مالطة يستعملونها الآن .

وهذا الاشعاع العظيم الذي عرفته اللغة العربية في القرون الوسطى لم يعد سببه الى انتشار الاسلام فقط بل اننا نجد له سببا آخر في المزايا الخاصة التي تتمتع بها هذه اللغة المتميزة بشروطها وحيويتها واجازتها ودقتها الامر الذي جعلها تقوم بدور عظيم في مجالي العلم والثقافة طوال حقبة القرون الوسطى . ولئن فقدت بعض نفوذها ابتداء من القرن السادس عشر لما اصيب به العرب من انحطاط سياسي وثقافي ، فان هذه الظاهرة لم تكن الا عبارة عن حالة عابرة وغفيرة زائلة تمت بانبعثت اللغة العربية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

غير ان تطويرها تطورا يناسب العصر الحديث لم يكن امرا هينا لما تتطلبه اللغة الناهضة من تنمية في الميدان الحضاري والعلمي ومن خلق مصطلحات جديدة . فبذلت منذ القرن التاسع عشر اقصى الجهود واتخذت جميع الطرق والوسائل من اجل ازدهار العربية في العلوم الفلسفية فغيرت الفاظ واستنبطت اخرى بناء على قواعد الاشتقاق وادخلت غيرها صادرة عن لغات اجنبية . ثم انشئت في القرن العشرين مؤسسات مختصة ونظمت تنظيميا . فظهر اول مجمع بدمشق سنة 1919 ثم مجمع القاهرة سنة 1932 واخيرا مجمع بغداد سنة 1947 ، واصبح كل منها يركز بالعمل في خدمة اللغة العربية والادب والثقافة ونشر المؤلفات القديمة التي ما زال الكثير من مخطوطاتها يطوه غبار الاعمال والنسيان .

على ان اشغال هذه المؤسسات مرتكزة خاصة حول اللغة والعمل على توحيد مصطلحاتها ، وقد اصبح اقطاب من الاختصاصيين في العالم العربي كله يشاركونها في ذلك . ولكل من هذه المجامع نشرة دورية تصدر مرة في كل ثلاثة اشهر او مرتين في السنة

محتوية على ما حصل عليه من نتائج العمل وعلى قوائم مصطلحات محدثة ودراسات خاصة باللغة الفصحى واللهجات العامية .

ويمكن القول من الآن ان لغة الفداد قد واجهت العديد من انواع الصعوبات دون ان يشوبها شائب العناصر الاجنبية وهي محافظة على شخصيتها وعلى كل بهاها فلا تباين بين العربية الحديثة والقديمة وقد جدت ونميت على اساس نفس القواعد التي وضعها سبويه المتوفى في سنة 792 م في مصنفه « الكتاب » .

وكان من الطبيعي ان يحدث بعض التطور في تركيب اللغة المصرية وقد حذفت منها التماير المائة وتوسعت لروء مصطلحاتها ، حتى اصيحت اليوم قادرة ومقدمة على مضاهاة سائر اللغات العالمية في الميدان الدولي ، وقد اخذت مكانتها - مثلا - في منظمة اليونسكو كلفة رسمية .

وهي اللغة القومية لزيد من مائة مليون عربي يستعملونها في التأليف الادبي والعلمي وفي الادارة والصحافة والاذاعة فتشكل الرباط الوثيق الذي يربط بعضهم ببعض ويسهل تحقيق وحدتهم الوطنية .

ويوجد في الاقطار العربية بجانب الفصحى لهجات عامية يرجع اصلها الى اللهجات التي كان يتكلم بها عرب شبه الجزيرة الا ان كل واحدة منها طبعت بطابع خاص حسب العوامل اللغوية المحلية التي اثرت عليها فكان منها العامل الارامي او القبطي او البربري .. وهي الآن تتاثر ايضا باللغات الغربية على ان ارتباطها المتين بالعربية الفصحى يجعلها تتقوى بها وتستمد منها ما ينقصها من المفردات وان كانت هذه اللهجات الاقليمية غير مستعملة لا في الادارة ولا في الادب باستثناء بعض المؤلفات الفكرية او بعض ما ياتي احيانا من حوار في الاقاصيص والروايات . ومن

ذلك يتضح وجود ازدواجية لغوية في كل بلد عربي .
فهناك :

اولا - لغة رسمية وطنية وهي التي يكتبونها ولا يتكلمون بها الا في بعض الاحيان ، وقد يحدث ذلك مثلا في الجامعات وبمناسبة الاجتماعات الرسمية وعند انعقاد المؤتمرات بين العرب خاصة .

ثانيا - اللهجة العامية التي تختلف شيئا ما مع اختلاف البلاد العربية والتي ربما تميزت ببعض الاناقة عندما تتكلم بها النخبة المثقفة .

اما الدول التي تستعمل العربية كلفة رسمية فهي :

المملكة العربية السعودية ، والجمهورية اليمنية ، وجمهورية جنوب اليمن ، والكويت ، والامارات مثل البحرين وعمان ، وسوريا ، والعراق ، والمملكة الاردنية الهاشمية ، وفلسطين العربية ، ولبنان ، والجمهورية العربية المتحدة ، والسودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، وموريطانيا .

واما البلاد التي انتشرت فيها العربية انتشارا هاما فهي : السودان الغربي وجيبوتي وزنجبار ، وهي معروفة ايضا كلفة دين في بعض الاقطار الاسلامية مثل ايران وافغانستان والباكستان واندونيسيا .

وكان للعربية تاثير كبير في المجال الدبني والعلمي على لغات اخرى منها الفارسية والتركية والاربية ، وكلها كانت وما زالت تكتب بالحروف العربية باستثناء التركية التي اتخذت الحروف اللاتينية منذ 1928 .

وختاماً يجدر بالذكر ان نشير الى ان الحروف العربية قد قامت بدور هام في الفن العربي الاسلامي كمنصر للزخرفة .

قَرَارَاتِ مَجْمَعِ اللِّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَصُولِ اللِّغَةِ وَتَحْقِيقِ الأَلْفَاظِ والأَسَالِيبِ

الاستاذ محمد شوقي امين
رئيس التحرير للجنة الاصول

قدمت لجنة الاصول بالمجمع الى مؤتمره المنعقد في فبراير سنة 1968 ما استقر عليه رأيا في جملة من اصول اللغة وفي عدة من الالفاظ والاساليب، واشتمل تقديمها على مذكرات وبعوث كتبها اعضاؤها في الموضوعات المعروضة .
وقد اقر المؤتمر ما عرضته عليه اللجنة ، ونشر كاملا مع البحوث والمناقشات في « مجموعة البحوث والمحاضرات » لمؤتمر الدورة الرابعة والثلاثين .

في اصول اللغة :

واللجنة تأسيسا على ان ما اشتقه العرب من أسماء الاميان كثير ، كثرة ظاهرة ، وان ما ورد من امثلة في البحث الذي احتج به المجمع لاجازة الاشتقاق يربي على المائتين ، ترى التوسع في هذه الاجازة بحمل الاشتقاق من أسماء الاميان جالزا من غير تقييد بالضرورة .

2 - جواز لحوق تاء التانيث لصيغة «العول» الصفة ، بمعنى فاعل وجمعها جمع تصحيح .

مرض على المؤتمر في الدورة المتممة للثلاثين ان لجنة الاصول في دراستها للتذكير والتانيث انتهت الى ما يأتي :

« لا يجوز ان تلحق التاء فعولا بمعنى فاعل للتانيث » ، فأقر المؤتمر ذلك .

1 - اطلاق جواز الاشتقاق من أسماء الاميان دون قيد الضرورة :

في اثناء دراسة اللجنة لكلمة « متحف » وتميل ضبط ميمها بالفتح على انها اسم مكان من التحفة ، استنادا الى قرار مجمي في الاشتقاق من أسماء الاميان ، لوحظ ان القرار مقيد بالضرورة في لغة العلوم . وتذاكرت اللجنة في ذلك ، واصدرت القرار التالي :

وفيما يلي نصوص القرارات في اصول اللغة وفي تحقيق الالفاظ والاساليب :

قر المجمع من قبل اجازة الاشتقاق من أسماء الاميان للضرورة في لغة العلوم ، كما اقر قواعد للاشتقاق من الجامد .

مصوغة من الافعال التي تقبل الاشتراك والمنافسة والمقابلة والمضادة والمساواة ، كالجليس والنديد والكليم والخصيم والمثيل والاكيل والمخليل والخليط . وغاية الاقتراح الصوغ على هذا الوزن عند الحاجة .

وقد نشر بحثه في « مجموعة البحوث والمحاضرات » للدورة 33 . وقد راجعت اللجنة ما اورد الباحث من الامثلة ، وما اضافته من نظائرها ، ولاحظت ان بعضه مأخوذ من فعل ، وبعضه من فاعل ، وان الباحثين العلميين ربما ساء لهم ان يستعملوا وزن فعيل ليكون ايسر اصطلاحا من المفاعل ، وان كان قد شاع في الاستعمال : المفاعل الدرزي والمعامل الرياضي .

وانتهت اللجنة الى ما يأتي :

بصاغ « فعيل » لمعنى المبالفة او الصفة المشبهة ، كما يدل على المشاركة ، وعلى ذلك يجوز صوغ « فعيل » للدلالة على الاشتراك من الافعال التي تقبل ذلك ، وقد سمع من أمثله في فصيح العربية ما يجيز القياس عليه .

في تحقيق الالفاظ والاساليب :

1 - قدم الاستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع الى المجلس بحثا له بعنوان « اخطاء اللغويين » وذلك بجلسته 2 \ 5 \ 1966 ، ووزع البحث على الاعضاء بجلسته 16 \ 5 \ 1966 وقد احالته الى لجنة الاصول ونشر نصه في الجزء الثاني والمشرين من المجلة .

2 - وقد عرض الاستاذ الباحث لموقف اللغويين من اثر الدوق والاستعمال في تطور اللغات ووضعهم المبني قبل المعنى ، والصيغة فوق الدلالة ، وبذلك تخلف التفكير اللغوي عن مسابرة التقدم الفكري وتضمن البحث مناقشة في معنى الفصيح والانصح والشاذ ، وفي غضون البحث ذكرت امثلة من الالفاظ والاساليب للتدليل والبيان ، وختم البحث بسرد لما سجلته كتب فقه اللغة من الكلمات في احوال اللين وصوره واطواره وما يطرأ عليه من تغيرات ، واكثره مما لا وجود له في الواقع ، فالمعاني التي ذكرها اللغويون للكلمات من وضعهم ، وليست مما يجري في الاستعمال في رأي الاستاذ الباحث .

3 - وبعد ان درست اللجنة البحث ، تبين لها ان الاستاذ الباحث قد افاض في مسائل كلية ،

ولكن المؤتمر بعد ذلك احوال الى لجنة الاصول بعموما لبعض الاعضاء العاملين والمراسلين ، طالبوا فيها باجازه ذلك وهي :

(ا) المسألة الثانية من بحث الاستاذ محمد الحميد حسن في مؤتمر الدورة 31

(ب) المسألة الثالثة من بحث الاستاذ انيس المقدسي في مؤتمر الدورة 32

(ج) بحث الدكتور ابراهيم انيس في مؤتمر الدورة 32 (مؤتمر بغداد) .

(د) الاقتراح الثاني من بحث الدكتور مصطفى جواد في مؤتمر الدورة 33

وبعد ان درست اللجنة كل ما احيل اليها في هذا الموضوع ، وما قدمه في انهاء الدراسة الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي والاستاذ عباس حسن من مذكرة مكتوبة انتهت الى ما يأتي :

يجوز ان تلحق تاء التانيث صيغة فعول بمعنى فاعل ، لما ذكره سيبويه من ان ذلك جاء في شيء منه ، وما ذكره ابن مالك في التسهيل من ان امتناع التاء هو الغالب ، وما ذكره السيوطي في « الهمع » من ان الغالب الا تلحق التاء هذه الصفات ، وما ذكره الرضي من قوله : « وما لا يلحق التانيث غالبا مع كونه صفة فيستوي فيه المذكر والمؤنث : فعول » .

ويمكن الاستئناس في اجازة دخول التاء على فعول بان صيغ المبالفة كاسم الفاعل يمكن ان تتحول الى صفات مشبهة ، وعلى ذلك في حالة دلالتها على الصفة المشبهة يمكن ان نلح المعنى الاصلي لها وهو المبالفة فتدخل عليها التاء ، جريا على قاعدة دخول التاء في اسم الفاعل وفي صيغ المبالفة للتانيث .

وعلى هذا يجري على تلك الصيغة - بعد جواز تانيثها بالتاء - ما يجري على غيرها من الصفات التي يفرق بينها وبين مذكرها بالتاء ، فتجمع جمع تصحيح للمذكر والمؤنث .

3 - جواز صوغ « فعيل » للدلالة على المشاركة :

احيل الى لجنة الاصول بحث قدمه الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع المراسل في مؤتمر الدورة 33 ، وقد حوى البحث جملة اقتراحات بني الاقتراح السادس منها على زهاء اربعين مثالا على زنة فعيل

وبسط آراءه فيها ، وان هذه المسائل مجال رحيب لتداول الراي وتنازع القول ، وليست مما يمكن البت فيه بفرار حاسم وحكم فاصل . ولكن ما جاء في البحث من امثلة الالفاظ والاساليب هو الذي يتسنى اجالة النظر فيه والوصول الى قرار .

وعلى هذا رأت اللجنة ان تدرس : ضبط كلمة « متحف » ، وتعليل ضبط « حدث » في تعبير « ما قدم وما حدث » وتحقيق استعمال كلمة « التبرير » وتحقيق استعمال « تقدم الى فلان بكذا » ، اى قدمه اليه او طلبه والتمسه ، وتحقيق استعمال « مفاعل » كمكابد ومكائد ، وتحقيق استعمال كلمة « سواء » مع « ام » ومع « او » بالهمزة وبغيرها ، وتحقيق استعمال كلمة « التقييم » بمعنى التقييم اى بيان القيمة .

وقد ناقشت اللجنة في هذه الالفاظ والاساليب، واصدرت في كل منها قرارها بعد ان نظرت فيما كتب الاستاذ الباحث في شأنها ، وفيما قدمه كل من الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي والاستاذ عباس حسن من مذكرة مكتوبة ، وهذا تفصيل القرارات :

(1) ضبط كلمة « متحف » :

كلمة متحف بضم الميم صحيحة من حيث القياس ومن حيث المعنى ، للدلالة على مستودع التحف ، والفعل اتحف ليس مقصورا على معنى اقطاع تحفة ، بل يصح ان يكون معناه ايضا عرضها للاطلاع عليها . وبناء على قرار المجمع جواز الاشتقاق من اسماء الاميان ، وقراره قواعد الاشتقاق من الجامد ، وما تراه اللجنة من التوسع في جواز الاشتقاق من اسم الميم دون تقييد بالضرورة العلمية واستثناسا بان وجود الثلاثي المزيد في الفعل يشعر بالمجرد منه، تقرر اللجنة انه يجوز ان يؤخذ من « تحفة » بمعنى شيء يقدم للالطاف فعل ثلاثي من باب نصر ، ومن مصدره يؤخذ اسم مكان على وزن مفعول - بفتح الميم والميم - فتكون كلمة « متحف » - بفتح الميم والحاء صحيحة في الاستعمال بالمعنى المتعارف الآن بمكان ايداع التحف او عرضها .

(ب) تعليل ضبط « حدث » في تعبير « ما قدم وما حدث » :

1 - من فصيح العربية ما ورد من عبارة « اخذني من الامر ما قدم وما حدث » اى ملكني الميم قديمه وحديثه . وقد جاء فعل « حدث » في هذه

العبارة مضموم الدال ، ونص اللغويون على ان الدال في حدث لم تضم الا في هذا الموضع ، وذلك لمكان قدم ويمبر من ذلك احيانا بالازدواج وحيانا بالاتباع . ومثله في فصح العربية كثير .

2 - وقد تناول نقاد اللغة بالبحث ما ورد من امثلة ذلك وناقشوا ما قيل في تخريجها لقبولوا بعضها وانكروا بعضها في تمحيص وتدليل ، ولم يكن فيما انكروه تخريج ضم الدال في « حدث » من تلك العبارة المأثورة .

3 - واما القول بان اللغويين اهلوا المضمي في تفسير هذه العبارة ، وان هناك بايين لحدث : باب فعل بضم الدال وهو من الحدأة ، وباب فعل بفتحها وهو من الحدوث ، فذلك لا سند له في نصوص اللغة ولا في شواهد الاستعمال . وقد اثبت اللغويون فعل حدث من باب نصر ، وذكسروا لمصدره الحدوث والحدأة معا ، ومعناه : وجود شيء كان معدوما او نقيض التقدم ، وكذلك ابتداء الامر وطراءته . ومنعوا ان يستعمل فعل حدث بضم الدال الا مقترنا بالفعل قدم ، كما سلف القول .

4 - على انه يتسنى تخريج استعمال « حدث » بضم الدال مستقلا ، باعتبار انه من باب تحويل الفعل الى فعل بضم الميم ، لافادة المدح او اللوم او المبالغة مع اشرايه معنى التعجب ، ويقصد به الالتحاق بالفرائز كما يقال : علم الرجل اى صار العلم ملازما له كانه سجية فيه . وقد اجاز النحاة في كل فعل صالح للتعجب منه استعماله على فعل بضم الميم بالاصالة او التحويل اذا اريد التعجب مدحا او ذما او مبالغة .

(ج) تحقيق استعمال كلمة « التبرير » : في المعجم : « برحبه : قبل ، وتضعيفه برره : جعله مقبولا » ، ومن ثم ترى اللجنة اجازة ما شاع من استعمال التبرير في معنى التسويغ استنادا الى قرار المجمع في قياسية تضعيف الفعل للتكثير والمبالغة .

(د) تحقيق استعمال « تقدم الى فلان بكذا » ، اى قدمه اليه ، او طلبه ، او التمه :

ترى اللجنة ان اصل معنى « تقدم اليه » : دنسا منه واقترب ، وقد استعمل في معان منها قولهم : تقدم فلان الى فلان بكذا ، وهما متساويان ، او المتقدم اولى ، ويكون المعنى طلب منه او التمس ، ومنها قولهم : تقدم الى فلان بكذا ايضا ، والمتقدم اهلئ منزلة ، معناه حيثئذ : امره به ، وهذا كما يفرق في صيغة الامر بين الامر والدعاء والالتماس بالنظر الى

ز (تحقيق استعمال كلمة « التقييم » بمعنى
التقويم ، اى بيان القيمة :

الياء في كلمة « قيمة » اصلها واو ساكنة مكسورة
ما قبلها وكذلك كلمة « ديمة » من الدوام وعيد من
العود . والاصل في الاشتقاق من امثال هذه الالفاظ
ان ينظر الى اصل الحرف ، كما قال العرب في بعض
الاستعمالات . دومت السماء الا ان العرب ربما قطعوا
النظر من اصل حرف الة ، ونظروا الى حالته
الراهنه ، كما قالوا : دبمت السماء في بعض
الاستعمالات وكما قالوا : عيّد الناس ، اذا شهدوا
المعيد ، ولم يقولوا في هذه الكلمة : عود الناس تحاشيا
عن توهم انها من العادة . وعلى ذلك يجوز ان يقال :
قيم الشيء تقييماً بمعنى حدد قيمته ، للفرقة بينه
وبين قوم الشيء بمعنى عدله . وقد جاءت المعاقبة
بين الواو والياء المشددتين للتخفيف في امثلة من
كلام العرب يستأنس بها في قبول ذلك .

حال المتكلم مع المخاطب ، والتعبير على هذا صحيح
في المعنيين .

ها تحقيق استعمال « مفاعل » بقلب الياء
همزة كمكاييد ومكائد :

ترى اللجنة جواز الحاق المد الاصلي في صيغة
مفاعل بالمد الزائد في صيغة فعائل . وعلى هذا يجوز
في عين مفاعل قلبها همزة ، سواء اكان اصلها واوا ام
ياء فيقال : مكاييد ومكائد ، ومغاوير ومغائر .

وا تحقيق استعمال « سواء » مع « ام » ومع
« او » بالهمزة وبغيرها :

يجوز استعمال « ام » مع الهمزة وبغيرها ، وفقاً
لما قرره جمهور النحاة . واستعمال « او » مع الهمزة
وبغيرها كذلك على نحو التعبيرات الآتية : سواء على
احضرت ام غبت - سواء على حضرت ام غبت -
سواء على احضرت او غبت - سواء على حضرت او
غبت . والاكثر في الفصح استعمال الهمزة وام في
اسلوب سواء .





مَوْسُوعَةُ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ

- ◆ معجم الاعلام البشرية والحضارية
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- ◆ المباحث ابو سالم
للاستاذ محمد الاطرش
- ◆ اسماء الحرف بناس
للاستاذ عبد القادر زمامسة
- ◆ معجم اعلام النساء بالمغرب الاقصى
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- ◆ معلمة مركزة عن القبائل والمدن والقرى
المكتسب

258

مدخل موسوعة المغرب العربي:

معجم الأعلام البشرية والحضارية

الإستاذ عبد العزيز بن عبد الله

منذ ان صدر القسم الاول من حرف الف لاعلام الموسوعة توصلنا بخطبات استفسارية عن بعض المصادر المطبوعة والمخطوطة التي يضطر الباحثون للرجوع اليها من اجل استكمال بحثهم حول هذه الاعلام ، وقد رأينا من الاوفى ان نقدم لهذه العملية بمدخل حول الاعلام البشرية والحضارية نستكمل فيه ما أمكنا الوقوف عليه من مغان تشمل المخطوطات والوثائق والمستندات المختلفة التي اشارت اليها الكاتالوجات المطبوعة للمكتبات العالمية ، وقد حاولنا ايضا الاستفادة من الجزائيات الغيبية (التي ما زالت لم تنشر) والتي تعدها بعض المكتبات وخاصة منها المكتبة الملكية العامة (بالرباط) وقد رتبنا المكتبة الملكية لخاثرها المخطوطة الثمينية في جزائيات وفهارس بلغ عدد مخطوطاتها المجرود لحد الآن نحو العشرة آلاف كما رتبنا اكداس الوثائق في محافظ (بلغت لحد الآن الالف) حسب العصور وقد ادرجناها في مصادرنا وسنعمل عليها بحول الله في النسخ النهائي لهذا المعجم الذي انكببت على اعداده منذ اربع سنوات والذي وصلت فيه الآن الى نحو العشرة الاف بطاقة استقصيت فيها المصادر حسب الامكان مع الاشارة الى وفاة المترجم (حصرا للاطار التاريخي) ونحن ننشر اليوم انمولجا غير كامل لهذا العمل الضخم لفائتين اثنتين اهداها الرغبة في الحصول على ملاحظة الباحثين حول هذه المسطرة وثانيهما امداد الباحثين الراغبين في الاسهام في الموسوعة بمصادر شبيهة كاملة مع ترتيب مبدئي اولي لهذه الاعلام الحضارية منها والبشرية على الصورة التي ستصدر في المعجمة بحول الله ولم تكن ننتظر للتشروع في اعداد الموسوعة سوى صدور هذا القسم الموجز الذي يمثل نحو العشر فقط من حرف الف بحيث سيصل المجموع الى عدة مجلدات . ولا يخفى ان معجما كهذا يعد الانطلاقة الضرورية لدائرة المعارف المغربية لانه يحدد الاطار العام لهذه الموسوعة بكامل محتوياتها طبقا لآراء الخبراء الموسوميين المحدثين وانا لا ارمم ان عملي هذا - رغم ما استفرقت فيه من وقت وبذلت فيه من جهد - يتسم بالتسويل والكمال ولكنه انطلاقة اولي لا تغلو ككل المبادرات من نقص سنحاول تكميله بحول الله بفضل ما ننتظره من توجيهات وملاحظات من اخواننا الباحثين في الشرق والمغرب .

وقد الحقنا باخر هذا القسم كشفا لاهم المصادر العامة الموسوعة .

- الفبائية (نمران : الفبائية - أبجدية)
 راجع alphabet (لاروس القرن العشرين)
 الحروف الفينيقية (نفس المصدر)
 راجع تنفاغ (حروف) في هذا المعجم
 دائرة المعارف للبستاني (طبعة بيروت 1956)
- آدم أحمد بن محمد بن عيسى القاضي أبو المكارم
 (1094 هـ / 1682 م) (1)
 الإغباط ج 1 ص 7 و 8 (باسم سيدي أحمد
 الشريف)
- الآلة الموسيقية
- محمد الفاسي (اللسان العربي عدد 6)
 دعوة الحق عدد 9 - 1958 وعدد 7
 عام 1961
 بحث فرشيايا تروشينو حول اللسان
 الموسيقي بالمغرب
 خع = (س 19072)
- لوحة الموسيقى المغربية خع = 4459
 A 8° 8275 bis Chotting
- تقدم الموسيقى العربية بالشرق والمغرب
 والاندلس
 حسن حسنى عبد الوهاب بالفرنسية
- الموسيقى المغربية : خع De Marangue
 A 8° 12.683
- عبد الله الجبراري
 (1) دعوة الحق عدد 7 - 1961
 (2) بحث خاص للموسومة
- الموسومة الإسلامية ج 1 ص 306
- الموسيقى والموسيقيون بالمغرب
 مجلة البحث العلمي عدد 9 ص 96
- تاريخ الموسيقى الاندلسية بالمغرب
 - محمد المنوني مطبعة الرسالة - الرباط
 (1389 - 1969)
- « الجبوع في علم الموسيقى والطبوع » (رجز)
 لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي
 مكتبة برلين (رقم 5521)
 تاريخ بروكلمان ج 2 ص 463 ()
- الجواهر الحسان في نظم الألحان «
 أحمد الغالي بن المكي بن سليمان
 يقع في كراستين بخزانة الاستاذ محمد المنوني
 بمكناس
- « استنزال الرحمات بالطبع والنغمات او بانشاد
 بردة المديح بالنغمات »
- أحمد العابد بن أحمد بن سودة
 (الآلة وأطبامها ونغماتها وتاريخ دخولها الى
 المغرب وشرح مصطلحات الموسيقى
 (مجلد وسط نمرغ منه 1325 هـ / 1907 م)
- « الإنسان المعجب في اللسان المطرب »
 لابي الفضل الكبير بن هاشم الكتاني
 (مات دون اتمامه : الموجود منه في ثلاثة
 كراريس)
- الحسن بن أحمد الحايك الاندلسي التونسي
 التطواني
 له « الحائك » (اشتمل على جميع نوبات
 وطبوع آلات الطرب وعليه عمل المغنين
 المغاربة في صنعتهم الموسيقية وهذا الكتاب
 لم يبق على ترتيبه الاصل بل بترتيب الفقيه
 الوزير محمد بن المختار الجامعي ، وقد اورد
 خطبته أبو اسحاق القادلي في « أغاني السبقا
 في علم الموسيقى » (لفي بروننصمال في
 مخطوطات الرباط العربية ص 196)
 خع = 8 (60 ورقة)
 توجد نسختان من كتاب الوزير الجامعي
 في خع = 1327 D و 8 D
 وتوجد خطبة لتأليف في الموسيقى (خع =
 1031 D)
 وردت في آخرها الاشارة الى ترتيب صنائع
 كل ميزان من كل نوبة حسب نظر حذاق
 المطمين في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن
 وهي نفقة هذبت باقتراح الوزير محمد بن
 العربي بن المختار الجامعي عام 1303 .
- رسالتان لاحمد بن خالد الناصري
 في فن الموسيقى والتنظير بين النغمات
 العربية والمعجبة
 خاطب بهما صديقه العلامة الفلكي ادريس بن
 محمد (متحا) الجميدي السلاوي .
- « الروضة الغناء في اصول الغناء »
 ذكر مؤلفه المجهول ابداعا قيلت في السلطان
 مولاي رشيد وهو ينقل من ابن زاكور
 والبوعصامي خع = 192
- امتاع الاسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع
 للسلطان المولى سليمان (المكتبة الملكية
 بالرباط)
- الامتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع الخ ..
 مجهول المؤلف الفه باسم يوسف بن يعقوب
 ابن عبد الحق المريني (706 هـ / 1307 م)
 ورتبه على ثلاثة ابواب وسمى فيه 31 نوعا
 من آلات الموسيقى ..
 توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بدريد
 نمرغ منها ناسخها عام 701 هـ / 1301 م .

(1) ثبت مع كل علم تاريخ ومانه بالهجري والميلادي حسب الامكان .

- وقف عليها الشيخ عباس بن ابراهيم
المراكشي (الاعلام ج 2 ص 200)
كما وقف الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني على
اسم المؤلف وهو ابو عبد الله بن الدراج ويوجد
كتاب باسمه في خع (= 1828) عنوانه
« الكفاية والغناء في احكام الغناء » وقد
اشار المراكشي الى ما أورده المؤلف من أن
طبع الاستهلال الذي هو فرع عن الذيل قد
استخرجه الحاج علاء البطلة بفاس أيام محمد
الشيخ السعدي (يوجد في مجلد عدد 5307)
ويوجد بغزاة الاخ الأستاذ محمد داود
بنطوان كتاب من هذا النوع بخط العلامة
محمد بن تاسم بن زاكور
- تاليف في الامداح النبوية وفكر النغمات والطبوع «
لاحمد بن محمد بن المرسي اهفري
الاندلسي المراكشي (كان حيا اواخر المائة
الثانية عشرة) رتب مدائح وموشحات أهل
المغرب على النغمات الاربع والعشرين وذكر
مستنبط كل نوبة ساير به كتاب الحايك في
الامداح بدل التفضل والنسيب .
(مجلد ضخف في خس)
- مجموع في الغناء والطرب (نوبات على الترتيب
التطواني)
خع = 1518 D (98 صفحة)
- مجموع في الغناء والطرب امتنت بجمعه الرسائل
المطوية الفرنسية بطبعة وهو عبارة عن
اجزاء من نوبات يغلب عليها الترتيب
التطواني (20 ورقة)
خع = 1459 D
- قطع من نوبة المية (خع = 1514 D)
- آمنة بنت سميد الفخاري
(1260 هـ / 1844 - 1845 م)
عبد العزيز بن عبد الله (معجم اعلام النساء)
السلوة (ج 3 ص 129)
- آمنة بنت الطيب بن محمد الشرقي المعروف
بالجميل تدمي منانة (1187 هـ / 1774 م)
(معجم اعلام النساء) (السلوة ج 3 ص 52)
- آمنة بنت عبد الرحمن الفاسي (1139 هـ /
1726 - 1727 م)
السلوة (ج 1 ص 320)
- آمنة الدمعة الساكية وهي منانة البستونية -
(1164 هـ / 1751 م)
حسب لهرة الشيخ التاودي فبين لقي من
صلحاء المغرب (او 1167 هـ / 1754 م)
(حسب النشر والتعاط الدرر والروضة
المقصودة)
- السلوة (ج 1 ص 308)
- آيت (راجع اسم القبيلة مثل الاريمين في آيت
الاريمين وأورير في آيت أورير
آتسا (بلد)
- الاعلام للمراكشي ج 3 ص 198
- أبيلر (قصر بتانبلالت)
- مجلة هسبريس Hesperis (م 1 - 2) 1959
- الإبار أحمد بن محمد بن موسى همدون خطيب
ناس (1071 هـ / 1660 م)
النشر (ج 1 ص 228)
له : « كشف الرواق عن صرف الجامعة الى
الواقي
خع = 457 و 539 (زاوية سيدي حمزة
Hesperis (م : 18)
بروكلمان ج 2 ص 702
- الإبار محمد بن الحسن
السلوة (ج 3 ص 96)
- الإباضية
Gautier - Siècles obscurs, index, p. 429
- الموسوعة الاسلامية (مادة اباض)
- الإبجدية :
وحادات مغربية مختلطة
دائرة معارف البستاني (حرف الهزة)
(ج 1 ص 63)
- إبدال : الحاوي للتناوي (ج 2 ص 49)
الموسوعة الاسلامية ج 1 ص 879
مطويات الحضارة المغربية (قسم التصوف)
- أبجد محمد بن محمود العلوي
الوسيط لابن الامين (ص 40)
(النسبة لهذا الاسم مشهورة في العالم العربي
راجع أبا الحسن الأبدى شيخ الغالب بالله ابن
الأحرر أمير غرناطة
ومحمد اليمري الأبدى في الوافي بالوثنيات
(ج 1 ص 206 و 214)
- أبجد المدينة ()
- الاستقصا (ج 1 ص 149)
- كتبها ابن الأبار في التكملة (ص 161) بالذال
المجبة
- ابراهيم البطال الكبداني
« ألتصد الشريف » لعبد الحق البادسي
(مخطوط خع = 110)
- ابراهيم البطرودي قائد الاسطول المريني (من
ناشبة الاندلس ورماتها)

- الاستقصا (ج 2 ص 124)
- ابراهيم بن ابراهيم الانصاري المعروف بابن المشاب (583 هـ / 1187 م)
الجنوة لابن القاضي (ص 86)
التكملة (ص 193)
- ابراهيم بن ابي بكر اللواتي السوسي (1325 هـ / 1907 م)
تاريخ تطوان لداود (ج 2 ص 19 - 21)
المسول للمختار السوسي (ج 16 ص 234)
- ابراهيم بن ابي بكر بن عبد الله بن موسى التلمساني الانصاري الوشقي السبتي
(ولد بتلمسان مسلم 699 هـ / 1299 م)
حسب الديباج وعلم 609 هـ / 1212 م)
حسب بروكلمان في ملحقه (ج 1 ص 666)
راجع ترجمته في « الديباج المذهب » (ص 90)
والبستان لابن مريم (ص 55 و 82)
وتعريف الخلف للحنفاوي (ص 9)
من مؤلفاته : (1) « نفحة الخير ومزيله الخبير في نظم المغازي والسير » على اوزن المغرب (مكتبة الاسكوريال = 390)
- (2) المنظومة التلمسانية في الفرائض : يوجد في مكاتب خع = (1040) والتبرون (185) والجزائر (1317 ر 9 ر 149) والفلكان (160)
- (3) مقالة في المروض
La Tlemsaniya, poème sur le droit successorai musulman, traduit par G. Faure-Biguet, Valence, 1905.
لها شروح كثيرة احدها لمجد الرحمن بن يحيى بن محمد بن صالح المصنوني المغربي يوجد بالجزائر (1318) والمنحف البريطاني خمس نسخ (903 - 12 - 813 - 265)
- (159) (والزيتونة 401 ر IV)
- ابراهيم بن ابي الحسن المريني (يكنى ابا سالم قطبي : م 762 هـ / 1360 م)
سلوة الانفاس (ج 3 ص 168)
جلوة الانفاس (ص 83)
الاملام للزركلي (ج 1 ص 46)
الاستقصا ج 2 ص 100
الحلل الموشية ص 135
- ابراهيم بن ابي الحسن الجفائي الاندلسي السرتسطي (1014 هـ / 1606 م)
ملحق بروكلمان (ج 2 ص 700)
له كتاب في الفرق الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم ستشرق أمي الخ
مكتبة الزيتونة (1430) 74 ر III
- ابراهيم بن ابي سعيد بن ابراهيم المغربي الملائني (كان حيا عام 546 هـ / 1151 م)
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 895)
له « تقويم الادوية ليما اشتهر من الاعشاب والمقاتير والاذوية »
الموجود منه 16 ورقة في ثلاث نسخ في خع = D 1050 (D 1034 - D 449)
(ساه بروكلمان تقويم الادوية المرسدة او فخرية المطار)
الدكتور رونو Renaud (مجلة Hesperis ج 16 ص 69 عام 1933)
كشفت الفنون (ج 1 ص 320)
- ابراهيم بن ابي شامة الدكالي
سلوة الانفاس (ج 2 ص 132)
نهرسة النجور
- ابراهيم بن ابي العيش بن يربوع القيسي السبتي الصلة لابن بشكوال (ص 105) 430 هـ / 1038 - 1039 / 433 هـ (1041 - 1042 م)
(ت = ص 7)
- ابراهيم بن ابي الفضل بن صواف العجوري (506 هـ / 1112 - 1113)
الجنوة لابن القاضي (ص 85)
تكملة الصلة لابن البار (ص 172)
(ت = 90)
- ابراهيم بن ابي القاسم السملالي (927 هـ / 1520 م)
(طبقات الحفيكي (ج 1 ص 115)
الاملام للمراكشي ج 2 ص 168
له « اجنحة الرقاب في معرفة الفرائض والحساب »
(ارجوزة من 36 بيتا) خع = D 157
وقد قبلها احمد بن سليمان الرسوكسي (1133 هـ / 1721 م) في 84 بيتا
خع = D 1647
- ابراهيم بن ابي يحيى بن ابي بكر التازي
درة الحجال (ج 1 ص 95)
(749 هـ / 1348 م)
- ابراهيم بن احمد البصري السبتي (513 هـ / 1119 م)
نهرسة مياض (ص 68) ت = ص 1
- ابراهيم بن احمد بن الحاج صالح الالفي (كان حيا عام 1380 هـ / 1961 م)
المسول (ج 2 ص 355)
- ابراهيم بن احمد بن خلف بن الحسن بن الوليد السلمي الفاسي المعروف بابن مرتون

- ابراهيم بن احمد الطالبي السميدي (1368 هـ / 1948 م)
المسول (ج 2 ص 58)
- ابراهيم بن ادريس الهسني (القرن الرابع)
مناخر البربر ص 21
(ت = 1)
- ابراهيم بن ادريس العلمي
من شيوخ احمد الغربي الرباطي
الاغتباط (ج 2 ص 4)
- ابراهيم بن عيسى بن محمد بن اصبح بن محمد
ابن محمد بن اصبح الازدي (تولى قاضيا
بسجلماسة عام 627 هـ / 1229 - 1230 م)
تكملة الصلة ص 204
- ابراهيم بن الاغلب
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 26)
الاستقصا (ج 1 ص 60)
اعمال الاعلام (ج 8)
ابن خلدون (ج 4 ص 196)
البيان المغرب (ج 1 ص 98)
الكامل (ج 6 ص 11)
- Espagne musulmane - L. Provençal, p. 228
Hist. de l'A.N., A. Julien, p. 344-357
- ابراهيم بن اظول (اوائل القرن التاسع)
المسول (ج 8 ص 10)
- ابراهيم بن ايوب التكري
مسالك البكري (ص 91) ت = 7
- ابراهيم بن البصير الركناني (1364 هـ / 1945 م)
المسول (ج 12 ص 88)
- ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكثري (1158 هـ / 1746 م)
المسول (ج 1 ص 132)
- ابراهيم بن تاشفين
الاعلام للزركلي (ج 1 ص 27)
الحل الموشية (ص 100)
- ابراهيم بن جابر بن عمر المغزومي المصروف
بابن الغنال (641 هـ / 1243 - 1244 م)
الجنوة (ص 87) تكملة الصلة (ص 215)
(ت = 90)
- ابراهيم بن جعفر بن احمد اللواتي المصروف
بابن الناسي (513 هـ / 1119 م)
الصلة (ص 105) — معجم اصحاب
الصدفي (ص 54) الديناج (ص 88)
- (538 هـ / 1144 م)
معجم اصحاب الصدفي (ص 62)
الجنوة (ص 83)
السلوة (ج 3 ص 253)
ت = ص 73 و 89
تكملة الصلة لابن ابار (ص 212)
- ابراهيم بن احمد بن هاشم التونسي نزيل
الرباط (كان حيا عام 1202 هـ / 1788 م)
معجم الشيخ مرتضى الزبيدي
الاغتباط (ج 2 ص 5)
- ابراهيم بن احمد بن عيسى المفاقي السبتي
(716 هـ / 1316 - 1317 م)
درة الحجال (ج 1 ص 94)
شذرات الذهب (ج 6 ص 38)
- ابراهيم بن احمد بن غانم بن زكرياء الانطلسي
له « المز والمنافع للجهادين بالمدائح » الفه
بالاسبانية في حدود 1008 هـ وترجمه احمد بن
قاسم الحجري ترجمان زيدان بن المنصور
حق = ج 87
- ابراهيم بن احمد بن محمد بن محمد بن علي
الزواوي (الزواوي) التونسي سكن
بالقصر الكبير وتوفي بفاس عام 961 هـ /
1553 - 1554 م
السلوة (ج 3 ص 124)
الروض لابن عيشون الشراط وبراءة المحاسن
- ابراهيم بن احمد بن هارون المرادي الناسي ابن
الكباد (663 هـ / 1265 م)
الجنوة (ص 84)
تذكرة الحفاظ (ج 4 ص 242)
شذرات الذهب (ج 5 ص 315)
ت = 89
- ابراهيم بن احمد التاورتي (كان حيا بعد 800 هـ /
1397 م)
الجنوة (ص 85)
- ابراهيم بن احمد اللطفي (988 هـ / 1580 -
1581 م)
سلوة الانفاس (ج 3 ص 255)
سلوة الانفاس (ج 1 ص 355)
درة الحجال (ج 1 ص 109)
الجنوة (ص 85)
- ابراهيم بن احمد الديناني (1333 هـ / 1915 م)
المسول (ج 3 ص 129)
- ابراهيم بن احمد السبامي (القرن الثالث
هجر)
كشف الحجاب ص 464

غريفا مع ابن خلاص والي سبتة عام 649 هـ
52 - 1251 م (أو 658 / 1260 حسب بروكلمان)
الإعلام للزركلي (ج 1 ص 36)
فوات الوفيات لابن شاکر الکلبی (ج 1 ص 23)
الرحلة المباشرة (ج 2 ص 253)
ديوان ابراهيم بن سهل خج = 979
مطلع القصيدة الاولى :
تفازعني الآمال كهلا وبالنمسا
ويسعدني التعليل لو كان ناعما
طبع ببيروت = عام 1885
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 483)
معجم سرکيس (ص 123)
كما طبعت موشحاته بناس 1324
وتوجد نسختان منها في خج (331 و 332)
Soualah, Ibrahim Ibn Sahl, Poète d'Espagne,
Alger (1914-1919)

- ابراهيم بن شجرة
رئيس الفرسان البربر بالاندلس
Espagne musulmane - L. Provençal, p. 17
- ابراهيم بن صالح بن احمد بن مبارك التازروالتي
(1353 هـ / 1935 م)
المسول (ج 12 ص 5)
- ابراهيم بن صالح
« القصد الشريف »
لمعد الحق البادسي
خج = 110
- ابراهيم بن عبد الجبار بن احمد الفهيجي
(920 هـ / 1514 م)
له « الفريد في تنبيذ الفريد وترصيد الوليد »
(مكتبة القرويين عدد 1332)
ملحق بروكلمان (ج 2 ص 168)
مجلة دموة الحق عدد 6 - عام 1967
- ابراهيم بن عبد الحق الحسناوي التونسي (تولى
بناس عام 775 هـ / 1373 - 1374 م)
الجدوة ص 92
النيل (ص 46) - السلوة (ج 3 ص 254)
- ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر التسولسي
التازي من تيزة يكنى ابا سالم ويعرف بابن
ابي يحيى (تولى بعد عام 748 هـ / 1347
- 1348 م) (عام 747 حسب الجدوة)
شجرة النور (ص 220)
الديباج (ص 89)
السلوة (ج 3 ص 253)
- ابراهيم بن عبد الرحمن الامام التلمساني الفقيه
العائذ تولى بسجلماسة (903 هـ / 1497 م)
الجدوة ص 92

- مهرة مياض (ص 65) (ت = 7 و 73)
- ابراهيم بن الحاج المجاور
كان حيا عام 1189 هـ / 1775 - 1776 م)
رحلة محمد بن عبد السلام الناصري
الاعتباط ج 2 ص 5
- ابراهيم بن هجاج الاشيلي (298 هـ / 911 م)
Espagne musulmane - L. Provençal, p. 120
- ابراهيم بن الحسن المصمودي (من رجال اواخر
القرن العاشر) درة الحجال (1 ص 111)
سلوة الاندلس (ج 2 ص 4)
- ابراهيم بن حكم الكثاني السلوي ابو اسحاق
(737 هـ / 1337 م)
نيل الابتهاج (ص 10)
درة الحجال (ج 1 ص 95)
البستان لابن مريم (ص 156)
- ابراهيم بن خلف بن منصور الفسائي الدمشقي
السنهوري (دخل مراكش عام 602 هـ /
1205 - 1206 م)
تكلمة الصلة (ص 214) - نفع الطبيب (ج
2 ص 93)
(رسل الفكر بين الشرق والغرب)
- ابراهيم بن زائدة ابو اسحق السجلماسي
(411 هـ / 1020 - 1021 م)
انباء الرواة على انباء النحاة للقطبي (ج 1
ص 167)
بخية الوعاة (ص 180)
تلخيص ابن مكتوم (ص 34)
طبقات القراء لابن الجزري (ج 1 ص 15)
معجم الادباء (ج 1 ص 154)
- ابراهيم بن زهير
دوكاسترق 1 (السمديون) البرتغال (ص
281 و 619)
البرتغال (م 4 ص 106)
- ابراهيم بن سعد السعدي بن احمد بن عفيسر
الاموي دفين مراكش (590 هـ / 1193 -
1194 م) تكلمة الصلة (ص 197) .
- ابراهيم بن سعيد الجزولي (986 هـ / 1578 -
1579 م)
درة الحجال (ج 1 ص 110)
- ابراهيم بن السلطان المولى سليمان العلوي
الاستقصا (الجزء الرابع)
- ابراهيم بن سليمان الفقيه (حوالي 1263 هـ /
1847 م)
المسول (ج 1 ص 141)
- ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاشيلي التونسي

- ابراهيم بن عبد الرحمن بن الامام التلمساني (797 هـ / 1394 - 1395 م)
الجنوة (ص 92)
درة الحجال (ج 1 ص 97)
السلوة (ج 2 ص 120)
نيل الابتهاج (ص 20)
- ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى الكلاسي (مجلة البحث العلمي عدد 7)
- ابراهيم بن عبد الرحمن الجلابي
السلوة (ج 3 ص 256)
كتاب ترجم فيه لنفسه يوجد بالفرائد العامة
عدد 571
- ابراهيم بن عبد الرحمن الفرناطي (751 هـ / 1350 م)
- ملحق بروكلمان (ج 2 ص 374)
له كتاب « الوثائق »
- ثلاث نسخ في خع = D 1418 - D 872 - D 1090
- ابراهيم بن عبد السلام المطار كان حيا في القرن السابع الهجري
له « المشكاة والنبراس على شرح كتاب الكراس » للجزولي (677 هـ / 1279 م)
جزءان (خق = ل 40 / 507)
- ابراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي (من فضالة
596 هـ / 1200 م)
التشوف ص 307
- ابراهيم بن عبد العزيز الفياطي
السلوة ج 2 ص 162
- ابراهيم بن عبد القادر الرياضي (1266 هـ / 1850 م)
هبون الأريب للشيخ محمد النيفر (ج 2 ص 90)
الاملام للزركلي ج 1 ص 41
كشف الحجاب ص 119
شجرة النور ص 386
له تصيدة في مدح الأمير ابراهيم بن مولاي سليمان العلوي (1234 هـ / 1816 م)
شرحها علي بن عبد الله المتوي (1247 هـ / 1831 م)
وقف علي الشرح صاحب السلوة (ج 3 ص 132)
- ابراهيم بن عبد الكريم بن اسحق (717 هـ / 1317 - 1318 م)
درة الحجال ج 1 ص 107
نيل الابتهاج ص 37
- ابراهيم بن عبد الله التيموري المعروف بابن الحاج (713 هـ / 1313 - 1314 م)
السلوة ج 2 ص 122
الاملام للزركلي ج 1 ص 42
الجنوة ص 87
الاحاطة ج 1 ص 193
ولكر النيل (ص 14) وشجرة النور (ص 229)
نفس الاسم ووصفه بالحميري الفرناطي وانه ولد عام 713 هـ
- ابراهيم بن عبد الله بن زيد بن أبي الخير الميزناسني (كان حيا بعد 740 هـ / 1339 - 1340 م)
الجنوة ص 85 - السلوة ج 3 ص 254
نيل الابتهاج ص 10
- ابراهيم بن عبد الله الانصاري الدرهي - مؤسس زاوية سيد الناس بفرجة
له « الدليل القاطع من الشك والالتباس لكل اصناف من الناس في ذكر اخبار اهل زاوية سيد الناس »
مخطوط في خس
- ابراهيم بن عثمان ابو القاسم ابن الوزان شيخ المغرب في النحو واللغة (346 هـ / 957 - 958 م)
الديباج ص 92
مناخر البربر ص 60
- ابراهيم بن علي الفحام
السلوة ج 2 ص 221
تبيلة بني زروال للبشير الناسي ص 38
- ابراهيم بن علي بن الفلب الزويلي
طبقات القراء ص 20
(ت = 88)
- ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله ابن الفلب الخولاني (616 هـ / 1219 - 1220 م)
النكلة ج 203
- ابراهيم بن علي بن الحسن الفهاري (1295 هـ - 1878 م)
له كتاب ترجم فيه لنفسه اسمه « نصرة الدين وبهجة السالكين ومفتاح الواصلين »
السلوة (ج 3 ص 346)
- ابراهيم بن علي بن محمد الدرعي السباهي (1138 هـ / 1725 م)
(ذكر الكتاني في ف . ف = ج 2 ص 417)
انه تولى عام 1155)
له « الشمس المشرقة باسانيد المغاربة والمشاركة »
جمعها باسمه محمد بن عبد الله الحوات

- ابراهيم بن علي بن عبد الرحمن المعروف بالصيد
القصري السريفي (1008 هـ / 1600 م)
السلوة ج 2 ص 325
الروض لابن عيشون
نشر الثاني (ج 1 ص 52)
- ابراهيم بن علي القازلي الزروالي
قبيلة بني زروال ص 90
راجع الاتحاف لابن زيدان (الجزء الرابع حول
الحديث عن اولاد جفالف
- ابراهيم الحاج بن عيسى
المصدق الشريف
لمعد الحق البادسي
خج = 110
- ابراهيم بن عيسى بن محمد بن اصبغ الازدي
المعروف بابن المناصف
تكملة الصلة ص 204
بنية الوعاة ج 1 ص 421
- ابراهيم بن قاسم الاندلسي
سلوة الانفاس (ج 2 ص 153)
- ابراهيم بن سيدي قاسم الشريف البهالي الملبى
المرضي دفين الرباط (تولى اواخر 1100 هـ
1689 م)
(الاغتباط (ج 2 ص 2)
- ابراهيم بن الكمال المراكشي الموهدي
الضوء اللامع للسخاوي (ج 1 ص 125)
- ابراهيم بن محمد الاوروي الباشا (نسبة السى
قبيلة بني اوري بالشاوية)
كان حيا عام 1230 هـ / 1814 - 1815 م)
الاجتباط (ج 2 ص 5)
- ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن عبدالله اليزناسني
قاضي الجماعة بناس (794 هـ / 1392 م)
شجرة النور ص 239
درة الحجمال (ج 1 ص 97)
نيل الابتهاج ص 19
(وذكر في الجذوة (ص 85) ان ابراهيم بن
محمد بن ابراهيم اليزناسني تولى عام 775 هـ)
- ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشاوي الزيادي
قاضي تامسنا (ولد عام 943 هـ / 1537 م)
درة الحجمال (ج 1 ص 109)
- ابراهيم بن محمد بن خلف بن عياش السلسي
تكملة الصلة ص 202
- ابراهيم بن محمد بن الطيب بن الجناوي الرباطي
(1311 هـ / 1893 - 1894 م)
الاجتباط (ج 2 ص 7)
- ابراهيم بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن علي
ابن عبد الله القازلي الرباطي (1311 هـ -
1894 م)
الاجتباط خج = 1287 (ج - 2 ص 9)
تقييد في ترجمته لاحد تلاميذته مخطوط بمكتبة
الاخ محمد المتوني
من مصنفاته :
- (1) الثانية لعل الاعمال بشرح لامبسة
الاعمال
نسختان في خج = 1620 D - 1619 D
- (2) النخبة الثانية على قواعد اللامية
خج = 969 D
- (3) الوافية بشرح الكافية لابن الحاجب
خج = 1626 D
- (4) المجاز الي معرفة المجاز خج = 1348 D
- (5) زينة النحر بعلوم البحر
(تحدث فيه عن سير سفن الشراع
والبواخر) خج = 1747 D
- (6) سروجي المشرق على ايساغوجي
المنطق للابهرى خج = 1042 D
- (7) المبقي في شرح سلم المنطق
خج = 1042 D
- (8) تحفة الاحباب باعمال الحساب
خج = 1714 D
- (9) فهرست في جزء متوسط
توجد نسخة منه في مكتبة المرحوم
الشيخ محمد بن عبد السلام السائح
(دليل المؤرخ)
- (10) اختصار « نيل الابتهاج » لاحد بابا
وكذلك الصفة ل محمد الصغير الامراني
- (11) افاني السيقا ومعاني الموسيقى او
الارتقا الى علم الموسيقى
خج = 109 (66 ورقة)
- (12) حسان الحقائق والدقائق في حساب
الدرج والدقائق
خج = 1347 D
(اختصر فيها رسالة العلامة سبسط
المارديني 912 هـ / 1506 م) المسماة
« الرسالة الفتحة في الاعمال الجيبية »
(خج = 1411 D)
ووسيلة الطلاب ونزهة الالباب في
معرفة الاوقات بالحساب له ايضا (خج
= 1640 D)
- (13) اختصار تذكرة الانطاكي « التذكار لما
في التذكرة من الطب مع الاختصار »
(قطعة منه ضمن كتابه بمكتبة السيد
محمد التطواني بسلا)
- ابراهيم بن محمد بن علي القازلي برهان الدين
الدمشقي (803 هـ / 1401 م)
شذرات الذهب (ج 7 ص 22)

- ابراهيم بن محمد بوطربوش الدباغ (1329 هـ / 1911 م) له فهرست عند ولده عبد الكريم (ديسل المورخ)
- ابراهيم بن محمد بن علي التازي نزيل وهران ابو سالم (866 هـ / 1462 م) نيل الابتهاج ص 24 شجرة النور ص 263 الضوء اللامع (ج 1 ص 187) البستان لابن مريم ص 58 وترجمه ايضا محمد بن يوسف السنوسي التلمساني المتوفى في عام 895 هـ / 1489 م في كتابه « تاليف في مناقب الائمة رجال المناخرين »
- ابراهيم بن محمد بن عمر الهواري وعلي بن مخلوف ابركان واحد الفخاري (نقل عن الكتاب صاحب البستان في صلحاء وعلما تلمسان ترجم له ايضا محمد بن احمد بن أبي الفضل سميد بن سعد التلمساني المتوفى عام 901 هـ / 1495 م في « روضة الفسرين في مناقب الائمة الصالحين » (راجع طبقات الحفيكي)
- ابراهيم التازي الوهراني ابو اسحاق (915 هـ / 1509 م) له القصيدة المرادية (مكتبة الجزائر - 1846) شرحها للصباغ القلمي اسمه « شفاء الخليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد » (الجزائر - 1856) ملحق بروكلمان (ج 2 ص 332)
- ابراهيم القليلي التازي الوهراني (866 هـ / 1462 م) درة الحجال (ج 1 ص 103)
- ابراهيم بن محمد بن عمر (كان حيا عام 1318 هـ / 1900 م) له « تحلية الاحناد ببواقيت الاسناد او حلية المباخر بلسانيد المناخر الخ نسخة في خمس
- ابراهيم بن محمد بن فارس اللكراني المراكشي المصري الكائني تكملة الصلة ص 215 « رسل الفكر بين الشرق والغرب » لعبد العزيز بن محمد الله
- ابراهيم بن محمد الازوي (1160 هـ / 1748 م) المسول (ج 5 ص 136)
- ابراهيم بن محمد المعروف بابن الامام مخرسة مباحص ص 69 (ت = 163)
- ابراهيم بن محمد الجزولي الوسيطي الرضاوي (1325 هـ / 1907 - 1908 م) الاغباط (ج 2 ص 22)
- ابراهيم بن محمد السلمي البليقي ابو اسحاق (616 هـ / 1219 - 1220 م) (الاستقصا) او (613 هـ / 1216 - 1217 م) (حسب النيل) الاستقصا (ج 1 ص 210) نيل الابتهاج (ص 34)
- ابراهيم بن محمد اللطفي النسبتي المعروف بابن المتن تكملة الصلة ص 213
- ابراهيم بن محمد الفسيفاني من نواد احمد المنصور السمدي (908 هـ / 1502 - 1503 م) درة الحجال (ج 1 ص 111)
- ابراهيم بن محمد الصقلي (1289 هـ / 1872 م) سلوة الانفاس (ج 1 ص 140)
- ابراهيم بن حمد الكتاني السلوة (ج 2 ص 193)
- ابراهيم بن محمد اللقاني المغربي الاصل تافسي الغصاة بمصر (896 هـ / 1490 م) نيل الابتهاج ص 29
- ابراهيم بن محمد المسكادي (1276 هـ / 1860 م) المسول (ج 13 ص 303)
- ابراهيم المصودي امير المومنين في الحساب (912 هـ او 913 هـ / 1506 او 1507 م) درة الحجال (ج 1 ص 107) النيل (ص 58)
- ابراهيم بن موسى بن محمد اللطفي الفرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي (790 هـ / 1388 م) (نيل الابتهاج ص 20)
- ابراهيم بن محمد الساهلي دفين مراكش (بعد 740 هـ / 1340 م) بغية الوعاة ص 189 (ت = 88)
- ابراهيم بن مخلد (949 هـ / 1542 - 1543 م) درة الحجال (ج 1 ص 109) الجذوة ص 85
- ابراهيم بن مسعود الالبيري التجيبي الفرناطي بغية المتيسر للضبي

- دوكاستر في 1 السعديون ، انجلترا من 230
- ابراهيم بن يحيى بن ابي حفاف بوهان القيسن
الكناسي النحوي (ولد بكناسة عام 600
ومات بالفيوم عام 666 هـ / 1267 م)
بغية الوعاة ج 1 من 435
منتخب المختار للفتي الفاسي من 17
- ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي
(ملء العمية مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة
8)
نقل الاستاذ ابراهيم الكتاني
- ابراهيم بن يسول الاثبيلي
التشوف من 288
- ابراهيم بن يوسف بن ادهم (او ابن ابراهيم) بن
القائدي الوهراني الحمزي المعروف بابن
ترقول
(569 هـ / 1173 م)
السلوة (ج 3 من 151)
تكلمة الصلة 185
الجدوة من 86 - الاستمسا (ج 1 من 186)
ابن خلكان (ج 1 من 16)
الروض لابن عيشون و ت = 90
من مصنفاته :
- 1) مطالع الانوار على صحاح الآثار في
غريب الحديث
(راجع مطالع الانوار لعباس بكناسة
الترويين اعداد 594 - 624 - 1641)
مكتبة القاهرة (149 ر II) - احمد
ثيمور 340 Raad III
- 2) منتخب مطالع الانوار للحسامي القريسي
(757 هـ / 1356 م) (Tub 31)
- 3) تهذيب المطالع لخطيب الدهشة (837 هـ
1430 م)
القاهرة 99, 291 ر II
- 4) تحفة ذوي الأرب (66 ر II)
- 5) التقريب في علم الغريب - القاهرة
(286 ر II)
ملحق بروكلمان (ج 1 من 633)
- ابراهيم بن يوسف بن تاشفين اللاتوني المعروف
بابن تعيشت
معجم اصحاب الصدى من 55
وفيات الاعيان ج 2 من 488
التكملة (ج 2 من 616)
- ابراهيم بن يوسف بن محمد ابو اسحاق يعرف
بابن المرأة تلميذ ابن حزم
(611 هـ / 1211 - 1212 م)
الجدوة (من 87)
- الفتح (ج 2 من 330 - 480 - 668)
تاريخ بروكلمان (ج 2 من 480)
- ابراهيم بن منبه الغافقي (كان حيا عام 555 هـ /
1160 م)
الفتح ج 3 من 361
- ابراهيم بن هارون بن خلف بن عبد الكريم بن
سميد المصمودي
معجم البلدان (لفظ اثبونة (ج 1 من 253)
- ابراهيم بن موسى باصاهاي (مات بدكالة في
حدود 615 هـ / 1219 م)
التشوف من 437
- ابراهيم بن موسى بن ابي العافية الكناسي
(350 هـ / 961 م)
الاعلام للزركلسي (ج 1 من 70)
الاستمسا (ج 1 من 83)
- ابراهيم بن موسى المصمودي القلمساني شيخ
ابن مرزوق الحفيد
(804 هـ / 1400 - 1401 م)
النبل (من 53)
- ابراهيم بن موسى بن الجباب
الجدوة من 83 - ت = 89
- ابراهيم بن موسى المشرقي (المائة التاسعة)
اول تادم من الدكاليين بني ابراهيم الى فاس
السلوة (ج 3 من 255)
- ابراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي المشرقي
مفتي سجلماسة (903 هـ / 1497 م)
التشوف من 381
دوحة الناشر من 67
درة الحجال (ج 1 من 105)
شجرة النور من 268
خمس = 1344
من مصنفاته :
1) نوازل
ملحق بروكلمان (ج 2 من 348)
معجم سركيس من 697
2) فهرست في ثلاثة كرايس
بالمكتبة الكتانية (فهرس الفهارس (ج 2
من 427)
ولولده عبد العزيز أيضا
فهرست ذكر صاحب فهرس الفهارس
انها في خزائنه
- ابراهيم بن همشك 572 هـ / 1176 م
الاعلام للزركلي (ج 1 من 23) - الحلة
السيراء من 230
- ابراهيم بن ويس (اليهودي) مستشار ابي فارس
نجل المنصور

- قبيلة بني زروال للبشير الفاسي من 39
- ابراهيم الوهبيجي -
دوحة الناشر من 99
- الإبرشية بالمغرب -
(راجع المسيحية)
- ابركان علي بن مخلوف (857 هـ / 1453 م)
ترجمه محمد بن يوسف السنوسي الطلمساني
(895 هـ / 1489 م)
في كتابه « تاليف في مناقب الاربعة رجال
المتأخرين »
(راجع ابراهيم التازي واحمد الغماري
ومحمد بن عمر الهواري)
نقل من الكتاب صاحب البستان في صلحاء
وملحاء تلمسان
د م = 1002
وترجم له أيضا محمد بن أحمد بن أبي الفضل
سميد بن محمد الطلمساني
(901 هـ / 1495 م) في « روضة النسرين
في مناقب الاربعة الصالحين »
(طبقات الحضيكي - د م = 1064)
- ابركان (مدينة)
وجادات مغربية وتقارير محلية
- ابزار محمد بن ابراهيم -
(راجع ابن ابراهيم)
- الابيل -
Siècles obscurs du Maghreb, Index, p. 428
- الابلي محمد بن ابراهيم بن أحمد المبدري -
(757 هـ / 1356 م)
النبل من 244
السلوة 3 من 274
الجنوة من 143
- ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله
ابن أبي بكر القاضي البقسي (658 هـ /
1259 م) (النسخ ج 3 من 346)
- ابن أبي عبد الله القاضي الحري القميمي (86 هـ
705 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 من 184)
- ابن ابراهيم أبو القاسم بن محمد التكاللي النحوي -
(978 هـ / 1570 - 1571 م)
الجنوة (من 319)
- ابن ابراهيم أبو محمد بن علي بن سعيد بن
موسى بن أبي بكر السنوسي المسكالي (من
الاطلس)
له : « مسرة الاخوان » (أرجوزة في سلسلة
اشياخ الطريقة الناصرية عدد أبياتها (307)
خج = 157 D
- ابراهيم بن بيدير الساحلي (حوالي 1365 هـ /
1946 م)
المسول (ج 12 من 288)
- ابراهيم أوغلي السنوسي -
R. Montagne - Le Berbère et le Makhzen - Index,
p. 12
- ابراهيم العمياتي -
السلوة (ج 2 من 119)
(ج 3 من 344)
- ابراهيم بن علي بن اغلب الخولاني -
شجرة النور من 175
تكلمة الصلة من 202
- ابراهيم الزندي الرياطي أبو اسحاق الاندلسي -
(أواسط المائة الثانية)
الافتباط (ج 2 من 2)
- ابراهيم الزواري التونسي دفين فاس -
السلوة (ج 2 من 308)
متح الاسماع من 51
- ابراهيم كانتوت النائر على السلطان زيان
السمدي (نقل عام 1036 هـ / 1627 م)
(الاستمبا ج 3 من 128)
- ابراهيم الكراوي -
R. Montagne - Le Berbère et le Makhzen - Index,
p. 12
- ابراهيم الوزكي (العائد)
R. Montagne - Le Berbère et le Makhzen - Index,
p. 278-301
- ابراهيم السنوسي (1264 هـ / 1848 م)
السلوة (ج 3 من 21)
- ابراهيم السنوسي العميني (1199 هـ / 1784 م)
له رحلة حجازية في مجلدين
وقف على نصلها بخط المؤلف في مجلد الاخ
المرحوم المختار السنوسي في قرية سيدي داود
(قبيلة اكلو - هواهي تزنت)
د م = 1505
اختصرها محمد بن مسعود المدري (وقف
عليه المختار السنوسي أيضا وهو مبتسور
كامل)
- ابراهيم السهلي دفين مراكش -
تكلمة الصلة من 258
- ابراهيم كزور المدري (1352 هـ / 1934 م)
- المسول (ج 13 من 188)
- ابراهيم المواسي

- ابن ابراهيم احمد بن محمد بن ابي عمران موسى
الدكالي الشتراني الفاسي (970 هـ /
1562 - 1563 م)
السلوة (3 ص 251)
- ابن ابراهيم احمد بن محمد القاضي (1334 هـ /
1916 م)
الاغبط (ج 1 ص 60)
- ابن ابراهيم عباس المراكشي (1378 هـ /
1959 م) صاحب الاعلام بين حل مراكش
واغيات من الاعلام (المطبعة الجديدة بفاس)
خمس اجزاء (ابتداء من 1355 - 1936)
دموة الحق عدد 10 (1959)
عبد الكبير الفاسي
من مصنفاته :
- (1) « الرسالة المختصرة » في تراجم اولياء
مراكش ومساجدها وزواياها
الاعلام (ج 1 ص 109)
- (2) رائية أسما نظم درر الجمال في السبعة
رجال
وشرح عليه سباه « اظهار الكمال في
تتيم مناقب اولياء مراكش بسبعة
رجال »
طبعة فاس (1322 هـ / 1904 م)
- ابن ابراهيم عبد الرحمن بن محمد بن محمد
الدكالي (962 هـ / 1554 م)
مهرسة المنجور (ص 27) - الجذوة ص 260
درة الحجال (ج 2 ص 362)
الدوحة (ص 44)
النيل (ص 152)
مرآة البحاسن (ص 9)
السلوة (ج 2 ص 130)
اجازة ابن شنب (ص 251)
- ابن ابراهيم الاصيلي (عبد الله) (392 هـ /
1001 م)
معجم البلدان لياقوت (ج 1 ص 278)
(مادة أصيلا)
و ج 6 ص 331 (مادة فاس)
مسالك البكري ص 117
ت = 34
- ابن ابراهيم عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن
محمد الشتراني الدكالي (توفي عام 990 هـ
1583 م حسب الجذوة لابن القاضي وعام
996 هـ / 1588 م حسب درة الحجال
وتراجع ترجمة محمد بن ابراهيم في الجذوة
أيضا ص 154)
درة الحجال ج 2 ص 388 - الجذوة (ص
276)
- ابن ابراهيم محمد المدعو ابزار (بتشديد الياء
المكسورة)
(1297 هـ / 1880 م)
الاغبط ج 1 ص 169
- ابن ابراهيم محمد المراكشي شاعر الحمراء
(1373 هـ / 1953 م)
دموة الحق عدد 2 (1965)
شاعر الحمراء في الميزان للشتراني
له ديوان في مجلدات
وله معارضة للزوميات ابي العلاء (449 هـ /
1057 م)
- ابن ابراهيم محمد الدكالي الشتراني (846 هـ /
1442 - 1443 م)
الجذوة (ص 149)
السلوة (ج 3 ص 280)
- ابن ابراهيم الشتراني الدكالي محمد بن محمد
(992 هـ / 1584 - 1585 م)
الجذوة (ص 154)
- ابن ابي اسحاق محمد الناصري
(توفي حوالي 1250 هـ / 1835 م)
الاغبط (ج 1 ص 159)
- ابن ابي الاشمعري عبد الرحمن بن احمد بن عبد
الرحمن بن ربيع
تكلمة الصلة لابن البار (ج 3 ص 576)
- ابن ابي البحر الزهري عيسى بن محمد بن عبد
الله بن عيسى ابن مؤمل
مهرسة عياض ص 108
ت = 16
- ابن ابي البركات العدل عبد الله ابن لبانة القروي
الجذوة ص 234
- ابن ابي البركات الكمال الكناسي شيخ ابن
حجر
الاصابة لابن حجر (ج 4 حرف الميم)
الاتحاف لابن زيدان (ج 3 ص 119)
- ابن ابي بكر محمد التواتي
له السر المغتبط في الخميس خالي الوسط
وهو شرح رائية في الخميس خالي الوسط
(65 بيتا)
خ = 1370 D
- ابن ابي التواتي سعد ابو عثمان الكناسي (كان
حيا عام 763 هـ / 1362 م)
درة الحجال (ج 2 ص 470)
- ابن ابي حمزة عبد الله السبتي (710 هـ / 1312 م)
- ابن ابي حمزة عبد الله السبتي
شذرات الذهب (ج 6 ص 23)

- ابن أبي جيمة أحمد المغراوي
دوحة الناصر (93)
- ابن أبي جيمة محمد (917 هـ / 1511 —
1512 م)
الجدوة (ص 152)
- ابن أبي جيمة محمد السجاني الهبطي صاحب
وقف القرآن (930 هـ / 1523 — 1524 م)
الجدوة ص 203
- ابن أبي جيمة محمد بن أحمد المغراوي المتعب
شقرن تليذ ابن غازي (حوالي 930 هـ /
1523 — 1524 م)
(الجدوة ص 203)
- ابن أبي جنون علي بن أبي القاسم التلمساني
قاضي مراكش
التكلمة ص 685
معجم ابن الأبار ص 288
الذيل والتكلمة ص 5
ت = ص 60
- ابن أبي جيدة عبد القادر بن أحمد الكوهن
(1254 هـ / 1838 م)
شجرة النور (ج 1 ص 397)
السلوة (ج 2 ص 169)
مهرس الفهارس (ج 1 ص 368)
له : « أمداد ذوي الاستعداد إلى معالم
الرواية والأسناد (مهرة) خع = 514
بروكلمان (ج 2 ص 881)
- ابن أبي جيدة محمد بن عبد الكريم بن عبد
السلام
المعروف ببهيرز بن أولاد أبي الأشقر الزرهوني
(1233 هـ / 1817 م)
ورد فلطا أن اسمه أحمد في فهرس الفهارس
(ج 1 ص 416)
له « بغية المرام تبين أخفت عنه من الأعلام »
يوجد طرف من أولها بخط المؤلف وعليها كتابة
تلميذه ابن رهمون بخزانة الأستاذ محمد
إبراهيم الكتاني .
نسخة بخزانة محمد بن مبارك الودغيري
د م = 1187
- ابن أبي حاج عبد الرحمن الفاسي
جدوة الأتباس ص 250 (نقلًا من المستند
للكتاني)
- ابن أبي حاج محمد بن علي بن عبد الرحمن
الجزولي
(في حدود 755 هـ أو 758 هـ / 1355 م أو
1357 م)
الجدوة ص 143
- ابن أبي العباب أحمد بن عبد العزيز بن المرح
القرطبي النحوي (400 هـ / 1009 م)
انباء الرواة ص 37
بغية الوعاة ج 1 ص 325
ابن بشكوال ص 20
ت = 83
- ابن أبي حاج موسى بن عيسى الفخومسي
(430 هـ / 1038 — 1039 م)
- ابن أبي حجلة أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد
الواحد
له ديوان الصبابة
خع = D 611 — D 1013
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 595)
معجم سركيس ص 28 — مكتبة محمد
الاستشرافي في دوشنبه بالاتحاد السوفياتي
- ابن أبي حريصة الحسن بن محمد بن يوسف بن
الحسن بن عبد الرحمن بن خلف الفاسي
تكلمة ابن الأبار ص 26
الجدوة ص 110
ت = 20 و 95
- ابن أبي الحسن عبد الرحمن الأزدي أبو جعفر
(576 هـ / 1160 — 1161 م)
الجدوة ص 251
- ابن أبي حفاظ إبراهيم بن يحيى مهدي بن عبد
الرحمن برهان الدين المتكاسي
(راجع إبراهيم)
- ابن أبي الفصال عبد الملك مسعود بن فرج بن
عطية الغافقي الكاتب (539 هـ / 1144 —
1145 م)
الجدوة ص 272
التكلمة ج 3 ص 610
ت = 49 و 112
بحث للأستاذ عبد الله كتون : رسالة ابن أبي
الفصال التي نال فيها من كرامة الموهدين
دموة الحق عدد 5 (1960)
- ابن أبي الفصال محمد بن مسعود
الجدوة ص 149
ت = 101
- ابن أبي الخير إبراهيم بن عبد الله اليزناسني
(راجع إبراهيم)
- ابن أبي الخير عبد الرحمن الفاسي المكي
الفسوء اللامع ج 4 ص 149
- ابن أبي ديبوس أحمد بن عبد السلام بن عثمان
(بن أبي ديبوس) الموحد
الدرر الكامنة ج 1 ص 182

- ابن أبي دلالة يحيى واضع العلامة عند أبي سعيد المريني (الجذوة ص 339)
- ابن أبي الدوس محمد (راجع ابن اغلب)
- ابن أبي راشد الوليدي (675 هـ / 1277 م) مؤلف كتاب الحلال والحرام الجذوة (ص 123) السلوة (ج 3 ص 262) سماه ابن القاضي في درة البحال (ج 1 ص 146) رضوان بن أبي راشد الوليدي
- ابن أبي الربيع أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد الكناسي الطنجي ابن بشكوال ص 90 طبقات القراء لابن الجوزي ص 58
- ابن أبي الربيع أبو الحسين عبيد الله بن أحمد ابن عبيد الله الأشبيلي السبتي (688 هـ / 1289 م) له « تفسير القرآن » كتاب نادر يوجد الجزء الأول منه في خلق (في 315)
- ابن أبي رهاء البلوي عبد الصمد بن عبد الرحمن صلة صلة ص 14 ت = 79
- ابن أبي الرجال عاي الشيباني الكاتب المغربي القيرواني (432 هـ / 1040 م) له : (1) كتاب البارغ في أحكام النجوم (خع = 465) مكتبة الجزائر (1516) الاسكوريال (918) باريز (2590) (2) منظومة في التنجيم شرحها ابن تينذ التسطيني تسمى « شرح منظومة ابن أبي الرجال » (خع = 101 ليها 79 ورقة) (3) أرجوزة في دليل الرمد (148 بيتا) خع = 1683 D — الجزائر (1460) ملحق بروكلمان (ج 1 ص 401) (4) أرجوزة في الاحكام النجومية (466 بيتا) خع = 930 D مع ثلاث نسخ اخرى D 266 bis D 101 D 262 بروكلمان ومعجم سركيس ص 31
- ابن أبي ركب مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله الغشنبي أبو نر تونى بناس عام 604 هـ / 1208 م سلوة الانناس (ج 3 ص 291)
- ابن أبي رومان المعافري عبد الله لسان الميزان ج 3 ص 286 ت = 157
- ابن أبي زرع علي بن عبد الله (أو ابن محمد) ابن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي (726 هـ / 1326 م) الاعلام للزركلي (ج 5 ص 121) كشف الظنون (ص 199 و 962) — ملحق بروكلمان (ج 2 ص 339) له « الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » طبع بناس اعوام 1303 — 1305 — 1307 ثم بالرباط بتحقيق الاستاذ الهاشمي الفلالي عام 1353 / 1936 Hesperis (جورج كولان) راجع نسخا مخطوطة في مكاتب باريس (1868) ومرسيليا (1638) والجزائر (1615) وتونس والمتحف البريطاني (ملحق رقم 597) وخع (= 588 D — 1481 D 798 — D 773) ملحق بروكلمان ج 2 ص 339 معجم سركيس ص 32 نقله الى اللاتينية ترنبورغ ونقل الى الالمانية بعناية فرائز دومباي Fr. de Dombay وطبع باغرام بالنمسا عام 1794 وترجم الى الاسبانية وطبع باشبونة 1828 ونقل الى الفرنسية على يد A. Beaumier تحت عنوان Roudh el Kartas, Histoire des souverains du Maghreb et annales de la ville de Fès, Trad. par A. Beaumier, Paris 1860 تاريخ بروكلمان ج 2 ص 240 ابن أبي زرع وابن عبد العظيم ، تحقيق عن مؤلف كتاب القرطاس للاستاذ محمد الفاسي ، مجلة تطوان ع 5 ص 1960 (1277)
- ابن أبي زيان العربي أبو حامد (1143 هـ / 1731 م) سلوة الانناس ج 1 ص 121
- ابن أبي ستة أحمد بن القائد عمر المراكشي (1292 هـ / 1875 م) الاعلام للمراكشي (ج II ص 227)
- ابن أبي ستة محمد الامين الاعلام للمراكشي ج 5 ص 230
- ابن أبي سرح عبد الله بن سعد العامري الصحابي (37 هـ / 657 م) الاستقصا ج 1 ص 35 الاعلام للزركلي (ج 4 ص 220)

- ابن أبي سرهان فهد الفهني بن مسعود الزموري
(تليد قاسم بن محمد الوزير الفساني)
من مصنفاته :
- (1) « القانون المفيد في علاج الحمى بقول
سديد »
خق = ق 294 .
- (2) كتاب في خواص النبات
أوله : باب في شرح أدوية باللسان
اليوناني والسرياني والفارسي والعجمي
مربيا على الحروف الأبجدية
(خع = D 955 — D 1363)
ويوجد أيضا بالمكتبة العامة بالرباط
مخطوط أسبه « تحفة الاحباب في
ماهية النبات والاعشاب » لمؤلف
مجهول في ست نسخ (خع = D 779
D 955 الخ)
فيه كشف عن رموز المادة الطبيعية
بالألفاظ المغربية
نقله الى الفرنسية :
- 1) A. Moyen - Journal de Médecine et de Phar-
macie de l'Algérie.
2) G. Salmon - Archives marocaines, T. 8, Paris,
1906.
3) Renaud et G. Colin, Paris, 1934.
- ابن أبي السرور عبد الرحمن بن محمد أبو زيد
الحسني الفاسي
الضوء اللامع (ج 4 ص 133)
- ابن أبي سنان علي بن أحمد بن محمد الأزدي
تكملة التكملة ص 235
- ابن أبي شامة إبراهيم النكالي
(راجع إبراهيم)
- ابن أبي شنب محمد الجزائري
له (1) « أمثال عرب المغرب والجزائر »
طبعت مع ترجمتها الفرنسية بباريس
1905 (1323)
وتحفة الأدب في ميزان اشعار العرب
الجزائر 1906
- (2) دراسة حول الاعلام الواردة في اجازة
الشيخ عبد القادر الفاسي
- ابن أبي صاحب الفهرسة مات بالمغرب
التكملة ص 576
ت = 44
- ابن أبي الصبر أبو يحيى رئيس نقباء بني مرين
الاستقصا ج 2 ص 47
- ابن أبي طالب عبد الرحمن اللخمي الفاسي
(717 هـ / 1318 م)
السلوة ج 3 ص 296
الجزوة ص 254
- ابن أبي طالب عبد الله بن علي بن محمد بن علي
يعرف بالكتاني (لعله تولى عام 1163 هـ /
1750 م)
سلوة الانناس ج 1 ص 299
- ابن أبي الطلاق الحسن بن علي احد شيوخ بني
مرين واهل شورايم
الاستقصا ج 2 ص 49
- ابن أبي الطلاق عيسى بن الحسين بن علي وزير
أبي عنان المريني وصاحب شورايم وعامل
جبل طارق
قتله أبو عنان عام 756 هـ / 1356 م
الاستقصا ج 2 ص 99
- ابن أبي طلاق محمد
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 196
(حدث عنه صاحب النهاج الواضح)
- ابن أبي الطواحين محمد الكتامي الفخاري
(الذي قتل مولاي عبد السلام بن مشيش)
الاستقصا ج 1 ص 197
- ابن أبي العافية إبراهيم
(راجع إبراهيم)
- ابن أبي العافية أحمد بن علي بن عبد الرحمن
قاضي مكناس (955 هـ / 1549 م)
جزوة الانتباس ص 81
درة الحال (ج 1 ص 51)
المغرب العربي في العصر الوسيط (ص 213)
- ابن أبي العافية سعيد بن محمد المكناسي
(788 هـ / 1387 م)
نيل الابتهاج ص 106
الجزوة ص 322
- ابن أبي العافية علي بن محمد بن إبراهيم السبتي
طبقات القراء ص 563
ت = 149
- ابن أبي العافية القاسم بن محمد بن عبد الرحمن
ابن إبراهيم بن موسى
(بعد 462 هـ / 1070)
الجزوة ص 343
الاعلام للزركلي ج 6 ص 16
- ابن أبي العافية محمد بن أبي القاسم بن علي
المكناسي (962 هـ / 1555 م)

له رحلة حجازية نقل عنها صاحب « نشر الماثي » في ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوي السريفي ونسبها له السلطان مولاي سليمان في كتابه « غاية اولي المجد » ضاعت حسب الاستاذ محمد الفاسي (د م = 1489)

ابن ابي العلي محمد بن حسون الشيخ الرئيس (عاش في عهد ابي سالم المريني) الاعلام للمراكشي ج 3 ص 284

ابن ابي عمران شمس الدين محمد بن موسى ابن النعمان الفاسي المراكشي المزالقي الاشبيلي الهناتاي (639 هـ / 1244 م) بروكلمان ج 1 ص 665 له : مصباح الظلام الخ الاسكوريال (530 - 746)

كاتالوج دار بريل brill (1050 H2 القاهرة (359 ر 1)

ابن ابي عمرة محمد التميمي حاجب ابي سالم المريني (789 هـ / 1388 م) الجذوة (ص 148) بنية الوعاة ص 137 - الجذوة ص 72 لسان الميزان ج 1 ص 203 الاحاطة ج 1 ص 179 (دار المعارف - مصر)

ابن ابي عنان المهدي المرابط (1213 هـ / 1799 م) تاريخ الضميف ص 364

ابن ابي عنان موسى المريني (788 هـ / 1387) الجذوة (ص 226)

ابن ابي العيش بن يربوع السبتي (راجع ابراهيم)

ابن ابي العيش عبد الرحيم بن محمد الانصاري معجم اصحاب الصدفى ص 246 ت = 77

ابن ابي هاجر عبد الرحيم بن مسعود الكتامي (بعد 390 هـ / 1000 م) مدارك عياض 229 ت = 129

ابن ابي غالب المغيلي محمد (898 هـ / 1493 م) الجذوة (ص 151)

ابن ابي غفرة علي بن محمد بن احمد بن موسى الخزامي التلمساني (789 هـ / 1388 م) له « تخرىج الدلالات السميعة على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية » يوجد بالقرويين الجزءان الاول والثاني في سطر واحد

ابن ابي العافية محمد بن احمد الزهني فاسي ازاجن ثم تطاوين (1115 هـ / 1704 م) تاريخ تطوان ل احمد داود ج 2 ص 286 - 294

ابن ابي العافية محمد بن احمد والد ابن القاضي (981 هـ / 1574) الجذوة ص 154

ابن ابي العافية محمد بن عبد الله بن ابراهيم (363 هـ / 973 م) الاعلام للزركلي ج 7 ص 97 الاستقصا ج 1 ص 83

ابن ابي العافية محمد بن محمد بن قاسم بن علي (راجع ابن القاضي)

ابن ابي العافية موسى (امير مكتاسة) الاستقصا ج 1 ص 80 - 83 الجذوة (ص 226)

وقد عرف بهذه الكنية اعلام نذكر منهم : ابن ابي العافية الكتندي الشاعر ابو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن خليفة الازدي (583 هـ / 1188 م) الوافي بالوفيات للصددي ج 3 ص 232 بنية الوعاة ص 65 وابن ابي العافية محمد الاشبيلي النحوي اللغوي المغربي (509 هـ / 1116 م) الوافي بالوفيات للصددي (ج 3 ص 180)

ابن ابي عامر المنصور محمد بن عبد الله (392 هـ / 1002 م) الوافي بالوفيات ج 3 ص 312 الاستقصا ج 1 ص 91 النتح ج 1 ص 373

ابن ابي عبيدة احمد بن عبد الصمد محمد بن احمد بن عبد الرحمن الفخرجي (توفي بغاس عام 582 هـ / 1187 م) مهرة عياض ص 70 الديباج ص 68 - الجذوة (ص 70) ت = 86

ابن ابي عرفة احمد بن محمد ابو حاتم السبتي المصفي الدرر الكامنة ج 1 ص 261

ابن ابي عزيزة عبدون بن علي الطنجي معجم البلدان ج 6 ص 62 ت = 52

ابن ابي عسيرة احمد الفاسي الفهري (1137 هـ / 1724 م)

- (د 1828) والجزء السادس والاخير (400)
 طبع بتونس وهو اصل الترايب الادارية لعبد
 الهي الكتاني
- ابن ابي فوناس الزرهوني منصور بن مسلم بن
 عبدون
 (معجم الصنلي 195)
- ابن ابي محمد القاسم ابن نصر الفجيجي الثوري
 له شرح على صغرى السنوسي في التوحيد
 ثلاث نسخ في خع = 1053 D - 927 D
 - 74 D
- مهرس مكتبة الجزائر رقم 670
 ورد عند بروكلمان (الملحق ج 2 ص 353)
- ابن ابي قود علي بن احمد بن ابراهيم الازدي
 تكتلة التكتلة من 225
 ت = 56
- ابن ابي احمد محمد المغيلي
 مفاخر البربر من 48
 له « أنساب البربر وملوكهم »
 من مصادر « أخبار البربر » (نقل عنه من
 48 وبعده)
- ابن ابي محلى احمد بن عبد الله بن محمد
 السجلماسي (1022 هـ / 1613 م)
 كتاب نشر الماني (ج 1 ص 121)
 نزهة الحادي من 180
 دوكانستر في 1 السعديون (اتجلفرا من
 465)
 (هرويه مع زيدان)
 الاعلام للزركلي ج 1 ص 155
 كتاب لاحد التواتي في ترجمته اسمه « مائة
 التخلي والتعلي من صحبة ابي محلى »
 (الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 87)
- من مصنفاته 1) « منجنيق الصخور لهم
 بناء شيخ الفرور ورأس الفجور »
 رد فيه على عبد الحكم بن عبد الكريم
 ابن احمد الجراري السوسي يوجد
 بخزانة مدينة تارة
 (وقف عليه الاخ محمد ابراهيم الكتاني)
- 2) يوجد مجموع في خق = ق 338 يحتوي
 على : « سم سامة في تطبيع احساء
 مفارق الجماعة » رد فيه على عبد الحكم
 المذكور وعلى منجنيق الصخور والسيف
 البارقي مع السهم الراسق .
- 3) « مغازا الوسائل وهو دج الرسائل في
 مرج الارج ونفحة الفرج الى سادة
- مصر وقادة المصر » او « اصليت
 الخريت في قطع بلعوم المعريست
 الفريت »
 مرغ منها عام 1016 هـ / 1607 م)
 توجد بدار الكتب المصرية عدد 431
 والمكتبة الملكية بالرباط
- ابن ابي مدين ابو الفضل بن محمد
 كاتب الجباية والمسكر في دولة ابي الحسن
 المريني
 الاستمصاص ج 2 ص 75
- ابن ابي مدين عبد الله شميم بن مخلوف الكتاني
 الفقيه الكاتب الوزير قتله السلطان ابو الربيع
 سليمان المريني
 الاستمصاص ج 2 ص 48
 (راجع الجذوة ص 246)
- ابن ابي مدين شميم محمد بن عبد الله العثماني
 الجذوة (ص 145)
- ابن ابي مروان عبد الصمد الهلثاني الصنهاجي
 (النشوف ص 395)
- ابن ابي مسلم يزيد والي المغرب
 الاستمصاص ج 1 ص 46
- ابن ابي ملوك عبد الرهمان القيسي الفاسسي
 (493 هـ / 1100 م)
 سلوة الانناس ج 3 ص 295
 الجذوة من 249
 ت = 110
- ابن ابي المهاجر اسماعيل بن عبيد الله
 الاستمصاص ج 1 ص 46
- ابن ابي نعيم ابو القاسم القاضي (قتل عام
 1032 هـ / 1623 م)
 الاستمصاص ج 3 ص 122
- ابن ابي يحيى ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي
 بكر التمولي التازي
 (راجع ابراهيم)
- ابن ابي يزيد المغربي ابو محمد
 تذكرة الحفاظ ج 3 ص 262
 ت = 159
- ابن بي يعزي احمد العرائشي كان قائد مكناس
 عام 1112 هـ - 1700 م
 هو الذي جمع ديوان قبائل مكناس بأمر
 السلطان مولاي اسماعيل
 (مخطوط في خزانة محمد المنوني بمكناس)
 د م = 89

- ابن أبي يفلوسين عبد الرحمن أمير مراكش
الاستقصا ج 2 ص 135
- ابن أجروم محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
الفاسي أبو المكارم يدعى منديل (723 هـ /
1323 م)
سلوة الأنفاس ج 2 ص 112
الجزوة (ص 145)
شجرة النور ص 217
السلوة ج 2 ص 156
نيل الابتهاج ص 380
ابن أجروم والمكودي لعبد الله كنون (كتاب
خج = 9278 C)
بغية الوعاة ص 102
بروكلمان ج 2 ص 332
- ابن أخطا عبد الله بن عمر
سلوة الأنفاس ج 2 ص 105
- ابن أهدى عشرة المغربي محمد بن حسين
طبقات القراء ص 134
معجم ابن خير ص 450 و 123
ت = 27
- ابن أحمد (مدينة)
وجادات وتقاير خاصة
- ابن أحمد دام سيدي عبد الله البوهسني
(من صدر القرن الثالث عشر الهجري)
الوسيط ص 287
- ابن أحمد التاطلي الشكدالي اليوسفي العمري
أبو القاسم (1244 هـ / 1828 م)
سلوة الأنفاس ج 3 ص 210
- ابن أحمد أبو محمد الصحراوي (القرن الثاني
عشر الهجري)
سلوة الأنفاس ج 1 ص 225
- ابن أحمد عبد الله الكناسي (المعروف بابن
أحمد)
الضوء اللامع ج 5 ص 76
- ابن الإهمر أبو سعيد فرج بن اسماعيل صاحب
مالقة (احتلاله سنة عام 703 هـ)
طرده منها ومساخرته لملك المغرب (709 هـ)
الاستقصا ج 2 ص 40 — 48
- ابن الإهمر اسماعيل بن أبي الحجاج يوسف أبو
الوليد النصري (807 هـ / 1404 م) أو
(810 هـ / 1407 م)
الإعلام للزركلي (ج 1 ص 318)
الإحاطة (ج 1 ص 221) اللحة البدرية
(ص 65) النجوم الزاهرة (ج 9 ص 25)
الدرر الكامنة (ج 1 ص 375)
- السلوة ج 3 ص 256 الجزوة ص 99
لمرس الفهارس ج 1 ص 100
بحث عبد القادر زمامة — مجلة البحث
العلمي عدد 2 (1964)
(مستودع العلامة)
بحث محمد بن تاويت (البحث العلمي عدد
5/4 — 1965)
- من مصنفاته : 1) « حديقة النسرين . في
أخبار بني مرين »
(راجع الجزوة والنفع وأزهار الرياض
ونتيجة التحقيق للسناوي)
مكتبة باريز (5024)
نقله إلى الفرنسية أبو علي الفوئسي
وجورج مارسى مع النص العربي وطبع
بباريز 1917
عثر ليلى بروفنصال على نسختين عام
1923
- 2) النحة النسرنية واللحة المرينية
(الاسكوريال = 1773)
- 3) نهرة فكرها صاحب الجزوة (ص 99)
في ترجمة إبراهيم بن عبد الصمق
السنواوي (755 هـ / 1354 م)
وفكر صاحب السلوة (ج 3 ص 257)
أن له برنامجا في أشياخه ونقل عنه في
ترجمة المقرئ الكبير (ج 3 ص 271)
- 4) مستودع العلامة ومستبدع العلامة ذكر
فيه من تولى العلامة من الكتاب
بالمغرب والاندلس
طرف منه عند أبي الملاء ادريس بن
الماهي الادريسي نسخة منه في خس
(دم = 1116)
- 5) نثير الجمان من أهل المائة الثامنة من
من الفرسان أو نثير افراد الجمان فمين
نظمتنا وآياه الزمان ومن أبوابه باب في
شعر كتاب بني مرين وقضاة المغرب
وما قبل من الشعر في سيف منار
القرويين (دار الكتب المصرية عدد
1963)
نسخة عند الحاج محمد التطواني أصلها
من مصر (453 ر III) وأخرى
بالمكتبة الملكية بالرباط
- تاريخ بروكلمان ج 2 ص 370
وقد طبعت دار الثقافة (بيروت 1967)
« نثير لمرائد الجمان في نظم محمول
الزمان » بتحقيق الأستاذ محمد
رضوان الداية

- 6 مشاهير بيوتات فاس
راجع ترجمة أبي زيد الفاسي في تاريخ بروكلمان ج 2 ص 340
- ابن الأحرر عبد الله بن عمر بن اسماعيل بن نصر ابن همام بن إبراهيم (804 هـ / 1401 م) له «روضة النسرين في دولة بني مرين» نسختان في الجزائر (1737) وأكاديمية ليبيا (254) تاريخ بروكلمان ج 2 ص 241 وتوجد نسختان في خـع (1604 D و 1428 D) منسوتان لاسماعيل بن الأحرر
- ابن الأحرر عبد الوهاب بن التاودي (يعرف بابن الأحرر) (حوالي 1260 هـ / 1845 م) سلوة الانفاس ج 3 ص 27 كشف الحجاب ص 206
- ابن الأحرر محمد بن يوسف بن محمد (671 هـ / 1273 م) الاستقما ج 1 ص 198 ج 2 ص 105 النتج ج 1 ص 421
- ابن الأحرر محمد الفقيه والد محمد البخـوع (701 هـ / 1302 م) الاستقما ج 2 ص 40
- ابن الأحرر يوسف بن اسماعيل (مشاركته في وقعة طريف) الاستقما ج 2 ص 66 و 94
- ابن الأحرر عبد الله بن أحمد الأنصاري القرموني النحوي مات بعد 670 هـ / 1272 م بنية الوعاة ج 2 ص 33
- ابن ادريس الحسيني إبراهيم (راجع إبراهيم)
- ابن ادريس : ادريس بن علي الادريسي (يدعى ابن ادريس) الجعطي التونسي الفاسي (1106 هـ / 1694 م) سلوة الانفاس ج 1 ص 97
- ابن ادريس الصقلي أحمد الأعرج (1171 هـ / 1757 م) سلوة الانفاس ج 1 ص 184 من خلال الوثائق التاريخية دموة الحق عدد 7 (1960) التاري عبد الهادي
- ابن ادريس عبد العزيز بن عبد الرحمن
- ابن ادريس عبد الله العراقي (1234 هـ / 1819 م) سلوة الانفاس ج 3 ص 13 شجرة النور ص 380
- ابن ادريس عبد الواحد بن ادريس الطاهري سلوة الانفاس ج 2 ص 87
- ابن ادريس علي التبر (1155 هـ / 1743 م) سلوة الانفاس ج 1 ص 103
- ابن ادريس عمر بن ادريس بن عبد الله الكامل سلوة الانفاس ج 1 ص 83
- ابن ادريس محمد (الأمير) (221 هـ / 836 م) الجذوة (ص 128)
- ابن ادريس محمد بن محمد العمراوي الفاسي ابن الحاج الزموري (1264 هـ / 1847 م) الاملام للمراكشي (ج 5 ص 1263) الانتاح (ج 4 ص 189) مواصل الجمان (ص 40) السلوة (ج 1 ص 86 و ج 2 ص 362) معجم قبائل العرب ص 827 البحث العلمي عدد 1 (1964) الناصر الفاسي ترجمه محمد بن الحسن الحجوي في كتاب سماه « النفس النفيس في ترجمة الوزيموس ابن ادريس » عبد الله كنون في مشاهير اعلام المغرب من انتاجه :
- 1) تصيدة (46 بيتا) في مدح شفاء عياض مطلعها :
بحكم الحب قلب الصب راخص
فلمست تراه يوما ذا اعراض
خـع = 158 D
- 2) تصيدة دالية في الجهاد (111 من الابيات)
خـع = 1388 D
- 3) تصيدة في مدح سبعة رجال براكش (31 بيتا)
مطلعها :
مز الفتى ذله بباب مولاه
ويسره لقره لمن تولاه
خـع = 158 D
- 4) ديوان جمعه ولده ابو العلاء ادريس رتبه على حروف المعجم يقع في سطرين يوجد النصف الاول بالخزانة الفاسية ونسخة تامة عند رئيس جامعة ابن يوسف براكش (خـع الآن)

- ابن ادريس احمد بن محمد اليميني (1113 هـ / 1702 م)
كتاب في ترجمته لـ احمد بن محمد بن
أبي بكر الدلاي المعروف بالسناوي
(1136 هـ / 1724 م)
اسمه « التمريف بالشيخ أبي العباس أحمد
ابن محمد بن ادريس اليميني »
خج = 471 (ضمن مجموع)
- ابن انفال أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
الدرمي العارف (من أهل القرن العاشر
الهجري)
الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 91)
نشر الثاني ج 1 ص 126
درة الحجال ج 1 ص 88
- ابن الأزرق محمد بن علي قاضي الجامعة بفرناطة
(895 هـ / 1490 م)
له « بدائع السلك في طبائع الملك »
(لخص فيه مقدمة ابن خلدون مع زوائد)
خج = D 582 — 1340
ملحق بروكلمان ج 2 ص 962
الفتح — طبعة ليدن ج 1 ص 940
ابن الأزرق شارح ابن خلدون
الحسن السائح
دعوة الحق عدد 3 — 1967
وله : « روضة الاعلام بمنزلة العربية من
علوم الاسلام » نقل منه في فتح الطيب وقد
عثر عليه محمد ابراهيم الكتاني في مكتبة
تايكروت (خج) وتوجد نسختان بالمكتبة
الملكية بالرباط
- ابن ازنيط أحمد بن محمد بن أحمد المراكشي
(حوالي 1290 هـ / 1874 م)
الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 225)
- ابن أسود محمد المديوني
مناخر البربر ص 61
ت = 15
- ابن أسود محمد بن علي بن عمر الفسائلي
(748 هـ / 1348 م)
الجزوة (ص 187)
- ابن الأشبيلي علي بن محمد بن خليل الأصلي
الاندلسي (567 هـ / 1181 م)
الجزوة (ص 304)
- ابن الأشبيلي يحيى بن محمد بن يحيى بن علي
القيسي
صلة الصلة ص 182
الجزوة ص 341
ت = 82
- ابن الأشعث محمد الصفري
الاستمسا ج 1 ص 57
- ابن الأشقر عبد الله
الجزوة (ص 237)
- ابن الأشهب أحمد الثائر بفاس (ذكر ميسارة أن
حديثا ورد فيه في الجامع الكبير للسيوطي)
الاستمسا ج 3 ص 123
- ابن الأشهب علي بن محمد بن منصور بن علي
الصنهاجي التلمساني (791 هـ / 1389 م)
الجزوة (ص 311)
- ابن الأثيري عبد الله بن محمد الصنهاجي
التكلة ص 527
ت = 39
- ابن أصبغ الأزدي ابراهيم بن عيسى
(راجع ابراهيم)
- ابن أصبغ الأزدي عبد الولي بن محمد القرطبي
نزيل فاس
الجزوة (ص 279)
- ابن أصناك يعقوب القائد المريني
الاستمسا ج 2 ص 45
- ابن الأعرج السليمان بن محمد بن محمد الشاعر
المؤرخ (1344 هـ / 1926 م)
الادب العربي في المغرب الاقصى لـ أحمد بن
العباس القباج (ج 1 ص 41)
قصيدة (53 بيتا)
مطلعها :
- سلا هل وادي الجواهر من ترب
وهل أنبتت حافاته عاقل المشب
نظيها أثناء حصار الجيش الفرنسي لفاس
عام 1329
خج = D 1254
له ديوان في مجلد (د م = 1752) عند ولده
الاستاذ عبد المالك
له مؤلفات مخطوطة عند ولده وفي المكتبة
الملكية بالرباط وفي خج
- ابن أفشيمت محمد عثمان المجلسي
الوسيط ص 358
- ابن أفشيمت مولود المجلسي (كان حيا بمعد
1320 هـ / 1903 م)
الوسيط ص 356
- ابن أغلب ابراهيم الزروالي
(راجع ابراهيم)
- ابن الأغلب ابراهيم
(راجع ابراهيم)

- ابن الاغلب عبد الله بن ابراهيم بن احمد الاغلب التميمي أمير تونس والقيروان (290 هـ / 903 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 186)
ابن خلدون (ج 4 ص 205)
البيان لابن مغازي (ج 1 ص 133)
اعمال الاعلام (ص 17)
- ابن الاغلب عبد الله بن ابراهيم بن سالم ابو العباس (201 هـ / 817 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 186)
- ابن الغلب محمد بن ابي الدوس المرسي (511 هـ / 1118 م)
الكلمة ص 147 الجنوة ص 156
- ابن اقسام ابراهيم (راجع ابراهيم)
- ابن افلاطون (راجع ابن عربي الحاتمي)
- ابن افول ابراهيم (راجع ابراهيم)
- ابن اقبال محمد بن عبد الرحمن المريني الطالع السعيد ص 294
طبقات القراء ج 2 ص 160
ت = 162
- ابن اقدار احمد
دوحة الناشر (96)
- ابن اكنوشن محمد محمود
الوسيط لابن الامين ص 83
- ابن اكرماني محمد بن عبد الله الولائي المدعو مولاي الشريف
الاعلام للمراكشي ج 5 ص 48
ثبت تلميذه علي الدبناني المراكشي (الباب الرابع)
الثبت الكبير لصالح اللاني
- ابن اما المختار
الوسيط لابن الامين ص 239
- ابن الامام ابراهيم بن محمد (راجع ابراهيم)
- ابن الامان محمد الجزولي
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 276
- ابن ام قاسم حسن بن قاسم المرادي بدر الدين الدرر الكائنة (ج 2 ص 116)
- ابن امقشاب (او انقشا بو حسب النيل)
عبد الرحمن بن سعيد الصنهاجي قاضي
- ازمور (النيل ص 277)
له « كثر الاسرار ولوائح الامكار »
خج = D 555 — D 639
ملحق بروكلمان ج 2 ص 344
- ابن املال الفاسي محمد بن علي المديوني (856 هـ / 1453 م)
نيل الابتهاج ص 326
السلوة ج 3 ص 86
- ابن الامير علي الزرهوني المكناسي
معجم البلدان ج 4 ص 388
ت = 57
- ابن الامين احمد بن محمد الفاسي نزيل رداثة (توفي بعد 1271 هـ / 1854 م)
له « الاعلام بوفيات العلماء الاعلام » (راجع سوس العمالة للمختار السوسي)
- ابن الامين بن الحاج البوهسني (من اهل القرن الثالث عشر الهجري)
الوسيط ص 336
- ابن امينة خلف بن مسعود الجراوي المليبي صلة ابن بشكوال ص 179
المدارك لعياض ص 265
- ابن انبوح احمد بن محمد الصغير
الوسيط لابن الامين ص 89
- ابن انطول غوسية تائد الملبشبة الاجنبية في عهد ابي سالم المريني (762 هـ / 1360 — 1361 م)
الاستقصا ج 2 ص 122
- ابن ايفيل الاقاوي الشاهر (1387 هـ / 1968 م)
المسول ج 16 ص 261
- ابن ايوب ابراهيم التكورني (راجع ابراهيم)
- ابن اي عبد الله
الوسيط ص 342
- ابن باب التجاني بن احمد بيب
اوائل 1260 هـ / 1845 م)
الوسيط لابن الامين ص 69
- ابن باج سليمان بن عبد الملك (قاضي سبنة)
الكلمة ص 297
الذيل والكلمة ص 4 ص 74
ت = 64
- ابن باجة ابو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصائغ التجيبي Avampace (533 هـ / 1138 م) (وهو الأرجح)

- الوافي بالوفيات للسدي (ج 2 ص 240)
السلوة (ج 3 ص 264)
وفيات الايمان (ج 2 ص 9)
الاعلام للزركلي (ج 8 ص 6)
ابن أبي أصيبعة (ج 2 ص 62)
تلائد العقيان (ص 300)
ياتوت (ج 6 ص 125)
تاريخ بروكلمان (ج 1 ص 830)
صدرت له مؤلفات وطبعت له رسائل
راجع S 830 (ملحق تاريخ بروكلمان ج 3 ص
1237)
- ابن باديس عبد الحميد بن محمد المصطفى بسن
مكي
1359 هـ / 1940 م)
الاعلام للزركلي (ج 4 ص 60)
- ابن باديس عبد الله بن عبد الله اليحصبي
(622 هـ / 1226 م)
تكلمة الصلة لابن ابار (ج 3 ص 513)
الجنوة (ص 240)
- ابن البارقي محمد بن حسن بن محمد اليحصبي
(734 هـ / 1334 م)
الجنوة (ص 186)
- ابن باق محمد بن حكم بن محمد بن احمد ابو جعفر
توفي بناس 538 هـ / 1444 م
بغية الوعاة ج 1 ص 96
تكلمة الصلة لابن ابار ج 1 ص 174
ت = 134
- ابن ببيش العبدري
مجلة تطوان 1964 عدد 9 ص 179
- ابن البجلي محمد بن اسحاق
مسالك البكري ص 117
ت = 16
- ابن بديون الوزير ابو مروان ابو القاسم عبد
الملك بن عبد الله الحضرمي الشبلي السبتي
(608 هـ / 1211 م)
ملحق بروكلمان (ج 1 ص 579)
له شرح تصيدة ابن بديون
وهي الرائية التي رثى بها المتوكل عام 447 هـ
1092 م
ومطلعهما :
الدهر يجمع بعد العين بالانسر
فما البكاء على الاشباح والصور
خغ = D 1450 (119 ورقة)
معجم سرقيس ص 45
اعتنى بطبعه دوزي - ليدن 1846 - 1848
- ابن البراء الجزيري احمد بن محمد بن عبد الله
القاسم ابن القاسم (اوائل القرن السادس)
مهترسة عياض ص 38
ت = 166
- ابن البراء محمد بن عبد الله التميمي الجزيري
(من اهل الجزيرة الخضراء) في حدود
الخمسمائة (1107 م)
التكلمة ص 192
مهترسة عياض ص 38
ت = 22
- ابن بروجان (ابن ابي الرجال) عبد الرحمن
نيل الابتهاج ص 134
- ابن بروجان ابو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن
ابن عبد الرحمن بن ابي الرجال بن محمد
الاشبيلي اللخمي (مخف من ابي الرجال)
627 هـ / 1230 م
التكلمة ص 645
المبر للذهبي ج 4 ص 100 / صلة الصلة
ص 31 و 646
بغية الوعاة ج 2 ص 95
شذرات الذهب ج 5 ص 124
ت = 51
تاريخ بروكلمان ج 1 ص 775
- ابن بروجان او ابي الرجال محمد بن عبد الرحمن
اللخمي
التكلمة ص 559
ت = 44
- ابن بركات عبد اللطيف العربي
الاعلام للبراكشي ج 1 ص 73
- ابن البري علي بن محمد بن علي الرباطي التازي
(730 هـ / 1330 م)
من مصنفاته :
ا) رجز في مخارج الحروف (برلين 548)
ب) الدرر اللوامع في اصل مقرا الامام نافع
(242 بيتا)
مكاتب برلين (643) والمتحف البريطاني (91)
والاسكوريال (1406) والجزائر (960)
والفاتكان (376 ر V) والقاهرة
(19 ر 1) وباريز (1077) خمس نسخ
في خغ = D 815 الخ (تاريخ بروكلمان
ج 2 ص 248) وقد نسبها بروكلمان الى
الشريفي الجزيري (ج 2 ص 349)
شهرها :
1) محمد بن عبد الملك المنتوري القيسي

- مدريد (6) حق (231) الجزائر (380) — (389) —
 يحيى بن سعد السملالي (793 هـ / م 1391) الجزائر (377) الزيتونة (160 ر II) Hesperis XVIII
 عبد الرحمن الثعالبي (842 هـ / م 1438) الجزائر (405)

4 حسين بن علي بن طلحة الركاكبي (899 هـ / م 1493) الجزائر (379)
 5 محمد بن سعيد الانصاري (الجزائر) (381)

6 ابو سرحان مسعود بن محمد جنوع المغربي (شجرة النور الزكية ص 327) خع = 805 D

7 المختار بن الجوامع في محادة الدرر اللوامع لعبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي (842 / 1438 م) الزيتونة 173 ر I القاهرة 22 ر I — الجزائر 1324

8 النجوم الطوالع لابراهيم بن احمد المرفيني التونسي

9 ايضاح الاسرار والبدائع لمحمد بن محمد ابن عمران الفزراوي ابن المجراد السلاوي باريز (5036) — القرويين (246 ر 251) — طنجة (75)

10 الكافي في علم القوامي (الاسكوريال 330) بروكلمان ج 2 ص 350

ابن بري موسى بن ياسين مولاي صالح بن ادريس التكلة ص 378 الفيل ص 171 ت = 33

ابن بسام علي الشنتروني الاندلسي (542 هـ / م 1147) الاعلام للبراكسي (ج 5 ص 72) مجلة البحث العلمي عدد 8 (العام الثالث) المغرب في حلى المغرب (طبعة المعارف ج 1 ص 417) له « الفخيرة في محاسن اهل الجزيرة » ثمانية مجلدات (154 ترجمة)

ابن بشارة الزموري شيخ ابن عرفة (860 هـ / م 1456) نيل الابتهاج ص 329

ابن بشكوال ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود القرطبي (578 هـ / م 1183) الوفيات (ج 1 ص 172) تذكرة الحفاظ (ج 4 ص 13) الديباج (ص 114) المغربي (ج 2 ص 42 و 122) التكلة (ج 1 ص 54)

مصنفاته :

1 (الملة في اخبار ابية الاندلس (الاسكوريال 1677) جعلها نيلا على تاريخ ابن الفرسي في رجال الاندلس نشرها Codera كويدرا الاسباني في جزئين (مدريد 1883 - 1300) ولابن الخطيب مائد الملة ذيل به ملة ابن بشكوال (راجع درة العجال)

2 كتاب الفواض والبهيات (راجع ابراهيم بن محمد سبط ابن الاعجمي (841 هـ / م 1438) (ج 2 ص 67)

3 القرية الى رب العالمين في فضل الصلاة على سيد المرسلين (الاسكوريال 1745) — برلين (2910)

4 كتاب المستفيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات والمضرمين اليه بالدموات والرفيات (حاجي خليلية ج 5 ص 526) كاتالوج بريل: Brill H2 (لميد 1886)

5 الفوائد المنتخبة والحكايات المستفوية الفانكان 128 ر V بروكلمان ج 1 ص 580

6 شيوخ ابن وهب (مخطوط بغزانة الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني)

ابن البصري الكناسي محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن ابي موسى عمر ابن البصري الكناسي

له مهترسة من اكبر الفهارس في نحو 40 كراسة اسمها : « اتحاف اهل الهداية والسداد بما يهيم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطول الاسناد » فرغ منها عام 1206 هـ / م 1791 الاصل بخط المؤلف في الغزاة الزيدانية (المكتبة الملكية بالرباط)

- ابن البصير ابراهيم الركابي
(راجع ابراهيم)
- ابن بطلان الصنهاجي الازموري الاعلام للمراكشي
ج 4 ص 8
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم
اللوآتي الطنجي (779 هـ / 1377 م)
الدرر الكامنة ج 4 ص 100
الاعلام للزركلي ج 7 ص 114
ابن بطوطة - عبد الله كنون
(خع = 9278 C)
رحلة ابن بطوطة (الطاهر زنيبر)
دموة الحق 1959 (عدد 10)
ابن بطوطة - جمال الدين الرمادي - مجلة
البينة 1963
(خع = 1376 |)
- ابن بقي يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي
الواظف السلاوي (563 هـ / 1167 م)
التكلمة ص 372 الذيل والتكملة ص 195
الجدوة ص 341 ت = 66
ذكر ابن القاضي في نفس الصلحة يحيى بن
محمد بن عبد الرحمن التادلي المتوفى مسلم
(576 هـ)
- ابن بقي يحيى بن عثمان بن سعيد الفاسي
(حوالي 608 هـ / 1210 م) ت = 32
التكلمة ص 376
- ابن بكار يحيى بن عبد الله المحمدي
السلوة (ج 2 ص 266)
الجدوة (ص 342)
- ابن بلا البشير الايشي (1333 هـ / 1915 م)
المسول ج 19 ص 260
- ابن بلقين او بلقين عبد الله بن باديس بن حبوس
ابن زيوي الصنهاجي آخر ملوك بني زيوي في
غرناطة (483 هـ / 1090 م)
الاعلام للزركلي ج 4 ص 202
له مذكرة طبعها ليبي برونصال بعضها نقلها
عن مخطوط القرويين ثم طبعت بدار المعارف
ببصر 1953
- ابن بليمة المليبي الحسن بن خلف ابن عبد الله
الهوراري
طبقات القراء ص 211 ت = 148
- ابن البناء احمد بن محمد بن عثمان الازدي
(721 هـ / 1321 م)
الدرر الكامنة ج 1 ص 278
الاعلام للمراكشي ج 1 ص 373
نيل الابتهاج ص 40
الجدوة ص 73 - السلوة ج 2 ص 52
- ابن البقار محمد بن ابراهيم بن حزب الله
(كان حيا بعد 582 هـ / 1187 م)
التكلمة ص 372
الذيل والتكملة ص 144
ت = 29
- ابن البقال ابو حامد (687 هـ / 1289 م)
السلوة (ج 3 ص 259)
درة الحجال (ج 1 ص 137)
- له تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب
الاسفار (خق = 1285)
طبعت مرارا منها عام 1322 و 1346
وترجمت الى اللغات
- A. Charbonneau, Voyage du Cheikh I.B. à tra-
vers l'Afrique septentrionale et l'Egypte, Paris,
1852.
- The travels of I.B. by Hussain, Lahore 1898,
Travels of I.B. by H.A.R. Gibb, London, 1929.
F.A. Bustani الروائع 4/6 B.B. Bairût, 1927.
- كراتشكونسكي : تاريخ الادب الجغرافي
المصري (طبعة الجامعة العربية - مجلدان)
مهذب رحلة ابن بطوطة هذبها احمد
المواري - اسطنبول 1315/9
- الذيل على فصل الاخوة الفتيان التركية في كتب
الرحلة لابن بطوطة اسطنبول 1351
- مختصر لفتح الله بن محمود البيهوني المصري
الانصاري
Brill (Leyde) H' 689, 270
- طبع على الحجر عام 1278 بالقاهرة
(بروكلمان ج 2 ص 366)

- (5) القانون لترحيل الشمس والقمر في
النازل ومعرفة اوقات الليل والنهار
(المتحف البريطاني) (407)
- (6) الجسارة في تعديل الكواكب السبارة
(المتحف البريطاني = 977) شرحه
ابن القنفود (١) (تحصيل الطالب
في تعديل الكواكب (خع = 512 مكرر)
ويوجد كذلك « القصد الاسنى في حل
اشارات ابن البنا » (زاوية سيدي
حمزة)
- (7) رسالة في الانواء باريز 6020 (وتوجد
له رسالة في علم المساحة (برلين =
5945)
- (8) الفصول في الفرائض : شرح يعقوب
ابن ايوب بن عبد الواحد الموحدى -
(خع = 539)
- (9) مراسم الطريقة في علم الحقيقة :
الاسكوريال (1479 ر 1501 -
1556) - خع = (293 - 490)
نسختان بوازان
- (10) شرح الارجوزة
(وتوجد للحسن ابن احمد بن البناء
رسالة اسما « المثية في السكوت
ولزوم البيوت » 28 Dam. Z.
اشار اليها بروكلمان ج 2 ص 364)
- ابن البناء احمد بن محمد بن يوسف التجيبي
السرستبي
« المباحث الاصلية من جملة الطريقة
الصوفية »
منظومة في 473 بيتا
اولها : باسم الآله في الامور ابدأ
اذ هو غاية لها ومبدأ
ثلاث نسخ في خع = D 984 - D 1388
- D 113
اوردها ملحق بروكلمان (ج 2 ص 359)
(خع = 98)
شرحها ابن عجيبة في الفتوحات الالهية في
شرح ..
خع = 98
- ابن البناء محمد بن ابراهيم اللخمي بن الرامسى
(ألتومى بتونس عام 734 هـ / 1334 م)
له : « الاملان في احكام البنيان »
ثلاث نسخ في خع = D 668 - D 1418
(D 7) الزيتونة (274 ر IV)
(ملحق بروكلمان ج 2 ص 346
ومعجم سركيس ص 1588)
- الاعلام للزركلي ج 1 ص 213
درة الحجال ج 1 ص 5
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 255
مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد
المجلد 6 (عدد 1 - 2)
تقييد لمحمد بن ابي بكر بن عبد المهين الحضرمي
(الاعلام للمراكشي ج 1 ص 379)
من مصنفاته : (1) تلخيص في عمل الحساب
توجد مخطوطات في المتحف البريطاني
(417 ر 180) والمكتب الهندي (770)
واكسفورد (207 ر 1) والاسكوريال
است نسخ منها 280 و 933)
والجزائر (613) والقاهرة 179 ر V
وتلمسان (30) وزاوية سيدي حمزة
(Hesperis, XVIII 96)
وببروت (323) وخع = 526)
- شرحه القلمادي (891 / 1486)
زاوية سيدي حمزة Hesperis, XVIII,
باريز (2464) تطوان (227)
- رفع الحجاب عن وجوه عمل الحساب
Beirut, Raad V, 136
- عبد العزيز بن داود المصرايى :
الاسكوريال (948, 949, 953)
زاوية سيدي حمزة (96)
باريز 2643 - اكسفورد 76 ر 1
المكتب الهندي (770)
- تخسيس على تحفة الطلاب لابي الحسن
علي بن هيدور (الماتكان 1403 ر V)
غرناطة (= 21 Sagro Monte)
زاوية سيدي حمزة (Hesperis)
- محمد بن الحسن المغربي (خع = 526)
- حط النقاب على وجه عمل الحساب لابن
القنفود (١) (خع = 531)
- ابن زكرياء الاوسى : الاسكوريال (929 -
934)
- (2) المقالات في الحساب : برلين 5974
- (3) تنبيه الالباب على مسائل الحساب
(الجزائر 613) والمتحف البريطاني
(420)
- (4) منهاج الطالب لتعديل الكواكب لابي
العباس بن محمد الأزدي (زاوية
سيدي حمزة) الجزائر (= 1454)

- ابن الفينا محمد بن احمد بن ابي بكر المقدسي البشاري (ولد عام 375 هـ / 985 م) دخل الى مدن الاندلس والمغرب وتكلم عنها في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) طبع القسم الثاني في ليدن 1877 ثم طبع مع ترجمة فرنسية في ليدن 1906 ثم الجزء الاول في كلكتة بالهند (1897 - 1901) (معجم المطبوعات من 1773)
- ابن الفينا القفطي محمد بن صالح بن حسن شمس الدين تلميذ ابن دقيق العيد (698 هـ / 1299 م) الوالي بالونيات للصفدي ج 3 ص 157
- ابن بنجو المؤدب الجذوة (من 127) نقلا من المستند للكتاني
- ابن بوجيدة الطيب ابن جلون الفاسي الرباطي (1226 هـ / 1812 م) الاغتباط ج 2 ص 66
- ابن بوراس محمد بن احمد العسكري من مصنفاته : (1) رحلتي ونحلتني في تعداد رحلتي « تحدث ليها من رحلاته المتعددة للحجاز ومصر والشام والمغرب ووصف مدينة فاس حيث وصل عام 1218 هـ / 1803 م
- (2) فهرست اسمها « لب المياخي في عدة اشياخي »
- ابن بوشناية محمد بن معروف (1218 هـ / 1803 م) احد تلامذه مولاي العربي الدرقاوي له « برنامج الاشياخ » نسبا له صاحب الطبقات في ترجمة الشيخ العربي الخ
- ابن بون المختار الحنكي الوسيط لابن الامين (من 277)
- ابن بو يحيى عبد القادر السلوة (ج 3 ص 336)
- ابن بيرة احمد بن محمد بن علي بن احمد الانصاري له « تاريخ حبل في التعريف بين قدم مراكش من العلماء » (راجع ابن عبد الملك في تكملة ج 1 ص 176 بخزانة الترويين) ذم = 39
- ابن تاحضريت عسكر (وزير السلطان المريني علي بن عثمان بن يعقوب) المنهزم في وقعة طريف والجزيرة الخضراء عام 741 هـ / 1341 م الاستمصاص (ج 2 ص 67)
- ابن تاحيبيست عبد الله ابن حريز الفاسي (608 هـ / 1212 م) السلوة (ج 3 ص 174) الجذوة (من 137)
- ابن التاخي الطيب بن عبد الرحمان السلوة (ج 2 ص 355)
- ابن تاشفين ابراهيم (راجع ابراهيم)
- ابن تاشفين يوسف (500 هـ / 1107 م) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 188 الجذوة ص 342 معجم ابن خير ص 299 الاستمصاص ج 1 ص 101 ت = 123 دعوة الحق - عدد 10 (1959) دعوة الحق - عدد 4 (1961)
- ابن تافراجين ابو محمد الوزير الحنفي الاستمصاص ج 2 ص 64
- ابن تاميت (ابن تاميت في الشذرات) احمد بن محمد بن حسين اللواتي الفاسي (657 هـ / 1258 م) شذرات الذهب ج 5 ص 288 الجذوة (من 57)
- ابن تامصت خليفة بن يحيى البرغواطي الصلة من 184
- ابن تبال علي بن سليمان بن ابراهيم النفزي البغوي الجواميري (514 هـ او 515 / 1121 / 1122 م) التكلة من 235 ت = 59 و 61
- ابن تيدي تونارت الادارك من 332 ت = 131
- ابن تجلات محمد بن محمد بن عبد الله بن تجلات الهزميري المراكشي السلوة (ج 3 ص 358) له « ائمة المبتين ونزعة الناظرين في مناقب الاخوين ابي زيد و ابي عبد الله الهزميريين »
- ابن تاحضريت محمد بن العباس وزير ابي الحسن المريني وعامل بني مرين الاستمصاص (ج 2 ص 67)

لابي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبندق
عثر عليه في الاسكوريال وطبع طرما بنه
وترجمه ليلي بروفنسال بباريز عام 1928
(خع = ج 221)

André Julien - Histoire de l'Afrique du Nord, p.
388-394.

Montagne - Le Berbère et le Makhzen, p. 28, 60,
167, 299, 401.

Deverdun - Marrakech, p. 151.

من مصنفاته :

(1) « محاذي الوطا »

يوجد بالترويين في جزء ضخم بخط
أندلسي في رقي الغزال (ل 40 / 181)
(سياه بروكلمان في تاريخه ج 1 ص
697 « مختصر الوطا »)

(2) تلخيص كتاب مسلم (ي 403)

(3) امر ما يطلب في اصول الفقه

(4) عقيدة المرشدة
راجع بحث الاستاذ عبد الله كون
مجلة البحث العلمي عدد 9 (1966)

H. Massé, la profession de foi et les
guides spirituels du Mahdi, B.T. in
Mémoire (Basset 105/21).

Lévi-Provençal, Ibn Toumart et Ab-
del Moumen le Fakih de Sous et
le flambeau des Almohades, Mé-
moire H. Basset, 1928.

Goldziher, le livre de Mohammed
B.T. Mahdi des Almohades, texte
arabe accompagné de notes (Al-
ger, 1903/1321).

في مكتبة جامع ابن يوسف براكش شرح
مجهول المؤلف لرسائل ابن تومرت (راجع
مراكز المخطوطات بالمغرب لعبد ابراهيم
الكتاني)

ابن تومرت (اصحاب)
« كتاب الانساب في معرفة الاصحاب »
مجهول المؤلف

عثر على بعضه في الاسكوريال طبع مع
اخبار ابن تومرت للبندق

— ابن تومرت محمد بن علي الاندلسي (391 هـ /
1001 م)

ملحق تاريخ بروكلمان ج 1 ص 303
وسياه بروكلمان في تاريخه (ج 1 ص 424)
محمد بن محمد

على الجزيرة الخضراء (حوالي 762 هـ /
1361 م)

الاعلام للبراكشي ج 3 ص 316
الاستقصا (ج 2 ص 67)

— ابن تقسط زاوي بن مناد بن عطية بن منصور
الصنهاجي (539 هـ / 1145 م)

معجم اصحاب الصلبي ص 89 ت = 75

— ابن تقنة العز بن محمد ابو تميم (488 هـ /
1092 م)

— الصلة ص 446

ت = 14

— ابن تكور محمد مولود بن محمد
الوسيط لابن الامين ص 220

— ابن تلاكين يحيى بن عمر اللاتوني
الاستقصا ج 1 ص 101

— ابن التلاميذ محمد محمود التركي
الوسيط (ص 381)

— ابن تليلا عبد العزيز الجزولسي (680 هـ /
1282 م)

درة الحجال (ج 2 ص 380)

— ابن تمام يحيى السبتي

المدارك ص 266 ت = 5

— ابن تميم اليفرنسي الكناسي (753 هـ / 1353 م)
الجدوة (ص 59)

— ابن تودة في عهد السعديين

دوكاستر ج 1 في 2 (فرنسا) ص 529

— ابن تولو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن
اهمد بن اهد التينجلي القرشي

(685 هـ / 1286 م)

بنية الوعاة ص 322 ت = 139

— ابن تومرت عبد الواحد الهسكوري الاسود
(اللثوف ص 362)

(ابن تونارت في نسخ اخرى استشهد في غزوة
الارك 591 هـ / 1195 م)

— ابن تومرت محمد بن عبد الله المصمودي
(524 هـ / 1130 م)

الوافي بالوثبات للصلدي ج 3 ص 323

طبقات الشامية للسبكي ج 4 ص 71

النجوم الزاهرة ج 5 ص 254 ت = 106

مجلة البحث العلمي عدد 9 (العام الثالث)

الاستقصا ج 1 ص 130

اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

من مصنفاته :

- (1) نظرة الصانع في سمة الطبائع (66
صفحة)
خج = 1466 D
- (2) « كنز العلوم والدر المنظوم في حقائق
علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة »
في الطب (بروكلمان ج 1 ص 424)
توجد منه نسخ مخطوطة في المكتبة
الخدوية يشير بعضها نارة السى أن
اسم والد المؤلف هو علي وثارة أخرى
محمد أو محمود ويرى كولد زبهر
في كتابه
(Md. I.B.T. et la Théologie de l'Islam
dans le Maghreb au Onzième siècle).
- ان الكتاب هو للمهدي بن تومرت
وسبب الخلط بين الرجلين راجع الى
كون الكتاب يبحث مسائل صوفية ولديه
نقد لنظرية التجسيم
- ابن تونارت عبد الحق بن يوسف الصنهاجي
المدوي (حوالي 640 هـ / 1243 م)
بغية الوعاة ص 295
ت = 138
- ابن تونارت عبد الحلیم الايلاني
(التشوف ص 247)
(راجع عنوان الدراية ص 153)
- ابن تيبست عبد المنعم بن محمد المراكشي
(كان حيا عام 598 هـ / 1202 م)
التكلمة ص 157
الجنوة ص 278 ت = 50
- ابن تيفلويت اللمتوني
(راجع ابراهيم)
- ابن ثابت يحيى بن ابي القاسم
صلة الصلة ص 190
ت = 83
- ابن جابر الخزومي
(راجع ابراهيم)
- ابن جابر محمد بن احمد المراكشي القيسي
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 67
(راجع الذيل والتكلمة)
- ابن جابر شمس الدين محمد بن احمد بن علي
ابن جابر الهوارى الاندلسي الفريز
(780 هـ / 1378 م)
- بغية الوعاة ص 14
الدرر الكامنة ج 3 ص 339
شخرات الذهب ج 4 ص 268
البدر الطالع للشوكاني ج 2 ص 93
بروكلمان ج 2 ص 6
- ابن جابر محمد بن يحيى الفسائي المكناسي
(827 هـ / 1424 م)
الذيل (ص 297) — الروض المبتون
الجنوة (ص 200)
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 367
له :
- (1) « المرعبة العليا في تعبير الرؤيا »
خج = 292 (130 ورقة)
- (2) « نزهة الناظر » جزء في التعريف
ببلده مكناسة الزينون (من مصادر
الروض المبتون) (الاتحاف ج 3 ص
592)
- ابن جاندسة عبد الرحمن البنانى
الموسوعة الاسلامية (ج 1 ص 1051)
- ابن جامع احمد الزروالي تلميذ ابي عمرو القسطلي
المراكشي
(1021 هـ / 1613 م)
الاعلام للمراكشي (ج 2 ص 81)
نشر الثاني (ج 1 ص 114)
- ابن جامع محمد اليوسفي
السلوة (ج 2 ص 181)
- ابن الجباب احمد بن عبد الرحمان الصنهاجي
(من ازمور) (572 هـ / 1177 م)
الاعلام للمراكشي (ج 5 ص 234)
التشوف (ص 311)
- ابن جبالي محمد النهوي (781 هـ / 1380 م)
الجنوة (ص 147)
- ابن جبل الهمداني عبد الله بن محمد الوهراني
دنين مراكشي
التكلمة ص 527 ت = 39
- ابن جبل الهمداني محمد بن علي بن مروان
(601 هـ / 1205 م)
التكلمة ص 374
ت = 31
- ابن هبلة ابو موسى عيسى بن يحيى
التكلمة ص 249
الذيل والتكلمة ص 80
الجنوة ص 282 ت = 63

- ابن هبيرة محمد بن أحمد الكفائي
الأنطلسي (614 هـ / 1217 م)
المصري (ج 1 ص 714) و (ج 2 ص 300)
ملحق بروكلمان ج 4 ص 879
له رحلة اسمها « تذكرة بالآخبار عن اتفاقات
الاسفار » نشرها ويليام رايت Wright
الانجليزي (1852 م / 1269 م)
Leyden 1907
وطبعت بمصر وبيروت ومخطوطاتها نادرة
منها واحدة بالزاوية الحمزاوية بالمغرب
- ابن الحد أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى
الجزوة ص 168 ت = 102
- ابن جراح محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى
ابن هشام الخزرجي تولى بناس عام 547 هـ
1153 م
(النسخ ج 2 ص 356)
- ابن جزري عبد الله
عبد الله ابن جزري وكتابه : مطلع اليمن
والأقبال في انتقاد كتاب الاحتفال
دموة الحق عدد 5 (1967)
- ابن جزري محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن
يحيى الكلبي الفرناطي (741 هـ / 1340 م)
(ملحق بروكلمان ج 2 ص 377)
من مصنفاته :
- (1) نظم في تصدير أعمار تصيدة أسرى
القيس
خج = D 1134 (38 بيتا)
- (2) فهرست كبيرة اشتملت على كثير من
رجال المشرق والمغرب
- (3) « التسهيل لعلوم التنزيل »
أربع نسخ في خج = D 627
(680 — 1181 — A — 1181)
- ابن جزري محمد بن محمد بن أحمد بن محمد
المؤرخ (758 هـ / 1357 م)
الدرر الكامنة ج 4 ص 282
الإحاطة ج 2 ص 194
الإعلام للمراكشي ج 3 ص 286
- ابن جعفر عبد الملك
(الذيل والتكملة ص 25)
- ابن جعفر أحمد الكفائي (1340 هـ / 1922 م)
ترجمته بقلمه ولولده محمد إبراهيم « والدي
كما عرفته » وترجمه أخوه محمد في النبذة
(السيرة مخطوط في خج) ومؤلفاته تناهز
المائة
- ابن جعفر محمد الكفائي (1345 هـ / 1926 م)
له سلوة الإناس وعدة مؤلفات مطبوعة
ومخطوطة
الدرر البهية (ج 2 ص 121) — تأليف لولده
محمد الزمزمي بعنوان « ذكريات »
- ابن حمونة الفاسي محمد بن عمر بن مالك
المعافري
طبقات القراء ج 2 ص 218
ت = 149
- ابن جلال محمد بن عبد الرحمن التلمساني
(981 هـ / 1574 م)
شجرة النور (ص 285) الدوحة (ص 90)
الجزوة (ص 206) النيل (371)
البيستان لابن مريم (ص 260)
النشر (ج 1 ص 93) السلوة (ج 2 ص 26)
إجازة ابن شنب (ص 22)
- ابن جلول أبو عياد الوريانلي (1163 هـ /
1750 م) السلوة (ج 1 ص 150)
- ابن جلون أحمد بن الطاهر (1234 هـ / 1819 م)
الأغبط ج 1 ص 30
- ابن جلول عبد الجليل
السلوة (ج 3 ص 107)
- ابن جلول علل الكومي الفاسي (1272 هـ /
1856 م)
كشف الحجاب لسكيرج ص 466
السلوة ج 1 ص 253
- ابن جلون محمد بن أحمد (1136 هـ / 1723 م)
نهرس النهارس (ج 1 ص 225)
له فهرست استفاد منها سليمان الحوات في
« الروضة المقصودة »
- ابن جلون محمد بن الطيب بوجيدة الرياطي
(1230 هـ / 1815 م)
الأغبط ج 1 ص 119
- ابن جلون محمد بن الحاج عبد السلام المنفي بن
هلال (أو بن علي) (1298 هـ / 1881 م)
نهرس النهارس ج 1 ص 225 — ج 2 ص
484
السلوة ج 2 ص 364
ملحق بروكلمان ج 2 ص 886
- مصنفاته :
- (1) فهرست يوجد طرف منها في خس
(2) « سفر الإجازات » جميع فيه إجازات
أشياخه ذكر صاحب ف . ف (ج 2 ص
385) أنها بخرانته .

- 3) جزء الاحاديث المتواترة (طبعة ناس)
- 4) جزء معين غير المنطوق
- 5) انتشاق الفرج بعد الازمة من حفرة
المسمى عين الرحمة
- 6) اسباب النذارة بالاربعين المختارة
- 7) كناية المحتاج في حكم استعمال الحلوى
والديباج
خج = 1231 D
- 8) نصيحة ذوي الهمم الاكياس في بعض ما
يتعلق بخلطة الناس
خج = 640 D
ملحق تاريخ بروكلمان المذكور ومعجم
سركيس من 716
- ابن جلون محمد (فتحنا) بن محمد قاضي الرياط
(1234 هـ / 1819 م)
الاغتباط ج 1 ص 130
- ابن جباح عبد الله بن ابراهيم الكتامي السبتي
صلة ابن بشكوال ج 1 ص 293
- ابن جواهر سليمان
(الذيل والتكملة ص 55)
- ابن جيوح ابو الفضل مسعود بن محمد الفاسي
(1119 هـ / 1707 م)
السلوة ج 2 ص 180
Histoire des Chorfa, L. Provençal, p. 291
له « نفاثي الدرر من اخبار سيد البشر »
(215 ورقة)
خج = 677 D
- ابن الجهيل حسن بن علي بن محمد بن فرج
الكلبي السبتي (571 هـ / 1176 م)
تكملة ابن الأبار ص 26 ت = 19
- ابن الجهيل عثمان بن حسن بن علي بن محمد بن
فرج الكلبي السبتي أخ عمر الأبي
(634 هـ / 1237 م)
التكملة ص 662
صلة الصلة ص 76
بغيد الوعاة ص 322
لسان الميزان ج 4 ص 133 ت = 54
- ابن الجهيل عمر بن حسن بن علي بن محمد بن
فرج الكلبي السبتي (633 هـ / 1235 م)
تذكرة الحفاظ ج 4 ص 205
التكملة ص 660
صلة الصلة ص 73
- عنوان الدراية ص 159
الذيل والتكملة ص 49
بغية الوعاة ص 360
لسان الميزان ج 4 ص 292
- ابن جهيلة سميد بن محمد
الجنوة (ص 322)
- ابن الجناوي محمد بن أحمد
(أوائل القرن الرابع عشر الهجري)
الاغتباط ج 1 ص 171
- ابن الجناوي محمد بن علي بن الطيب تاضي الدار
البيضاء (تبديل 1330 هـ / 1912 م)
الاغتباط ج 1 ص 186
- ابن الجواد مولود بن أحمد
الوسيط لابن الأمين ص 190
- ابن جوهر أحمد الوجدي
(كان حيا عام 1000 هـ / 1592 م)
درة الحجال ج 1 ص 86
- ابن العباب ابراهيم بن موسى أبو اسحاق
(راجع ابراهيم)
- ابن العيار أبو عبد الله محتسب سبته
ترجمة ابنته عائشة في مجلة تطوان 1964
عدد 9 ص 187
- ابن جيدة أحمد بن محمد بن محمد المديوني
الوجدي الوهراني (951 هـ / 1545 م)
الجنوة (ص 81)
السلوة (ج 3 ص 249)
دوحة الناشر (ص 100)
- ابن هاتم أحمد الفاسي
الضوء اللامع للسفاوي
(ج 1 ص 268)
- ابن هاتم روح والي المغرب
الاستقصا ج 1 ص 59
- ابن هاتم يزيد والي المغرب
الاستقصا ج 1 ص 58
- ابن الحاج ابراهيم
(راجع ابراهيم)
- ابن الحاج ابراهيم بن عبد الله التميمي
(راجع ابراهيم)
- ابن الحاج أبو عمرو عثمان بن محمد العبدي
(663 هـ / 1265 م)
الذيل والتكملة لابن عبد الملك (ق 5 ص 138)

الورد الي ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد «
 خع = 111 (130 ورقة)
 (الاستمصاص ج 4 ص 151)
 السلوة ج 3 ص 4
 الدرر البهية (ج 2 ص 327)

مؤلفاته :

(1 ديوان (خع 337)
 (2 المقامات الحمدونية (القاهرة 373 ر III)
 (3 المقصور في علمي العروض والقوافي
 (خع = 292 - 297)
 (4 حاشية على شرح المختصر (القاهرة
 296 ر I)

(5 الخريدة في المنطق (خع = 497) مطبوعة
 وله أيضا (السلوة ج 3 ص 5) تفسير سور
 من القرآن ومنظومة في السير على نهج البردة
 اشتملت على نحو 4000 (أربعة آلاف) بيت
 شرحها في خمسة أسفار طبع منها
 طرف ، وأرجوزة في علم الكلام ونظم
 الحكم العطائية ونظم مقدمة ابن حجر وشرحها
 المسمى « نحة المسك الداري » (مطبوع)
 وله وتريات على نسق وتريات البغدادي
 له ديوان جمعه ولده الشيخ الطالب بقع في
 مجلد ضخم (خع = 250)
 وديوان في مدح مولاي سليمان اسمه
 « النوايح الثغالية في المذائح السليمانية »
 (بخزانة الشاهين بناس) والمكتبة الملكية
 بالرباط
 وديوان في مدح بعض علماء ناس من معاصريه
 اسمه « روضة التيلومر في ثناء الناس عليه
 وبعض مناقبه التي هي اعظم من الأخر »
 خع = 383 (218 ورقة)

— ابن الحاج عبد الرحمن بن جعفر بن ابراهيم بن
 أحمد الماعفري ذو الوزارتين (معجم أصحاب
 الصدفى ص 233) ت = 77

— ابن الحاج عبد العزيز بن علي بن محمد بن
 سلمة السهاتي المعروف بالطحان دخل مدينة
 ناس عام 554 هـ / 1160 م تولى بحلب
 تكلمة الصلة ج 3 ص 628

— ابن الحاج عبد الله بن عبد الرحمن بن همدون
 (وهو أخو أبي الليث حمدون بن الحاج)
 (1213 هـ / 1799 م)
 (شجرة النور 373)
 السلوة (ج 3 ص 34)
 تاريخ تطوان ج 2 ص 297

— ابن الحاج أحمد الرجراحي الرباطي
 له « الشمس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة »
 المطبعة الوطنية — الرباط 1954 — 1935

— ابن الحاج أحمد العربي الفاسي (1109 هـ /
 1698 م)
 شجرة النور ص 328
 مهرة ادريس المنجرة ومهرة محمد بن
 عبد السلام بناني

— ابن الحاج أحمد بن محمد بن أحمد السلمي
 المرداسي (1133 هـ / 1721 م)
 سلوة الأنفاس ج 1 ص 156
 السلوة (ج 1 ص 153)
 مهريس الفهارس (ج 1 ص 79)
 له مهرة جمعها له تلميذه محمد بن عبد
 السلام بناني
 (راجع ابن الحاج أحمد بن محمد بن أحمد)
 في (شجرة النور 332)

— ابن الحاج أحمد بن محمد بن همدون (1316 هـ /
 1899 م)
 من مصنفاته :

(1 الدرر الطبية الهداة للحضرة الحسنية
 الحسنية (402 صفحة)

(2 ذكرى المولد الشريف وعادة أسلاف
 أمير المؤمنين المولى الحسن فيها وأول
 من فعلها
 في 10 كراريس عند الأخ محمد المنوني
 ضمن مجموع

(3 رسالة صادرة من الحسن الأول السى
 ابن الحاج
 ورد نصها في الإعلام (ج 2 ص 248)
 بخزانة محمد المنوني بكناس

— ابن الحاج أحمد بن محمد الأزدي الأشبيلي تلميذ
 السلويين أمام العربية في عصره (647 هـ أو
 651 هـ / 1250 م أو 1254 م)
 شجرة النور ص 184

— ابن الحاج جعفر بن ابراهيم بن أحمد الماعفري ذو
 الوزارتين
 معجم الصدفى ص 68

— ابن الحاج الأفرائي الحسن (1350 هـ / 1932 م)
 المسؤل ج 10 ص 33

— ابن الحاج همدون بن عبد الرحمن بن همدون بن
 عبد الرحمن (1232 هـ / 1817 م)
 ترجم له ولده محمد الطالب في « رياض

السلوة (ج 1 ص 157)
الدرر البهية (ج 2 ص 330)
مؤلفاته :

(1) الازهار العاطرة النثر في المسادى
المشر (طبعة فاس 1317)

(2) رياض الورد الى انتمى اليه هذا الجوهر
الفردي

خج = 396 و 111
ملحق تاريخ بروكلمان ج 2 ص 882

(3) « روض البهار في ذكر شيوخنا الذين
مفضلهم اجلى من شمس النهار »
نسخة بخزانة اولاد الجابري بفاس

(4) عقد الدرر واللال من شرفاء عقبة ابن
صوال (الكتانين) (خج)
(د م = ج 2 ص 298)

- ابن الحاج محمد المدني ابن علي كنون (1302 هـ
1885 م)

السلوة (ج 2 ص 364) الدرر البهية
(ج 2 ص 366)

مهرس المهارس (ج 1 ص 375)
ملحق تاريخ بروكلمان ج 2 ص 886

مؤلفاته :

(1) الزجر والاقناع بزواجر الشرع المطاع
عن آلات اللهو والسماح

(2) الدرر المكنونة في النسبة الشريفة
المصونة

(3) التسلية والسلوان لمن ابطل بالاذابة
والبهتان (طبع فاس = 1301 -
1303)

(4) نصيحة الناظر المرمان لاهل الاسلام
والايهان في التحذير من مخالطة اهل
الغيبة والتمنية والبهتان »

(5) نصيحة ذوي الهمم الاكياس في بعض ما
يتعلق بخلة الناس (طبع فاس 1303)

وقد وهم بروكلمان منسب الى المدني
كنون معظم مصنفات التهامي كنون
وغيره كالاربعينيات في فضل الصلاة

على النبي (eb 1308) وفضل
الحج (eb 1302) والزكاة

(S. 1308) وشرح ارجوزة في
التبليغ في ليلة المبيت للسيوطي

(S 187) وهداية المحب المحتاج (فاس
1307) والدرر الذرية المستنيرة
(فاس 1285 و 1309) كما نسب

- ابن الحاج عبد الله بن محمد بن سليمان القرطبي
الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 258

- ابن الحاج علي بن البقال الفصاوي
الدوحة (ص 32)

راجع سلوة الانفاس ج 2 ص 236

- ابن الحاج عماد الدين ابو البركات البغيتي
استاذ ابن خلدون والحضرمي وابن الخطيب
(771 هـ / 1370 م)

له « الانصاح فيمن عرف بالاندلس
بالصلاح »

شجرة النور (ص 229)
الاعلام للزركلي (ج 7 ص 269)

- ابن الحاج فتى
الوسيط لابن الامين ص 87

- ابن الحاج الرقاق قاسم بن محمد بن مبارك
الاموي

(توفي بعد 559 هـ / 1160 م)
التكلمة ص 701
الجدوة ص 319
طبقات القراء ص 24
ت = 64

- ابن الحاج محمد بن ادريس العمراوي
(راجع ابن ادريس)

- ابن الحاج محمد بن احمد بن خلف التجيبي بن
ابراهيم القرطبي القاضي الشهيد (قتل بجاف
قرطبة عام 529 هـ / 1135 م)

شيخ مياض وابن سماعة وابن بشكوال
ازهار الرياض ج 3 ص 61

الصلة لابن بشكوال ص 522
معجم الصدفى ص 114

شجرة النور (ص 127 - 132)
الوافي بالوفايات للسندي (ج 2 ص 94)

ومن مائة ابن الحاج محمد بن احمد بن
قاضي الجماعة ابي الوليد بن ابي عمر
التجيبي الاندلسي امام المالكية بدمشق
(718 هـ / 1319 م) (الوافي ج 2 ص 144)

- ابن الحاج الافرائي محمد بن الحاج (1346 هـ /
1928 م)

المسؤل ج 10 ص 7

- ابن الحاج محمد الطالب بن همدون بن عبد
الرحمن (1274 هـ / 1857 م)

« الاشراف على بعض من فاس من مشاهير
الاشراف » (وهو من مصنفته)
خج = 653 D

الاعلام للزركلي (ج 7 ص 40)
الاعلام للمراكشي (ج 5 ص 311)

(2) شمس الانوار وكنوز الاسرار (القااهرة
346 ر ٧)
باريز (2709 / 440) خع = 472

وقد نسب نسب له بروكلمان الازهار
الطبية النثر وهي كما تقدم للشيخ
الطالب بن الحاج كما اشار الصدي في
الوافي بالوفيات الى «كتاب البدع» على
انه غير «المدخل» .

— ابن الحاج محمد بن محمد الانصاري الخرجي
خطيب جامع الزيتونة بتونس
كان مبره 104 اموام عام 846 هـ / 1443 م
الضوء اللامع للسفاوي (ج 10 ص 40)

— ابن الحاج يحيى بن محمد بن فرج بن فنج
المجريطي (515 هـ / 1122 م)
صلة ابن بشكوال ج 2 ص 611

— ابن الحارثي محمد الطاهر العزوي الاوروي
(لعله كان حيا عام 1118 هـ / 1707 م)
الاغتباط ج 2 ص 63

— ابن هادم محمد الجنوة ص 133 ت = 97
— ابن الهياك احمد بن سعيد المكاسي (بعد 870 هـ
1466 م)
السلوة (ج 3 ص 246)
الجنوة (ص 63) النيل (ص 67)

— احمد بن محمد الهياك الفاسي النحوي (938 هـ
1532 م)
السلوة (ج 3 ص 249)
النيل (ص 77) الجنوة (ص 66)

— ابن الهياك محمد بن احمد بن ابي يحيى التلمساني
(867 هـ / 1462 م)
النيل ص 333
البستان لابن مريم ص 219
بروكلمان (ج 2 ص 256)
مصنفاته :

(1) بنية الطلاب في علم الاسطرلاب (162
بيننا) برلين (5.800) خع = 208
(وغيره)
باريز (2.524) — الجزائر (1458)
زاوية سيدي حمزة 89 ر. Heperis VIII
اكاديمية بيننا (329)

شرحها :

(1) محمد بن يوسف السنوسي (892 هـ
1486 م) في عمدة ذوي الالباب

اليه تاليف سيدي محمد كنون المعروف
بكنيون وهو « حل الاتصال لقراء جوهره
الكمال (1320) واصل هذا الخطا
الخط الذي وقع فيه بروكلمان حيث لم
يبرز خاصة بين الرجلين فترجم لرجل
واحد هو كما يقول « محمد بن الحاج
عبد السلام المدني (التهامي) بن علي
كنون »

— ابن الحاج محمد بن عبد الله بن محمد التجيبي
القرطبي (641 هـ / 1244 م)
التكلمة ص 356
بغية الوعاة ج 1 ص 141
الاعلام للزركلي ج 7 ص 110

— ابن الحاج محمد بن علي بن عبد الله
وزير مهندس فرناطي بدار الصنامة بسلا
(توفي بغاس عام 714 هـ / 1315 م)
الاعلام للزركلي ج 7 ص 175
(راجع الجنوة ص 180 حيث سباه محمدا
ابن علي بن محمد)

— ابن الحاج محمد بن محمد بن ادريس العمراوي
الفاسي
(راجع ابن ادريس)

— ابن الحاج ابو القاسم محمد بن محمد بن احمد بن
لب تلميذ ابن رشد وابن العربي (575 هـ /
1180 م)
شجرة النور ص 152

— ابن الحاج محمد بن محمد بن عبد الله العمراوي
(راجع ابن ادريس)

— ابن الحاج المبدري محمد بن محمد بن محمد بن
الحاج الفاسي المبدري القيرواني التلمساني
المصري درس بغاس (توفي بالقاهرة عام
737 هـ / 1336 م)
شجرة النور (ص 218)

الوافي بالوفيات للصدي (ج 1 ص 237) —
الديباج ج 1 ص 328
(الدرر الكامنة ج 3 ص 369) و ج 4 ص
237 — الجنوة (ص 142)
عبد الله كنون — ابن الحاج الفاسي (خع =
9.278)
الاعلام للزركلي (ج 7 ص 264)
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 83

مصنفاته :

(1) مدخل الشرع الشريف (برلين 3519)
القااهرة (313 ر II) و (357 ر I)

- مكتاب الجزائر (613 — 1458)
المحف البريطاني (408) زاوية سيدي حمزة
- (ب) شرح بدون اسم المؤلف
اكاديمية فيينا (344)
- (2) شرح روضة الأزهار (ملحق بروكلمان ج 2 ص 365)
- (3) تحفة الحساب في عدد السنين والحساب
- (4) نيل المطلوب في الميل بريح الجيوب (خع = 1525 D)
- ابن الحبحاب عبيد الله والي المغرب
الاستتصاح ج 1 ص 48
- ابن حيوس الفاسي محمد بن الحسين بن عبد الله الشامر (570 هـ / 1175 م)
التكلمة ص 371
مطرب ابن دحية ص 295
الذيل والتكلمة ص 86 ت = 28
الواني بالونيات للسندي ج 3 ص 16
- ابن حبيب الله المجبدي محمد
الوسيط لابن الأمين ص 214
- ابن حجاج ابراهيم الاشبيلي
(راجع ابراهيم)
- ابن حجاج احمد بن محمد الاندلسي
له تاليف في علم الفلاحة
خج = 1410 D — 1413 D
- ابن حجاج الحسن بن يوسف الهواري (598 هـ / 1202 م)
تكلمة ابن ابار ص 26
الجزوة ص 111 ت = 20
- ابن حجة ابو محمد قاسم دخل مدينة ناس
الجزوة (ص 319)
- ابن حجة شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى التلمساني الحنبلي (776 هـ / 1365 م)
الدرر الكامنة (ج 1 ص 331)
شذرات الذهب (ج 4 ص 240)
الحناوي — تعريف الخلف ج 2 ص 42 / 53
ملحق بروكلمان ج 2 ص 5 — له ديوان الصباية :
مكاتب ليزيغ (615) وباريز (5915 — 6296) وكمبريدج 4/5/7 ودوشمبسة (روسيا)
- ابن الحداد احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن خليل بن ماسويه بن همدان الديباج ص 71
- ابن الحداد عبد الرحمن ابو القاسم بن اسماعيل الازدي التونسي (تولى براكش في حدود 640 هـ / 1243 م)
طبقات القراء ص 366
بغية الوعاة ج 2 ص 78 .
ت = 44 — 139
- ابن الحداد عيسى احد تلاميذ ابي الحسن بسن حرزهم
الجزوة (ص 282)
- ابن الحداد محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن ابي زيد الفاسي
الدرر الكامنة ج 4 ص 116
- ابن حدادة موسى المرسي (723 هـ / 1323 م)
الجزوة (ص 231)
- ابن حديج معاوية والمغرب العربي
الاستتصاح ج 1 ص 36
- ابن حديدة محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن غالب ابن يعلى البخاري
التكلمة ص 346 ت = 26
- ابن حذافة احمد بن بصرة المغرب (مدارك عياض، ص 83)
- ابن الحرار حمزة بن يوسف
مدارك عياض 332 ت = 131
- ابن حرزهم اسماعيل بن محمد بن عبد الله الفاسي
سلوة الانناس ج 3 ص 71
- ابن حرزهم صالح بن محمد بن عبد الله
الجزوة ص 233
الروض لابن عيشون — التشوف (ص 71)
السلوة ج 3 ص 69 ت = 107
- ابن حرزهم علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن سومران (559 هـ / 1164 م)
الاستتصاح ج 1 ص 185
الذيل ص 182
الجزوة ص 293
- ابن حرزهم علي الحفيد
الجزوة (ص 303)
- ابن حرزوز ابو علي محمد بن عيسى بن عبد الله (عام 960 هـ / 1552 م)
الدوحة ص 62
الاستتصاح ج 3 ص 13
له « الكوكب الساري في اختصار البخاري »
خج = 240
وقد ورد شخص آخر يحمل نفس الاسم هو :

- (5) كتاب أسواق العرب (كتاب غريب لم
يشير إليه أحد)
- (6) ذكر أوقات الإمراء وأيامهم بالاندلس
(ابن عساکر - تاريخ دمشق ج 3 ص
280)
- Documents pour la diplomatie musulma-
ne, époque du Prophète et des Khalifs
orthodoxes, Paris 1935.
- (7) الاحكام في اصول الاحكام (القاهرة
377 ر 236 II)
- (8) كتاب المحلى (في الفقه بالانار في شرح
المحلى بالانصار)
(القاهرة 279 III)
الجزء الثالث من المحلى مبتور في حق
= ق 303
- (9) ابطال القياس والراي والاستحسان
والتقليد والتعليل (Gotha 640)
- (10) مسائل اصول الفقه (القاهرة =
1343) (ضمن مجموعة الرسائل
المنيرة)
- (11) الاصل الى فهم الخصال طبقات
السبكي ج 1 ص 268)
- (12) كتاب الاصول والفروع من قول الائمة
Sehíd A - 2704 (Andalus II, 3)
- (13) رسالة في مسألة الكلب
(eb. 8, eb 15)
- (14) رسالتان له اجاب فيهما من رسالتين
سئل فيهما سؤال التعنيف
(eb 9, eb 15)
- (15) رسالة في الامامة (eb 11, eb 19)
- (16) رسالة في الغناء الملهي ابداع هو ام
ام محظور ؟ (eb 25)
- (17) مراتب الاجماع 1892 Bank XIX,
- (18) كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل
الاسكوريال (1824) برلين (873)
- (19) النبذة الكافية في اصول احكام الدين
(بعضها في برلين = 5376)
- (20) رسالة البيان من حقيقة الايمان
(المكتبة العربية الاسبانية) (997 III,
- 708 I)
- (21) كتاب فيه رسالة الدرّة في تدقيق
الكلام فيما يلزم الانسان امتقاده والقول
به في الملة والنحلة باختصار وبيان
(eb 5, eb 9/13)

- ابن حرزوز الحسن بن أحمد بن ابراهيم الكناسي
(960 هـ / 1552 م)
(الانحاف ج 3 ص 6)
(الجذوة ص 105)
- ابن حريث محمد بن محمد بن علي بن ابراهيم
المبدرى البلسي (722 هـ / 1323 م)
الوفاي بالوفيات ج 1 ص 232
شذرات الذهب ج 6 ص 58
- ابن الحزاز ابو جعفر احمد بن الفتح المليسي
(332 هـ / 944 م)
ابن الغرضي ص 58 ت = 2
- ابن حزب الله احمد بن محمد استشهد بوقعة
طريف عام 741 هـ / 1341 م .
(الجذوة ص 59)
- ابن حزم ابو محمد علي بن احمد بن سعيد
(456 هـ / 1064 م)
الفضي ج 1 ص 204 - المطبح ص 55
الاحاطة ج 3 ص 144 (النفع ج 2 ص 283
ابن بشكوال ص 888) - تذكرة الحفاظ
للذهبي ج 3 ص 341 - الياضي (مرآة
الجان ج 3 ص 79) المواسم من القوام
لابن العربي ج 1 ص 85 و ج 2 ص 67)
- Histoire des musulmans del España y
África, ed. M. G. Remiro .I, 95
(ed. Cheikho)
- طبقات الامم لصاعد بن احمد الاندلسي ص 75
وترجمة بلاشير Blachère ج 2 ص 166
الشذرات ج 2 ص 299 - النثر الفني
لزكي مبارك ج 2 ص 166)
ابن حزم القرطبي اول مؤرخ للانكار الدينية
مدريد (1925)
Asin Palacios
Pons Boigues, Ensayo, p. 130
- مصنفاته :
- تاريخ بروكلمان ج 1 ص 692
- (1) طوق الحماية في الالك والالاف - (طبعة
Leide 1914)
- (2) رسالة في فضل الاندلس (القرى ج 2
ص 19)
- (3) نطق المروس في تواريخ الخلفاء (1911)
ed. Seybold
Histoire de Granada y su Reino
- (4) جبهة الانساب (الزيتونة 5014 -
باريز 2413)
القاهرة (152 ر V) خع = 77
(416 ورقة) خع = 365

- (22) رسالة في الرد على ابن نغريلة اليهودي (eb 6, eb 13)
Edit. E. Garcia Gomez Al-Andalus II, 3
- (23) رسالة التوفيق على شارع النجاسة باختصار الطريق
(24) في الرد على الخاطف من بعد
eb 7, eb 13
- (25) رسالة من حكم من قال ان ارواح اهل الشتاء معذبة الى يوم الدين. eb 13.
- (26) التحقيق في نقد محمد بن زكرياء الرازي (S. 421) في كتابه المعلم الالهي
- (27) التعريب التقريب في حدود الكلام I eb
- (28) حجة الوداع Faiz 322
- (29) كتاب الناسخ والمنسوخ (هذا الكتاب ليس لابن حزم)
- (30) اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من الاحاديث (القاهرة 69 I)
- (31) كتاب في المناظرة بين الصحابة
Dam Z 82,17 Raad X II, 704
- (32) رسالة مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد في الرذائل
مجلة الاندلس 18, II, 279. Dam
- (33) فصل في معرفة النفس بغيرها وجعلها بذاتها
Sehid A 2704 (Andalus II, 6)
- (34) فصل هل للموت ألم أم لا ؟
eb 12, eb 20/24
- (35) رسالة التلخيص لوجوه التلخيص
eb 15, eb 27/46
- (36) رسالة مراتب العلوم
eb 16, eb 46/56
- تلك نماذج من مؤلفات ابن حزم أوردها بروكلمان وهي تمثل في الحقيقة اقل من ثلث مصنعاته التي أوصلها الحافظ الذهبي الى نحو السبعين في كتابه الخاص بابن حزم من سلسلة « سير النبلاء » (الذي حققه صديقنا الاستاذ سعيد الافغاني مطبعة دار الفكر - بيروت - 1389 - 1869) وأكد لنا صديقنا الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني أن لائحة كتب ابن حزم بلغت عنده زهاء مائة وأربعين كتابا .
- ابن حزم علي بن احمد بن سعيد
(كان حيا عام 863 هـ / 1458 م)
المبر في خبر من غير (ج 3 ص 239)
له « المورد الاخلي في اختصار المحلى او القدر المحلى في شرح المحلى »
- ابن حزم العوفي قاسم بن ثابت السمرقسطي
(302 هـ / 915 م)
له « الدلائل في شرح ما اغفله ابو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث »
يوجد بالتقريبين الجزءان الثاني والثالث منه
(ق 197) (عشر عليه محمد ابراهيم الكتاني بتامكروت)
مات مؤلفه قبل اكماله واكمله ابوه المتوفى عام 313 هـ (لم يؤلف مثله في المغرب حسب ابي علي القالي وكذلك في المشرق حسب ابن الفرضي)
- ابن حزم ابو يحيى يسع بن عيسى الخافقي
(575 هـ / 1180 م)
له « المغرب في محاسن المغرب » جمه
لصلاح الدين الايوبي
لسان الميزان ج 6 ص 299
الفتح ج 3 ص 140 ت = 127
- ابن حسان احمد بن الحسن بن احمد القضاعي
(توفى بناس حوالي 600 هـ / 1204 م)
مهرة عياض ص 71 ت = 86
- ابن حسان يحيى المرادي النحوي (614 هـ / 1218 م)
بغية الوماء ص 411 ت = 142
- ابن الحسيني محمد المدني (1378 هـ / 1959 م)
النضال عدد 11 / 615
عبد الهادي التازي
محمد المنوني - دعوة الحق عدد 10 (1960)
النضال عدد 11 / 615
عبد الهادي التازي
محمد المنوني - دعوة الحق عدد 10 (1960)
- ابن حسون احمد بن العربي الوزاني
له « الرحلة الوزانية المزوجة بالمناسك المالكية »
رحل عام 1269 هـ / 1852 م
تقع في 8 كرايس
نسخة بخط المؤلف في خزانة الاستاذ عبد الحفيظ الفاسي واخرى في خس وله مهريست اسمها « زهرة الاسمين لقيته من الناس بوزان وناس » ذكرها في رحلته
- ابن حسون عبد الله بن احمد بن الحسن السلاسي الخالدي (ولد عام 920 هـ / 1515 م)

- درة الحجال ج 2 ص 346 (السنة ج 2 ص 39)
- ابن حكم أحمد بن علي حكم الرباطي
الاغتباط ج 1 ص 31
- ابن حسون الحاج يهزي البادسي
« المقصد الشريف » لعبد الحق البادسي
خج = 110
- ابن الحسين التميمي محمد بن عبد الله بن محمد
ابن عيسى السبتي
التكلمة ص 372
الذيل والتكلمة ص 98 ت = 29
- ابن الحسين محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي
المتوفى ببيكة (1174 هـ / 1761 م)
نهرس الفهارس = ج 2 ص 429
له شرح المتنوع في علم أبي مرقع
خج = 1074 D - 1467 D -
1673 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 707
- ابن الحكيم علي بن يوسف
(المائة الثامنة)
له « الدوحة المشبكة في ضوابط دار
السكة » لله باسم السلطان أبي مارس
الريني (798 هـ / 1395 م) (خج) وطبع
بدمريد يوجد في أربعة كرايس بالخرانكة
الفاشية ضمن مجموع
- ابن الحكيم أبو عبد الله بن أبي القاسم الرندي
ذو الوزارتين (758 هـ / 1357 م)
الفتح ج 3 ص 373 .
- ابن حم البربوشي المراكشي محمد تافسي
الرحامنة (مات بعد 1270 هـ / 1854 م)
الإعلام للمراكشي ج 5 ص 293
- ابن همام المغربي الشاعر (المائة الرابعة)
معجم البلدان ج 2 ص 41 ت = 145
- ابن همام علي بن موسى السبتي (564 هـ /
1169 م)
الجدوة (ص 304)
- ابن همام البربري محمد بن موسى (أو مجيد
ابن محمد بن موسى)
(294 هـ / 907 م)
مشتهر النسبة للذهبي ص 30
تاريخ الخطيب ج 3 ص 243 ت = 155
- ابن همامة البصري عثمان بن سعيد
مدارك عباس ص 333
ت = 132
- ابن همامو محمد بن علي الصنهاجي من أهل قلعة
حماد وولي قضاء الجزيرة الخضراء وسلا
(627 هـ / 1230 م)
(راجع عنوان الدراية ص 128)
الوافي بالوفيات ج 4 ص 157
- ابن هماموش عبد الرزاق بن محمد الجزائري
تاريخ تطوان (ج 3 ص 148) وج 2 ص 224
له « لسان المقال في النبا عن النسب
والحسب والأل » وهي رحلة إلى المغرب
الأنسى عام 1156 هـ / 1743 م
ربما توجد نسخة بالخرانكة الكتانية (خج)
- ابن الحشا أبو جعفر أحمد
تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في
كتاب المنصوري مبوية على حروف المعجم
بحسب استعمال أهل المغرب (ضمن مجموع)
خج = 955 D (مطبوع في الرباط)
- ابن الحصار محمد (898 هـ / 1493 م)
الجدوة (ص 151)
- ابن الخطيئة اللخمي أحمد بن عبد الله بن أحمد
ابن هشام الفاسي نزيل مصر عين بقضاء
مصر عام 533 هـ / 1138 م)
أنباء النخاعة ص 39 - حسن المحاضرة
ص 192 الجدوة ص 45
شذرات الذهب ج 4 ص 188 - طبقات
القراء ج 1 ص 71 سلم الوصول ص 89
النجوم الزاهرة ج 5 ص 370
وفيات الأعيان ص 152 (المطبعة التجارية)
ت = 84
- ابن الحفيان الفضل الشرقي (مات بعد 1229 هـ
1814 م)
الاغتباط ج 2 ص 97
تاريخ الضميف في حوادث 1229 هـ
- ابن الحفيد أحمد السللاوي قاضي سلا
درة الحجال (ج 1 ص 29)
- ابن الحفيد عبد الرحمن السهلماسي
الدرر الكامنة ج 2 ص 451
- ابن حكم إبراهيم الكنازي السللاوي
(راجع إبراهيم)

- 4 شرح الصلاة المشيشية
خج = 1599 D
- ابن همدون محمد بن محمد بناني
لله الكوكب الساطع والعتد المنظوم في
بيان التبيين باعتبار النطق والمفهوم
خج = 1449 D
- ابن همدون عبد الله السبتي
الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 292
- ابن همدون علي بن عبد الله الفاسي المكناسي
(توفي بكة عام 573 هـ / 1178 م)
التكيلة من 685 صلة الصلة من 147
الجدوة من 296 ت = 60
- ابن همدون عبد الله بن عبد الرحمن السجلهاسي
(في حدود 612 هـ / 1216 م)
التشوف من 433
- ابن همدون تاج الدين السرخسي
رحل الى المغرب عام 593 هـ / 1196 م
ودخل الى مراکش عام 598 هـ / 1201 م
وبقي في المغرب الى عام 600 هـ / 1203 م
وقف على رحلته صاحب النسخ ونقل عنها ما
يتعلق بالمغرب
توجد نبذة منه بدار الكتب المصرية عدد 1501
(الفصون البيانة من 29)
- ابن حميدة احمد المطرفي المتوفى بمراكش
(1001 هـ / 1592 م)
النشر (ج 1 ص 22) - الاعلام المراكشي
(ج 2 ص 42) شجرة النور من 294
الجدوة من 83
- له : (1) لباب الفضة في شرح الفاظ
الروضة (أي روضة الازهار في
التوثيق) خج = 1412 D
- (2) المقصد الاسني في حل مقتل يسارة ابن
البنسا خج = 1596 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 364
(والمقصود بكتاب ابن البناء « اليسارة
في تعديل السيارة » كما في الاعلام
لمراكشي ج 1 ص 375)
- (3) القرب في وصف الجيب (خج =
D 1425)
- ابن همدون احمد بن محمد : (241 هـ / 856 م)
هل دخل الى المغرب ؟
راجع شعراء بغداد للاستاذ الخاتاني ج 1
من 386 و 387 حسب بحث الدكتور محسن
- ابن همدون ابو عبد الله السبتي صاحب القتبس
في اخبار المغرب وناس الاندلس «
(مغاخر البربر من 43 و 46) ت = 127
- ابن همامة دوناس بن المعز بن عطية المفاوي
(452 هـ / 1061 م)
الجدوة من 122 - الاستمجا ج 1 من 96
ت = 96
- ابن همد عبد الله (833 هـ / 1430 م)
الجدوة (من 237)
درة الحجال (ج 2 من 340) -
- ابن همد منصور اليفوني (560 هـ / 1165 م)
جدوة الاتباس من 209 ت = 34
- ابن همدوش علي (1135 هـ / 1722 م)
لله « تاليف اشار اليه ابن زبدان في
الاتحاف (ج 5 من 459)
- ابن همدون
(راجع ابن ابرار)
- ابن همدون احمد الزكراكي
سلوة الانناس ج 3 من 234
- ابن همدون احمد الشديدي الاندلسي الفاسي
(بعد 1170 هـ / 1757 م)
السلوة (ج 1 من 208)
- ابن همدون احمد بن محمد (1316 هـ / 1899 م)
الدرر البهية (ج 2 من 329)
لله « الدر المنتخب المستحسن في بعض
ماثر امير المؤمنين مولانا الحسن » (المكتبة
الملكية بالرباط)
بروكلمان ج 2 من 889
- ابن همدون احمد بن محمد يدعى همدون المزوار
الزجني (1084 هـ / 1674 م)
السلوة (ج 3 من 77)
- ابن همدون محمد بن عبد السلام البناي (1163 هـ /
1750 م)
النشر (ج 2 من 257)
السلوة (ج 1 من 146)
لمهرس الفهارس (ج 1 من 160)
بروكلمان ج 2 من 686
- مؤلفاته :
- (1) مهرة - خج (414)
- (2) معاني الوفاء بمعاني الاكتفاء
- (3) شرح الحزب الكبير للامام الشافلي
خج = 1599 D

- له الفتوحات الربانية في شرح الصلاة
المشيشية
خج = 952 D
- ابن هيون محمد بن علي بن محمد بن حسين
الصقلي الاندلسي البرجي الشهير بالحجاج
الشطبي تولى بنافندري في فمارة (923 هـ /
1518 م)
له « الجبان في اخبار الزمان »
(اختصر فيه كثيرا من كتب التاريخ من مبدأ
الدنيا الى المولد النبوي الى الخلفاء الراشدين
والملوك العلويين ببصر والمريفة والاندلس
وخته باسراط الساعة
خج = 579 D - 1094 D - 1344 D
40 D (ناقص)
ملحق بروكلمان ج 2 ص 373 (سماه مقود
الجبان في مختصر اخبار الزمان)
وورد في فهرس دار الكتب المصرية (ج 5
ص 151) منسوبا الى احمد بن محمد المقرئ
والى محمد بن علي بن محمد بن حسين بن
حموق البرجي الشهير بالحجاج الشاطبي
كما نسبة الى كليهما اهلفارت في فهرس
مخطوطات المكتبة الملكية ببرلين
وتوجد أيضا في خج = 1603 D منسوبة
لاحمد المقرئ
- ابن خاتمة احمد بن علي
دائرة المعارف البستاني
- ابن خاقان أبو النضر الفتح بن محمد بن عبيد الله
الاسبيلي (535 هـ / 1140 م)
له « قلائد العتيان في محاسن الاميان »
اهداه للامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين
(فيه بعض رجال المغرب)
طبع بباريز (1860 / 1277) وبلاستانة
ومصر
- ابن خبازة الشاعر ميمون بن علي بن عبد الخالق
الصنهاجي الخطابي (نسبة الى خاله الشاعر
ابن خبازة) 637 هـ / 1240 م)
الذيل والتكملة ص 172 الجذوة ص 209
الافتتاح ج 2 ص 83
رسالة المغرب عدد 4 - (1947)
(خج = 796 40)
له ديوان جمعه له أبو عمرو بن سالم
(رحلة ابن رشيد)
- ابن خجو أبو القاسم بن علي بن محمد الحساني
الخلوني (956 هـ / 1549 م)
الدوحة (ص 13) السلوة (ج 2 ص 149)
له :
- جمال الدين في « اللسان العربي » (عدد 3
سنة 1965)
والاعلام للزركلي (ج 1 ص 192)
ونحن نرجح عدم دخوله الى المغرب الاتصى
- ابن هنبل محمد بن الفال البوهسني
الوسيط ص 311
- ابن حنين (بفتح الحاء) سعيد الفاسي الشاعر
القطبي (463 هـ / 1071)
الجزوة ص 322 ت = 120
- ابن حنين الطليطلي القرطبي علي بن احمد بن ابي
بكر (نزل مدينة ماس عام 503 وتوفي عام
569 هـ / 1174 م)
التكملة ص 670 صلة الصلة ص 102
تذكرة الحفاظ ج 4 ص 118 الجذوة ص 304
ت = 55
- ابن حوقل محمد بن علي البغدادي الموصلبي
(بعد 367 هـ / 977 م)
دخل المغرب (بين 331 - 942 و 360 /
970)
عبد القادر زمامة (دعوة الحق عدد 8 -
1965)
دائرة المعارف الاسلامية (ج 1 ص 145)
الرحالة المسلمون في العصور الوسطى
(ص 39)
له « المسالك والممالك والمنازل والممالك »
(طبع بليدن (1290 هـ / 1873 م)
- ابن حيان : حيان بن خلف بن حسين الاموي
القرطبي (469 هـ / 1076 م)
الاعلام للزركلي (ج 2 ص 328)
له (1) « المقتبس في تاريخ الاندلس »
طبعت منه شذرات ويوجد المجلد الثالث
في المكتبة الملكية بالرباط والنسخة التي
كانت عند ليفي بروغونصال هي من
خزانة القرويين (فيه عشر مجلدات)
(2) المبين في تاريخ الاندلس اكبر من المقتبس
(3) تراجم الصحابة (وفيات الاميان ج 1
ص 168 - جذوة المقتبس ص 188)
- ابن حيان المغربي محمد بن عطية ترجم له ابن
رشيق
الواني بالونيات ج 4 ص 95
- ابن هيون احمد السلوة ج 3 ص 336
- ابن هيون محمد بن احمد بن عيسى الخميسي
الزرويلسي

- 1) مختصر ضياء النهار المجلد الخامس
الإبصار في نصره أهل السنة للفتراء
الإخبار خع = 499 (1)
بروكلمان ج 2 ص 701
- 2) شرح على أرجوزة سيدي عبد الله البهطي
في أقسام العدة وأحكامها والحيسض
والرضاع
نسختان في خع = D 927 (1475)
D 1649
- ابن خدة مالك (حوالى 930 هـ / 1524 م)
السلوة (ج 3 ص 320)
(وهو غير أبي يشو مالك بن خدة السبيحي)
- ابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله
الأزدي الأشبيلي (581 هـ / 1185 م)
له :
- 1) الأحكام الشرعية
توجد الأجزاء الأول والثالث والرابع
والثامن في خع = ي 5 مع نسخة كاملة
في ثمانية أجزاء ببراكش
- 2) « الجمع بين الصحيحين »
يوجد الجزء الأخير بخزانة الترويين
(ق 189)
- ابن خرياش الحشمي يوسف بن عيسى بن
السعود وزير السلطان أبي ثابت عامر بن عبد
الله المريني
الاستمصا ج 2 ص 45
- ابن خروج الخزرجي محمد بن أحمد بن إبراهيم
الجدوة ص 161 ت = 102
- ابن خروف علي بن يحيى بن علي الحضرمي
الأشبيلي
الجدوة (ص 307)
- ابن خروف : محمد أبو الفضل التونسي نزيل
ماس (966 هـ / 1559 م)
مهرسة المنجور (ص 36) — الجدوة
(ص 205)
مرآة الحاسن (ص 9) السلوة (ج 3 ص
281) اجازة ابن شنب (ص 20)
- ابن خزر يخلق الأوربي الفاسي المتي (572 هـ /
1176 م)
الجدوة ص 352
نيل الإبتهاج ص 394 ت = 125
- ابن خزرج محمد بن أحمد البغدادي (546 هـ /
1152 م)
الجدوة (ص 161)
- ابن خزعل محمد بن يحيى
التكلة ص 289
- ابن خصلة محمد بن مسعود (بن خصلة بن
برج (540 هـ / 1146 م)
الجدوة (ص 158)
- ابن الخضر محمد الأدرسي (1180 هـ / 1767 م)
الاغتباط ج 1 ص 95
- ابن خضرا عبد الله السلاوي تاضي القضاء
بناس (1323 هـ / 1905 م)
له « شرح الأرجوزة البيهوتية في أقسام
الحديث » مطبوع بناس مع مؤلفات أخرى .
خع = 74 (ضمن مجموع)
ترجم الأرجوزة الى الفرنسية أبو بكر عبد
السلام بن شعيب بظلمسان عام 1907
- ابن خضراء محمد
تاريخ تطوان (ج 4 ص 173)
- ابن خطاب عمر بن عثمان (بن خطاب) بن بشر
النبهني النحوي
بغية الوعاة ص 362
معجم الإدياء ج 16 ص 67
له كتاب الأمر والنهي يعرف بكتاب المكتفي
- ابن الخطيب عبد الرحمن بن أبي القاسم بن علي
الشفشاوني الزرويلي (993 هـ / 1585 م)
الجدوة (ص 264)
- ابن الخطيب التميمي
عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم تاضي
سبته تولى بتونس (620 هـ / 1223 م)
التكلة ص 531 ت = 43
- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله
(776 هـ / 1374 م)
نيل الإبتهاج ص 269 — شذرات الذهب ج 6
ص 244
عبد الله كنون — مجلة البحث العلمي عدد 2
1964
عبد القادر زمامة دعوة الحق عدد 5 و 6
(1964)
ابن الخطيب من خلال كتبه لحمد بن أبي بكر
التطوانى (خع 14049 ص)
الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب لعبد
المعز بن عبد الله (خع 11788 C)
مصنفاته :
- 1) أعمال الاعلام تبين ببيع قبل الاحتلام
من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من
الكلام

- (4) « روضة التعريف بالحبيب الشريف »
 خع = 778 D
 (طبعت بمصر وحققها الأستاذ محمد
 ابن عبد الملك الكتاني)
 (أوردها ملحق بروكلمان ج 2 ص 373)
 خق = ج 145 ونسخة أخرى في خق
 3365 ك
- (5) كتاب الشفا (الجزائر 1830)
 Rampur, I, 343
- (6) الفصون البانعة (581 ر Si)
 (حسب بروكلمان)
- (7) « الباخر الطبية في المناخر الخطيبية »
 لابن الخطيب الله لابي مارس المريني
 (نصح الطيب ج 3 ص 100 طبعة
 بولاق)
 الدرر الكامنة (ج 3 ص 469 -
 درة الحجال ج 1 ص 285
 شذرات الذهب ج 6 ص 244
- (8) كتاب السحر والشمر (ينسب له)
 خع = D 121 D 1295 (94 ورقة)
 خع = 354 خق = د 121
- (9) نفاضة الجراب في فلاة الاغتراب
 (الاسكوريال 1755) خع
 (طبع بالقاهرة)
- (10) محاضرة بين مالقة وسلا
 (الاسكوريال 554 و 825)
 E. Garcia Gomez, El Parangon entre
 Malaga y Sale, Andalus II, 183:
- (11) الكتيبة الكامنة لعين لقيناها بالاندلس
 من شعراء المائة الثانية (وفي بعض
 النسخ في علماء المائة الثامنة) باريز
 (5794) خق = د 132 ونسخة في
 خمس طبع طرف من اولها ببطبعة يبنى
 بغاس (1327 هـ / 1909 م)
 طبعة كاملة ببيروت
- (12) الاحاطة في اخبار غرناطة
 نسخة مصورة (422 صفحة)
 خق = د 2636 (طبعت بالقاهرة)
 بتتديء بترجمة محمد بن أحمد بن علي
 البطروهي وتنتهي بترجمة يحيى بن
 ابراهيم بن يحيى البرغواطي .
 مركز الاحاطة بادبائ غرناطة (اختصار
 الاحاطة) لابي البقاء بدر الدين محمد
 ابن ابراهيم بن محمد البشتكي (830 هـ
 1427 م)

الجزء الاول من المشرق الى برقة
 الجزء الثاني : الاندلس
 الجزء الثالث من برقة الى السوس
 الاتصى وساحل المحيط الغربي
 خع = 1552 D - (القسم الثاني
 فقط 1318 D) مدريد (37) - خق
 (1286) - الزيتونة (4936/7) -
 ملحق بروكلمان ج 2 ص 372
 معجم سركييس ص 1590
 نشر القسم الخاص بالمرقية وصقلية
 من الجزء الثاني الأستاذ حسن حسني
 عبد الوهاب وطبع ليبي برومنصا
 القسم الخاص بالاندلس من الجزء
 الثاني (الرباط 1353 / 1934) ثم
 طبعه مرة ثانية بدار المكشوف ببيروت
 1956 ومنه اقتبس تاريخ اسبانيا
 المسلمة

Histoire de l'Espagne Musulmane

وطبع القسم الثالث تحت عنوان
 « تاريخ المغرب في العصر الوسيط »
 بتحقيق الأستاذين أحمد المختار العبادي
 ومحمد ابراهيم الكتاني (راجع مجلة
 البحث العلمي عدد 2 (1964)

(2) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار
 شبه مقامات وضمت على لسان مدن
 المغرب والاندلس وهو تسمان الاول في
 وصف الاندلس والثاني في وصف
 المغرب الاتصى
 خع = 972 D - 1092 D
 الاسكوريال (1777)
 طبع مشوها بغاس ببطبعة يبنى
 (1325 هـ / 1907)
 نشر مولير نبذة منه في مونينغ (1866/
 1283) راجع معجم المطبوعات ص
 1591)
 توجد نسخة منه في خمس

(3) ونسبت فلما اليه « الحلل الموشية في
 فكر الاخبار المراكشية
 خع = 1428 D - 1536 D
 ملحق بروكلمان ج 2 ص 342 - معجم
 سركييس ص 1590
 طبع بتونس عام 1329 منسوبا لابن
 الخطيب ونشره علوش بالرباط عام
 1936 وترجم هذه الطبعة ابروزو-
 ميراندا Ambrosio Hulci Miranda
 الى الاسبانية ونشره بتطوان عام 1952

- (17) تأليف في الادب (الوجود من بداية
الباب الثلاثين في الخير والصلاح
والصحابة والاولياء والحلي والموعظ
والطيب والتطيب الى نهاية الباب
الخمسين في الاسفار والسوداع
والفراق الخ
خغ = 1373 D
- (18) رسائل الى بعض الملوك والاعلام
خغ = 784 D
- (19) كتاب « ميل من طب لمن حب »
(جزء ضخيم)
النسخة التي قدمها المؤلف للسلطان
ابي سالم بن ابي الحسن المريني
خغ = ل 607/40 - مدريد (655)
- (20) « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » في
كراسة تكلم فيه على ما يفعله بعض
عدول فاس وسلا وسجلاسة .
يوجد بخزانة الاخ محمد ابراهيم
الكتاني
- (21) مقنعة السائل عن المرض الهائل -
الاسكوريال (1785) مدريد (269)
- (22) الوصول لحفظ الصحة في المصول
خغ = D 652 - D 1570
خغ = م 50
زاوية سيدي حمزة Hesperis XVIII,97
- (23) نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر
خغ = 491 خغ = د 28
- (24) اللحة البدرية في الدولة النصرية
خغ = ل 80 / 1491
الاسكوريال (1776) - القاهرة
(1347)
- (25) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب
في بلاد المغرب والاندلس نشر وتحقيق
أحمد مختار العبادي جزء 1
مطبعة الجامعة - الاسكندرية 1950
- (26) كناسة الدكان بعد انتقال السكان
حققه ونشره الدكتور محمد كمال شبانة
بالقاهرة عام 1969
- ابن الخطيب القصري محمد بن علي (955 هـ /
1549 م)
الجدوة (ص 151)
- ابن الخطيب القسطيني أحمد بن حسن بن علي
المعروف بابن قنطذ (810 هـ / 1407 م)
الجدوة (ص 79) - النيل (ص 57)
- نسخة مصورة في خغ = د 2650
(568 صفحة)
باريز (5887) وكبريدج (1035)
ومدريد (276/9)
ويوجد مخطوط اسمه « مختصر
الاحاطة في اخبار غرناطة »
خغ = 1582 D
أخذ بالتصوير عن مخطوط الاسكوريال
عدد 1673
ونسخة أخرى صورت من مخطوط
خس ونسخة ثالثة هي الجزء الخامس
عشر ونسختان أخريان كما يوجد
مخطوط آخر باسم « الاحاطة بتاريخ
غرناطة » في الاسكوريال (1673)
وليد Leid (1082 والقاهرة)
(9 V) ومدريد (29)
- (13) رقم الحلل في نظم الدول (1133 بيتا)
خغ = 1299 D
نسخ مع شرح الناظم : 901 D
763 D
نسخة مع شرح لمؤلف مجهول D 1393
الاسكوريال (7 / 1776) - ليزينغ
(668) القاهرة (203 ر V)
طبع بتونس عام 1316 هـ / 1898 م
ويوجد بمدريد (101 / 11) وباريز
(5026) مخطوط آخر اسمه « الحلل
المرقومة »
- (14) « الاشارة الى ادب السياسة في
الوزارة »
خغ = D 1405 - D 1092
(النسخ ج 4 ص 654) طبعة بولاق
1289
توجد رسالة أخرى له في السياسة في
خغ = D 1092 - D 972 (ضمن
مجموع)
- (15) رسالة في احوال خدمة الدولة (خاطب
بها ابا عبد الله بن مرزوق)
خغ = 972 D (ضمن مجموع)
- (16) ربحانة الكتاب ونجمة المنتاب
الفاتكان (252) - برلين (1189)
القاهرة (177 ر III) - مدريد
(515) الاسكوريال
(515) الاسكوريال (1825)
خغ = D 988 - D 786
757 D
ملحق بروكلمان ج 2 ص 373
خغ = د 786 و ل 40 / 565

مصفاته :

- (1) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر
(تاريخ ابن خلدون)
يوجد الثالث والخامس من نسخة ذات
سبعة أسفار حسبها ابن خلدون على
خزانة جامعة القرويين في صفر 799 هـ
وعليها خط يده
حق = ل 40 / 362
« مذكورة عن نسخة من كتاب العبر »
قدمها ابن خلدون الى مكتبة القرويين
في مارس
نشر باريز 1963 Lévi-Provençal
E. Larose
ترجمة ابن خلدون
Baron de Slane, Paris - Impr. Impé-
riale, 1862
- (2) التمرير بابن خلدون ورحلته غربا
وشرقا
حق = D 1345
(حق = س 9799)
ملحق بروكلمان ج 2 ص 342
طبع بالقاهرة بتحقيق محمد بن تاويت
الطنجي 1370 / 1951
- (3) شفاء السائل بجملة مسائل : مخطوط
بالخزانة الزيدانية
قصة مخطوط ابن خلدون للناسي عبد
الرحمن ، رسالة المغرب ع 10 س 7
في 1 - 1 - 1948 . (ل 796)
وقبلها في نفس المجلة لعبد العزيز بن عبد
الله

النشر (ج 1 ص 4) - البستان لابن مريم
(ص 308)

(1) أنس الفتير وعز الحثير
حق = D 524 - D 1498
ملحق بروكلمان ج 2 ص 241 (طبع
بالرباط عام 1967 بإشراف الأستاذ
محمد الناسي)

(2) شرف الطالب في أسنى المطالب (حول
وفاء الصحابة والعلماء والمحدثين
والمؤلفين)

حق = D 1428 - D 896 - D 158
D 1498 وثلاث نسخ أخرى
ملحق بروكلمان ج 2 ص 341
طبعة Henri Pérès بالمطبعة
الثمالية بمصر (راجع باقي كتبه في
البستان)

— ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن
جابر الحضرمي (808 هـ / 1406 م)
الجذوة (ص 262)
شجرة النور (ص 227)
شذرات الذهب ج 7 ص 76
درة الحجال (ج 2 ص 357)
محمد الأبري - مقال مخطوط خاص
بالموسومة
مهرجان ابن خلدون (ماي 1962) دار
الكتاب ، س 20818

Gautier - Les Siècles obscurs, Index, p.
429

Ives Lacoste - Ibn Khaldoun, Paris, Ed.
Maspéro, 1966.

فهرس المراجع العربية

- **أدرس الفضيلسي**
الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية
مجلدان - طبعة ناس الحجرية 1314
- **الانويسمي (الشريف)**
وصف أفريقيا الشمالية والصحراء
(مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) - طبعة الجزائر 1957
- **الافرائي محمد الصغير**
1) صورة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر
مطبعة ناس الحجرية
2) نزهة الحادي : نص وترجمة - مجلدان طبعة باريز 1888
- **ابن الأبرار**
تكملة الصلة طبعة مدريد (1889) في مجلدين وطبعة الجزائر 1337/1919
(أربعة أجزاء)
- **ابن بشكوال خلف بن عبد الملك**
كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلماهم ومحدثيهم وقبائلهم وأديانهم
طبع بجريط 1882
- **ابن حجر : الدرر الكامنة طبعة حيدروآباد (1930/1348)**
دار الكتاب الحديثة (خمسة مجلدات) - القاهرة 1385 هـ / 1966 م
- **ابن خلكان - وفيات الأعيان**
مطبعة بولاق - 1299 هـ / 1882 م
- **ابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي**
« التشوف الى رجال التصوف » (الرباط 1378 - 1958)
- **ابن زيدان**
اتحاد اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس - خمسة مجلدات،
الرباط 1347 - 1352 هـ 1929 - 1933 م
- **ابن سليمان الهوات**
البدور الضالوية مخطوط في خع = 394
- **ابن عذاري**
البيان المغرب ج 1 طبعة لبنان ج 4 طبعة تطوان 1956 .
- **ابن عسكـر**
دوحة الناصر لخلصن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر
مطبعة ناس الحجرية 1322
- **ابن العماد**
شذرات الذهب في اخبار من ذهب - طبعة القاهرة 1351 (ثنائي
مجلدات - لبنان)
- **ابن عيشون الشرايط**
الروض المعطر الاندلس باخبار الصالحين من أهل ناس (مخطوط)

- **ابن فرهون**
الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب
طبعة مصر 1351 (والمطبعة الحجرية بفاس)
- **ابن القاضي**
1) جذوة الاتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس
جزء واحد — الطبعة الحجرية بفاس 1309 هـ
أختصره الاستاذ عبد الله الجراري في مجلد صغير (مخطوط)
2) درة الحجال في فرة أسماء الرجال الرباط 1354 — 1936 (جزآن)
- **أبو سالم العياشي**
رحلته : ماء الموائد : الطبعة الحجرية بفاس مجلدان 1316 هـ / 1898 م
- **أبو عبيد البكري**
المغرب في ذكر بلاد امريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك (طبعة
الجزائر 1911)
- **أبو علي الصديقي**
المعجم في اصحاب أبي علي الصديقي (جمعه ابن الابار — مجريط 1885)
- **أحمد بن الأمين الشنقيطي**
الوسيط في تراجم أئمة شنقيط
الدار البيضاء 1378 — 1958
- **أحمد بن خالد الناصري**
الاستقما لاخبار دول المغرب الاتصى — أربعة أجزاء — الطبعة المصرية
1312 هـ / 1895 م
- **أحمد بن محمد المقرئ التلمساني**
نسخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
10 مجلدات — مطبعة السمادة — القاهرة 1367 / 1949
- **أحمد سكيرج**
كشف الحجاب ممن ثلاثي مع التجاني من اصحاب — مطبعة فاس الحجرية
- **أكنسوس**
الجيش المرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي
طبعة فاس الحجرية — مجلدان 1336 هـ / 1918 م (خع = 381)
- **بابا التيبكتي**
نبيل الابتهاج بتطرير الديباج (الطبعة الجديدة بفاس)
وعلى هامش الديباج طبعة 1351
- **أحمد المنجور**
الفرسة — مخطوط ليني برومنصال
- **الوزير جمال الدين القلطي**
أبناء الرواة على أبناء النحاة
مطبعة القاهرة — 1369 / 1950 (ثلاثة أجزاء)
- **حاجي خليفة**
كشف الفنون — طبعة نلو بجل Fluegel
- **الحفيكي محمد بن أحمد الكوسي الجزولي**
الطبقات المطبعة العربية بدرج خلف البيضاء 1355 / 1937

- **الحفناوي**
تصرف الخلف برجال السلف — مجلدان الجزائر 1328 / 1909
- **الخصايجي**
ريحانة الالباب وزهرة الحياة الدنيا — القاهرة 1294
- **الذهبي**
(1) تذكرة الحفاظ — طبعة وستفالد (Wustenfald)
(2) المبر في خبر من غير — طبعة الكويت 1963
- **الزركلي خير الدين**
الاعلام معجم تراجم — عشرة اجزاء طبعة 1375 — 1956
- **السفناوي**
الضوء اللامع لاهل القرن التاسع (طبعة القاهرة 1355 / 1937)
- **السيوطي عبد الرحمن**
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (مجلدان)
طبعة القاهرة 1384 هـ / 1964 م
مطبعة السعادة — مصر 1326 هـ / 1909 م
- **صلاح الدين الصفدي**
الوالمى بالوثقيات
الجزء الاول : طبعة هلموت ريتز
Hellmut Ritter, Wiesbaden 1962.
الجزء الثاني : طبعة اسطانبول 1949
الجزء الثالث والرابع (المطبعة الهاشمية — دمشق 1953 — 1959)
- **عباس بن ابراهيم المراكشي**
الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام
خمس مجلدات مطبوعة (1355 هـ — 1936 م) وثلاثة مخطوطة (خع)
- **عبد السلام بن سودة**
دليل مؤرخ المغرب الاتمى (جزآن)
دار الكتاب — الدار البيضاء 1960 — 1965
- **عبد العزيز بن عبد الله**
(1) معجم اعلام النساء
مجلة اللسان العربي — المجلد السابع
(2) معطيات الحضارة المغربية جزآن — الرباط 1960
(3) رسل الفكر بين الشرق والغرب مجلة اللسان العربي (م . 4)
- **عبد الواحد المراكشي**
المعجب في تلخيص اخبار المغرب — طبعة سلا 1357 هـ / 1938 م
- **علي التكمروتي**
النفحات المسكية في السفارة التركية (مطبوع)
- **كلية الآداب**
(جامعة محمد الخامس بالرباط) مجلة هسبريس Hesperis
- **المجيبى محمد**
خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (اربعة مجلدات القاهرة
1868/1284
- **محمد البشير الفاسي**
تبيلة بني زروال الرباط 1962 / 1381
- **محمد بن ابي بكر التطواني** (سلا) بعض اعلام المغرب مخطوط (يرمز اليه بالهاء)

- محمد بن احمد ميسارة
الدر الثمين في شرح المرشد المعين لابن عاشر — القاهرة 1306/1889
- محمد بن جعفر الكتانسي
سلوة الاناس ومحاضرة الاكياس ليمين اثير من العلماء والصلحاء بفاس
(مجلدان — طبعة فاس الحجرية 1316)
- محمد بن شاكرك الكتبسي
نوات الوفيات (جزآن) مطبعة السمادة — القاهرة 1371 هـ / 1951 م
وتبليها مطبعة بولاق 1282 هـ / 1866 م
- محمد بن الطيب بن عبد السلام الشريف القادري
نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني — المطبعة الحجرية بفاس
(1349 هـ / 1930) مجلدان
- محمد بوجندار الرياطي
الاقتباط بتراجم اعلام الرباط
مخطوط خع = 1287 — جزآن — ومخطوط الاستاذ عبد الله الجراري
- محمد داود — تاريخ تطوان
خمس أجزاء — تطوان — محمد مولاي الحسن (1379 هـ / 1959 م)
- محمد عبد الحي الكتانسي
« فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات »
طبعة فاس مجلدان — 1386 هـ / 1927 م
- محمد العريسي الفاسي
مرآة المحاسن من أخبار الشيخ لبي المحاسن — مطبعة فاس الحجرية 1324
- محمد فريسط
نواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان طبعة فاس 1346
- محمد المختار السوسي
المسول (20 مجلدا) — مطبعة النجاح — الدار البيضاء (1380 — 1961)
- محمد المهدي الفاسي
مبتع الاسماع في أخبار الجزولي والتباغ ومالهما من الاتباع
طبعة فاس الحجرية (1305 هـ و 1313 م)
- مخلوف محمد بن محمد
« شجرة النور الزكية في طبقات المالكية »
مجلدان — طبعة القاهرة 1349 / 1930
- ياقوت الحموي
معجم البلدان — طبعة دار السمادة القاهرة
10 مجلدات (1323 هـ / 1906 م)
- اليسوسي
المحاضرات — طبعة فاس الحجرية 1317 هـ

نموذج من تراجم الموسوعة

العياشي (أبو سالم)

الأستاذ محمد الأفاضل

(الرباط)

التي عرضها عليه السلطان محمد الشيخ السعدي .
فأقام بها سنة كاملة قرأ فيها على أجل أساتذة ذلك
المصر أمثال (1) الشيخ عبد القادر بن يوسف الفاسي:
أخذ عنه علوما جمة كالتفسير والحديث والفقه والنحو
والبيان والاصلين والتصوف ، وأجازته في منتصف
شعبان 1063 = 11 يوليوز 1653 . ونص هذه
الإجازة هو الذي ترجمه محمد بن شنب تحت عنوان
Etude sur les personnages mentionnés dans l'id-
jâza du cheikh 'Abd el-Qâdir el Fâsy
المذكور أسفله ضمن المراجع ، (2) وحمدون الأبار :
قرأ عليه المختصر وفرائضه بالعمل وجملة من
التصايف ، وصحيح البخاري والفاتحة لابن مالك ؛
(3) ومحمد بن أحمد ميارة : قرأ عليه جملة من الفقه
المالكي فأجازته ؛ (4) وعبد الرحمن بن القاضي ؛
(5) والقاضي محمد بن سودة : قرأ عليه الفقه المالكي ؛
(6) وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي : قرأ عليه
الروضة وقصيدة في الأسطرلاب وضعها من أجله ؛
(7) وأحمد بن علي بن مواشي الزرهوني ؛ (8) وعبد
السلام بن ناصر ؛ (9) وعلى الزرهوني ؛ (10) وميمون
الربيعي ؛ (11) وحمدون المزوار ؛ (12) ومحمد بن أبي
القاسم الدادسي .

حج أبو سالم العياشي ثلاث مسرات ، أقام
خلالها في القاهرة ومكة والمدينة وبيت المقدس والرملة:
الاولى عام 1059 = 1649، والثانية عام 1064 = 1654
والثالثة عام 1072 = 1661 . وأثر سفره الأخير ألف
رحلته المشهورة « ماء الموائد » ، المطبوعة على
الحجر في مجلدين بفاس عام 1316 = 1898 .

نشر هذا البحث كنموذج للاطار العام الذي
ستندرج فيه تراجم الاعلام ، وقد تصاف الى بحث
كهذا دراسة خاصة عن اتجاه المترجم له في رحلته
ومقارنة هذه الرحلة بالرحلات الأخرى والنظرة
الجديدة المستقاة منها :

هو الرحالة الكبير والعلامة الشهير أبو سالم
عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن
محمد بن يوسف . وكان يعرف بمغيب الدين المالكي
المغربي . وينتمي نسبه الى الادارسة .

ولد ليلة بقيت من شعبان 1037 موافق 4 ماي
1628 في قبيلة آيت عياش البربرية ، المتاخمة لبلاد
الصحراء من احواز سجلماسة ، الواقعة في جبل
الاطلس الكبير ، جنوبي مدينة ميدلت الحالية . عن
بعد 60 كلم منها . فنشأ هناك وقرأ على أبيه الذي
أسس زاوية في سنة 1044 - 1634\35 ، قرب
قرية تازروفت ، على ضفة أحد روافد نهر زيز ، بإشارة
من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي .

ثم رحل الى وادي درعة ، حيث لازم الشيخ
محمد بن ناصر وأخذ منه الفقه والحديث والتفسير
والتصوف . وبعد ذلك توجه الى مدينة مراكش ،
ولقي بها الشيخ أبا بكر بن يوسف السجستاني المراكشي
الذي لقنه الذكر وأجازته عامة مشتملة على الأذن
له في لبس الخرق والجلوس على السجادة لموظفة
المريسة .

وفي سنة 1063 هـ - 1652 م أجلى مع مشيرته
الى مدينة فاس لكونه رفض خطة القضاء بمراكش

(27) محمد السوداني : قرأ عليه المختصر ؛ (28) محمد ابن رسول الشهرزوري : أخذ منه فقه الشافعية ؛ (29) السيد مصطفى . ولقي بها محمد بن محمد بن سايمان الروداني .

ولقي بالرملة السيد محمد بن أبي الوفاء الأشقر الحسيني وعقد معه الاخوة عند قبر سيدنا الفضل ابن عباس .

عاد الى مكة المكرمة وال رمضان 1073 = 9 ابريل 1663 ولقي بها بعض الافاضل والاخوان منهم : (30) زين العابدين الطبري الحسيني ، الذي اجازه ؛ (31) ابو محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري ؛ (32) عبد الرحمن الثعالبي الجزائري ؛ (33) سعيد المقرئ : اخذ منه جميع معجم الطبراني الصغير بالغة واربعين حديثا عن اربعين شيخا لتقسي الدين الفاسي والرابع من الشمال والفوائد المنتخبات الحسان من الصحاح والفرائب ، تخريج أبي نصر الشيرازي من اصول سماعات القاضي أبي الحسن علي بن الحسن الخلفي (20 جزءا) .

وكان رجوعه الى بلاده يوم الاربعاء ظهرا 17 شوال 1074 = 13 ماي 1664 ، سالكا تقريبا نفس الطريق التي مر بها في ذهابه . وكانت مدة غيابه ثمانية عشر شهرا وسبعة ايام .

وتوفي بالطاعون في 17 ذي القعدة 1090 = 20 دجنبر 1679 (في 18 منه = 21 دجنبر حسب القادري وفي 10 منه = 13 دجنبر حسب مصادر اخرى) . والارجح هو الاول المذكور في « الثغر الباسم » (ص 20) .

خلف المياشي ، بالاضافة الى رحلته المذكورة : (34) في النحو كراسة في الو الشرفية ، - (35) في الفقه : ا - شرح المحلي (لم يكمل) ؛ ب - واجوزة في البيوع لابن جماعة « معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب » ؛ ج - شرح هذه الاجوزة « ارشاد المنتسب الى فهم معرفة المكتسب » ؛ د - « اجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل » ؛ ه - « القول المحكم في عقود الاصم الابكم » ؛ و - « العلاوة فيما ركع في محل سجود التلاوة » ؛ ز - « المفريات في اصطلاح الوتريات » ؛ ح - « تحرير الكلام في امر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام » ؛ (36) في علم الكلام : « الكشف والبيان في مسألة الكسب والايقان » ؛ (37) في الحديث : ا - « المسلمات المشرفة المنتخبة » ، ب - « الحكم بالعدل والانصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء

وخرج ، في حجته هذه ، من سجلماسة يوم السبت 10 ربيع الثاني 1072 = 3 دجنبر 1961 ودخل مكة المكرمة عشية يوم السبت 5 ذي الحجة من السنة المذكورة = 22 يوليو ، بعد ما قطع المراحل الآتية : وادي جبير ، ضاية الحمام ، توات ، واركلا ، طرابلس ، اليهودية ، برقة ، درنة ، انبابة ، القاهرة ، درب الحجاز ، الدار الحمراء ، السويس ، البندر ، البنيح ، بدر ، رابغ والظهران .

ولقي بمصر السيد ابا اللطف الوقائي ، الذي البسه الخرقه وكناه ابا سالم بقوله : « سالم ان شاء الله في الدنيا والاخرة ! » : سمع عليه بلفظه جملة صالحة من مناسك الخطاب وخطبة القاموس وخطبة نفع الطبيب

وبعد تادية مناسك الحج ، توجه الى المدينة المنورة لزيارة الاماكن المقدسة ، وذلك يوم الخميس 2 محرم الحرام 1073 = 17 غشت 1662 . واثناء اقامته ، التي دامت ثمانية اشهر ، تمكن من التعرف على عدد كبير من المشايخ ، منهم : (13) علي الاجهوري : قرأ عليه البخاري وابن ماجه وابن الجوزي ؛ (14) ابراهيم الميموني . اخذ منه الترمذي والبخاري ومسلم والشافعي ؛ (15) شهاب الدين الخفاجي ، امام الحنفية بمصر ؛ (16) ابو الحسن علي ابن عبد الرحمن الربيع اليميني الزبيدي ، الذي كان قد لقيه بمكة عام 1064 = 1654 : اخذ منه القراءات السبع واجازه ؛ (17) الملا ابراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري الشيراني : اخذ منه الحديث المسلسل بالاولية وشرح الهداية في الحكمة لولد السيد الجرجاني والتحفة المرسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الحقائق للشيخ محمد بن فضل الله المهدي ؛ (18) القشاشي : لقنه الذكر وحضه على لزوم طريقة السادات الشاذلية ؛ (19) ياسين بن محمد بن فرس الدين النابلي : قرأ عليه صحيح البخاري واحياء علوم الدين وبعض كتاب المواهب وبعض كتاب الشفا وغير ذلك ، واجازه اجازة عامة ؛ (20) ابراهيم بن الشيخ خير الدين ؛ (21) بدر الدين الهندي : اخذ منه مختصر السعد التفتزاني على تلخيص المفتاح واول شرح المواقف للسيد واول شرح القطب على الشمسية ؛ (22) جمال الدين الهندي النقشبندي ؛ (23) شهاب الدين احمد بن التاج ؛ (24) محمد القزاري ؛ (25) يحيى بن الباشا الاحساني الحنفي ؛ (26) علي الضرير المالكي الاحساني : قرأ عليه الرسالة وتفسير البغوي والدر المنثور للسيوطي ؛

المالية على الزهد في الدنيا الغاية « ؛ د - « سنوق
العروس وانس النفوس » ؛ (40) في مدح النبي :
مجموعة تشتمل على اثنتين وأربعين قصيدة ؛ (41)
قصيدة في صناعة الجدول ؛ (42) رسالة الى أبي
العباس أحمد بن سعيد المجلدي في الحج .

وهذه الرسالة هي التي ترجمها الى الفرنسية ،
مع مقدمة ، والدنسا المرحوم تحت عنوان :
Etapas du pèlerin de Sijilmassa à la Mecque
et Médine

وهي مذكورة من بين المراجع أسفله .

سجلماة من الاختلاف في تفكير من اقر بوحداية الله
وجهل بعض ما له من اوصاف « ؛ (38) الفهلوس :

ا - « اقتفاء الاثر بعد ذهاب اهل الاثر » او « مسالك
الهداية الى معالم الرواية » او « المجالة المرقية
باسانيد الفقهاء والمرشدين والصوفية » ؛ ب - « تحفة
(او « انحاء ») الاخلاء باسانيد الاجلاء » ؛ ج - « وسيلة
العبد الفریق باثمه في الطريق » ؛ (39) في التصوف :

ا - نظم اصول الطريقة لزروق ، ب - « اظهار المنة
على المبشرين بالجنة » ؛ ج - « تنبيه ذوي المهمم

المراجع

1 - العربية

- ابن تاويت محمد ومحمد الصادق عفيفي ،
« الادب المغربي » ، دار الكتاب اللبناني ،
بيروت ، 1960 ص 337 .
- ابن الحاج احمد بن محمد بن حمدون ، « الدر
المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن
مخطوط مكتبة خير الدين الزركلي بالرباط .
- ابن زاكور محمد ، « نشر ازاهر البستان فيمن
اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء الاكابر
والاعيان » ، مطبعة الجزائر 1319 = 1901 ،
ص 60 .
- ابن زيدان عبد الرحمن ، « المتزج اللطيف في
التلميح بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف » ،
مخطوط خ . ع . بالرباط رقم ج 595 ، ص 310 .
- ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر ، « دليل
مؤرخ المغرب الاقصى » ، دار الكتاب ، الدار
البيضاء ، الجزء الاول ، 1960 ، الجزء الثاني ،
1965 ، ج 1 ، ص 29 ، 179 ، 216 ، 233 ، و 362
- الافرائي محمد الصغير ، « صفوة من اتشهر من
صلحاء القرن الحادي عشر » المطبعة الحجرية
بفاس ، ص 191 .
- البشير محمد ظافر الازهري ، « اليواقيت
الشمية في اعيان مذهب عالم المدينة » مطبعة
العروة الوثقى القاهرة ، 1325 - 1907\08 ج
1 ، ص 178 .
- الجبرتي عبد الرحمن ، « عجائب الآثار في التراجم
والاخبار » ، مطبعة بولاق ، 1277 - 1860 ؛
ج 1 ، ص 65 ، 68 .
- بنمبد الله عبد العزيز ، « الحركة الفكرية في
العهد الطوي » ، رسالة المغرب ، العدد 134 ،
صفر 1371 = نونبر 1951 ، ص 13 .
- الحجوي محمد ، « الفكر السامي في تاريخ الفقه
الاسلامي » ، مطبعة ادارة المعارف العمومية
بالرباط 1340 = 1921\22 ، ومطبعة البلدية
بفاس ، 1345 = 1926\27 ، اربعة اجزاء ،
ج 4 ، ص 114 ، رقم 770 .

- حجي محمد ، « الزاوية الدلالية ودورها الديني والعلمي والسياسي » ، المطبعة الوطنية ، الرباط ، 1384 = 1964 ، ص 65 .
- الزركلي خير الدين ، « الاعلام معجم تراجم » ، عشرة اجزاء ، الطبعة الثانية بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع (1) ، ج الرابع ، ص 273 (ب) - 274 (1) .
- العباشي عبد الله بن عمر ، « الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم د 1433 ، ص 43 - 171 .
- العباشي محمد بن خمزة ، « الثغر (او الزهر) الباسم في جملة من كلام ابي سالم » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم ك 304 .
- الفاصي محمد ، « الرحالة المغاربة وآثارهم » ، القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجذوب » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم ك 326 .
- الفاصي محمد ، « الرحالة المغاربة وآثارهم » ، دعوة الحق ، الممد الرابع ، السنة الثانية ، رجب 1378 = يناير 1959 ، ص 22 (1) و (ب) .
- القادري محمد بن الطيب ، « التقاط الدر » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم د 676 ورقة 35
- (ب) 2 « نشر المثاني » ج 2 ص 45 ،
 (3) « النشر الكبير » ، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم ك 2253 ، ج 1 ورقة 142 (ا) - 144 (ب) .
- الكتاني محمد عبد الحي ، « فهرس الفهارس والابيات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات » المطبعة الجديدة بالطالمة ، فاس ج 1 - 1346 = 1927 ، ص 118 و 125 ، ج 2 1347 = 1928 ص 23 و 211 و 443 .
- كنون عبد الله ، « النبوغ المغربي في الادب العربي » دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1961 ، ثلاثة اجزاء ، ج 3 : ص 79 ، 155 ، 156 .
- المحبي محمد ، « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » ، مصر 1284 = 1867 .
- مخولف الشيخ محمد بن محمد ، « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » ، المطبعة السلفية القاهرة 1349 = 31\1930 ج 1 جزءان صفحة 314 .
- المنوني محمد ، « مكتبة الزاوية الحمزاوية » ، مجلة تطوان ، السنة 1963 ، الممد 8 ، ص 96 - 108 .
- التميشي احمد ، « تاريخ الشعر والشعراء بفاس » ، مطبعة اندري ، فاس 1343 = 1924 ، ص 32 .

(1) يوجدان ، آخر كل جزء وهما مطبعة كوستا تسوماس وشركاه 1374 هـ \ 1954 م (اللسان العربي)

- ABDELJALIL (J. M.), *Brève histoire de la littérature arabe*, G. P. Maisonneuve, Paris, 1943, pp. 211-212.
- BASSET (R.), *Recherches bibliographiques sur les sources de la Salouat el-anfas, dans Recueil de Mémoires et de textes publiés en l'honneur du XIV^e Congrès des orientalistes*, Alger, 1905, n° 81, p. 31.
- BEN CHENEB (M.), *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjâza du cheikh 'Abd el-Qâdir el-Fâsy*, Extrait du tome V des Actes du XVI^e Congrès International des orientalistes, Paris, 1907, § 4.
- HERBRUGGER (A.), *Voyages dans le Sud de l'Algérie et des Etats barbaresques de l'Ouest et l'Est*, par el-'Aïachi et Moulay-Ahmed, dans *Exploration scientifique de l'Algérie (Sciences historiques et géographiques)*, IX, Paris, 1856.
- BERQUE (J.), *Al-Yousfi. Problèmes de la culture marocaine au XVII^e siècle*, Ecole pratique des Hautes Etudes, VI^e section, Paris, Mouton et co., 1958, p. 77, 105, 112, 117.
- ELACHERE (R.), *Extraits des principaux géographes arabes du Moyen-Âge. Etudes Arabes et Islamiques*, Paris, 1957, pp. 369-370.
- EROCKELMANN (C.),
 a) *Geschichte der Arabischen Litteratur*, n^{le} édition, E. J. Brill, t. II, 1949, pp. 616-617.
 b) *Suppléments*, t. II, 1938, pp. 711-713.
- DE MOTYLINSKI (A. de), *Itinéraires entre Tripoli et l'Égypte*, Alger, 1900.
- EL FASI (M.), *La littérature marocaine*, Maroc, l'encyclopédie coloniale et maritime, Paris, édition de l'Empire français, 1948, p. 533 (B.).
- Encyclopédie de l'Islam*, n^{le} édition, t. I (A-B), Leyde, E. J. Brill, 1960, Paris, G. P. Maisonneuve, article Ben Cheneb (Pellat), pp. 818 (A et B)
- FAGNAN (E.), *Catalogue des manuscrits de la Bibliothèque Nationale d'Alger*, n° 1670, 1902.
- HADJ SADOK (M.), *Le genre rihla*, dans *Bulletin des Etudes Arabes*, nov.-déc. 1948, pp. 204-205.
- HUART (Cl.), *Littérature arabe*, Librairie A. Colin, Paris 1923, p. 384.
- LEVI-PROVENÇAL (E.), *Les historiens des Chérifa. Essai sur la littérature historique et biographique du XVI^e au XX^e siècle*, Paris, E. Larose, 1922, pp. 262-264.
- PELLAT (Ch.), *Langue et littérature arabes*, Collection A. Colin, Section de Langues et Littératures, n° 278, Paris, 1952, p. 184.
- RENAUD (dr H.P.J.), *La sawiya de Sayyidi Hamsa*, dans *Hespéris*, t. XVIII, p. 82.

أسماء الحرف وفوائدها

II

الأستاذ عبد الفادر زمامة " فاس "

وهذا مجرد اصطلاح وعرف ... والا فالعريف هو صاحب المعرفة الخبير .. ومن اجل ذلك نجد ان كثيرا من المشاكل « المدنية » ترجمها المحاكم الى العرفاء في البناء ، والتجارة ، ومجاري المياه ..

انظر رقم 3 اهل البصر ..

135 - عريفة

العريفة : هي المرأة المعينة من قبل السلطة للدخول الى المنازل ، والتعرف على ما بداخلها ... كما انها تعتمد عند القاضي الشرعي في الاشهاد على شؤون النساء التي لا يطلع عليها الرجال ..

والجمع عريفات .. او عرائف .

136 - مساس

المساس : شرطي الاحياء والجمع العسة او العساسة

137 - مشاب

المشاب : متاحب الامشاب والمقابر الصالحة للدواء والعلاج وغيرها .. ويضيف الى ذلك شيئا آخر وهو الاحتفاظ بمدد من الوحوش والطيور

131 - عيار

العيار : صاحب الكيال الذي يكيل الحبوب في « الرحبة » وهي سوق الحبوب ، من قمح ، وشعير ، وقطاني ، وغيرها .. والجمع العيارة .. ويقوم العيار بنفس العمل بالنسبة لحب الزيتون ، والحلزون ، والملح .. وله اجر معلوم .

132 - عجان

العجان والسفاج يستخدم كل منهما عجانا بعجن الدقيق ويعدده لوقتته المناسب .. ومن اجل ذلك لا يذكر الا تبعا للعجان والسفاج .

133 - عدل

العدل : هو الذي يتولى تحمل الشهادات وادائها وكتابة العقود والوثائق .. والجمع عدول

134 - عريف

العريف عند الجزارة خاصة هو الذي يتولى الفصل في المنازعات المتعلقة باللحوم ، والمجزرة ، وسوق الماشية . وما الى ذلك ..

النساء .. والاطفال تغسلهم القوابل .. ولا يتعاطى هذا العمل الا من اشتهر بالفضل والاستقامة .
والمرنة ..

144 - فماد

صانع الفماد السيوف .. والحرفة انقرضت ولكن ما زالت هناك اسرة تحمل اسم الفماد ..

وكانت هناك سوق تسمى الفمادين .. كما تسمى ايضا الجوايين بمعنى الذين يصنعون «جوى» السكاكين ..

انظر جواي ... رقم 29

145 - فياط

الفياط : صاحب (الفيطة) وهي مزمار شهير ، والفياط رفيق الطبال .. ومن الطبايين والفياطين يتكون جوق من اجواق الموسيقى الشعبية .

146 - فتالة

الفتالة : هي المرأة التي تقوم (بفتل) حبات (الكسكس) و (الشعرية) و (المحمصه) من خالص الدقيق .. والجمع فتالات ..

ولهن مكان خاص يجتمعن فيه في الصباح الباكر ..!

147 - فحام

الفحام والجمع فحامة وهم يانمو الفحم الخشبي ... ويطلق على الفحم احيانا اسم البياض ابتعادا عن كلمة الفحم المشمرة بالسواد ..!!

148 - فخار

هو المحترف بصنع الادوات الخزفية والاجر الفخار و (الفخارين) ..

ومكان خاص ازاء الفرن يسمى (ار العمل) .. وجمع و «الزليج» . ولكل فخار فرن خاص يسمى «الكوشة» ومكان خاص ازاء الفرن يسمى «دار العمل» .. والجمع فخارة وفخارين .

المصبرة .. كالارنب والحرباء والقنفذ والغراب والنسر من اجل بيما لمن يطلبها للعلاج او غيره ..
وسوق العشابين شهيرة بفاس .

138 - مطار

اصل المطار بائع المطر .. ولكن المطار يطلق على كل من يتجر في التوابل ، والمعيق ، والصابون ، وما يشبه ذلك من عقاير ، ومعاجين .. وادوات لخياطة ، وادوات الكتابة .

139 - ملاف

الملاف هو الذي يملف المواشي ليذبحها او يبيها حية ؛ والجمع ملافنة .. وهم مادة من لجزارين الافنياء ..

وقد كان الملاف في الاصطلاح المخزني يعني لكلف بالسر على تموين الجيش في «الحركة» .

140 - عواد

العواد : محترف صنع ادوات السود من حارث ومغارف ومداري وغيرها .. وهناك سوق موادين ...

ويطلق العواد ايضا على الموقع على السود في وق الآلة الاندلسية والجمع عواده ..

141 - عون

العون والجمع الاعوان . وهم اصحاب القاضي شرهي الذين يقومون بتبليغ اوامره واحكامه استدعاءاته الى الخصوم ، والوكلاء والشهود .

142 - غرابلي

صانع الغرابيل .. وكذلك عامل الرحوي كلفة بغزيلة الدقيق .. والجمع غرابلية .

143 - فسال

الفسال هو الذي يتولى غسل الاموات من جال . كما ان الفسالة هي التي تتولى غسل

149 - فداوي

الفداوي : هو القصاص الذي يجتمع الناس حوله ليستموا الف ليلة وليلة .. والعنترية .. وسيف بن ذي يزن .. وغيرها .. والجمع فداويسة ..

150 - فران

صاحب الفرن الذي يطبخ الخبز والحلوى وما الى ذلك .. والجمع الفرانة .. وكلمة فران تطلق على كل من الفرن .. وصاحبه ..

151 - فرايضي

العدل المكلف من قبل القاضي لتقدير الفروض .. ويكون على خبرة بالاسمار والاهراف والتكاليف العائلية .

152 - فلاح

كل من له فلاحة يسمى فلاحا سواء كان يشتغل بها بنفسه او بواسطة (خماسه)

153 - فلاس

الفلاس هو الذي يتولى البحث فى مياه الوديان عما يمكن ان يكون قد سقط فيها من ادوات او قطع معدنية ... فيجمعها ، ويصلحها ، ويبيعهما فى السوق .. والجمع فلاسة ..

154 - فرناتشي

هو الذى يتولى تسخين مياه الحمامات فيظل محركا بعوده الحديدي « الزوبية » ... وله عمل آخر وهو انه يجعل ازاده كومة من الرماد الحار يدفن فيها عدة قدور مغلقة مليئة باكارع البقر او الخرفان لينفجها لاصحابها .. وكل واحد يسمى قدره « طنجية » اما شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم فقد كان يسميها فى شعره « بنت الرماد »

155 - قابلة

القابلة معروفة . والجمع : القوابل .

156 - قباب

صانع القباب الخشبية التى كانت تستعمل فى الحمامات . وسوق القبابين معروفة ..

157 - قباصي

هو الذى يتولى قبض الاكربة والغلات والجمع القباصة

158 - قراب

هو السقاء والجمع القرابة .. ويدعى ايضا الامين

159 - قزادري

هو محترف صناعة الادوات القزديرية ويسمى احيانا « الفنايري » باعتبار ان « الفنار » اهم مصنوعاته و « الفنار » هو المصباح المصنوع من الزجاج والقزدير وفى وسطه شمعة ..

160 - قشاش

القشاش واسطة بين البقال والمطار .. فالبقال يبيع الادم وما اليه . والمطار المقاقير والتوابل . اما القشاش فيبيع الدقيق والسيد والفاكهة اليابسة والجبن وما الى ذلك .. وقد يطلق القشاش على بائع الادوات المعدنية والزجاجية واللعب وغيرها .. ولكل من الاطلاقين آثار نذكر منها على سبيل المثال :

(1) ان الاطلاق الاول ينسب اليه الرطل المعروف بالرطل القشاشي الذى كان يزن 750 جرام

(2) ان الاطلاق الثاني ينسب اليه سوق تباع فيها هذه الادوات وهي سوق التشاشين ..

161 - قصاص

هو معالج الثياب بغسلها ودلكها وتليينها بمد خروجها من المناسج .. وقد كان القصارون يقومون بعملهم هذا على ضفة الوادي .. وفي كتب الحسبة الاندلسية والمغربية معلومات عن هذه الحرفة .. وقد انقرضت ولم يبق لها رسم ولا طلل ...

162 - قطاب

القطاب هو الذي يحمل على دوابه الجير والرمل والأجر وما الى ذلك من مواد البناء والجمع القطابة ..

163 - قفاص

القفاص او القفاز هو الذي يصنع القفاص ويبيها وسوق القفاصين او القفازين ما زالت معروفة بالجوطية ..

164 - قنابسي

هو محترف صنع خيوط القنب والحبال والشباك وسوق القنابسيين معروفة ازاء القرويين ..

165 - قهوجي

هو الذي يقدم القهوة والشاي لمن يطلبها منه .. وربما حملها الى حوانيت زبانه في الاسواق والجمع القهاوجية .

166 - قوادسي

هو الذي يحترف باصلاح المياه وتمهد المجاري والجمع القوادسية ويسمون بالقنويين ايضا ولهم مكان خاص يجتمعون به ومنهم يختار اهل المدينة : شيخ الماء الحلو المسمى (مولى الواد)

وشيوخ الماء المضاف المسمى (مولى بوخرارب)

167 - كتبي

بائع الكتب ومن ابواب القرويين باب سوق الكتبيين .

168 - كتاتبي

الكتاب والكتاتبي يعينان محترف الكتابة .. والغالب ان الكاتب يعنون به الكاتب في منصب عال اما الكتاتبي فيعنون به ما كان دون ذلك ..

169 - كساب

الكساب هو مربى الحيوانات للنتاج والجمع الكسابة ..

170 - كفايتي

الكفايتي . والجمع الكفايتية ، وهم اصحاب حوانيت يشورون فيها قفبان «الكفتة» ويقدمونها للزبناء والکفتة) تعني اللحم المدقوق مع الشحم والتوابل

171 - كفاط

الكفاط ، او الكفاد: صانع الكفاط او الكافد .. ومن الاحياء الاثرية في فاس حي الكفاطين او الكفادين . وقد انقرضت الحرفة ودرس الحي ولم يبق الا اسرة اولاد الكفاط ..

172 - كماغ

وهو الذي يتولى (تكميخ) عظام السروج وصقلها وتليينها .. وقد كانت حوانيت الكماخين قريبا من باب بوجلود وما زالت السقاية تسمى سقاية الكماخين .. كما في الحوالة الحسية .

173 - كمانجي

صاحب الكمنجة في جوق الالة الاندلسية والجمع الكمنجية

174 - كئابري

«الكئابري» من ادوات الطرب في جوق الموسيقى الشعبية .. والكئابري صاحب الكئابري الضارب عليه والجمع الكئابرية بالكاف المقودة ..

175 - كناف

الكناف : هو متمد الكنيف وما اليه من مجاري المياه القدرة .. والمياه القدرة تسمى عطارة ، كما تسمى بالماء المضاف ..

176 - كوافري

هو صانع « الكوفري » Coffre

والكوفري صندوق خشبي مغلف بجلد او ثوب حريري مزخرف بمسامير ملونة ولكل عروس «كوفري» خاص بها تدخر فيه الاعلاق والنفائس من الحلبي والشياب .

177 - كواي

هو الذي يلحم الادوات المتكسرة او المشقوقة والجمع الكواية .. وهو من قبيل القزاندري والفتابري ..

178 - كوايحي

« الاكواح » قطع الكبد والشحم تشوى في قضبان و « الكوايحي » بائع الاكواح وهو من قبيل الكفايتي والكبايدي ..

179 - كيار

الكيار : صانع الكير والجمع الكيارة ..

180 - كياس

هو الذي يتولى ذلك ظهور المستحمين واطرافهم ويجعل في يده « كياسا » من صوف يساعده على ذلك .. انظر رقم 130 طباط

181 - لباط

« اللباط » والجمع اللبابة ، وهم محترفو ج اصواف جلود الفم وشعور المعز ولهم فنادق شهير

182 - ليسان

محترف بيع اللبن « الحامض » والحليب والزبد الطري ، والجبين الطري والجمع اللبانة

183 - لباد

صانع اللبد وقد كانت هناك سوق اللبادين والحرفة تكاد تنقرض وفي السلوة ج 2 ص 3 ترجمة «صفة لبادة» التي كانت تصنع اللبود) توفيه سنة 1199

184 - لسزاق

(اللزازين) من اسواق الطالعة الكبرى والزازات عبارة عن اعواد كانت تقوم مقام المساء الطويلة في ضم اجزاء المصنوعات الخشبية من ابواب وشبابيك وقناطر خشبية وقد انقرضت ه الصناعة وتغير اسم السوق ..

185 - لسواح

السواح : اللواحة هم اصحاب حرفة بناء «طبج باسوار المدينة . واسوار القصور الخارجية كان بنى (بطبية) ويقوم بذلك «اللواحة»

ومعلوم ان (طبية) تشتمل على حجارة دقيقة مرصوة بالجير . وتتم عملية البناء بين الواح خشب تنصب على جانبي الجدار .. ثم تزال بعد ذلك وكلمة (طابية) اسبانية الاصل .

186 - مؤذن

المؤذن معروف ، وكان يختار من اهل الفذ والدين .

187 - موقت

العارف باستخراج اوقات الصلاة . وله غرفة
ازاء المدنة فى المساجد الكبرى ..

193 - مسامري

بائع المسامير والسلاسل فى سوق
السامريين .

188 - مؤنس الغرياء

هو مؤذن ندى الصوت له اجناس خاصة فى
مسجد القرويين يبيت منشدا ذاكرا ليؤنس المرضى
والغرياء الساهرين .. وتنظيم هذه العملية يتقاسم
المؤذنون فيما بينهم ساعات الليل ليقوم كل واحد
بنصيبه من ايناس المرضى والغرياء .. وتلك مفخرة
اجتماعية سارت بذكرها الركبان ...

194 - مسمع

هو المنشد الذى ينشد الامداح النبوية
والقصائد الصوفية فى الافراح والائم والمواسم
والمسمعون لهم جماعة ملتفة حول رئيس ..

189 - مجادلي

المجدول : هو ضفيرة من حرير او صوف او
خيوط ، والمجادلي هو محترف ضمير الجاديل ،
وسوق الجاديل معروفة بفاس ...

195 - مشطاط

صانع المشط من ثرون البقر والكباش وسوق
المشاطين شهيرة ..

196 - مشامري

المشامري : هو الذى يفتل « المشامير » وهي
مجاديل رفيعة من الحرير يضاف اليها احيانا خيوط
ذهبية .. تتخذها النساء لرفع اكمام ملابسهن
الواسعة ..

190 - محاط

المحاط : هو المتجول ببضاعته . اذا وجد
ساحة او فضاء نشرها وجلس لبيحها .. وليست
له حانوت .. والجمع المحاطة

197 - مشاوري

هو المخزني الذى يتولى الاستئذان لطلب
مقابلة الحكام والرؤساء ..

191 - مخزني

هو عون من اهوان السلطة : الباشا او العامل او
الوزير بخلاف العون فهو خاص بالقاضي ودار
الشرع ، (اي الحكمة) .

198 - مصايبي

(المضمة) هي الحزام وتكون من جلد مطرز
وهناك مضمات للنساء واخرى للرجال والمصايبي
صانع المضمات .. وكانت هناك (كرزبان) للرجال
تباع فى سوق الكرازين .

192 - سوزوار

هو الذى يرجع اليه امر بعض الاسر النبيلة
وهو الواسطة بينهم وبين السلطة وهو عادة نسابة
من اهل العلم والفضل ..

199 - المفتي

هو عالم متفلع من علوم الشريعة يتولى اعطاء
نظره - استنادا على النصوص التشريعية - فى
المنازعات المرفومة الى نظر القاضي .. ويتقاضى على
ذلك اجرا ..

200 - مقدم الحومة

(1) - النجار الرقائقي وهو محترف صنع

هو رئيس (المسة) والواسطة بين اهل الحي والسلطة وكان اهل الحي يختارون (مقدمهم) بموافقة السلطة ..

المصنوعات والادوات الخشبية ..

(2) - النجار (الشفايلي) وهو محترف وضع

«قناطر» البناء والسقوف والابواب الكبرى فعمله اساسي في اشغال البناء والتشييد ..

201 - مكاس

وهناك «الخشاب» وهو بالاضافة الى معرفته بالنجارة يتجر في الاخشاب .

قايض المكس المضروب على الاسواق والجمع المكاسة .

وهناك « النشار » وهو من اصوان النجار ويقوم على نشر الاخشاب الكبيرة وتجزئتها الى الواح صالحة لعمل النجار .

202 - منجم

وحرفة النجارة تشمل الجميع ..

هو العارف بالنجوم والاقوات فهو من قبيل المؤقت وربما تعدى ذلك الى اشياء اخرى من معرفة الطالع واسرار الحروف وغيرها .

207 - نساخ

النساخ : هو الذي يتولى نسخ الكتب باجر . والجمع : النساخة . وكان للنساخة شأن وجمال فني ، قبل ازدهار فن الطباعة

203 - مسورق

هو واعظ ندي الصوت يتولى سرد كتب الحديث والقصص والسيرة على كرسي في المساجد قبل وبعد الصلاة وله احباس خاصة به .. وربما اطلق عليه (الوراق) انظر السلوة ج 1 ص 303 .

208 - نشار

هو الذي يتولى نشر الاخشاب مع النجار والجمع النشارة

204 - مواكني

هو العارف بتفكيك «المكانة» وهي الساعة .. وتركيب اجزائها واصلاحها والجمع المواكنية . وهو المعروف في بلاد الشرق العربي بالساعاتي ...

209 - نفاار

صاحب (النغير) وهو مزمار نحاسي طويل ، والموسيقى الشعبية فيها (طبال) وغياط (ونفارة) وقد يسمى النفار بواقا .

205 - نفاظر

هو الساهر على مصالح الاحباس الكبرى او مصالح احباس الزوايا والاسر والجمع النظار .

210 - نقاش

متولي النقش على المعادن .. ويطلق ايضا على المعلم «الزلايجي» الذي ينقش «الزليج» والجمع نقاشة ..

206 - نجار

النجار واحد النجارة ، وسوق النجارين شهيرة بفاس وما زالت تمثل هيئتها القديمة بحوائيتها الواسعة التي لا ابواب لها ومصنوعاتها المتعددة من جفان وموائد وصناديق وخزانات ، وغيرها .. والى جانبها سوق البلاجين اصحاب حرفة (البلاجة) . والنجارة نوهان :

211 - نقال

هو صاحب دابة - حمار او بغل - ينقل عليها الانتقال داخل المدينة ، والجمع النقال .

212 - نكافة

وقد كانت هناك سوق للوشايين قريبة من السراجيين . وكان الوشاي يقوم بنقش الفماد السيوف والخناجر وما اليهما .
والحرفة الان تكاد تنقرض .

هي التي تتولى شؤون العرائس وتسهر على زينتهن ولباسهن ولها جماعة من صواحبها يسمين « الجرايات » انظر رقم 23 .

216 - وقاف

الوقاف هو الذي يسهر على مراقبة عمال البناء ويقوم باداء اجورهم وباليهم بالمواد التي يتوقف عليها عملهم ويكون مكلفا بذلك من طرف السلطة او الاحباس او غيرهما .

213 - نوابيري

هو جامع الازهار، وبالمها. وله ولوع باستنبات الازهار والرياحين . والجمع النوابيرين .

214 - نيسار

هو صاحب حرفة كان لها شان كبير وهي صناعة « المناسج » التي يستعملها « الحرارة » و « الدرازة » وهذه « المناسج » عبارة عن حاملات للخيوط لكل خيط مين خاصة يخرج منها ليتصل بغيره من خيوط اللحمة والسدى

217 - وزان

هو الذي يتولى في « قاعة » السمن وزن السمن والمسل كما يتولى « المبار » كيل الحبوب في « الرحبة » فكلاهما امين مصدق من طرف البائع والمشتري ولهما اجر معلوم .

وما زالت لهذه الحرفة بقايا في سوق النيارين وما جاورها . انظر السلوة ج 2 ص 361 .

218 - وكيل

هو الذي يتولى رفع الدماوي والخصومات نيابة عن غيره في « دار الشرع » ويسمى ايضا (الوكائلي)

215 - وشاي

وهناك وكيل الفياب المكلف بالسهر على حقوق المتغيبين عن الميراث ...

الوشاي : هو محترف نقش ركاب الخيل ويردها بعد خروجها من يد الحداد الذي يصنعها .



مُعْجَمُ أَعْلَامِ النِّسَاءِ بِالمفْرَبِ الأَقْصَى

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ عَبْدِ اللهِ

- أمّة بنت سعد الغماري كانت عالمة جمعت بين
التقوى والمعرفة توفيت عام 1260 هـ .
- (سلوة الأنفاس ، للشيخ محمد بن جعفر
الكتانسي)
- أمّة بنت الطيب بن محمد الشرفسي المعروف
بالجميل كانت متصوفة توفيت عام 1187 هـ .
(سلوة الأنفاس)
- أسماء العامرية شاعرة من شواعر اشبيلية كتبت
الى عبد المومن بن علي الخليفة الموحد الذي
وحد أفريقيا الشمالية والاندلس تحت حكمه —
رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامري وتساله
رفع الانزال من دارها (اى ضريبة الضيافة
للجند والحشم الملكي) والاعتقال من مالها .
(نفع الطيب للمقري)
- أمة الرحيم بنت ضياء الدين عيسى بن يحيى
السبتي كانت محدثة سمعت الحديث من والدها
وأجاز لها جماعة من العلماء في القرن الثامن
للهجرة .
(الدرر الكامنة لابن حجر)
- أمة العزيز بنت دحية السبتي لها اشعار راقية
روى لها أبو الخطاب عمر بن دحية في « المطرب
من اشعار المغرب » .
- أمة العزيز الحرة عزونة شقيقة الرشيد عبد
الواحد بن ادريس بن ابي يوسف يعقوب المنصور .
(البيان المغرب لابن عذارى ج 4 ص 307)
- أم البنين جدة الشيخ احمد زروق فقيهة مألحة .
- أم العز بنت محمد بن علي بن ابي غالب العبدري
كانت مجودة للقراءان بالسبع روت عن ابيها
صحيح الامام البخاري .
- أم العلاء سيدة بنت عبد الفزي بن علي بن عثمان
العبدري الفرناطية نزيله فاس ثم تونس كانت
تعلم القراءان بفرناطة وكتب « احياء علوم الدين »
للغزالي من اصله .
(الجدوة لابن القاضي ص 324)
- أم عمرو بنت ابي مروان بن زهر طبيبة دار
المنصور كانت تمارس الطب وتداوي نساء البلاط
الموحدية بمراكش ويستفتيها الموحدون في طب
النساء والاطفال .
- وبنت أم عمرو من ابي العلاء بن زهر كانت هي
ايضا عالمة بصناعة الطب والتوليد .
- أم قاسم الحسنوية الكناسية حفظت القراءان
بثلاث قراءات (نافع والمكي والبصري) .
- أم قاسم زهراء جدة الامام حسن المرادي
الاسفي المغربي المصري عرفت بالشيخة وعرف
بها حفيدها أم ابيه (الكانوني) . في شهيرات النساء
- أم الكتب جارية اسماعيل بن عبد الله كانت تنكب
على مطالعة الكتب والدواوين وهي من اهل
القرن الثاني عشر (الكانوني في « شهيرات
النساء » (مخطوط) .
- أم كلثوم بنت الشيخ بن ناصر السدوسي قرأت
الوفايضية في الفقه والبردة في السيرة وكانت
ذات مكانة في العلم مثل كثيرات غيرها من نساء
درعة الناصريات .

— ام المجد مريم بنت ابي الحسن الشاري الغافقي
السبتي احد الة سبته التي اسس بها مدرسة
للغرباء وحبس عليها اول مكتبة من نوعها بالمغرب
وقد درست الحديث ووصفها محمد بن القاسم
السبتي بالمعجوز المسنة المسنة في كتاب «اختصار
الاخبار مما كان بسبته من سنى الازراء» (ص 5).
— ام النساء بنت عبد المومن التاجر الفاسية
شاعرة مغربية عاشرت الشيخ محي الدين بن
مربي الحاشمي . ومن شعرها :
جاء البشير بوعد كان ينتظر

فأصبح الحق ما في صفوه كدر
من خير هاد، لهذا بالهدى يامرنا
وفي أوامره التسيدي والنظر
ا مشاهير النساء لمحمد ذهني)

— ام هانيء امة الرحمن بنت القاضي عبد الحق بن
غالب بن عطية تلمذت لوالدها واخذت الناس
العلم منها وهي والدة ابي جعفر احمد الاديب
طبيب المنصور الموحي ذكر ابن عبد الملك ان
لها تصانيف في الوعظ والادعية .

— ام هانيء بنت محمد بن موسى الصبوسي درست
الفقه على اخيها وذكر زروق انها توفيت عام
860 هـ . وهي حسب ابن غازي الكناسي آخر
نقهاء الاسرة المبدوسية

— تيممة بنت يوسف بن تاشفين ام طلحة اللمتونية
كانت راجحة العقل جيدة النادرة شهرت بالادب
والكرم ذات ثروة تشرف على ادارة دواليبها
ولها كتبة تحاسبهم بنفسها .

ا التكملة لابن الأبار ص 407 ، والجدوة لابن
القاضي ص 105) .

— الجارية المظلومة نشأت بالمغرب اهداها يوسف
ابن تاشفين للمعتمد بن عباد فرمى بها في النهر
عندما عرضت به في آيات شعرية .
ا نفع الطيب ج 2 ص 454 طبعة مصر) .

— حباب جارية السلطان ابي العلاء ادريس المامون
والدة السلطان عبد الواحد بن المامون وهي
اسانية الاصل من دهاة النساء (حسب
القرطاس لابن ابي زرع) . ولما توفي المامون
في حصار سبته كتبت موه وآمرت مع ثلاثة من
القواد حتى اخذت البيعة لولدها .

— السيدة الحرة بنت علي بن راشد قائد شفشاون
كان لها صيت واسع في الميدان السياسي ولدت
عام 900 هـ ، ودرست العلوم على عدة شيوخ

وكذلك الاسبانية لان امها اندلسية هي لالة
زهرة ، وكانت قد تزوجت عليا المنظري وانتقلت
معه الى تطوان حيث وجدت وسطا أندلسيا
ثقفا رقيق الحاشية كالذي ربيت فيه ، وكان
زوجها في نضال مستمر ضد البرتغاليين في طنجة
واصيلا وسبته ، ساعدها على لمس الدسائس
السياسية التي كانت تحاك في ذلك العصر ضد
المغرب ، وعندما مات المنظري تزوجت مولاي
علي بن عمر الحسني ، وكان لها سفر قرصنية
تعمل بالشواطئ الاسبانية ، كما كانت لها
علائق طيبة مع الاتراك ومع سلطان فاس ، وفي
عام 1541 م تزوجت مولاي احمد الوطاسي
الذي اناط بها في تطوان مهمة الاتصال
بالبرتغاليين ، وكان لها شجار مع والي سبته
التي كانت تطمح هي الى احتلالها ، بينما كان
الوالي البرتغالي يطمح الى الاستيلاء على تطوان
لترويج منتجات بلاده داخل المغرب ، وبذلك
كانت اولى المجاهدات المغربيات اللواتي اسهمن
في تحرير الشفور المحتلة .

الحسني بنت سليمان بن محمد النجاشي زوجة
المولى ادريس الازهر ملك المغرب ، كانت اليها
المشورة في دولته .

(الدرر السنية - ص 8 - طبعة مصر) .

ابنة احمد بن الخطبة هو احمد بن عبد الله بن احمد
ابن هشام بن الخطبة فاسي الاصل ، نزل بمصر
وعين قاضيا بها ايام الشيعة عام 533 هـ فامتنع
وكان قد علم كلا من زوجته وابنته الخط
فكان يكتب معهما في الكتاب الواحد ، فلا يفرق
أحد بين خطوطهم .

(طبقات القراء لابن الجوزي ج 1 ص 71) .

حفصة بنت الحاج الركونية استاذة نساء دار
المنصور بمراكش ، كانت اديبة زمانها وابليغ
شعراء اوانها ، لها خط جيد (الدر المنثور في
طبقات ربات الخدود ص 165) وكانت استاذة
وقتها ، (الأحاطة لابن الخطيب السلطاني نقلا
عن الصلة) ، وذكر ابن دحية انها رخيمة الشعر
رقيقة النظم والنثر ، وقد افردتها المستشرق

الفرنسي دوجيا كومو De Giacomo
بالتأليف (Hesperis T 37)

الاميرة حليلة بنت علي بن حسين السفياني
زوجة السلطان مولاي اسماعيل ووالدة المولى
زيدان العلوي .

وذكر الرحالة الاسحاقي انها كانت لزوجها وزير
صدق وبطانة خير .

خبرونة الفاسية ، كانت تحضر مجلس عثمان
السلالجي امام اهل فاس في اصول الدين على
طريقة الاشعري ، الف لها العقيدة البرهانية
(شرح البرهانية - مخطوط بمكتبة جامعة
القرويين ، حبه المنصور السعدي عام
1009 هـ) .

رقية بنت الحاج ابن العايش اليمقوية ، اديبة
فقيهة عارفة بالعربية واللغة والتفسير والشعر
والسيرة واسرار الحروف والاسماء والتوحيد
والبيان والصرف ، درس عليها الرجال والنساء
الغية ابن مالك واضاءة الدجنة والقاموس
والتاريخ والتفسير (حيث كانت تتوخى اسباب
النزول وعلوم القردان) وانساب المغرب ،
توليت اوائل القرن الرابع عشر ، وهي من
شنقيط .

رحمة بنت الجنان المكناسية ، زوج الحاج
مزوز ، كانت حافظة للاحاديث الصحاح ، عالمة
بقصص القرآن واخباره . (الاتحاف لابن زيدان)
رقية بنت حديدو البربرية من ربات الفروسية
والشجاعة ، كانت تحكم قبيلة آيت زدك الجبلية
وقد هاجمت في احدى الوقعات وحدة عسكرية
فرنسية كان يقودها الجنرال ازموون الوالي العام
للجزائر بالنيابة ابان الاحتلال .

ربيعة بنت الشيخ محمد الحضرمي حفيذة
الشيخ ماء العينين لها عارضة في الادب ، كانت
نقادة للشعر ، وهي اخت ميمونة التي ستاتي
ترجمتها .

الزرقاء المردنشية بنت الرئيس محمد بن
سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس زوجة
الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي ضرب
المثل بحبه لها . (الكانوني) .

الزهراء بنت محمد الشرقي الفاسي زوجة ابن
علي اليوسي وهي شيخة فقيهة اخذت من زوجها
الحسن عن طريق الاجازة جميع مروياته ، واخذ
منها ابن اخيها اللغوي الفذ محمد بن الطبيب
الشرقي استاذ الشيخ مرتضى الزبيدي شارح
القاموس .

الزهراء : زهوز اخت ابن الحجاج يوسف بن
منصور بن زيان الوطاسي اشرفت على حكم
مدينة فاس مع القائد الشكيرى عندما ثار هامة

حليمة بنت مولاي علي بن زيدان قرأت على
اخيها والد مولاي مبد الرحمن بن زيدان
(نقيب الاسرة العلوية المالكة رحمه الله) ، لها
المام بالاداب وولوع بفتح الطيب .

حمدة بنت زياد بن عبد الله العونسي المعروف
بالمؤدب ، شاعرة اندلسية من وادي آش ،
علمت النساء في دار المنصور الموحدى وكانت
تلقب بخنساء المغرب .

(الاطحة لابن الخطيب) ، (ياقوت - معجم
الادباء ج 4 ص 144) .

حواء بنت ابراهيم بن تيفلوت المسوفية ، كانت
لها دراية بالقران ومسكة من العلم تحاضر في
الادب .

حواء بنت تاشفين اخت السلطان يوسف
المرابطي ، كانت من ابرز نساء عصرها .

خديجة بنت احمد بن مزوز الحميدي الفاسية
قرأت الروايات من الحسن جنبور وتوفيت
يفاس عام 1323 هـ .

خديجة بنت عبد الله الحوات الشفشاونية عمة
المؤرخ الشهير ابي الربيع سليمان الحوات ،
كانت تعلم النساء المنقطعات براوية سيدي
يوسف التليدي .

خديجة بنت الامام محمد المتيق الشنجيطي ،
لها مشاركة في العلوم ، كانت انجب عالمات
عصرها ، وقد بدت كثيرا من العلماء المعاصرين
لها في مختلف العلوم .
(شهيرات نساء المغرب للكانوني) .

خديجة بنت هارون بن عبد الله الدكالية ، قرأت
القران بالروايات السبع وحفظت الشاطبية
حجت ثلاث عشرة حجة ماشية على الاقدام ،
وحجتين رابطة ، توفيت عام 695 هـ .

(تحفة الاحباب للسخاوي ، واعلام النساء
لمر رضا كحالة) .

خنانة بنت بكار المعافري زوج السلطان مولاي
اسماعيل المعنوي ، ذكر العلامة اكنسوس في
«الجيش المرمر» ، (ص 105) ، انها حصلت على
مسكة من العلوم ، وكتبت على هامش الاصابة
لابن حجر ، وقد عثر في مكتبة القصر الملكي
بالرباط على اجزاء من الاصابة عليها خطها في
عدة مواضع ، وكانت تصدر ظواهر ومراسيم
في بعض الشؤون القبايلية في عهد زوجها وولده
عبد الله ، وكان زوجها يستشيرها في شؤونه ،

تم ارتحل الى لانديس فوفدت على ابن الاحمر وراست الادباء والشعراء كابي عبد الله ابن المراط والفتية ابي عبد الله الدراج والقاضي ابي امية الدلاي ، ثم وفدت على ابي يوسف ابن عبد الحق المريني بمراكش فمدحته فاكرمها وتوفيت في ايامه (اي بين 656 و 685 هـ) بالدار البيضاء بمراكش .

(شهيرات التونسيات لحسن حسني عبد الوهاب) ست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي السبتي اجازها ابن رشيد سنة وفاته (721 هـ) .

(راجع ازهار الرياض)
الاميرة سحابة الرحمانية ام عبد الملك الغازي السعدي اخ المنصور السعدي وشهيد معركة وادي المخازن ، قامت بدور هام في حمل الخليفة التركي على اصدار امره لوالي الجزائر بمساندة ولدها على استرجاع ملكه بالمغرب الاقصى صام 983 هـ .

سعيدة بنت محمد بن نيرة التطيشي ، كانت ناسخة ، ومعلوم ان هذه المهنة كانت مهمة بالانديس حيث حكى ابن الفياض في تاريخه في اخبار قرطبة انه كان بالرطب الشرقي وحده لهذه العاصمة مائة وسبعون امرأة يكتبن المعاف بالخط الكوفي .

سكينة بنت السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي ، كان لها ولوع بقراءة الكتب والدواوين .

شريفة بنت عبد اللطيف بن محمد بن احمد الحسني الفاسي محدثة ، ولدت في النصف الاول من سنة 810 هـ . وسمت من الزين المرابي المسلسل وغيره ، واجاز لها ابن الكويك وهائشة ابنة عبد الهادي وجماعة ، وتوفيت بمكة في صفر سنة 882 هـ .

(الضوء اللامع للسخاوي)
الشلبية الاندلسية شاعرة ناثرة ، كتبت الى يعقوب المنصور تنظم من ولاة بلدها وصاحب خراجها ، لبحث السلطان في قضيتها وامر لها بصله . (نفع الطب)

صفية بنت السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوي ، حفظت القران بقراءة البصري .
صبح جارية الحكيم الجزائري فيلسوف المغرب وطبيبه وكاتب ديوان الانشاء في دولة ابي الحسن المريني ، تسرى بها وقتنها حظا من العريسة والادب ، فنظمت الشعر .

المدينة على السلطان عبد الحق المريني واقامت محمدا بن علي الجوطي اماما فبقي الى سنة 875 هـ حيث عزلها ابو الحجاج المذكور وبقيت المدينة تحت نظرها حتى تولى الامير محمد المدعو الشيخ بن ابي زكرياء الوطاسي .
(الجدوة ص 131) .

الاميرة الزبانية : ذكر لسان الدين بن الخطيب في « اللحة البدرية في الدولة النصرية » (ص34) ان يغمرا سن بن زيان هو اول ملوك تلمسان وان زوجة اخيه سبقتة في اعتلاء اريكة الحكم .

زينب بنت ابراهيم بن تيفلوبت زوج ابن الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ، كانت تحفظ جملة وافرة من الشعر . (التكملة ص 407) .

زينب بنت ابراهيم بن يوسف بن قرقول التونزي عام 569 هـ ، سمعت على ابيها ، وهي عالمة ضابطة متقنة الرواية .

زينب بنت اسحاق النفاوية الهوارية - تزوجت ابن وطاس شيخ وريكة ثم تقوط المغراوي صاحب الهجات ثم ابا بكر بن عمر ثم يوسف بن تاشفين وكانت - كما يقول ابن خلدون - احدى نساء العالم المشهورات بالجمال ، وقد اسس ابن تاشفين من اجلها حاضرة مراكش (كما لاحظ ذلك صاحب الاستبصار ، وهو شخص مجهول ربما عاش في القرن السادس الهجري) .

زينب ابنة الخليفة يوسف بن عبد المومن بن علي الموحد تزوجها ابن عمه ابو زيد بن ابي حفص بن عبد المومن ، اخذت علم الكلام واصول الدين عن ابي عبد الله بن ابراهيم امام التمايم والفنون فكانت عالمة صائبة الراي فاضلة .
(التكملة ج 3 ص 747) .

سارة بنت احمد بن عثمان بن الصلاح الطيبة الفاسية ، استاذة شاعرة وطبيبة ماهرة ، كانت لها مكانة مرموقة في الادب ، اجادت كثيرا من الصناعات ، اصلها من الشام ، ووفدت على الامير المستنصر بالله الحفصي صاحب الريقية وهو يقصره المعروف بابن مهر فمدحته بقصيدة ، وقد لقيت بغاس عبد الله بن طلي بن سلمون فاجازته والبسته خرقه التصوف ودخلت سبنة اوامر المائة السابعة (الاعلام للزركلي) ولها قصيدة اجابت بها الرحالة ابن رشيد السبتي،وقالت في الشعر مخاطب مالكا بن المرحل:
ياذا العلى يا مالكا

انعم على بما لك

- صفية العزفية السبئية من فضليات نساء عصرها
علما وحلما وصيانة . (الكاظمي)
- صفية بنت المختار ، كانت عارفة بالتجويد
والتفسير والسيرة وأنساب العرب والعريضة
انتصبت للتدريس وتوفيت عام 1323 هـ .
- هانكة بنت ملك المغرب علي بن عمر بن المولى
ادريس زوجة الملك يحيى بن يحيى بن محمد
قامت بدور هام في الحقل السياسي ، وكانت
العامل الأساسي في خروج الحكم من يد بني
محمد بن ادريس الي بني عمر بن ادريس في
القرن الثالث الهجري .
- العالية بنت الشيخ محمد الطيب بن كيران ، كان
والدها يمتد مجالس علمية يحضر النساء فيها
وكانت هي تدرس المنطق في جامع الاندلس
بفاس ، وكان لها ضلع في مختلف العنون يحضر
النساء دورتها بعد العصر ، والرجال وقت
الظهر ، وقد لاحظ الرحالة مولييراس
Mouliercs في كتابه « المغرب المجهول »
Le Maroc Inconnu السلي صدر عام
1895 م ، ان غالب نساء فاس كن قارئات ، لهن
المام بالادب ، خصوصا قصائد الامام الفرناطي،
وهو في ذلك واهم لان الثقافة النسوية كانت
محدودة جدا .
- عائشة ابنة الشيخ الكاتب الوجيه ابي عبد الله
ابن الجبار المحتسب بسبئية ، قرأت علم الطب
على صهرها ابي عبد الله الشريشي المتوفى عام
771 هـ . ونبتت فيه وكانت عارفة بالطب
والعقاقير وما يرجع الي ذلك بصيرة بالماء
وعلاماته .
- « بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبئية
في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب »
(مجلة بطوان 1964 عدد 9 ص 173)
- عائشة بنت الحاج بونافع الفاسية زوجة علي
ابن محمد الزبادي المتالي والدة العالمين عبد
المجيد ومحمد ، كانت تحضر مجالس ولدها
عبد المجيد في شرحه « للنصيحة الكافية »
ودروسه في الفقه والتوحيد برسالة ابن ابي زيد
القيرواني ، وكذلك السيرة النبوية بكتاب
« الشمال » كما كانت تحضر مجالس ولدها
محمد في الوعظ .
- عائشة بنت احمد بن عبد الله المراكشبية ،
اخذت عن الشيخ عبد الله الفزواني وتقيت
الشيخين ابا محمد الهبطسي و ابا البقاء عبد
- الوارث ، توفيت عام 969 هـ .
(ليفي - بروفنصال - نخب تاريخية لاخبار
المغرب) .
- عائشة العدوية عابدة زاهدة اخذت عن ابي
العباس احمد ابن خضراء ، توفيت عام 1080 هـ
(تاريخ مكناس لابن زيدان) .
- العريفة بنت بن نجو هي التي وضعت للسلط
السمدي تراثيه الحضارية من طبخ ولباس
واسلوب حياة اقتباسا من مظاهر الحضارة
المرينية الاندلسية (راجع ترجمتها في تاريخ
الدولة السمعية الدرمة لمؤلف مجهول طبعة
كولان 1353 - 1934 ص 24) .
- مودة بنت احمد المزكي ام المنصور السمدي
امتنت ببناء القناطر واصلاح السبل والمساجد
وديار مبيت القوافل في الطرق ، وبنت جامع
باب دكالة بمراكش وحبت عليه احباسا طائلة
اطال فيها صاحب « المنتقى المقصور » واطاحت
جسر وادي ام الربيع وجسر وادي بابل
وجسر وادي فاس ، توفيت عام 1000 هـ .
درة الحجال لابن القاضي ج 2 ص 406 طبعة
الرباط 1354 - 1934) . واست بازاء
المسجد مدرسة للطلبة الغرباء ومكتبة وذخائر
كتبت على بعضها بخط يدها ، منها : الجزء
الاول من « بيان الوهم والايهام الواقعين في
كتاب الاحكام » لملي بن القطان المتوفى عام 628
الفسانية زوجة الاستاذ عتيق بن محمد بن علي
الفساني نزيل مراكش وافمات ، وهي استاذة
بالقراءات السبع . (تكلمة ابن عبد الملك)
- فاطمة ام البنين بنت محمد بن عبد الله الفهري
مؤسسة جامع القرويين عام 245 هـ .
- فاطمة بنت ابي علي الصدي ولدت عام 490 هـ
كان لها اطلاع واسع على المكتبة العربية ، حافظت
للحديث ، حسنة الخط ، زاهدة في الدنيا .
- فاطمة بنت احمد زويتن فقيهة ، ذكر المؤرخ
السللاوي محمد بن محمد بن علي انها كتبت
نسخة من البخاري بخط يدها في خمسة اجزاء
ولوها منها بالحديث .
- فاطمة بنت محمد بن موسى المبدوسي فقيهة
درست على أخيها المتوفى عام 849 هـ .
- فانو بنت عمر بن بنتيان اللمتونية ، كانت رمزا
للبطولة العسكرية ، دافعت من قصر الخلافة
بمراكش طوان نصف يوم الي ان استسلم الامير
اسحاق بن علي المرابطي ، ولم يستطع الموحدون

الشيخ ماء العيين الشنقيطي ولدت مسام
1307 هـ . كانت راوية للشعر مشاركة في
المسوم .

نوار حظية زيدان بن المنصور السعدي ، قال
زيدان عنها انها ممن شرب سلافة الادب في قصة
رواها عنها ابن القاضي في فهرسته « رالد
الفلاح بعوالي الاسانيد الصحاح » (توجد
نسخة فريدة من هذا المخطوط بخط المؤلف في
مكتبة الاكاديمية الملكية التاريخية بمديرد
رقم 17 Collection Gyangos

هاجر بنت علي بن عمر الصنهاجية محدثة
سمعت من انزل الحراني .
(الدرر الكامنة لابن حجر)

هند زوجة الشيخ ماء العيين الشنقيطي ، لها
مشاركة في شتى الفنون .

ورقاء بنت يئنان الطليطبة الفاسية ، كانت
ادبية شاعرة بارعة الخط حافظة للقرآن .
(التكملة ص 409 والجدوة ص 335) .

* * *

ونورد هنا على سبيل المقارنة أسماء شهيرات
تونس كما وردت في شهيرات تونس للاستناد
حسن حسني عبد الوهاب او في مصادر اخرى
وهي مجرد نماذج لم نستقرئها نظرا لضيق
المجال ، فمن هؤلاء النسوة :

اسماء بنت اسد بن الفرات من فواضل نساء
عصرها في القيروان ، نشأت نشأة حسنة ،
فكانت تحضر مجالس ابها العلمية وتشارك
في السؤال والمناظرة واشتهرت برواية الحديث
والفقه على رأي اهل العراق اصحاب ابي حنيفة
وتوفيت في حدود سنة 250 هـ .

شمس أم الفقراء عارفة عابدة بمرساة الزيتون
في الفريقية اختلف اليها ابن عربي الحاتمي
المتوفى سنة 638 هـ . كانت متمكنة في الكشف
(رسالة القدس لابن عربي)

ام ملال بنت المنصور بن يوسف الصنهاجي
ولدت بالمنصورية قرب القيروان ، اقتنفت
الادب والعلم حتى فانت اخاها نصير الدولة
باديس فاشركها في تدبير الملك ، وبعد وفاة
اخيها سنة 406 هـ . اقيمت وصية على ولده
المعز فدبرت شؤون المملكة بمعزم وهمة وتوفيت
عام 414 هـ . ودلنت بالمهدية ثم نقلت الى

اقتحام القصر الملكي الا بعد مقتلها في 18 شوال
545 هـ ، وقد اثارت بطولاتها امجاب القواد
الموحدين .

قمر زوجة علي بن يوسف اللمتوني ، قامت
بدور هام في الحقل السياسي ، وكانت صاحبة
الرأي في الدولة ، تدار الشؤون العامة باشارتها .

الكنانية جارية ابي عبد الله الكنانسي ، عالمة
ادبية ، فانت اهل زمانها في الفناء والادب ، لها
معرفة بالنحو واللغة والعروض والطب وعلم
الطبائع والتشريح ، علاوة على اتقانها لصناعة
الثقاف والمجاولاة بالتراس واللعب بالرمح
والخنجر المرهفة ، توفيت في القرن الخامس
للهجرة . (البيان المغرب لابن عذارى) .

العالمية الكنتية زوجة الشيخ المختار الكنتسي
ختمت مختصر خليل في درس خاص بالنساء في
نفس الوقت الذي ختمه زوجها للرجال ، وقد
الف فيهما ولدتهما العلامة محمد بن الشيخ
المختار كتابه « الطريفة والتالدة في مناقب
الشيخ الوالد والشيخة الوالدة » وهو في مجلد
ضخم . (الترايب الادارية - عبد الحي الكنتاني
ج 1 ص 54) .

للا فيلانة ابنة الفقيه محمد (فتحنا) فيلان ،
توفيت عام 1189 هـ . كانت عالمة نساء تطوان
اعتنى بها والدها فلقتها علوم القرآن والحديث
والعربية والفقه ، وقد تلمذ لها كثير من النساء
وكانت تفتيهن .

(تاريخ تطوان - الاستاذ محمد داود
ج 3 ص 93) .

مريم بنت عبود الاندلسية متصوفة ، اخذ عنها
محمد بن عبد الرحمن المكناسي المعروف
بسيدي بصري المتوفى عام 991 هـ .
(الانحاف لابن زيدان)

مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري ، اصلها من
القيروان ، شرفت في بناء جامع الاندلس بفاس
عام 245 هـ . وهي اخت فاطمة أم البنين
مؤسسة جامع القرويين ، وقد اصبح جامع
الاندلس في القرن الرابع الهجري فرعا للقرويين
واشار عياض في مداركه الى حلقة العلم التي
كان يعقدها بهذا المسجد جبر الله بن القاسم
الاندلسي الذي ادخل علم الإمام مالك الى
المغرب ، ولقي اصبح بين الفرج .

ميمونة بنت الشيخ محمد الحضرمي ، حفيدة

- المنستير بمقبرة امراء صنهاجة وولها اكثر من مائة شاعر .
- بلاوة بنت تميم بن المعز بن باديس عرفت بحصافة الراي وكرم الشمال ، ولدت بالمهدية ورباها والدها على النسق العربي علما ودينا وتزوجت بابن عمها الناصر ابن حناص الصنهاجي صاحب قلعة بني حماد وبجاية ، فأمهرها ثلاثين ألف دينار ذهبا فاخذ والدها من ذلك دينارا واحدا ورد الباقي ، فزفت عام 470 هـ . واقامت بايون خاص بقلعة بني حماد اشتهر باسمها .
- خديجة بنت سحنون بن سعيد التنوخي عالمة من ذوات الراي والدين ، اخذت العلم من ابيها حامل لواء مذهب مالك بالمغرب واستفتاها نساء مصرها في القضايا الدينية ، توفيت في حدود سنة 270 هـ . ودفنت خارج القبروان .
- رشيدة بنت المعز عمه الحاكم بأمر الله ، ولدت بقرادة قرب القبروان ، وتوفيت عام 386 هـ . مخلقة ما قيمته مليون وسبعمائة الف دينار مع ثلاثين الف ثوب خز واثني عشر الفا من الثياب المصمتة الوانا ، وكانت دينة ، تاكل من غزلها لا من مال السلطان .
- (النجوم الزاهرة لابن تغري بردي)
- زليخا زوج المعز بن باديس من ربات البر والجمال والعقل ، اسعفت الشعب في الوباء الذي نزل بافريقية عام 425 هـ بستين الف كفن زينب بنت احمد بن ميمون التونسية المعروفة بابنة المغربي ، محدثة ، سمعت من الفخر التوزري والصفي الطبري وبكار بن قتيبة والشريف ابي عبد الله الفاسي ، وحدث عنها ابو حامد بن ظهير ، توفيت بمكة بعد سنة 780 هـ (الدرر الكامنة لابن حجر)
- عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني شاعرة من شواهر المغرب في القرن السادس للهجرة ، ومن شعرها :
اخلدوا قلبي وساروا
واشتياقا (1) او دهوني
لاصدا ان لم يعودوا
فاعدروني او دهوني
وقيل بمثل بهما الى معاصرها حسن بن الفكون شاعر وقته للمعارضة فامتدر .
- عائشة بنت عمران بن سليمان المنوبي ، ولدت بمنوبة قرب عاصمة تونس ، اخذت التصوف عن ابي الحسن الشاذلي ، توفيت عام 665 هـ .
- عبدة بنت المعز من ربات الفناء والثراء ، ولدت بقرادة ، وتوفيت سنة 386 هـ . وجد في تركتها 1300 قطعة مينا فضة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم ، واربعمائة سيف محلى بذهب ، وثلاثون الف شقة صقلية ، ومن الجواهر اردب زمرد وكانت لا تاكل في حياتها الا الشريد .
- (النجوم الزاهرة لابن تغري بردي)
- العبدرية سيدة بنت عبد الفني بن علي العبدري عالمة فاضلة ، ولدت في تونس اوائل القرن السابع ، وقامت بدور في الاندية العلمية والتعليم توفيت بتونس عام 647 هـ .
- (الوافي بالوفيات للصفدي - اعلام النساء لعمر رضا كحالة)
- فاطمة بنت محمد بن عثمان من فواضل نساء تونس تلقت من المعارف ما هو كليل بان يجعلها ربة منزل كاملة تزوجها ولي عهد الملكة التونسية الامير حسين بن محمد باي ، توفيت عام 1242 هـ فاطمة العاضنة ، ذات راي وحسن تدبير وسمعة ادراك ، وكانت نصرانية اسرها بعض غزاة البحر وسيقت الى المهدي ثم القبروان على عهد الامير المنصور الصنهاجي ، وكانت حاضنة لابنه باديس فعرفت بالعاضنة ، وقد وقفت على جامع عقبة بالقبروان الكتب النفيسة التي ما زالت حتى الآن ، وتوفيت في حدود 420 هـ .
- منانة بنت الامير علي باي بن حسين بن علي الحسيني ، اسمها آمنة ، تفقحت في الدين واللغة والحساب وتزوجت بالبائي محمود بن محمد الرشيد الذي امتلى العرش عام 1230 هـ بعد اخيها حمودة باشا ، وكانت لها دراية بالسياسة ، توفيت عام 1238 هـ ، وولها الشيخ ابراهيم الرياحي بقصيدة ، منها :
سكنت نسيحا من الجنان ظليلا
وقطونها قد ظللت تظليلا
- مريم الزناينة ولعلها - حسب حسن حسني عبد الوهاب - مريم بنت عبد الله الهواري المتوفاة عام 758 هـ وهي من شواهر القبروان .

* * *

(1) في الاصل واشتياقي واودموني ولعل الصواب ما ذكرنا .

اشعار النساء « (مخطوط بالكتبة الظاهرية بدمشق فيه تراجم 37 شاعرة مع نماذج رائعة من أشعارهن) وقد افرد كثير من العلماء المرأة بالتأليف، منهم محدث الهند محمد شمس الحق الالهبادي صاحب « عقود الجمال في جواز الكتابة للنسوان » . وزينب بنت فواز المصرية في « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » . والحافظ ابو الفرج بن الجوزي في « ري الظما فيمن قال الشعر من الاما » (ذكر فيه نحو 30 شاعرة) .

واورد الامام احمد في مسنده سبعمائة رجل من الصحابة ، ومن النساء مائة وثيفا ، (راجع المصمد الاحمد في ختم مسند الامام احمد) لابن الجوزي (751 - 833 هـ) في مقدمة الجزء الاول من مسند احمد طبعة احمد محمد شاکر) .

واستدركت عائشة على جماعة من الصحابة في كثير من الاحاديث ، منهم عمر وابنه وابو هريرة وابن عباس وعثمان وفاطمة بنت قيس وعلي والزبير وزيد وابو الدرداء وابو سعيد والبراء وغيرهم ، والف في ذلك جمع من العلماء آخرهم السيوطي كتابه « الاصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة » ، وقال مروة : « ما رأيت احدا اعلم بالحلال والحرام والعلم والشمو والطب من عائشة » .

وقد ذكر ابي رشد : عند تعرضه للاطلاعون في جمهوريته أنه « لا اختلاف بين الرجال والنساء في الطبع وانما هو اختلاف في الكم اي ان طبيعة النساء تشبه طبيعة الرجال ولكنهن اضعف منهم في الاعمال والدليل على ذلك مقدرتهن على جميع اعمال الرجال ، كالحرب والفلسفة وغيرهما ، ولكنهن لا يبلغن فيها مبلغ الرجال ، ومن اطرف آرائه انه يرى في الموسيقى ان يكون مؤلف القطعة الموسيقية رجلا والموقع او المعنى امرأة ، وقد كان ابن رشد يستشهد على صحة قوله « باناث الكلاب » ، والمع الى سوء وضع المرأة في الشرق من عدم تمكينها من اظهار قواها ، كأنها لم تخلق الا للولادة وارضاع الاطفال . (ظهور الاسلام ج 3 ص 257) .

تلك نماذج من اوجه نشاط المنصر النسوي بالمغرب العربي ، (1) لم تبلغ فيها المرأة عندنا احيانا شأوا المرأة الشرقية في كثير من الميادين اذا ما قارنا نشاطها بالادوار التي قام بها النساء في الثقافة عامة وفي العلوم الاسلامية خاصة بالشرق العربي ، ويكفي ان نستخلص لوائح هؤلاء النساء المشرقيات مع ميادين اختصاصهن لنلمس الفارق . فقد ترجم ابن حجر حياة 1543 امرأة (الاصابة ج 4 ص 424 - 984) وخصص النووي في تهذيب الاسماء ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، والسخاوي في « الضوء اللامع » حيزا كبيرا للمالمت .

واتهم الذهبي 4000 من المحدثين ولكنه قال من المحدثان : « وما علمت من النساء من اهتمت ولا من تركوها » . (ميزان الاعتدال ج 3 ص 395) .

وجلس الى نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي المحدث مشاهير العلماء مثل الشافعي (ابن خلكان ج 2 ص 251) .

وكانت الشيخة شهدة تلقب « فخر النساء » حاضرت في مسجد بغداد امام جمهور عظيم من الطلاب في الدين والادب والبلاغة والشعر حتى اصبح من نشاط العلماء .

(Ameer Ali : The Spirit of Islam, p. 255)

وجلس الى عنيدة خمسمائة تلميذ من الرجال والنساء (ص 50 من كتاب الشكوى المنشور بالمجلة الاسيوية سنة 1930) .

وقرأ الخطيب البغدادي البخاري على كريمة بنت احمد المروزي التي اسهمت بنصيب كبير في تكوينه (باقوت ج 1 ص 247 - صلة ابن بشكواه ج 1 ص 133) .

وقرأ ابن سائر على 81 امرأة (باقوت ج 5 ص 140 - التميمي الدارس ج 1 ص 101) . والسرد السيوطي النساء بالتأليف في « نزهة الجلوس في

(1) راجع بعض شهيرات نساء الاندلس في نفع الطيب للمقري ج 5 ص 299 (طبعة القاهرة 1367 هـ / 1949 م)

معاملة مركزة عن القبائل والمدن والقرى

في اطار اعداد موسوعة المغرب العربي انعقد في غضون شهر اكتوبر 1969 اجتماع بمقر المكتب الدائم ، حضره بالنيابة عن السيد وزير الداخلية المغربية الاستاذ محمد المزوزي ومساعدوه لوضع (1) لائحة المعلومات التي رجا المكتب الدائم من وزارة الداخلية المغربية الحصول عليها ونشر فيما يلي هذه اللائحة التي ستوجه الى الولاة والباشوات والقواد والشيخ للاجابة عنها حتى تكتمل لدى المكتب الدائم الوثائق الضرورية لاخت نظررة شاملة مستقراة عن تاريخ كل بقعة من بقاع المغرب العربي .

الفصل الثاني : البحث الجغرافي

- (1) نظرة عن الجوانب الجغرافية والجيولوجية
- (2) الموقع - المساحة - الحدود
- (3) الطقس - الاودية - العيون

الفصل الاول : البحث التاريخي

- (1) نظرة عامة من الحالة فيما قبل التاريخ
- (2) موجز لتاريخ القرية او المدينة
- (3) المظاهر البارزة في هذا التاريخ

(1) كان من بين نقط جدول الاعمال ايضا في هذا الاجتماع تميم تعريب لافئات الاشهار في المغرب وتصحيحها، ومعلوم ان وزير الداخلية المغربية سبق له ان وجه تعليمات لهذا الغرض الى كافة ولاة المغرب ويشرف المكتب الدائم الان بتعاون مع بعض العمالات على مراقبة تعريب اللافئات

- 4 (عدد السكان - المجموعة السكانية : عربية - بربرية - يهودية - اجنبية - لهجاتها
- 5 (توزيع السكان - اسماء القبائل والدواوير بالعربية مع شكل الاسماء خريطة مفصلة للمجاعة القروية
- الفصل الثالث : البحث الاقتصادي**
- 1 (نظرة عن العوامل الاقتصادية والتجارية والصناعية والفلاحة التي تمتاز بها القرية
- 2 (تنظيم الاراضي : ملك الدولة - ملك الجماعات - ملك الاحباس
- 3 (الفلاحة
- 4 (المياه والقباب ونورتها الحيوانية والنباتية
- 5 (الماشية
- 6 (الاسواق
- 7 (حالة الطرق
- 8 (السياحة
- 9 (المشاريع الاقتصادية
- الفصل الرابع : البحث الاجتماعي**
- 1 (قائمة الشخصيات البارزة التي كان لها دور في تاريخ القرية مع موافاتها باسماها ومناوين هذه الشخصيات الحية التي نرحمت عن القرية .
- 2 (الفلكلور : رقص - غناء - رسم الخ ..
- 3 (الصنامة التقليدية - انواع المصنوعات وتطورها .
- 4 (حفظة القرآن
- 5 (الزوايا - المواسم
- 6 (المظاهر الحضارية والعمارة
- 7 (الحمامات
- 8 (الكتابيب القراءانية : عددها - تاريخ بنائها - تطورها - الدروس العلمية فيها - عدد المقلبين عليها .
- 10 (عدد المكتبات العامة والخاصة مع قائمة مخطوطاتها
- 11 (حركة الهجرة دخولا وخروجها مع اسبابها
- 12 (التطور الفكري بصفة عامة
- 13 (تطور المرأة نكريا واجتماعيا واقتصاديا
- 14 (التعليم : المدارس الابتدائية والثانوية والعالية عند الانتشاء - عدد التلاميذ والمعلمين والاساتذة .
- 15 (المستوى العام للتعليم مع المقارنة بين العصور: قبل الحماية واثناها وبعده الاستقلال
- 16 (التعليم الحر
- 17 (حالة الطلبة الاجتماعية
- 18 (الاحياء الجامعية والمدارس المتيقة
- الفصل الخامس : التجهيز الاداري**
- 1 (التجهيز الصحي
- 2 (التجهيز القضائي
- 3 (الشرطة
- 4 (الدرك الملكي
- 5 (البريد والمواصلات
- 6 (الاشغال العمومية - الطرق - القناطر - السدود - الحدائق العمومية
- 7 (التعاون الوطني - الملاجسيه الخيرية والمؤسسات الاجتماعية
- 8 (الاندية الثقافية - جمعيات الشباب - الجمعيات الرياضية

330

أبحاث مختلفة

- ◆ اتجاهات التعليم الجامعي في العصر الحديث
للدكتور عبد الوهاب البرلسي
- ◆ التحليل العلمي والنظر المعباري الشامل
للاستاذ محمود عبد المولى
- ◆ المؤتمر العلمي العربي السادس
للدكتور عبد الحليم منتصر
- ◆ الرياضيات وتدرسيها في البلاد العربية
للدكتور محمد واصل الظاهر
- ◆ مراحل التمرير الاولي في المغرب
للدكتور عباس بنميد الله الجراوي
- ◆ الندوات : ماهيتها واهدائها
للاستاذ احمد الحلالوي
- ◆ نشاط المجمع العلمي العراقي
المجمع العلمي العراقي
- ◆ نشاط المجلس الاعلى للعلوم في سوريا
المجلس الاعلى للعلوم في سوريا
- ◆ مصر في طليمة الركب العلمي
للدكتور عمر الجارم
- ◆ رعاة الضياد (تصيدة)
للاستاذ احمد بن ثقبون
- ◆ الاستشراق في الاتحاد السوفياتي
للاستاذ كيفورك ميناجيان
- ◆ الاستشراق في سكوتلاندا
للدكتور الحاج مير (ترجمة)

332

اتجاهات تعليم الجامعي في العصر الحديث

الدكتور عبدالوهاب البرلسي

وزير التعليم العالي
الجمهورية العربية المتحدة

وفي القرن الحادي عشر الميلادي (عام 1076م) بدأت في أوروبا أولى جامعتين هما : سالرنو Salerno في جنوب إيطاليا ، التي اشتهرت بمدرستها الطبية ؛ وبوونيا Bologna في شمالها ، ثم تلاهما اشهر ثلاث جامعات انشئت في أوروبا في العصور الوسطى ، وهي جامعات : باريس ، واكسفورد ، وكمبريدج . وعاصرت أوروبا بعد ذلك حقبتين من النهضة الجامعية : الأولى في عصر النهضة في القرن السادس عشر ، والثانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وفي كل تلك الأزمنة ، كانت الجامعات تتميز بما يتميز به عصرها .. اجتماعيا ، وسياسيا ، فكانت الجامعات في القرون الوسطى تنمو في ظل الدين ، وكان رفقاء الدراسة يلتزمون . أولا - بالصحة والاخوة وطريقة الحياة التي ارتضوها لانفسهم . ثم تقلص التأثير الديني بعد ذلك وخامسة مع بدء عصر النهضة اثر اهتمام الافراد والهيئات بالتبرع لتمويل نشاط الجامعات ، واشتراكهم في ادارتها ، والاشرف على سياستها ، اصالح العلم ، والمعرفة . والمجتمع .

وفي السنوات التي تلت عصر النهضة ، ظهر عاملان قويان كان لهما تأثير واضح على نمو الجامعات : العامل الاول هو البحث العلمي الذي بدأ يتبلور كظاهرة

كان الانسان دائما - وما يزال - تواقا الى المعرفة ، وقد سعى الى هذا الهدف .. بكافة الوسائل ، بحثا ، ونقلا ، وسماحا .

ومن قديم الزمن .. كانت معابد الصين ، واكاديميات الاغريق ، ومدارس المصريين القدماء ، ثم المساجد والمكتبات في الاسلام ، ثم الجامعات بشكلها الحديث ، كانت كلها مراكز اشعاع ... للعلم ، والمعرفة .

وفي منتصف القرن الرابع الهجري - القرن العاشر الميلادي - قام الازهر الشريف واضطلع بمهمة الجامعة ، وما زال الى يومنا هذا وبعد الف عام قائما شامخا .. يمثل تطور القديم الى الحديث ، وينشر هام الدنيا والدين ، ويضيف الى المعرفة ، ويخرج اجيالا متعاقبة من العلماء والساسة . وكان الازهر في خدمة المجتمع الاسلامي ، قاطبة ، حج اليه الرافقون في العلم ، من كل حذب وصوب ، يخدم المجتمع بروح الاسلام ، روح العدل والمساواة ، فكانت الدراسة فيه حرة لمن استطاع الاستمرار فيها ... دون رسوم او نفقات ، بل كانت تيسر الاعاشة ايضا في كثير من الاحيان .

مميزة لهذا العصر ، وقد ادى ظهور الرواد الاوائل من الباحثين والمكتشفين في القرن السابع عشر ، وما تلاه ، الى انشاء الجمعيات والروابط العلمية ، وبخاصة في ميدان العلوم الاساسية ، وكان لهذه الجمعيات العلمية دورها الناجح في نمو التعليم الجامعي .

والعامل الثاني هو التحول الصناعي في مطلع القرن التاسع عشر ، حيث وضع للعالم اجمع ان الصناعة هي من اهم اسس تقدم المجتمع ، وان التقدم الصناعي يحتاج الى علماء وفنيين مهرة ، ويحتاج اعداد هائلة ، الى معاهد وكليات متخصصة في مجال ادارة الاعمال ، والاقتصاد .

وقد وضع ان البحث العلمي في عصرنا الحاضر هو العامل المحرك للانتاج والصناعة ، ولا يزال الانتاج والصناعة هما دعامة نمو المجتمع .

وقد دخل البحث العلمي في هذا العصر آفاقا جديدة ورحبة ، فتحت الابواب لاحتمالات ضخمة في تقدم العلوم والمعرفة .

وكان طبيعيا ان صاحبت هذه القفزة الهائلة في ميادين البحث العلمي ، قفزة مماثلة في التعليم الجامعي والعالي ، الذي انتشر واسعا (وبخاصة في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وفي مناطق من العلم لم تكن تعرف التعليم الجامعي من قبل . واغلب تلك المناطق هي التي كانت تزوج تحت نير القهر الاستعماري ، في افريقيا واسيا ، فقد دلت احصاءات الامم المتحدة انه خلال الفترة من عام 1950 الى عام 1960 كان اعلى معدل للزيادة في عدد الطلاب الجامعيين هو في جامعات القارة الافريقية وكان اكبر عدد من الطلاب الجامعيين في العالم اجمع هو في القارة الاسيوية . وهكذا صحت شعوب القارتين لتعوض ما فات ولتمحو آثار التخلف الثقافي الذي اورثه اياها الاستعمار .

ومصر - هذا البلد العريق في الاصل والثقافة والدين - عريق ايضا في التعليم الجامعي . وقد اشرفنا الى اثر الازهر الشريف في الحياة الثقافية ، والفكرية . والسياسية .. قديما ، وحديثا .. والى اصالة العلاقات الانسانية - داخل الجامعة الازهرية بين الاستاذ والطالب اذ كانت علاقة احترام وتبجيل ، ودرس وتوجيه ، وحرية علمية مكفولة ، ورعاية اجتماعية وروحانية .

وحملت منار العلم والمعرفة - بجانب الازهر الشريف - جامعة القاهرة ، منذ اكثر من نصف قرن . فاعدت الرهيل الاول من العلماء والمفكرين الذين قادوا الحركة العلمية والفكرية ، في القرن الحالي ، وقادوا التعليم الجامعي - في عدد من الجامعات انشئت بعد ذلك في القاهرة والاسكندرية واسيوط - فكانوا امناه في حمل الرسالة ، وكانوا روادا مخلصين للعلم ، وللشباب ، وللمجتمع .

وتطورت جامعاتنا ، وتطور التعليم الجامعي في بلادنا . وارتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع ، يمد الافراد العلميين ، وينمي البحث العلمي ، وينشر العلم والمعرفة بين الالاف .. من خيرة الشباب ، ويتيح الفرصة المتكافئة لامداد هائلة ، من الطلاب والدارسين ، والباحثين .

وفي خلال عشر سنوات من عام 1957 الى عام 1967 - ازداد عدد طلاب الجامعات المصرية الاربعة : القاهرة والاسكندرية وعين شمس واسيوط من 73740 طالب الى 126 610 طالب اي بزيادة قدرها 71 % .

وضوعف الاتفاق على التعليم في هذه الجامعات في نفس هذه الفترة من 7.500.000 مليون جنيه الى 15.917.300 جنيه ، اي بزيادة قدرها 112 % (جدول رقم 1) .

جدول رقم - 1 -

بيان بتطور الجامعات وكلياتها في الجمهورية العربية المتحدة وتطور اعداد الطلاب ، واعداد الخريجين (*) والانفاق السنوي

البيان	السنة	1957	1962	1967
عدد الجامعات	4	4	4
عدد الكليات الجامعية	33	32	46
عدد الطلاب (مرحلة البكالوريوس)	73740	112 860	126 610
عدد الخريجين	7880	12 230	19 867
الانفاق السنوي (بالالف جنيه)	7500	14 266	15 917

(*) ماعدا جامعة الازهر .

سمات التعليم الجامعي في العصر الحديث

الآخري التي تيسر البحث والدرس ، على المستوى الذي يكفل حسن إعداد هذه الفئة الهامة من الاساتذة والباحثين .

وإذا كان تخطيط التعليم الجامعي لازما لكل دولة ، فهو الزم للدول النامية التي بدأت منذ عهد قريب سياسة التصنيع : بنية الارتفاع بمستوى المباشرة فيها ، إذ ان على هذه الدول ان تضيق الشقة بينها وبين الدول المتقدمة . ولا يفت و عضد الدول النامية التكلفة الباهظة للاستثمارات اللازمة للتعليم الجامعي . إذ ان عائد تلك الاستثمارات - على الامد الطويل - يستحق هذا الإنفاق .

على ان وضع مثل هذه الخطة في مجال القوى العاملة - بطريقة مفصلة ومحكمة في نفس الوقت - ليس بالامر الهين . فهو يستلزم معرفة دقيقة بما يلزم كافة قطاعات الانتاج والخدمات من فئات القوى البشرية المختلفة ، على مدى معين ، آخذين في الاعتبار . . الوقت اللازم للطلاب الجديد ، حتى يصبح عاملا منتجا في قطاع من القطاعات .

وكثيرا ما نموزنا الاحصاءات الدقيقة وبخاصة في الدول النامية . . مما يشكل عقبة كبيرة في طريق التخطيط السليم .

تكافؤ الفرص في التعليم الجامعي

والاساس الثاني في تخطيط التعليم الجامعي ، هو تحقيق ديمقراطية هذا المستوى من التعليم ، وذلك بلانحة الفرصة المتكافئة لكل من تؤهلهم قدراتهم الذهنية ، لمواصلته والتفوق فيه فرصة لا تعدها قدرة مادية او طبقية .

ولتحقيق هذه الفرصة المتكافئة يلزم اتباع الوسائل التالية :

1 - وضع نظام عادل لاختيار الطلاب للدراسة الجامعية ، يضمن اختيار افضل العناصر من حيث قدرتهم على مواصلة هذه الدراسة والنجاح فيها ، وقد جربت وسائل عدة لاختيار الطلاب ، من بينها : اختبارات تربوية ونفسية مختلفة ، بهدف تحديد قدرات الطالب وملكانه واستمداه لنوع معين من الدراسة . . الا ان المشاهد في اغلب الاحوال ان انجح السبل لاختيار الطلاب وأكثرها تحقيقا للفرصة المتكافئة هي اقلها تعقيدا . ولعل أبسطها اختيار

لقد ادى التطور الاجتماعي والسياسي الكبير ، والتقدم العلمي الهائل ، الذي شهده العالم في القرن الحالي - الى ارساء اسس جديدة لتطوير التعليم الجامعي والعالي ، حتى يساير روح هذا العصر ومتطلباته .

وإضافة الى ذلك ، فانه رغم اننا نميش في عالم كبير ، الا ان الاتصال بين شعوبه لم يكن في يوم من الايام ايسر ولا اسرع منه : اليوم . ولا سبيل اذن الى العزلة بين الشعوب ، بل هناك ضرورة للتعاون الوثيق بينها . وتبادل الخبرات في مجال التعليم . وهناك حاجة الى مساعدة القادر والمتقدم منها . للشعوب النامية المنعشة الى العلم والمعرفة . . مساندة علمية ، وانسانية . دون قيود . او تبعية .

وإضافة الى ذلك ، فانه رغم اننا نميش في عالم كبير ، الا ان الاتصال بين شعوبه لم يكن في يوم من الايام ايسر ولا اسرع منه : اليوم . ولا سبيل اذن الى العزلة بين الشعوب ، بل هناك ضرورة للتعاون الوثيق بينها . وتبادل الخبرات في مجال التعليم . وهناك حاجة الى مساعدة القادر والمتقدم منها . للشعوب النامية المنعشة الى العلم والمعرفة . . مساندة علمية ، وانسانية . دون قيود . او تبعية .

ضرورة التخطيط للتعليم الجامعي :

تهدف خطة التعليم الى اعداد القوى البشرية . بفئاتها المختلفة ، التي تنزم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع ، ولتنفيذ مشروعات الخدمات المختلفة . وتشمل الخطة ايضا : انشاء المعاهد والجامعات التي تلزم لتحقيق هذه الاهداف ، اي ان خطة التنمية . . الاقتصادية والاجتماعية ، يجب ان يقابلها خطة تعليمية تعد لها ما تحتاج من القوى البشرية .

والخطة التعليمية ليست مقصورة على التعليم الجامعي والعالي ، بل يسبق ذلك ويرتبط به - خطة للتعليم العام ، يكون من بين اهدافها . . اعداد الشباب بالطريقة التي تسمح لمن تمكنه طاقاته الذهنية ، من اتمام مراحل التعليم الجامعي والعالي .

وتحتاج الجامعات لتحقيق هذه الخطة الى عدد مناسب من امضاء هيئة التدريس يلزم لاعدادهم - كما وكيفا - خطة مسبقة ، وامكانيات خاصة ، من حيث : اعداد المعامل والتجهيزات ، والمنشآت الجامعية

الطلاب طبقا لتفوقهم في دراستهم الثانوية ، مع اخذ رغبتهم وميولهم بعين الاعتبار .

2 - رفع القيود المادية التي تحد من تكافؤ الفرص ، واولها . . المصروفات الجامعية الباهظة .
فانه مع الاعتراف بان ارتفاع مستوى المعيشة في كثير من الدول قد اتاح فرصا اكبر لطلابها لاتمام دراستهم الجامعية الا ان مجانية التعليم الجامعي التي حققتها دول كثيرة في السنوات الاخيرة كانت هي العامل الحقيقي الذي اعطى الفرصة المتكافئة لكل قادر على مواصلة هذا التعليم .

3 - تدبير المعنويات المادية ، ووسائل الرعاية الاجتماعية المختلفة للمتفوقين من الطلاب الذين تعجزهم احوالهم المادية عن مواصلة التعليم الجامعي ، رغم مجابته ، ومن اهم انواع تلك المعنويات: اتاحة فرص الاقامة والاعاشة في المدن الجامعية للطلاب المفترين ، فلا يزال الاغتراب يشكل عقبة كبيرة في طريق استكمال عدد من الشباب المتفوق تعليمهم الجامعي .

وتشمل المعنوية ايضا القروض الطويلة الاجل التي يسدها الطالب دون فوائد بعد تخرجه من الجامعة وبدء حياته العملية ، كما تشمل الجوائز المالية التي تمنح للمتفوقين من الطلاب وتساعدهم على استمرار تفوقهم ونجاحهم .

ويقدر بعض الخبراء ان هذه المعنويات - باشكلها المختلفة - يجب ان تتوافر لحوالي ثلث عدد الطلاب الدارسين في الجامعة .

4 - ويرتبط بالتعليم الجامعي انواع اخرى من التعليم العالي ، كانت تبيتها محل بحث ودراسة - خلال السنوات الماضية ، في كثير من بلاد العالم - وتقصد بها بعض المعاهد العليا التي يلتحق بها الطلاب بعد المرحلة الثانوية . وفي مقدمتها: المعاهد التكنولوجية ، ومعاهد المعلمين ، ومعاهد التمريض ، وما اليها ، هل تظل هذه المعاهد بعيدة عن التعليم الجامعي ، ونطاقه ، ام تضم الى الجامعات .

ان بقاءها خارج نطاق الجامعات ما هو الا تقليد جرت عليه الامور .

وقد استقر الرأي - في كثير من البلاد - على ان ضم تلك المعاهد الى الجامعات يوحد شكل التعليم العالي ، ويحقق ديمقراطية التعليم ، واتخذت انجلترا

هذا الموقف بضمها معاهد المعلمين الى الجامعة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وعادت الى تأكيد هذا المفهوم عندما درست لجنة روبن مشاكل التعليم العالي في بريطانيا ، وضمت ايضا الى الجامعات مجموعة من المعاهد التكنولوجية وهي ما عرفت بكليات التكنولوجيا المتقدمة ، واصبحت دبلوماتها درجات جامعية .

5 - ويجرنا الحديث عن ديمقراطية التعليم وضرورة اتاحة الفرصة المتكافئة فيه ، الى ان نذكر فئة من العاملين في قطاعات الانتاج والخدمات فاتتهم فرصة التعليم الجامعي والعالي ، لاسباب خارجة عن رادتهم ، وربما كان بينهم من هو اهل لهذا التعليم ، وفي نفس الوقت لا يستطيع ترك عمله للتفرغ للتعليم الجامعي ، وقد واجهت بلاد كثيرة - شرقية وغربية - هذه المشكلة . باسلوب واقعي ، فاتاحت الفرصة لهذه الفئة ، لاستكمال التعليم مع عدم تفرغ الطالب له .

وتدل احصاءات الامم المتحدة على ان عدد هؤلاء الطلاب يبلغ حوالي نصف عدد طلاب التعليم الجامعي في الاتحاد السوفياتي ، وفي انجلترا ، على حد سواء .

6 - ويوصي الخبراء ايضا بعدم تركيز الجامعات والكليات الجامعية في المواسم والمدن الكبرى ، بل يجب العمل على توزيعها جغرافيا على الاقاليم المختلفة ، اذ يتيح ذلك الفرصة لانتشار التعليم الجامعي ، والتغلب على عقبة الاغتراب والاماشة ، بل والازدحام في جامعة العاصمة .

وقد خطت مصر خطوات على هذا الطريق بانشاء جامعة الاسكندرية في عام 1942 ، ثم جامعة اسيوط في عام 1957 وفرعها في المنيا في عام 1966 وكثيبتين للطب في كل من طنطا والمنصورة في عام 1962 نرجو ان تكون كل منهما نواة لجامعة اقليمية جديدة .

ضرورة التوسع في التعليم الجامعي

اشرنا فيما سبق الى ان ظهور هذا العدد الكبير من الدول المستقلة في الحقبة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، وحاجة هذه الدول الى التعليم ، بعد طول حرمان ، قد ادى الى التوسع في التعليم الجامعي والعالي ، الا ان هناك عوامل اخرى هامة ساهمت - ولا تزال - في اتساع نطاق هذا النوع من التعليم .

ومن هذه العوامل النمو السكاني العالمي ، وضغط هذا النمو على التعليم ، واستجابة المسؤولين لحاجة الشعوب وحققا في طلب العلم . وقد صاحب هذا النمو

السكاني - بل وسبقه خلال النصف من القرن الحالي -
توسع كبير في التعليم الثانوي ، أدى بعدد كبير من
الشباب الى أبواب الجامعات .

ومن اسباب التوسع ايضا الأخذ بمبدأ تكافؤ
الفرص الذي أشرنا اليه ، ومجانبة التعليم الثانوي
في كثير من البلدان ، ثم مجانية التعليم الجامعي في عدد
كبير منها . وبالإضافة الى ذلك فان تعليم البنات لم
يكن منتشرًا بهذا الاتساع قبل خمسين عاما ، أما الآن
فللطالبة فرصة متكافئة كالتالبات تماما ادت بها الى
التعليم الجامعي بأعداد متزايدة فاقت أعداد الطلاب في
بعض الدراسات الجامعية .

ولا تقتصر العوامل التي ادت الى التوسع في
التعليم الجامعي ، على رغبة هذا العدد المتزايد من
الشباب في اتمام تعليمهم ، بل هناك عوامل أخرى
مرتبطة بنمو المجتمع نفسه ، ونمو الصناعات فيه ،
وحاجة كل ذلك الى أنواع من التخصصات الجديدة في
كافة نواحي العلوم والتكنولوجيا لصالح الإنتاج والتنمية
وحاجة المجتمع ايضا الى خدمات أكثر حجما وتوسعا
في ميادين الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية ،
وضرورة امداد القوى البشرية اللازمة لمقابلة تلك
الالتزامات .

كل هذه العوامل تؤلف قوى مؤثرة بشكل فعال
في نمو التعليم الجامعي ، وتحتم التوسع فيه ، وبخاصة
في البلاد التي تخطط لاحتياجاتها من مختلف فئات
القيبيين .

الى تقدم العلوم والتكنولوجيا على التعليم الجامعي

وقد احدث التقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا
في السنوات الاخيرة تغيرا جذريا في الحياة الفكرية في
الجامعات ، وادى الى انشاء أنواع جديدة من معاهد
البحث العلمي ، ومعاهد التعليم ، لم تكن موجودة
من قبل .

وقد ادى هذا التقدم ايضا الى استخدام أجهزة
علمية .. معقدة .. غالبية الثمن ، مما أدى - بدوره -
الى ارتفاع نفقات البحث العلمي ، والتعليم الجامعي .

واحدث ذلك كله تغيرات واضحة في التعليم
الجامعي والعالي ، فقد ادى ظهور تخصصات جديدة
- وفتتها الى تخصصات ادق - الى زيادة عدد الطلاب

الدارسين في هذه المجالات . سنة بعد أخرى . وارتفاع
نسبة هؤلاء الطلاب الى عدد الطلاب الدارسين للعلوم
التقليدية والعلوم الانسانية .

وقد ادى هذا التطور - ايضا - الى زيادة عدد
المعاهد التكنولوجية ، سواء داخل الجامعات او خارجها ،
لتلاحق تدريب الاخصائيين في هذه المجالات الحديثة .

وكان على الجامعات في ظل هذا التطور . ان
توازن بين حجم التعليم . وحجم البحث العلمي بها ؛
فحدث نمو هائل في برامج البحوث العلمية ، بل صبغ
التعليم الجامعي نفسه بروح البحث العلمي . واصبح
هدف هذا التعليم .. هو أعداد الاخصائيين القادرين
على التطور مع التطور السريع للعلوم .

وكان تأثير تقدم البحث العلمي واضحا على نمو
الدراسات العليا بالجامعات ، واصبح لزاما ان تتعاون
الجامعات تعاونًا وثيقًا مع مراكز البحث المتخصصة .

واصبح ضروريا وضع سياسة للبحث العلمي ..
تضمن تنسيق برامج البحوث وعدم تكرارها ، وحسن
استغلال التمويل المتاح لها .

واصبح لزاما - كذلك - التنسيق بين البحوث
العلمية البحتة ، والبحوث التطبيقية اللازمة لتطوير
الصناعة والإنتاج ، لصالح المجتمع .

وقد ادى تقدم العلوم التكنولوجية ايضا الى
ادخال وسائل تعليمية حديثة بسرت نشر التعليم
الجامعي ، ونقل المعلومات في سهولة على نطاق أوسع ،
ويسرت ايضا تسجيل نتائج البحوث العلمية وتبويب
برامجها . ومن هذه الوسائل الحديثة النافعة : ادخال
التليفزيون في التعليم ، واستعمال العقول الالكترونية
في البحث العلمي ، والاستعانة بمعامل اللغات ، ومراكز
التوثيق العلمي وما الى ذلك من ميسرات التعليم
والبحث .

الا ان الاهتمام الزائد بالعلوم التطبيقية ، وزيادة
الاقبال عليها ، ينبغي الا يصرفنا عن الاهتمام بالعلوم
الانسانية - كما سبق ان اسلفنا - فان هذه العلوم هي
التي تعطي للطالب الجامعي الفرصة لتفهم تاريخ ما
يدرسه من علوم - وتفهم مشاكل المجتمع واحتياجاته ،
وان النهج الصحيح للعلاقة بين العلوم الانسانية والعلوم
التطبيقية من شأنه ان يهدم الحواجز بين طرفي
المعرفة .

بعض النواحي العلمية في التعليم الجامعي

نمو المعرفة :

الجامعة هي مجتمع الاساتذة والطلاب ، وهي مركز للعلم والمعرفة . . لم تتغير هذه الرسالة منذ القدم ، رغم تغير تكوين الجامعات وتطور اسلوب عملها .

ورغم المؤثرات التي كانت تصبغ التعليم الجامعي في مختلف العصور ، فقد كانت الجامعات - ولا تزال - تعطي اهتمامها الاول للاستزادة من المعرفة ونشرها على اوسع نطاق ، اذ يتميز الفكر الجامعي باهتمامه على البحث والملاحظة والتجربة ، ثم تفسير مشاهداته ليصل الى المعرفة . .

والمجتمع الناجع للاساتذة والطلاب ، تنمو فيه العلاقة الانسانية بين الاستاذ والطالب بحيث يحرم الاستاذ على رعاية طلابه وتوجيههم ليكونوا مواطنين صالحين اولاً ، ومتخصصين مؤهلين ثانياً . كل فيما هيء له ليؤدي رسالته في خدمة المجتمع وخدمة الانسانية . مواطن صالح على درجة من الثقافة العامة تتيح له اكتشاف طريقة في الحياة وتمكنه من الاستزادة من العلم ، وعلى درجة من الدراية الفنية في نوع من فروع العلوم التطبيقية تمكنه من خدمة المجتمع الذي يعيشر فيه . .

ويحتاج هذا الاعداد الى دراسات اساسية موحدة ، يقضي فيها الطالب الجامعي الجديد - مهما يكن تخصصه المستقبل - عاماً او بعض عام ، يدرس فيها منهجاً مناسباً من العلوم الانسانية ، يتيح لطلاب العلم في الجامعة اساساً مشتركاً من المعرفة .

وفي بعض الجامعات تتألف هذه الدراسة من علوم التاريخ ، والاجتماع ، والفلسفة والدين ، تتكفل بتدريسها اقسام العلوم الانسانية بالجامعة ، وبحيث يكون لدى الطالب في نهاية هذه المرحلة الاعدادية او مرحلة الاساس كما سميت في بعض الجامعات الحديثة فهم واضح للاسلوب العلمي في التفكير ، وفكرة صحيحة من نشأة العلوم وتطورها ، ودراسة علمية لتركيب المجتمع واحتياجاته ، وعلاقة كل ذلك بما يدرسه الطالب من علوم تطبيقية .

وتهتم الجامعات - خلال هذه المرحلة - بدراسة تاريخ العلوم ، ودراسة ما اسهم به السلف من جهود في ميادين العلم والمعرفة ، حتى يكون ذلك حافظاً قومياً

وقويماً على البحث والدراسة ، ومثلاً يحتذى في تنمية العلم والمعرفة .

ولا شك ان رسالة الجامعات . في عالمنا الحديث لم تعد مقصورة على الاهداف التقليدية من حيث البحث من المعرفة وتاصيلها ونشرها . يوم ان كانت الجامعات مقصورة على الآداب والعلوم البحتة . وانما امتدت تلك الرسالة حتى كادت تشمل كل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية والعلمية ، والتكنولوجية وقد اصبح من الطبيعي ، في عالمنا الحديث ، ان تتقابل الجامعات مع المجتمع . لبحث حاجاته ، والاستجابة لمتطلباته .

الجامعة والبحث العلمي

البحث العلمي دعامة من اهم دعائم التعليم الجامعي ، واستاذ الجامعة من خصائصه المميزة انه باحث يجمع مع ممارسته للتعليم نشاطه في البحث العلمي . بل ان الجامعات تشترط في الاستاذ ان يكون باحثاً بصفة اساسية . قبل اختبار قدرته على القاء المحاضرات والدروس .

وتهتم بعض الجامعات ببث روح البحث العلمي في الطالب ، وهو لا يزال في مرحلة الدراسة لدرجة البكالوريوس ، ففي روسيا - مثلاً - يشجع الطلاب في هذه المرحلة على الاشتراك فيما يجريه اساتذتهم من بحوث ، وربما وصل عدد الطلاب المشاركين في البحوث الى عشر مجموع طلاب الفرقة .

الا ان الاستاذ يحتاج الى مزيد من الوقت للتفرغ للبحث العلمي ، وبخاصة في هذا العصر الذي ازداد فيه عدد الطلاب في الجامعات زيادة كبيرة ، والوقت هذه الزيادة عبئاً مضافاً على قلة من اعضاء هيئة التدريس .

ولجات بعض الجامعات - ابقاء على نشاط الاستاذ في مجال البحث العلمي - الى انشاء مراكز متخصصة للبحوث ، يعمل فيها الاساتذة في اوقات محددة ، غير اوقات عملهم التعليمي ، حتى تضمن استمرار البحث العلمي ، وعدم طغيان الواجبات التعليمية عليه .

وكثيراً ما اثيرت نوعية البحث العلمي ، كنوع من انواع النشاط البارز والمميز للحياة الجامعية ، وهل هذا البحث هو مجرد حاجة علمية او ما يسمى بالبحث المجرد او البحث الاكاديمي ، او ان البحث يجب ان يهدف الى حل مشاكل تطبيقية تخدم افراض المجتمع .

البحوث في معامل متفرقة في الهيئات والوزارات المختلفة .

وبدراسة المشاكل العلمية ومجالات البحث التي يتعرض لها هؤلاء الباحثون ، يتضح لنا أن هناك عملا كبيرا لا يزال ينتظر القائمين على تنظيم البحث العلمي في بلادنا من حيث حصر المشاكل التطبيقية التي تعوق الصناعة ، أو التي تعوق التنمية الاجتماعية . ثم العمل على إيصال هذه المشاكل إلى المتخصصين . للبحث فيها ، وإيجاد الرابطة القوية بين الباحث ومجال البحث التطبيقي المطلوب .

بدأت بالفعل خطوات لتدعيم جهاز البحث العلمي في الجامعات المصرية ، فبالإضافة إلى تزايد عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه في فروع التخصص العلمية المختلفة ، اهتمت الجامعات في السنوات الأخيرة بتدعيم الدراسات العليا بها ، وبزيادة عدد المعيدين زيادة كبيرة ، واعتبارهم - أساسا - طلاب بحث قبل أن يكونوا معاونين في التعليم . إلا أن الأمر يحتاج ، بالإضافة إلى ذلك ، إلى مزيد من الاهتمام بما يحتاجه البحث العلمي من أجهزة ومعدات ، ومساعدين فنيين ، ومكتبات علمية ، وغير ذلك من مقومات البحث العلمي في العصر الحديث . ولا يمكن تدبير ذلك كله دون تدبير الموارد المالية اللازمة .

ويجب أن نتفق على أن الانفاق على البحث العلمي هو من قبيل الاستثمار الذي يؤديه - بطريق غير مباشر - إلى زيادة الإنتاج ، كما سبق أن أوضحنا وما دام البحث العلمي قد ارتبط بالإنتاج فقد اتفقت الآراء على ضرورة تخصيص نسبة معينة تقدر بواحد في المائة من الدخل القومي ، للانفاق على البحث العلمي .

الدراسات العليا واعداد المتخصصين :

ولا يقتصر النشاط التعليمي للجامعة على طلاب مرحلة الليسانس أو البكالوريوس ، بل يمتد إلى ما بعد هذه المرحلة ، ولا نفالي إذ نقول أن مرحلة الدراسات العليا هي الزم لنمو الجامعة وتقدم البحث العلمي بها ، من المرحلة الأولى ، وبخاصة وأن مرحلة الدراسات العليا تختلف في أسلوبها عن سابقتها ، وتتميز بكثير من الفكر المستقل ، ويظهر عناصر الابتكار في البحث العلمي ، وبخاصة في مراحل الدكتوراه .

وقد استقر الرأي في العصر الحديث على أن البحث العلمي يجب أن يأخذ - بعين الاعتبار - حاجات المجتمع التي تمثل الجامعة ركنا من أهم أركانه ، ولا يمنع ذلك قيام الباحث بما يشبع رغبته ، وينمي فرع تخصصه من البحوث الأكاديمية .

إذ إن البحوث الأكاديمية - مبالوة على أنها استثمار طويل الأجل في مجال البحث العلمي . . تظهر تطبيقاته العملية فيما بعد - فانها عامل أساسي في نمو العلم والمعرفة وفي تكوين الجو العلمي السليم ، داخل الجامعة ، وتربية طلابها وطلاب البحث التربوية العلمية الصحيحة وتمويدهم التفكير المنطقي السليم .

وبالإضافة إلى ذلك كله ، فإن تدعيم هذه البحوث يشكل الرصيد الأكبر للمكانة العلمية للجامعة .

لذا ، فإن المصلحة العامة تقضي بأن يكون هناك قدر من التنسيق والتوازن بين البحث في العلوم الأساسية (البحوث الأكاديمية) وبين البحوث التطبيقية ، التي تسهم في حل مشكلات محددة . كما يجب أن يكون هناك أيضا قدر من التنسيق بين ما يجري من بحوث في الجامعات ، وبين ما يجري في مراكز البحوث المختصة التي تهتم - أساسا - بالبحوث التطبيقية الخاصة بمشاكل الصناعة .

ومن هذه الزاوية الأخيرة - زاوية البحث العلمي التطبيقي - فإن الجامعات تؤدي دورا هاما في خدمة المجتمع ، فالبحث العلمي يؤدي إلى استخدام الموارد المتاحة ، بصورة أكثر فعالية ، وبالتالي فهو يؤدي إلى زيادة الإنتاج .

ويهدف البحث العلمي - كذلك - إلى ابتكار وسائل جديدة لتطوير الزراعة والصناعة ، وزيادة إنتاجها ، وبالتالي . . إلى نمو اقتصادي يتلوه بالطبيعة نمو اجتماعي .

وإذن ، فإن الاهتمام بالبحث العلمي - في الجامعات ، ومراكز البحوث المتخصصة ، على حد سواء ، والاهتمام بتنسيقه هو من الزم الأمور ، لتنمية المجتمع ، وتقدمه . وهو الزم في المجتمعات النامية التي تسمى جاهدة إلى تضييق الشقة الواسعة بينها وبين المجتمعات المتقدمة .

وفي الجمهورية العربية المتحدة تجري 60 ٪ من البحوث العلمية في الجامعات ، وحوالي 17 ٪ من هذه البحوث في مراكز البحوث المتخصصة ، وتجري باقي

حياة الطالب في الجامعة

ان طالب الجامعة ، من وجهة نظر عامة ، هو المحور الذي يقوم من اجله التعليم الجامعي ، فمن اجله يخطط هذا التعليم وتوضع اسيسه ، وتحدد برامجه واهدافه بغية اعداد الطالب مواطنا صالحا ، قادرا على القيام بعمل محدد في البناء الاقتصادي ، والثقافي ، والفكري للبلاد .

فحياة الطالب في الجامعة اذن ، يجب ان تحظى باهتمام خاص كي تحقق اهداف التعليم الجامعي ...

ويجب ان تبذل الجامعة جهدا ايجابيا في دراسة الصعوبات التي تترسض حياة الطالب ، وبخاصة منذ اول التحاقه بالجامعة .

يجب ان تقوم اجهزة متخصصة في ادارة الجامعة بهذه الدراسات ، وان تتوفر للتصدي لها ، وايجاد الحلول العلمية التي تيسر للطلاب حياتهم ، وتضمن تفرغهم للدرس والتحصيل . ويجب ان يساهم الاساتذة ، وتشكيلات اتحاد الطلاب في هذا الجهد ، فهو واجب اساسي لكلا الطرفين ، وهو محقق لاهداف وجودهما معا .

ان الطالب يدخل الى الجامعة مفتربا ، ربما لأول مرة . وهو يتوقع حياة جديدة تماما ، حياة تختلف عما مارسه في المدرسة الثانوية ، يتوقع في الجامعة نسطا اوفر من الحرية الشخصية ، وعلاقة اوثق مع استاذة ، وقادرا اوفر من حرية التعبير والنقد ، والفكر والمناقشة . وواجب الجامعة ان تشجع الطالب على ممارسة حياته الجديدة ، وان تنمي فيه هذه الصفات ، وان ترعاه اجتماعيا ، ونفسيا ، بجانب رعايته تعليميا وثقافيا .

ان الصعوبات التي تقابل الطالب - عند التحاقه بالجامعة - متعددة الجوانب : منها ما يتعلق بحياته الاجتماعية كصعوبات السكن والاهاشة ، سواء ما يتعلق منها بقدرته المادية على تدبير امور معاشه او قدرته النفسية على التكيف مع هذه الحياة الجديدة ، ومنها ما يتعلق بقدرة الطالب على مقابلة النفقات المختلفة للحياة الجامعية رغم مجانية التعليم الجامعي .

ومنها مصاعب تتعلق بأسلوب التعليم الجامعي نفسه ، وسائله وبرامجه ، وامكانيات نجاحه سواء من حيث لغة الدراسة ان كانت غير اللغة العربية ، او مصاعب الحصول على الكتب الجامعية او الخدمات المكتبية او غير ذلك من الوسائل التعليمية المختلفة .

ويقوم على اكتاف الباحثين - في هذه المرحلة - عبء كبير مما يجري في الجامعات من بحوث تحت اشراف الاساتذة الذين يمثلون الطليعة في البحث العلمي كل في ميدان تخصصه .

ويزداد عدد طلاب الدراسات العليا بالجامعات ، وزيادة مطردة ، عاما بعد عام ، قدر حاجة المجتمع الى متخصصين في فروع العلوم التطبيقية ، وقدر حاجة الجامعات الى مزيد من اعضاء هيئة التدريس لمواجهة التزامات التوسع في التعليم الجامعي ، وفي أنشطة البحث العلمي .

ولا يشترط ان تجري الدراسة العليا كلها داخل الجامعة . بل - في كثير من الاحيان - يقوم تعاون وثيق بين الجامعة وبين المعاهد المتخصصة في هذا المجال ، بل ويحدد - في بعض الاحيان - انشاء مدارس متخصصة للدراسات العليا . . تكون مرتبطة بالجامعة وبمراكز البحوث المختلفة .

ولا تقتصر الدراسات الجامعية على طلاب التخصص والبحوث . بل ان من واجب الجامعة ان تنشر العلم والمعرفة في المجتمع حولها ، وان تعد برامج متقدمة للعاملين في المجالات المختلفة - في الصناعة وغيرها - ليستمر اتصال العاملين فيها ، . بالتقدم العلمي ، في مجال عملهم .

وسوف نجد كل هذه الأنشطة الجامعية قائمة بنجاح تام في البلاد العريقة في التعليم الجامعي ، والمتقدمة في العلوم والتكنولوجيا . اما في البلاد النامية حيث كان التوسع في التعليم الجامعي سريما بمد مرحلة الاستقلال ، فلا نتصور ان تنمو الدراسات العليا والبحوث بنفس السرعة او القوة التي تنمو بها في الجامعات القديمة ، وهنا يأتي دور التعاون الدولي في هذا المجال : تعاون على نطاق اقليمي ، وتعاون على نطاق دولي في نطاق تنظيمات الامم المتحدة وغيرها .

وقد ظهر في الاموم الاخيرة اتجاه الى تشكيل اتحادات اقليمية وعالمية لجامعات ، نذكر منها . . الاتحاد العالمي للجامعات ، واتحاد الجامعات العربية ، واتحاد الجامعات الافريقية .

ولا يزال الوقت مبكرا للحكم على مدى الفائدة التي يجنيها التعليم الجامعي ، من هذه التنظيمات .

ان استعراض هذه الأمور يوضح مدى الحاجة الى زيادة اهتمام القائمين على شؤون التعليم الجامعي .. بحياة الطلاب ، داخل الجامعة ، وتعاطفهم معهم وتوجيههم الى افضل السبل واسلمها .. نحو حياة جامعية صحيحة .

يجب ان يوجه اتحاد الطلاب الى الاهتمام بحياة الطالب الاجتماعية والثقافية ، والاشترالك مع المسؤولين من أمور الجامعة اشتراكا فعالا في تلمس الحلول للمشاكل اليومية التي تصادف الطلاب ... من طريقة دراسة وبحث هذه المشاكل ، واقتراح الحلول العملية لها ، التي تتفق وظروف البيئة والامكانيات المتاحة للجامعة .

يتضح - اذن - ان حياة الطالب في الجامعة ، تحتاج الى مقومات معينة ، وعلى الاخصر في نواحي الاسكان والاعاشة ، ونواحي التربية الرياضية والثقافية ، ثم الاهتمام - اكبر الاهتمام - بالنواحي التعليمية ، من حيث البرامج والطرق والوسائل وتطويرها تطويرا مستمرا ، لتساير التقدم العالمي في هذا الاتجاه .

فمن ناحية الاسكان والاعاشة ، يجب ان تحظى المدن الجامعية وما تؤدبه من خدمات باهمية خاصة . وان تتوسع الجامعات في هذه الخدمات الى اقصى حد ممكن فلا يخفى علينا الفوائد الاجتماعية والثقافية والنفسية المتعددة التي يجنيها الطلاب من الإقامة في المدن الجامعية ، وبخاصة اذا اشرف عليها الاساتذة اشرافا فعالا .

ومما يذكر ان عدد الطلاب الذين تستوعبهم المدن الجامعية في بعض البلاد يبلغ 50 ٪ او اكثر من عدد طلاب الجامعة .

وهناك حاجة ايضا الى زيادة الاهتمام بالحياة الرياضية والثقافية للطلاب ، ويستدعي ذلك فسح الوقت الكافي في جدول الدراسة ، ليزاول كل طالب ما يهينه له استعدادا ، من هذه الأنشطة ، كما يستدعي الامر ان تهتم كل جامعة بتوفير الاماكن والامكانيات التي تسير للطلاب مزاولتها .

ان الرعاية الصحية للطلاب - وقاية وعلاجاً - منصر اساسي توفره الجامعات لطلابها . كما ان التفدية - نظير رسوم رمزية - امر ضروري وحيوي - اثبتت المشاهدة والخبرة اهميته واولويته .

ومع الاهتمام بالاعاشة والاقامة وتوفير الرعاية الصحية ، ورغم مجانية التعليم الجامعي فلا يزال هناك

عدد غير قليل من الطلاب لا تمكنه قدرته المادية من الاستمرار في التعليم الجامعي رغم تفوقه في بعض الاحيان - اذ قد تعجزه رسوم الإقامة القليلة . او ما تتطلبه الكتب والمذكرات من مال ... هؤلاء جميعا يجب ان تدبر لهم الجامعة موردا ماليا - كما هو الحال في كثير من الجامعات يتفق منه للطلاب على هيئة اعانات او قروض طويلة الاجل - تسدد - دون فوائد بعد انتهاء الدراسة الجامعية ... ولا يؤثر ذلك بطبيعة الحال في الحوافز التي يحصل عليها المتفوقون من الطلاب في شكل جوائز مالية مجزية .

وفي الناحية التعليمية يلزم التنويه بأمريين .. الاول ضرورة توفير امكانيات نجاح التعليم الجامعي . بادئين بالاعداد السليم لهيئة التدريس - كما وكيفا - ثم توفير الوسائل التعليمية الحديثة والامكانيات العملية والمكتبات وغيرها .

والامر الثاني .. المراجعة المستمرة لطرق التدريس وبرامجه وطرق الامتحان ووسائله . مع الاخذ بعين الاعتبار انعكاس هذه الطرق على الطلاب واستجابتهم لها .

ان نجاح العملية التعليمية نفسها مكمل لنجاح رسالة الجامعة ، ومؤثر على نجاح الطالب الذي وفرت له الجامعة المناخ النفسي الذي يمكنه من الاستفادة من امكانياتها العلمية .

ان الاستثمار في التعليم الجامعي والعالي - وهو استثمار للتعليم والتدريس - هو استثمار لزيادة الانتاج والارتفاع بمستواه ، وهو بذلك استثمار للتنمية وتحقيق مستوى افضل للمعيشة ...

ان الاهتمام بحياة الطالب في الجامعة - وعلى هذه الصورة - لهو من اهم العوامل التي تتيح للتعليم الجامعي ان يحقق اهدافه . والاهتمام بحياة الطالب مسؤولية اجهزة الجامعة ، كما هو مسؤولية استاذ الجامعة . ويجب ان يشجع الطلاب - من طريق تشكيلات الاتحادات الطلابية - على ابداء الراي والمناقشة ، والدرس ، والبحث فيما يعرض لهم من مشاكل في حياتهم الجامعية .

ويجب ان تمتص الجامعة ، وينصت الاستاذ الى ما يخلج في هذه النفوس الشابة من مشاعر ، وما يسري بين جنباتها من خلجات . ولا يجب ان نخلط بين الوصاية على أنشطة اتحادات الطلاب وبين العلاقة الجامعية الروحية التي تسود بين الاستاذ والطالب ، فهي اساس الحياة الجامعية والمحقة لكيانها .

تحليل علمي ونظر المعيارية شامل يجب ان يكونا أساسا لفكر لغوي احدث المجرد من كل تبعية ثقافية الأستاذ محمد عبدالمطوف (تونس)

النظام الراسمي بهدف اولا وقبل كل شيء الى
الربح الفردي ، ومن قال ربعا فرديا قال انانية
وجسما واستغلا وجميع التناقضات الاجتماعية .

وهذا مثال آخر . لناخذ مثلا مشكل التناسل
والازدياد الديمغرافي باعتباره مشكل القرن العشرين ،
وما يشبهه هذا المشكل من تقاسم حاد ، فسان
الاختبارات التونسية ، هي كما اكسد الاخ احمد بن
صالح في الملتقى المغربي للديمغرافيا (1) ترمي الى
الحد من الازدياد الكمي للسكان (بواسطة اجراءات
وقائية) كتعلة لحل مشكلة التمنية الاقتصادية ، وانما
تهدف في الحقيقة والواقع ، الى تنظيم العائلة
التونسية . وارسائها على قواعد علمية سليمة ،
منسجمة مع امكانيات العائلة نفسها ، الكفيلة بتوفير
الحاجيات المادية والادبية لاطفالها ، حتى يكون هؤلاء
في المستقبل عناصر سكانية حية وفعالة ، في زيادة
الانتاج والانتاجية وتنميتها .

تخلف الفكر والواقع :

يمكننا ان نؤكد هنا بان المجتمع التونسي - رغم
محاولات التطوير الجريئة - ما زال يعد متخلفا بالنسبة
للمجتمعات المتقدمة ، ومتقدما بالنسبة للمجتمعات
الاخرى المتخلفة ، واذا حاولنا تحليل هذا التخلف
وجدناه يتناول الميدان الاقتصادي ، والاجتماعي ،

المذهب عامة ، هو غير النظرية وغير النظام ،
وكثيرا ما يخلط الناس بينهما جميعا . فالنظرية
الاقتصادية او الاجتماعية او غيرها . تمكس صورة
الفكر في وجهه العلمي المجرد . عندما يبلغ الفكر
مستوى معين من الرقي في تحليل الظواهر الاقتصادية
والاجتماعية تحللا علميا . قصد تفسيرها والكشف
عن القوانين الاقتصادية والاجتماعية التي تسيطر
الانسان وتتحكم في واقعه ونشاطه .

اما قاموس اسفورد ، فهو يعرف النظام عامة ،
بانه مجموعة من الاشياء متصلة بعضها ببعض بحيث
تتكون منها وحدة مركبة .

والنظام الاقتصادي والاجتماعي ، هو مجموعة
العناصر القانونية والاجتماعية مثلا : النظام ، الاقتصاد
المغلق ، الاقتصاد الاشتراكي والشيوعي ، والنظام
التعاضدي الذي اخذت به تونس كاختيار اشتراكي
وقومي في نفس الوقت ، والان وبعد ان عرفنا النظرية
والنظام سيتضح لنا ما هو المذهب ؟ فالمذهب عامة ،
هو المنهج الايديولوجي الذي يقود الفكر الى الحكم
بافضلية نظام معين او بعدم جدواه كان يقال : بان
النظام الاشتراكي التعاضدي الذي اختارته تونس ،
هو افضل من النظام الراسمي ، لان النظام الاول
يحقق في نفس الوقت العدالة الاجتماعية ، كما يحقق
الديمقراطية الاقتصادية ، والحرية السياسية ، بينما

(1) انظر لنا تحقيقا مفصلا في حلقتين حول : الملتقى المغربي للديمغرافيا . العدد 120 والعدد 121 من
مجلة الشعب لمرّة فيفري و 16 منه 1969 . (للمؤلف) .

طاقات المجتمعات الفنية كما يتسبب في كوارث وخسائر لا تدخل تحت عدد أو حصر ، فهل عمل المسلمون بمبدأ : « ... وأهدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » ؟

التبعية الثقافية والمذهبية وانحرافاتها

ان المجتمعات العربية والإسلامية ومنها تونس ، بمعطياتها المادية ، والاجتماعية ، والتاريخية ، تملئ علينا طريقة خاصة في التحليل والاستنتاج لا يشاركنا فيها الاجانب ، فننجرب - ونحن ابناء هذا المجتمع الفني لحما ودما - أن نهضم ما درسناه في الشرق أو الغرب وان نستقل بوضع طريقة علمية ، وعلم اجتماع تونسي ، عربي ، اسلامي ، له طرائقه واساليبه لدراسة مجتمعاتنا في جميع الميادين والقطاعات ، وفي تحليل هذا الواقع بما احتوى عليه من قيسم فنية خاداة ، الى جانب ما تضمنه من فوضى وتناقض صنعت بعضها عصور الظلام والانحطاط (3) وصنع بعضها الآخر تخلفنا الفكري والمادي طيلة الاحتلال الاستعماري في العصر الحديث ...

ان استعمال المناهج والمذاهب المستوردة في دراسة مجتمعاتنا دون نظر الى طبيعته ، وحاجته ، وروحه ، هو خطأ منهجي في منتهى الخطورة ، انه مصدر سوء التفاهم والالتباس الذي كثيرا ما يقع في استعمال المناهج العلمية في تفسير ما وضعت له ، والواقع ان المجتمعات الاوربية تختلف طبيعة ونوعا عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية كما تختلف عن المجتمعات الاخرى الافريقية الاسيوية ، ذلك ان المجتمعات الاوربية الحديثة والمعاصرة خاصة ، قد تأثرت بمؤثرات ، وحفت بها ملابسات ، ما رأها ولا عاشتها بمجتمعات العالم الثالث ... كالثورات المختلفة التي عصفت وما تزال تعصف بالمجتمعات الاوربية الغربية والشرقية : فمن ثورة فكرية في القرن السابع عشر ، الى ثورة سياسية في القرن الثامن عشر ، الى اخرى صناعية في القرن التاسع عشر الى ثورة اجتماعية لا تزال نميش لفضولها حتى اليوم ، كل

والفكري . في وقت واحد . وهذا يعني ان هذا التخلف المتعدد الجوانب هو نتاج حتمي لتلك الهياكل والتركيبات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية والمتجاوزة ، هذا التخلف ذاته في الهياكل والتركيبات يولد التخلف في الفكر ، والعكس صحيح أيضا اي ان التخلف الفكري ، قد ينمي التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، فالمبني على الفساد فاسد ، كما يقال ، نحن اذن امام وحدة تركيبية تمثل التخلف في اجلي « تماساته » ، ومن الملاحظ ان المجتمعات المختلفة بصفة عامة هي مجتمعات ، التحليل والبحث العلمي فيها متخلفان ايضا .

فما احوجنا اليوم ، الى ان نعمل بكلمات الاسر التي وجهها منذ اكثر من عشرة قرون ، الاستاذ القيرواني أبو محمد ابن التبان الى بعض من تعلم عليه قائلا : « خذ من النحو ودع ، وخذ من الشعر وقل ، وخذ من الطب واكثر ، فما احد اخذ كثيرا من النحو الا احمقه ، ولا من الشعر الا اذله ، ولا من العلم الا شرفه ... » (1)

فمجتمعات يكثر فيها الانشاد الشعري ، وتكثر فيها المهارات اللغوية ويقل فيها التحليل العلمي هي مجتمعات ، اما ان تكون سائرة ببطء في التنمية ، واما ان تكون كالواقفة ، تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، فهي بهذا الاعتبار كالراكدة ، واخيرا المجتمعات التي تتقدم خطوة الى الامام وتتقهقر خطوات الى الوراء هي بهذا الاعتبار سائرة في طريق النمو في التخلف .

ان ضعف الثقافة التاريخية والعلمية ، وفقدان البحوث والتحقيقات العلمية المتعلقة بجميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية ، والتربوية ، كل ذلك يفسر لنا اسباب انحراف بعض الايديولوجيين وسياسيين العالم الثالث :

ان هؤلاء يتخبطون في فوضى فكرية هي - في رأينا - اعمس من الفوضى الاجتماعية والاقتصادية (2) اذن نرى ، كيف ان التخلف المادي ينمي التخلف الفكري ويقود الى ما شاء الله من الحلقات المفرقة واللف والدوران . وهذا كله يقود الى اهدار

(1) انظر : معالم الايمان في معرفة اهل القيروان لابن ناجي - الجزء الثالث - ص : 117 (المطبعة العربية التونسية سنة 1320 هـ) .

(2) العبارة الفرنسية قد تترجم اكثر هذه الفكرة : Cahot mental plus cahotique que le cahot social...

(3) انظر دراستنا عن المجتمع التونسي بين القرن الرابع عشر والثامن عشر . والانحطاط الثقافي في العالم الاسلامي ، (بالفرنسية) في مجلة جوهر الاسلام - العدد 8 - جانفي 1969 - ص 15 - 20

هذه الثورات بمذاهبها المختلفة وملابسائها الخاصة جعلت المجتمع الاوربي والغربي تركيبات وانظمة خاصة به .

وبحكم تأثر الباحثين الاوربيين - مدا وجزرا - بكل ما تقدم ذكره ، وبحكم استجابتهم لميولهم الخاصة وعواطفهم الشخصية ، كل ذلك جعلهم على المصوم يقفون غالبا من التاريخ والمجتمع موقفا حياديا باسم الزعم القائل بالموضوعية والحياد العلمي ، فاذا ارادوا دراسة مجتمعا ، رغم جهلهم الظاهر بطبيعته وروحه ولفته ... استعملوا وسائل منهجية قد تكون صالحة لدراسة مجتمعاتهم ، لكنها غير صالحة لدراسة مجتمعا او مجتمعات العالم الثالث من افريقية وآسوية ، فالباحثون الاجانب عموما لا يدركون ولا يفهمون ، وما كان باستطاعتهم ان يدركوا او يفهموا : طبيعة مجتمعا والتطور التاريخي والاجتماعي لها ، فاذا تهافت باحثونا - وقد تهافتوا ويا للأسف الا من رحم ربك - على هذه الطرق المستوردة غثها وسميها فانهم يفقدون بذلك موضوع بحثهم ويقعون في خطأ منهجي فاحش .

لا بد ، اذن . من اعادة النظر في جبل دراسات الاوربيين والمستشرقين ومن دار في فلكنم ؛ ان اكثر هذه الدراسات - لى رابنا ، وخاصة التاريخية منها اعتمدت على طرق تحليلية نقدية ، لكنها تجريدية وحيادية ، فهي من هذه الزاوية الاخيرة ؛ مضرة جدا وعقيمة جدا . لانها تهمل النظرة المياريية الشاملة وتحكم على النصوص والوثائق بطريقة تحكمية ساذجة ، فالشك مثلا ، في جزئية تاريخية ، من خلال النصوص . قد يلغى فترة تاريخية باكملها ؛ وهذا هو السبب الذي قلص التاريخ الاسلامي باكملة الى قرنين من الزمن تقريبا ، اضعف الى هذا جهل الباحثين الاجانب . بروح الحضارة العربية والاسلامية ؛ مع ما يتبع ذلك من اضعاف مزاجهم الاستعماري او تعصبهم كأوربيين « متفوقين » ، ذي ارجل بيضاء او سوداء ؛ كاثوليكيين كانوا ام بروتستانت ، لالكبين ام ملحدين ، ذوي تنكير لاطيني او جرمانى او انجلوسكسونى او فكيف تكون بعد ذلك ، دراسات هؤلاء الاجانب ؛ من الناحية العلمية والموضوعية ؟ .

ان عدم ثقتنا بانفسنا وتخلفنا يحجب الينا كل ما هو اجنبي ، الى حد ان يوجد بين ظهرانينا جماعات تعتقد ان الخير كل الخير هو في تقليد اوربا الغربية ، وامريكا السكسونية ، وروسيا السلافية ؛ والمانيا الجرمانية . اضعف الى ذلك اننا ما زلنا نتابع ذلك

التكوين الثقافي الغريب واللاعلمي حتى اليوم . مثلا : ما رايبكم في تكوين رجل من تونس ، او من قطر مغربي آخر يدرس اللغة العربية وفقها ؛ او اللغة العربية وآدابها او الحضارة العربية وتاريخ الادب العربي في فرنسا ... عن طريق اللغة الفرنسية وعلى اساتذة فرنسيين ؟ تخيلوا فرنسا يفادر بلاده الى الولايات المتحدة ليدرس لغته القومية وعفومها وتاريخ بلاده على يد اساتذة امريكيين ؛ وعلى الرغم من كل ذلك نعتبر ان لكل قاعدة شواذها ؛ فنحن لا ننكر فضل دراسات بعض الاعلام من المستشرقين الاوربيين المجتهدين امثال ماسينيون (Massignon) وماكسيم رودنسون (M. Rodinson) وجاك بارك (I. Berque) ولاوست (Laoust)

وبروكلمن وشاخست (Shacht) اما اننا لا ننكر فضل طرق العمل التقنيية المنظمة . التي سلكها ويسلكها رجال العلم في اوربا وامريكا ... خاصة فيما يتعلق بطرق البحث الفنية من تنظيم وتصنيف وتقسيم للعمل ... بعد هذا العرض لا مجال للتهافت على الفث والسمين من دراسات الاوربيين ، والاطمنان العلمي الاعمى لكل ما ينتجه هؤلاء الاجانب ؛ وانسج على منوال طرق بحثهم التجريدية والسلبية .

فهل يستطيع المفكرون والمؤرخون اليوم في العالم الثالث ان يبقوا هكذا مكتوفي الايدي حيايين امام مشاكل بلادهم ؟ وهل يستطيعون ان يفتسوا من خضم الايدولوجيات التي تعصف بمجتمعاتهم ؟ الى غير ذلك من التسؤلات ...

وبهذه المناسبة يسد لي ان اطرح على جميع المثقفين في هذا البلد السؤال التالي :

اذا كان من اختياراتنا القومية القضاء المبرم على التبعية الثقافية بعد ان قضينا على التبعية السياسية والاستعمار البغيض ، فكيف يمكن التحرر من التبعية الثقافية اذا لم نخطط جلدريا ومن الآن لبعوثنا التربوية والتعليمية الفلاحية . والاقتصادية والاجتماعية والحنوقية على الاقل ؟ فاذا بقينا هكذا تابعين مقلدين الى ما لا نهاية للمجتمعات الاجنبية . ومراكز بعوثنا ، واذا قرر الاجانب ان يعيدوا النظر جلدريا ومن الاساس ؛ في تنظيم جامعاتهم ومراكز بعوثهم ... فهل سنبقى نحن نترقبهم حتى يدخلوا التحويرات اللازمة على مؤسساتهم ، فنغلق مؤسساتنا وكياناتنا آنذاك ؛ ام كيف يكون العمل ؟ امام هذا الامر ؛ وبهذه المناسبة فاننا نناشد بالاحاح السيد كاتب

استجلاب رضى اليافعين والبسطاء ؛ لقد شاع وانتشر هذا الاسلوب في عصرنا ويا للأسف ، واضر وما يزال يلحق الاضرار الجسيمة بالدين لم يهزم الرمي العاقل ولا اليقظة المنيفة ، لذلك حتى نشكك من تفكير هذا المنكر ، وتحويل هذا الواقع المتخلف ، نسوق الملاحظات التالية :

— عدم اهمال البحث الجدي والجدري لواقع مجتمعنا المتخلف ، وذلك باستعمال جميع طرائق البحث العلمي الفعالة من تاريخية واجتماعية واقتصادية ... فمن لم يمارس القيام بالبحوث والتحقيقات لجوانب هذا الواقع او بعضها ، لا حق له في الكلام والكتابة .

— مقاطعة الاسلوب الرتيب اللاعلمي الذي المعنا اليه والذي يتجلى في الامور التالية :

— الانسياق في لثررة نغمية وكلام لا ينتهي وخال من كل معنى القصد منه امتهان الناس واحراجهم .

— اطلاق الكلام بدون موضوع ولا هدف .

— عدم الاخلاص في تحمل المسؤولية والاضرار بجميع الناس وذلك بالاعتداء على اشخاصهم ومقدساتهم ... مع اعتبارنا لما سبق ، نعتقد ان الخير كل الخير هو في استعمال المنهج العلمي المعيارى ، وهو المنهج الذي يستعين بعلم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة وكل ما وصلت اليه العلوم الطبيعية والتكنولوجية من نتائج ، هذا المنهج استعمل ويستعمل في الدراسات القومية والاشتراكية والشيوعية وهو من اكثر المناهج العلمية انتاجا وايجابية ، فاذا استعملناه نكون قد وضعنا انفسنا في بداية الطريق السوي لتحليل واقعا المتخلف ، واصلاح منهجنا الفكري المتخلف ، وبالتالي كان خطوة ايجابية الى الامام للقضاء على التخلف ومشتقاته وفتحنا موقفا لطرق التنمية الجدريه والرخاء الاقتصادي والاجتماعي ، فليبدأ باحثونا ، من الآن ، في جميع المعلومات وتحليلها واستنتاج تركيبات علمية (Synthèses scientifiques)

بدل اتباع منهجيات لا علمية والتعصب لايدولوجيات اعتباطية ذرائعية مثل بعض الماركسيين والمتركسين المنحرفين وغيرهم من التروتسكيين والفوضويين ، ان هؤلاء بصفتم — احبوا ام كرهوا — اعضاء في هذه الامة لحما ودما قد اهملوا الشروط الواقعية لبلادهم وشعبهم ، فاشتراكيتم تجريدية وخالية من كل محتوى اجتماعي ، اما اشتراكيتمنا فهي حل لمشكلة

الدولة للتربية القومية والاقتصاد الوطني ان يمضي قدما الى الامام ، في تونسنة وتعريب التعليم ، الجامعي ، وتنظيمه وربطه بالحياة القومية واعادة تنظيم مراكز البحث العلمي من حيث وضع البرامج والخطط لتوجيه الباحثين والبحوث ... حتى تعود بالخير على توجيه معركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية في هذا البلد العزيز .

ليس مما يثلج الصدر حقا ، ان نرى تطبيق مشروع ادخال اللغة العربية والفكر الاسلامي كمادة اجبارية في التعليم العالي بجميع فرومه واختصاصاته ، فمن المعلوم . انه وقع الشروع في تطبيق برنامج خاص باللغة العربية والتفكير الاسلامي والحضارة العربية في كافة الكليات والمعاهد التي لم تكن تدرس العربية في كافة الكليات والمعاهد التي لم تكن تدرس القومية لتعاقد . وكلية الحقوق والعلوم الاقتصادية ؛ وكليات العلوم ، والطب ، والمدرسة القومية العليا للفلاحة ... اذن ان هذه الاجراءات التي اتخذتها كتابة الدولة للتربية القومية تعتبر في رأينا من الامور المساعدة لاندماج الطلبة في الحياة القومية ، حتى لا تنقطع الصلة بين طلاب الجامعة والواقع القومي الحي ، هذا الواقع الذي يقوم عليه تراثنا الثقافي والحضاري القديم والحديث نوطننا العزيز . اليس هذا مما يعزز مقومات شخصيتنا القومية ؟ كما يخطو بتعلمنا خطوة موفقة الى الامام ؟

بعد هذا التحليل السريع نقرر بكل وضوح ، اننا لسنا في حاجة الى جل المناهج المستوردة والمذاهب الايدولوجية في حقل العلوم التاريخية والاجتماعية ... فلنقتصر فقط على الاخذ بعلم الفرب والشرق المادي والتكنولوجيا والفني ولنترك ايدولوجياته ومذاهبه الفلسفية والعقائدية ، ونزغته الالحادية والوجودية والاستعمارية ... ولنتجنب دراسة تلك النظريات العوفاء المفرفة من كل محتوى والقسي والمفعمة بالمواطف اللاتية ، هناك مع الاسف افراد اذا قاموا بمحاضرات او بحوث اتخذوا ذلك الاسلوب الرتيب القيم الذي هو شغوف بوضع وترتيب علامات دورية (Style stéréotypé) وهي اشبه شيء بما يحدث عادة في المكتبات والصيدليات من تبويب للكتب والدوريات والادوية ، واذا حرروا مقالات كانت عبارة عن لثررة نغمية لا اكثر ولا اقل ؛ فبدلا من ان يبحثوا عن الحقائق من خلال الوقائع والاحداث كان همهم ان يكتبوا في جمل جدابة وقوالب محلات بالزخرفة والبديع وقصدهم من ذلك هو

التخلف الاقتصادي والاجتماعي والفكري وطريق الى النمو والتقدم - هذا الحل الاشتراكي هو حل قومي استوجبته حتمية تاريخية ودفعنا اليه واقعنا المتخلف، ان اشتراكيتنا تركز قبل كل شيء على منطياتنا الدائمة والموضوعية وتستفيد بالدراسة من جميع النظريات والمذاهب الاشتراكية والخبرات الاجنبية على شرط ان تلائم واقعنا وذوقنا وروحنا ، وبذلك تكتسب اشتراكيتنا شكلا ومحتوى واسلوبا قوميا مشحونا بالحياة ويتقبله شعبنا - نحن نؤمن من كسل كياننا ايماننا بالله وبانفسنا وبالعلم . بان الاشتراكية الانسانية هي انجع مذهب يخرجنا من التخلف ويدفعنا الى الامام ويحقق لنا اقتصادا جديدا وسياسة جديدة، وثقافة جديدة ايضا . هذه الاشتراكية تجهل التناقض بين العلم والدين ، ولسنا بحاجة الى سرد الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تعرض على محاربة الفساد والظلم بجميع انواعه ، ثم لسنا بحاجة الى الايمان بشواهد تبرهن على ان ديننا الحنيف هو اقل الاديان السماوية غيبية (1) ، كما كرم الاسلام ابن آدم واستقطبه في جميع نشاطاته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ، وما قول الرسول محمد (صلم) « اعمل لدينك كأنك تعيش ابدا ، وامل لآخرك كأنك تموت غدا » الا مصداقا لما قدمنا.

فنحن الاشتراكيين نتكلم لغة شعبنا ، ونتعلم من خبرات شعبنا العظيم ، حتى نعلمه ونخدم مصالحه واهدائه ، اما اولئك المنحرفون الايديولوجيون ، فيبمدهم من قضية شعبهم قد داسوا المحتوى العلمي والقومي للاشتراكية ، وما ارادوا الا ان يكونوا اميين خياليين ، اما نحن فلا نرى أي تناقض بين الاممية والقومية : بل بالمعكس اذا تعمقنا قليلا وجدنا ان هناك رابطة تاليفية بين القيمتين ، وذلك ما ان تطبق النظرية الاشتراكية في اي بلد حتى تصبح قومية اي محلية ، كان على هؤلاء ان يقتصروا على حفظ نتف وتراتيل من اقوال ماركس وتروتسكي ورجيس دي بري وكاسترو... معتبرين اياها الاشتراكية ذاتها بل لا بد من وضعها في سياقها التاريخي ، وحيزها المكاني ، حتى يعلموا كم يكون الفرق صلبا بين النظرية والتطبيق العملي لها . ومما ينكر ان هؤلاء بعد اقامتهم في البلاد الاجنبية ، ورجوعهم الى ارض الوطن اخذوا يرددون ما ابتلوه طازجا في الخارج ونسوا او تناسوا، ان واجبهم هو دراسة الجديد ، وبمك القديم ، وخلق

الجديد ، انهم اصبحوا وكانهم عبارة عن «مونوغراف» ضاربين عرض الحائط ببدا علمي اساسي في العصر الذي ، وهو وحدة النظرية والعمل .

النتيجة من هذا الانحراف هي اخطاء كثيرة ارتكبت وترتكب ، وهي تنتشر كانتشار الامراض السارية ، ان هذا التكوين الفكري الغريب ، وهذا التهافت والتقليد الاعمى لكل ما هو غير تونسي قد اتاح لطبقة من الناس هي طبقة اولئك الذين يسمون انفسهم « بالتقدميين » ان تصرف بحرية كاملة الى اللعب بالافكار والمذاهب المستوردة . لعب المتعطلين ملقية نظرات علوية على الحياة والعالم ، الواقع ان العجالات التي تدور في رؤوس هذه الفئة من الناس ليس لها صلة بحياة الشعب ولا بالحياة عامة ، ان هذه الافكار المستوردة تشبه نباتات المناطق الاجنبية التي تستثبت بواسطة بيوت زجاجية في جو اصطناعي مكيف وليس صلة صلة بين هذا كله والارض التي هي عليها ، ليس صلة صلة بين هذه الافكار وبين الواقع الراسخ الذي تتحرك فوقه جماهير الكائنات الحية ، انهم يظنون انهم يناقشون نصير الجماهير ووظيفتها التي يجب ان تقوم بها سبيا الى ما يرسمون لها من غايات واهداف سامية ، ان لعبيهم هذا خطر ، او يمكن ان يصبح خطرا على الناس وعليهم ، ان الذي يسمهم يتكلمون يظن ان جميع المشاكل قد حلت حلا موفقا وان جميع الطرق قد عثدت ولم يبق الا البداية في المسير ، مع انه لا شيء مهما في هذه الحياة يمكن ان يحل بسهولة بل كل مشكل هام يتطلب نفقات باهضة لعاه او لمحاولة حله مع ما يحق به من جهود واخطار.

الاصالة

اننا ونحن نتجه اتجاها اشتراكيا في تونس ، نؤمن بان التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، هو الشكل الافضل للعقلانية الاجتماعية ومثلى آمتنا بذلك فرضنا ارادتنا على الحياة والواقع لنصوفهما من جديد حسب اهدافنا وامانياتنا ووصلنا بذلك الى مرحلة النضج التاريخية .

وهل ننسى صرخة المرحوم الطاهر الحداد الخاصة الذي قال فيها : « اذا اردنا ان ندخل البيت ندخل من بابيه ونصل الى غابيتنا بيقين صحيح فليس لنا الا طريق واحد الا وهو : الاعتماد على النفس ؟ »

(1) « ولقد آتينا داوود... والنا له الحديد ان اعمل سايفات وقد في السرد » (سورة 34-9\10)

المفكرين العرب نذكر منهم خير الدين التونسي في كتابه : « اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك » .

بعد هذا نرى ان من واجبا اليوم الاعتماد على النفس للقيام بدراسات علمية وفقدية لتاريخنا الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، وبذلك نمطي لاشتراكتنا بمدنا تاريخيا بامدنا على وضع الخطط والبرامج السليمة ، ان اعمال دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لبلادنا يقود حتما الى رداة التحليل للواقع الراهن : فلو استقرانا مثلا التاريخ التونسي والاسلامي لوجدنا جدورا للاشتركية عميقة في الاسلام ، والتراث القومي ، وسلوك عظمائنا ، كما نجد اليوم نفس هذه الجذور في عاداتنا وتقاليدينا ، فكل ما توصلنا اليه في الحاضر هو تكامل لما توفر لنا بالامس ، فتشابه الماضي بالحاضر وتفاعلهما بما فيهما من مميزات وتناقض ادى الى ما ننعّم به اليوم من حضارة ومعرفة ، ثورات الانسان المتتالية في التاريخ ، جاءت الواحدة منها ، متضمنة مطبقات الاولى وحاملة بدور المقبلة ، ان في سلوك الرسول (صلم) والخلفاء الراشدين ومنهم عمر بن الخطاب ، وكذلك ابو ذر الغفاري والقرامطة وحسان بن نعمان الفسائي وخير الدين باشا والظاهر الحداد ومحمد علي وحشاد وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة لافضل قدوة للسلوك الاشتراكي والسيرة العادلة .

وفي تراثنا التونسي نذكر سياسة حسان بن نعمان الفسائي : فمنذ اكثر من عشرة قرون ركز قواعد الدولة الاسلامية لا في افريقية فحسب بل في افطار المغرب العربي كله ، لقد دافع البربر اول الامر بشدة من ذاتيتهم وكبريائهم بكل قسوة وضراوة واعتبروا ان المسلمين كغيرهم من المعتلين الرومان والوندال والبيزنطيين - وهم قد قاسوا طيلة قرون اضطهاد هؤلاء - وظنوا ان المسلمين الفاتحين اتوا هم ايضا لاضطهادهم ونهبهم وفرض السخرة عليهم ،

ولا يكون اعتمادنا على انفسنا الا اذا امتقدنا انها عظيمة ، ولا نشعر بمظمة انفسنا الا اذا عرفنا اننا من امة ذات شرف ، وسؤدد وتاريخ مجيد (. . .) يلزم ان نتقدم ، يلزم ان نمش كافة لها حق في الحياة « (1) .

وهذا مفكرنا ابن خلدون الذي تناول عددا مهما من المسائل الانسانية التي اثارها وبشرها معاصرون كما حاول الاجابة عنها بعد تحليل مسبق للتركيبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - بشر لأول مرة بما يسمى اليوم بالجدلية التاريخية واكتشف هذا المبدأ الخطير ، قبل كارل ماركس بقرون ، فمن افكار ابن خلدون الاشتراكية ان العمل الانساني هو العنصر الاساسي للثروة (2) . وان الراسمال المستغل يجب ان يعتمد من طريق الكادحين ثم يهاجم الاحتكار ولا سيما الاحتكار في الاقوات ، وينتقد التجار المحتكرين بشدة ويعصفهم بابشع الصفات ، صابا عليهم جام غضبه ومتوعدهم بالخسران المبين (3) .

ان كتابات ابن خلدون ايها الاخوان هي مهمة جدا لانها تلقي الاضواء على ماضي البلاد العربية والاسلامية التي هي اليوم ضمن البلاد المتخلفة النامية كما يقال ، ففي مقدمته التي سماها ايف لاکوست (4) « بالامجوبة العربية » يبدو ان تحليل مبقرتنا التونسي للشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمغرب العربي في القرون الوسطى على جانب عظيم من الاهمية ، اذ توفق الى وضع جملة من القوانين الاساسية ، تاريخية ، واجتماعية وسياسية .

وبعد هذا اليس من المدهش والمنمشر في وقت واحد ان نرى مفكرا اسلاميا في بداية القرن الخامس عشر ، اي بداية مصور الانحطاط في العالم الاسلامي ، يضع كل هذه التحاليل والبحوث العنمية (5) . وما يذكر ان هنالك من حاول اتباع المنهجية الخلدونية من

1 . جريدة الامة - عدد 32 - في 25 جوان 1922 .

2 . المقدمة - دار الكتاب اللبناني - 1961 - ص : 680 - 681 .

3 . المقدمة - مطبعة البيان العربي - ص : 841 .

4 . Yves Lacoste : « Ibn Khaldoun », Paris, Ed. Maspero 1966 - p. 7-9 .

5 . انظر دراسة من المنهجية الخلدونية بالفرنسية للمؤلف في جوهر الاسلام - ديسمبر 1968 - العدد 7 - ص : 12 - 16 (تونس) .

انظر ايضا مقالة بالفرنسية في صحيفة : L'Action Culturelle

العدد : 1931 - تونس - 9 مارس 1969 - ص : 9 .

مع الاسف ما زالوا متهافتين ، مثقلين بمركبات تقصر
مديدة امام الباحثين الاجانب .
اذا سمحتم فاني اشير الى محاولات الطاهر
الحداد الرائعة :

هذا الرجل لم يدرس لا بالشرق ولا بالغرب ومع
ذلك استطاع ان يطالع ويهضم منهجيات شرقية
وغربية واستعمل في ابحاثه وتحليله الواقعية
الاجتماعية واحداث ما وصلت اليه الابحاث العلمية في
عصره : خط في كتابة العمال التونسيين « تاريخ
النضال الاجتماعي الانساني منذ بدء الخليقة الى عصره
- ومن خلال المقطع التالي نبين انه درس حتى
المذهب الماركسي ، يقول الطاهر الحداد :

« يقوم رجال من العلماء المنقطعين لخدمة
الانسانية يبحثون في تاريخ الانسان ، والحق الطبيعي،
والحياة الاشتراكية ، ووفق نظام اجتماعي تم به
سعادة الانسان ، فتمخضت هذه الابحاث بعد الدرس
الطويل اجيالا وقرونا من كتاب في الاشتراكية في
اوربا للاستاذ (كارل ماركس) الالمانى الذي عد كتابه
غاية احلام الانسانية ومبدأ يقوم على امضاء العمال
المخلصين البارين » (1)

ويضيئ المجال هنا لعرض مقاطع من كتاباته
حول الحركة النقابية في تونس ، والحركة التعاونية ،
والاشتراكية التونسية ، والمرأة في الشريعة
والمجتمع ... وما الى ذلك من المواضيع والمشاكل
التي تلتصق بالواقع التونسي التصاق اللحم بالمظم -
لقد ناضل من اجل هذه الامور في تونس كما
ناضل من اجلها الحداد بكل ما اوتي من قوة ، بقلمه
ولسانه وقلبه الكبير - فرأى الحداد من الاضطهاد ما
رأى فسحبت منه شهاداته ومؤهلاته ، واتهم بالكفر
والزندقة ، وتظاهر ضده بعض مشائخ الدين مما هيج
الراي العام عليه الذي اثاره صحف المصير ومناير
الوظف والارشاد ... لكن ما استطاع المحافظون ان
ينالوا من افكار الحداد فبقيت حية كالحديد ، وتحقق
اليوم جانب مهم من مشاريعه واحلامه .

ولا يسعني اخيرا الا ان ادعو الى الالتزام بالنقد
والنقد الذاتي ، فهو خير نوع لمجابهة الجهل والظلم
والتخلف ، ولا بد من ان نواصل السير نحو الحق ولو
تعطمت تحت اقدامنا عقد التواكل والخوف من مجابهة
الواقع والحقيقة .

لذلك قابلوا الفاتحين الجدد اول الامر بعين الحذر ،
لكنهم ما لبثوا ان سادهم الدين الجديد الذي قدروا
تعاليمه القائمة على المساواة والمدل ، وبهرتهم حفارة
المسلمين حتى دخلوا فيه افواجا وجماعات واصبحوا
بدورهم : من دعائه المخلصين ، ناهيكم ان الجيش
المغربي الذي يشكل البربر فيه جل قطاعاته الحربية
كان بقيادة بربري هو طارق بن زياد الذي فتح اسبانيا
سنة 711 م .

والجدير بالذكر ان الامير حسان بن نعمان
الفساني الذي كان له الفضل الاكبر في تشجيع وتنشيط
حركة نشر لاسلام والعربية ، قد وزع ساحات
كبيرة من الاراضي على صغار فلاحى البربر وقد
كانت ملكا للامبراطورية البيزنطية وهكذا سادهم على
الارتزاق من الارض بالزراعة بعد ان كانوا غرباء عن
ارضهم فتمركزوا في هذه الاراضي اسبانيا وانشاوا
مدنا وقرى بعد ان كانوا رحلا متهمجين .

البيت هذه السياسة الحسانية من قبيل ما
يسمى اليوم بالاصلاح الزراعي ؟ يمثل هذه السياسة
الواقعية العادلة : كسب الاسلام قلوب البربر جميعا،
وهكذا انضمت الوحدة الدينية الى الوحدة الاجتماعية،
والاندماج الروحي والمادي بين العناصر الاسلامية
والبربرية اندمجا كليا في ظل العدالة الاجتماعية ،
وحتى لا نضيع في حلم الماضي ، علينا ان « نلتفت
بصراحة وحزم الى معطيات الحاضر وامكانيات
المستقبل » كما اكد لنا ذلك الاخ عبد العزيز بن حسن،
علينا اليوم ان نجدد حركتنا الاشتراكية بالنسبة
للحركات والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية
في العصر الدري ، وحتى نربط جبل التاريخ الذي
انقطع بنا طيلة عصور الانحطاط والظلام ، علينا ان
ناخذ بالاساليب العلمية الجديدة والتكنولوجية
الحديثة في حقل دراساتنا المادية والفكرية وربط ذلك
كله بالواقع التونسي ، فليس « اخطر على امة من
ان تلبسها مذهب امة اخرى دون نظر الى طبيعتها
وحاجتها وحجمها وذوقها وروحها » كما قال توفيق
الحكيم .

فالنسبة لدراسة تاريخ بلادنا الاقتصادي
والاجتماعي والثقافي ما زلنا في بداية الطريق ولم يقم
باحثونا حتى الان ببحوث كافية وجديدة مكسرة للواقع
الموضوعي ، ولو حاولوا لانوا بالمجب العجاب ، ولكن

(1) كتاب « العمال التونسيون ... » ص : 20 .

المؤتمر العالمي العربي السادس

(1-7 نوفمبر 1969) بدمشق

الدكتور عبد الحليم منتصر

الأمين العام للاتحاد العلمي العربي
(القاهرة)

تخصصهم ، ولا شك أنهم يفيدون من مناقشة بعضهم بعضاً في المسائل والمشاكل العلمية .

وقد اقتنع المسؤولون آنئذ بأن يهيئوا للعلماء أسباب اجتماعهم ، وأن للعلماء أن يتخذوا ما يشاؤون من قرارات .

كذلك عقد المؤتمر العلمي العربي الأول في الاسكندرية سنة 1953 ، وكان عقده مظاهرة علمية رائعة ، إذ اجتمع في صعيد واحد أكثر من ثلاثمائة عالم من الدول العربية ، قرأوا عشرات من البحوث العلمية المبتكرة ، وناقشوا مسائل علمية على أعظم جانب من الأهمية ، واستمعوا الى محاضرات عامة كانت تدور حول تاريخ العلم وأثر العلماء العرب في تقدمه ، كما درسوا بعض مشكلات العلم والاقتصاد القومي وترجمة المصطلحات العلمية ، وكان القرار الذي اتخذته هذا المؤتمر هو انشاء « الاتحاد العلمي العربي » الذي يتكون من الاتحادات العلمية في الدول العربية ، وهو الذي يدمج وينظم عقد المؤتمرات العلمية بصفة دورية في العواصم العربية .

ثم عقد المؤتمر العلمي العربي الثاني في القاهرة سنة خمس وخمسين ، وسارت الأمور فيه على نفس النمط من حيث قراءة بحوث مبتكرة في العلوم الاساسية أو التطبيقية والاستماع الى محاضرات عامة ، كان موضوعها استخدامات الطاقة الذرية للاغراض السلمية ، وبرزت مشكلة توحيد الترجمة العربية

لقد كان عقد المؤتمر العلمي العربي السادس بدمشق ، بناء على دعوة من الاتحاد العلمي السوري ، أقرها المؤتمر العلمي العربي الخامس ، الذي عقد في بغداد سنة ست وستين ، وقام على تنفيذها الاتحاد العلمي العربي ، بالاشتراك مع الاتحاد العلمي السوري ، وكان حقاً علينا شكر الدولة السورية الشقيقة ، رئيساً وحكومة وشعباً ، ان اتاحت لنا هذا اللقاء العلمي العربي الكريم ، في رحاب جامعتها العتيقة ، لنتحفل بمناسبة اربع ، هي في الواقع اربعة امياد للعلم والعروبة . تلك هي الميد الذهبى لجامعة دمشق ، والميد الذهبى لجمع اللغة العربية بدمشق ، واسبوع العلم العاشر ، والمؤتمر العلمي العربي السادس .

ولعلنا نذكر ان عقد المؤتمرات العلمية ، كان أمنية كثيراً ما جاشت في نفوس العلميين والمشتغلين بالعلم في الخمسينات الاولى من هذا القرن ، وكانت جامعة الدول العربية ، قد انشئت في الاربعينات الوسطى ، وكانت قد عقدت مؤتمرات ثقافية ناجحة ، وخطر لها ان تجرب عقد مؤتمرات علمية ، فدعت بعض المشتغلين بالعلم للتشاور في هذا الموضوع ، وقد سئلنا من نوع القرارات التي يمكن ان تتخذ في هذه المؤتمرات العلمية ، فقلنا ان القرار الذي يتخذ عادة هو تحديد مكان وزمان المؤتمر التالي ، وأن الفرض من المؤتمر يتحقق كاملاً ، بمجرد اجتماع العلماء في صعيد واحد ، ليقروا بحوثاً مبتكرة في موضوعات

العمل منذ نحو عام . ونحن نرجو ان يستأنف ليتم
انجازه في وقت قريب .

وقد تقدم لمؤتمرنا هذا نحو ثلاثمائة بحث ،
تناول فروع المعارف العلمية المختلفة من ذرية
والكترونية ومطافية واشعاعية وكيميائية ونباتية
وحيوانية وحشرية ورياضية وزراعية وهندسية
وفسيولوجية ودوائية ... الخ ، ووجعت جميعا .
وقام على فحوصها وتقييمها اساتذة مختصون . ومن
اسف ان اغلب الباحثين لم يتمكنوا لسبب او لآخر من
شهود هذا المؤتمر ، الا ان بحوثهم طبقا لما درجنا
عليه : ستشعر ضمن اعمال المؤتمر وان لم تقرا ،
وكذلك تلقى اربع محاضرات عامة تناول موضوعات
علمية عامة ، وهناك محاضرتان اخريان اعلن عنهما .
ولم يتمكن المحاضران من شهود المؤتمر . كما ستعقد
ندوات للمصطلحات العلمية ، يمكن للمختصين مناقشتها
كل في دائرة اختصاصه . وسياخذ الاتحاد العلمي في
نشر مطبوعات المؤتمر فور الانتهاء من جلساته . وتقع
عادة في اربعة مجلدات .

ومن حسن الحظ ان جامعة الدول العربية ،
التي انشئت اغلب الامر لتحقيق اهداف سياسية
واقتصادية واجتماعية وثقافية عامة قد انشأت مؤخرا
قسما للعلوم والتقنية او التكنولوجيا ، مما يدل على
انها تريد ان تقوم بواجبها كاملا في هذا المجال ، موقنة
ان القوة في ركاب العلم ، وان المعركة اصلا معركة علم ،
واننا حين نعقد هذه التظاهرات العلمية في الوقت الذي
يتربص بنا العدو فما ذلك الا لاننا نوقن انه لا ينبغي
ان يصرفنا واجب من واجب . واننا اذ نهى الجامعة
العربية بهذا الاتجاه ، نرجو ان تدفع في البداية دفعة
قوية تمشي مع ما تحتاجه الدول العربية لمجاهدة
التحديات المختلفة . وما اشك في ان مؤتمرنا هذا يعضد
هذا الاتجاه من الجامعة العربية ، واجبا ان يكون ذلك
وسيلة لتكثيل الجهود العلمية وتقييمها وتمويلها ،
لدراسة المشكلات واستنباط الثروات ، وتنمية الموارد
العلمية في البلاد العربية وتوجيهها لتقوية البلاد ، حتى
يكتب للامة العربية النصر باذن الله .

وقد شهد مؤتمرنا هذا وفود من دول المشرق
العربي مصر وسوريا والعراق ولبنان والاردن كما
شارك فيه علماء من المانيا الديمقراطية
وتشيكوسلوفاكيا ، وكان لتعاون الهيئات العلمية
السورية اكبر الاثر في نجاح المؤتمر ، اذ آزرته وزارة
التعليم العالي والمجلس الاعلى للعلوم والاتحاد العلمي
السوري وجامعة دمشق . ومجمع اللغة العربية

للمصطلحات العلمية بصورة اوضح ، اذ عرضت قوائم
لبضعة آلاف من المصطلحات العلمية باللغة الاجنبية ،
وامامها الترجمات العربية المستعملة في الدول العربية
سوريا والعراق ولبنان ومصر ، كما عرضت امام
بعضها الترجمة التي اقراها مجمع اللغة العربية بالقاهرة
وتبين من هذه المقابلة ، مدى الاختلاف الكبير في
ترجمة المصطلح الواحد ، وكان مجمع اللغة العربية قد
شرف المؤتمر بممثلين هما المرحوم الدكتور منصور
فهيم ، والمرحوم الامير مصطفى الشهابي ، كما كانت
هيئة اليونسكو قد ارسلت بخبير العاني ليدلي بدلوه
في المشكلة ، ولا شك ان المؤتمر قد افاد من خبرات
وتوجيهات هؤلاء جميعا .

وكان الاتحاد العلمي العربي قد انشئ فعلا ،
ووضعت لائحته واثقانونه الاساسي ، فلما الى عقد
المؤتمر العلمي العربي الثالث في بيروت سنة سبع
وخمسين ، حيث قرئت بحوث مبتكرة والقيمت
محاضرات عامة تدور موضوعاتها حول السنة الدولية
الجيوفيزيكية وحول التكامل الاقتصادي في الدول
العربية ، كما اتفق على توحيد الترجمة العربية لبضعة
آلاف من المصطلحات ، وكان قراره عقد المؤتمر العلمي
الرابع سنة تسع وخمسين في دمشق . وعندما قامت
ثورة العراق سنة ثمان وخمسين ، طلب الاتحاد
العلمي العراقي ان يكون المؤتمر في بغداد ، ليعوض
ما فاته ، على حد تعبير مثله آثله . ثم كانت الاحداث
التي حالت دون عقده في بغداد او دمشق ، فتأجل
مرة بعد اخرى الى ان عقد في جامعة الدول العربية في
القاهرة سنة احدى وستين ، وقد عرضت عليه
مجموعة من المصطلحات في العلوم الكيميائية والطبيعية
والجبلوجية والنبات والحيوان والحشرات والرياضيات
تبلغ نحو خمسة عشر الف مصطلح ، وعندما عقد
المؤتمر العلمي العربي الخامس في بغداد كان مجموع
المصطلحات التي عرضت عشرين الفا ، وكانت توصية
هذا المؤتمر العمل على اصدار معجم علمي عربي
موحد ، وقد تبنت هذه التوصية وزارة البحث العلمي
في القاهرة ، التي كونت سبج لجان متخصصة للعلوم
الطبية والهندسية والاحيائية والزراعية والكيميائية
والطبيعية والرياضية والجيولوجية ، ولجنتين للمراجعة
والصيافة ، وامضاء هذه اللجان هم جميعا من الاساتذة
المتخصصين ومن امضاء مجمع اللغة العربية ، وقد
انتهت هذه اللجان في خلال عامين من اعداد جداول
لمائة الف مصطلح . وانتهت فعلا من المراجعة النهائية
نحو ثلاثة وثلاثين الف مصطلح . ومن اسف ان توقف

بدمشق . ذلي هؤلاء جميعا نتقم بموفور الشكر وعظيم العرفان بفضلهم تيسر للمؤتمر ان يتابع دراساته في جو من الالفة والمحبة ، وان تكون مناقشاته بالغة الخصب والفائدة ، وان ينتهي الى توصيات وقرارات . نرجو ان تكون موضع التقدير والاقترار ، فهي منبثقة من دراساته ومناقشاته وآرائه التي استمعنا اليها في الاجتماعات العلمية المتعددة التي انعقدت هنا وهناك في مدرجات الجامعة ، وقاعات مجلس العلوم ووزارة الاصلاح وكليات الطب والعلوم

ولقد قرئت عشرات البحوث المتكررة في مجالات العلوم الاساسية من كيمياء وطبيعة ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا ، ستنتشر جميعا ضمن اعمال المؤتمر ، كما ستنتشر ايضا تلك البحوث التي لم يتيسر لاصحابها شهود المؤتمر ، ويبلغ عدد هذه وتلك نحو ثلاثمائة بحث .

ولما كان قد مضى على انشاء الاتحاد نحو خمسة عشرة سنة ، وما تزال شعبه اربما ، فلعله من المفيد ان يوصي المؤتمر بحث الدول العربية على انشاء شعب للاتحاد ، حتى يتحقق الغرض من انشائه من جمع شمل العلماء العرب من اقصى المحيط الى اقصى الخليج ، ونشر الوحي العلمي وتكثيل القوى العلمية في البلاد العربية للعمل على انهاضها وانماثلها ، والسير بها قدما في سبيل التقدم والرخاء والسلام . وقد لاحظنا ان المؤتمرات السابقة قد عقدت جميعا في دول المشرق العربي ، وقد يكون من الخير ان نسعى لعقد المؤتمر القادم في احدى دول المغرب العربي . حتى نوثق الاتصالات العلمية مع اشقائنا في المغرب العربي ، فقد قربت المواصلات في العصر الحديث بين ارجاء الوطن العربي ، ولم نعد نشكو مشقة السفر التي كان يعانيها الاقدمون ، ولتختم كانوا يستهينون بها في سبيل العلم والمعرفة . حين كانوا يقطعون آلاف الكيلومترات عبر القارات الثلاث ، وقد لا يكون لاحدهم من دابة تحمله سوى قدميه ، ثم يعودون الى اوطانهم كما يقول نيكلسون ، كما يعود النحل محملا بالعسل . وتروى من رحلاتهم العلمية قصص هي الى الاساطير اقرب ، وما ذلك الا ليلقى الواحد منهم هالما او يطلع على كتاب ، فما بالنا اليوم وقد غدا السفر ميسرة اسبابه ، لا تتمدد لقاءتنا العلمية الا بمقدار ، وتتابع السنوات دون ان يتحقق اللقاء .

وقد تبينا من الدراسات التي قام بها جههاز التبعة والاحصاء ، اهمية حصر الكفايات العلمية في

الدول العربية ، وضرورة توسيع نطاق هذا الحصر ليشمل الاقطار العربية جميعا ، والعمل على ايجاد حصر وتقويم الكفايات والمؤهلات العلمية في كل بلد عربي مع توحيد نظم الحصر واتباع تصنيف عربي واحد يتفق عليه ، وكذلك حصر البحوث العلمية التي تمت والجارية في كل بلد عربي للاستفادة منها من طريق هيئة للتوثيق والنشر . وكذلك ضرورة العمل على ترفيب العلماء حتى لا يهجروا اوطانهم الى بلاد اخرى ، وحتى لا تتسرب الكفايات العلمية الى خارج الوطن العربي ، فلا بد من دراسة العوامل التي ادت الى هذا التسرب ، ولنا في السلف الصالح اسوة . حيث لقي العلم والعلماء كل رعاية من الحكام والولاة ، حتى قيل انه جاء على الامة العربية عهد ، كان كل طالب عالم يجد مكانا يتعلم فيه ، ومعلما يملمه ، ورابيا يقوم باوده ، وكان انتشار المدارس والمكتبات ودور العلماء بالفا غابته .

وكذلك تبينا ضرورة العمل على تنمية الموارد بالتوسع الافقي في استصلاح الاراضي وكذلك التوسع الراسي ، بانتخاب السلالات وعلاج الافات ، وما الى ذلك مما يزيد في غلة ارضنا الزراعية لمقابلة الزيادة المطردة في السكان .

اما ملاحقة التقدم العلمي والتقني ، فكان الحث عليها شديدا ، بتبيان الفارق الكبير بين حالتنا وحال من يتربصون بنا الدوائر ، ويستفيدون من كل جهد علمي ومن كل مستحدثات العلم ومبتكراته ، فعلينا ان نبذل اقصى ما نطيق ، وان نسبق جهودنا العلمية ، ونعمق جهودنا ، عسانا نلحق بالركب ، ويتم لنا النصر بالايمان والعلم .

وقد لقيت دراسة تاريخ العلم في الجامعات العربية نهاية المؤتمر ، وقد يكون من الخير نشرها في جميع الجامعات العربية وابرار دور العلماء العرب في بناء النهضة العلمية ، لعل ذلك ان يكون حافزا للاجيال الصاعدة . ان يقتفوا دثار سلفهم الصالح ، وان يعلموا ان ما يدرسونه ليس مستوردا كله من الخارج ، وان للامة العربية اصالتها في هذا المجال .

اما المصطلحات العلمية ، فقد حظيت في هذا المؤتمر ، بعناية فائقة ، اذ عقدت ندواتها في جميع ايام المؤتمر . وكان تنظيمها مما حقق اكبر الفائدة ، واتاح الفرصة للقاء المختصين لمناقشة مجموعات المصطلحات من رياضية وكيميائية وبيولوجية وحيوانية وحشرية ونباتية وطبية وغيرها . وقد تبين للمؤتمرين انه لا بد من توزيعها على المختصين ، ليدلي كل براهه ،

ثم جمع المصطلحات المختلف على ترجمتها لعرضها في لقاءات أخرى قصد الاتفاق على ترجمتها أو تعريبها ، لان من الاهمية بمكان توحيد الترجمة العربية لهذه المصطلحات .

وقد قدمت لجان العلوم الاساسية توصياتها بشأن وضع المعجم العلمي العربي الموحد وتوحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية ، ونرى ان اتاحة فرص اللقاء بين المختصين في العلوم والمجمعين في اجتماعات دورية سنوية ، مما يمكن ان يؤدي الى نتيجة حاسمة في اقل مدة ، ويمكن ان تنتهي بمعجم علمي هام تلتزم به الهيئات العلمية والتعليمية في البلاد العربية كافة .

ومن هذه اللجان ما تكلم في التفصيلات مطالباً الدول العربية بانشاء لجان للتعريب تتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، على ان يرسل الاتحاد العلمي العربي ما أنجزه في حقل المصطلحات الى الهيئات العلمية في البلاد العربية .

وقد عقد ممثلو شعب الاتحاد العلمي العربي اجتماعات انتهوا فيها الى مشروع القرارات والتوصيات الآتية التي عرضت على المؤتمر فاقرها :

التوصيات

1 — يوصي المؤتمر بعقد المؤتمر العلمي العربي السابع في أحد اقطار المغرب العربي في سبتمبر (اوائل) أيلول سنة 1971 .

2 — يوصي المؤتمر بالاتصال بالدول العربية التي لم تنشئ لديها اتحادات علمية كسحب للاتحاد العلمي العربي ، وحثها على انشاء هذه الاتحادات بأسرع ما يمكن ، ويرى ان تأخذ الامانة العامة للاتحاد العلمي العربي المبادرة في معاونة الدول العربية على تاسيس هذه الشعب لديها .

3 — يوصي المؤتمر الجامعة العربية بدعم الاتحاد العلمي العربي وشعبه في الاقطار العربية ليقوم بواجباته المتعددة المنصوص عليها في قانونه الاساسي وبخاصة اصدار مجلة علمية عربية تؤمن نشر الانتاج العلمي ، وتكون صلة الوصل بين العلماء العرب ، وكذلك اصدار المعجم العلمي العربي الموحد .

4 — يوصي المؤتمر الجامعة العربية بدعم وتقوية قسم العلم والتقنية الذي انشئ حديثاً ، وتزويده بالطاقات اللازمة على أعلى مستوى علمي ليسهم في تخطيط وتطوير قضايا التقنية في العالم العربي .

5 — يوصي المؤتمر بالناية بتدريس تاريخ العلم في الجامعات العربية وابرار دور العلماء العرب في بناء النهضة العلمية العالمية .

6 — يوصي المؤتمر الحكومات العربية بمعالجة هجرة العلماء بما يرغبهم في البقاء بالوطن العربي .



الرياضيات وتاريخها في البلاد العربية

الدكتور محمد واصل النفاهر

زارنا حضرة الاستاذ الفاضل فتحدث لنا بما عرف فيه من حسن الدراية والضلاعة في هذا الموضوع من المشروع الذي قدمه ضمن الهيئة العراقية لتحسين تدريس الرياضيات في العراق وقد تبادل وجهات النظر مع السيد المدير العام للمكتب الذي رسم لسيادته صورة عن رأي المكتب الدائم في هذا الصدد وعن ضرورة التنسيق بينه وبين اللجان الوطنية لليونسكو في نطاق جامعة الدول العربية .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ، ومنذ بداية القرن العشرين ، حدثت تطورات هائلة في الرياضيات: ظهرت انكار جديدة ومواضيع مبتكرة وحقول واسعة. ففي نهاية القرن التاسع عشر برزت الهندسة الاقليدية علما جديدا على ايدي بوليا ولويجيفسكي وكاوس . وبدأ بناؤها يرتفع شامخا امام بناء الهندسة الاقليدية القديم . وبذلك بدأت الثقة تتزعزع في وحدانية الهندسة الاقليدية حتى اثبت بلترامي وكلاين وبوانكاريه بصورة قاطعة ان الهندسة الاقليدية متناسقة وخالية من التناقض كالهندسة الاقليدية ، اذ يستمدان تناسقهما من تناسق نظام الاعداد الصحيحة . وبقيام الهندسة الاقليدية انتهت مشكلة مصادرة التوازي لاقليدس بعد ان تناقلها الناس مشررين قرنا . وازضافة الى ذلك ، فقد طبقت الهندسات الاقليدية في النظرية النسبية وفي غيرها من النظريات الطبيعية . وبالرغم من اهمية هذه الهندسات وتطبيقاتها فلم تدخل ضمن الرياضيات المدرسية لحد الآن .

وبينما كانت الرياضيات تنمو نموا سريعا في مختلف الاتجاهات ، بدأ الرياضيون يفكرون في ايجاد

تعتبر الرياضيات من اقدم العلوم . ولقد احتلت العلوم الرياضية ، منذ وجودها ، مكانا اساسيا في حياة الانسان ولعبت دورا رئيسيا في مختلف شؤونه . ولذلك فقد كان اهتمام الانسان بها عظيما منذ القدم واعطيت الافضل في التعلم وفي مناهج التعليم بين فروع المعرفة الاخرى . وقد حاول المؤلفون والكتاب المعنيون بشؤون التعليم ان يسهلوا الطرق في تعليم الرياضيات لتكون بمتناول الفهم لدى اكثر الناس . ومن اجل ذلك كتب المؤلفون كتبا كثيرة في الرياضيات وفي طرائق تدريسها . ومن الامثلة على تلك الكتب : اصول الهندسة لاقليدس الذي طبع مئات المرات وبمختلف اللغات . فقد رسم هذا السفر اسلوبا بديعا في الرياضيات وفي طريقة تعليمها ، اتبعه الناس منذ اكثر من الف سنة في مختلف اقطار الدنيا . وفي العصور الوسطى لعب كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي دورا مهما في تطوير الرياضيات . فقد استمد علم الجبر افكاره الاساسية واسمه من هذا الكتاب . اما في العصور التالية فقد ظهرت كتب عديدة اثرت في الرياضيات من حيث مادتها واسلوب تدريسها . ومن الامثلة على ذلك : كتاب الهندسة لديكارته والاسس لنيوتن ، والتحليل لاويلر .

الطرق لتوحيد فروعها المتعددة ، فقد حاولوا تكوين نظرة شاملة لهذا العلم . ولذلك نجد في عام 1872 فيلكس كلاين ينادي بأهمية المجموعة كفكرة موحدة لفروع عديدة في الرياضيات . وبهذا يكون قد طالب باصلاح الرياضيات وطرق تدريسها بالاستناد على النظرة الشاملة التي تجمع ما بين اوصال الرياضيات المنتشرة . فقد لخص في كلمته تلك برنامج المعروف باسم « برنامج ايرلاتكن » الذي بين فيه ان الهندسة هي علم الثوابت بالنسبة لمجموعة تحويلات ، وان الانتقال من هندسة الى اخرى يقابله انتقال من مجموعة الى اخرى . وان هذه الصورة تمثل ربطا عظيما ما بين الهندسة والجبر والذي فيه يدرس المرء نوعا معينا من الرياضيات ويحصل على معلومات من نوع آخر منها ، كما يقال بلغة نظرية الفئات . وهكذا اراد كلاين ان يبعث الحياة في تدريس الرياضيات باعطاء اهمية خاصة لفكرة المجموعة التي توحد ما بين اجزاء عديدة من الرياضيات .

وخلال النصف الاول من هذا القرن وحوالي سنة 1910 نشر وايتهيد ورسيل كتابهما العظيم : اسس الرياضيات . وفي هذا الكتاب حاول المؤلفان ان يثبتا ان الرياضيات تطبيق للمنطق او في الحقيقة هي منطق تطبيقي . لقد كان هدفهما الرئيسي هو التخلص من التناقضات التي ظهرت في نظرية الطقوم . وفي حوالي الوقت ذاته : نشر هيلبرت كتابه المشهور باسم اسس الهندسة ، والذي امكن فيه التغلب على الصعوبات التي وجدها الرياضيون في اصول اقليدس . وبظهور هذين الكتابين ، ولد عصر جديد للرياضيات بشكل اسس وعلوم المصادر حدثت خلاله ازورع التطورات الرياضية .

واثناء ذلك كان علم الطبولوجي ، الذي نبع من اعمال اويلر ، يتطور على ايدي كاوس وريمان وبوانكاريه وفيلن . واصبح علما مستقلا عن الهندسة . فبينما نجد الطبولوجي في مفهوم كلاين هندسة تعنى بدراسة المفاهيم التي تثبت تحت تأثير مجموعة التحويلات المتصلة ، اظهرت التطورات التالية في الموضوع ان هذا التعريف لا يشتمل على كافة جوانب الموضوع المهمة . ولذلك فقد بدأ بوضوح انه من الضروري البحث عن نظرة اهم تضم فروع الموضوع المتنوعة . ولقد وجد الرياضيون ضالتهم في مفهوم البنية الرياضية .

واما الجبر نحل للمعادلات وحسابات مبشرة ، فقد انتهى ببرهان آبل الذي ابان فيه عدم امكانية حل المعادلة ذات الدرجة التي تزيد عن اربع بالاسس الجذرية . وبدلا من ذلك فقد ظهرت النظرة التركيبية بين الدراسات الجبرية . ثم تطورت هذه النظرة الجديدة في دراسة الانظمة الجبرية بصورة سريضة على ايدي كالوا ، ولاكرانج ، وكيلي وغيرهم ، وامتدت الفكرة الجبرية الشاملة في مختلف حقول الرياضيات بجانب النظرة الطبولوجية الواسعة .

وهكذا يتبين لنا بوضوح ان فكرة البنية الرياضية الموحدة كانت هائلة في جو الرياضيات الفسيح في انتظار الاخذ والاستعمال في مختلف حقول الرياضيات . ومن الممكن اعتبار هذه النظرة امتدادا لنظرة كلاين التي اعلنها في منهاج ايرلاتكن كما انها تمميق لها .

وفي عام 1935 بدأت مجموعة من الرياضيين تحمل اسم يورباكي محاولة رائدة لعرض الرياضيات كبناء منطقي موحد ، مستند على مصادرات محددة واضحة . فقد نشرت هذه المجموعة سلسلة من الكتب عرضت فيها الرياضيات المعاصرة باسلوب منطقي مقبول . وبذلك هيات للمتعلمين في هذا العصر مجالا طيبا لدراسة الرياضيات وتدريسها . ومع ان هذه السلسلة تعنى بالرياضيات الجامعية وبالتدريس الجامعي للرياضيات بصورة رئيسية ، الا انه من الممكن استعمال الروح التي بها كتبت هذه السلسلة في تعليم الرياضيات المدرسية اذا اردنا اصلاح هذا التعليم . وذلك يعني ، بلا شك ، تغيير اساس في مناهج الدراسة من منهج يشتمل على مواضيع اربعة منمثلة من بعضها : الحساب والجبر والهندسة والمثلثات الى بناء موحد للانظمة الرياضية مستند على فكريتي : الطقم والعلاقة .

ولقد انعقدت في القاهرة خلال المدة المحصورة ما بين 8 - 17 اذار 1969 اول حلقة اعدتها اليونسكو في تطوير تدريس الرياضيات في البلاد العربية . وكانت المنظمة المذكورة قد تبنت هذا المشروع اثر القرار الذي اخذته مؤتمر اليونسكو العام في اجتماعه الرابع عشر الذي انعقد في باريس عام 1966 . وقد كان انتخاب البلاد العربية مجالا لهذا النشاط الحيوي متأثرا بالقرارات التي اتخذت في مؤتمر وزراء التربية والتخطيط العرب الذي انعقد

في طرابلس خلال المدة المحصورة ما بين 9 - 14 نيسان
عام 1966 .

وبعد ان اقر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو القيام
بمشروع لتحسين تدريس الرياضيات في البلاد
العربية ، تشكلت في الجمهورية العربية المتحدة
والعراق والسودان ولبنان وليبيا وسورية والاردن
هيئات وطنية لتحسين تدريس الرياضيات في هذه
الاقطار . ويمكن تلخيص اهداف كل هيئة من هذه
الهيئات بانها تعمل على تهيئة ما يلزم لقبول
التحسينات المنوي ادخالها على مناهج الرياضيات في
البلاد العربية من طريق تشجيع انتاج الكتب الجيدة
في تدريس الرياضيات والعمل على تحسين اعداد
مدرس الرياضيات وتقديم التوصيات الضرورية الى
المسؤولين بهذا الشأن . وتضم كل هيئة من الهيئات
اعضاء من الجامعات ووزارة التربية والمدرسين
والمفتشين وغيرهم . وكانت الحلقة المشار اليها في
اعلاه قد ضمت ممثلين عن الجمهورية العربية المتحدة
والعراق والاردن ولبنان واليمن والسعودية واليمن
الجنوبية الشعبية وليبيا وسورية .

وتبين خلال الاجتماعات التي عقدت في هذه
الحلقة ان الرياضيات في البلاد العربية بحاجة الى
اصلاح من حيث المادة والطريقة . وقد لوحظ ان المادة
الموجودة في مناهج المرحلة الثانوية - وهي المرحلة
المنية في هذا المشروع في الوقت الحاضر - تتألف
من مواضيع اربعة هي : الحساب والجبر والهندسة
والمثلثات وان كل موضوع من هذه المواضيع يحتوي
على مواد لا تستحق التدريس في هذا العصر وان
الكتب المقررة تستعمل اسلوبا في التعليم هو الاخر بعيد
عن روح العصر الحاضر . فالمادة والطريقة تهدفان الى
تزويد الطالب بمعلومات ومهارات بأسلوب تقليدي دون
الاهتمام بالتركيب المنطقي الحديث . وقد تبين بوضوح
ان الكتب المستعملة لا تعلم الطالب كيف يجرد ويعمم .
هاتان العمليتان اللتان تتميز بهما الرياضيات الحديثة ،
وكان واضحا ايضا من المناقشات التي دارت في
الحلقة ان المدرسين يستعملون الكتب المقررة بصورة
مقيدة لا تنصف بالحركة الخلاقة التي تجعل من التعليم
نشاطا حيويا يقوم به المدرس والطالب في عين الوقت .
ان تعليمنا من هذا النوع لا يخلق عند الطالب المواقف
الرياضية السليمة التي يهدف اليها تحريك التفكير
الرياضي . كما ان القليل من مدرسي الرياضيات
يستخدم وسائل الايضاح عند تدريسه بالرغم من توفر

هذه الوسائل حولهم ، وهم في الغالب يستعملون
طريقة المحاضرة او الالتقاء في التعليم . وبهذه الطريقة
تعطى الرياضيات كمجموعة من الحقائق والقواعد
يتعلمها الطالب ويتدرب على تطبيقها . وهكذا تصبح
الرياضيات مجموعة من معلومات مفككة يتعلمها الطالب
ويطبقها .

ولذلك فقد كان السؤال الابي جوهريا في اجتماعات
الحلقة : ما يجب ان يتكون منهج الرياضيات في
السنوات الثلاث الاخيرة من المدرسة الثانوية ؟ ولقد
ادى هذا السؤال الى اسئلة ثلاث اخرى وهي : ما هي
الخطوات الواجب اتباعها في كتابة الكتب بحسب
المنهج الجديد ؟ كيف نتأكد من استمرار عملية اصلاح
تدريس الرياضيات في مدارسنا الثانوية ؟ ثم ما الذي
يجب ان نعمله لاقناع المدرسين والناشئين المعنيين
الاخرين باهمية المنهج الجديد وبالاصلاح المنوي ادخاله
على تعليم الرياضيات ؟

وتبما للأسئلة الاربعة التي اشرفنا اليها اعلاه ،
تكونت اربع مجموعات في الحلقة . وكان هدف كل
واحدة من هذه المجموعات هو الحصول على جواب
واف لسؤال واحد من الاسئلة المذكورة . وكانت
المحاضرات التي القيت من قبل المتكلمين المدعوين
والمناقشات التي دارت خلال الفترات التي اعقبت كل
محاضرة واثناء انعقاد المجموعات ، كل ذلك كان ،
مصدرا مهما للتوصيات والقرارات التي توصلت اليها
الحلقة .

فقد قالت الحلقة ان هدف المنهج الجديد هو ان
يتعلم الطالب المفاهيم الاساسية في الرياضيات
الحديثة ، التي لا يمكن الاستغناء عنها في عصر
العلم والتكنولوجيا . ان فكري الطقم والملائمة
اساسيتان في هذا المنهج لانهما اساسيتان في
الرياضيات نفسها . ولذلك فمن الضروري اعطاء هاتين
الفكرتين بصورة مبكرة خلال تدريس مواضيع المنهج
المقترح . ويتطلب الامر تقديم هاتين المفهوميتين للطالب
بصورة تدريجية وتوضيحية . وهناك امثلة عديدة من
تحيط الطالب يمكن الرجوع اليها في شرح هاتين
المفهوميتين . ان لغة الطقم اساسية في تطور الرياضيات
ولذلك فيجب ان يتعرف عليها الطالب بصورة واضحة
ودقيقة . ومن الممكن تدريس مفاهيم الرياضيات
التقدمة بهذه اللغة . وعليه فيحسن ان نبتدي بصياغة
هذه المفاهيم بلغة الطقم تمهيدا لتدريس الرياضيات
الحديثة فيما بعد . ان فكرة العلاقة كطقم متكون من

بطريقة المصادر بعد التمهيد لها وتوضيحها بأشلة مالوفة . وكذلك فمن المفيد تدريس موضوع الامتدادات التربيعية للحقول وبصورة خاصة تكوين حقل الاعداد العقدية . وبعد الحصول على هذا الحقل من السهل اثبات ان كل معادلة من الدرجة الثانية لها حل فيه . . وبدو المناسبة جاهزة للتعرض لنظرية الجبر الاساسية ولكن بدون برهان طبعا . ومن المستحسن تدريس نظرية اويلر والجدور النونية للوحدة في موضوع الاعداد العقدية نظرا لاهميتها في الرياضيات وتطبيقاتها .

وكذلك فقد اوصت الحلقة بوجوب استعمال لغة الطقوم في دراسة بعض المفاهيم الهندسية . فالمستوى طقم من نقاط والخط طقيم فيه (او طقم فرعي فيه) . ان طريقة المصادر في البراهين الرياضية يجب توضيحها بطقم من المصادر يساعد على اثبات بعض النظريات الهندسية . ومن الضروري تجنب النظريات الكثيرة وخاصة تلك النظريات التي لا تلعب دورا مهما في تطور الرياضيات في الوقت الحاضر . لقد ذهب اقليدس ، ولكن الروح الاقليدية اثرت في تطور الرياضيات حتى اليوم . ومن الضروري توضيح المفاهيم المتعلقة بخواص المصادر كالتناسق والاستقلال والكمالية والنماذج الرياضية . ان مواضيع التوازي والترتيب والاستقاط المتوازي والشعاع والقطعة ونصف المستوي والزوايا يجب توضيحها . ان اللغة الجبرية يجب ان تنفذ الى المواضيع الهندسية وبواسطة هذه اللغة يتم شرح هذه المواضيع . وبذلك يتم مزج الجبر بالهندسة بشكل رائع ومفيد . ان فكرة التطابق الهندسية ، مثلا ، يمكن شرحها بواسطة الرسم التطابقي حيث تدخل فكرة المجموعة في هذا المجال . وكذلك فمن الممكن معالجة نظرية التشابه بنظريات الموجهات وهكذا نحصل على وسيلة جديدة في دراسة الهندسة . وبهذه الوسيلة تسهل دراسة الهندسة الفراغية كما تصبح معالجتها اكثر جمالا وفائدة . ويصبح لنظام المعادلات ذات المجهولين او ذات الثلاثة مجاهيل موقعا طبيعيا في هذه المعالجة الموحدة . وكذلك فمن الممكن دراسة مباديء المصفوفات بصورة طبيعية في هذا المجال . اما مواضيع العائد ونظرية فيثاغورس والتباينة المثلثية ومتباينة شفارس فمن الممكن دراستها بواسطة الحاصل الداخلي للموجهات . وتبدو نظرية الجمع للدوال الدائرية طبيعية خلال المعالجة من طريق نظرية المصفوفات . بعد ذلك ينتقل الطالب لدراسة التحويلات الاثينية وتأثيرها في

ازواج مرتبة ، وفكرة الدالة باختيارها حالة خاصة من فكرة العلاقة يجب توضيحها للطالب . ثم ان معاني الطقوم المرتبة ترتيبا كاملا او جزئيا يسهل معالجتها فيما بعد . ومن المفيد ان توضح المباديء المنطقية بواسطة لغة الطقوم . ان المفاهيم التي تكمن فيما وراء الرياضيات كالتعريف والمعرف وغير المعرف والمصادرة (او البديهية) والنظرية يجب شرحها بأسلوب لا شكلي . ويحسن توضيح هذه المفاهيم بأشلة رياضية وغيرها . ان البنية الرياضية اساسية في تطور الرياضيات ، وحيث ان بنيتها المعاصرة جبرية ، فيجب ان يكون التركيب الجبري هو العمود الفقري الذي تنمو حوله الرياضيات . ويجب ان يربط التركيب الجبري بالمواضيع الهندسية وفي تحديد نظم الاعداد المتنوعة . ان استعمال الجداول والرسوم الميكانيكية والالات الحاسبة مفيد في حينها وان توضح العلاقات الداخلية في الطقوم بأشلة غير اعتيادية في مفهوم القاسم المشترك الاكظم والمضاعف المشترك الاصغر بين الاعداد الطبيعية مفيد ان احسن شرحها . كما ان توضيح عملية التصنيف على طقم جميع النقاط في المستوى . والمعادلات كجمل مفتوحة يساعد على فهم المباديء الاساسية في المنطق ونظرية الطقوم . ان خواص الانظمة ذات العمليات الرياضية والعلاقات الكائنة فيما بينها يمكن دراستها في جداول المعينات الرياضية . مثال ذلك ان مفاهيم الابدال والمشاركة ووجود المنصر المحايد ووجود المنصر العاكس وقانون الاختصار وغيرها من الممكن معالجتها في هذا الصدد ايضا . ان فكرة المجموعة مهمة ويجب التوصل اليها عن طريق دراسة خواص النظم العددية المعروفة . وبعد ذلك تاتي المواضيع الابدالية والتماثلية والتحويلات الانتقالية والتدويرية أمثلة مهمة في دراسة الجاميع . وكذلك فمن الممكن معالجة مواضيع الجاميع المرتبة والحلقات والقواسم الصغرية والمدي الصحيح والحدوديات والدالة الحدودية والمعادلات الجبرية في الحلقات والخورزمية الاقليدية . وبالامكان تدريس تمثيل الدالة بيانا واهمية المميز والاسس الصحيحة بروح نظرية الجاميع . ان علاقة قوانين الاسس بالمضاعفات في مجاميع آبل يمكن شرحها والتأكيد على تدريسها الآن . وفي هذه المناسبة ، من الممكن تعميق المفاهيم السابقة للطالب وتطوير المهارات التي اكتسبها في دراسة الحساب وجعل تلك المفاهيم والمهارات اكثر مطاوعة واهمق اثرا . ان دراسة حقل الاعداد الصحيحة كحقل مرتب كامل يجب ان تتم

الدائرة ودراسة صور التأثير وكذلك دراسة الخواص الرئيسية للقطع المخروطية بدلالة الثوابت الاينيية وبها يمكن معالجة القطع الهذلولي وصوره الاينيية بطريقة جبرية . وعن هذا الاسلوب نضع امام الطالب صورة جبرية حية للمفاهيم الهندسية .

ومن المواضيع التي اوصت الحلقة بدراستها نظرا لاهميتها الرياضية والتطبيقية هي نظرية الاحتمال ومبادئ الاحصاء . وفي هذه الدراسة يتناول الطالب مفاهيم الحادث وجبر الحوادث والاحتمال والاحتمال الشرطي والتغير العشوائي والتحويلات العشوائية والاستقلال . وكذلك يزود الطالب بمعاني الامل الرياضي (او التوقع) والتغير والتشتت وقانون الاعداد الكبيرة والتقدير واختبار الفرض ، ولا بد من عرض التطبيقات التي تشرح هذه المواد وتؤكد اهميتها .

واخيرا فقد تقرر وضع المفاهيم الاساسية لتحليل الرياضي ومبادئ التفاضل والتكامل لاهميتها التطبيقية في دراسة المساحات والاحتمال والفيزياء وغيرها . ويتضمن ذلك دراسة لطبولوجية الخط المستقيم الحقيقي والتتابعات العددية والغاية والاتصال والمشتقة وخطية المشتقة . ثم يتناول الطالب دراسة التكامل وبعض التكاملات الاولية . وبذلك يتعرف الطالب على اسس التحليل .

وكيما تتوفر امكانية ترجمة المنهج الوارد ذكره ، فقد قالت الحلقة بوجود مقد اربع جلسات كتابية يتم خلالها اعداد مشاريع الكتب التي ستستخدم في العمليات التجريبية . وسيتم مقد هذه الجلسات خلال السنة الحالية والسنة القابلة . وسيحضر كل جلسة من هذه الجلسات رياضيون وعاملون في تدريس الرياضيات من البلاد العربية ومن الخبراء الماليين المعروفين . ويؤمل مقد الجلسة الاولى في بغداد خلال شهر ايلول المقبل (سبتمبر) لمدة خمسة عشر يوما يحضرها اثنا عشر خبيراً . وتتضمن الخطة اعداد الكتب الثلاثة خلال الجلسات الكتابية الثلاث الاولى . واما الجلسة الرابعة فتستخصص لعملية التنسيق ما بين هذه الكتب من حيث المادة واسلوب العرض واسلوب المصطلحات . ويتقضى ان يكون كل واحد من هذه الكتب من المرونة بحيث يمكن تكييفه لطبيعة القطر الذي يستعمله . وسيكون بإمكان كل بلد من البلدان العربية ان يتصرف في استعمال الكتاب بما يناسب وطبيعة التعليم في ذلك البلد . وعليه فاما

الجلسات الكتابية عمل شاق يتحتم خلاله اعداد كتب توفر الخواص المشار اليها . ان الكتاب المدرسي اشبه بنشاط تربوي يتم خلال القاعات الدراسية بحيث يمكن عرض المادة العلمية بشكل عملية حيوية يشترك فيها المدرس والطالب . ان في كتاب الرياضيات الصحيح مجالاً لتعليم الطالب كيفية التفكير وكيفية التخصيص . ومن المشاكل التي تواجه العاملين في التأليف والترجمة في البلاد العربية هي ندوة المصطلحات العلمية الحديثة . وتتوقف مسألة اختيار المصطلح العلمي المناسب على عوامل لغوية ومنطقية وذوقية . وعليه فالمسألة ليست هينة وانما تتطلب بذل الجهود المتعاونة فيما بين الهيئات الوطنية لتطوير تدريس الرياضيات في البلاد العربية لحلها . ولا بد من اعداد قائمة بالمصطلحات الرياضية الحديثة التي تستعمل في الكتب المنوي اعدادها قبل المباشرة بعملية الكتابة .

وسوف يتم اعداد مرشد المدرس بجانب الكتاب المنوي استخدامه . وفي هذا المرشد يتم وضع بعض التوجيهات التي تساعد المدرس على عرض المادة بطرق اخرى كما ترشده الى حل المسائل الصعبة مع قائمة بالمراجع يمكن للمدرس الرجوع اليها لتعميق معلوماته وتوسيعها . ويتضمن المرشد كذلك نبذة تحتوي على الاهداف المتوخاة من تدريس اي موضوع من المواضيع . ولا بد من الاشارة هنا الى وجوب اعداد كتاب بحجم معقول وباسلوب تربوي جذاب يحبب المادة الى التلميذ .

ومن اجل تهية الراي العام لقبول التطوير المقترح ، فقد اوصت الحلقة بضرورة تنظيم المحاضرات وعقد الندوات لشرح اهمية الرياضيات الحديثة ودور المنهج المقترح في توفير الظروف اللازمة لتعلم هذا النوع من الرياضيات . ولا بد من اشراك المعنيين في تعليم الرياضيات والقائمين على اموره في هذه الاجتماعات وطلب معاونتهم لتوفير ما يلزم ذلك . ويجب ان يدعى الى هذه الاجتماعات المدرسون والمفتشون واولياء الامور والطلبة . ان الاستفادة من اجهزة الاعلام ووسائل النشر امر ضروري في بث الوعي الرياضي لدى الراي العام . ومن الضروري الاتصال بالمسؤولين في وزارة التربية والمؤسسات الثقافية والجامعات واطلاهم على اهمية التطوير ومحتواه والاستماعة بهم على تنفيذه .

اما فيما يتعلق باعداد المدرسين وتدريبهم ، فقد قالت الحلقة بوجود اجراء دراسة شاملة وعميقة للكتب المعدة ولوسائل التعليم ومكانه ومدته قبل البدء باجراء التجارب . وقد تكون المطلة الصيفية مناسبة للقيام بالتدريب اللازم . ويجب اختيار المدرسين اللاتقنين لعملية التجربة وتدريبهم بصورة صحيحة قبل المباشرة بالتجارب كي لا تكون الصعوبات الناجمة عن ضعف المدرس او قلة تدريبه سببا في هزيمة التجارب . ان عقد الحلقات والاجتماعات التوجيهية ضرورية بالنسبة لمن سيوكل اليهم امر التدريب . ولا بد من توفير المراجع والكتب المحتوية على مواد الرياضيات الحديثة ذات الصلة بالمادة المقررة ليكون بإمكان المدرسين الرجوع اليها والاستفادة منها . وكما تتحقق امكانية نجاح التجارب المزمع اجراؤها ، لا بد من قيام وزارة التربية في كل قطر عربي ، باسداء المساعدات والتسهيلات التي تتطلبها طبيعة التجارب التربوية .

ولا بد من القيام بكل ما يلزم لضمان عملية تطوير تدريس الرياضيات التي يجب ان تبقى مستمرة دون توقف . ولذلك فلا بد من قيام هيئة عربية تعنى بالرياضيات وطرق تدريسها . وعليه فقد اوصت الحلقة بوجود تكوين اتحاد للرياضيين العرب واطلقت عليه اسم « الهيئة العربية للرياضيات » وتهدف الى العناية بالعلوم الرياضية وطرائق تدريسها ومجالات تطبيقاتها المختلفة . وتهدف كذلك الى العمل على تبادل الخبرات الرياضية فيما بين الاقطار العربية عن طريق عقد المؤتمرات والندوات ونشر المجلات . ومن مهام هذه الهيئة تشجيع الابحاث العلمية في

الرياضيات البحت والتطبيقية وفي تعليم الرياضيات . ولهذه الهيئة فرع في كل بلد من البلدان العربية يضم المشتغلين في الرياضيات في مختلف المجالات . وتقوم هذه الهيئة بالاتصال بالهيئات العالمية المماثلة والمشاركة في نشاطاتها . ومن اجل تكوين هذه الهيئة بصورة واقعية فقد اوصت الحلقة بتكوين هيئة مؤسسة تضم اعضاء من ذوي الخبرة والانتاج الرياضي المعروف . ويجوز ان تمثل في الهيئة المؤسسة كافة الاقطار العربية ومختلف فروع الرياضيات وطرق تدريسها وبمختلف المراحل التعليمية . . ومن واجبات الهيئة المؤسسة اعداد نظام داخلي للهيئة العربية . ومن مهام هذه الهيئة العربية دراسة المصطلحات العلمية في الرياضيات والعمل على توحيدها ، كما تقوم بنشر مجلة علمية رياضية تعمل على نشر البحوث في مختلف مواضيع الرياضيات وتدريسها ، وتقوم بتدريب العاملين في الرياضيات في البلدان العربية بما يجري من بحوث وما ينشر من كتب في هذا المجال عن طريق تقديم خلاصات بهذا الشأن .

انني اذ اختتم كلمتي هذه التي حاولت فيها تلخيص ما تم من اعمال في هذه الحلقة ، وما تم في سبيل تطوير تدريس الرياضيات، ارجو لهذا المشروع مزيدا من التقدم والنجاح في جلساته الكتابية وحلقته التكوينية المقبلة . كما ارجو ان يمتد المشروع الى بقية مرحلة الدراسة الثانوية ومن ثم مرحلة الدراسة الابتدائية ليتم وضع منهج كامل في تعليم الرياضيات للاجيال القادمة تنتفع به الدول العربية كافة .

اصدر المكتب الدائم معجما للمصطلحات الحسابية المستعمنة في السلك الابتدائي باللغتين العربية والفرنسية ، وسيوزع المكتب منه مجانا عشرون الف نسخة . وينكب المكتب الآن على اعداد معجم للرياضيات بثلاث لغات سيصدر بحول الله اواخر عام 1970 .

مراحل التعريب الأولى في المغرب (1)

الدكتور عباس بن عبد الله البرجاري

استاذ بكلية الآداب
(جامعة محمد الخامس)
(الرباط)

في موضوع « الزجل في المغرب : القعيدة » قدم الكاتب اطروحة الى كلية الآداب بجامعة القاهرة فحصل على درجة الدكتوراة في الآداب بمرتبة الشرف بعد مناقشة علمية . وقد اتحفنا بهذا القسم من دراسته القيمة نشره شاكرين :

في اغلبهم جنودا « يدخلون اليه فزاة مجاهد يسكن على ظهور خيولهم فيقتضون الوطر من فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة المغرب (2) » .

لهذا كان ينص على عدد رجال العلم الذين يصاحبون جيوش الفتح حين يوجدون على حد ما يروى من ان موسى بن نصير ترك في البربر ، « سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن والاسلام (3) » ؛ وعلى حد ما يروى كذلك من ان عمر بن عبد العزيز بعث مع اسماعيل بن ابي المهاجر « عشرة من التابعين اهل علم وفضل ، ومنهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد ابن موسى التجيبي (4) » .

لا يخفى ان الفتح الاسلامي كان يستهدف امرين : نشر الدين من جهة ، ونشر العربية ادائه ولغة القرآن من جهة ثانية . وكان طبيعا - واللغة تسائر الفتح وتواكبه - ان تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وان ترفض بقوة وعنق حيث يرفض بقوة وعنق .

لذلك تعرضت حركة التعريب في المغرب لمختلف الهزات والانتكاسات التي تعرض لها نشر الدين (1) ؛ بل اكثر من ذلك نستطيع ان نقول انها سارت ابدا منه ؛ خلافا لطبيعة الامور وما كان ينبغي ان يكون . لسبب بسيط هو ان فاتح المغرب لهذا العهد الاول كانوا

(1) لم يكن امر الفتح الاسلامي يسيرا في المغرب كما قد يظن ، ففي الوقت الذي استطاع المسلمون ان يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة في المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون تثبيت دعائم الدين في بلاد الشمال الافريقي والمغرب خاصة . ويكفي للدلالة على ذلك ان نعرف ان البربر ارتدوا اثني عشرة مرة على حد قول ابن زيد القيرواني ؛ وان اسلامهم لم يستقر الا بعد فتح الاندلس ، انظر تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110 ، وان نعرف ان الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب او بالاحرى لمواجهة تفشي المذهب الخارجي فيه سنة 122 - 123 لقيتا فشلا ذريعا حيث هزمت الاولى في معركة طنجة وقضي على الثانية عند وادي سبو وكانت بقيادة كلثوم .

(2) الاستقصا ج 1 ص 165 طبعة القاهرة . (3) البيان المغرب ج 1 ص 37 طبعة لبنان .

(4) المصدر السابق ص 45 - 46 .

للهجرة والتي كان بعضها يحمل اسم موسى بن نصير، كانت مكتوبة باللاتينية، على الرغم من أنها متأخرة عن حركة الإصلاح النقدي التي قام بها عبد الملك في المشرق (12)، بل انه توجد سبع رسائل بعثت من رومة الى رجال الدين المسيحي في الاقاليم الافريقية مؤرخة في منتصف القرن العاشر الميلادي ومكتوبة باللاتينية، مما يدل على ان الذين تلقوا تلك الرسائل كانوا يعرفون هذه اللغة (13).

ومهما يكن، فقد استطاع المغرب على عهد الادارة ان يعيش في ظل نوع من الاستقرار ساعد على توطيد الاسلام ونشر اللغة في مناطق غير قليلة، ونستطيع ان نمزو توسع حركة التعمير في هذا العهد الى خمسة عوامل:

1 - حالة الاستقرار التي سادت مناطق نفوذ الادارة، خاصة وأن مؤسس دولتهم لم يدخل المغرب غزيا وانما دخله لاجئا، وخاصة كذلك أن البربر سموا اليه وولوه امرهم وبايعوه عن رضى وطواعية.

2 - هروبة الادارة.

3 - انشاء جامع القرويين الذي كان له دور كبير في النهوض باللغة العربية والفكر الاسلامي في المغرب. وربما كان ذلك الدور ضعيفا في هذه الفترة ولم يتقوا الا في الفترات التالية، ومع ذلك لا نريد ان ننكره حتى في مراحلها الاولى، خاصة ونحن نعرف ان المساجد جميعها وفي كل البلاد الاسلامية كانت تعتبر مدارس علم الى جانب انها مراكز عبادة. لذلك لا ينبغي - ونحن نشير الى هذا العامل - ان نفعل الكر الجوامع الاخرى، وخاصة في سبتة التي ظلت تحمل شمل الثقافة فترة غير قصيرة.

ويذكر ابو عبد الله المالكي في «رياض النفوس» أسماء تسعة من هؤلاء الفقهاء المشرة هم:

ابو الجهم عبد الرحمن بن نافع (1).

ابو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (2).

ابو عبد الرحمن الحلي (3).

اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف

بتاجر الله (4).

موهب بن حى المصافري (5).

حيان بن ابي جيلة القرشي (6).

ابو تمامة بكر بن سودة الجدامي (7).

ابو سعيد جعفل بن ماهان بن عمير (8).

اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر (9).

واغلب الظن أن ما يقال من أن حسان بن النعمان

«دون الدواوين» (10) ونشر العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية لا يخلو من مبالغة، واغلب الظن أن ما يقال كذلك من أن خطبة طارق بن زياد دليل على انتشار اللغة العربية بين البربر لا يخلو بدوره من مبالغة.

وربما كان تسرب المذهب الخارجي الى المغرب في هذه الفترة (11) عاملا من اهم عوامل تأخر حركة التعمير عن ان تساير نشر الاسلام. والسبب ان امر الدين والمذهب غلب الخوارج وسيطر عليهم ولم يدع لهم مجالا لنشر اللغة، فقد اغفلوا امرها ولم يكونوا ينظرون اليها سوى انها لغة الكتاب المقدس ولغة العلم لا حاجة تدعو اليها في الحياة العامة. ولعل هذا مما يفسر لنا سر بقاء كثير من المناطق التي انتشر فيها المذهب الخارجي على لهجتها البربرية لم تحاول ابدالها بلغة الدين الجديد.

وربما كان من الادلة على ان اللغة كانت لا تزال تتمتع ان العملة التي ضربت في نهاية القرن الاول

- (1) ص: 72 (2) ص: 66 - 67 (3) ص: 64 (4) ص: 69 - 72 (5) ص: 73 (6) ص: 73 (7) ص: 74 (8) ص: 75 (9) ص: 75 (10) البيان المغرب ص: 29 (11) ما كادت حركة الفتح تبدأ في المغرب حتى بدأت فئات الخوارج المنهزمة في المشرق تغد عليه وخاصة منها الاباضية والصفرية تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق طبيعة البربر الاستقلالية وميلهم الى رفض كل سيادة تفرض عليهم سواء كانت عنصرية او دينية.
- (12) انظر مقالا حول تعمير الشمال الافريقي لوليام مارسى W. Marçais «Annales de l'Institut d'Etudes Orientales», Faculté des Lettres de l'Université d'Alger, T. 4, 1938, p. 8.
- (13) المصدر السابق، ومن اهم ما تفيد هذه الرسائل انه كان يوجد سنة 1050 م خمسة قساوسة وانه لم يبق منهم سنة 1076 الا ثلاثة.

4 - خروج الفارسية في رحلات علمية الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى بلادهم وقد صقلت سنتهم وزودوا بالآثار وعلوم جديدة لم يكن لهم بهذا عهد من قبل ، نذكر منهم :

أ - دراس بن اسماعيل الفاسي ، رحل الى المشرق والقيروان والاندلس . دارسا ومدرسا ، وعاد الى فاس حيث توفي سنة 357 .

ب - ابا جيدة بن احمد البزناسي الفاسي ، رحل الى المشرق وكان عالما بالفقه المالكي والشافعي ، وهو صاحب كتاب « الفتوى » الذي ألف في الوثائق على المذهب الشافعي ، توفي بفاس سنة 365 .

ج - عبد الرحيم بن احمد الكتامي السبتي المعروف بابن المجوز ، رحل الى الاندلس والقيروان ، وكان من فقهاء المالكية ، توفي سنة 413 .

5 - كثرة الوفود العربية التي قصدت فاس في هذا العهد ، قادمة اليها من الاندلس . والقيروان . اما القبروايون « وكانوا ثلاثمائة اهل بيت (1) » فقد وفدوا حوالي سنة 189 واقاموا في المدوة اليسرى ، وعمروها حتى عرفت بمدوة القرويين . واما الاندلسيون « وكانوا جمعا كثيرا يقال اربعة آلاف اهل بيت (2) » فنزلوا بالمدوة اليمنى وعمروها حتى أصبحت تسمى مدوة الاندلس . وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التي قامت على عهد الحكم بن هشام سنة 206 .

ويعرض ابن ابي زرع أسماء بعض القبائل والأشخاص الوافدين فيقول : « وفي سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على ادريس رضى الله عنه وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الاندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والازد ومدحج وبنسي يحصب والصدف وغيرهم ، فر ادريس بوفادتهم واجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لانه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي فاستوزر حمير بن مصعب الازدي وكان من فرسان العرب وساداتها ولا يبه مصعب مآثر عظيمة بافريقية والاندلس ومشاهد في غزو الروم كثيرة ، واستقصى منهم عامر ابن محمد بن سعيد القيسي

من قيس هيلان ، وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسوم الجهاد ثم جاز الى المدوة فوفد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ، ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الافاق فكثرت الناس وضافت بهم مدينة ويلي (3) .

ولمنا نستطيع ان نضيف الى هذه العوامل اربعة عوامل اخرى لا شك انها ساعدت على التعريب :

1 - قرب اللهجة البربرية - وقد تأثرت بالفينقية - من اللغة العربية .

2 - عدم مقاومة اللهجة البربرية للغة العربية الا في المناطق الداخلية النائية ، اما في المدن والسواحل والمراكز الهامة فقد كان السكان لا يرون بأسا في تعلم اللغة الجديدة طالما انها لغة الفاتحين ، فقد الفوا اتخاذ لغة الفاتح ومزجها بلقمتهم ، اذ ليس من شأن هذه الطبقة من السكان - وهي طبقة لها مصالح - ان تقاوم بل انها تهادن وتداهن وتتملق لتبلغ اغراضها وتحقق مصالحها . ومن هنا كانت هذه الطبقة أسرع من غيرها الى تعلم اللغة العربية .

ولعل مما يعطي أهمية لهذا العامل ان اللغة لا توجد في الواقع ولا تمارس ولا تنطق الا في المدن والمراكز المتجمعة حيث يتحرك الناس ويتحدثون ، على عكس البرادي حيث يلقب الصمت على الفلاحين الذين يقضون الساعات الطويلة في الحقول متباعدين ساكتين .

3 - تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم واعجابهم بلفته واحجازه .

4 - تهجير الفواج من المغاربة في شكل سبي الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تملأوا اللغة العربية فقد « قال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير الى افريقية قبل فتحه الاندلس ومعه جماعة من الناس اخرج ابنا له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابنا له آخر يسمى مروان الى ناحية اخرى فاتاه بمائة الف رأس ، ثم توجه بنفسه الى ناحية اخرى فاتى بمائة الف رأس ، فبلغ الخمس يومئذ ستين الف رأس . قال الليث فلم

(1) الاستقصاء ج 1 ص 73 .

(2) المصدر السابق .

(3) « الانيس المطرب القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » لابي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن ابي زرع : مطبوع على الحجر بفاس دون تاريخ . صفحة (14) .

1 - قوة الدولة في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد وما نتج من هذه القوة من استقرار يمثي الطمانينة في نفوس المغاربة وثبت العقيدة في قلوبهم وفتح لهم فرص التعلم والدرس .

2 - الوحدة مع الأندلس وما حملت الى المغرب من روافد في جميع ميادين العلم والحياة فتحت للمغرب آفاقا حضارية وثقافية ، فقد اقبلت وفسود العلماء والفقهاء والادباء من الأندلس الى المغرب في تدفق لم يكن له مثل ، ووفد على ابن تاشفين « من كل علم فحولته حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ... من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار (2) » . وكذلك فعل ابنه علي ، فلم « بزل .. من اول امارته يستدعي اعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك (3) » .

3 - انشاء المدارس والرباطات في مختلف المراكز بقصد تثبيت الوعي الديني والاصلاح الاجتماعي ، وبمقصد نشر التعليم وتعميم الثقافة . واهم هذه المعاهد كلها جامعة ابن يوسف التي اسسها علي بن يوسف بن تاشفين في مدينة مراكش .

4 - عناية المرابطين بالثقافة ، فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجالهم في كثير من الصدق والتفاني والاخلاص . ولا عجب فالدولة قامت على اساس من العلم والاصلاح . واذا كان يوسف بن تاشفين قليل المعرفة باللغة والثقافة العربية ، فانه كان - باجماع المؤرخين - محبا للعلم مقربا لاهله ، ونقول قليل المعرفة ولا نقول جاهلا - كما يحلو لبعض الباحثين ان يصفوه - لانه لا شك نال من هذه المعرفة قسطا ابان دعوته ابن ياسين ومرابطته معه .

ومع ذلك فالباحث في كتب الطبقات سواء منها الأندلسية او المغربية لا يلبث ان يكشف النقاب عن اسماء كثير من امراء الدولة وكبرائها الذين كانت لهم عناية خاصة بالعلم امثال :

يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام . قال ابو شيبة الصديقي : قدم مروان بن موسى بن نصير من السوس الاقصى وهو يجر الدنيا جرا بالسبسي ، فلما قدم رسوله على موسى خرج معه وجوه الناس لتلقاه ، فلما التقيا قال مروان بن موسى : مروا لكل من يلقاني مع ابي بوصيفة وصيفة ، فلما امر بذلك سمع موسى للناس ضوضاء وصياحا وراى لهم حركة فقال : ما هذا ؟ قالوا : مروان ابنك امر الناس بوصيفة وصيفة ، قال موسى : مروا لهم من عندي بوصيف وصيف . فانصرف الناس كلهم ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة (1) .

وليس من شك في ان المغرب - لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الأندلسيين في هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم - قطع مرحلة في التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر ان تمقبتها مراحل اخرى لولا انه تعرض في اواخر ايام الادارة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين .

وكان محتما ان يتأثر سير التعريب بهذا الاضطراب ، خاصة وانه كانت لا تزال للبربر قوة ومنعة ومراكز لم تخضع بعد للإسلام . ومن غريب الامر ان تكون العوامل التي ساعدت - وكان من الممكن ان تساعد اكثر - على نشر اللغة العربية هي نفسها العوامل التي خلقت هذا الاضطراب واضرمت ناره . فقد بدا العرب - بعد ان عزوا وكثر عددهم - يستبدون بالامور ، ويوزعون بينهم المناصب واخذتهم النخوة العربية القبلية ، فكان ان شق المغاربة لهم عصا الطاعة ، وكان ان دخلت البلاد في عهد مظلمة من الفوضى نتج عنها ان تاخر امر اللغة وامر الدين كذلك .

وبعد قرون من الاضطراب والخمبول ، اتيح للمغرب ان يعرف على عهد المرابطين حياة مستقرة لم تلبث ان خلقت نهضة شاملة اثرت في مختلف مجالات الحياة وخاصة في مجال اللغة العربية والثقافة الاسلامية . واطننا نستطيع ان نعزو هذه النهضة التي شملت التعريب الى عوامل اهمها :

- (1) ضميعة في بحث الدكتور محمود مكي : Egipto y la historiografía arabico-española . صفحة 224 (مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد - العدد الخامس سنة 1957 - عدد خاص بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء الصحيفة) .
- (2) المعجب لعبد الواحد المراكشي تحقيق العلمي والعرين . طبعة القاهرة . صفحة 163 - 164 .
- (3) المصدر السابق صفحة : 173 .

اللفظ العربي من جراء انتقاله من بيئة الى بيئة اخرى
مغايرة ومختلفة .

ومع ذلك فقد لجأ الموحدون الى البربرية وسيلة
للاصصال بالجماهير والتأثير عليها ، فالمهدي يدرس
بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ويامر بالتسداء
للصلاة بها على حد اتهام المأمون له (7) ، وعبد المومن
يكتب لولائه بأن « يؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي
ويتكلمون به ان يقرأوا التوحيد بذلك اللسان (8) » و
« كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ
التوحيد باللسان البربري (9) » . ولكننا نرى ان مجال
البربرية كان محدودا لا يتعدى الدعوة الدينية ، وان
العربية لانتشارها كانت قد غدت اداة الدولة في جميع
المصالح والمرايق .

ونستطيع ان نعزو هذا الانتشار الى العوامل
الآتية :

1 - هجرات بني هلال وبني سليم للمغرب ،
وكان قد استقدمهم المنصور (10) بعد ان قدموا
الطاعة اثر انتصاره على حليفهم ابن غانية . وكان لهذه
الهجرات اثر كبير جعل ابن خلدون يرى ان « العرب

زاوي بن مناد بن عطية الله بن منصور الصنهاجي
المشهور بابن تقسوط (1) .

خلف بن خلف الله الصنهاجي (2) .
عمر بن امام بن المعتز الصنهاجي الملقب
بالفقيه القالد (3) .

الامير المنصور محمد بن انجاج داود بن عمر
الصنهاجي اللمتوني (4) .

الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف
بابسن تميشنت (5) .

ابو بكر بن ابراهيم المعروف بابن تافلوت (6) .
ولعل حركة التعمير سارت بعيدا على عهد
الموحدين حيث نشط نظم مسائل اللغة العربية ،
وحفظ متونها . وازدهرت دراستها ودراسة العلوم
اللسانية المتصلة بها ، وشاعت في لغة التخاطب بين
مختلف طبقات الشعب لدرجة ان من يتتبع المقابلات
التي اوردها ابن هشام في كتاب « لحن العامة » بين
الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد
الفروق كامة الا في المعنى انجديد الذي اكتسبه

1 (التكملة لكتاب الصلاة لمحمد بن الابرار القضاي ج 1 صفحة 89 طبعة كودبرا .

2 (الجدوة لابن القاضي صفحة 115 طبعة حجرية .

3 (الشوف الى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التاداي المعروف بابن الزيات تحقيق ادولف فور معهد
الابحاث العليا المغربية سنة 1958 صفحة 198 .

4 (التكملة ج 1 صفحة 193 .

5 (المصدر السابق ج 2 صفحة 616 ووفيات الاميان ج 2 صفحة 488 .

6 (مقدمة ابن خلدون صفحة 519 - 520 .

7 (الاستقصا ج 2 صفحة 212 .

8 (رسائل موحدية صفحة 39 نشر بروفنسال .

9 (القرطاس لابن ابي زرع ، صفحة 46 .

10 (انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في الاستقصا ج 2 من صفحة 145 الى 158 ، والقرطاس صفحة
154 ، وتاريخ ابن خلدون ج 6 صفحة 12 . ويبدو ان استدعاء العرب واستقدامهم للمغرب بدا على
عهد عبد المومن (انظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 172 - 173 ، تحقيق عبد الهادي التازي)
وعلى عهد يوسف بعده (المصدر السابق ص 412 - 413 - 414 - 415) . ويقول ابن صاحب
الصلاة ان يوسف امر في مراكش « بدخول اشياخ العرب والوفود للمباينة واخذ العهد عليهم في ذلك
فدخلوا ... وتمت بيمتهم » . ص (433) وكان قد امر « ... بتمييز المررب المذكورين وان
يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرة مراكش ... فابتدوا بالدخول
عليه ... على ترتيب توحيدهم اولا في قبائلهم السابقة لهذا الامر العزيز وعشائهم فكان الذي ابتدا
اول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم في التوحيد وامروا ان يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم من القبيل المأمور
له فتماذي تمييزهم على هذا الترتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما يدخلون لهدوة حتى صلاة الظهر
ثم يرجعون بطائفة اخرى من بعد صلاة الظهر الى آخر النهار على ترتيب القبائل المذكورة والعشائر »
(صفحة 434 - 435) .

ان تعفرت الاندلس .

كل هذه العوامل كان لها اكبر الاثر في انشاز اللغة العربية على نطاق واسع شمل الحواضر والبوادي والجبال والسهول حيث عاش الوافدون مع البربر حياة واحدة جهنتهم بتجانسون معهم ويشادلون اساليب العيش والاعراف . مما زاد في تغفل العربية وتمكنها من الالسنه لدرجة اصبح البربر كلهم على حد قول الفريد بين يتقنون اللغة العربية في جبال الاطلس (5) وغدوا - كما يقول كوتبي - يستكسرون الاصل البربري ويرفضون الانساب اليه ولا يكتفون باستعمال اللغة العربية نحسب بل يؤكدون انهم عرب وانسه لا تحري في عروقهم نقطة من الدم ليست بمرية (6) . وهو راي يؤكد ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية من ان البربر « تغيروا عظيما لاختلاطهم بالمغرب حتى ليستحيل تمييزهم في المنب الاحيان (7) » .

له يكن المغرب لهم في الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه في اواسط المائة الخامسة افريق من بني هلال وسلبه اختلطوا في الدول هناك فكانت اخبارهم من اخبارها . . . واما اخر موطن العرب فكانت برقة (1) » ومثل هذا يراه ابو القاسم الزبائي حيث يقول انه « له بن بن المغرب كنه احد من قبايل العرب الي ان جرحه المنصور الموحدى بمكيدة الجهاد (2) » .

2 - وفود جماعة من غز مصر (3) - وهم طائفة من العرائ اتركوا الاسلام حانقوا بني هلال وبني سليم في انضمامهم لتورة ابن غانية .

3 - وفود جماعة من عرب بني معقل كانوا بدورهم حنفاء لبني هلال (4) .

4 - زيادة توافد الاندلسيين على المغرب بعد

- 1 ج 6 ص 4 من تاريخ ابن خلدون .
- 2 الترجمة الكبرى في اخبار العمور برا وبحرا صفحة 69 نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالي ا وزارة الباء المغرب سنة 1967 . وقد علق الناشر على هذا الكلام برأي غريب قال فيه : « يلاحظ ان المؤلف لا يعدل منعه الي ان قبائل بني سليم وبني هلال ورباح وصباح وبني معقل وهي قبائل قدمت منذ الفتح العربي الاول من صعيد مصر الي عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب » .
- 3 انظر المعجب صفحة 288 .
- 4 انظر الاستغما ج 2 من صفحة 159 حتى 162 .
- 5 A. Bel. La religion musulmane en Berbérie (établissement et développement de l'Islam en Berbérie), p. 204.
- 6 E. F. Gautier : Les siècles obscurs du Maghreb, p. 410.
- 7 الترجمة العربية مادة : بربر .



الندوات ماهيتها وأهدافها

الأستاذ أحمد المحلوي

المدير والمساعد للمكتتب الدائم
للاتحاد البريدي العربي
(القاهرة)

ومناقشتها في الندوة أو يستهدف هذا الاجتماع (أي الندوة) أن يتعلم المنتدون أو المجتمعون من خبرة أفراد المجموعة الآخرين ، عن طريق تبادل البيانات والمعلومات والآراء بدون تعليم مباشر من جانب قائد الندوة .

ويقتصر عمل قائد الندوة بقيادتها وتوجيه الأسئلة والاستيضاحات وإثارة المناقشة وتفسير ما قد يكون قد غمض على أي من المتدربين وتصحيح المعلومات إذا اقتضى الأمر ولكنه لا يقوم إطلاقاً بالإجابة على الأسئلة وينبغي أن يتلافى ذلك .

ويجب أن يكون الموضوع أو المشكلة المطروحة للمناقشة ذات أهمية لأعضاء المجموعة وأن تكون من النوع الذي يسمح بأكبر قدر من اختلاف الآراء بالنسبة للحلول وبأفضل هذه الحلول .

وينبغي أن تكون الندوة أو المجموعة من الأفراد ذوي خبرة ودراية ويمكنهم أن يسهموا مساهمة مجدية في إيجاد حل مناسب للموضوع أو المشكلة المطروحة في الندوة .

ويمكن أن تلخص واجبات قائد المجموعة في النقاط التالية :

- إيضاح المشكلة أو الموضوع المطروح للمناقشة بجملة وبطريقة تستثير اهتمام المتدربين (مجموعة الحاضرين في الندوة) لفتح باب المناقشة .

جاء في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريفًا للندوة ما يلي : « الندوة - الجماعة يلتقون في ناد أو نحوه للبحث والمشاورة في أمر معين . ودار الندوة كل دار يرجع إليها ويجتمع فيها للبحث والمشاورة . وكانت تقربش في الجاهلية دار الندوة في مكة بناها قصي ابن كلاب وانتقلت إلى ولده حتى اشتراها معاوية وجعلها داراً للامارة . »

ومن الفقرة الأخيرة لشرح المجمع اللغوي ، وهي شراء معاوية لدار الندوة من قصي ابن كلاب وجعلها داراً للامارة نستبين أهمية الندوات بأعداد أفخم الدور وأصلحها لاجتماع المتدربين ، حتى أن هذه الدار أصبحت فيما بعد داراً للامارة .

ويقصد بالندوة اجتماع مجموعة من الأفراد يسهم كل منهم بخبرته ومعلوماته واقتراحاته في المواقف أو المشاكل التي يجري بحثها ودراستها ومناقشتها في الندوة أو يستهدف هذا الاجتماع (أي الندوة) أن يتعلم المنتدون أو المجتمعون من خبرة أفراد المجموعة الآخرين ، عن طريق تبادل البيانات والمعلومات والآراء بدون تعليم مباشر من جانب قائد الندوة .

ويقصد بالندوة اجتماع مجموعة من الأفراد يسهم كل منهم بخبرته ومعلوماته واقتراحاته في المواقف أو المشاكل التي يجري بحثها ودراستها

السبورة فانه من الطبيعي سيقف امامها ليشرح ما يريد ايضاحه . وبذلك يتوقع جو غير رسمي للاجتماع ويجعل من السهل على الفرد المنطوي او الخجول الاشتراك فى المناقشة .

ويجب اختيار قائد الندوة ، بمتابعة . وليس من الضروري ان يكون خبيراً فنياً فى الموضوع الذى تجري مناقشته فى الاجتماع . ولكن يجب على الافضل ان تتوافر له بعض المعرفة به حتى يمكنه فهم الالفاظ او المصطلحات التى تستخدم اثناء المناقشة وان يفهم الاهداف الواجب الوصول اليها .

وينبغي ان تتوافر له الحماسة او الحوافز حتى يمكنه بعث المناقشة واثارتها وخلقها واشراك الجميع فيها .

ويجب ايضا ان يكون لبقاً كما مرنا حتى يتسنى له معاملة الافراد الذين يخلقون المشاكل معاملة لبقية . (1)

وينبغي على قائد الاجتماع ان يحترم آراء الآخرين وان تكون له القدرة على فرض شخصيته على الاجتماع والامتناع عن السيطرة على المناقشة وتوجيهها فى السبيل الذى يميل اليه . حتى يتركز الاهتمام على المنتدين وليس على قائد الندوة .

* * *

وعلى قائد الندوة ان يبدأ بحرص وان يراعى ايجاد علاقة ايجابية بينه وبين المنتدين .

وحتى لا يبدو ان المقصود من الندوة تعليقه المنتدين بعض المبادئ والمعلومات بطريقة مباشرة بل ان هدف الاجتماع او الندوة هو ان يقوم المنتدون بالعمل الرئيسي سيما وانه غالباً ما يكون المنتدون من ذوي الخبرة ويشغلون وظائف هامة سواء فى المرافق او المؤسسة او الهيئة التى يعملون بها فانه من المستحسن ان يبدأ قائد الندوة المناقشة بان يبين لهم ان الهدف هو الاستفادة من خبراتهم ومعلوماتهم فى النواحي والموضوعات المطروحة والتي يجري مناقشتها وبذلك يضمن الاستقبال الودي من جانب المنتدين .

- العمل على استمرار المناقشة وعدم خروجها عن الموضوع ، مع مراعاة محاولة جعل جميع افراد المجموعة يشتركون فيها .

- توضيح الاختلاف فى الآراء بين اعضاء المجموعة ولكن يجب ترك المجموعة نفسها لتحديد الحل الصحيح دون ان يؤيد اي جانب .

- القيام بتلخيص النتائج التى وصل اليها الاجتماع بين حين وآخر .

- بيان النتائج النهائية التى وصل اليها الاجتماع وكتابتها على لوحة او سبورة او فى مذكرات توزع على الاعضاء .

* * *

وينبغي ان يتكون الاجتماع « الندوة » من عدد محدود من المنتدين فيكون بين 12 الى 20 . ويعتبر افضل عدد من الافراد لتكوين الندوة حوالي 15 .

ويفضل ان يجلس المنتدون حول منضدة كبيرة بطريقة تمكن كلا منهم من رؤية الآخرين بدون الحاجة الى الالتفات الى الخلف .

وينبغي ان تتوفر ظروف مكان الندوة او قاعة الاجتماع بحيث تتلاءم وحاجة المنتدين مثل الاضاءة المناسبة والتهوية والبعد عن الضوضاء فى مكان الاجتماع

ويحسن بل يجب ان يعرف كل مشترك اسماء الزملاء الآخرين وان يستخدم هذه الاسماء اثناء المناقشة .

ولما كان المنتدون عادة ينتمون الى مجموعة واحدة فانهم يعرفون اسماء زملائهم . ولكن اذا لم تتوفر هذه المعرفة فينبغي افتتاح الاجتماع بتقديم كل منهم نفسه الى المجموعة .

هذا على انه من المستحسن ان يقوم منظم الندوة بوضع بطاقة تحمل اسم كل فرد من افراد المجموعة وبالخط المثلث امام كل واحد منهم .

وتجري المناقشة والافراد جالسون ازاء قائد الندوة ما عدا فى الاوقات التى يستخدم فيها

(1) الافراد الذين يخلقون المشاكل او يشيرون المتاعب هم الذين يتحدثون اكثر مما ينبغى او الذين يخرجون عن الموضوع او الذين يداومون الجدل فيما لا طائل من ورائه .

فبالنسبة الى توجيه المناقشات خلال انعقاد الندوة ، يكون واجب قائد الندوة العمل على مناقشة المنتدين في مختلف نواحي الموضوع او المشكلة بطريقة منطقية منظمة ، أما اذا اهمل قائد الندوة ارشادهم الى النواحي المختلفة للموضوع او المشكلة فانه سيجد نسي النهاية ان المنتدين قد استنفدوا وقتا طويلا بدون ان يحققوا الغرض من الاجتماع ، كما انه من واجبه في حالة المجموعات غير النشطة التي يحجم افرادها من الاشتراك في عمل الاجتماع تشجيع الافراد على التفكير في الموضوع والتعبير عن آرائهم .

وتعتبر الاسئلة التي يوجهها قائد الندوة من اهم الوسائل لتوجيه المناقشة .

وتحقيقا لذلك يستخدم قائد الندوة نوهين من الاسئلة اولهما تلك التي توجه الى المجموعة كلها وثانيهما الاسئلة التي توجه الى فرد بالذات من بين المنتدين .

على انه بالنسبة الى السؤال الذي يوجه للفرد فانه ينبغي ان يوجه هذا السؤال الى الفرد الذي يعرف القائد انه تتوفر له معلومات خاصة او خبرات مميزة ، وليس خجولا ولا منطويا ، وان هذه المعلومات والخبرات ينبغي ان تأخذها المجموعة في الاعتبار عند تحليل الحل الصحيح او المبدأ الصحيح . وتساعد هذه الاسئلة على تغطية جميع النواحي التي يراد معرفة المجموعة لها .

ويجب على قائد الندوة ان يشجع الاختلاف في الآراء البعيدة عن الاسفاف او التكرار ، اذ بدون هذا الاختلاف لا تكون المناقشة مثيرة لاهتمام المنتدين .

هذا على ان مناقشة المجموعة للآراء المختلفة لا بد ان يؤدي الى الوصول الى افضل المبادئ واسلم الحلول ، ولكن ينبغي عند مناقشة الخلاف للآراء الا يسمح القائد بان يصبح عمل الاجتماع مناظرة بين فردين ، اذ يجب ان يعمل على اشراك الافراد الآخرين في المناقشة .

وقد يتقدم بعض المنتدين بأسئلة الى قائد الندوة اثناء المناقشة ، والواجب في هذه الحالة ان يتجنب قائد الندوة الاجابة عن هذه الاسئلة اذ ان عمله الرئيسي هو توجيه المناقشة وتنظيمها لا الاجابة على الاسئلة اذ قد تؤثر هذه الاجابة على نوعية

ويجب عندئذ عمله الندوة ان يعمل كل مساهمة الجهد على ان يجعل جو الاجتماع فيه شيء من العرح النفسي ويخلق روح الانسجام بينه وبين المنتدين ويزيل جو التوتر والانفعال من الاجتماع . وتحقيقا لذلك يقول بعض قادة الندوات عند افتتاحهم الاجتماع ، بانه سوف لا توجه اية اسئلة لاي فرد من المجتمعين وبذلك يطمئن اي فرد ممن يخشون الاندماج في المناقشة الى انه لن يطب منه الحديث او الاجابة على اي سؤال وبذلك يستطيع ان يتابع اعمال الاجتماع دون اي توتر او انفعال . كما ان هؤلاء القادة يرون ان مثل هذا الفرد يندمج بعد ذلك تلقائيا في المناقشة كما يرى البعض الآخر انه يمكن اندماج مثل هذا الفرد في المناقشة عن طريق القاؤه بعض الاسئلة التي يكون من المؤكد معرفته الاجابة عليها لرفع روحه المعنوية وحتى يمكن اجتذابه للاشتراك في المناقشات وعمل الاجتماع دون شعور بالاحراج .

ويقوم قائد الندوة بعد ذلك بشرح طريقة عمل الاجتماع بايجاز فيبين انه من الضروري لنجاح الاجتماع اشراك جميع المنتدين . وان الاجتماع يعمل في جو غير رسمي وليس هناك حاجة لتوجيه الحديث الى المحاضر او قائد الندوة وانه يرحب بالاختلاف السوي في الآراء . وان المناقشة داخل الاجتماع ان تبلغ الى اي جهة ادارية حتى يمكن للمنتدين التعبير عن آرائهم في حرية .

ويلي ذلك محاولته بدء المناقشة بان يسأل سؤال الافتتاح بطريقة تستثير الاهتمام وبذلك يؤدي الى بدء المناقشة بطريقة طبيعية . اما السؤال المشار اليه فينبغي ان يتعلق بموضوع جميع المنتدين او ان يكون موضوع خلاف تختلف فيه الآراء ولكن ليس من النوع الذي يقسم الاجتماع الى معسكرين يعارض كل منهما الآخر .

* * *

وبعد ملاحظات الافتتاح وبدء المناقشة يقتصر عمل قائد المجموعة على توجيه المناقشة ، ومراعاة عدم خروجها عن الموضوع ، وتشجيع الاختلاف بين الآراء واحتكاكها للوصول الى افضل المبادئ ، ومعالجة الافراد الذين يسببون مشكلات في عمل الندوة على ان تكون معالجته لهم في كياسة ولباقة دون احراج .

الناقشة وتوجيهها في غير السبيل الذي ترتبه الجماعة ، على ان قائد الندوة يمكنه ان يمالج مثل هذا الموقف باحدى الطرق الآتية :

(ا) طرح الاسئلة على المنتدين

(ب) طلبه الى السائل لبيان رايه فيما يسأل منه

(ج) توجيه السؤال الى احد المنتدين المتحمسين لعمل الندوة .

(د) قيام المحاضر بالاجابة وهذا لا يكون الا في حالات استثنائية ويرى ان اجابته لا تؤثر على آراء الآخرين او على موضوع الندوة .

ومن الافضل ان تكون هناك سبورة في غرفة الاجتماع ليكتب عليها المحاضر او قائد الندوة الاقتراحات التي يتقدم بها المنتدون .

ان لوجود هذه السبورة واستخدامها مزايا هامة ؛ اذ ان وجودها يمكن المجموعة من الوصول الى توصياتها النهائية بطريقة منظمة دون اغفال اي ناحية ، وذلك بتسجيل ومناقشة جميع الاسباب التي في صالح الاقتراح وضده ، كما تساعد قائد الندوة على عدم نسيان اي اقتراح يتقدم به المنتدون كما تجنب التكرار ، وبذلك تساعد على تقدم المناقشة ، وتكون بمثابة وسيلة للإيضاح تساعد على تذكر المنتدين لجميع المسائل التي اثيرت في المناقشة ، كما ان كتابة موضوع المناقشة يساعد على عدم خروج الافراد عن الموضوع ، وتساعد على تلخيص المناقشة في النهاية ، علاوة على ان كتابة مقترحات الافراد على السبورة يعطيهم الشعور بالاهمية .

وقد يشترك في الاجتماع افراد لا يساعدون على نجاحه نظرا لخصائصهم غير المرفوب فيها ، او لاستعلائهم على التدريب كما سبق ان اوضحنا ، والواجب ان يكون لقائد الندوة الخبرة والكيافة واللباقة والحزم ، اذا اقتضى الامر ذلك ، لمعاملة كل من هؤلاء .

وهناك مبدا هام عند استخلاص النتائج من المناقشة وهو انه ينبغي ان تبين الحالات والمشكلات اولا ثم المبادئ والنظريات بعد ذلك ، اي انه يمكن الحصول على افضل النتائج عندما يستخلص المنتدون حل المشكلة .

وتستخلص النتائج والمبادئ بالطريقة الآتية :
- بيان حالة او مشكلة تتعلق بطريقة مباشرة بخبرة المنتدين .

- بوجه اليهم الاسئلة لتوضيح الحلول التي اتبعوها في الماضي عندما واجهتهم نفس المشكلة في كلتا الحالتين ، حالة نجاحهم في حل المشكلة وفي حالة فشلهم ، ثم الحل الذي يرونه افضل من غيره .

- سؤالهم عن اسباب نجاح او فشل الحل الذي سبق ان اتبعوه .

- استخلاص المبادئ العامة او الحلول التي يمكن تطبيقها في الحالات المماثلة للحالات التي كانت موضوع المناقشة .

اما في خصوص الندوات الهادفة لتبادل الآراء في سبيل تطوير الاشراف ، فان رئيس الندوة يجب ان يكون مستعدا مسبقا للمناقشة في جميع الموضوعات التي يتضمنها جدول الاعمال . ولزام عليه ان يوجه ويدير المناقشات كما عليه ايضا ان يقدم البيانات والمعلومات والمراجع المعاونة بين آن وآخره ، لكي يجعل التركيز كله على الموضوع مدار البحث دون الخروج عنه في متاهات النقاش والكلام .

وعلى قائد الندوة ان يعمل جاهدا لاثاحة الفرصة للراغبين من المشرفين المتنازين ان يشاركوا في الاسهام بدور في التوجيه مع المديرين الاخصائيين على انه من الاهمية بمكان ان يقوم هؤلاء الاشخاص مسبقا بدراسة وتعلم والتدريب على الطرائق الفنية لإدارة الندوات .

وبعضي تقديم البرنامج ان يقوم كبار الرؤساء بوضع برامج هذا الطراز من الموضوعات الرئيسية . على انه من المستصوب لاقصى درجة ان يستمرضي ويعلم فريق كبار الرؤساء كل الموضوعات بحيث يكون البرنامج او جدول الاعمال الذي سيدرس في الندوة معلوما ومعروفا في نطاق الهيئة الادارية كلها .

كما ينبغي العمل على ترجمة المبادئ والاقتراحات وصياقتها بحيث تتناول الموضوعات المشاكلة التي يعرفها المشرف ويواجهها كل يوم . على انه يجب ايضا صياغة وتوجيه البرنامج بما تضمنه من موضوعات رئيسية هامة بحيث يقابل ويغطي مجموعة معينة من الذين يشتركون في الندوة .

نشاطُ المجمع العلمي العراقي

توصلنا من فضيلة الاستاذ الحليل رئيس المجمع العلمي
العراقي الدكتور عبد الرزاق محيي الدين بتقرير عن نشاط المجمع
العلمي العراقي ببغداد ننشره شاكرين :

تمهيد

أسس المجمع العلمي العراقي بقانونه الحالي بموجب قانون رقم (49) لسنة
1963 .

1 - تكوينه

نصت المادة الاولى من قانونه على ما يلي :

أ - ينشأ في الجمهورية العراقية مجمع يسمى المجمع العلمي العراقي ويكون
هيئة مستقلة ذات شخصية حكومية واستقلال مالي وإداري ويديره
ديوان رئاسة ويمثله وزير التربية والتعليم في مجلس الوزراء .

2 - أهدافه :

نصت المادة الثانية من القانون على ما يلي - يهدف المجمع الى :

- أ - النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمسيرة التقدم العلمي .
- ب - المحافظة على سلامة اللغة والعمل على تنميتها ووثاها بمطالب العلوم
والاداب والفنون .
- ج - احياء التراث العربي والاسلامي في العلوم والاداب والفنون .
- د - العناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته .
- هـ - نشر البحوث الاصلية وتشجيع الترجمة والتاليف في العلوم والاداب
والفنون .

3 - وسائله :

في المادة الثالثة .. يتوسل المجمع لتحقيق غاياته بالوسائل التالية :

- أ - وضع معجمات لغوية وعلمية .
- ب - إصدار مجلة ونشرات .
- ج - نشر الكتب والوثائق والنصوص القديمة

د - توثيق الصلات بالمجامع والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية في البلاد العربية وغيرها .

هـ - منح الباحثين والعلماء والادباء المبرزين جوائز .

و - تقديم هون مالي للباحثين والمؤلفين والمترجمين .

ح - اقامة ندوات للتدريس .

ط - انشاء مكتبة المجمع واستكمال شؤون الطباعة فيه .

المؤتمرات العلمية والأدبية

ورد في المادة الرابعة ما يلي :

للمجمع أن يعقد مؤتمرات علمية وأدبية وأن يقيم احتفالات في حدود حدود هذا القانون وأن يساهم في المؤتمرات العلمية والأدبية ويوفد إليها من أعضائه من يختاره لتمثيله فيها وأن يوفد لأغراض البحث من يرشحه .

الكتب التي تولى المجمع طباعها على نفقته

قام المجمع بطبع مجموعة من الكتب على حسابه الخاص واشترى حق تأليفها وهي :

- 1 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الأول) القسم السياسي
- 2 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الثاني) القسم السياسي
- 3 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الثالث) القسم السياسي
- 4 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الرابع) القسم السياسي
- 5 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الخامس) القسم الديني
- 6 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء السادس) القسم الديني
- 7 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء السابع) القسم اللغوي
- 8 - تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الثامن) القسم الاجتماعي والثقافي
- 9 - صورة الأرض للدريسي - تحقيق الأستاذ محمد بهجة الاثري والدكتور جواد طلسي
- 10 - موجز الدورة الدموية في الكلية للمرحوم الدكتور هاشم الوتري
- 11 - المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد للحافظ ابن الديبشي - انتقاء الامام الذهبي الجزء الأول - تحقيق المرحوم مصطفى جواد
- 12 - المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد - للحافظ ابن الديبشي - انتقاء الامام الذهبي الجزء الأول - تحقيق المرحوم مصطفى جواد
- 13 - بلدان الخلافة الشرقية - تأليف لسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس ميواد .
- 14 - خريدة القصر وجريدة أهل العصر - للمعاد الاصمهاني - القسم العراقي الجزء الأول - حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ بهجة الاثري وأعد أصله وشارك في تحقيقه ومعارضته وصنع مهارسه الدكتور جميل سميد
- 15 - خريدة القصر وجريدة أهل العصر - للمعاد الاصمهاني - القسم العراقي - الجزء الثاني - حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الاثري .
- 16 - منازع الفكر الحديث - تأليف سي . م . جود - ترجمة المرحوم الاستاذ عباس فضلي خماس ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام .
- 17 - الخطاط البغدادي علي بن هلال « ابن البواب » - تأليف الدكتور سهيل أنور - وترجمة الأستاذين محمد بهجة الاثري وعزيز سامي .
- 18 - كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من ألكلام المنظوم - تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سميد .
- 19 - مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والاشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران .

- 20 - مصطلحات المجمع في صناعة النفط .
- 21 - تكملة اكمال الاكمال - تأليف جمال الدين ابي حامد محمد بن عيسى الحمودي المروزي بابن الصابوني حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد .
- 22 - مؤرخ العراق ابن الفوطي - للاستاذ المرحوم الشيخ محمد رضا الشيباني - الجزء الاول .
- 23 - مؤرخ العراق ابن الفوطي - للاستاذ المرحوم الشيخ محمد رضا الشيباني - الجزء الثاني .
- 24 - مقدمة الرياضيات - تأليف وايتهد وترجمة المرحوم محيي الدين يوسف .
- 25 - الدينار الاسلامي في المتحف العراقي - للسيد ناصر النقشبندي .
- 26 - خارطة بغداد قديما وحديثا - وضع الدكتور احمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد احمد حامد الصراف .
- 27 - تاريخ علم الفلك - تأليف الاستاذ عباس المزروي .
- 28 - الوقاية من السل الرئوي والبي . سي . جي - للمرحوم الدكتور شريف عسيران .
- 29 - دابل خارطة العراق المنصل - للدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة .
- 30 - العراق في الخوارط القديمة - جمع وتحقيق الدكتور احمد سوسة .
- 31 - مصطلحات الالكترون .
- 32 - مصطلحات القانون الدستوري .
- 33 - مصطلحات علم الفضاء .
- 34 - مصطلحات في التربية البدنية .
- 35 - مصطلحات في التربة .
- 36 - مصطلحات نقل الركاب .
- 37 - مصطلحات في السكك الحديدية .
- 38 - تاريخ الامارة الامراسيابية (او حلقة مفقودة من تاريخ البصرة) بقلم الاستاذ محمد الخال .
- 39 - تاريخ الادب العربي في العراق - الجزء الاول - تأليف الاستاذ المحامي عباس المزروي () .
- 40 - تاريخ الادب العربي في العراق - الجزء الثاني - تأليف الاستاذ المحامي عباس المزروي () .
- 41 - تاريخ التفسير تأليف المرحوم الشيخ قاسم (المفتي) القيسي .
- 42 - مصور الخط العربي - تأليف المهندس ناجي زين الدين .
- 43 - بحوث ومحاضرات دورة مجمع اللغة العربية (الدورة الثانية والثلاثون المنعقد ببغداد عام 1965) .
- 44 - تراثنا الفلسفي - حاجته الى النقد والتحيص - تأليف المرحوم الاستاذ الشيخ محمد رضا الشيباني .
- 45 - دراسة في سيرة النبي ومولفها ابن اسحق - تأليف الدكتور عبد العزيز الدوري .
- 46 - عقبة بن نافع الفهري - تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب .
- 47 - الوضع - تعديده - تقسيماته - مصادر العلم به - تأليف الاستاذ محمد تقي الحكيم .
- 48 - التفاحة في النحو لابن النحاس - تحقيق الاستاذ كوركيس هواد .
- 49 - ميزان البند - تأليف الدكتور جميل الملائكة .
- 50 - الباحث اللغوية في العراق ومشكلة اللغة المصرية - تأليف المرحوم مصطفى جواد .
- 51 - صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي - تأليف الدكتور ماضل الطائسي .
- 52 - حول توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية - تأليف الاستاذ محمد شفيق المناسي .
- 53 - رأي في المصطلحات الطبية - تأليف الدكتور عبد اللطيف البكري .

- 54 - المباحث اللغوية المراتبة في مؤلفات المراتبين المحدثين - تأليف الاستاذ كوركيس مسواد .
- 55 - المجمع العلمي المراتبي - نشأته - امضاؤه - اعماله - تأليف عبد الله الجبوري .

ومن الكتب التي يقوم المجمع بطبعها الآن

- 1 - كتاب الدرهم الاسلامي - تأليف المرحوم السيد ناصر النقشبندي .

المساعدات المالية :

قدم المجمع منحا مالية لمساعدة المؤلفين والباحثين والمترجمين على طبع مؤلفاتهم وقد شملت المساعدة المؤلفات التالية :

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المترجم	سنة الطبع
1) الاسلام والشعر	يحيى الجبوري	بغداد 1964
2) البخلاء	الخطيب البغدادي تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي	بغداد 1964
3) التعاون العسكري	واحد ناجي القيسي	بغداد 1964
4) ديوان رشيد الهاشمي	المعيد الركن حسن مصطفى رشيد الهاشمي / تحقيق عبد الله الجبوري	بغداد 1964
5) رسوم دار الخلافة	أبو الحسن هلال بن الحسن المصابه تحقيق ميخائيل عواد	بغداد 1964
6) رحلة نمرير الى بغداد	جيمس بيلي / ترجمة جعفر الخياط	بغداد 1964
7) اعلام من الادب التركي	وحيد الدين بهاء الدين	بغداد 1965
8) المستدرك على الكشاف من مخطوطات خزائن الاوقاف	عبد الله الجبوري	بغداد 1965
9) ميفانات بغداد في التاريخ / القسم الاول والثاني والثالث	الدكتور احمد سوسة	بغداد 1965
10) ديوان المصاحب بن عباد	المصاحب بن عباد / تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	بغداد 1965
11) مهارس كتاب البدء والتاريخ	عبد الله الجبوري	بغداد 1965
12) العملة الاسلامية في العهد الاتابكي	محمد باقر الحسيني	بغداد 1966
13) المائة بالرجز في الجاهلية	شاكر الجودي	بغداد 1966
14) وصدر الاسلام والسبيل الى القيادة	المارشال مونتغمري / ترجمة المعيد الركن حسن مصطفى	بيروت 1966
15) الاب انستاس ماري الكرملني	كوركيس مسواد	بغداد 1966
16) الامثال البغدادية المقارنة ج 1	المعيد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1966
17) الامثال البغدادية المقارنة ج 2	المعيد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1967
18) الامثال البغدادية المقارنة ج 3	المعيد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1968
19) الامثال البغدادية المقارنة ج 4	المعيد عبد الرحمن التكريتي	بغداد 1969
20) تاريخ قطر العام	المعيد محمود بهجة سنان	بغداد 1966
21) ترجمة الاولياء في الموصل	احمد بن الخياط الموصلني تحقيق سعيد الديوه جي	الموصل 1966

- (22) تقويم اللسان ابن الجوزي / تحقيق الدكتور عبد العزيز مطسر القاهرة 1966
- (23) ثبت المصادر العربية من فلسطين عبد الرحيم محمد علي النجف 1966
- (24) عثمان الموصلني الدكتور عادل البكري بغداد 1966
- (25) الفرائد الغوالي على شواهد الامالي الجزء الثاني والثالث للسيد المرتضى / الشيخ محسن آل الشيخ صاحب الجواهر / تحقيق محمد حسن الجواهري النجف 66 و 1967
- (26) تحقيق الاماني لطلاب الامالي نعموم جرجيسس زراير النجف 1966
- (27) القاضي التنوخي وكتابه «نشوار المعاصرة» بدري محمد مهدي بغداد 1966
- (28) القمح والموسج عبد الجبار داود البصري بغداد 1967
- (29) المئين ج 1 الخليل بن احمد الفراهيدي تحقيق الدكتور عبد الله درويش النجف 1967
- (30) التمرين بمصادر الامثال ج 1 حسين الحاج حسن النجف 1967
- (31) اسناد الفعل رسمية المياح بغداد 1967
- (32) التنبيه على حدوث التصحيف حمزة بن حسن الاسفهانى / تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين بغداد 1967
- (33) الامثال الشعبية في البصرة ج 1 عبد اللطيف الدليشي بغداد 1968
- (34) الاشتقاق الاصمعي / تحقيق الدكتور سليم النعمي بغداد 1968
- (35) تاريخ خليفة بن خياط ج 1 خليفة بن خياط / تحقيق اكرم العمري النجف 1967
- (36) تخطيط الكوفة الدكتور كاظم الجنابي بغداد 1967
- (37) تاريخ واسط بحشل / تحقيق كوركيس عواد بغداد 1967
- (38) تاريخ المشهد الكاظمي الشيخ محمد حسن آل ياسين بغداد 1967
- (39) ديوان ابي بكر الشبلي ابو بكر الشبلي / تحقيق وجمع الدكتور كامل مصطفى الشيبلي بغداد 1967
- (40) شعر ابي زبيد الطائي ابو زبيد الطائي / تحقيق وجمع الدكتور نوري القيسي بغداد 1967
- (41) فهرست مخطوطات حسن الانكرلي بغداد 1967
- (42) العمل العلمي ومؤسساته في البلاد العربية شيت نعمان بيروت 1968
- (43) بلاد المغرب ابن لفدة الاسفهانى / تحقيق حمد الحاسر والدكتور صالح احمد علي بيروت 1968
- (44) جغرافية الاندلس تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى بيروت 1968
- (45) رحلتى الى العراق جيمس بيكنغ هام / ترجمة سليم طه التكريتي بغداد 1968
- (46) تاريخ مدينة سامراء الشيخ يونس السامرائي بغداد 1968
- (47) ديوان ابن هرمة ابراهيم بن هرمة / تحقيق وجمع محمد عبد الجبار المعيد النجف 1969

مجلة المجمع العلمي العراقي

اهتم المجمع بجلته اهتماما خاصا واولاها عنايته لكي تقوم باداء المهمة التي توحيث من اصداؤها ولخدمة اغراض المجمع في نشر البحوث اللغوية والادبية والتاريخية والعلمية صدر منها بعد صدور قانون المجمع الجديد سنة 1963 (7) مجلدات هي : (المجلد الحادي عشر والمجلد الثاني عشر والمجلد الثالث عشر والمجلد الرابع عشر والمجلد الخامس عشر والمجلد السادس عشر والمجلد السابع عشر) كما تم اصدار انهارس لجلة المجمع العلمي العراقي (على شكل ملحق بالمجلد السادس عشر من المجلد وكان من وضع السيد حكيم توماشي .

اعضاء المجمع

اما اعضاء المجمع العلمي العراقي فهم على ثلاثة اقسام :

- 1 - الاعضاء العاملون
- 2 - الاعضاء المؤازرون
- 3 - الاعضاء الفخريون

الاعضاء العاملون وهم السادة :

عضو	م	1881	الحاج حمدي الاعظمي	1
عضو	م	1908	الاستاذ محمد شفيق العاني	2
عضو	م	1908	الاستاذ كوريس عواد	3
نائب الرئيس الثاني	م	1909	الدكتور ابراهيم شوكة	4
الرئيس	م	1910	الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	5
عضو	م	1912	الدكتور سليم التميمي	6
عضو	م	1915	الدكتور عبد العزيز البسام	7
عضو	م	1917	الدكتور عبد العزيز الدوري	8
عضو	م	1918	الدكتور صالح احمد العلي	9
عضو	م	1919	اللواء الركن محمد شيت خطاب	10
عضو ديوان الرئاسة	م	1921	الدكتور جميل الملايكة	11
عضو ديوان الرئاسة	م	1921	الدكتور عبد اللطيف البدري	12
عضو	م	1921	الدكتور محمود الجليلي	13
عضو	م	1922	الدكتور فاضل الطائي	14
عضو (الامين العام)	م	1922	الدكتور يوسف عز الدين	15
عضو	م	1923	الاستاذ محمد تقي الحكيم	16
نائب الرئيس الاول	م	1924	الدكتور احمد عبد الستار الجوارى	17

ومن اعضاء المجمع المتوفين

- 1) الشيخ الاستاذ محمد رضا 1888 - 1965 م الشيببي
- 2) الشيخ محمد رضا المظفر 1906 - 1963 م
- 3) الدكتور مصطفى جواد 1908 - 1969 م

الاعضاء المؤازرون وهم السادة :

- 1) محمد الخال
- 2) محمد جميل بيهم
- 3) محمد بهجة البيطار
- 4) تسطنطين زريق
- 5) سلوى نصار
- 6) حمد الجاسر

- (7) طه حسين
 (8) ابراهيم بيومي مذكور
 (9) حسن حسني عبد الوهاب
 (متولى)
 (10) علي اصغر حكمة
 (11) ظفر الله خان
 (12) مصطفى نظيف
 (13) هاملتون جب
 (14) الفريد جيوم
 (15) خير الدين الزركلي
 (16) محمد الفاسي
 (17) ماكس مالون
 (18) اميلو غارسيا كوميز
 (19) نسيو غ
 (20) احمد زكي
 (21) حسين مؤنس
 (22) مصطفى زيادة
 (23) عزيز اباطة
 (24) شوقي ضيف
 (25) علي الطنطاوي
 (26) عز الدين علم الدين
 (27) سامي الدهان
 (28) سعيد الامفاني
 (29) صلاح الدين المنجد
 (30) اسحق موسى الحسيني
 (31) مصطفى الشهابي (متولى)
 (32) عبد الجبار الجومرد
 (33) هايترخ لئزن
 (34) نيلكس تاور
 (35) نواد مسروف
 (36) محمد حسين مشايخ فريدون
 (37) سعيد الديوه جي

الاعضاء الفخريون

- 1 - نصره الفارسي (متولى)
 2 - توميق وهبي
 3 - محمد فاضل الجمالي
 4 - متي مقرواي
 5 - ارنولد توينبي

نشاط المجلس الأعلى للعلوم في سوريا

توصلنا من المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية بالتقرير التالي حول منجزاته خلال عام 1968 نشره شاكرين :

(2) متابعة تنفيذ الخطة العلمية الثانية التي ترافق خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة في مضامير البعثات والتجهيزات العلمية .

(3) تقديم دراسة شاملة عن انظمة المدارس الحرفية والمهنية والمعاهد الفنية والراكز التدريبية تمهيدا لوضع تشريع جديد يحدد ويوحد شروط القبول فيها والشهادة التي تمنحها وتساوي حقوق الخريجين منها ويجاد تكافؤ كامل بين خريجيها .

في نطاق الموضوعات والبحوث ،

(1) الاتصال بالوزارات والبعثات الحكومية لحصر المشكلات العلمية التي تواجهها اثناء تنفيذ مشروعاتها وبخاصة خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتشكيل لجان مختصة تعمل على حل هذه المشكلات بالاتفاق مع وزارة التعليم العالي .

(2) الاعلان من جوائز المجلس الاعلى للعلوم التشجيعية لعام 1968 ، وقد قدم هذا العام :

في نطاق الاتصالات العلمية :

(1) حصر المؤتمرات العلمية التي ستمقد في انحاء العالم في عام 1968 وتعميمها على الهيئات الحكومية لمعرفة المؤتمرات التي ستشارك بها هذه الهيئات .

(2) الاحتفال بالذكرى المائة بعد الالف لوفاة العالم والكاتب العربي عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ .

(3) اقامة اسبوع العلم التاسع الذي اشترك فيه اكثر من 100 محاضر في مختلف فروع العلم واستضاف اكثر من 25 عالما من الدول الشقيقة والصديقة .

في نطاق الافراد العلميين :

(1) القيام بحصر شامل للمؤهلين والافراد العلميين بالتعاون مع مديرية التهيئة في وزارة الدفاع تمهيدا للقيام بدراسات حولهم لتأمين النواقص منهم عن طريق الابغاد .

في نطاق الطاقة الذرية :

1) تمكنت سورية من تسديد التزاماتها المترتبة لقاء الاشتراك في الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

2) اوفد اكثر من خمسة اشخاص للافادة من المنح والدورات التدريبية التي تقيمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية في الدول المختلفة ومركز النظائر المشعة في الشرق الاوسط الذي اقيم في الجمهورية العربية المتحدة .

3) تمكنت من استقدام خبير في الشؤون الذرية هو ضيف المجلس الآن لتقديم الدراسات الكافية للبدء في اقامة نشاط نووي في القطر العربي السوري والافادة من منح الوكالة الدولية للطاقة الذرية في نطاق الكتب والاجهزة والخبراء .

في نطاق الاجهزة العلمية :

هناك مشروع لحصر الاجهزة العلمية في مختلف هيئات الدولة بالتعاون مع مديرية التعبئة العامة في وزارة الدفاع وسيتم تنفيذ هذا الحصر في مطلع العام القادم .

في العلوم الاساسية (3 موضوعات)

في العلوم الهندسية (موضوع واحد)

في العلوم الطبية (3 موضوعات)

في العلوم الزراعية (موضوع واحد)

وشكلت اللجان للدراسة من المختصين في القطر السوري والقطر العربية الاخرى والدول الاخرى .

في نطاق النشر العلمي :

1) التعاون مع وزارة التعليم المالي لتنسيق عملية الترجمة التي تقوم بها جامعة دمشق وجامعة حلب لنقل كتب روسية الاصل الى اللغات العربية تنفيذا للمقد المقود مع مؤسسة ميشينكا السوفياتية .

2) تأليف (15) لجنة لدراسة المصطلحات العلمية الواردة في الكتب المترجمة حسب اختصاصات الفروع المختلفة .

3) احياء التراث العلمي العربي وتقديم دراسات مختلفة من مؤلفات الجاحظ في خلال الاحتفال بذكرى وفاته المائة بعد الالف هذا العام اثناء اسبوع العلم .



مضرب في طليعة الركب العلمي العربي كلية جديدة للطب في طنطا

الدكتور عمر الجارم
(القاهرة)

في شهر مارس 1969 احتفلت كلية طب طنطا بتخرج اول فوج فيها ، وهذه الكلية فرع من جامعة الاسكندرية التي رات ان تمد بفيض من علمها دلتا وادي النيل فاختارت مدينة طنطا التي تتوسط تلك الدلتا ، وهذه المدينة هي مدينة المعارف بالله السيد احمد البدوي
وقد التقى الاستاذ الدكتور عمر الجارم (استاذ الامراض المصيبة بكلية طب طنطا) هذه التصيدة في حفل كبير حضره وزير التعليم العالي ومدير الجامعة وعميد الكلية والخريجون واسرهم وجمع غفير من اهل مدينة طنطا ، وفيها يصف نشأة الكلية الجديدة ورحلته بالقطار (المجري) من الاسكندرية الى طنطا مع زملائه من اساتذة الجامعة :

روض فريد الطلع والازهار
ترنو رياض الارض نحو حصونه
ان قورنت يوما بصفحة حسنه
قد ساءلت مبهورة عن كنهه
اي المادان في ثراه ، فخصبه
اي السواقي قد روته ، فماؤها
اي السحاب امطرته ، وهل اتي
اي الطيور اتاه يوم حماده
هي قصة الجهد الطويل ، لو انه
جاءته جامعة بشفر طالما
انظر لشارتها فما تحكي لنا
اتكون بحرا بالمعارف زاخرا
دلتا لو ان النهر طوق وسطها
شنان بين الماء يروي شلة

في حينه آسى عجيب لمار
فتفار من نضج ومن انفجار
لبدت كيمص سباب وقفار
فلربما كشفت عن الاسرار
جمل الثمار تلوح كالاقمار ؟!
صبح الفروع بنفضة ونضار ؟!
افق السماء بديمة مدار ؟!
يشدو بلحن صبح من اشعار ؟!
من فرحنا يبدو كيمض نهار
قد ظل للعرفان خير منار
ممدود اشماغ على الاقطار
وتظل دلتا النيل في اقفار ؟!
لكنها ظمأى كارض بوار
والعلم يروي العقل بالانكار

يا طالما (طنطا) رنت في لهفة
فاذا بنبع قد تفجر عندها
يشفي بجرعته العليل ، كزمزم
كلية للطب ببارك حولها
بلغت تمام الرشد وهي وليدة
كم رحمت للتدريس اهرع نحوها
قد علمتني ان اقوم مبكرا
اصحو كما تصحو الطيور بايكها
فارى الطيبة وهي تبدأ صفحة
امضي لاقى في المحطة نخبة
ويكون اسبقنا المييد ، وانه
في خفة تبدو البدانة عندها
(لظفي) انت اخلاقه وفق اسمه
ويقلنا (المجري) يجري مسرعا
من حولنا تبدو المناظر لوحة
توحي اليك النسر ، ان لم نعطه
نجيبه للطلاب جما شوقنا
هم قدروا السمي الكريم فاقبلوا
واليوم اولى ما يكون جزاؤهم
الاساءة مصر مصر لكم حبتكم فضلها
سبروا لمرضاهها بوسط حقولهم
وامضوا اليهم مسرعين اذا دعوا
انتم لهم لطف الاله اذا جرت
فترقبوا منه الجزاء ، ومن رجا
ما كانت النجدات منكم سلمة
وخلدو من الاخلاق ما يسمو بكم
لا تجملوا غير الضمير رقيبكم
عشتم لاوطان العروبة ، انها
كم آخر المرض الشعوب مراحلها

بميون محروم لجار يسار
فيضانه يربو على الانهار
تشفى من الالام والاوزار
(السيد البدوي) بالاذكار
قد لا يقاس النضج بالاممار
لا اشتكى نصبا من الاسفار
فرجمت اشبه في النشاط صفاري
ما اشبه الشمراء بالاطيار !
ابهى الجمال باول الاسطار
من صفوة الزملاء والاخييار
لكذلك نحو فضيلة وفخار
كالطيف ، او مثل النسيم الساري
في اللطف ، نعم الاسم من مختار
لكن بلا هز ودون غبار
قدسية والانق خط اطار
فتصوغ درا غاب عن (بشار)
ولديهم الاضماف في المقدار
بالقلب والاسماع والابصار
لقب الطبيب يحاط بالاكبار
وارى الوفاء شريفة الابرار
وتوفلوا في الكفر والدوار
وقت الظهيرة او لدى الاسحار
اقداره بحوادث وطواري
اجر الكريم ، يسف عن دينار
تشرى ، وما كنتم من التجار
في عصمة عن ذلة وصفار
وكذلك شان الفتية الاحرار
بكم تحقق انبل الاوطار
فامضوا بنا للسبق في المضمار

رِعاة الضكار...

للأستاذ أحمد بن شقرون

انعقد بفاي المؤتمر التاسيسي لجمعية الجامعة الاسلامية يوم 12 شتنبر 1969 ، وقد القى خلاله الأستاذ الحاج أحمد بن شقرون قصيدة رائعة حيي فيها لفة الضاد والساهرين على علومها والانطلاقة الجديدة للاسلام ، ونحن ننشر منها ما يلي :

جهابد الراي في دنيا الميامين
من ارض فاس الى شرق الى صين
الناهضين بها طول الاحايين
تقدرهم فهم فرسان تمكين
والسلسل العذب ترني افانين
في جامعات جبتنا بالرياحين
خفاقة تنهادي في الميادين
تفوق في المد اضعاف الملايين
فير الكتاب وقول بمد سنون
يكل عن وصفه تصوير تدويني
نحو الشواطئ حفرا من ربايين
في عالم مائج بالشر مفتون
على سواء باقطاب ميامين
تفور ملهبة انات محزون
يعيث فيه فسادا رهط صهيون
جيش الفداء على رهط الملايين
فتلقم الفدر فوهات البراكين
لرشق رهط الاذي بالخرزي والهون
وجددوا العزم فازوا في التعارين

حي الحماة : حماة العلم والدين
حي السراة : سراة الفهم عن ثقة
حي الهداة رعاة في مواكبهم
حي الرعاة : وهاة الضاد تكرمة
بلاغة الكلم المصقول نطقهم
ولم تزل باقة الاسلام يانمة
وفوقها راية الاسلام لامعة
وهذا امة الاسلام حائرة
وليس ينقلها من حيرة واسى
في الصدر نور وفي التفكير منطلق
مراكب الدين والاسلام ماضية
بين الضلال وبين الرشده معركة
لكن كفة هذا الدين راجحة
في الشرق اخواننا يذكون معركة
والقدس مسرى رسول الله منكسر
وامة العرب والاسلام بسندها
تقاوم الشر اني هاج مندلما
ملا وسيفا واقلاما مجندة
لو اجمع المسلمون اليوم امرهم

على هامش المؤتمر الثالث للمستعربين

الاستشراف في الإتحاد السوفياتي

لرسلنا في موسكو
الأستاذ كيفورك ميناجيان

وقد نظم المؤتمر الثالث ، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، وأكاديمية العلوم في جمهورية أرمينيا السوفياتية ، والجامعة الحكومية في بريغان .

وافتح المؤتمر في قاعة المؤتمرات التابعة لأكاديمية العلوم الأرمينية ، مس . الهايان الأكاديمي وأمين المجلس العلمي لقسم العلوم الاجتماعية في أكاديمية العلوم الأرمينية ، وكان من بين المشتركين في المؤتمر ممثلو علماء مختلف الأجيال الذين جاءوا للاشتراك في المؤتمر من أكبر مراكز الاستشراف والاستعراب في الاتحاد السوفياتي : موسكو ، وليننجراد ، وياكو وطشقند ، ودوشانبي ، وبيليسي ، ومحج قلعة ، وطبعاً من بريغان التي نظم ابتداء أعمال المؤتمر خير تنظيم ، واستقبلت أبناء مختلف الجمهوريات والمدن أحسن استقبال ، واستضافتهم أكرم ضيافة . وكان عدد المشتركين يربو على 130 شخصاً . وقد تليت في الجلسة الافتتاحية بقرينات التحية التي بعثت بها مختلف المؤسسات العلمية والدوائر الرسمية وجمعيات الصداقة العربية السوفياتية وغير ذلك . والقى كلمة في الجلسة الافتتاحية يفجيني لبيديف رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراسات الشرقية لأكاديمية العلوم السوفياتية والدكتور جريجوري شريباتوف الأستاذ في معهد اللغات الشرقية في موسكو . وتحدث يفجيني لبيديف عن الدراسات العربية في التاريخ والاقتصاد ، خلال الفترة الواقعة بين المؤتمر الثاني والمؤتمر الثالث . وأشار إلى أن المستعربين السوفياتيين قد

أصبح من التقاليد التي تحظى باحترام خاص بين الأوساط العلمية ، وخاصة بين المستعربين والمستعربين ، انعقاد مؤتمرات المستعربين في الاتحاد السوفياتي ، الذي ينظم كل 3 - 4 سنوات . وهدف هذه المؤتمرات ، هو استعراض كل ما توصل إليه العلماء المستعربون من دراسات وكشوف وأبحاث ، وتبادل الخبرة والمعرفة في مجال الدراسات العربية من تاريخ واقتصاد وأدب ولغة وفنر ذلك . وقد أظهرت التجربة أنها مفيدة للغاية وتساعد على تنسيق الدراسات والبحوث والكشوف ، وهي حافز معنوي وعلمي لتطوير هذا الفرع من العلوم الاجتماعية الذي له مكانة خاصة . ويعود السبب إلى أن الاستعراب في الاتحاد السوفياتي علم مريق له جذور عميقة ومتشعبة في كل أرجاء الاتحاد السوفياتي ، كما لا ننسى العلاقات الأخوية التي تقوم بين شعوب الاتحاد السوفياتي وشعوب البلدان العربية ، تلك العلاقات التي تقوى وتصلد من سنة لأخرى بل من يوم لأخر . وكلما تعمقت وتوسعت العلاقات المذكورة ، زادت الحاجة إلى توسيع وتقوية هذا الفرع من العلوم .

وها نحن نقرا في الجرائد ونستمع إلى الإذاعات ، فنعلم أن المؤتمر الثالث للمستعربين في الاتحاد السوفياتي قد انعقد في الفترة الواقعة بين 23 و 28 يونيو عام 1969 في مدينة بريغان عاصمة جمهورية أرمينيا السوفياتية ، بقرار اتخذ في المؤتمر الثاني للمستعربين السوفياتيين الذي انعقد في مدينة تبليي عاصمة جورجيا السوفياتية .

قطعوا شوطا كبيرا خلال هذه المدة القصيرة نسبيا فنشروا اكثر من الف مؤلف وبحث . اما الاستاذ جريجوري شرباتوف ، فقد تحدث في خطابه عن البحوث ، مجال اللغة العربية والادب ، التي قام بها العلماء السوفييتيون خلال نفس الفترة ، وآفاق الدراسات العربية وبعض مشاكلها ومهمتها في المستقبل .

وافتنحت الجلسة المسائية لليوم الاول ، بمحاضرة عامة ذات أهمية خاصة في موضوع « بعض نواحي النزاع العربي الاسرائيلي » القاها الدكتور ايجور بيليايف عضو هيئة تحرير صحيفة البرافدا . وقد حلل المحاضر كل مراحل الازمة في الشرق الاوسط ، واسباب نشوب الازمة ودوافعها ، ثم كشف القطاع عن نوايا الامبريالية العالمية من وراء هذه الازمة ، وأورد اثباتات لا تحصى ، للنشاط المعادي للسلام والتحرر الوطني والقوى الديمقراطية والتيارات التقدمية ، الذي تقوم به اسرائيل . كما اثبت ان مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا البترولية في منطقة الشرق العربي ، أصبحت مهددة وفي خطر جسيم ، وكيف ان الامبريالية العالمية ، تبنت هذه العملية المخالفة للعرف الدولي . كما اثبت ان العرب لم يخسروا حرب يونيو عام 1967 ، بل ان العمليات العربية توفقت على خط الجبهة بقرار مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة ، ولذلك يجب ان تحل هذه المسألة بوساطة هذه المنظمة العالمية . اما ما يخص مطالبة اسرائيل الباطلة « بالمفاوضات المباشرة » ، فهي مناورة دورية ، الغرض منها احباط الحل السلمي لازمة الشرق الاوسط . ووصل المحاضر الى نتيجة بديهية لا مفر منها ، وهي ان تنفذ اسرائيل قرارات هيئة الامم المتحدة .

وبعد ذلك ، انقسم المؤتمر الى فروع متخصصة: التاريخ ، الاقتصاد ، الادب ، اللغة ، اللغات السامية ، تاريخ العلوم والمواد المساعدة . ومين لكل فرع مجلس رئاسة ، ثم بدأت الفروع عملها في قاعات مختلفة بجامعة بريغان .

والقيت في فرع التاريخ محاضرات هامة لمشاهير العلماء السوفييت ، منها : محاضرة الاستاذ داترج « من تاريخ العلاقات السوفيتية المغربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين » ومحاضرة الدكتورة ناتاليا خميليايا « الدولة الجزائرية للامير عبد القادر وتقديره من قبل علماء التاريخ

الفرنسيين » ، ومحاضرة الاستاذ ناتاليا لوسكابا « فلاديمير لينين من المغرب » ، ومحاضرة رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراسات الشرقية بفجيني ليبيديف « بعض وقائع أزمة زيادة عدد السكان في البلدان العربية » ، ومحاضرة بونداريفسكي « حركة التحرر في اليمن وسياسة انجلترا الكولونيالية في اواخر القرن 19 » ، ومحاضرة ديرمجرد بنشيان « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في هيئة الامم المتحدة » ومحاضرة سيرانيان « تكون الجبهة الوطنية في الجمهورية العربية المتحدة في عام 1946 » ، ومحاضرة منيشاشفيلي « حركة التحرر الوطني في العراق في اعوام 1900 - 1914 » ، وغير ذلك من المحاضرات المديدة .

كما استمع المشتركون في فرع الاقتصاد الى محاضرات شيقة تثير اهتمام المستمع من الناحية العملية منها مثلا : محاضرة الدكتور روبين اندرياسيان « نضال بلدان الشرق العربي من اجل خلق اقتصاد بترولي مستقل » ، ومحاضرة فالينتين مياسنيكوف « تطور القطاع الحكومي في اقتصاد بعض الدول العربية التقدمية » ، ومحاضرة ارشاروني « بترول الصحراء واقتصاد بلدان شمال افريقيا » ، ومحاضرة شميليوف « التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية » ، ومحاضرة ميلكوميان « مكان التعاونيات الزراعية في اقتصاد تونس المعاصرة » ، وغير ذلك .

وفي فرع الادب ، القيت محاضرات لفتت اهتمام المشتركين ، بسبب المستوى العالي للدراسات والتحليلات ، منها مثلا محاضرة شكرويفا « حول المنهج الاساسي لرسالة الفران لامي العلاء المرعي » ، ومحاضرة يونسوف « الواقعية في مسرحيات توفيق الحكيم » ، ومحاضرة فاتييف « المشاكل الاجتماعية في القصص القصيرة بعد الحرب في الجمهورية العربية المتحدة » ، ومحاضرة ساكيان « محمد صالح بحر العلوم » ، ومحاضرة كيربيتشينكو « الشعب وطبقة المثقفين في نتاج يوسف ادريس » ، ومحاضرة ايمانجوليفا « عن ظهور وتطور الادب العربي في اسبانيا » ، ومحاضرة دفوريانكوف « تأثير الاسلام واللغة العربية على الشعر الافغاني في القرون 8 - 12 » ، وغيرها الكثير من المحاضرات التي لا يسعنا المجال لذكرها .

اما فرع اللغة الذي اشتركت فيه ، نستوقف عنده لنصف اعماله وصفا اوسع . كان عدد المشتركين

في هذا الفرع كبيرا ، يضم مشاهير العلماء في اللغة ، وكانت المحاضرات تبحث في مواضيع :

(ا) دراسة اللغة العربية الفصحى (النحو والصرف) .

(ب) دراسة تاريخ اللغة العربية ومقارنتها مع اللغات السامية الاخرى .

(ج) دراسة اللهجات العربية الحديثة .

(د) اساليب تدريس اللغة العربية لغير العرب في المعاهد السوفيتية .

(هـ) مسألة المصطلحات العلمية .

(و) دراسة المخطوطات العربية ، وغير ذلك من

القضايا اللغوية . ونذكر من بين المحاضرات التي برزت

في فرع اللغة : محاضرة الدكتور هراثش جابوتشيان

« ازمة الفعل في اللغة العربية » ، وقد حلل المحاضر

الصيغ المختلفة للفعل في اللغة العربية من حيث الزمن ،

وحاول في بحثه ، مقارنة هذه الصيغ من حيث بنائها

مع صيغ اللغات الهنداوروبية . وقد توصل الباحث

الى ان تركيب « كان يكتب » ، عبارة عن وحدة نحوية

(Syntactical unit) وليس وحدة صرفية

(Morphological unit) كما كان يعتقد بعض

علماء اللغة . والجدير بالذكر ان هذا الرأي ينطبق

وراي النحويين العرب في القرون الوسطى . ومحاضرة

الدكتور فلاديمير بيلكين « مراحل تطور اللغة العربية

الفصحى » وقد حلل المحاضر هذه المراحل من

الناحية التاريخية ، وحاول ايجاد تصنيفات لكل

مرحلة . ومحاضرة الاستاذ محمدوف من اليريبجان

« تجربة تأليف كتب تدريس اللغة العربية

للادريجانيين » وقد عرض الاستاذ وجهة نظره

وخبرته التي تراكت مع مرور الزمن وقدم اقتراحات

لتحسين اساليب تدريس اللغة العربية وتأليف كتب

التدريس . ومحاضرة زاريني - زاده « مقارنة المعجم

العربي الادريجاني مع المنجد الابجدي » ، حيث عرض

وجهة نظره في مسائل النطق والترتيب الابجدي .

ومحاضرة الدكتور سيد كاملوف « اللغة والتعليم في

بلدان المغرب العربي » وقد اورد المحاضر وقائع هامة

في هذا الموضوع من دراسة في المؤلفات المغربية

ودراسته الخاصة خلال زيارته لهذه البلدان .

ومحاضرة محمد المصراي « الكلمات المودالية

(Modal words) في اللهجة السورية » ، ويقصد

المحاضر بالكلمات المودالية ، الالفاظ التي تعبر عن

موقف المتكلم ، تجاه محتوى ما يقوله او درجة صحته

وهي اول محاولة في دراسة هذه الكلمات المودالية ،

وظيفتها الخاصة ، وقدم تحليلا لها من وجهة نظره

العلوم اللغوية المعاصرة . ومحاضرة كيغوروك ميناجيان

« الالفاظ العربية الدخيلة في اللغة الروسية » حيث

البت المحاضر تاريخيا ولفويا الطرق التي تسريت

خلالها الالفاظ العربية الى اللغة الروسية ، لان الروس

والعرب لم يحتكوا مع بعضهم البعض ولم تكن بينهم

علاقات تذكر . بيد ان انتشار اللغة العربية في بلدان

الشرق والغرب وتأثيرها على هذه اللغات كان عظيما

لدرجة انها ، اي اللغات الوسيطة ، نقلتها الى اللغة

الروسية . كما ان المؤلف اكتشف ان طابع الالفاظ

يتوقف على الطرق التي دخلت منها وقسمها الى

مجموعتين :

(ا) الفاظ علمية . (ب) الفاظ عامة .

واشار المحاضر الى دور الاسلام والحضارة

العربية في هذه العملية . وكانت هناك محاضرات لا

تقل اهمية عما ذكر ، ولكن الحديث من جميعها امر

صعب ، وخاصة على صفحات مجلة .

كما عمل بنشاط فرع علم اللغات السامية ،

وفرع تاريخ العلوم والمواد المساعدة ، حيث القيت

محاضرات لا تقل اهميتها عما ذكرنا سافا .

وفي اليوم الاخير من المؤتمر انعقدت الجلسة

الختامية ، ولقى فيها كل رؤساء لجان الفروع تقريرا

عن الفرع المسؤول عنه ، مقدرين تقديرا عاليا ابرز

المحاضرات ، والتي تستحق الذكر بصورة خاصة .

وبعد ذلك التي محاضرة هامة الاستاذ الكسندر

كوفاليوف مدير معهد اللغات الشرقية في موسكو ،

ذكر فيها خبرة الممهد في اعداد الملاكات السوفيتية

من مستعربين والمهام التي تقف امام المعهد ،

والصعاب التي يجب ايجاد حل لها ، بسبب زيادة

الحاجة الى الاختصاصيين ، لا سيما وان العلاقات

تتسع باستمرار ، وهذا بدوره يحتاج الى قوى اكثر

فاكثس .

واختتم المؤتمر رئيس مجلس الرئاسة : فقدر

اعمال المؤتمر خير تقدير : بصورة عامة ، وكل فرع

من الفروع بصورة خاصة : وأشار الى ان مستويات

البحوث لا شك انها مختلفة . ولكن مهما كان الامر ،

فان كل محاضرة اسهمت بقسط جدير في اعمال

المؤتمر بصورة خاصة : وتطوير الدراسات العربية في

الاتحاد السوفيتي بصورة عامة . ثم اتخذ قرار بنشر

هذه الابحاث في مجلدات خاصة ، ليستفيد منها كل

المختصين والمهتمين ، كما اتخذ قرار بمقد المؤتمر

الرابع في مدينة باكو عاصمة الادريجان السوفيتية .

فالى اللقاء حتى المؤتمر الرابع للمستعربين في

الاتحاد السوفيتي .

الدِّرَاسَاتِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلَامِيَّةِ

في اسكوتلندا

ترجمة وتحليل الدكتور الحاج مير

« يونا Iona » حيث اخذ بعض الشعب ثم انتقل الى انجلترا ليشرح بين الناس هناك ، وقد استقبلوه قبولا حسنا . واذا ما طرحنا الغموض جانبا ، فان اول مستشرق اسكوتلندي كان له شأن يذكر هو : ميخائيل سكوت Michael Scot الذي تجلس نشاطه حوالي عام 1200 م ولكنه كان قد اخذ او خيل للناس انه قد انغمز وبالاسف بأعمال السموذة والسكر فاصبحت له شهرة واسعة كساحر حتى انه حظي بمكانة رفيعة في جيم دانثي ، والسير والترسكوت استخدم - لحد بعيد - أسطورة « قصيدة المنشد الاخير » حيث يقول : لقد شق جبال ايلدون Eildon الى ثلاث وشكمن عنان نهر « التويد Tweed بصخرة » ، وهناك ادعاء اقل مبالغة يقول بانه « اقام لاصدقائه وليمة احضر اطباقتها بواسطة ارواح من مطابخ فرنسا واسبانيا الملكية » الامر الذي يعتبر بسيطا وليس بحاجة الى تفسير عن طريق الارواح . وفي القرن الثامن عشر، كانت اسبانيا الاسلامية متقدمة جدا على أوروبا الغربية : في فنون العيش الرفد وخاصة في ميدان التائق في الماكل والمشرب ، ومما لا شك فيه ان « ميخائيل سكوت » كان قد احضر معه من اسبانيا بعض الوصفات لاكلات جديدة غير معروفة بتاتا كما يفعل اليوم السياح المعاصرون عندما يفكرون بمفاجأة اصدقائهم باكلة Gazpacho الفاز باخو »

والحقيقة المعقولة عن سيرة «ميخائيل سكوت» هي انه درس العربية في طليطلة حيث التقى بفلاسفة مسلمين ويهود يتكلمون العربية فأصدر مع بعض

ان تدشين اول كرسي للدراسات العربية الاسلامية في اسكوتلندا (11)، كان فرمة مناسبة للاطلاع على ما سبق للاسكوتلانديين ان انجزوه في هذا المضمار وفي نفس الوقت تقديرا للأمال المنوطة بهذه الدراسات في المستقبل . وسأبين هنا كيف ان الدراسات العربية التي قام بها الاسكوتلانديون ترجع الى عهد يتوغل في القدم حتى يكاد يتوارى في ضباب الاساطير ، ولذا فلا يمكننا ان ندعي وجود اية صلة مباشرة مع محمد نفسه . وعلى كل فهناك مصدر يحيط به الالتباس ويندرنا بتحويل الرسول الى بطل قومي اسكوتلندي .

وكان مؤلفو الكتب التاريخية المقررة للمدارس الابتدائية في اسكوتلندا قد سبقوا كليات التاريخ في الجامعات بتوسيعهم افق نظرهم في اوروبا في فياهب القرون الخوالي وربما سمعوا النقاش الذي احتدم سنوات حول قوانين حمورابي .

ان المصدر الحقيقي للارتباك الذي يهمننا اليوم هو ان الفصل الذي يعالج « كولومبا في يونا » في هذه الكتب المقررة يمهّد الى ان يتبعه فصل من محمد وأصل الاسلام . وقد ظهر الجواب عن هذا فعلا منذ بضع سنين في مدرسة بمدينة ادنبره Edinburgh

يقول : « كان محمد مسؤولا عن انتشار المسيحية في انجلترا ، اذ كان عليه ان يهاجر من بلده الاصلي لان الناس لم يصدقوه . وقد اصطحب معه «بابا» كان اسمه غريغوري . وقد نزلا في مكان يدعى اليوم

(1) المقال للسيد W. Montgomery Watt استاذ العربية والدراسات الاسلامية في جامعة ادنبره (اسكوتلندا)

منهمكين في العمل . واذا ما لاحظنا استقامتهم وعفتهم وطبعمهم للنفس وغيرها من الفضائل الخلقية اعترانا الخجل بموقفنا الفاتر من الاخلاص والبر ومن تصفنا وافرطنا في السكر والدعارة والجور . ومما لا شك فيه ، ان اخلاصهم وتقواهم واعمال الرحمة بينهم من الاسباب الاصلية لعظمة الاسلام في حين ان اهمالنا للدين وفجورنا في الحديث ، عقبة كاداء في سبيل ظهور المسيحية . وهناك آراء كثيرة من هذا النوع في كتاب آخر ويدعى بالافريقية Pansebaia اي رأي في جميع كتب العالم الدينية ، وضمه نفس المؤلف اثناء مناقشته لاسباب انتشار الاسلام . ويقال بان هذا الكتاب كان اول مؤلف ظهر في اوربا حول الديانات المقارنة . وقد ترجم الى الالمانية ومن النقاط الهامة فيه ان المؤلف يدرج الاسلام - ويسميه « المحمدية » - مع المسيحية تحت عنوان « اديان اوروبا » . لكن هذا لا يبشر دهشتنا بالطبع عندما نذكر ان الكتاب كان قد نشر عام 1653 اي عندما كانت الدولة العثمانية في اوربا الوسطى في اوج عظمتها .

وبعد مرور قرنين تقريبا على ظهور «البانسبايا» ، كانت مشاطرة الاسكوتلنديين قليلة في تقدم الدراسات الاسلامية الباطنية بين علماء الغرب المسيحي ، وخلال هذه الفترة كان قد طرا تقدم في جمع المعلومات الصحيحة حول تاريخ وعادات ومؤسسات المسلمين . لكن هناك صورة مشوهة عن الاسلام وعن اخلاق مؤسسيه ، كان قد ثارتها الفرييون من القرون الوسطى ، وهذه الصورة ولدت اثرا كان من الصعب التخلص منه . وفي عام 1697 وضع السيد همفري بريدو اف نورويش Humphrey Prideaux of Norwich

كتبا قيما عن محمد بعنوان « طبيعة التدجيل الواضحة في حياة محمد » . وبالرغم من صبغة الكتاب العلمية فقد كان مقدما سبابا . وكان من المنتظر ان يكون رأي مفكر خرم منذ ادوارد غيبون Gibbon في غير مصلحة الرسول فهو يرى ان الرسول في تصرفه الشخصي قد انفس في الشهوات كانسان واساء استعمال ادعائه كرسول » وان مفاهيم كهذه لتراجع الى عهد كانت المسيحية فيه تشعر بانها مهددة من قبل الاسلام حربيا وروحيا كما ظهر ذلك مفصلا في كتاب نشر منذ بضع سنين في مطبعة جامعة ادنبره .

الدين تعاونوا معه الترجمات اللاتينية الاولى لبعض مؤلفات ارسطو ، والتعليقات العربية التي كانت قد وضعت حولها .

ومنذ ذلك ولبضع قرون اخرى لم يعد هنالك اي اهتمام اسكوتلندي بالعربية وذلك اما بسبب التخوف من خطر التورط في الفنون السوداء (السحر والشعوذة) واما لاسباب اكثر تفاهة ، وربما كان رئيس الاساقفة لود قد تابع امر انشاء كرسي للعربية في اوكسفورد وآخر في ادنبره لولا ان جيني فيدس Jenny Geddes كان قد رفض ذلك الكرسي احتجاجا على طقوسه الدينية اسكندروس Alexander Ross وبعد هذا بفترة قصيرة اي في عام 1649 كان هنالك عالم اسكوتلندي يدعى اسكندر روس قد اخذ يهتم بالدين الاسلامي حتى قام بترجمة القراءن من الفرنسية الى الانجليزية ولكن الشك في كل ما هو اسلامي (الذي ورثه الاوربيون بتاثير الدعاية التي اثارها الحروب الصليبية) كان لا يزال قويا مما جعل روس يفكر بانه من الاصوب ان يضع لترجمته عنوانا سهلا : وهو « تحذير ضروري لاولئك الذين يرغبون في معرفة هل هنالك فائدة او خطر في قراءة القراءن . وقد تحدث في افتتاحية هذا المقال عن الرجل العربي العظيم ، اي محمد الذي وصل بعد مرور الف سنة - عن طريق فرنسا - الى انجلترا ، وعن قرآنه المشحون بالاخطاء والذي هو وليد مشوه كوالديه ومفعم بالهرطقات .

ومن الممكن ان يكون الكثير من هذا القدر يهدف لاختاد الانتقادات العدائية . ان نظرة روس للمسلمين كانت نظرة احترام وقد سبق بيير بيل Pierre Bayle صاحب « القاموس Dictionary الشهير باستخدامه فضائل الاسلام كعمول يشهر به نقائص المسيحية المعاصرة . وكما اننا عند قراءتنا للقراءن ، نجد الكثير من التشويبات تقع فيه ايضا على بعض الجواهر من الفضائل المسيحية . والواقع ان المسيحيين لو ارادوا قراءته وملاحظة شرائع المسلمين وسيرهم بجهد ، لوجدوا عندما يظلمون على حماس المسلمين في اعمال الورع والتقوى والاحسان وعلى ما يتصفون به من الاخلاص والنظافة والوقار في مساجدهم وكذلك مدى طاعتهم لسيوخم حتى ان التركي العظيم اي السلطان نفسه ، لا يقوم باي اجراء قبل مشورة المفتي ، وكذلك كيف ان المسلمين حريصون على مراعاة ساعات الصلاة خمس مرات في اليوم حيثما كانوا وكيفما كانوا

وكان الاسلام اذ ذاك مهيبا جدا الامر الذي جعل الصورة المشوهة منه تتركز في مخيلة الغربيين حتى انهم لم ينجوا من غوائلها تماما الى الان .

ولكن تقديرا عظيما كان قد وقع حينذاك في تصحيح التشويهات وذلك على يد الكاتب الاسكتلندي الشهير طوماس كارليل Thomas Carlyle وكارليل هذا لم يكن مستشرقاً في اللغة العربية او الاسلاميات . وكان قد التى في الثاني من شهر ماي 1830 ، سلسلة من المحاضرات عن « الإبطال وعبادة البطولة في التاريخ » فكان من نصيب الرسول والاسلام المحاضرة الثانية بعنوان : « البطل كئيب » وكان كارليل قد قرأ كتابا او اثنين من الكتب العلمية الرزينة التي استطاع الحصول عليها في اللغتين الانجليزية والالمانية . وقبل ذلك طالع القراءان من طريق ترجمة جورج سال George Sale معاولا ان يجدد لنفسه تجربة الرسول الدينية الاساسية غير انه لم يجد القراءان سهل القراءة ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « يجب ان اصرح بان فراءته تتطلب مني جهودا عظيمة . فهو خليط مشوس وغير منتظم فيه تكرر لا نهاية له كما انه طويل النفس ومبهم وليس هنالك ما يدفع بالاوربي لقراءته سوى الشعور بالواجب . وانا لنجد فيه كما يمكننا ان نجد في اي وثيقة حكومية كميات لا تقرا من سقط المتاع من شأنها ان تجعلنا نأخذ بعض اللحاحات من انسان عظيم .

ومع ذلك فان هذه المحاضرة كان لها قيمتها لان صاحبها كارليل هو الرجل الاول - من ذوي الشهرة العظيمة في اوربا - الذي كانت له الجرأة على التصريح علنا وبصورة مؤكدة بأنه يعتقد بأن محمداً كان مخلصا كما ان اشخاصا امثال ليبنتز Leibniz وكانت Kant وغوته Goethe كانوا على استعداد للموافقة على ان الاسلام كان تعبيراً للدين الصحيح وكارليل كان يتأثر بغوته Goethe في هذه النقطة اذ اشار اليه مرتين في المحاضرة .

وعلى كل فان مساهمة كارليل الاساسية كانت عبارة عن تمبير تخيلي لتجربة الرسول الروحية وعلى حد تمبيره اي كارليل « تجربة هذا القلب العظيم المتوقد الذي يغلي ويخطف كاتون عظيم من الافكار . ان اعادة بناء تجربة الرسول لم تكن ولا شك منطبقة واوصاف المنظر العربي الخلفي (الوضع العربي اذ ذاك) .

ومن بعض الجهات يمكننا القول بأن محمداً كان العماد الذي تركز عليه آراء كارليل ، وهكذا فان فيه المعلومات المفصلة الكافية التي تجعلنا ننظر اليه كاحتجاج صريح ضد تشويه صفة الرسول كما هي في الصورة التقليدية ، وهي ولا شك مساهمة مخلص في فهم شخصية الرسول والاسلام فهما اكثر موضوعية .

وهكذا نراه يقول عن الرسول : فهو ليس باصدق الرسل طبعا لكني اعترف به كئيب صادق وعندما اشار كارليل الى اسطورة الحمامة التي دربها محمد لتلتقط الحب من اذنه والتي كانت ملاكا يملئ عليه قال :

لقد حان الوقت لمحو كل هذا اذ ان الكلمة التي القاها هذا الرجل قد جذبت الى الاسلام مائة وثمانين مليوناً من البشر في بحر الانبياء عشر قرناً ، وان عدداً اكثر من المخلوقات تدكهم العقيدة في كلمة محمد اكثر من اي كلمة اخرى مهما كانت . ولذلك لا يمكننا ان نعتبر ان محمداً هذا كان تافها وممثلاً مسرحياً ومخططاً طموحاً .

والمسألة الصعبة التي القاها لم تكن تافهة ايضا بل كانت صوتاً جديداً ومختاراً ينبثق من الاعماق المجهولة؛ كتكتلة نارية من الحياة انطلقت من جوف الطبيعة نفسها .

ان هذا التقدير الايجابي الذي اظهره كارليل لمحمد ، نجد له صدى في تقدير ايجابي للمسلمين المعاصرين من قبل شخص نظر الى الاسلام من اسوأ ناحية وهذا الشخص هو دافيد لفنستون .

فقد كان يعرف ابعاد ما كانت تنطوي عليه تجارة الرقيق وهرتها كصنيع رجال من العرب يقطع النظر عن صفتهم الجنسية الحقيقية والكلمات الاخيرة التي دونها في يومياته هي الكلمات المنقوشة على ضريحه في كنيسة وستمنستر وهي :

« كل ما يمكن ان اضيفه في وحدتي هو اللهم ارسل شاييب رحمتك الواسعة على كل انسان امريكي كان او انجليزيا او تركيا (مسلماً) ممن يساعد على تضسيد الجرح المفتوح في جثمان هذا العالم » .

وهذه هي العادة القديمة المتبعة التي كانت تستعمل فيها لفظة «تركي» بمعنى «مسلم» وهي

التبشير . وتحت رعاية «كنيسة اسكتلندا الحرة» اخذ يهيء على نفقته التدايبر الاولية للقيام برسالية تبشيرية في جنوب بلاد العرب حيث اقام بعض المنشآت في بلدة «الشيخ عثمان» قرب عدن ، لكنه توفي بتأثير جرثومة مبهمة وهو لا يزال في سن الواحدة والثلاثين ، وكان قبل وفاته قد نشر كتابا علميا وتم تعيينه ليملا « كرسي اللورد المونر » للعربية في كامبردج .

وكان هذا الكرسي الذي انشأه فيما بعد ، لا يتطلب من صاحبه سوى القاء محاضرة واحدة في بحر كل عام دراسي ، وقد ادرك كيت فالكونر بانه اذا ما اختار اوقات عمله بعناية يصبح بإمكانه اذا اقتضى الامر ان يقضي سنة وثلاثة ارباع السنة بصورة متواصلة في جنوب بلاد العرب دون ان يقصر بالواجبات التي يقتضيها كرسيه .

ومما صرح به آنذاك عندما كان يتفرس في زوجته العربية : « على كتب النحو العربية ان تكون متينة التجليد لان متعلمي العربية سيجدون انفسهم مضطرين الى قذفها بشدة على الارض وقد تحول جون كين فالكونر من اعمال التبشير الى العمل الاكاديمي وهي الفترة التي ندهوها في تاريخ الدراسات العربية في كامبردج ب « الفترة الاسكتلندية للدراسات العربية » ومن اساتذة كمبردج الاولين في هذا الباب ولیم رایت William Wright (1889 - 1830)

فقد كان والده ضابطا في خدمة « شركة الهند الشرقية » وامه ابنة حاكم هولندي للسيفال ، وتشجيع والده التي كانت هي نفسها مستشركة قديرة تخصص « رایت » في اللغات السامية في سنت اندرو ثم تابع دراسته في جامعتي هال Halle وبعد اشتغاله كأستاذ في لندن London وليبريغ Leipzig ودبلن Dublin ومراكز اخرى اصبح عام 1870 استاذ العربية للسير طوماس آدام في كامبردج . وظل في هذا الكرسي 17 عاما بلغت اناءها شهرته ذروة لم يصلها احد بعده . ومع انه نشر عدة نصوص عربية كانت تعتبر على جانب عظيم من الاهمية اذ ذلك ، فاننا لا نزال نذكره اليوم بفضل كتابه في النحو العربي الذي لا يزال متعة في حياة الطالب . والذي هو « مترجم عن كتاب كاسباري Caspari الألماني مع كثير من الاضافات والتصحيحات » ولكنه في الواقع من انتاجه ، وبفضله

ضوء ما سبق نرى كيف ان ليفنستون كان يقدر القيم الاسلامية حتى انه كان يعتقد بإمكانية التعاون بين المسيحيين والمسلمين للقضاء على الرق .

ومن الطبيعي ان تنتقل من ليفنستون الى المبشرين الذين اضحى الكثير منهم ضليعا بالعربية والعلوم الاسلامية فنذكر منهم :

1 - جون هوج John Hogg (1833 - 1886)

2 - ر. ي. غاردنر R. W. Gardner

3 - اسكندر باترسون Alexander Paterson (1863 - 1933)

اما هوج فكان صبيا « فحاما » من مقاطعة است لوتيان في « اسكتلندا » ، ممن قاموا بعمل عظيم لحركة التبشير البرستيريانية الامريكية في مصر العليا . اما الاخران فقد بدءا عملهما في منطقة « الشيخ عثمان » التي سيأتي ذكرها فيما بعد ، وفيما بعد اصبح باترسون مسؤولا عن انشاء مستشفى في مدينة الخليل بفلسطين : وبامكاننا القول من جهة اخرى بان هنالك اثنين من المبشرين قد اجتازا عتبة العلم في الدراسات الاسلامية هما :

1 - تاميل فيردنير Temple Gardner (1873 - 1928)

2 - جون كيت فالكونر John Keith-Falconer (1856 - 1887)

وكان اصغرهما تاميل فيردنر - وهو ابن استاذ الطب في جامعة فلاسكو - قد كرس حياته لاهمال التبشير في القاهرة ، وقد بدأ عمله بداية طيبة بالكتابين الذين وضعهما وبمقال في مجلة « الاسلام » الالمانية مما يبشر بمستقبل زاهر لكن متطلبات عمله الإداري ووفاته وهو في سن الرابعة والخمسين حالت دون تضلمه العلمي من ان يشمر .

واشهر المبشرين هو النبيل جون كيت فالكونر وهو ايضا اكثرهم تنوعا ، وفي ايام دراسته في كلية هارو (Harrow) اصبح شغوفا بما كان يعرف اذ ذلك ب « رياضة السير على الدراجة » ، حتى انه كتب في ايام دراسته في جامعة كامبردج عدة مسابقات وانتصر على بطل العالم المتهن ببيع واحد او اثنين . وفي كامبردج درس اللاهوت ثم اللغات السامية لكنه اخذ يجذب تدريجيا الى اعمال

أخذ الطالب ينتمش من صدمة الفوضى في خضم
الإلغاز اللغوية .

خلف رايت في كرسية ، اسكوتلندي آخر هو « وليم
روبرتسون سميث » William Robertson Smith (1846 - 1894) الذي كان قد نبوا في الماضي
روبرتسون سميث الذي كان قد نبوا في الماضي
كرسي اللورد المونر Almcnor لفترة وجيزة ، ومع
ان مدة خدمته كانت قصيرة لكنها كانت مثيرة فقد
كان روبرستون ابن قسيس في « الكنيسة الحرة
كما كان هو نفسه قد تثقف ليصبح قسيسا ، وقد
فنى سميث سنتين استاذا مساعدا في الفلسفة
الطبيعية في جامعة ادنبره قبل ان يصبح استاذا
للغات الشرقية وتفسير العهد القديم في جامعته
ابردين Aberdeen وهو لا يزال نسي الرابعة
والعشرين من عمره .

وكان ذلك سنتي 1870 و 1881 حيث عزل
من كرسية لان آراء بشأن بعض تقط العهد القديم
كانت قد اعتبرت الحادية . وهناك ادركت كلا من
لندن وكامبردج عملاقة هذا العالم الذي طرد بهذه
الصورة من اسكوتلاندا فاتحت له الفرصة ليقضي
اكثرية ما تبقى من حياته في المدينة الاخيرة في
كامبردج حتى وفاته في عام 1894 وهو لا يزال في
سن الثامنة والاربعين . واحسن ما يعرف به هذا
المستشرق في ميدان اللغة العربية المحض هو
كتابه : « القرابة والزواج في بلاد العرب القديمة »
الذي صدر في عام 1885 ويعتبر كتابا رائدا يعتمد
فيه على المصادر العربية في موضوع نسبه اليوم ب
« الانثروبولوجيا الاجتماعية » اي علم الانسان
الاجتماعي .

ان طلاب اللغة التركية كانوا دائما اقل عددا
من طلاب اللغة العربية ولم يشتهر في هذا الميدان
سوى اسكوتلندي واحد هو الياس جيون
ويلكنسون جبب Elias John Willkonson Gibb
الذي ولد في غلاسكو عام 1857 وتثقف
فيها . وعن طريق « الف ليلة وليلة » وقع
تحت سحر الشرق . وفي سن الخامسة والعشرين
نشر مجلدا بعنوان « القصائد العثمانية » . وقبل
وفاته المبكر عام 1901 كان قد اكمل - هلاوة هلى
نشره كتابا اخرى - مؤلفه « تاريخ الشعر العثماني »

الذي ينم عن ثقافة عميقة مع تقدير لفن الجمال .
ولسخرية القدر اصبح اسمه معروفا بسبب وفاته
المبكر فقط الى ان امتد وشاع الى ما وراء الحلقة
المحدودة من المخلصين للشعر العثماني ، لكن امه
اوقفت باسمه منحة مالية تعرف ب « ذكرى جب »
وهي جمعية كانت قد نشرت ما يقرب من خمسين
مؤلفا هاما في اللغات العربية والفارسية والتركية ،
ولا تزال مستمرة في عملها .

اما مستشرق القرن التاسع عشر الاسكوتلندي
الذي ذاع صيته مع انه لم يكن استاذا للعربية فهو
السير وليم الذي بلغ مستوى اكاديميا ارفع من ذلك
بسبب انه كان عميدا لجامعة ادنبره لمدة 18 سنة (اي
ما بين 1885 ، 1903) .

وقد باشر السير وليم موير Sir William Muir
في اوقات فراغه - كموظف في الخدمة المدنية
في الهند كتابة مقالات عن حياة محمد اخذت تظهر
منذ عام 1855 في « مجلة كالكتا Calcutta Review
ثم تكاثرت حتى كونت اربعة مجلدات نشرت في لندن
امابين عامي 1858 - 1861 ، وقد تقع هذا الكتاب
في البدء مؤلفه ثم عقب عليه T. H. Weir of Glasgow
وفيما بعد ظهرت له ايضا طبعة اخيرة تقع في مجلد
واحد . وللاستاذ موير مؤلفات اخرى زادت نسي
شهرته كما كان يعمل في نفس الوقت - ويقدر
المستطاع - على تشجيع قضية جمعيات التبشير
المسيحي . وكمعيد لجامعة ادنبره يظهر بانه كان قد
مكن لمكتبها من اقتناء جميع المؤلفات الخاصة
بالمواضيع الاسلامية التي نشرت اذ ذاك في اوروبا
كما قدم فيما بعد كتبه المختصة بالاسلاميات وغيرها
من المواضيع لنفس المكتبة التي تكون فيها ما هو
معروف ب « مجموعة موير »

ومنذ 12 عاما اطلقت الجامعة اسم « معهد وليم
موير » على البناية التي تضم دوائر الدراسات
الشرقية . وكانت من عادة السيد وليم موير ان
يمتطي في كل صباح صهوة حصانه الابلق ليصل الى
الوادي القديم ثم يعود ، الامر الذي كان يضفي على
جو الجامعة لونا شرقيا زاهيا وبراقا .

وبعد هذه الفترة بقليل ظهر اسكوتلندي
آخر يدعى « دونكان بلاك مكدونالد »
Duncan Black Macdonald أصبح احد زعماء
الاختصاصيين بالدراسات الاسلامية في العالم وبقي

منسقة من قبل العلماء وستبقى في المستقبل بحاجة الى دراسة لتستغرق عدة اعوام اخرى . وقد سبق هذا العمل محاضرات Gunning التي نشرت بعنوان « اصل الاسلام في بيئته المسيحية » عام 1926 . وله كتاب آخر طبع بعد وفاته بعنوان « التعريف بالقروان » (1953) .

وكان شارل بل رجلا متواضعا حتى ان القليل من زملائه في ادنبره كان قد ادرك بأنه كان في موضوعه عملاقا لكن آراء العلماء بالطبع ترى هذه الامور من زاوية مختلفة . واني لا ازال اذكر السيدة بل وهي تتحدث بعاطفة قوية عن « تلك الاعوام العشرة الفظيمة » التي قضتها مع زوجها وهو هاروق في عملية الترجمة هذه ، لكن صدى هذه الشكوى سيبقى قائما عبر القرون . واسمحوا ان اقص عليكم بهذه المناسبة ان هناك عالما مسلما عاش في القرن الثامن اعتاد عندما يكون في البيت ان يضع كتبه حوله ويستغرق فيها لدرجة كانت تجعله ينسى كل ما له صلة بهذا العالم . وكانت له زوجة واحدة في حين انه كمسلم يجوز له شرعا ان يتزوج من اربعة ، لكن هذه الزوجة المسكينة خلدت ذكره عندما ابدت اذ ذلك هذه الملاحظة :

« يا لهذه الكتب ! فهي بالنسبة لي اقبح من ثلاث ضرات ! »

وهناك حقيقة اخرى حول ادنبره يمكن الاشارة اليها باختصار وتلك هي ان عميد الدراسات الاسلامية في العالم الناطق بالانجليزية ، السيد هاملتون جب ، الذي عمل استاذا في اوكسفورد ويمثل الآن في هارفارد بامريكا كان قد بدأ دراسته « العربية » هنا في ادنبره وتخرج منها بدرجة شرف .

والآن اعتقد ان ما ذكرناه فيه الكفاية عن الماضي فاسمحوا لي ان انتقل فيما تبقى من هذه المحاضرة الى الحاضر والمستقبل . واول ما يخطر على بالي « ماذا سيكون مصير الدراسات العربية والاسلامية اليوم وفي ما تبقى من هذا العصر ؟ »

ففي عصر الطائرة النفاثة ، نحن بعيدون جدا عن حصان السيد وليم موير الابلق كما هو بعيد عن شعوذة ميخائيل سكوت . لهذا فان الجهود الاكاديمية التي تطلبها الطائرة النفاثة قد اخذت تحظى الآن بالتقدير وان الخبراء لسي الشؤون الداخلية والامور العسكرية يؤكدون بان الضرورة

لبضعة اعوام استاذا في مدرسة المعلمين في هارتفورد من اعمال كونكاستكت والناشر للمجلة الربيعية المعروفة باسم : « العالم الاسلامي The Moslem World » واصبح فيما بعد الناشر المساعد في عمل علمي عظيم هو « الموسوعة الاسلامية » التي ساهم معه فيها العالم الفرنسي الشهير لويس ماسينيون المتوفى منذ سبعة اعوام . وبعد ان بلغ سن الثمانين وبموجب تقاليد الجامعات الاسكتلندية كانت العربية تدرس على الاغلب كموضوع ملحق للعربية كما ان كثيرا من اساتذة العربية كانوا هم ايضا اساتذة للعربية برغم انهم لم ينشروا اي شيء في هذا المضمار . ولكن هناك استثناء يستحق الذكر هو الاستاذ : وليم بارون ستيفنسون William Baron Stevenson

الذي عمل مدة طويلة كاستاذ في جامعة غلاسكو . ولا يزال كتابه « الصليبيون في انشراق » الذي ظهر في عام 1907 واعتمد فيه على مصادر عربية يحتفظ بقيمته العلمية حتى الآن . وقد كتب ايضا عن « المغان الاسلامية » ولا يعني بذلك بالطبع مفانن الجنس اللطيف الذي يضي النقاب عليه رونقا خاصا ساحرا . واللغة العربية اصبحت تدرس الآن مستقلة عن العبرانية في الجامعات الاسكتلندية كجامعة غلاسكو ، سن اندروز وابردين ، وكان لجامعة ادنبره كرسيا المستقل في اللغة العربية منذ 1913 اي منذ اكثر من نصف قرن وتذكر ممن اعتلى كرسي هذه المادة الاستاذ تريتون في هليكره ولندن ، وكان اول الاساتذة المستقلين في ادنبره .

ادوارد روبرتسون Edward Robertson الذي غادر ادنبره عام 1921 ليتسلم منصباً في « المتحف البريطاني » . وقد خلفه في الجامعة ، رشارد بل Richard Bell الذي كان يقال منه بأنه قد ينهج منهج كارليل لا في خصوص مدح الاسلام فقط بل لانه كان ايضا قبل تعيينه في جامعة ادنبره قسا في وامفري Wamphray التي تقع قريبا جدا من مسقط رأس كارليل مما ساعده على ان يكون دعامة قوية لجمعية كارليل في ادنبره . ومن طريق دراساته للقرآن كون بل Bell لنفسه شهرة هائلة . وكان غرضه ان يطبق على القرآن اساليب النقد العالي التي طبقت على التوراة وذلك ليثبت (ايما يزعم) كيف ان الآيات القصيرة التي تكون نصه الاصيلي قد طرا عليها تغيير جعلها ترتبط ببعضها لتكون النص الذي بين ايدينا . ان الترجمة في حد ذاتها عملية مفسنية تتطلب عناية خاصة كما انها لا تزال حتى الآن غير

وعلى كل فالهم ان تؤخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار . ويمكن ان يكون من الصحيح ان العالم اصبح يتكون حتى عام 1940 من بضع وحدات حضارية اهمها على راي الاستاذ توينبي هي :

- 1 - الحضارة الغربية اي (الاوروبية - الامريكية)
- 2 - المسيحية الارثوذكسية اي (جنوب شرقي أوروبا وروسيا)
- 3 - الهندوسية
- 4 - الشرق اقصوية
- 5 - الاسلامية المنتشرة من غرب افريقيا عبر الشرق الاوسط حتى ماليزيا واندونيسيا

وهناك مناطق تتداخل فيها حضارتان بسبب الاحتكاك بين هذه الحضارات وان كان هذا الاحتكاك حيث تحتفظ كل واحدة منها بخصائصها . والاستثناء الوحيد هنا هو ان الحضارة الغربية او الاورو - امريكية اخذت منذ بضعة قرون - وخاصة منذ عام 1800 - تتعدى اطارها لتنتشر في مناطق الحضارات الاخرى ثم ان علومها وتكنولوجياها قد اصبحت عالية في حين ان آراءها وقيمتها لم تحظ بنفس الدرجة من القبول . وبانهيار الامبريالية اي روح التوسع والاستعمار وظهور كثير من الدول المستقلة ، اخذت الحضارات القديمة تندمج لتعمل على اعادة تثبيت شخصيتها في هذا العالم التكنولوجي .

وهكذا فاننا نجد في عصر الطيارة النفاثة اليوم مظهرين متكاملين يتفقان وهذا الحوار :

- 1 - اختلاط عظيم بين البشر من اصول ثقافية متنوعة اي مختلفة .
- 2 - استعادة الشعور بضرورة تثبيت الهوية الشخصية عن طريق حضارات الشرق الاوسط وآسيا القديمة .
- 3 - وحتى ربما تشعر هذه الحضارات بان لها رسالة تهبها لبقية العالم .

وهكذا مع ان علمنا وتكنولوجيانا يعمان الكربة الارضية فان التقدم ربما لا يتم الا على حساب تقلص مواهب او خصائص انسانية اخرى . وهناك مبرر ضعيف يجعلنا نعتقد بان حضارتنا في جميع

الاستراتيجية كانت تتطلب ان يكون في البلاد اناس مزودون بمعرفة جيدة للغات الاسبوية والافريقية اكثر مما كان لدينا اذ ذلك . وعلى ضوء ذلك تم تعيين لجنة سكاربرو (Scarborough) التي ادى تقريرها الى توسيع في دراسات اللغات الشرقية في انحاء بريطانيا بعد الحرب وكان نصيب جامعة ادنبره من هذا التوسيع انها اضافت الى اللغات التي كانت تدرس الفارسية والتركية والاربية كما وسعت دائرة اللغة العربية والدراسات الاسلامية علاوة على انشاء دورة دراسية للحصول على « دكتوراه » في التاريخ الاسلامي .

وهناك مرحلة اخرى من التوسيع استهلكت بتقرير لجنة هايتر Hayter عام 1961 ، يتصل اكثره بجامعة ادنبره حيث تم انشاء مركز للدراسات الافريقية يبشر باهمية قصوى للمستقبل .

وبالاضافة الى شمال افريقيا المتمد من مصر الى المغرب والذي هو عربي ومسلم تماما ، فان العربية منتشرة في شرقي افريقيا وغربها .

ومن المعروف اليوم ان هنالك في افريقيا الغربية بضعة آلاف من المخطوطات والوثائق العربية لا تزال غير منسقة كما ان الاسلام اخذ ينتشر في القسم الجنوبي من افريقيا الصحراوية بخطوات اسرع من المسيحية .

وقبل عام او عامين ، كان ما يقرب من ثلثي رؤساء الدول المستقلة في افريقيا مسلما ، وعند نهاية القرن ، من المحتمل ان يصبح الاسلام الدين السائد في افريقيا . ولهذا فان من المنتظر ان يكون مسرح التطورات الهامة في الحضيرة الاسلامية في بحر السنوات العشرة القادمة ، في افريقيا .

ولبواث من هذا القبيل ، من المحتمل ان يكون للجمع بين الدائرة العربية ومركز الدراسات الافريقية اثره في زيادة ثمار الاستشراق في المستقبل ثم ان عدد ما وراء البحار في بريطانيا اخذ في الازدياد بصورة مستمرة كما يزداد ايضا عدد المستوطنين غير الاوروبيين القادمين من مختلف انحاء الكومنولث البريطاني .

وان تبادل الاساتذة والعلماء اصبح امرا جاريا به العمل كما اصبح هنالك اعتماد عظيم بين سواد الشعب لقضاء بضع سنين في بلد اجنبي .

ان تجهز الرجل المثقف في عصر « النفايات » بشيء من التقدير العميق لتلك الحضارات .

وقد أصبح علينا ان نتطلع الى الوقت الذي سيصبح فيه تراث الحضارة الاسلامية مع تراث حضارة اسيوية اخرى يدرسان ويحترمان جنباً لجنب مع الحضارتين الافريقية والرومانية كدراسات كلاسيكية لعالم واحد .

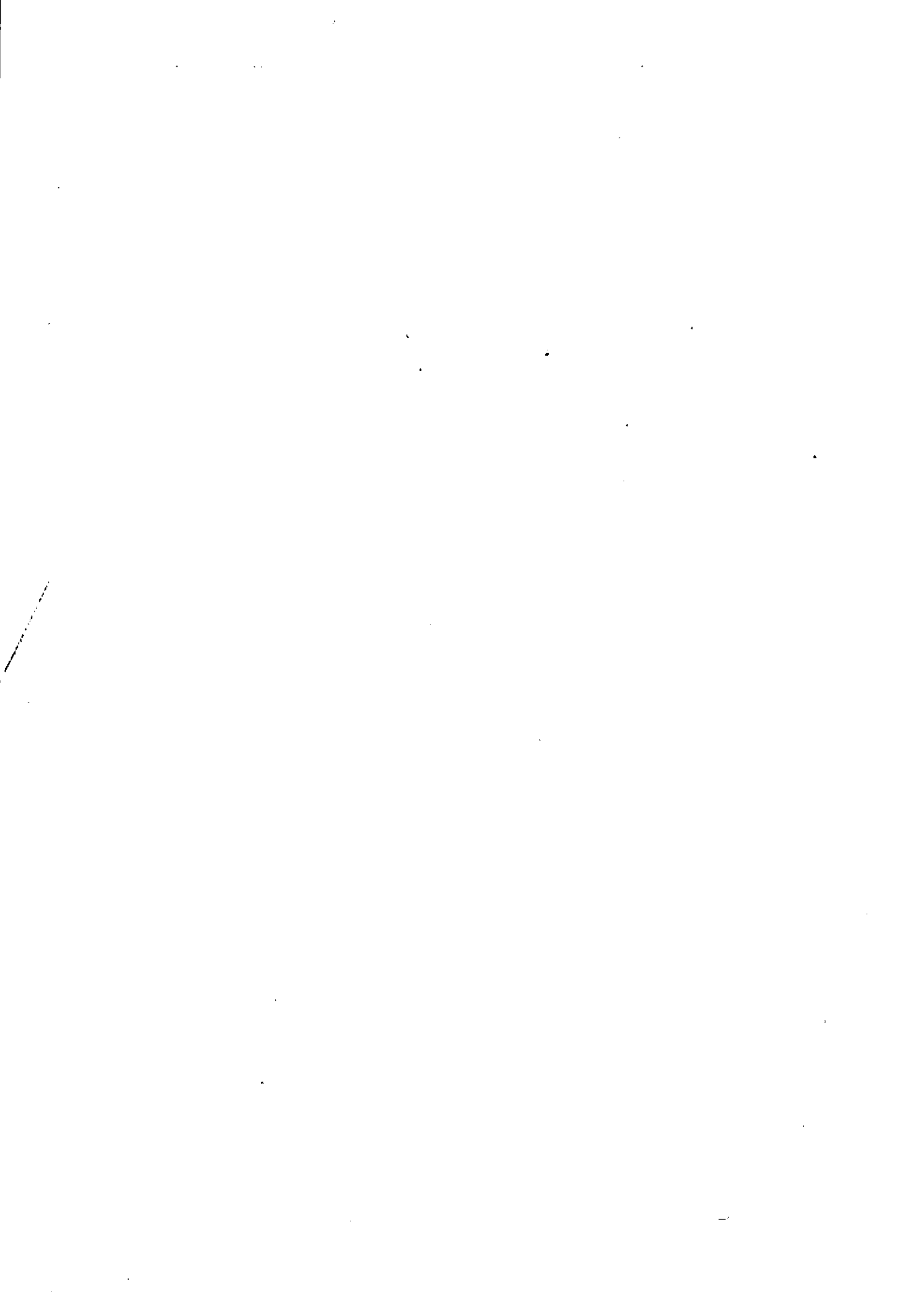
وعندما يصبح مفهوم «الدراسات الكلاسيكية» اي القديمة على هذا الخط الواسع سيؤثر ولا شك على التربية المدرسية .

وها نحن نرى كيف ان بعض اللغات الشرقية الصعبة اصبحت لاسباب عملية ايضا - تعلم في بعض المدارس . هنالك مدرسة انجليزية واحدة لديها صفوف في اللغة الصينية في حين ان عددا عظيما من المدارس العالية في شرقي الولايات المتحدة تعلم اللغة العربية . وهنالك ، كما ذكرت ، اسباب تربوية لوقوع تقدم كهذا .

واني اود بعد هذه اللحظة التي مرصتها من المناهضة الاسكوتلاندية الواسعة في الدراسات الاسلامية ان اوصي المديرين والمديرات بادخال العربية (او الصينية او السنسكريتية) في مدارسهم . فالعربية اسهل من الصينية وان نحوها يحوي شواذ اقل مما هي عليه في الفرنسية كما ان كتابتها ليسب باصعب من الاختزال . لكن مفرداتها هي ولا شك ثنية جدا نعم ان العربية في المدرسة لن تكون ذات فائدة عملية لكنها تكون مساهمة قيمة في الثقافة باوسع واعمق معانيها . وفي الختام فاني ارجو ان تلعب اسكوتلندا دورا هاما في العمل المستمر وذلك في جمل الاوروبيين والامريكان ببلغون درجة اعمق في تقدير القيم البعيدة المدى للحضارة الاسلامية .

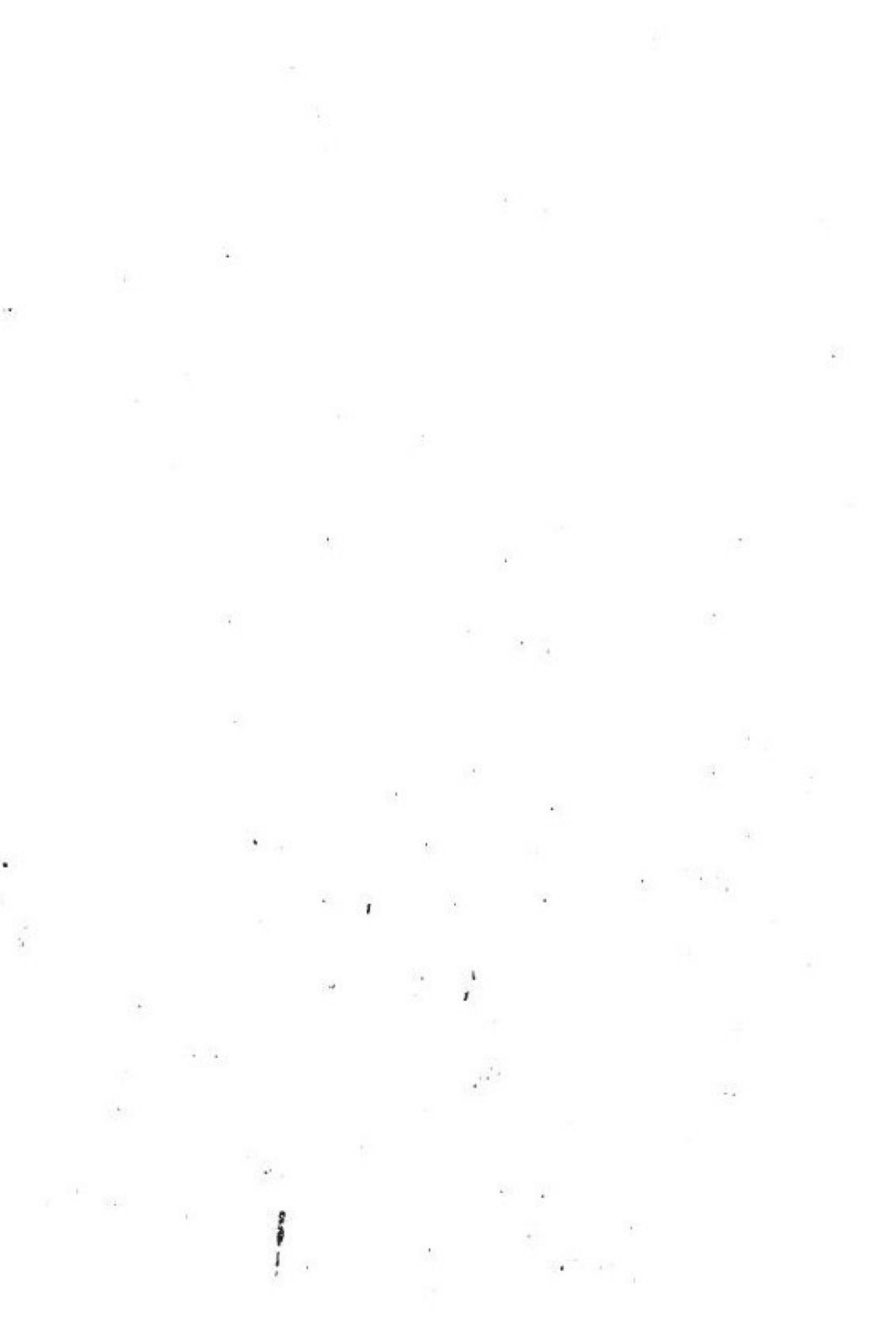
الاجه الاخرى ما عدا العلوم والتكنولوجيا هي الافضل . فكما ان جميع الدول في الامم المتحدة هي على مستوى متقارب فهنالك ايضا مساواة في المضمار الثقافي بمعنى انه من الواجب علينا ان نتقدم امام الثقافات الاخرى ونحن مطاطون الراس متاكدين - بكل تواضع - باننا ربما سنقع على شيء فيه ما نتعلمه من اولئك الذين اعتدنا ان ندموهم ب... Lesser breeds without the law

ان هذه الكلمات هي ولا شك معروفة لديكم ولكن كل ما في الامر هو اننا اخذنا نتحقق بان لها مشاكل اكااديمية وقد كان الباعث على تكوين لجنتي سكاربرو وهابتر عمليا ونفعا كما ان ازدياد الاهتمام باللغات الاخرى كالروسية والصينية ، ربما يرجع الى التاكيد بان هاتين اللغتين سيكون لهما شأن عظيم من الناحية العملية في المستقبل . نعم ان هنالك مظهرا آخر يجب ان لا يعزب عن بالنا وهو انه كان علينا ان نعيش في عالم تلتقي فيه حضارات متنوعة على اساس المساواة ، فهل من المفيد ان تكون لدينا ثقافة مقصورة على الحضارة الاوروبية او الاورو - امريكية ؟ نعم ان الصحفيين والمعلقين على الاخبار لا يألون جهدا في اعطاء الرجل المتوسط بعض الانكار عن حقيقة الاحداث الجارية في آسيا وافريقيا وذكر بواشها ، لكن الجامعة عليها ان تنظر الى ابعد من هذا وان تجابه بعض الدراسات العميقة في الحضارات غير الاوروبية ، ثم ان دراسة عميقة كهذه لا يجوز تركها لبعض المتحمسين لها او المتفردين بها بل يجب نشرها على نطاق واسع بين متخرجي الجامعات . ويظهر انه من المحتمل ان لا يعتبر الشخص في عام 2.000 مثقفا فعلا الا اذا كان قد حصل على بعض الدراسات في حضارة غير اوروبية تكون على مستوى الثقالة الجامعية ، وقد أصبح من الواجب على الادارات التي تعالج حضارات آسيا وافريقيا ولغاتها،



نشاط المكتب الدائم

- ◆ النظام الاساسي للمكتب
- ◆ دعم المكتب في مؤتمر مراكش
- ◆ بين المجلة وتراثها
- ◆ جوائز لاهم مخطوط نادر حول اللغة العربية
- ◆ حملة ضد الدخيل الاجنبي
- ◆ المكتب الدائم قلعة صامدة لحماية التراث الفكري للعالم العربي
- ◆ للاستاذ صبيح الفافسي
- ◆ خبراء المكتب
- ◆ انتاج المغرب الاتصلي في الميزان
- ◆ للدكتور اكروم فافسل



النظام التأسيسي للمكتب

يتمتع المكتب باستقلال فني واداري ومالي في نطاق تنظيمات جامعة الدول العربية .

الفصل الثاني

المادة الرابعة :

للمكتب الدائم مجلس استشاري يتألف من رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية في الرباط او من ينيبونهم عنهم .

المادة الخامسة :

يتولى المدير العام للمكتب تسيير مختلف وجوه نشاط المكتب ، وعلى الخصوص ما يلي :

1 — الشؤون الادارية والفنية والمالية للمكتب، ولا سيما اعداد اللوائح والتنظيمات الداخلية .

2 — اعداد التصميمات والبرامج السنوية للعمل .

3 — تحضير مشروع الميزانية تمهيدا لعرضه على مجلس الجامعة .

4 — اعداد التقرير السنوي من المنجزات والمشاريع .

بنا على قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم 2541 \ د ج 4 - 16 \ 3 \ 1969 في دور انعقاده العادي الحادي والخمسين اصبح النظام الاساسي للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي كالتالي :

الفصل الاول

المادة الاولى :

تنشأ في نطاق جامعة الدول العربية هيئة دائمة لمؤتمر التعريب يطلق عليها اسم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ، وتمثل فيه جميع البلاد العربية ، مهمته ان يتلقى ويتتبع ما تنتهي اليه بحوث العلماء والجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين ، ويقوم بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل بافراض مؤتمر التعريب لعرضه على دورات المؤتمر المقبلة .

المادة الثانية :

يكون مقر المكتب الدائم في مدينة الرباط ، ويديره مدير عام يعين بقرار من الامين العام لجامعة الدول العربية بناء على موافقة الحكومة المضيفة .

المادة الثالثة :

5 — اصدار قرارات التعيين وانهاء الخدمة للموظفين والمستخدمين طبقا للوائح والقواعد المعمول بها .

6 — تعيين الخبراء والمنتدبين لمهام خاصة مؤقتة .

7 — تمثيل المكتب في مختلف المؤتمرات التي تتصل بمهمته .

8 — الدعوة الى الندوات والمؤتمرات الخاصة بشؤون التعريب في نطاق اختصاصات المكتب .

المادة السادسة :

يكون للمكتب مدير عام مساعد ، يعين بقرار من الامين العام لجامعة الدول العربية بناء على ترشيح المدير العام للمكتب .

المادة السابعة :

تزود الحكومات العربية المكتب بخبراء ومتخصصين بطريق الامارة او الندب للمعاونة في اعمال المكتب الفنية .

المادة الثامنة :

تعمل كل حكومة عربية على انشاء شعبة التعريب فيها تعاون المكتب في مجالات اوجه نشاطه المختلفة وطبقا للتنظيم الذي يوضع لهذا الغرض .

الفصل الثالث

المادة التاسعة :

يتولى المكتب المهام التالية :

1 — تلقي ما تنتهي اليه بحوث العلماء والجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والعلماء والمترجمين ، ومتابعة ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه ومقارنته ، لاستخراج ما يتصل منه بالفراض التعريب ، وعرضه على مؤتمرات التعريب .

2 — التحضير لدورات التعريب ، واصداد مشروعات جداول اعمالها ، وتحديد مكان انعقادها وموعده .

3 — تنفيذ التوصيات التي تصدرها مؤتمرات التعريب والمتعلقة بالمكتب ، وابلاغ الحكومات العربية التوصيات الاخرى المتعلقة بها ومتابعة تنفيذها .

4 — التعاون مع شعب التعريب في البلاد العربية لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقى النتائج العلمية التي تنتهي اليها الجهود في تلك البلاد

5 — اصدار نشرة دورية بمنجزات المكتب ، تتضمن توصيات مؤتمرات التعريب ، وعرض مراحل ما تم تنفيذه منها ، وبيان وتعريف بجهود المكتب ومطبوعاته من معاجم ومجلات ودراسات الى غير ذلك من الجهود .

6 — العمل بكل الوسائل الممكنة على ان تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية في جميع البلاد العربية والعناية بوجه خاص بما يلي :

ا - اشاعة المصطلح الذي يتم الاتفاق عليه في جميع ميادين الحياة العلمية والثقافية والحضارية .

ب - اصدار نشرات للتنبيه على الاخطاء اللغوية والاسلوبية الشائعة واصلاحها بتقديم النماذج والصور الصحيحة .

ج - التعاون مع الاجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية والحكومات والهيئات العربية على تعريب لغة التعليم في جميع مراحلها لجميع المواد الدراسية .

د - تنسيق الجهود التي تبذل في البلاد العربية بتيسير قواعد اللغة العربية نحوها وصرفها .

7 — العمل على وضع قاموس حي مبسط في صورة واضحة محددة ، يتضمن المفردات العربية الجارية في الاستعمال العربي السليم اليومي ومعانيها الراهنة ، وذلك طبقا لخطة مفصلة توضح طبيعة هذا العمل وتفصيلاته ومراحل انجازه .

8 — العمل - بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية والجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص في البلاد العربية - على وضع معاجم وخاصة معجم معان يتضمن الالفاظ والتعبيرات الدقيقة للمعاني والصور .

9 — المشاركة مع الاجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية في مشروع موحد لانتساج الوسائل السمعية والبصرية في جميع مواد التعليم .

الخصوص اعمال الميزانية والرقابة الحسابية واعمال المستخدمين والحسابات والمحفوظات والسكرتارية .

الفصل الخامس

ميزانية المكتب

المادة الحادية عشرة :

للمكتب الدائم ميزانية مستقلة ملحقة بميزانية جامعة الدول العربية ، تسجل الإيرادات والنفقات المقرر صرفها خلال السنة المالية .

المادة الثانية عشرة :

تتكون الإيرادات من :

1 — اسهام الدول والبلاد العربية ويكون بالنسبة للدول الامضاء في الجامعة وفقا لانصبتها فيها وتدفع هذه الاعتمادات للمكتب عن طريق الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، ويتكون من وفوراتها السنوية احتياطي خاص للمكتب .

2 — مساهمات المنظمات الدولية .

3 — الامانات والتبرعات والهبات .

المادة الثالثة عشرة :

تتبع السنة المالية للمكتب في بدايتها ونهايتها التواريخ المقررة لميزانية جامعة الدول العربية .

احكام عامة

المادة الرابعة عشرة :

يتمتع المدير العام وموظفو المكتب والخبراء به اثناء قيامهم باعمالهم بالامتيازات والحصانات المقررة لنظرائهم بالامانة العامة لجامعة الدول العربية . باستثناء مواطني دولة المقر .

10 — متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي ، والمشاركة في هذه الحركة — في حدود الامكان — بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها ، وتشجيع الصواب وتقديم المشورة .

11 — العمل — بالتعاون مع الاجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية والحكومات العربية — على دراسة طريقة كتابة الارقام العربية والرموز العلمية والنقل الصوتي للغات الاجنبية .

الفصل الرابع

اسهام المكتب

المادة العاشرة :

يتكون المكتب الدائم من :

اولا : القسم الفني : ويتولى جميع الاعمال الفنية واللغوية المرتبطة بعمل المكتب وعلى الخصوص:
ا الاتصال بالجامع والمجالس العليا والهيئات اللغوية والجامعات وشعب التعريب والمراسلين الفنيين .

ب — دراسة التقارير الفنية الخاصة بحركة التعريب واستخلاص نتائجها .

ج — اعداد وتنظيم الجزايات لحصيلة الالفاظ اللغوية .

د — العمل على اعداد المعاجم عامة وخاصة موسوعة المغرب العربي .

هـ — اصدار مجلة اللسان العربي والنشرات العلمية .

و — النشر والاعلام عن مجهودات المكتب وحصيلة عمله .

ز — الاعداد لمؤتمرات التعريب والمشاركة في المؤتمرات اللغوية الاخرى .

ثانيا : قسم الشؤون المالية والادارية : ويتولى جميع الاعمال المالية والادارية المتعلقة بالمكتب وعلى

المؤتمر الإقليمي لوزراء التربية والتعليم العرب بمراكش يوصي بـ دعم أعمال المكتب الدائم

انمقد بمدينة مراكش بالمغرب من 12 الى 20 يناير (كانون الثاني) 1970
المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي
في الدول العربية . وقد نظمت هذا المؤتمر هيئة اليونسكو بمعاونة جامعة الدول
العربية .

وقد اشترك في المؤتمر ست عشرة دولة عربية من الدول الاعضاء
المنتسبين اليها كما حضره مراقبون من الدول الاعضاء الاخرى ومن دولة الفاتكان
وملاحظون عن دول وهيات غير عربية ، وقد تملد على سيادة الامين العام
لجامعة الدول العربية ان يشترك شخصيا في الاجتماع فاناب عنه الدكتور ناصر
الدين الاسد وكيل الادارة الثقافية بصفته رئيسا لوفد الامانة العامة للجامعة
بمشاركة كل من الاستاذ فؤاد نصحي رئيس قسم التربية والاستاذ منير موسى
رئيس قسم اليونسكو ، وقد صم الى الوفد مندوب المكتب الدائم لتنسيق
التعريب في الوطن العربي الاستاذ عبد الكريم القباچ . ومن بين التوصيات
والقرارات التي صدرت عن هذا المؤتمر في خصوص اللغة العربية والتعريب
توصية تدعو الى دعم جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب
في الوطن العربي والمجامع فيما تبدله من جهود في ميدان التعريب هذا نصها :

نظرا لان اللغة القومية هي الوعاء الفكري للامة ، والوسيلة الطبيعية لمواطنيها
للتفكير والتعبير معا .

ونظرا لان استعمال اللغة القومية في التدريس في جميع مراحل التعليم
العام والمهني والعالي يسر على الطالب سرعة الفهم دون عائق لغوي وبذلك
تزداد حصيلته الدراسية ويرتفع مستواه العلمي .

وتاصيلا للفكر العلمي في البلاد ، وتمكينا للغة القومية من الازدهار والقيام
بدورها في التعبير عن حاجات المجتمع والفاظ الحضارة ومصطلحات العاوم .

فان المؤتمر يوصي بان تبادر جميع الدول العربية في اسرع وقت ممكن الى
اتخاذ التدابير والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدريس في جميع
مراحل التعليم العام والمهني والعالي ، مع الضاية الكافية باللغات الاجنبية في
مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة للاطلاع على تطور العلم والثقافة وللانفتاح
على العالم .

كما يوصي المؤتمر بدعم جهود جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق
التعريب في الوطن العربي بالرباط والمجامع اللغوية في ميدان التعريب .

بين المجلة وقراءتها

ما زالت رسائل التشجيع والاهتمام تصلنا من قرائنا الكرام ومن مختلف انحاء العالم الاسلامي . واننا إذ نشكر هذا الحماس ونقدر هذه الصلة بين المجلة وقراءها من اسائلة وطلبة علم وثقافة وباحثين ، نأسف اذا لم ترد مكاتباتهم جميعها تحت هذا الباب لسبق المجال ، وقد اخترنا جملة وجيزة من هذه المراسلات تشمل سفيساء من الافكار الشعبية ووجهات نظر طائفة من رجال الفكر العربي والاسلامي حول نشاط المكتب العالم للتعريب الذي يسره ان يتلقى ملاحظات بناءة من قرائه :

فمن الجمهورية الجزائرية :

ومن العاصمة الجزائرية أيضا كتب السيد عبد الحكيم بن الشيخ الحسين : « المسدد الخاص من مجلة « اللسان العربي » هذا الكنز العظيم المتمثل فيما تضمنه من بحوث ودراسات في مختلف جوانب التراث الحضاري والفكري لامتنا العربية ، وديننا الاسلامي الحنيف . وانني إذ اعبر عن تقديري واكباري للجهود المضنية التي بذلتوها لاصدار هذه الدررة الكريمة - اود ان الاحظ ان الرسالة التي تقوم بها مجلة اللسان العربي لدعم الاتصال بين اللغة العربية والمعلوم والكشوف الحديثة ، وبمعث امجاد الثقافة العربية - ستشير ولا ريب الهمم وتحفز ابناء العروبة الى العمل من اجل استعادة النهضة العلمية والثقافية التي كانت تعكس اشعاعاتها على كل انحاء الدنيا يوم كانت لغة القرآن لغة علم وعمل » .

من الجمهورية التونسية

تلقينا التحية التالية من السيد الاستاذ كاتب الدولة للصححة العمومية : « وبعد فلا يخفاكم ان بلادنا تجتاز منذ استقلالها - كشقيقتها المغرب - فترة انتقالية في جميع الميادين وخاصة في الميدان الفني

تلقينا رسالة من السيد مرداوي السعودي جاء فيها انه وزملاؤه كمرشدي منظمات للشباب ، وملاجئ للمعطلين يمتدنون على هذه المجلة القيمة لمساعدتهم في تدليل الصعاب داخل بلد عربي متمطش للغة العربية حائر امام المصطلحات العلمية الحديثة .

وفي خطاب من الاستاذ سعيد الصالح نائب رئيس المجلس الاسلامي الاعلى التابع لوزارة الاوقاف الجزائرية تحدث سيادته عن العدد السادس من المجلة فعبّر عن اكباره وعنايته المخلصة وعن اعجابه بالتنظيم والترتيب .

واكد السيد بنعبد الله بلقاسم من الجزائر نفس الاعجاب ، قائلا : « وكيف لا ؟ وقد وجدت في للجلة خير سند لي في دراساتي : واحسن معين في اطار عملي . فهي المجلة اللغوية الاولى . التي لا يحق من انفس النفائس الفكرية والثقافية وخير من تظاهيها مجلة عربية اخرى في هذا الميدان ، فهي تقوم برسالة تنسيق التعريب في عالمنا العربي » .

من المملكة الأردنية الهاشمية

بعثت اللجنة الأردنية للترتيب والترجمة والنشر - وزارة التربية والتعليم - بشأن المجلة رسالة شكر الى المكتب الدائم تقديراً للجهد العلمي الكبير الذي يقوم به العلماء المرتبطون بالمكتب الدائم .

وارسل الاستاذ روكس بن زائد العزيزي ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في عمان برسالة قال فيها « سعدت بتسلم مجلة « اللسان العربي » الشهيرة فلا يعني الا ان اهنتكم بالمستوى الرفيع الذي بلغت اليه المجلة » .

من الجمهورية اللبنانية

كتب السيد سليم جرجس الدكاسن : « ان هذه المجلة الموسوعية فتحت وفتحت آفاقاً جديدة امام المثقف العربي . وهذا ما يزيد اللغة العربية قوة واصالة علمية لكي تشرق طريقها متجددة ولجعلها في مستوى اللغات العالمية . وانا بصفتي كليريكى لبناني اهنتكم على هذه الظاهرة وعلى هذه الفكرة لاجيائه لغتنا » .

من الجمهورية العراقية

تسلمنا رسالة من الدكتور احمد الحلواني مدير البحوث الطبية بكلية الطب ، جامعة بغداد ، جاء فيها : « ولقد وجدنا فيها مادة فريضة بالعلم والادب في مختلف المواضيع القيمة التي احتوتها راجين لكم دوام التوفيق لخدمة امتنا العربية ولغتها » .

وفي رسالة اخرى كتب الدكتور ناصر حلواني بكلية الآداب - جامعة البصرة « لقد كان لاطلاعي على مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم للترتيب ابلغ الاثر في نفسي من حيث مستواها واخراجها » .

ومن بغداد جاء في خطاب للمهندس جورج حبيب الخوري « عثرت قبل ايام عند صديق لي على العدد السادس من « اللسان العربي » ولم اكن قد تعرفت على هذه المجلة الفريدة قبل ذلك . ولا اظنني اضيف جديدا اذا اردت التعبير عن مدى اعجابي بالجهود الضخمة التي تبذل لاخراجها بهذا الشكل الشامل المفيد . واثني لاعتقد ان اي ثناء على هذه المجلة لن يفيها حقها من التقدير والتشجيع . لقد لفت نظري

- ونحن في حاجة اكيدة - من باب تنسيق الجهود - الى معرفة نتائج اعمال الاطار الشقيقة من حيث ترتيب المصطلحات الفنية الجديدة . وقد سنحت لي الفرصة بالاطلاع صدفة على مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها مكتبكم ، فوجدت فيها دروا ثمينة وفوائد عظيمة » .

من الجمهورية العربية المتحدة

كتب الاستاذ انور الجندي « ولا انسى ان اشيد هنا بالمدد الخاص بمرور 14 قرنا على نزول القرآن الكريم وما يختص بطلاقة اللغة العربية والاسلام : فقد قدمت الى الباحثين في هذا المضمار عملا نافعا واضافات هامة حقا » .

ومن السيد علي عبد الحليم اسماعيل الطالب بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة : « لقد اسعدني الله بقرأة عدد من المجلة العظيمة « اللسان العربي » وانها لخير لسان يفصح عن اصالة لغتنا العربية ، ومجدها التليد ، وغزارة منبعها الذي لا ينضب على مر السنين بفضل « اللسان العربي » ومن تقدمه من ذخائر الابحاث اللغوية . واقسم بعربييتي وعروبتي التي كرسيت حياتي للدراسة اصولها وقواعدها في كلية دار العلوم جامعة القاهرة - انني ما وجدت مرجعا شاملا مثل « اللسان العربي » للاحاطة التامة باللغة العربية بجانب دراستي في كلية دار العلوم » .

من الجمهورية العربية السورية

وصلتنا من حلب رسالة السيد الياس يوسف كباية جاء فيها : « اطمني صديقي صاحب مجلة «الضاد» التي تصدر في حلب . على بعض اعداد مجلتكم الكبرى « اللسان العربي » فكان اعجابي بها كبيرا ، لما تتضمن من موضوعات متممة ، وادب رفيع ، وبيان مشرق ولما تخلعونه عليها من حلال علمية واجتماعية ، نبيلة القصد ، جليلة الفائدة » .

وكتب الينا الاستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي بدمشق يقول « ولقد قدرت حسق التقدير مع بالسف الاكبار - الجهود الجبارة التي يبذلها اركان المكتب الدائم ، بمثل هذه الحركة الدائمة المباركة التي تعطي اكلها بهذا الانتاج الخصب الرائع في شتى الموضوعات العلمية واللغوية منسقا هذا التنسيق البديع » .

بل هي روابط يابى الله لها ان تتقطع وشائج يكره الله ان تنفصم حفاظا على وحدة امة كريمة قادت الإنسانية في مصور مظلمة الى شاطئه امان يوم عز الربان الماهر .

من الخليج العربي

بعث لنا السيد ابراهيم خنجي مدير مكتبة نادي اليرموك الرياضي بالعمارة - البحرين برسالة ابدي فيها اعجابها بالمجلة وعبر عن سروره بهذا الجهود الجبار الرائع في خدمة لغتنا العربية واعلاء شان لغة القرآن .

ومن امانة ابوظبي اشار السيد صالح محمد اسماعيل الى اطلاقه في ملحق جريدة النهار البيروتية على تحقيق صحفي عن العدد الاخير من « المجلة » الموسوية « وابدى رغبته في رواجها بالامارة .

من الهند

جاءتنا من الاستاذ ابو جنبل احسن الندوي مراقب التعليم العام بجامعة الفلاح في بريد كنج رسالة رقيقة بين فيها انه « استاذ اللغة العربية في جامعة الفلاح . وهي مدرسة عربية حرة ليست لها صلة بالسلطات الرسمية . يتفق عليها رجال غياري من المسلمين الذين يهمهم امر الدين وامر تعليم ابناء المسلمين في الهند . ففيها اليوم سبعمائة وثلاثون طالبا في مراحل التعليم الثلاث الابتدائية والثانوية والدراسة العليا . ففي قسم التعليم العالي تدرس جميع العلوم والفنون من صرف ونحو وبلاغة والادب العربي نثرا ونظما ، والفقه والحديث واصولهما وكتاب الله العزيز شرحا وتفسيرا . ومع ذلك يدرس فيها اللغة الانجليزية وعلم الاقتصاد والسياسة . وقد اخلنا في منهج تعليمنا كتاب الله محله الاول . واشد ما نعني به هي اللغة العربية دراسة وكتابة وخطابة . هذه تفرقة موجزة لجامعة الفلاح ، ونحن نستحق ان تفضلوا علينا بمجلة « اللسان العربي » فاننا احوج الناس اليها » .

من تركيا

رسالة رقيقة من الدكتور حسين كوجوك فلابي استاذ اللغة العربية والادب العربي في المعهد العالي الاسلامي - قونية قال فيها : « توصلت والحمد لله بالعدد السادس من « اللسان العربي » فامتلت سرورا واعجابا بما فيه من الابحاث اللغوية القيمة

خاصة الجهود المعجبة التي تبدل لتقرير وتنسيق المصطلحات العلمية والفنية والتقنية والفلسفية والاجتماعية على اختلافها من اجل اعداد معجم عام لها جيبا في لغتنا العربية » .

من المملكة العربية السعودية

وجه السيد عبد الله عبد الرحمن العمري بكلية البترول والمعادن في الظهران رسالة رقيقة قال فيها : « كما تعلمون سعادتكم فان الشباب العربي في حاجة الى من يشد ازهم حتى يكونوا على مستوى الثقافة العربية الاصيل ، ولقد سمعت عن سعادتكم الخطاب موجه الى السيد المدير العام للمكتب ، وما تقدمونه من خدمات للغة العربية خاصة وللشباب عامة الامر الذي جعل الفرحة تفرني عندما علمت باصدار العدد الخاص من مجلة « اللسان العربي » .

ومن مكة المكرمة كتب السيد عبد الله ابراهيم رجب بمؤسسة البلاد للصحافة والنشر « اطلمت على مجلة اللسان العربي التي تصدر باسم جامعة الدول العربية - ببلادكم - فكان ان استحوذت على اعجابي لما ضمت من اسئلة واجوبة مفيدة . . ستكون مرجعا لمن يهمه امر انتشار اللغة العربية ومعرفة ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم وكذلك المعاجم الملحقة بالمجلة »

اما رسالة السيد عبد الرحمن حمد المكرس بمكتبة المعارف في الرياض فقد احتوت فقراتها على ما يلي : ببالغ السرور تلقيت العدد الاخير من اللسان العربي ، واشكركم جزيل الشكر نيابة هني وعن مدة زملاء وصحفيين امجبوا بما فيه من ابحاث قد تكون جزءا من الواجهة المشرفة لكفاحكم ضد الفزو اللغوي الذي تعرض له اللغة العربية ارجو لكم مزيد التوفيق في خدمتكم النبيلة هذه . اننا في صراع مستمر مع بعض عاديات ما يسمى بـ (الحضارة الحديثة) على اللغة العربية . فقد تسربت وللأسف الى اوساطنا اللغوية عشرات من هذه الكلمات التي كانت منطلق الاحتكاك ببعض القشور من هذه الحضارة الحديثة . وايضا دعوة ودعوات الى احياء العامية من قبل اناس فشلوا الفشل اللريع في اللغة الحبيبة فاقبلوا يدافع خقد لا شعوري على بناء مجدهم الادبي على حساب لغة كريمة طالما كانت لهم مجانا عند تقلبات الزمان . ان اللغة العربية ليست ثمانية وعشرين حرفا تتحرك بها الشفاه او تصاغ بها اغنية عاطفية او مقال صحفي ،

من الولايات المتحدة الامريكية

تلقينا كتابا من امين مكتبة معهد هوفر لدراسات الحرب والثورة والسلام بولاية كاليفورنيا قال فيه :
« اننا نقدر اهتمامكم بارسال مطبوعات الجامعة العربية الينا وقد استلمنا هذه الشحنة من الوثائق التي ستكون اضافة قيمة للمجموعة الخاصة بالشرق الاوسط » .

ومن السيد ارنت توفيق عبد المسيح بجامعة ميتشيجان تحية للمجلة على انها « مدد يستحق كل ثناء وبشرف عظمة البحث في العالم العربي » .

التي لم نشهدها من قبل . وهذه الجهود الجبارة التي يقوم بها المكتب الدائم سيكون لها اثرها الحسن في نفوس المسلمين عامة والعلماء وعشاق هذه اللغة الكريمة خاصة » .

من المانيا

كتب الاستاذ الدكتور فيرنر جاكل المستشرق الالمانى من مدينة كولون « اما من جهة تنسيق التمريب في العالم العربي فانه امر ملح لا يمكن تحقيقه الا بعصر الانبياء ومهارة الدبلوماسيين . لذا اتمنى لكم اكبر النجاح » .

اغْتِذَار

توصلنا من حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد بهجة البيطار من دمشق بمقالين قيمين الاول حول تدوين السيرة النبوية وترتيبها وتبويبها والثاني حول فلسفة السمي والتوكل على الله . وقد وصلا متأخرين بعد صدور العدد الخاص بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم وهذا الموضوع الهام لا يدخل مع الاسف في صلب مواضيع المجلة نمعدرة .

كما توصلنا ببحث شيق للاستاذ عبد الرحيم بن سلامة من هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط وهو عبارة عن عرض وتحليل لكتاب « قبائل المغرب » للاستاذ عبد الوهاب بن منصور ونحن نعطي الاسبقية في المجلة - كما لا يخفى - للابحاث اللغوية وللمعاجم التي طغى سيلها العامر في هذا العدد نمعدرة ايضا .

وفي هذا النسق كذلك اتحفنا الاستاذ عبد الرحمن حمد المكرش من جامعة الرياض بالملكة السمودية ببحث حول شخصية الحسن الهمداني واثاره في مختلف الملوسم .

جَوَائِزُ لَأَهْمِ مَخْطُوطِ نَادِرِ حَوْلَ اللِّغَةِ العَرَبِيَّةِ

نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب ، وقد اختار هذا العام بمناسبة الذكرى الاربعمينية لصاحب الحلاله ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله لتدشين هذه المبادرة أن يكون موضوع المسابقة التي تجري على الصعيدين العربي والاسلامي ما يلي :

— تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربية —

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة الاف درهم او ما يقابلها من عملات اجنبية مع جوائز ثانوية اخرى ويشترط ان يكون المخطوط القديم في موضوع اللغة العربية على شكل معجم او دراسات او ابحاث غميسة (لم يسبق نشرها) وان يكون ذا قيمة جديدة بالاعتبار ويوجه الى المكتب النص الاصلي او صورة منه ، كما يشترط ان يكون مستوعبا اصيلا لم ينشر قبل فيما لا يقل عن خمسين صفحة من الحجم المتوسط .

وستدرس المخطوطات والابحاث وتخصص الجوائز من طرف لجنة تتكون من ممثل المكتب الدائم مع اربعة خبراء في اللغة ، ويكون ارسال الوثائق من 15 شتبر 1969 الى نهاية يونيه 1970 (وقد مد الاجل الاول بستة اشهر تلبية لطبقات وردت علينا في الموضوع) .

والاعلان عن النتائج سيتم في الوقت المناسب بعد هذا التاريخ .

وللمكتب الحق في نشر الطبعة الاولى فقط من المخطوط او الإنتاج الحاصل على جائزة وكذلك نشر جميع الابحاث القيمة الواردة على المكتب مع اهداء مائة نسخة من البحث المنشور لصاحبه .

ونسخ الابحاث الواردة على المكتب لا ترجع لاصحابها بخلاف اصول المخطوطات ويهدف هذا المشروع الى الكشف عن المخطوطات الغميسة النادرة حول اللغة العربية من جهة ، ومن جهة اخرى الى اثارة القرائح العربية للقيام بالدراسات اللغوية في نطاق الرسالة الجديدة التي تقوم بها اللغة العربية كلفة عمل في المهافل الدولية .

ويجب تحديد الكتاب المخطوط واوصافه وتحرير دراسة عنه وعن مؤلفه وعصره وقيمه العلمية مع تحقيق النص ويجوز اشتراك اكثر من شخص في تقديم المخطوط او البحث وفي هذه الحالة تكون الجائزة مشتركة بدورها .

حملة ضد الدخيل الاجنبي

وجه المكتب الدائم هذه المذكرة الى الحكومات والصحافة العربية وبعض الباحثين :

سبق للمكتب الدائم ان قام بحملات ضد الدخيل الاجنبي في اللغة العربية عامي 1963 و 1965 بالنسبة لاقطار المغرب العربي وخاصة الجزائر والمغرب الاقصى . وقد نشرنا بهذه المناسبة معجمين صغيرين يحتوي كل منهما على 365 كلمة دخيلة على اساس العمل من اجل محاربة كلمة في كل يوم من ايام السنة وقد اصدرنا اخيرا قسما ثالثا من الالفاظ الدخيلة اضفناه الى المعجمين السالفين لاستكمال الف كلمة وعنوانه ب : « قل ولا تقل » ، ورتبنا الكل في ابواب تتصل بالبيت والمتجر والشارع الى آخره .

فرجاؤنا من حضرتكم الاسهام مع المكتب في هذه الحملة الهامة التي سننظمها طوال عام 1970 وذلك :

1 ا بجمع الدخيل الاجنبي الذي تسرب الى العامية المحلية والذي يوجد مقابلة في اللغة العربية . كما يتبين ذلك في المعجم المذكور وموافاة المكتب الدائم به من اجل ادراجه في معجم عام للدخيل الاجنبي على الصعيد العربي .

2 ا المشاركة محليا في هذه الحملة بنشر ما يمن من الفاظ دخيلة في الاذاعة والصحافة المحليتين مع ادراج ما هو مستعمل في بلدكم الشقيق مما يوجد في معجمنا المشار اليه اعلاه .

المكتب الدائم

قلعة صامدة لحماية التراث الفكري للعالم العربي

استجواب الجزء الأستاذ
صبيح القافقي (بغداد)

تلقى السيد المدير العام للمكتب الدائم ورئيس تحرير مجلة «اللسان العربي» من الأستاذ صبيح القافقي محرر «جريدة الحرية» ببغداد كلمة رفيقة جاء فيها : «... وبعد كان تشرفني باللقاء معكم قبل عامين من أفضل فرص العمر أتبع لسي خلالها التعرف الى شخصية علمية نادرة الطراز والمثال واني كنت ولا ازال من خلال متابعتي لنشاطكم الفكري السدي يمثل المكتب الدائم جانبا واحدا منه اكبر فيكم الخلق العظيم والادب الجم والاخلاص الفذ والايمان العميق بلفة القرآن الكريم ...»

وهاكم نص الاستجواب الذي اجراه جنباه مع السيد المدير العام :

وفي لقاء - للحرية - مع الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله قال : ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب نجح منذ انشائه قبل ثماني سنوات في اصدار عدة من المعاجم في الكيمياء والفيزياء والرياضيات والاشغال العمومية والسياحة والقانون والتصوف والفقاه الاسلامي .

ان عملنا الاساسي الذي يستحوذ على اهتمامنا هو اصدار معجم علمي باللغات الثلاث يشمل كل المفاهيم الانسانية .. وذلك خلال عشر السنوات المقبلة مع العمل على اصدار معاجم خاصة في كل العلوم مضافا الى معجم مرتب حسب المواضيع .

منذ سنة 1961 الى اليوم يخوض المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط التابع لجامعة الدول العربية ، معركة صارية للتعريب ، ولحماية التراث الفكري للعالم العربي .

وهذه المعركة التي يشرف على استراتيجيتها عبد العزيز بنعبد الله العالم المغربي تأخذ اشكالا متعددة :

نشر اللغة العربية وصيانة التراث العربي واعداد المعاجم المختلفة .. ثم مجلة «اللسان العربي» التي تصدر في 700 صفحة باقلام كبار العلماء في العالمين العربي والاسلامي ، وهذه المجلة تنفق عليها جامعة الدول العربية ، وتوزع مجانا ، وايضا تسهيل تعليم العربية للاجانب غير المسلمين .

ويتساءل :

محمود شيت خطاب عضو الجمع والدكتور جواد علي
الجمعي المؤرخ المعروف ، ومين مراسلون آخرون في
البلاد العربية .

التعريب في المغرب

وكان من الطبيعي ان نسال العالم المغربي عن
سير حركة التعريب في المغرب الشقيق فقال :

- الواقع ان اللغة العربية أصبحت تفرض نفسها
في المغرب .

وحتى الوزارات التي كانت مفرنسة أصبحت
تطلب من المكتب الدائم للتعريب المقابل العربي العال
للالفاظ الاجنبية ، والحكومة المغربية تعمل على تحقيق
التعريب في كل ميدان ومجال . فقد نفذت برنامجها في
تعريب التعليم الابتدائي وفي قسم هام من التعليم العام
وستبدأ في التعليم الثانوي والجامعي بعد ان تقوم
باعداد المخطط لتنفيذه .

دائرة المعارف للمغرب

وانتقل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الى بعض
المشروعات التي يعمل المكتب على تنفيذها فقال :

- هناك عمل آخر يقوم به المكتب الدائم لاعداد
موسوعة للمعارف خاصة بالمغرب العربي .

وهي بلا ريب انطلاقة اولى لما كان قد قرره
مؤتمر وزراء التربية العرب الذي عقد في بغداد وحث
على وضع دائرة معارف عربية .

وقد حدا هذا المكتب الدائم الى المبادرة لوضع
شيء هام من المغرب يندمج في الموسوعة العربية
الكبرى . . وراي المكتب الدائم الخاص في هذا الباب
عبرنا عنه من طريق الجامعة العربية وهو ان تقوم كل
دولة عربية بوضع موسوعة اقليمية اما عن قطر عربي
او مجموعة اقطار تشمل كل ما يتصل بمظاهر الحضارة
في هذا القطر او ذلك حتى يتأتى ان نستخلص من
دوائر المعارف العربية موسوعة كبرى موحدة بين
العالم العربي .

وقد خطونا خطوة واسعة حتى الآن في جمع
المصادر والوثائق والمخطوطات لمختلف اللغات الشرقية
والغربية من المغرب العربي .

وفيما يتعلق باللغة العربية ، فاننا نشعر انه بالرغم
من جعل اللغة العربية لغة رسمية في بعض المنظمات
الدولية فقد يكون ذلك لاسباب سياسية خاصة لهذا

ما هي الخطة التي ننهجها الآن لتحقيق هذه
الغاية ؟ انها تلخص في ثلاث مراحل :

الاولى - جمع المصطلحات الراجحة في العالم
العربي الآن .

ثانيا - جرد المعاجم القديمة لاستخلاص جميع
الالفاظ التي كانت تستعمل عند العرب والتي قد يعبر
بعضها عن مفاهيم حديثة . وبذلك نستغنى عن كثير
من الالفاظ التي ولدتها بعض المعاجم .

ثالثا - جرد المعاجم الفرنسية والانكليزية لمقابلة
الالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية المعبرة عن
المدلول الواحد وذلك من اجل اتفاق الدول العربية
على لفظ موحد يعبر عن المفهوم الحديث كما هو
الشان في اللغتين الانكليزية والفرنسية . ولحد الآن
فيما يتماق بالمرحلة الاولى ما زلنا نقوم بجرد المعاجم
والكتب العلمية الصادرة في العالم من اجل استخلاص
اللفظ المستعمل للتعبير عن مدلول ما . وقد انجزنا
حتى الآن اكثر من 500 الف بطاقة تحمل الاسم
الفرنسي او الانجليزي مع مقابله العربي او مقابلاته في
الاقطار العربية .

مراسلون في العالم العربي

وحاولنا ان نقلص من ازمة الخبراء بمكاتبة
مراسلين في العالم العربي . ونتيجة لذلك فقد كاتبنا
2500 خبير من العالم العربي مختصين في مختلف
الفروع العلمية لموافاتنا بكل ما يعثرون عليه . . ولو
بطريقة الصدفة من الفاظ عربية تعبر عن مفاهيم
العلم الحديث . واستعنا ايضا بعدد كبير من الخبراء
الرسميين بعد الاتصال بالحكومات العربية لتعيينهم
مراسلين للمكتب في كل شعبة علمية او تقنية حتى
يتمكن المكتب الدائم من اخذ راي كل دولة عربية في
صلاحية كل لفظ من الالفاظ المقترحة .

وبهذه الوسيلة تشمر كل دولة عربية بانها تسهم
في العمل التنسيقي الهادف الى وضع وتوحيد لفظ
عربي ما .

وقد تلقينا فعلا اسما عدد غير قليل من
المختصين في الكيمياء والفيزياء وجميع الشعب العلمية .

اما في العراق فقد وقع الاختيار في حينه على
الدكتور يوسف عز الدين الامين العام واللواء الركن

ووافقت جامعة الدول العربية على التصميم العشاري الذي أعده المكتب الدائم للتعريب في إطار منهاجه للسنوات العشر القادمة ، وقالت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية عن المشروع بأنه الوسيلة المثلى لاية خطة علمية تنتهج في موضوع التعريب أو توحيد المصطلحات العلمية .

وطلب من الدول العربية والجامعات الاخذ بالتصميم العشاري لاحتلال اللغة العربية مكانتها اللائقة .

وأجرى اتصالات مع عدد كبير من الشخصيات العلمية العربية بالتعاون مع المكتب في اصدار مجمه العلمي بالعربية والفرنسية والانكليزية وانجاز المعاجم الاخرى التي اشرت اليها في سياق الحديث .

وطلب من الجامعات العربية تزويده بما استجد عندها من مصطلحات فنية او ادبية باللغات العربية والفرنسية والانكليزية لاضافتها الى المعجم العام .

وقام المكتب باستفتاء على نطاق واسع حول دراسة مشاكل اللغة العربية .

وطلب من مندوبياته الاقليمية تنظيم ندوات عن علاقة الاسلام بالعربية بلورة موضوع الاستفتاء .

واتسع نطاق اعمال المكتب الى الشعب الوطنية للتعريب فقد اتصل بالجزائر لانشاء شعبة للتعريب وحث عن طريق جامعة الدول العربية والدول الاعضاء على استمجال انشاء شعبة للتعريب لتحقيق الاهداف الكبيرة والبعيدة المدى للمكتب .

وابلغت وزارة الداخلية المغربية مختلف عمال المدن رغبة المكتب في كتابة اللائحات التجارية والاقتصادية بلغة وحروف تلائم حضاره المغرب العربي ولا تزوي بقيمة لغة الضاد .

وسيسدر المكتب قريبا معجما للائنات يوزمه في كل البلاد العربية لتوحيد الشارات والكتابات الخارجية في المخازن التجارية .

وفي إطار المهرجانات المقبلة بمناسبة الذكرى المثوية الرابعة عشرة لنزول القرآن الكريم اصدر الامين العام للمكتب الدائم للتعريب كتابا بالفرنسية بعنوان « أضواء على الاسلام او الاسلام في بناهه » . «Clartés sur l'Islam» ou «L'Islam dans ses sources»

فان المكتب الدائم لا يريد ان تفاجأ الدول العربية يوما ما بالزوم ان اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن كل المفاهيم الحديثة في مختلف القطاعات وخاصة التقنية والعلمية فهو يعمل الآن على ان تصبح اللغة العربية بعد سنوات لا تتعدى العشر وافية للاضطلاع بهذه المهمة .

شمول المصطلح العربي

ومن جملة الوسائل التي ارتكز عليها المكتب الدائم لضمان الشمول في المصطلح العربي استناده الى احدي اللغتين الفرنسية او الانكليزية ، وقد يبدو هذا فريبا الا اننا اعطينا الحجة بالاحصاء على ان الكتاب العربي المقرر في الابتدائي في كل قطر عربي هو كتاب ناقص في مجموع مفاهيمه بالنسبة للكتاب المقرر في الانكليزية او الفرنسية ، وقد قمنا بمجرد الكتاب الفرنسي في المحادثة والحساب ودروس الاشياء والتاريخ فوجدنا ان عدد الالفاظ المستعملة والتي يمبر كل واحد منها من مفهوم خاص تبلغ نحو 7500 في حين ان المفاهيم التي توجد في الكتاب العربي لا تكاد تبلغ احيانا نصف هذا العدد مع عدم وحدة اللفظ المعبر عن المدلول الانساني الواحد .

كشف حساب

وفي كشف حساب لاعمال المكتب الدائم للتعريب ذكر الاستاذ عبد العزيز بنميد الله ان المكتب مقد اتصالات وثيقة مع مجموعة من اساتذة الجامعات الاوردية والامريكية ورجال الاستشراق للمساهمة في ابحاث الموسوعة المغربية ، وقام باتصالات مماثلة مع الولايات المتحدة وبولندا ونيجيريا لتزويده بقائمة كاملة من الوثائق والمخطوطات الموجودة في خزائنها والتي لها علاقة بالمغرب .

وجرد المكتب كتب التراجم العربية لاستخلاص الاعلام المغربية واسماء المدن والقرى وكل المواضيع التي تتصل بالموسوعة المغربية وترتيبها حسب الحروف الهجائية .

وشارك المكتب في عدد من المعارض والندوات الثقافية .

اما ما يتعلق بانجاز المعجم العام فقد طلب من جميع وزراء التربية في البلاد العربية تعيين مراسلين للمكتب في الفروع العلمية .

وهو في عدة فصول تحتوي على دراسة أصيلة للمظاهر الإنسانية والاجتماعية والحضارية التي تعطي صورة عن حقيقة الإسلام وسلفيته الأصيلة .

وقد اهتم الكتاب بمواضيع شتى تعبر عن أسس الفكر الإسلامي مقتبسة من الأصولين : الكتاب والسنة مع الإشارة إلى المصادر ، ويطوي الكتاب في مضامينه ترفيب النخبة المفكرة ، في إفريقيا وآسيا في العمل على دراسة أصول الإسلام في مصادره باللغة العربية .

* * *

وكتب صديقنا الأستاذ الكبير حسن مؤنس في صحيفة « معهد الدراسات الإسلامية في مدريد كلمة » رقيقة حول المجلة جاء فيها :

يصدر هذه المجلة المكتب الدائم لتتسبق التعريب التابع لجامعة الدول العربية ومركزه في الرباط عاصمة المملكة المغربية . وهذه المجلة مخصصة للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي .

وقد أحسنت جامعة الدول العربية بإنشاء المكتب الدائم لتتسبق التعريب في العالم العربي في مدينة الرباط . فهذا وضع سليم إذ من الصالح أن تكون المكاتب الفنية للجامعة العربية موزعة في أنحاء العالم العربي .

ويشرف على هذه المجلة صديقنا العلامة عبد العزيز بنعبدالله الأمين العام للمكتب الدائم لتتسبق التعريب في العالم العربي . ويصعب إحصاء الأبحاث القيمة التي تنشرها في كل عدد من أعدادها ، ويكفي أن العدد الرابع صدر في المسطس 1966 يضم طائفة ضخمة من الأبحاث القيمة التي تتعلق كلها بالفتنة العربية وحركة التعريب والموسوعة المغربية والمعاجم واشترك في كتابة هذه المقالات علماء من شتى أنحاء العالم العربي ، فانت تقرا هنا أسماء عبد العزيز بنعبدالله وعبد الحق فاضل وشفيق جبيري ومحمد جميل بيهم والبشير الإبراهيمي وعبد الله كنون وسعيد الديوهجي واحسان عباس وليوشو سيانغ، وهذه أسماء لم تجتمع قط في صعيد واحد حتى جمعها « اللسان العربي » بين دفتيه ، ولسان العرب هو ذلك الرباط المقدس الذي يجمع العرب في كل مكان بعضهم إلى بعض .

ان مركز تنسيق التعريب عمل جليل يذكر للجامعة العربية بكل خير ، ومجلة « اللسان العربي » أشبه ما تكون بدار ندوة حرة أو بسوق كعكاظ يجتمع فيها علماء العربية من كل حذب وصوب لخدمة لغتهم وثقافتهم .

ولا شك ان الأستاذ عبد العزيز بنعبدالله قد وفق تمام التوفيق في إدارة ذلك المركز الذي تولاه رغم صعوبة المهمة التي اضطلع بها . ومجلة « اللسان العربي » تخرج كل مرة من شارع المرابطين بالرباط في أربعة آلاف نسخة تذهب إلى أقاصي الأرض كأنها تحية منجددة للعرب والعروبة في كل مكان .

* * *

ونشر الأستاذ عبد الله يوركي صاحب مجلة الصاد الفراء التي تصدر بإحاضرة حلب بالقطر السوري الشقيق كلمة رقيقة حول مجلتنا المتواضعة جاء فيها:

اللسان العربي : مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب . يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . التابع لجامعة الدول العربية ، ومقره في مدينة الرباط بالمغرب . ويتولى رئاسة تحرير هذه المجلة وإدارة شؤونها العلامة الألمي الكبير . والأدب البهائى المحقق القدير . الأستاذ عبد العزيز بنعبدالله ، الأمين العام للمكتب الدائم المشار إليه .

ومما لا شك فيه ان هذه المجلة . من كبريات المجلات العربية . ومن أغزرها مادة ، وأوسعها انتشارا . وأكثرها نفعا وفائدة . وتمتد بحق ، سجلا حافلا بأعمال مجامع اللغة العربية . والمجالس العليا للعلوم والآداب والفنون . والجامعات والمعاهد العلمية . والهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب ، كما تعد منبرا حرا لرجال الفكر . وللعاملين على إعلاء لفة الصاد ، وجملها في مستوى اللغات العالمية الحية .

وبمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، فقد أصدرت مجلة « اللسان العربي » عددا خاصا ، يقع في نحو 650 صفحة من القطع الكبير . أودمته أبحاثا رائعة ، ودراسات مستفيضة . تناول فيها كاتبوها ، وكلهم من أشهر رجالات العلم والتاريخ والأدب ، لفة القرآن وذكرى نزوله ، وعبقريته الفكر العربي وشموله ، واللغات والمجتمع الإنساني ، واللغة العربية بين حمايتها وغزاتها ، وبين مؤيدتها ومعارضها

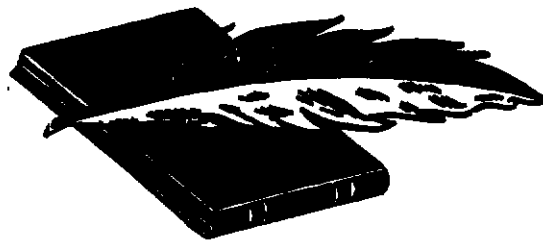
المعاجم ، كمعجم المعاني والمعجم العلمي والتقني العام،
والمعاجم الأخرى .

أما القسمان الخامس والسادس ، فيتضمنان
أبحاثا مختلفة ، ونشاط المكتب الدائم للتعريب ، وكلها
من أذق وأمتن وأبدع ما خطته أقدام الباحثين
والمحققين .

وإن أقل ما يقال في هذا العدد الضخم الخاص ،
أنه موسوعة نفسية ، تضاف إلى تراثنا العلمي والأدبي
وتسد فراغا واسعا في المكتبة العربية ، وتعتبر مرجعا
من أهم المراجع التي يعتمد عليها الكتاب وأرباب
التحقيق من العرب والمستشرقين والمؤرخين .

وكيفية تفجر طاقاتها ، ونشأة الخط العربي وتطوره ،
وترجمة القرآن إلى لغات شرقية وغربية ، وفضل
العرب على الفلك والطب ، ودورهم في تطور العلوم
الطبيعية .

وقد قسم هذا العدد الخاص من مجلة « اللسان
العربي » إلى ستة أقسام : ضم القسم الأول ،
دراسات وأبحاثا أشرنا إلى معظمها في الفقرة السابقة ،
وضم القسم الثاني ، استفتاء حول علاقة الإسلام
باللغة العربية ، وتضمن القسم الثالث والرابع ،
دراسات مهمة تبحث في موسوعة الغرب العربي ، وفي



قائمة بخبراء المكتب في الخارج في مختلف الشعب العلمية
(طبقا لآخر ما توصلنا به من الحكومات العربية)

الاختصاص	البلد	المصنوعان	الاسم
المعلوم	الكويت	وزارة التربية الوطنية	زهير الكرمي
الاحياء	عمان	الجامعة الاردنية	الدكتور عدنان بدران
نبات واهياء	عمان	الجامعة الاردنية	الدكتور صبحي القاسم
وقاية النباتات	الرياض	كلية الزراعة جامعة الرياض	الدكتور ابراهيم ابو يمين
الكيمياء	عمان	وزارة التربية والتعليم - الاردن	الدكتور اسحق الفرخان
الكيمياء	عمان	الجامعة الاردنية	الدكتور موسى الناظري
الكيمياء	الكويت	وزارة التربية الوطنية	حمدي مشماوي
الفيزياء والرياضيات	عمان	البنك العربي	فنحي تدورة
الفيزياء	الكويت	وزارة التربية الوطنية	احمد نريد
رياضيات	عمان	الجامعة الاردنية	الدكتور عدنان المرام
النبات	ليبيا	هيئة التدريس - قسم التغذية -	مصطفى بن حليم
رياضيات	بيروت	كلية الهندسة	
رياضيات	الكويت	الجامعة الامريكية	الدكتور امين موامي
طب (اخصائي اطفال)	الكويت	وزارة التربية الوطنية	حسين نجم
الطب (اخصائي اطفال)	الكويت	مستشفى الصباح	الدكتور يحيى شاكرك
والامراض الوراثية)	الكويت	مستشفى الصباح	الدكتور عمر السيد الالفي
الطب (اخصائي امراض	الكويت	مستشفى الولادة	الدكتور عبد المنعم ابو ذكري
نساء وولادة)	الكويت	مستشفى المواساة	الدكتور بول غليونجي
الطب (اخصائي امراض	الكويت	مستشفى الولادة	الدكتور حسان حنوت
باطنية وعدد صماء)			
الطب (اخصائي امراض	عمان	مجلس الاعمار بعمان	الدكتور حنا عودة
نساء وولادة)	عمان	ميادة طب الاسنان - جبل الحسين	الدكتور يوسف ذهني
العلوم والادارة والاقتصاد	الجزائر	ثانوية ابن باديس - قسنطينة	ميه الرحمن الأزعر
الكيمياء	الكويت	رئيس قسم ادارة الاعمال	الدكتور ابراهيم عبد الرحمن
رياضيات	عمان	رئاسة الوزارة	ميمي
الادارة	الكويت	الجامعة الاردنية	الدكتور محمد نوري شفيق
الادارة	عمان	البنك المركزي بالاردن	الدكتور محمد صفر
الاقتصاد	الكويت	رئيس قسم الاقتصاد	الدكتور سعيد النابلسي
الاقتصاد	الكويت	رئيس القانون الخاص وعبيد كلية الحقوق	الدكتور احمد ابو اسماعيل
القانون	الكويت	ص.ب 2444 بالاردن	الدكتور عبد الحي حجازي
القانون	عمان	كلية الحقوق - جامعة الجزائر	المحامي امين الحسنى
القانون	الجزائر		عمر الثبيني

انتاج المغرب الأقصى في الميزان

الدكتور اكرم فاخيل

(بفساد)

ونحسب المصادر الغربية فاذا هي ليست دون
سبعة عشر مصدرا .

وتتالى في هذه الموارد اسماء جليلة من العرب
والفرنج .

وقد صنف المؤلف الكتاب على الوجه التالي :
المقدمة ، نشأة الطب في الاسلام ، الطب في الاسلام ،
الطب في المغرب والاندلس ، الطب في عهد المرابطين
والموحدين . العهد المريني والوطاسي ، العصر السعدي
والطب في عهد العلويين ، لائحة المخطوطات الطبية
بالمكاتب المغربية .. الخ ..

واسلوب المؤلف في هذا الكتاب اسلوب العالم
الاديب . واليك هذه العبارة ص 63 « ويلاحظ ريتو
انه في المدة المتراوحة بين 867 و 1325 اي طوال
اربعة قرون ونصف قرن طرات المجاعة بالمغرب ست
مشرة مرة . وتسكت المصادر التاريخية عن المدة
المتراوحة بين 1325 و 1614 .. » ما اجمل كلمة
المتراوحة !

(ب) - المعجم التاريخي .. ويقع في 80 صفحة
من القطع المتوسط . لم يبدأ المؤلف بمقدمة ،
كمعادة المؤلفين ، او كعادته هو ، بل يستهل بحثه بكلمة
« الاخماس » فيقول « كثير من قبائل الغرب كانت

تطالما مجلة «اللسان العربي» التي يصدرها
«المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي»
بأبحاث دسمة يتوفر عليها جهابذة اللغويين . ومن
هؤلاء الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله . فالرجل طويل
الباع في اللغتين العربية والفرنسية على الاقل ،
وعساه ان يحسن لغة ولغات اخرى . وقد تناول
في احد اعداد هذه المجلة الفريدة « مصطلحات
الصوفية » فاذا بها معجم واف باللغتين الانفتسي
الذكر . وله في هذا المجال مصطلحات وتحقيقات
عديدة .

ويطلع علينا هذه المرة بالكتب ، فاذا نحن نجاء
ثلاثة كتب طريفة :

1 - الطب والاطباء بالمغرب .

2 - المعجم التاريخي

3 - L'Art Maghrébin

(ا) - الطب والاطباء بالمغرب . قدم له الاستاذ
محمد الفاسي رئيس جامعة الرباط . والكتاب يقع
في 109 صفحات .

ونعد المراجع العربية فاذا عددها لا يقل من
ستين مرجعا .

مقدمة الى اخماس . والخمس عبارة عن وحدة
مسكرية لا ادارية ، لان كل خمس يحتوي على جماعة
من الرماة على رأسهم مقدم ، ولها علم ذو لون معلوم
قد نقشت عليه عبارة (لا اله الا الله) .

وينتهي القويميس بكلمة (يعقوب الموحدى) .
فيذكر انه مدفون بتينمل . وقد حكى بعض المشاركة
وجود قبر للمنصور فى الشام (البيان لابن عذارى
ج 4 ص 191) .

والكتاب كله فوائد وملح وطرائف . والقاريء
تجاهه لا يسه الا الامجاب بلغة المؤلف وسعة
اطلامه وعمق تفكيره .

ج - الفن المغربي ، وهو ثلاثة الاناسي ، وقد
وضعه باللغة الفرنسية . وللمؤلف كتاب آخر باللغة
الفرنسية عنوانه « التيارات الكبرى للحضارة
المغربية » . وله فى العربية عدة كتب فريدة ومقالات
مبثوثة فى مختلف المجالات العربية الكبرى .

مقدمة الكتاب محبرة بقلم رئيس جامعة الرباط
الاستاذ محمد الفاسي ، الذى يستهلها بقوله :
« كثيرة تلك المؤلفات من فنون الاقطار الاسلامية ،
لاسيما من فنون المغرب . ومن بينها دراسات فاخرة
من التقنية الفنية وكذلك من التطور التاريخي . ولكن
هذه المصنفات كلها على وجه التقريب غير نيسرة
المراجعة لعامة الجمهور . فهي منطقة مقللة فى اوساط
المختصين » .

ويسترسل بعد ذلك فيقول عن كتاب بنعبد الله
انه جاء لتكملة النواقص . وهو ان لم يكن بوسعه ان
يجل محل المؤلفات العظمى التى نهض بها كل من
امثال مارسيه Marçais وريكار Ricard
وتيراس Terrasse فانه بشكل مساهمة مهمة
فى دراسة الفن الوطني منذ اصوله الاولى .

ويثنى الفاسي بعد ذلك على سعة ودقة
تحقيقات المؤلف . ويقول انه قد استكشف تفاصيل
لم يسبق لاحد بحثها .

وهناك نقطة خطيرة ينبه اليها ، الا وهي قوله :
« ان المؤلف بلغت انتباه القاريء الى نقطة فنية
بالتأملات والإيماءات قوامها » ان الفن البربري
يرتبط ارتباطا وثيقا بهندسة قديمة للغاية تنطلق
بالواحاح التى ربما ابتدعتها مصر الفرعونية او على
الاقل اشاعتها .

ويتحدث بعد ذلك عن فترة الموحدين .

ويقول كذلك ان ابن فرناس قد اكتشف طريقة
جديدة لصنع الزجاج من الحجارة .

ويحدثنا الاستاذ ان مخطوطة عربية قد اكتشفت
فى مكتبة الاسكوريال مصنوع ورثها من
القطن ويرجع تاريخها الى القرن الحادى عشر .

والكتاب يقع فى 174 صفحة محلاة بالصور
البديمنة .

اما المصادر فتربو على الخمسين .

واقسام الكتاب تسمان .

ويستهل بنبذة من الفن اليوناني والبربري
والعربي . فالقرون الاولى للاسلام . فالفن فى عهد
الموحدين .

حتى اذا ادى بنا الطاف فى الفهرس الى الفصل
السادس قرانا عنوانه « الفنون الصناعية » .

هذه الكتب كلها منافع ومنابع للتأمل والتفكير ،
لا يفنى التحدث عنها فتبلا من قراءتها .

إصدار طبعة دولية لمجلة « اللسان العربي »

وجه المكتب الدائم النداء الآن بالفتين العربية والفرنسية الى كافة الاختصاصيين من المشرقين والمغربيين :

يترجم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي اصدار طبعة دولية لمجلة « اللسان العربي » بلغات مختلفة وخاصة منها الفرنسية والانجليزية وذلك في مواضيع تتصل بلغة الصاد او مشاكل تتعلق بالتعريب وفقه اللغة وعلم اللسان والسنيات المقارنة وعلمي السيمياء والاشتغال . كما ان المكتب يرحب بكل مقال له علاقة بالحضارة العربية .

فرجاؤنا ان تشاركوا بما عهد فيكم من سعة اطلاع وموضوعية في تحرير هذه الطبعة التي نستهدف من ورائها خلق منبر يتبارى فيه الطاب الفكر وعلماء اللغة من كافة القارات تحت شعار الوحدة الثقافية الانسانية .

Le Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le Monde arabe se propose de publier incessamment une version internationale de sa revue annuelle « Al-Lisân al-Arabi » en langues étrangères, notamment en français et en anglais.

Les thèmes que nous avons le plaisir de soumettre à votre choix seraient les suivants :

Recherches sur la langue arabe :

Problèmes afférents à l'arabisation :

Philologie, linguistique comparée, sémantique, sémiologie, etc.

Et même, le cas échéant, des études sur les données et les problèmes de la Civilisation arabe et le processus de son évolution.

Connaisant pertinemment votre compétence et le haut intérêt que vous portez à ce genre d'études, nous serions donc particulièrement heureux d'avoir votre collaboration à cette édition dont le but essentiel est de contribuer à une plus large compréhension internationale, grâce à un rapprochement intellectuel plus étroit sous le signe d'une unité culturelle à l'échelle universelle.



تحقيقات

تقويم اللسان

لادبنة الجوزي

محمد ابراهيم الكتاني
رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرياض
استاذ في جامعتي محمد الخامس والقرويين

عبد العزيز بن عبد الله
استاذ في جامعتي محمد الخامس والقرويين
(دار الحديث)
المدير العام للمكتب الدائم للتعريب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم وقوم وبين وفهم وارشد والهيم ، ومن بتعريف السبيل الاقوم وعلم الانسان ما لم يعلم حمدا اصيله الى مستحقه واهله واستدبمه ما دامت ديم فضله ، واصلي على اشرف الخلاق من بعده ومن قبله محمد اكرم من وطىء الحصبا (1) بنعله وعلى آله واصحابه وازواجه واتباعه من قوله وفعله ، وسلم . اما بعد ، فاني رايت كثيرا من المتسبين الى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول (2) جريا منهم على العادة وبمدا عن علم العربية ، ورايت بيان الصواب في كلامهم مبدا في كتب اهل اللغة وجمعه يثقل على المتكاسل عن طلب العلم ، وقد افرد قوم ما تلحن فيه العوام ، فمنهم من قصر ومنهم من ذكر ما لا يكاد يستعمل ، ومنهم من رد ما لا يصلح رده ، فرايت ان انتخب من صالح ذلك ما نعم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر وارفض من الفلظ ما لا يكاد يخلى فصل واعلم ان غلط العامة يتنوع ، فتارة يرفعون المكسور وتارة يكسرون المرفوع وتارة يمدون المقصود وتارة يقصرون الممدود وتارة يشددون المخفف وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون في الكلمة وتارة ينقصون منها وتارة يضمونها في غير موضعها الى غير ذلك من الاقسام ، وكنت قد عزمت على ان اجعل لكل شيء من هذا بابا ، ثم اتى رايت ان انظم الكل في سلك واحد واتى به على حروف المعجم ، واعول على الصحيح فيه لا على الخطا ، لذلك اسهل لطلب الكلمة فصلا وكتابي هذا مجموع من كتب العلماء بالعربية كالفراء والاصمعي وابي عبيد وابي حاتم وابن السكيت وابن قتبية وتلعب وابي هلال العسكري ومن تبعهم من ائمة هذا العلم وانما لي فيه الترتيب والاختصار وان وجد لشيء بهيت عنه وجه فهو بعيد ، او كان لفة فهي مهجورة . وقد قال الفراء : « وكثير مما اتهاله عنه قد سمعته ولو تجوزت لرخصت لك ان تقول « رايت رجلا ن » ولقلت اردت ان تقول ذلك (3) والله الموفق .

- 1 في الاصل الحصبا الحصى وهما مترادفان فلا معنى للتكرار .
- 2 في الاصل المرذوال بالزاي .
- 3 راجع بكلمة اصلاح ما تفلظ فيه العامة لابي منصور الجواليقي ص 5 طبع المجمع العلمي العربي (دمشق)

باب الالف

وتقول اشال الطائر ذنابا ، والعامة تفلط في هذه الكلمات الثلاث في ثلاثة مواضع ، يقولون شال الطير ذنبه ، وتقول اعلمت على الشيء من العلامة على الثوب وغيره ، والعامة تقول عنمت عليه وتقول اشليت الكلب اذا دعوته ايك ، والعامة تقول اشليته اذا حرضته على الصيد واغريته به وذلك خطأ ، انما تقول اذا اردت ذلك اسدته على الصيد وقد اجازه بعضهم ، وتقول اصبح (7) القوم اذا صاحوا وجلبوا ، والعامة تقول ضجوا وانما يقال ضجوا اذا جزعوا وتقول اكلت فلانا اذا اكلت معه ، والعامة تقول واكلته وتقول اجرته الدار والدابة والعامة تقول واجرته وتقول اخذته بذنبيه وهم يقولون واخذته واسيته بنفسي ، وهم يقولون واسيته وازيته اذا حاذيته ، وهم يقولون وازيته ، وتقول اشرفت الرمح قبل العدو ، والعامة تقول شرعت وتقول انا افرق منك ، والعامة تقول انا افرقك وتقول ما املت فيك هذا ، والعامة تقول ما وملت بالواو ، وتقول سألتك بالله الا فعلت بكسر الالف ، والعامة تفتحها وتقول احكني راسي اى الجاني الى الحك ، والعامة تسقط الالف فتجعل الراس فاعلا وتقول انا احس (8) بكذا بضم الالف وكسر الحاء ، والعامة تفتح الالف وتضم الحاء وتقول استخفيت من فلان ، والعامة تقول اختفيت منه ، واما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل النباش مختف وتقول مشيت حتى اعييت والعامة تقول حتى عييت فتسقط الالف

تقول استهتر فلان بكذا بضم التاء الاولى وكسر الثانية (1) على ما لم يسم فاعله والعامة يفتح التائين وهو خطأ . وتقول فلان اهل لكذا قال الله تعالى : « هو اهل التقوى واهل المفرة » ، والعامة تقول مستاهل لكذا (2) انما المستاهل متخذ الاهالة وهي ما يوتد به من السمن والودك ، وتقول فلان اعرابي اذا كان بدويا . واعجمي اذا كان لا يفصح (3) وان كان نازلا بالبادية والعامة لا تراعي هذا الشرط وتقول هو الاسكف للذي تسميه العامة الاسكاف ثنا بن ناصر قال ثنا ابو محمد السراج ثنا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري قال ثنا ابو عمر بن حيوبة قال ثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد صاحب ثعلب ، قال ثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال : العرب تقول هو الاسكف للذي تسميه العامة الاسكاف ، قال والاسكاف عند العرب كل صانع لا من يعمل الخفاف (4) ، وتقول اشتكى فلان عينيه (5) والعامة تقول اشتكت عينه وهو غلط لانه هو المشتكى لا العين وتقول ادلج الرجل حقيقة اذا سار اول الليل وادلج بتشديد الدال اذا سار من آخره (6) والعامة لا تفرق . وتقول اثلت الشيء او شلت به بضم الشين فتعدي بهمزة التقليل او بانباء وتقول شالت الناقة بذنبيها واشالت ذنبيها ، والشائل عندهم المرتفع ، والعامة تقول شلت الشيء اشيله .

- (1) مثله في اللسان .
 - (2) مثله في اللسان عن المازني والاصمعي وابن سيده والجوهري وابن بري .
 - (3) مثله في اللسان في مادتي عرب وفجم .
 - (4) صدر في القاموس بان الاسكف والاسكاف الخفاف ثم حكى ما عند المصنف باو ، وفي الصحاح وقول من قال كل صانع عند العرب اسكاف قصير معروف ونقله في تاج العروس .
 - (5) في اللسان اشتكى عضوا من اعضائه .
 - (6) مثله في الصحاح وبه صدر في القاموس ، وهو ما جرى عليه ثعلب في الفصح ، وجموله من تحقيقات اسرار العرب .
- وصدر في اللسان بان ادلج من آخر الليل وادلج سار الليل كله . وذكر ان ثعلب حكى عن ابن سليمان الاعرابي : اى ساعة سرت من اول الليل الى آخره فقد ادلجت ، ونقل عن ابن السكيت : ادلج سار الليل كله ، وادلج في آخر الليل ، ثم قال والتفرقة الاولى من بين ادلجت وادلجت قول جميع اهل اللغة الا الفارسي فانه حكى ان ادلجت وادلجت لفتان في المعنيين جميعا .
- ونقل في تاج العروس عن ابن درستويه ان معناهما سير الليل مطلقا دون تخصيص باوله وآخره . وغلط ثعلبا في التفرقة بينهما ، واطال في ذلك .

الشهر باسم فتقول ثلاث غرر- ووفرة كل شيء اوله
 وثلاث نفل لانها زيادة على الغرر وثلاث تسع لان آخر
 ايامها التاسع وثلاث عشر لان اول ايامها العاشر وثلاث
 بيض لانها بيض بطول القمر من اولها الى آخرها وثلاث
 دزغ (3) لاسوداد اولها وايضا سائر وثلاث
 ظم لا ظلامها وثلاث خنادس لسوادها وثلاث دادي (4)
 لانها بقايا وثلاث محاق لامحاق القمر او الشهر وتقول
 هو الانف بفتح الالف ، والعامه تضمها وهي الانسان
 والعامه تكثره وهذه الابهام للاصبع المعروف ، والعامه
 تقول البهام ، قال الفراء انما البهام جمع البهم وجمع
 الابهام اباهيم وتقول هو الابط بسكون الباء وقد
 يتفامح بعض العامه فيقول الابط بكسر الباء ولم
 يات في الكلام شيء على فعل الا ابل (5) واطل وهي
 الخاصرة وجيز وهي صفة الانسان وفي الصفات امرأة
 باز وهي السمينة واتان ايد (6) تلد كل عام وابلياء
 بيت المقدس ممدود والعامه تقصره وربما شددت الباء
 وهي الالية بضم الالف والعامه بفتحها والاردن بضم
 الالف وتشديد النون والعامه بفتحها وتخفيف النون
 وارمينية بكسر الالف والعامه تضمها وانطاكية
 بتشديد الباء والعامه تخففها وهي الازوية التي تقول
 لها العامه المرزبة (7) وهذه اوزة (8) بالف مكسورة .
 والعامه تسقط الالف وهي انفحة (9) الجدي والعامه
 تقول منفحة وهي اثوبية بضم الالف والعامه بفتحها
 ويجمعها انايب والعامه تقول انايب وهو بناء منكسر
 وهذه اضبارة (10) من كتب وهم يقولون ضبارة

وتكسر الباء وانما يقال مبيت فيما يلتبس عليك فلا
 تفرى ما وجهه وتقول منذ اسبوع ما رأيتك ، والعامه
 تقول منذ سبوع وانما السبوع جمع سبع وسبع
 من العدد وتقول اقلت من كذا ، والعامه تقول انقلت
 وتقول صار فلان اخدونة ، والعامه تقول حدونة
 وتقول اقلت الباب فهو مطلق واقفلته فهو مقفل
 وانفرت الدابة فهي مشفر وامقدت العسل فهو مقعد
 واغليت الماء واغليت اغمي والعامه تسقط الالف منهن
 وكذلك ازلت اليه معروفا مثل اسديت وازلت له زلة
 من الطعام من المائدة ، والعامه تقول زلت بغير الالف
 وتقول امسكت الشيء وارده والعامه تحذف الالف
 وتقول في صدر فلان علي احنة والعامه تقول حنة
 وتقول احد ابردة (1) وذلك من زخاوة المشاة والعامه
 بفتح الالف وتقول فلان اطروش بضم الالف والعامه
 تفتحها على ان الطرش لم يسمع من العرب العرياء
 وتقول كتبت هذا الكتاب اول يوم من شهر كذا او غرة
 شهر كذا والعوام تقول كتبته مستهل شهر كذا وذلك
 خطأ لان اليوم لا يكون مستهلا لان الهلال يرى في الليل
 وتقول في اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
 هذه ايام البيض اي ايام الليالي البيض وسميت هذه
 الليالي بيضا لطاوع القمر من اولها الى آخرها ،
 والعامه تقول الايام البيض (2) حتى ان بعض الفقهاء
 جرى في كتبه المصنفة على عادات العوام في ذلك وهو
 خطأ لان الايام كلها بيض ، وقرأت على شيخنا ابي
 منصور اللغوي : قال العرب تسمى كل ثلاث من ليالي

- 1 ابردة برد في الجوف .
- 2 راجع كتاب تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامه لابي منصور الجواليقي (ص 7) فقد نقل عنه ابن الجوزي
 كل ما يلي حول تقسيم الليالي .
- 3 ليلة درهائ سوداء الصدر بيضاء الفجر من آخر الشهر او العكس من اول الشهر الجمع درع
 (المعجم الوسيط) .
- 4 الدادا والداداء وتلحقهما التاء من الليالي الشديدة الظلمة لاختفاء القمر فيها والجمع الدآدى
 والدآدي (متن اللغة) ، واختلف هل هي قبل ليالي المحاق او بعدها .
- 5 من يحسن رعاية الابل .
- 6 الايد بفتح الهمز وكسر الباء في نوادر ابن زيد يقال ان يبلغ الجد الايد الا كل عام يلد (متن اللغة) .
- 7 المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة او مطرقة الحداد والكلمتان مترادفتان حسب المعجم الوسيط
 و متن اللغة ولسان العرب وفي متن اللغة ان المرزبة مخففة الباء وتشديدها عامي .
- 8 في الاصل اوزة بالراء والغالب ان الصواب اوزة بالزاي .
- 9 الانفحة مرادفة المنفحة (المعجم الوسيط) ولسان العرب والمنفحة هي القوس (لسان العرب و متن
 اللغة) .
- 10 في الاصل اضبارة بالصاد المهملة والصواب بالضاد وهما مترادفتان (المعجم الوسيط) وفي لسان العرب
 وضبارة لفة وغير الليث لا يجيز ضبارة من كتب

والطاء والعامة تكسرهما وهي الاهليلجة والعامة تقول هليلجة وتقول قد احسنت الشيء وهم يقولون حسنته واربته كذا اربيه وهم يقولون اوربته واربيه وامسكت كذا وهم يقولون مسكته وامسح الله بذلك وهم يقولون مسح بحذف الالف وتقول امرؤني كذا وهم يقولون عازني واباده الله واخزاه وهم يقولون باده واخزاه وقد اشبه فلان اباة وهم يقولون شبه اباة وكنا في اسلاك فلان وهم يقولون في ملالونحن على اوفاز ووفاز الواحد وفز اذا لم يكن على طمانينة ولا يقال وفاز بفتح الواو كما تقول العامة وقد اروحت العجيفة وهم يقولون قد راحت (8) وتقول اصحت (9) السماء فهي مصحبة وهم يقولون صحت فهي صاحبة وتقول اجبرت فلانا على كذا وهم يقولون جبرته ولا يقال جبرت الا في العظم والفقر (10) وتقول الفت هذا الكتاب والعامة تقول ولفت وتقول امحي (11) الكتاب والعامة تقول امتحي وتقول الناس في امن بفتح الالف وكذلك الاكبار والانباء والاربعون بفتح الباء والعامة تكسره وتقول قد ارف الوقت اي قرب ، قال الله تعالى (ارففت الازفة) والعامة تجمل ارف بمعنى حضر وولع وبعضهم يريد انه قد ذهب وانصرم وبعضهم يقول راف الوقت وانما يقال رافت الحمامة اذا نشرت جناحها وذنبها على الارض وزافت المراه في مشيتها كأنها تستدير وزاف الجمل في مشيته زيفانا وهو سرعة في تمايل وتقول هذه اشجار العين يعني حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر والعامة تظنها الشعر النابت وهو خطأ انما الشعر الهدب وتقول الارضون بفتح الراء والعامة تسكنها وليهم من يجمع الارض اراضي (12) وهو غلط لان الارض ثلاثية والثلاثي لا

وهو (1) الذي يخرز به الاشئى مقصور وهم يقولون الشفا وهي الأرجوحة الذي تسميه العامة مرجوحة . وهي الاسكرجة بضم الالف والكاف وفتح الراء وهي اعجمية معربة معناها مقرب الخل والعامة تقول سكرجة باسقاط الالف وفتح الكاف ، وقال شيخنا ابو منصور وقد جاءت بغير همزة (2) فروي انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اكل في سكرجة وتقول هذه النعجة الاولى لفلان ولا تقول الاولى فان هاء التانيث لا تدخل على اول وهي الية الكباش بفتح الهمزة ومن العامة من يكسرهما ومنهم من يقول لية (3) بغير الف وهذا رمان امليسي وهو اعجمي معرب والعامة تقول مليسي وهو الاترج والاترجة والعامة تقول ترنج وترنجه (4) وهو الآخر (5) بكسر الالف والعامة تفتحها وهو الاجاص والعامة يقولون انجاص (6) وهذه اجانة وهم يقولون انجانة وهذه اوقية بالالف والعامة تحذف الالف (7) فاما جمعها فاواقي بتشديد كمامتي وبعض العرب تقول اواق بالتخفيف فاما العامة فتعمد الالف فتقول اواق على وزن افعال وذلك انما هو جمع اوق وهو الثقل والازاد بالبدال المعجمة ضرب من الثمر والعامة تقول بالبدال المهملة والابريسم بفتح الهمزة والراء ويجوز بكسر الهمزة وفتح الراء وهو اسم اعجمي كذا قرأته على شيخنا ابي منصور والعامة تفتح الهمزة وتكسر الراء وهو الاثل باسكان الشاء والعامة تفتحها وهو الايل وهو الذكر من الودع وفيه ثلاث لغات ايل بكسر الالف وفتح الياء وايل بفتح الالف وكسر الياء وايل بضم الالف وفتح الياء والعامة تفتح الالف والياء . قال الليث سمي ايلا لانه يشول السى الجبال فيتحصن بها وهي الاسطوانة بضم الالف

- 1 (لعل الصواب والذي يدل وهو الذي .
- 2 (وعليه اقتصر في اللسان وتاج العروس ومتن اللغة وما نقله عن ابي منصور هو في كتاب المعرب من الكلام الاعجمي (ص 89 من طبع ليبسغ) وذكرها بالهمز ص 20 منه واقتصر في كتاب اصلاح ما تفلط فيه العامة (طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ص 30) على رواية الهمز وعد حذف الهمز من الفلظ
- 3 (كما هو الحال عند بعض عامة المغرب .
- 4 (في المغرب كذلك .
- 5 (في اللسان الآخر بوزن الكبد هو الابعد المتأخر عن الخيسر .
- 6 و 7 (في المغرب كذلك . 12) يقال هليلج بفاس
- 8 (تقول عامة المغرب ربحت بالياء .
- 9 (في الاصل اصحت بالفساد .
- 10 (في الاصل المر ولعل الصواب الفقر يقال جبر فقره سد مفاقره (متن اللغة) .
- 11 (محا يمحي ويمحو او متحي لفة ضعيفة (متن اللغة) .
- 12 (وفي اللسان نقلا عن ابن بري « الصحيح عند المحققين فيما حكى عن ابي الخطاب ارض وارض » قال الجوهري والاراضي ايضا على غير قياس .

وتقول لمتاع البيت اناك والعامه تقول رحل ولا تعرف العرب الرجل الا شرح اليمير فحسب واما قوله غايه السلام اذا ابتلت الثغال فصلوا في رحالك فالمراد به في منازلكم التي فيها الرجال وتقول عند الحرقة ولدغ الخزازة المضطه اح بالحساء والعامه تقول اخ بالخاء المعجمة وزبنا ضموا الالف وفتحوا الخاء وجاءوا بعدها بياء هاء قال شيخنا ابو منصور اللقوي ليس الخاء هاءنا من كلام العرب انما هي لفة العجم ولما اشتد امر شيب على الحجاج وحصره في القنصر امر الحجاج غلاما شجاعا فليس ثياب الحجاج وسلاحه وركب فرسه وصاح في الخيل الجند فجمعهم وخروج فقال الناس قد خرج الحجاج فاقبل شيب فقال ابن الحجاج فاقوما اليه فحمل حتى ضربه بالعمود فلما احس بوقعه قال اخ بالخاء فانصرف شيب وقال فبكت الله يا ابن ام الحجاج انتفى الموت بالمبيد وتقول افاق فلان عن عكته والعامه تقول فاق وتقول اردت هذا وهم يقولون ردت وتقول اي شيء تريد والعامه تقول ايش تريد قال ابو هلال العسكري هو خطأ ما سمع من فصيح قط وتقول لما يدفع بين السلامة والعب من السلعة ارش وانما سمي ارشا لان المتاع اذا اشترى الثوب على انه صحيح ثم وقف منه على عيب وقع بينه وبين صاحبه ارش اي خصومة من قولك ارشت بينهما اذا اغرقت احدهما بالآخر فسمي ما ينقص العيب الثوب ارشا اذا كان سببا للارش والعامه تقول هرش (5) بالهاء وهو خطأ وتقول للذي تدبره الريح ابو رياح والعامه تقول بزيح وتقول افعل كذا اما لا اي ان لم يكن ذلك فافعل هذا انشدني شيخنا ابو منصور قال انشدني ابو زكرياء لو ان نوقا او ثلثه من غنم اما لا امرت الارض لو ان مالا (16) والعامه تقول

تجمع على افايل وتقول قرأت الحاميم قال ابن مسعود حدثنا اذنا وقت في الحاميم وقت في روضات دمشق والعامه تقول قرأت الحواميم (1) وليس من كلام العرب ؟ وتقول اذا اردت تفصيل الحمل اما يفتح الالف واذا اردت التخبير او الشك قلت اما بكسر الالف قال الله تعالى في الاولى (واما الذين شقوا ففي النار واما الذين سمعوا ففي الجنة) وقال في الثانية فاما منا بعد واما فداء وتقول في الشك لقيت اما زيدا واما عمرا والعامه تفتح الالف في الكل وتقول للرجل انه حدثنا اذا استزدته وابتها كف عينا اذا امرته ان يقطع وويها (2) اذا زجرته عن الشيء وويها (3) اذا تعجبت منه والعامه تخط في هذا وتقول ارعني سمعك والعامه تقول ارعني سمعك وهو الاريان والاريون والعريان والاريون والعامه تقول الاريون وقد ارتج على فلان الكلام والعامه تقول ارتج بتشديد الجيم وتقول للقائم لا اقم ولا تقل اجلسن الا لمن كان قائما وانما القعود انتقل من جلوس الى اقبل والجلوس من اقبل الى علو ومنه سميت نجد جليسا لارتفاعها وجلس الرجل اتي نجدا ، وتقول انشوى اللحم والعامه تقول انشوى (4) وانما المشتوى الرجل وتقول ما اشد بياض هذا الثوب والعامه تقول ما ابيض هذا الثوب وتقول قد اضيغ الي هذا الاول والعامه تقول قد اضيغ وتقول الحمد لله اذا كان كذا والعامه تقول الحمد لله الذي كان كذا فيحذفون الضمير العائد الى اسم الله تعالى الذي يتم به الكلام ، وقد روي ان رجلا طرق الباب على نحوي فقال من قال الذي اشترت من الاجر فقال انحوي منه قال لا قال له قال لا قال اذهب فما لك من صلة لدي شيء وتقول انحت البعير فبرك ولا تقل فناخ والعامه تقول نخت البعير فناخ

- 1 . وكذلك عند موفق الدين عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصح لثعلب اص (108) وذكر الالوسي في روح المعاني (ج 7 ص 432) ان حاميم تجمع على حواميم محتجا بورودها في عدة احاديث رادا بذلك على قول الجواليقي والحريري وابن الجوزي وفي الصحاح عن الفراء ان قول العامه الحواميم ليس من كلام العرب وقال ابو عبيدة الحواميم سور في القرآن على غير قياس (ج 5 ص 1907) وما نقله عن ابي عبيدة غير موجود في «مجاز القرآن» وانكر صاحب القاموس حواميم وانتقد الخفاجي في شرح «درة الفواص» على الحريري انكاره له قائلا : «وقد تبع في هذا بعض من تقدمه والصواب خلافه»
- 2 . في لسان العرب وبه اغراء ومنهم من ينون فيقول ويها وقريب منه في (متن اللغة) .
- 3 . ذكر ابن منظور في اللسان عدة معان لذلك .
- 4 . في اللسان ان الجوهرى قال بعدم استعمال انشوى وان سبويه اجاز ذلك .
- 5 . في المغرب حرش بدل هرش وكلاهما فصيح خلافا للمؤلف (متن اللغة والمعجم الوسيط) .
- 6 . قال ابو منصور في تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامه (ص 28 - 29) : انشدني ابو زكرياء رحمه الله : امرت الارض لو ان مالا لو ان نوقا لك او جمالا او ثلثه من غنم اما لا

قال ابن بري كذا يكتب اما لي بالياء وهي لا اميلت فالقها بين الياء والالف والفتحة قبلها بين الياء والكره

قد حرف وتقول هو البورق (6) بفتح الباء هذا الذي يلقي في العجين والعامية تضمها وهو خطأ لأنه ليس في الكلام فوعل يضم الفاء وكل ما جاء على فوعل فهو مفتوح الفاء نحو جبور وروشن وهو البسطيل للرثوة بكسر الباء وكذلك كل ما جاء على فعيل كلقيس والبرجيس اسم النجم الذي يقال له المشتري والعامية بفتح الباء منهن (7) وتقول هذا بخور بفتح الباء والعامية تضمها وتقول هي البضعة وهي البحار بفتح الباء فيهما والعامية تكسرهما فيهما وهو البوري والباري للذي تقول له العامية البارية وهي البصرة بتسكين الصاد وبعض العامية بكسرهما والبكرة بتسكين الكاف وبعض العامية يفتحها وتنف البصل (8) بفتح الباء والعامية تكسره وهي لفة وهو البلور بكسر الباء وفتح اللام والعامية بفتح الباء وبضم اللام والبهار يضم الباء وهو الحمل والعامية بفتحها وباللوعة بألف والعامية تقول بلوعة وبرهوت بفتح الراء والعامية تسكنها وهي الباء بالمد وهو النكاح والعامية تقصره وتقول بلعت (9) اللقمة بكسر اللام والعامية بفتحها وبشششت بفلان بكسر الشين والعامية بفتحها وتقول بنى فلان على أهله (10) وأصله أنه كان من أراد أن يدخل لزوجته بنى عليها قبة فقيل لكل داخل بأهله بان والعامية تقول بي بأهله وتقول لمن دخل بزوجته هذا بعلمها ولا يسمى بعلا حتى يدخل بها وهو زوج على كل حال والعامية تسميه بعلا لأن لم يدخل بها (11) وتقول ديار بلاقع أي خالية من أهلها والعامية تقول براقع بالراء أنفا البراقع جمع برقع وهو ما تجعله المرأة على وجهها

أما يفتح الالف وتسكين الياء وتقول اللهم صل (1) على محمد وأهله (2) وآله والعامية تقول وذويه وهذا غلط لأن العرب لم تنطق بذوي الإضافة إلى اسم جنس كقولهم ذو مال وتقول فلان يحدث بالاباطيل قال الفراء والمولدون يقولون ابواطيل وكلام القوم هو الأول وتقول في دعائك لا أهلك وانت الرجا بكسر اللام والعامية تفتحها وقد هلفنا عن الضاحب بن عباد أن فقيرا من أهل الأدب تعرض به فقال له أهلك في دونك فقال وانت من أهل أهلك فانم عليه قال أبو هلال العسكري وتقول العوام شيء أزلي أي قديم (3) ويصفون الله بالازلية وكل ذلك خطأ لا أصل له في العربية وإنما سمعوا أقوال الناس لم يزل الله موجودا فبنوا منه هذا البناء قال وفي بعض النسخ من «اصلاح المنطق» الأزل القدم فإن كان ابن السكيت قاله فقد أخطأ ليس الأزل بشيء قال الأصمعي يقول اقرأ عليه السلام ولا تقل اقرأه السلام لأنه خطأ (4) .

باب الباء

تقول لما يزرع ويؤكل بقر وبذور والعامية تقول يزر (5) وبزور وهو خطأ وتقول هذا بطيخ بكسر الباء والعامية بفتحها وتقول لجميع العشب وما ينبت الربيع مما يأكله الناس والبهائم بقل والعامية تخص بذلك النبات المعروف الذي يأكله الناس وتقول بقل وجه الغلام بالتخفيف والعامية تشدد القاف وتقول لما يتمجل من الزرع والثمار قد بكر وهو الباكورة والعامية تقول

(1) في الأصل صلي .

(2) أهله هنا زائدية .

(3) في لسان العرب والأزل القدم قال أبو منصور ومنه قولهم هذا شيء أزلي أي قديم .

(4) اقتصر ابن منظور في لسان العرب على جواز الوجهين وأورد حديثا يدل على صحة ما أنكره الأصمعي ولم يشر إلى رأي الأصمعي وقد أورد صاحب متن اللغة الوجهين ثم قال : « وأنكره بعضهم في غير

الثلاثي » .

(5) نقل ابن منظور عن ابن سيده أن البزر والبذر كل حب يزر للنبات .

(6) تنح ابن الجوزي هنا شيخه الجواليقي في « تكلمة اصلاح ما تفلط فيه العامية » (ص 51) .

(7) هكذا في الأصل .

(8) في الأصل السبل أي السبل ومقتضى الترتيب الأبجدي ذكر اللفظة في السين ولعل البصل بالماد وتقديم الباء

(9) الفتح لفظة (متن اللفظة) .

(10) قال في اللسان : « ولا يقال بأهله هذا قول أهل اللغة وحكى ابن جنى بنا فلان بأهله وأبنتي بها

عداها جميعا بالباء » .

(11) لم يشر ابن منظور إلى هذا الفرق ولا صاحب القاموس وصاحبا تاج العروس والصحاح .

قال الله تعالى : « ربما يود الذين كفروا » وتقول في جواب الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أردت نفيه مثاله أن يقال لك أما تقوم فتقول بلى إذا أردت إثبات القيام ونعم إذا أردت نفيه أي ما أقوم والعامية لا تفرق وقد حكى عن أبي بكر ابن الأنباري (7) أنه حضر مع جماعة ليشهدوا على أقرار رجل فقال أحدهم للمشهود عليه ألا تشهد عليك فقال نعم فشهدت الجماعة وامتنع ابن الأنباري وقال إن الرجل منع أن يشهد عليه بقوله نعم لأن تقدير جوابه لا تشهدوا علي وتقول لمن تنسبه إلى السرقة هذا بروجان (8) والعامية تقول بروجاص وإنما هو فضيل ابن بروجان من بني مطارد كان مولى لبني أمية القيس وتقول بهرنى (9) الشيء يهرنى بفتح الهاء والعامية تقول ابهرنى بألف يهرنى بضم الهاء وتقول امتلا بطن فلان والعامية تقول امتلات فتؤنث والعرب تذكر البطن قال الشاعر :

فانك ان اعطيت بطنك سؤله

وفرجك نالا منتهى الدم اجما

وتقول في اللون الخالص الذي لا يخالطه لسون آخر بهيم (10) فتقول اسود بهميم وابيض بهميم

وتقول خرج فلان إلى بر (1) والعامية تقول برا وتقول بروت (2) والدي وبروت في يميني بكسر الراء والعامية بفتحها وتقول لمن تأمره بالبرير والديك بفتح الباء والعامية تكسره وتقول بخصيت منه بالصاد والعامية تقول لها بالسبن وتقول ما رأيت البتلة والعامية تقول ما رأيت بنة وتقول للشيء الذي يديب فيه الصافة البوظقة (3) والعامية يقولون البوظقة وتقول بينهما بون والعامية تقول بينهما بين وتقول للشيء المتوسط هو بين بين قال عبيد ابن الأبرص (4) :

نحني حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بينا

والعامية تقول هو بين وبينين وتقول بيننا أنا جالس جاء عمرو والعامية تقول بينا أنا جالس إذا جاء عمرو وليس لدخول إذا هاهنا معنى وأن كانت قد جاءت في أحاديث لكنها محمولة على أنها من الرواة (5) وقد أجازوا ذلك في بينما قال الشاعر :

« فيبينما العسر إذ دارت مياسير »

وامتدروا بأن ما ضمت إلى بين وجرت حكمها كما أن رب لا يليها إلا اسم فلما زيدت فيها ما وليها الفعل (6)

- 1 البر هنا نقبض الكن قال الليث والعرب تستعمله في الكرة فتقول جلست برا وخرجت برا وذكر أبو منصور أن ذلك من كلام المولدين لم يسمعه من فصحاء العرب البادية (اللسان) .
- 2 حكى اللسان عن الأحمر الفتح في المعنيين ملاحظاً أن غيره لا يقول هذا وأن في فصيح ثعلب الكسر في القسم والفتح في البرور : ولكن الذي بين أيدينا في فصيح ثعلب وشرحه لابن سهل محمد الهروي هو الاختصار على الكسر فيهما (ص 9 طبع القاهرة ، 1325 - 1907) . وحكى ابن الأعرابي الكسر وحده في هذا الأخير وفي اليمين الكسر والفتح .
- 3 ورد في شفاء الغليل للخناجي (ص 38 - طبع القاهرة - 1325 هـ) : بوطة معرب بوثة وهي معروفة وقول العامية بوطقة خطأ كما في تصحيح التصحيف .
- 4 عبيد بن الأبرص بفتح العين شاعر من دهاة الجاهلية وحكائنها من أصحاب المجهرات المدودة طبقة ثانية من المعلقات عاصر أمراً القيس قتله النعمان بن المنذر حوالي 25 قبل الهجرة (600 م) له ديوان شعر مطبوع (الإعلام للزركلي ج 4 ص 339 - 340) .
- 5 قال ابن منظور : « والانصح في جوابهما (أي بينا وبينما) أن لا يكون فيه إذ وإذا وقد جاءوا في الجواب كثيراً » .
- 6 في الأصل العقل .
- 7 أبو بكر بن الأنباري هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الأنباري البغدادي اللغوي المتوفى سنة 328 هـ كان من أعلام الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً ترجمه ابن خلكان (ج 1 ص 637 من الوفيات) والسيوطي (ص 91 - 92 من بنية الوعاة) .
- 8 بروجان اسم لص يقال أسرق من بروجان (اللسان) وكانت الكلمة في الأصل بروجان بالحاء المهملة ، وأجع تكلمة إصلاح ما تفلط فيه العامية (28) (ذيل الفصح لثعلب - أملاء عبد اللطيف البغدادي ص 109)
- 9 أبهر فلان جاء بالمعجب (الفيروزبازي ومثنى اللغاة) .
- 10 وافق ابن منظور والجهري المؤلف وحكى الفيروزبازي الوجهين .

فعلت ذلك والعامّة تقول ذلك وهي الترفوة بفتح التاء والعامّة تضمها وهي تكريت بفتح التاء والعامّة تكسرهما وبلدة تستمر بالتاء والنسبة اليها تسترى والعامّة تقولها بالدال وهو التثنية بكسر التاء والعامّة بفتحها وكذلك التلسية قال ثعلب قول الكتاب كسر الحساب تليسة بفتح التاء غلط والصواب كسره وتقول هذا التيفار (9) بناء معها ياء على وزن تفعال مثل تجفاف والعامّة تقول الثغار بعطف الياء وتقول تمرن فلان على كذا والعامّة تقول تمرن وهو خطأ وتقول تغسل فلان والعامّة تجعل التاء تاء وتقول التذكار للماهد يبيع الحزن بفتح التاء وكذلك التيسال وتسكاب اندمع والعامّة تكسر هذه التاءات وتقول تواترت رسل فلان الى اذا جاءت متقطعا بعضها من بعض بين كل اثنين هنيئة . قال الله تعالى اثم ارسلنا رسلنا تترى ا واصلها وترى من المواترة ومعناه متقطعة بين كل اثنين نبين دهر وقال ابو هريره لا بأس بقضاء رمضان تتراي متقطعا والعامّة تجعل التواتر في معنى الاتصال الذي ليس فيه انقطاع وهذا غلط منهم وتقول قائم الرجل وتحدث اذا فعل فعلا يخرج به من الاثم والحنت والعامّة تقولهما لمن وقع في الاثم والحنت وتقول تتايهت المصائب على فلان والعامّة تقول تتايهت بالياء وهذا غلط لان التتابع في الخير والتتابع (10) في الشر وتقول تنهس النصارى بالحاء اذا تركوا اللحم والعامّة تقول تنهس النصارى بالياء اذا اكلوا اللحم فيبيل صومهم ، قرأت على شيخنا ابي منصور اللغوي قال هذا غلط في اللفظ وقلب للمعنى الى ضده اما اللفظ فانما يقال بالحاء واما المعنى فانما يقال ذلك لهم اذا تركوا اكل اللحم ولا يقال لهم ذلك اذا اكلوه قال ابن دريد هو عربي معروف لتركهم اكل الحيوان ويقال

والعامّة تخص الاسود بالبهيم وحكى الازهري (1) قال ابو حاتم قلت للاصمعي رايت في كتاب ابن المقفع العلم كثير ولكن اخذ البعض خيرا من ترك الكل فانكره اشد الانكار وقال الالف واللام لا يدخلان في بعض وكل لانها معرفة هما بغير الف ولا واما في نية الاضافة قال الله تعالى وكل آتوه داخرين وقال كل آمن بالله وقال بعضهم اولياء بعض قال ابو حاتم لا تقول العرب الكل والبعض ، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والاخفش في كتابيهما قلعة علمهما بهذا النحو فاجتبت (2) ذلك فانه ليس من كلام العرب .

باب التاء

تقول انت تكرم علي بفتح التاء وضم الراء والعامّة تضم التاء وتفتح الراء وتقول ما هذا التباطي والعامّة تقول التباطي وكذلك التواطى (3) والتوكى والعامّة تقولها بالياء وتقول ما هذا الترادي (4) علينا والعامّة تقول الترادي باسكان الواو وليس في العربية او ساكنة في آخر اسم ولا مصدر وانما تقول العرب ترادي فلان على فلان تراديا بالهمز فاذا خفوا الهمز قالوا الترادي مثل التمامي وتقول شاهبت وهي الثوباء (5) ممدودة والعامّة تقول ثناوب وتقول تروكت كذا والعامّة تقول في بعض الالفاظ وذوته (6) قال ابن السكيت هو التوت للفرداد والعامّة تقول توت وتقول تاهل الرجل والعامّة تقول تاهل وتقول دابة لا ترادف (7) والعامّة تقول تردف وتقول الشاة تجتسر والعامّة تجعل مكان الجيم شيئا وتقول جاءت المرأة بتوامين ولا تقل توام انما التوام احدهما وتقول للمرأة تالمسي بفتح اللام والعامّة تكسرهما وتقول تلك (8)

- (1) الازهري هو محمد بن احمد بن الازهر الهروي ابو منصور احد الائمة في اللغة والادب توفي سنة 370 هـ (الاعلام ج 6 ص 202 وارشاد الايوب لياقوت ج 6 ص 297) .
- (2) كان في الاصل فاجتبت والصواب فاجتبت ذلك
- (3) في الاصل التوصل بالصاد .
- (4) الترادي الترامي .
- (5) الصواب ايراد هذه الكلمة في باب التاء المثناة .
- (6) حكى الفيروزابادي وصاحب « مشن اللغة صيغة الماضي ووصفاها بالشدود .
- (7) حكى ابن منظور صحة الوجهين ونقل ذلك عن الليث ثم نقل قول الازهري : « كلام العرب لا يرادف واما لا يرادف فهو مولد من كلام اهل الحضرة » .
- (8) قال ابن السكيت في « اصلاح المنطق » (ص 422 طبعة دار المعارف) : « وتقول تلك فعلت ذلك وتيك فعلت ذلك وتالك فعلت ذلك وتلك (بفتح التاء) لفة رديئة ولا تقل ذلك » .
- (9) راجع تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامّة للجواليقي ص 45 .
- (10) ذكر ابن منظور ان التتابع الوقوع في الشر ولا يكون في الخير وكذلك الازهري .

تنحس إذا تجوع كما يقال توحنس وكأنه ماخوذ منه
كانهم تجوعوا من اللحم .

باب الشاء

تقول رجل نسط (1) والعامية تقول الط بزيادة
الف وثني المرأة بفتح الشاء والعامية تكسره وربما
قالت ثدي الرجل وانما يقال نندوة الرجل وتقول هذا
الثالوث والثاليل والعامية تقول الثالول والثاليل
وتقول لمصارة التمر نجير والعامية تقولها بالشاء
وتقول لما يكثر ثمنه هذا ثمين كما يقال رجل لقيم
إذا كثر لحمه وشحيم لمن كثر شحمه والعامية تقول
هذا مشن بكسر الميم الثانية وانما المشن الذي صار
له ثمن وإن قل كما يقال فمسن مورك وشجر مشمر
والثمل الدكر من الوغول والعامية تجعل مكان الشاء
شاء .

باب الجيم

تقول هذا جدع من الفم وجدعة وتقول
قد ردها جدعة بفتح الدال في الكل أي ردها إلى أول
ما ابتدء بها (2) والعامية تسكن الدال في الكل وتقول
ثياب جند بضم الدال والعامية بفتحها وهو الجندي
بفتح الجيم والعامية تكسره وهو الجراب والجرجير
وجرم الشمس والجري (3) لضرب من السمك
والجراح كله بكسر الجيم والعامية بفتحها وهو الجواذب
والجوداب (4) بفتح الجيم والعامية تضمها وكذلك

الريح الجنوب ولا تضمها إلا أن تريد جمع جنب وهو
جفن العين وجفن السيف بفتح الجيم والعامية تكسره
وهو الجنين للطفل ما دام في بطن أمه والعامية تقول
جني وهو الجناس والعامية تجعل مكان اللام نونا وهو
العجدي والجدي والعامية تكسر الجيم وهو الجوالق
بضم الجيم ولا تفتح في الواحد إنما تفتح في الجمع .
قرات على شيخنا أبي منصور قال الجوالق أمجمي
مغرب وأصله بالفارسية كواله (5) وجمعه جوالق
بفتح الجيم وهو من نادر الجمع وتقول جهمت جهدي
بفتح الجيم والعامية تكسره وجفوت الرجل وجفوت
المرأة والعروس والعامية تجعل مكان الواو ياء وتقول
جرعت (6) الماء بكسر الراء والعامية بفتحها
والجبهة (7) هي التي يسجد عليها الإنسان والعمام
تسميها جبيناً وذلك غلط إنما الجبينان يكتنفانها من
كل جانب وتقول للصبية الصغيرة جاريفة والعمام
تخص بذلك الامة وتقول لبشرة تخرج في جفن العين
الجدجد بجيمين هذه لفة تميم وريممة تسميها القمع
والعامية تقول الكدكد وتقول حطب جزل وهو الغليظ
وقيل اليابس قال الشاعر :

ولكن بها ذاك اليفاع فاوقدي

بجزل إذا أوقدت لا بضرام

والضرام (8) ضد الجزل والعامية تقول زجل فيقدمون
الزاي وهو غلط وتقول للخيط المقدة جداد (9)
بالجيم وتشديد الدال والعامية تقول كداد وهي
الجبولة (10) بالجيم والمد والعامية تقول الكبولة وهو

- 1 وافق في ذلك شيخه الجواليقي (اصلاح ما تفلط فيه العامية ص 44) ، وحكى ابن منظور اللغتين ثم نقل عن ابن دريد والجواليقي الاقتصار على النطق وما نقله عن ابن دريد مثبت في الجمهرة (ج 2 ص 157 طبعة دائرة المعارف العثمانية 1345 بالهند) .
- 2 الجواليقي : اصلاح ص 55 .
- 3 الجري بكسر الجيم والراء وتشديد الياء .
- 4 الجوداب طعام يصنع بسكر ولحم وأرز كما في المحكم . قال الفيروزبازي هو بالضم وجاء ذوباج مقلوباً .
- 5 شفاء الغليل ص 60 والجواليقي (اصلاح ص 52) .
- 6 حكي الفيروزبازي وابن منظور الوجهين ونقل هذا عن الاصمعي انكاره الفتح .
- 7 حكي ابن منظور ورود جبهتين بمعنى جبينين .
- 8 الجواليقي (اصلاح ص 29) كان في الاصل صرام بالصاد .
- 9 الجداد نبطيتها كداد كما عند الجواليقي في المغرب (ص 42 - طبع أوروبا) حيث نقل بيت الاعشى يصف الخمار :
- 10 في الاصل الجبولة وهو غلط (راجع الجواليقي: اصلاح ص 28) وهي المصيدة (ابن منظور) .

الجسر بالدال المعجمة والعامة تقول بالدال المهملة وتقول فلان يحدب (1) اذا تآف من الشيء والعامة تبدل الجيم كانا ويقولون للحديدتين اللتين يقص بهما الجلطان والعامة تقول الجلم (2) وتقول هذا جواب كتبك ؛ قال العسكري والعامة تقول في جمع الجواب جوابات واجوبة وهو خطأ لان الجواب مثل الذهب قال سيويه الجواب لا يجمع وتولم جوابات كتبي واجوبة كتبي مولد وانما يقال جواب كتبي .

باب الحياء

يقال دقيق حواري بضم الحاء والعامة بفتحها وتقول يعل حريف بكسر الحاء والعامة بفتحها وهو جبل حراء بكسر الحاء وفتح الراء والمد والعامة تفلط فيه في ثلاثة مواضع يفتحون الحاء ويقصرون ويميلون وتقول للقصص المجتمع هردي (3) بالحاء والعامة تقول هردي وهي حلقة (4) الباب وحلقة القوم والجمع حلق وحلاق وقال ابو عمرو الشيباني ليس في الكلام حلقة

الا في قولهم هؤلاء قوم حلقة للذين يحلقون الشعر الا ان الفراء ذكر في نوادره حلقة وحلقة جميعا وتقول هي حواقة (5) القوم بالضم والعامة بفتحها وتقول حلقى (6) القوم بالمعكس يحدقون والعامة يقول احدتوا بالف وحة (7) المعرب والزبور سمها والعامة تذهب الي انها شوكتها التي يسمان بها وذلك خطأ والحمام (8) ذوات الاطواق وما اشبهها مثل الفواخت والقماري والقطا والعامة تخص به الدواجن التي تستفرخ في البيوت وتقول للابل التي تحمل الامتعة خاصة حمولة (9) والعامة تسمي الكل حمولة وتقول ليايس العشب حشيشي (10) ولا تقول ذلك لشيء من الرطب والعامة تطلق اسم الحشيش على الكل وهو خطأ انما يقال لرطب الحشيش رطب بضم الزاء وخلا والكلا يجمعها جميعا وتقول هندوت السفينة احدتها بضم الدال من الحدر (11) والعامة تكسر هذه الدال وتزيد في حدرت الفا ويقولون قد آن انحدر السفينة وانما هو قد آن حدرها وتقول للتويين من جنس واحد

- (1) الجواليقي (اصلاح ص 36) حيث نسر التجديف باستقلال ما اعطى وكفر النعمة .
- (2) قال ابن منظور : « والجلم اسم يقع على الجلمين كما يقال المقرض والمقراضان والقلم والقلمان » .
- (3) قال الجواليقي في المعرب (ص 52 طبع اوريا) هو نبطي معرب قال الليث الحردية حياسة الحظيرة التي تشد على حائط من قصب مرضا والحياسة سير يشد به حزام السرج ولعل هردي اصل للكلمة الفرنسية
- (4) الحلقة كل شيء استدار وهي بالتسكين وقد فتتح لامها حكاة يونس عن ابي عمرو وانكره ابن السكيت واختاره ابو عبيد والجمع حلاق على الغالب وحلق (بكسر الحاء) على النادر وحلق بفتحها وهذا اسم للجمع مند سيويه ، ولا حظ ابن منظور ان حلق بالفتح جمع لحلقة بالفتح ثم نقل عن الحياني ورود الفتح والتسكين في حلقة الباب والحلقة بالكسر لفة حسب الاموي .
- (5) الحواقة الكناسة .
- (6) ذكر اللسان الوجهين .
- (7) الحمة السم من الحياني وذكر بعضهم انها الابرة التي تلدغ بها الحية والمعرب والزبور وانكر الليث ذلك وقصرها على السم وحكى ابن الاعرابي في بيها التخفيف والتشديد وقال الازهري لم يسمع التشديد في الحمة الا لابن الاعرابي .
- (8) ذكر ابن سيده ان الحمام من الطير البري الذي يالف البيوت واليمام يكون في البيوت وحدها خلافا للاصمعي الذي يقول ان اليمام ضرب من الحمام البري والحمام كل ذي طوق وروي الازهري عن الشافعي ان الحمام مطوق وغير مطوق ألف ووحشي واقتصر الجوهري على ذوات الاطواق وقال الاصمعي : الدواجن التي تستفرخ في البيوت حمام ايضا . ويقول الكسائي : الحمام هو البري واليمام هو الذي يالف البيوت (اللسان) .
- (9) وافته ابن منظور الذي حكاة عن ابي الهيثم ونقل عن ابن سيده ان الحمولة كل ما احتمل عليه الحي من بغير او حمار او غير ذلك والحمولة بضم الحاء ما يحمل على الحمولة ومنها قوله تعالى حمولة وفرشا (الآية) .
- (10) نقل ابن سيده عن بعضهم ان الحشيش يشمل الاخضر واليابس وذكر انه غير صحيح (اللسان) .
- (11) الحدر بتسكين الدال الاسراع .

يؤتزر بأحدهما ويرتدي بالأخر حلة (1) والعمامة تقول للثوب الواحد حلة وذلك غلط لان الحلة عند العرب ثوبان من جنس قال ابو هلال العسكري فان كانت حبة وقلنسوة من ضرب واحد فهي حبة وتقول حلقست (2) الشيء اذا رميته الى فوق يقال حلق الطائر في كبد السماء اذا ارتفع والعمامة تجعل التحليق من علو الى اسفل وهو خطأ وتقول خدمته على حسب ما اعطاني بفتح السين ومعناه على مقدار ذلك فهو من الشيء المحسوب والعمامة تكسر السين وتقول اعمل هذا فحسب بتسكين السين والعمامة تقول هذا وبس وتقول هذا ما كان في حسابي والعمامة تقول في حسابي (3) وليس للحساب هاهنا وجه وتقول حلي (4) الشيء في عيني بكسر اللام والعمامة بفتحها وانما يقال حلا في فمي فهذا من الحلاوة والاول الحلية وتقول حلمت في النوم بفتح اللام فاذا اردت الحلم ضممتها وحلق العبي بفتح اللام والعمامة تكسره وتقول قد حسن الشيء وحمض (5) الخل بفتح الحاء وضم السين والميم والعمامة تضم الحاء وتكسر السين والميم وتقول للسون من الصبغ حماح (6) يضم الحاء والنسبة اليه حماحي والعمامة بفتح الحاء وتقول للحافظ حارس والعمامة تبدل السين

صادا وتقول في كنية الثعلب ابو الحصين بالصاد والعمامة تجعلها سينا وتقول قف حتى (7) اجي من غير امالة حتى والعمامة تميلا وحتى حرف والحروف لا تمال فاما حذف العمامة منها الحاء وقولهم تي اجي فهو اشهر من ان يعاب وتقول لي حاجات (8) والعمامة تقول حوايج قال العسكري وليس مما تعرفه العرب ولا يوجبه القياس وانما تجمع العرب الحاجة حاج وحاجات وحوج وتقول للخارج من الحمام طساب هميمك (9) وان شئت طابت حمتك اي طاب عرقك لان عرق الصحيح طيب وعرق انقيم خبيث والعمامة تقول طاب حمامك وتقول قد حدث امر عظيم بفتح الدال والعمامة تضمها قياسا على قولهم اخذني ما قدم وما حدث والفرق ان اصل حدث فعل وانما ضمت دال حدث تنقدم قدم وللمجاورة اثر كما قالوا الغدايا والمشايبا فاذا افردوا الغداة قالوا الغدوات وكذلك قوله اميد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اراد ملمة لكنه راعى الوزن وتقول حلبت الناقة كذا بضم الحاء وكسر اللام والعمامة بفتحها وتقول فلان يعث (10) في السير ويهض على الخير والعمامة لا تفرق وقد فرق الخليل بن احمد فقال الحث يكون في السير والسوق والحض فيما عداهما وتقول هيمت المريض ولا تقل احيمته الا ان تقول احيمت السمار في النار او احيمت المكان اذا

- 1) ورد في القاموس ان الحلة من ثوبين ونقله الازهري عن ابن عبيد وحكى ابن منظور عن خالد بن جبنة ان الحلة رداء وقميص وتمامها العمامة وزاد ابن شميل الازار بدل العمامة وانكر ان تكون الحلة ازارا ورداء وحده ولا يزال الثوب الجيد حلة ما لم يلبس وقال ابن الاعرابي يقال للازار والرداء حلة ولكل واحد منهما على انفراده حلة .
- 2) الجواليقي : (اصلاح ص 20) .
- 3) ذكر ابن منظور ان الحساب هو الحساب ونقل عن التهذيب ان الحساب مصدر حسب بكسر السين والحسابان يكسر الحاء وضمها مصدر حسب بفتح السين .
- 4) ورد في اللسان : حلي بقلبي وعيني يعلى وخلا يحلو حلاوة اذا امجك وبعد ان تقل من قوم من اهل اللغة ما ذهب اليه المؤلف قال : وهذا ليس بقوي ولا مرضي .
- 5) اشار ابن منظور الى ورود حمض بفتح الميم وقال في القاموس : حمض ككرم وحفل وفرح .
- 6) الحماحم والحمحم الاسود - راجع الجواليقي (اصلاح ص 52) .
- 7) الجواليقي (اصلاح ص 46) .
- 8) قال الازهري : الحاج جمع الحاجة وكذلك الحوائج والحاجات وورد في القاموس وشرحه وحوائج غير قياسي وهو رأي الاكثر او مولدة وكان الاصمعي ينكره ويقول هو مولد قال الجوهري وانما انكره لغروجه عن القياس والا فهو كثير في كلام العرب وقد اطال في شرح القاموس بكلام ابن بري حصول ورود حوائج في الحديث وشعر العرب وافوال اللغويين .
- 9) هذا الكلام منقول من الجواليقي (اصلاح ص 24) والحميم بكسر الميم الماء الحار او العرق والحمة بفتح الحاء وكسرها مصدر للهيئة .
- 10) جاء في القاموس و « اللسان » ان حث هي حض ومن الازهري ان الحض الحث على الخير .

جملته حمى وتقول اذا وجدت سخونة في بدنك اجده
حميا 11، والعامه تقول اجد حمى وقد بلغنا من صاحب
ابن عباد انه راي احد نداماه متغير السحنة فقال له
ما الذي بك فقال حمى فقال صاحب نه فقال التديم
وه فاستحسن صاحب ذلك وخلع عليه .

باب الخفاء

تقول هذا الخوان بكسر الخاء لما يؤكل عليه
الطعام ما لم يكن عليه طعام فاذا جعل عليه طعام فهو
مائدة والعامه تسميه مائدة وان لم يكن عليه طعام
وتقول لما له نص خائس فاذا لم يكن له نص فهو
حنقة 12، والعامه تقول له خائس كيف كان وتقول
للذهب المصوغ هذا خلاص بكسر الخاء والعامه تفتحها
وتقول لرؤوس الحنى وما يكسر منه خشل 13، باللام
والعامه تقول خشر بالراء وهو الخلل والخشخاش
يفتح الخاء بالعامه تكسره وهو الخطمي 14، بكسر
الخاء وتشديد الباء والعامه تفتح الخاء ولا تشد انباء
وهذا الخروب بضم الخاء والعامه تفتحها وفيه لفة
اخرى الخروب 15، بضم الخاء من غير نون قال المنفل
وهذا الصحيح لا الاول وهذه الخنفساء بالمد من غير
هاء والخنفسة والعامه تقول خنفساء 16، بزيادة الهاء

وتقول في جمع هيشوم (7) وهو الانف خياشيم
والعامه تقول مخاشيم وهي الخصية (8) والعامه تقول
الخصوة وما بفلان خصاصة (9) اي حاجة والعامه
تقول خصاسة بالسين وهي الطرافات (10) بتخفيف
الراء والعامه تشدها وتقول فلان حسب (11) بفتح
الخاء ولا تكسرهما الا ان تقول فيه خب وهو الخداع
وتقول خطيء 12، الرجل اذا تمعد الذنب فهو خاطيء
ومنه الخطيئة ومنه قوله وان كنا لخاطئين واخطا
بخطيء اذا اراد شيئا فاصاب غيره قال عليه السلام
اذا اجتهد المجتهد فاخطا فله اجر والعامه تقول في
الكلمتين خطأ والصحيح ما قلنا قال بعض المتأخرين :

لا تخطون الى خط ولا خطا

من بعد ما الشيب في فؤدك قد وخطا

فأي عذر لمن شابت مفارقه

اذا جرى في ميادين الهوى وخطا

وتقول خريش (13) الكتاب اذا افسده والعامه
تقول خرمش بالميم وتقول في خمسان (14) الناس
والعامه تقول في عمار وتقول لمن هلك له من لا يتعوض
عنه كلاب خلف الله عليك اي كان لك خليفة منه ولمن
هلك له ما يتعوض عنه كالولد الخليف (15) الله عليك
والعامه تقول فيهما اخلف الله عليك .

- 1 حبيت الشمس والنار تحمى حميا بفتح الحاء وسكون الميم وبضم الحاء وكسر الميم اشتد حرها
اللسان .
- 2 في اللسان ان الحلقة الخائس بلا نص وليس في اللسان ولا في القاموس وشرحه ان الخائس لا تقال
الا لما له نص ووافق صاحب متن اللفه ما عند المؤلف .
- 3 الجواليقي (اصلاح ص 35) .
- 4 نقل اللسان عن الازهري ان الخطمي بفتح الخاء وان كسر الخاء لحن في حين صدر ابن منظور انه
بالوجهين اما الجوهري فقد اقتصر على الكسر وصدر الفيروزابادي بالكسر وقال انه يفتح .
- 5 اورد صاحب اللسان الخروب بفتح الخاء .
- 6 الانثى خنفسة وخنفساء وخنفساء حسب اللسان الذي نقل من الاصمعي عدم صحة خنفساء .
- 7 الجواليقي (اصلاح ص 37) .
- 8 في اللسان وتاج العروس من ابن عبيدة انها بالضم لا بالكسر وجاء في التاج ان الخصوة بالضم لفة
في الخصية كما جاء في الحديث في صفة الجنة قال شمار وهو نادر .
- 9 الجواليقي (اصلاح ص 40) .
- 10 الجواليقي (اصلاح ص 53) .
- 11 ذكر ابن منظور الوجهين .
- 12 صدر في اللسان بان خطيء بمعنى اخطا ثم حكى ما ذكره المؤلف .
- 13 الخريشة والخرمشة الانساد والتشويش (اللسان) .
- 14 خمار الناس دهماؤهم ومن ابن الاثير بالجيم حسبما في اللسان حيث ذكر ان شمار الناس وخمارهم
بضم الخاء وفتحها جماعتهم .
- 15 ذكر ابن منظور الوجهين فيهما وحكى عن الجوهري ما ذكره المؤلف .

باب الدال

تقول هذا **دلف** بفتح اللام والعامية تضمها وهذه **الدوامة** بضم الدال والعامية بفتحها وهذه **الدخان** بتخفيف الخاء وجمعه دواخن والعامية تشدد الخاء وتجمعه دواخين وهذه **دواب** (1) **حسان ودويبة** حسنة بتشديد الياء والعامية تخففها وهذه **دجاجة** والجمع دجاج والعامية تكسر الدال وهي لفة رديئة (2) وهذا **درهم** بكسر الدال وفتح الهاء والعامية تفتح الدال وقال ابن الاعرابي العرب تقول درهم ودرهم ودرهام وتقول هذه **دخاريس** (3) القميص وهي فارسية معربة والعامية تقول **تخاريس** وهذه **دمشق** بفتح الميم والعامية تكسره **والدهليز** (4) **والديباج** بكسر الدال والعامية تفتحها **والدينزج** (5) بفتح الدال والعامية تكسره **ودستور** الحساب بضم الدال وهو قياس قول العرب كاسلوب وعرقوب وخرطوم والعامية تفتح الدال وتقول **الدمستج** (6) الذي يدق به اعجمي معرب والعامية تقول **الديستك** وقد نزي فلان **يندري** بفتح الراء (7) والعامية تكسره وموضع **دفيء** مقصور مهموز والعامية تقول **دفي** بتشديد الياء **والدية** (8) مخففة الياء والدم مخففة والعامية تشددهما **والدنيسا** لا تنون والعامية تقول هذه دنيا متعبة فينونونها وذلك غلط لان دنيا وما في وزنها مما لا ينصرف لا يدخله التنوين بحال وسمعت بعض المتعبدین يدعو اللهم اصلحنا في ديننا ودنياطنا وهذا قبيح وتقول في النسبة الى الدنيا رجل **دنياوي** و**دنيوي** وقال شيخنا وفيها لفة اخرى **دينسي** والعامية تقول

دينائي بهمزة قبل ياء النسب ولا وجه لذلك لانه اسم مقصور غير مصروف ولا منون والدنيا دول (9) بكسر الدال والعامية تضمها وتقول للذي يحمل الدواة **دووي** لان التانيث تحذف من النسب كما تقول في السببة الى مكة **مكي** والى فاطمة **فاطمي** والعامية تقول **دواتي** فتثبت التاء وهو خطأ قبيح وتقول **اتيت دجلة** بغير الف ولام كما تقول **اتيت مكة** والعامية تقول **الدجلة** وتقول **دفتت** (10) الاثناء بفتح الدال ادنقه بفتح الالف وكسر الفاء والعامية تقول ادنقته بزيادة الف ادنقة بضم الالف وكسر الفاء وتقول **اللقميء الحقيير ذميم** (11) بالدال المهملة والعامية تقول **ذميم** بالدال المعجمة وانما **الذميم** السوء الخلق ، وقرأت على شيخنا ابي منصور قال **الدمامة** بالدال المهملة في الخلق وبالدال المعجمة في الخلق وتقول **الدويبة** كثيرة الارجل تدخل الاذن كثيرا **دخال** (12) الاذن من الدخول وتسميه العرب **حريش** بالياء على وزن **حريص** والعامية تقول **دخان** الاذن بالنون يشبهونه بالدخان ولا معنى لذلك وتقول **للصوص دعار** (13) بالدال المهملة مأخوذة من **العنود** **الدعر** وهو الذي يوذى بكثرة دخانه قال ابن مقبل :

باتت خواطب ليلى يلتمسن لها

جزل الجدا غير خوار ولا دعر

قال شيخنا ابو منصور وان ذهبت بهم الى معنى **الفرع** جاز ان يقال **بالدال** وتقول **آخر الدواء الكلي** والعامية تقول **آخر الداء لكي** .

(1) الجواليقي (اصلاح ص 53) .

(2) في لسان العرب ان فتح الدال اوضح .

(3) العرب للجواليقي ص 64 . والدخريص ما يوصل به بدن القميص والدرع ليوسمه (اللسان) .

(4) هو ايضا بالكسر عند صاحب القاموس .

(5) الجواليقي (اصلاح ص 48) وفي اللسان **الدينزج** معرب **دينزة** وهي لون بين لونين غير خالص وقد

اهمل ذكره الخفاجي في شفاء الغليل .

(6) الجواليقي (اصلاح ص 31) .

(7) اي في الماضي .

(8) الجواليقي (اصلاح ص 53) .

(9) الدول مثلثة الدال (القاموس) .

(10) ادفق صحيحة كدقق (اللسان) و (متن اللغة)

(11) ابو منصور الجواليقي (اصلاح ص 19) وفي اللسان عن ابن الاعرابي **الذميم** **بالدال** **المهملة** في قوله .

والذميم في اخلاقه (مادة دم) .

(12) **دخال** الاذن **فعال** من **الدخول** (الجواليقي) (اصلاح ص 38) .

(13) الجواليقي (اصلاح ص 59) .

بكي الغريب عليه ليس يعرفه فمد يده
وذو قرابته في الحي مسرور

والعامية تقول قرابتي وتقول قال فلان ذيت وذيت
والعامية تقول كت وكيت (8) كناية عن الأفعال

باب الرء

تقول هذا الرصاص والرصاص والرئاحن بفتح
الرء والعامية تكسره وهذه رحتى بفتح الرء وجمعها
أرحاء والعامية تقول رحيي بكسر الرء وتجمعها
أرحية (9) وتقول هذا رحو (10) والمال في الرعي (11)
بكسر الرء والعامية تفتحها والروؤنة والروشن (12)
بفتح الرء والعامية تضمها وزعم (13) أنفه بفتح النين
والعامية تضمها وهو الرق الذي يكتب فيه ولا تكسر
الرء إلا أن ترد الملك وهي الرونة (14) بالهمز والعامية
تشدد الياء والرهاء (15) بالمدة مدينة والعامية تقصره
ورضى (16) الله مقصور والعامية تمده ورفدت (17)

باب البذل

تقول للجماعة القليلة من إناث الإبل ذود (1)
ولا يقال للذكر ذود والعامية لا تفرق وتقول هو الذقن (2)
بفتح الذال والقاف والعامية تقول دقن بالذال المهملة
واسكان القاف وهي الذؤابة بضم الذال منع الهمزة
والعامية تفتح الذال وتشدد أنواو وتقول بين الرجلين
دخل (3) بالذال المعجمة والعامية تقولها بالذال المهملة
وتقول وقع في الشراب ذياب ولا تقل ذبابة (4) والجمع
القليل أذبة الكثير ذبان قال شيخنا ولهذا قال الله
تعالى وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستفيدوا منه فرد
اية الباء وهي للواحد هذا ملح ذوآبي (5) بفتح الرء
والهمزة والياء بعد النون والعامية تقول أنذرائي وتقول
لشيء الحديد الرنج ذفصر وسواء كانت تلك الرائحة
طيبة أو خبيثة والعامية تقول زفصر (6) بالزاي وتقول
هذا الرجل ذو قرابتي (7) قال الشاعر:

- 1 نقل الشبان عن أبي منصور أن الذود من الإناث دون الذكور ثم نقل عن أبي عبيد أن حديث « ليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة عام لان من ملك خمسة من الإبل وجبت عليه فيها الزكاة ذكورا كانت أو إناثا .
- 2 الجواليقي (اصلاح ص 58) .
- 3 قال أبو منصور : دخل اي عداوة وحقد (اصلاح ص 59) .
- 4 وفي القاموس الواحدة بباء وفي اللسان والتهديب بدونها .
- 5 في متن اللغة بفتح الرء وسكونها شديد البياض
- 6 تقول العامية كذلك في المغرب زفصر .
- 7 ما ذهب إليه المصنف مثله في القاموس والصحاح وواقفه الاكثرون ومثله في درة القواص ونقل الزبيدي عن شيخه محمد بن الطيب الشزقي ان الذي انكره جوزو الزمخشري على انه مجاز اي على حذف مضاف وصرح غيره بانه صحيح فصيح نظما ونثرا ووقع في كلام النبوة .
- 8 في اللسان أن كت وكيت حكاهما سيويه وهي واردة في الحديث .
- 9 في متن اللغة أن أرحية تادرة وانكرها الزجاج وأبو حاتم .
- 10 هي مثلثة حسب القاموس وأشار الزبيدي الى ان التثنية ذكره ابن سيده واقتصر الجوهري على الكسر والفتح واقتصر الفراء والإصمعي على الكسر وقال الفتح مولد .
- 11 الرعي بالكسر الكلا وبالفتح المصدر (القاموس)
- 12 كل ما جاء على فوعل فهو مفتوح الفاء نحو جوب وروشن وكوسج وروؤنة (الجواليقي : اصلاح ص 51)
- 13 العين مثلثة كما في القاموس واللسان حيث نقل ابن منظور الضم عن الهجري وكذلك الزبيدي في تاج العروس .
- 14 الجواليقي (اصلاح ص 54) .
- 15 الرهي كهدي عند الفيروزبازي .
- 16 الاسم الرضاء ممدود عن الاخفش والرضى مقصور مصدر محض (اللسان) وزاد الزبيدي في تاج العروس او مصدر راضي رضاء .
- 17 رفته اعطاه ورفده وارفته اعانه (اللسان والقاموس) .

فلانا والعامية تقول أرفدته وورسنت [1] دابتي والعامية تقول أرسنتها وورخصي السمر بفتح الراء وضم الخاء والعامية تظم الراء وتكسر الخاء وتقول قد هبت الريح (2) والعامية تقول الأرياح ولو قالوا الأرواح كان صحيحا والرياحية (3) مخففة كالرفاهية والعامية تشدد الياء فيهما وهذا خبر الرقابي بضم الراء والعامية تكسره وتقول لبائع الروس رأس وهم يقولون رؤاس (4) وتقول فعل ذلك من رأس والعامية تقول فعل ذلك من الرأس (5) وتقول شممت بكسر الميم ورائحة (6) كذا والعامية تقول شممت بفتح الميم راحة كذا فتحدف الياء وهو الرزداق (7) والرسداق ولا تقل رستانق والراحة (8) اسم ما يركب في السفر من جمل أو ناقة والجمع رواحل وإنما تسمى راحلة لشدة الرحل عليها ودخلت الياء للمبالغة كقولهم راوية وداوية والعامية تخصر باسم الراحلة الناقة النجيبة وتقول للقناة إذا كان لها زوج وسنان ومع (9) والا فهي قناة والعامية تسميها رمحا كيف كانت وتقول للبعير أو الحمارة الذي يستقى عليه راوية (10) فاما التي فيها

الماء فمزادة والعامية تسمى المزادة راوية وتقول لركبان الإبل خاصة دون انفرسان وكسب (11) والعامية تقول لكل راكب وتقول للذي ينظر القوم من مكان مرتفع ربيشة (12) فإذا لم يرتفع فليس بربيشة والعامية لا تفرق وتقول انقطع هذا من حيث ردا (13) أي ضعف والعامية تقول من حيث رق وتقول للكثير الانشغال راب (14) والعامية تقول مريبوب وذلك قلت للكلام لأن المريبوب المصلح المريب وتقول ودصت الباب فهو مسردوم إذا سدته والعامية تقول اردمته فهو مردم وتقول هذا الراووق والعامية تقول الراوق وهو غلط لأنه ليس في كلام العرب فاعل واليمين منه واو وتقول فلان أحقق من رجلة ، قال شبخنا إنما سميت حمقاء لأنها تنبت في موضع جريان الماء فيأخذها الماء فهي حمقاء لأنها تنبت في غير موضعها وهي البقلة الحمقاء والعامية تقول أحقق من رجلة تصيف ذلك إلى قدمه وتقول وب (15) مال انفقته يشير إلى القليل والعامية تقسول رب مال كثير انفقته وفي هذا تناقض لأن رب للتقليل فلا يخبر بها عن الكثير ، قال المفضل وتقول رميستا (16) من القوس وعلى القوس ولا تقل رميت بها .

- 1) رسن الدابة شدها وارسنها جعل لها رسنا أو شدها بالرسن اللسان .
- 2) في اللسان أن الأرياح والأرياح حكينا وكلاهما شداد .
- 3) مثله في اللسان .
- 4) مثله في اللسان .
- 5) وفي اللسان : واعد علي كلامك من رأس ومن الرأس وهي أقل اللغتين وأباها بعضهم وقال لا تقل من الرأس قال والعامية تقول .
- 6) مثله عند الجواليقي : تكلمة إصلاح ص 42 .
- 7) مثله في اللسان والمعرب للجواليقي .
- 8) في اللسان خلاف ذلك لأن الراحلة عنده هي التي يختارها الرجل على النجابة .
- 9) في القاموس أن القناة الرمح بدون قيد .
- 10) في القاموس وشرحه أن الراوية المزادة فيها الماء والبعير والبغل والحمارة يستقى عليه وذكر الشيخ مرتضى عن شيخه ابن الطيب الشرنقي الفاسي أن ظاهر المصنف إطلاق الراوية على الكل حقيقة وقيل هي حقيقة في الجمل مجاز في المزادة وقيل بالعكس .
- 11) وفي اللسان من ابن بري أن الركب كان في الأصل لراكب الإبل خاصة ثم اتسع فاطلق على كل من ركب دابة ومثله في القاموس وشرحه .
- 12) مثله في اللسان من التهذيب .
- 13) في الأصل من حيث ركابي والصواب من حيث ردا أي ضعف (راجع تكلمة إصلاح ص 24) .
- 14) مثله في تكلمة الإصلاح للجواليقي ص 16 وفي ذيل نصيح ثعلب لعبد الطيف البغدادي ص 6 : المريبوب المصلح المريب فاما المصلح المهتم بأمر ميره فهو السراب .
- 15) مثله في اللسان من ابن حاتم والزجاج وفي المنى ج 1 ص 143 طبعة دمشق : وليس معناها التقليل وإنما خلافا للاكثرين ولا التكثير دائما خلافا لابن درستويه وجماعة بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا .
- 16) مثله في اللسان من ابن سيده .

باب الزاي

تخفها وتقول للعبد اللثيم زوشى بفتح الزاي والعامية
تضمها (8) وذهقت نفسه بفتح الهاء والعامية تكسره (9)
وتقول زردت اللقمة بكسر الراء والعامية بفتحها (10)
وإشترت زوجسى (11) نعال ولا تقل زوج نعال لان
الزوج اسم تكل واحد له قرين من جنسه وتقول
زت (12) الطعام اذا حملت فيه الزيت والعامية تقول
زيتة وتقول لاصل ذنب الطائر الزمكي والزمجي (13)
والعامية تقول زمكاة والزهم (14) من الطير والدجاج
والبط والديسم من دهن السمسم والجوز واللوز
والزيتون والؤدك من الابل والبقز والغمم والعامية لا
تفرق وتقول لمرسل الحمام زجان باللام والرجل
ارسل الحمام الهادي من مزجل بعيد وقد زجل به (15)
يزجل والعامية تقول زجان وهو خطأ كذلك (16) قراه
على شيخنا ابي منصور .

ثرون هذا الزهروود والزبونو بضم الزاي والعامية
بفتحها وهذا زبسر الثوب بكسر الباء مع الهزة (1)
ومثله الزبستى والعامية تفتحها ولا تهمز وهو
الزماوود (2) والعامية تقول البرياورد وهي الزهرة
بفتح الهاء والعامية تكسرها والزفليجة (3) بكسر
الزاي والعامية بفتحها وقد يقال لها زنفليجة وتقول
للحبة الفتوف زرمانقة (4) وهي عبرانية وقد تكلمت
بها العرب والعامية تقول درنايقه والزويل بفتح الزاي
فان كسرتها زرتها نونا فقلت زنبيل والعامية تقول
زنبيل بفتح الزاي (5) وهو الزهرود بالذال المحجمة والعامية
تقوله بالذال المهملة والزونيق بكسر الزاي والعامية
تفتحها (6) وتقول فيه زعاوة (7) بتشديد الراء والعامية

- 1 في اللسان من ابن سيده انه بكسر الباء وضما واقتصر ابن السكيت والليث على الضم ولعل الليث هذا هو الليث بن نصر بن سيار الخراساني الذي يرى بعضهم انه صاحب كتاب الفن المنسوب للخليل (راجع الزهر للسيوطي ج 1 ص 77 طعة القاهرة عام 1378 - 1958) .
- 2 ذكر الخفاجي في شفاء الغليل ا ص 98 ، ان بزماورد ليس بلفظ لانها فارسية وهو بفتح الزاي كذا في حواشي الكشاف وفي القاموس هو بالضم .
- 3 ذكر في اللسان الوجيين ونقل عن الجوهرى الاقتصار على الكسر وزاد الجواليقي في العرب (ص 76) الزرنغالجة .
- 4 في تكملة الاصلاح (ص 32) ان العامة تقول زرنباقة وانما هي زرمانقة وهي عبرانية وفي شفاء الغليل (ص 98) زرمانقة بتقديم النون وفي العرب للجواليقي (ص 76 طبع اوريا) الزرمانقة ونقل عن ابي عبيد ورودها في حديث عبد الله بن مسعود ان موسى لما اتى فرعون اناه وعليه زرمانقة .
- 5 مثله في تكملة الاصلاح (ص 59) .
- 6 مثله في التكملة (48) .
- 7 حكى في اللسان التشديد ونقل التخفيف عن اللحياني .
- 8 مثله في التكملة ص 51 .
- 9 ذكر في اللسان ان الكسر لفة .
- 10 في اللسان الكسر والفتح .
- 11 في القاموس واللسان انه يقال للثنين زوجان وذكر ابن سيده انه لا يقال زوج حمام لان الزوج هنا هو الفرد وقد اولمت به العامة قال ابو بكر العامة تخطيء فتظن ان الزوج الثنان وليس ذلك من مذاهب العرب اذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا في مثل قولهم زوج حمام ولكنهم يشونه فيقولون هندي زوجان من الحمام يعنون ذكرا وانثى وعندني زوجان من الخفاف يعنون اليمين والشمال .
- 12 نقل ابن منظور عن اللحياني ان زت القوم جعلت اديهم الزيت وزيتهم اذا زودتهم الزيت .
- 13 مثله عند الجواليقي في تكملة الاصلاح (ص 31)
- 14 ما ذهب اليه المؤلف حكاه بصيغة الترميض كل من ابن منظور والزيدي في شرح القاموس .
- 15 راجع تكملة الاصلاح للجواليقي ص 27 وابن منظور .
- 16 في الاصل لذلك ولعل الصواب كذلك .

بَاب السِّينِ

والسقاية (8) وسلخ الحية (9) والسرقين (10) معرب أصله سرجين (11) كله بكسر السين والعامية تفتحها وهذه السراويل هذا المعروف من أوائل العرب وهي فارسية معربة وليس لها بالعربية اسم والعامية تقول سراول وتقول نحن في سعة (12) وكلنا قد سمن وقد جادنا سبي يفتح السين منهن والعامية تكسرهما وتقول في هذا سداد (13) من هوز بكسر السين والعامية تفتحها وهي السنون بكسر النون والعامية تفتحها وتقول سفكت الدواء بكسر الفاء والعامية تفتحها وسبعت في الماء بفتح الباء وسبعت لفلان بفتح الميم والعامية تكسرهما والسجبة بالسين وكذلك سجار الثور والسلجم والعامية تقولها بالسين المعجمة (14) وفي العوام من يقول تلجم بالثاء (15) وهي السلاميات (16) بفتح الميم وتخفيف الياء الواحد سلامي. والعامية تشدد الياء وتقول لأصحاب المتاع الاستييام (17) والعامية تقولها بالثين المعجمة وتقول سيلان (18) السكين بكسر السين وإسكان الياء واشدوا :

تقول سألت فلانا فبالفت في المسألة ومما يتبادلان والعامية تقول سابلته وأبلفت في المسألة وهما يتسايلان وتقول تعلمت العلم قبل أن يقطع سرله وسرله (1) والعوام تقول قبل أن يقطع سرك وذلك خطأ إنما أسرة هي التي تبقى بعد قطع السرر وتقول ساغ لي الشراب فهو ساغ والعامية تقول انساغ فهو منساغ وتقول سهل الشراء بضم الهاء وفتح السين والعامية تضم السين وتكسر الهاء وسفل (2) الشيء بفتح الفاء والعامية تضم السين وتكسر الفاء وفلان من السفلة (3) ولا تقل هو سفلة لأن السفلة جمامة وتقول سعرهم سواء والعامية تقول له أسعارهم وسن (4) عليه درعه بالسين المهملة والعامية تقول بالثين المعجمة وهو السمينذع (5) والسفرجل (6) والسفود (7) والسفوط والسحور والسفوف والسوسن لنوع من المشوم وقد جاءتنا سفنجة كله بفتح السين والعامية تضمها وهو السرداب

- 1) مثله في اللسان .
 - 2) سفل بفتح الفاء وبضمها في اللسان .
 - 3) مثله في اللسان من الجوهرى .
 - 4) في اللسان في مادة شن وشن عليه درعه يشنها شننا صبنا ولا يقال شننا وقال في مادة سن وشن عليه الدرع يسنها سنا إذا صبها !
 - 5) مثله في اللسان .
 - 6) مثله في التكملة من 50 .
 - 7) ذكر اللسان الوجيين .
 - 8) مثله في التكملة من 48 .
 - 9) مثله في التكملة من 48 .
 - 10) في المعرب للجواليقي مثله من 83 طبع - أورد في 83 وعند الخفاجي في الشفاء سرجين بالحاء من 103 .
 - 11) سرجين بالجيم كذا في الأصل ومثله في المعرب للجواليقي من 83 وعند الخفاجي في الشفاء سرجين بالحاء من 103 .
 - 12) مثله في التكملة من 48 .
 - 13) مثله في اللسان ونقل من الصحاح أنه يكسب ويفتح والكيسر الفصح وإنا السيد بالفتح وإنما معناه الإضابة في المنطق والزمن .
 - 14) مثله في تكملة الإصلاح للجواليقي من 57-58 .
 - 15) مثله في التكملة من 57 .
 - 16) مثله في التكملة من 54 .
 - 17) في التمييز قلق ومعنى الاستييام واضح .
 - 18) أورد ابن منظور قولا أقيمت عن الجواليقي النسبة للزبير بن عبد المطلب هكذا في نسخة من كتابه وهو في أصله ما دام لي فرس ، الخ نسخة من كتابه .
- وهو في تكملة الإصلاح (من 43) كذلك ولكن غير منسوب وفي كتيبهما أن يدل إن وكاف الخطاب يدل هاء الغائب ، والسيلان معناه كفا في الصحاح ما يدخل من السيف والسكين في النصاب .

ولن اصالحهم ما دام لي فرس
واشدد قبضا على السيلان ايهامن

مناطق به في الاصل فان المعتصم لما شرع في انشائها
شق ذلك على مسكره فلما انتقل بهم اليها سر كل منهم
برؤيتها فقبل فيها سر من راي ولزمها هذا الاسم
والعامه تقول سامرا وقدوهم البحرى او اضطر فقال
في صلب ذلك :

اخليت منه البد وهي فراره
ونصبتة علما باسمراء (6)

وتقول هذه سميراء (7) لمنزل معروف بطريق مكة
والعامه تقولها بالصاد وتقول هذه سميرية (8) لضرب
من السفن منسوبة الى رجل يقال له سمير وهو اول
من عملها والعامه تقول سمارية وهو خطأ وتقول جد
القوم في السرى اذا ساروا ليلا والعامه تجعل السرى
للمسير اي وقت كان وتقول لا اكلمك سائرا (9) اليوم
اي ما بقي منه ماخوذ من سور الاناء وهو بقية ما فيه
والعامه تشير بسائره الى جميعه وذلك لعل فان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لثيلان وكان قد اسلم
وعنده عشر نسوة اختر منهن اريها وفارق سائرهن
وتقول لهذا الطائر السمانى مخففة الميم مرسله الاخر
والعامه تقول سمان بتشديد الميم وسلا (10) النخل
شوكه الواحدة سلاة والعامه تقول سلى النخل الواحدة

والعامه تقول سيلان بفتح السين والياء وقد سلم فلان
من كذا بفتح السين ولا تضمها الا ان تريد به لدغ (11)
وهي السموم (2) للريح العارضة ولا تضمها الا ان تريد
جمع سم والسكران بفتح السين والعامه تكسره وتقول
لما يرمى به من القوس اذا كان عليه ريش ونصل
سهم (3) والعامه تقول له سهم كيفما كان وهذا غلط
لان العرب تقول له اول ما يقطع قضيب فاذا امتدت
عليه الحديده فهو منجاب واذا ركب عليه الريش
والنصل فهو سهم واذا كان طويلا فهو نشاب وتقول
للخيط من القطن سلك فاذا كان من صوف فهو
نصاح (4) والعامه تقول للسلك خيط وتقول لمن دون
الملك سوقة لان الملك يسوقهم فيساقون له على
مراده قالت حرقة بنت النعمان :

فبينما نسوس الناس والامر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
والعامه تجعل السوقه اسما لعوام الناس ولاهل السوق
والواحد من اهل السوق سوتي والجمع سوقيون (5)
وتقول للبلدة التي استحدثها المعتصم سر من راي على

- (1) ذكر ابن منظور في سلم بمعنى لدغ وجهين .
- (2) مثله عند الجواليقي والتكملة (ص 51) .
- (3) الذي في اللسان ونقله في تاج العروس ان السهم مركب النصل ونقله من ابن شمويل ان السهم هو النصل
وفي المخصص (ج 6 ص 50) عن ابي حنيفة ان السهم ما له ريش وعقب ونصل والمنجاب كما في
اللسان ما يري واصلح ولم يرش ولم ينصل والنصل كما في الانصاح في فقه اللغة (ص 295)
حديدة السيف والرمح والسهم ما لم يكن له مقبض والنشاب النبل كما في اللسان .
- (4) لا يفرق صاحب اللسان بين الخيط والسلك والنصاح .
- (5) مثله في التكملة ص 11 وحرقة هي بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمية شاعرة (راجع
ترجمتها في الاعلام للزركلي (ج 2 ص 184 وما به من مراجع .
- (6) البيت من قصيدة اولها : زعم الغراب منبىء الانباء ان الاحبة آذنوا بتناء
(راجع الديوان ج 2 ص 744 - 748 طبع بيروت 1911) .
- (7) ورد في معجم البلدان (م 3 ص 255 - 256) طبع بيروت ، سميراء بفتح اوله وكسر ثانيه بالمد
وقيل بالضم الى ان قال وهو منزل بطريق مكة بعد توزن مصعدا وقيل الحافر واكثر الناس يقولون
بالقصر وقيل هما موضعان المقصور منهما هو الذي في طريق مكة وليس فيه الا الفتح .
- (8) مثله في التكملة ص 27 .
- (9) بعد ما وافق صاحب القاموس ما عند المؤلف كراهه قد يستعمل للجميع وعلق الزبيدي على ذلك
قائلا : وقد اثبتته جماعة وصوبوه واليه ذهب الجوهري والجواليقي وحققه ابن بري في حواشي الدرر
وانشد عليه شواهد كثيرة وانتصر لهم الشيخ النووي في مواضع من مصنفاته وسبقهم امام العربية .
ابو علي الفارسي ونقله بعض من تلميذه ابن جنس الخ .
- (10) مثله في التكملة ص 60 .

سلية وتقول للذي به علة السلال (1) بفلان سلال
والعامية تقول سل وتقول للذي يسقي القوم سسالي
والعامية تقول شارب وهو قلب للكلام وتقول للمرأة
سيدتي والعامية تقول ستي قال ابن الأعرابي إن كان من
السود فسيدي وإن كان من العدد فسنتي ولا أعرف
في اللغة لسنتي معنى قال شيخنا أبو منصور (2) وقد
تأوله ابن الأنباري فقال يريدون بأست جهاتي وهو
تأول بعيد مخالف للمراد وتقول قد غلبت عليه السوداء
والعامية تقول قد نسودن (3) يجعلونه تفعلن من المرأة
السوداء ولا يتصرف من المرأة السوداء فعل ولو
تصرف لم يدخل فيه نون وتقول سحرت من فلان
والعامية تقول سحرت به قال المفضل ويقال أسود
سالخ (4) غير مضاف ولا تقل صالح بالصاد .

باب الشين

تقول هذا الشجر (5) والواحدة شجرة وتفتح
الشين والعامية تكسرهما وشخص البصر بفتح الخاء
وشهق (6) الرجل بفتح الهاء والعامية تكسرهما وهي
الشام على فعل لا غيره . قال الشاعر :

كيف نومي على الفراش ولما

تشم الشام غارة شعواء

والعامية تقول الشام (7) على فعال وذلك خطأ
وشنف (8) المرأة بفتح الشين وشراع السفينة
بكسر الشين والعامية تضمها وشطت الريح بفتح
الشين والميم صارت شمالا والعامية تقول اشطت
بالف وهم شرع (9) واحد بفتح الشين والراء والعامية
تقول هم شرع واحد وهو الشيت بتشديد التاء والعامية
تخففها وهو الشحنة بكسر الشين والعامية تفتحها وهو
فشط قال شيخنا أبو منصور (10) وهو اسم للرابطة من
الخيل في البلد من أولياء السلطان يسيط أهله وليس
باسم للأمير والقائد كما يذهب إليه العامة والنسبة
إليه شحني وشحنية ولا تقل شحنية وهذه الكلمة
مريبة صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل
إذا ملاته بها والفك المشحون الملوأ وتقول للسائل
الملاح شعاد (11) بالدال من قولك شحذت السيف إذا
بأفتت في أحداه والعامية تقول شعاث بالشاء
والشردمة (12) القطعة من الشيء بالدال المعجمة والعامية
تقولها بالدال المهملة وهي الشفة (13) بفتح الشين مع
التخفيف والعامية تكسر الشين وتشدد الفاء وهي
الشقوى (14) في اليد والرجل والعامية تقول الشقاق
وذلك لا يقال إلا في قوائم الدابة وتقول شممت (15)
الشيء بكسر الميم والعامية تفتحها وتقول للذي تأمره
شم (16) يدك بفتح الشين والعامية تضمها وتقول

(1) ذكر ابن منظور الوجهين أي السل واللال .

(2) راجع التكملة ص 29 .

(3) في الأصل تسودت يجعلونه تفعل يدون نون واصحح تسودن وهو لفظ معروف في العامية المغربية
بالمعنى الذي أشار إليه المؤلف .

(4) في اللسان السالخ من الحيات تسديد السواد وأسود سالخ غير مضاف وذكر في حرف الصاد من
أبي حاتم أنها بالصاد والشين .

(5) مثله في التكملة ص 49 .

(6) ذكر ابن منظور والفيروزآبادي الوجهين في شق

(7) في القاموس وشرحه الوجهان في الشام وأورد الزبيدي عن ابن بري بيتا لابي الدرداء ميسرة يشهد
لما أنكره المصنف . الشنف بفتح الشين وتسكين النون كما في اللسان قيل هو الذي يلبس
في أعلى الأذن والذي في أسفلها القرط وقيل هما سواء .

(8) ذكر ابن منظور الفتح والتسكين .

(9) راجع تكملة الإصلاح ص 48 حيث زاد بعد ولا تقل شحنية ولا « شحنية » .

(10) مثله في التكملة ص 33 .

(11) مثله في التكملة ص 59 .

(12) حكى في القاموس الكسر أيضا .

(13) مثله عند ابن منظور .

(14) حكى صاحب القاموس واللسان الوجهين .

(15) في اللسان اشممتي يدك أقبلا وهو أحسن من قولك ناولني يدك .

المولدين ولم تعرف العرب ذلك وتقول شتان 7،
 ماهما قال الاصمعي ولا يقال شتان ما بينهما قال ابو
 حاتم فقلت له قال ربيعة (8) الرقي :
 لستان ما بين البيزدين في الندي
 يزيد سليم والافسر بن حاتم

فقال ليس ببيت نصيح بلشت الى قوله وانما هو كما
 قال الاعشى :

ستان ما يومى على كورها
 ويوم حيان اخى جابر

وتقول داية سهوس (9) والعامية بالسين تقولها بالصاد
 وتقول في تفسير الشي شييء (10) والعامية تقول شوي
 بالواو قال المفضل وتقول شكرت لك ولا تقل شكرتك
 وقد جاء لكن الاول اجود (11) .

بباب الصاد

تقول هذه صنارة (12) المغزل بكسر الصاد (13).
 والعامية تفتحها وصنجة الميزان بالصاد والعامية تقولها

شغلته (1) بكذا والعامية تقول اشغلته وهو في شغل
 شافل والعامية تقول في شغل مشتغل وهو
 الشهدانج (2) بالميم والعامية تقول شهدانك وهو
 الشطرنج بكسر الشين على وزن جردحل وتقول
 للحسن الاخلاق فلان حسن الشمال والعامية تخص
 ذلك بحسن الثني والتعطف في المشي (3) ولا وجه
 لذلك وهو الشعبي باسكان العين والعامية بفتحها وتقول
 ما شعرت (4) بكذا بفتح العين اي ما علمت به والعامية
 تضم العين وذلك لا يجوز الا اذا اردت اني ما صرت
 شامرا وتقول لمن اخذ شمالا في سعيه قد شام (5)
 واذا امرته قلت شائم يا هذا والعامية تقول قد تشاوم
 وانما يقال تشاوم لمن اخذ نحو الشام وتقول شفعت
 الرسول باخر والعامية تقول شفعت الرسولين بثالث
 وهو غلط لان الشفع في كلامهم بمعنى الاثني وتقول
 للمريض شعالة (6) الله والعامية تزيد الفا فيفسد المعنى
 لان معنى اشفاك اتاك على شفا هلكته وتقول للكساء
 الذي يطرح تحت السرج ويلقى طرفه الى كفل الدابة
 هذا الشليل والعامية تسميه الكنبوش وهو من تعريب

- 1 ذكر ابن منظور الوجهين وفي القاموس واشغله لغة جيدة او قليلة او رديئة ونقل الزبيدي عن ابن
 دريد انه لا يقال اشغلته ومثله في شروح الفصح وشرح الشفاء للشهاب والمفردات للراغب والابنية
 لابن القطاع ولا يعرف لاحد القول بوجودتها من امام من ائمة اللغة له نقل عن شيخه ابي الطيب الشرقي
 قوله « فاذن لا معنى لتردد المصنف فيها » ثم قال : « قلت ولعله استانس بقول ابن فارس حيث قال
 في المجمل لا يكادون يقولون اشغلت وهو جائز »
- 2 انتصر الجوايقي في التكملة (ص 36) وفي المعرب (ص 92) والخفاجي في شفاء الغليل (ص 114) على
 شهدانج ومعربة التنوم وهو شجر له حمل كعب الخروج .
- 3 مثله في التكملة ص 21 .
- 4 ذكر صاحب اللسان والقاموس الوجهين في معنى علم ونظم وعقب الزبيدي بقوله : « لغتان ثابتتان
 وانكر بعضهم الثانية والصواب ثبوتها ولكن الاولى هي النسيحة .
- 5 في القاموس ان تشاوم بمعنى انتسب الى الشام واخذ نحو شماله .
- 6 ذكر ابن منظور الوجهين .
- 7 ورد في متن اللغة الوجهان ونقل قول البطليوسي وقد انكر الاصمعي اشياء كثيرة كلها صحيح
 (الانتساب ص 216) .
- 8 في الاصل ابو ربيعة وهو في الواقع ربيعة الرقي وستان بدلا من لستان ويريد بدل يزيد واسيد بدل
 سليم ولا يزيد بدل والافر والبيت من ابيات الشواهد المشهورة السائرة وهو من قصيدة طويلة
 (راجع خزنة الادب لمبد القادر البغدادي ج 3 ص 46 - 48 طبعة بولاق - وارشاد الارب لياقوت
 ج 4 ص 207 طبعة اوربا و ج 11 ص 134 - 136 طبعة القاهرة) .
- 9 ذكر ابن منظور في مادة شمس الوجهين .
- 10 وافق المصنف ما عند الجوهرى ونقل الزبيدي عن شيخه ابن الطيب الشرقي ان الكوليين حكوا الواو
 ايضا قال واستعملها المولدون في اشعارهم .
- 11 مثله في شرح القاموس نقلنا من الفيروزآبادي في البصائر .
- 12 (القاموس وشرحه ان الكسر من ابن الاعرابي ويفتح عن كراع .
- 13 وافق المصنف ما عند ابن السكيت وحكى ابن منظور الوجهين .

باب الصاد

تقول ضمير البطن يفتح الصاد والميم والعامية تضم الصاد وتكسر الميم ومنهم من يفتح الصاد ويضم الميم (11) والصلدع (12) يكسر الصاد والعامية تفتحها والصبغ يضم الباء وهو اسم للأنثى والذكر ضبعان قال شيخنا نيس معنى شيء يفلب المؤنث على الذكر الأنثى قولك ضبعان فإذا أردت تثنية قلت ضبعان والعامية تقول الضبع بتكسر الباء وإنما الضبع (13) العضد ومنهم من يقول في الأنثى ضبعة وتقول هموس الرجل يفتح الصاد وكسر الراء والعامية تضم الصاد وتقول ضعف الشيء يفتح الصاد ويضم العين والعامية تضم الصاد وتكسر العين وتقول قوى الله منك (14) ما ضعف والعامية تقول قوى الله ضعفك وهذا دعاء على الشخص لا له إلا أن تريد بذلك قوي ضعيفك فإنه قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أني ضعيف فقو من رضاك ضعفي .

باب الطاء

تقول أعوذ بالله من طوارق (15) الليل والعامية تقول من طوارق الليل والنهار هذا غلط لأن الطروق

بالسين وصولجان يفتح اللام (1) والعامية تكسره وأصله فارسي مررب ورجل صعلوك يضم الصاد والعامية تفتحها والصبغ (2) بالصاد والعامية تقوله بالسين والصحراء ممدودة والعامية تقصره وتزيد هاء والصفير (3) النحاس يضم الصاد والعامية تكسره وإنما الصفير الخالي من الأنية وغيره والصفراء والصفراء (4) ممدودان والعامية تقول صحنبة وتقول هذا الصونج (5) ويسمى المرقاق أيضا والعامية تسميه الشوبك وتقول للأنثى الذي ينظف فيه من الخزف صاخرة (6) والعامية تقول صافرة وتقول لعيد الفرس الذي يوقدون فيه النيران ليلا الصندق (7) والعامية تقول الصدى وتقول هذه الصيفة (8) والعامية تقول الصيفية بزيادة ياء وتقول صفق (9) فلان يفتح الصاد ولا تضمها إلا أن تريد من أصابته ساعة وتقول صلب الشيء يضم اللام والعامية تضم الصاد وتكسر اللام وذلك أخبار عن المنسوب وتقول صرفتته عما أراد والعامية تقول اصرفته وتقول فلان ياتينا صباح (10) مساء على أوصافه يريد أن ياتي في الصباح وحده لأن التقدير ياتينا في صباح مساء وتقول ياتينا صباح مساء على فتح الاسمين يريد أنه ياتينا صباحا ومساء فتحذف الزوا المعاطفة والعامية لا تفرق .

- (1) مثله في القاموس وفي المعرب للجواليقي .
- (2) حكى ابن منظور الوجهين ذاكرة السين لغة فيه .
- (3) حكى ابن منظور والجوهري من ابن عبيدة الكسر أيضا .
- (4) راجع تكملة الاصلاح للجواليقي ص 60 وهو ادم من السمك الصغير المملوح وفي القاموس يتصران ويمدان .
- (5) كان في الاصل صونج بالنون والصواب صوبج كجوهري ويضم قال ابو حيان في شرح التسهيل وهو شيء من خشب يسبق به الخيازون الجردق قال في القاموس وهو معرب .
- (6) تكملة الاصلاح للجواليقي ص 30 .
- (7) التكملة للجواليقي ص 42 وهو معرب سده بالسين لا بالصاد كما نقله أصحاب الصحاح واللسان والتاج .
- (8) الصيفة بتشديد الياء مطر الصيف .
- (9) حكى صاحب اللسان ومتن اللغة الوجهين .
- (10) حكى ابن منظور من سيبويه أثبتة صباح مساء ان من العرب من يبينه كخمسة عشر ومنهم من يضيفه الا في حد الحال او الظرف .
- (11) الذي في اللسان ان ضمير يفتح الميم وضمها .
- (12) في اللسان ان التكسر والفتح لفتان لصيحتان .
- (13) ذكر ابن منظور الضبع يفتح الصاد وسكون العين لغة في الضبع .
- (14) في الاصل ضنك ولعل الصواب منك .
- (15) مثله في التكملة ص 7 .

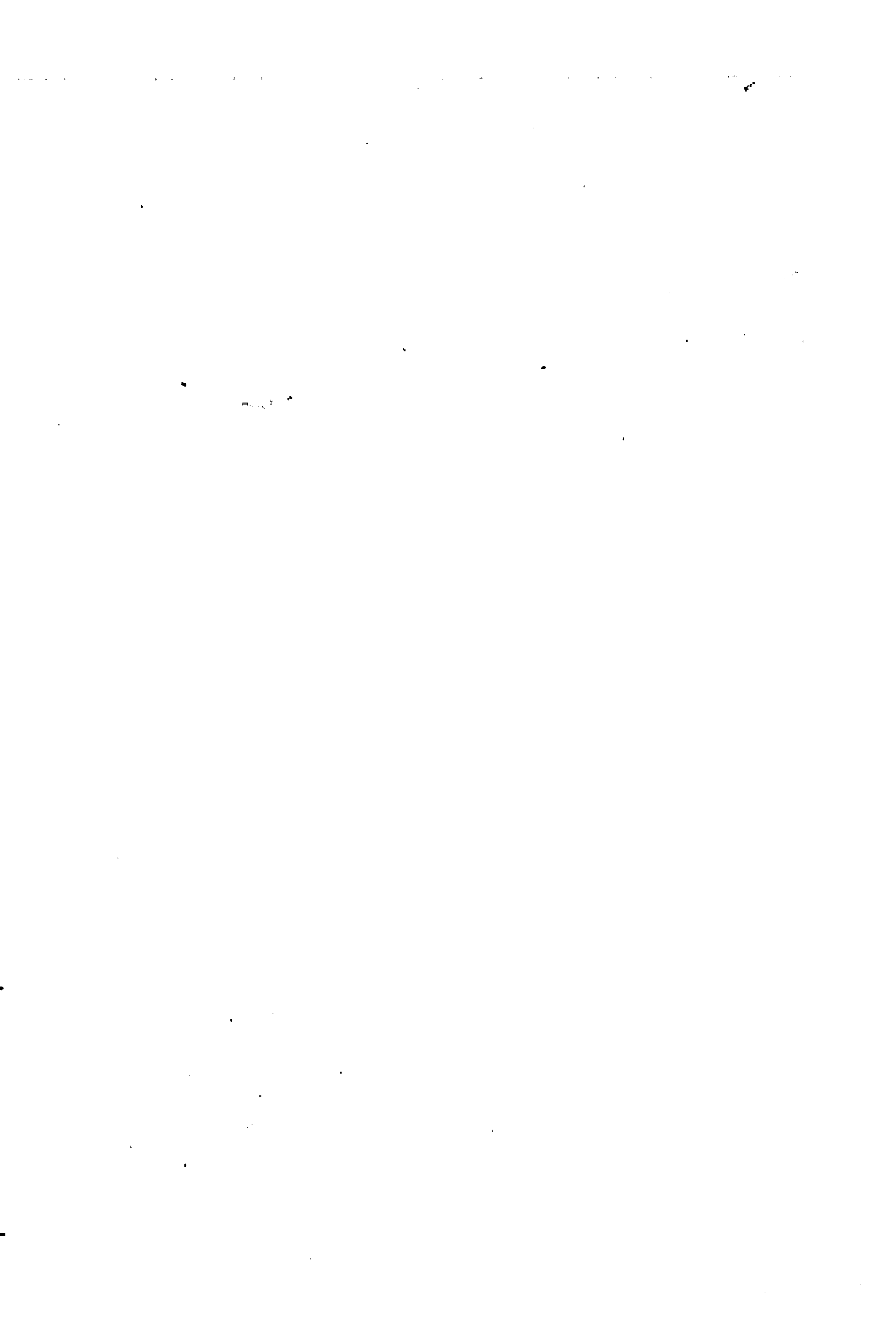
باب اللطاء

وتقول للفصيح اللسان و(11) والعامية تجعل الظرف في حسن اللباس وأكثره خاصة وهو لفظ قل ثعلب الظريف يكون حسن الوجه وحسن اللسان الظرف في المنطق والجسم ولا يكون في اللباس قال الحسن إذا كان اللص ظريفا لم يقطع أي إذا كان بليفا فصيحا احتج عن نفسه بما يستقط منه الحد وقال المبرد الظريف مشتق من الظرف وهو الوعاء كانه جعل الظريف وعاء للادب ومكارم الاخلاق وتقول قد ظرف الرجل بفتح الظاء وضم الراء والعامية تضم الظاء وتكسر الراء وهو الظفر بضم الظاء والعامية تكسره وتقول لا تزالون بخير ما دام العلماء بين ظهرانكم بفتح النون والعامية تكسره وتقول للمرأة إذا كانت في هودجها ظمينة (12) فاذا لم تكن في هودجها فليست ظمينة على كل حال .

(يتبع)

الايان بالليل خاصة وتقول قرأت السبع الطول (1) بضم الطاء والعامية تكسر الطاء وانما الطول اسم للحبل وتقول لا اكلمك طوال الدهر بفتح الطاء والعامية تكسرها وتقول طويى لك (2) والعامية تقول طوباك وتقول قد طرشاوه به بفتح الطاء كما يقال طروير الناقة اذا بدأ صفاره ونامه والعامية تضم الطاء وتقول لهذا طسراء والعامية تقول طراوة (4) وكذلك الرداة (5) وعلى وجهه طلاوة (6) بضم الطاء والعامية تفتحها وهي لفة والظليسان بفتح الطاء واللام والعامية تكسره والطنجير (7) بكسر الطاء والعامية تفتحها وطرسوس (8) بفتح الراء والعامية تسكنها والطنبور بضم الطاء والعامية تفتحها وطردته (9) فذهب والعامية تقول فانطرد وتقول قد طرب (10) الرجل أي قد خف لشدة فرح او حزن قال ابن الانباري والعامية تظن ان الطرب لا يكون الا مع الفرح وهو خطأ منهم .

- (1) مثله عند ابن منظور .
- (2) حكى صاحب اللسان من الاخفش الوجهين وان ائتر النحويين على ما ذهب اليه المصنف كما حكى ذلك ايضا الخفاجي في شفاء العليل .
- (3) نقل ابن يبيدي في التاج من الازهري البناء للمجهول لفة والافصح الاول .
- (4) ذكر اللسان الوجهين .
- (5) مثله في اللسان .
- (6) مثله في اللسان ونقل عن ابن الاعرابي انه بالفتح فقط وان الضم لما يطل به .
- (7) مثله في القاموس وانقله الجوهري وانجواليقي وابن منظور .
- (8) مثله عند ياقوت في معجم البلدان (9) حكى ابن منظور عن الجوهري ان انطرد واطرد لفة رديئة .
- (10) حكى ابن منظور قولاً في ان الطرب هو الفرح .
- (11) مثله في التكملة للجواليقي وحكى ابن منظور في معنى الظرف قولاً انه حسن الهيئة .
- (12) في اللسان ان الظمينة الحمل والهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه او لم تكن والظمينة المرأة في الهودج وعن ابن السكيت كل امرأة ظمينة في هودج او غير .



أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

- ◆ دور اللغة العربية وأهميتها في المصور الوسطى
وفى الحالة الراهنة .
للاستاذ يوسف بيلافسكي
- ◆ اللغة العربية أداة دولية لتبليغ الكشوف العلمية.
الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- ◆ ابن خلدون وبيئته الاجتماعية .
الأستاذ سفيثلانا بالسيفا
- ◆ المظهر الاجتماعي للآراء .
الأستاذ يوسف بيلافسكي
- ◆ حلقة دراسية حول النقالة الإنسانية .
المكتب الدائم لتنسيق التعريب

Cercle d'Études sur la Culture Humaine

Nous avons adressé la lettre suivante à un certain nombre d'hommes de lettres et de savants occidentaux :

Le Bureau Permanent d'Arabisation a l'intention d'organiser un cercle d'études sur la culture humaine, dans le but d'une universalisation de la culture arabe et d'une coopération internationale dans le domaine de la pensée, par l'apport mutuel et le développement des échanges culturels entre l'Orient et l'Occident.

Le Bureau Permanent d'Arabisation vous suggérera une série de thèmes touchant particulièrement aux bases, aux données et aux caractéristiques de chaque culture nationale, et ce, à travers des exposés et des analyses de travaux littéraires ou scientifiques élaborés par des spécialistes qualifiés de chacun des pays participants.

Une telle collaboration nous permettrait de réaliser sur les données de la pensée moderne, le processus de son développement et l'essor des recherches scientifiques contemporaines des synthèses générales que nous avons l'intention de diffuser largement de par le Monde.

Nous vous proposons donc pour l'année 1970 le thème suivant :

« Données et caractéristiques de la littérature de votre pays »

Ensuite les Arabes se répandirent dans les autres pays à l'Ouest, conquirent l'Afrique du Nord et l'Espagne. Les Abbassides fondèrent leur capitale, Bagdad, où l'écriture arabe, la calligraphie étaient à l'honneur grâce au niveau élevé de la civilisation dans cette capitale de l'empire arabe, dans ce centre célèbre de l'islam (18).

Mais, continue Ibn Khaldoun, quand l'empire musulman devint faible, quand commença la décadence de la culture et on ne demanda plus de livres, on n'organisa pas de bibliothèques, etc., l'art de la calligraphie ne fut plus recherché (19).

Telles sont à peu près les idées d'Ibn Khaldoun sur la dépendance entre l'écriture, la belle calligraphie et la situation culturelle d'un Etat; l'art de la belle écriture est aussi un phénomène social et culturel.

Comme nous voyons de ces remarques prises au hasard, Ibn Khaldoun fut un penseur original non seulement dans le domaine de l'histoire, de la sociologie et de la politique, il le fut aussi dans le domaine de la langue et de la littérature arabes et donna des preuves de son indépendance d'opinions. Il liait les changements survenus dans la langue et dans la littérature avec les transformations qui s'effectuaient dans la société et la culture, c'est-à-dire qu'il donnait une base sociologique aux phénomènes linguistiques et littéraires.

Bien qu'il puisât le matériel de ses considérations chez les spécialistes de la langue et de la

littérature, les appréciations et les opinions qui, souvent, diffèrent de celles de ses prédécesseurs, sont bien de lui. Ibn Khaldoun donne une image linguistique et littéraire fidèle de l'époque qui lui était contemporaine. Il distingue la langue *mudar* (langue des Arabes anciens) et la langue élaborée par les philologues et lexicographes; d'autre part, il distingue les dialectes arabes bédouins, continuation parlée de la langue *mudar*, et les dialectes des citadins, habitants des grandes villes, différents à l'Est et à l'Ouest, nés dans des milieux sociaux nouveaux, différents l'un de l'autre mais sur la base de la langue arabe ancienne. Les dialectes occidentaux les mieux connus de l'autour, l'andalou et le maghrébin, résultent des milieux ethniques et linguistiques différents.

Parallèlement à ces différences dans le domaine de la langue arabe se déroulait la situation dans la littérature arabe qui, elle aussi, dépend du milieu social et du niveau culturel de la communauté arabe.

Ibn Khaldoun louait la beauté de la langue arabe, sa concision et son éloquence; et il ne se contentait pas d'être un théoricien. Son ouvrage le plus original, la *Mukaddima*, qui a fourni le sujet des présentes réflexions, son autobiographie *At-Ta'rif bi-ibn Khaldoun* sont de beaux monuments de la prose arabe élocuente, riche en comparaisons et pourtant sans préciosité et sans artifices; ils sont d'autant plus précieux qu'ils proviennent de l'époque de la décadence générale de la culture et de la littérature arabes.

(18) Ibid. p. 955.

(19) Ibid. p. 956-957.

tate Ibn Haldun, que ces personnes étaient des non-Arabes seulement d'origine. Ils ont grandi parmi les Arabes qui parlaient une langue parfaite. Ils se trouvaient, dans un certain sens, dans la position des enfants arabes élevés parmi les Arabes-Bédouins, qui acquièrent une connaissance parfaite de la langue. Et bien que non-Arabes d'origine, ils étaient des Arabes par l'éducation. Ils vivaient à une époque d'épanouissement de la culture arabe, quand la langue arabe se trouvait au sommet du développement et quand l'habitude de la belle langue n'était pas encore disparue, même parmi les habitants des grandes villes » (14).

Et encore une fois Ibn Haldun revient au problème des dialectes arabes quand, en Orient et en Occident arabe, l'hégémonie, la domination arabe touche à son terme. La culture et la littérature arabes tombent en décadence, l'habitude de la belle langue disparaît.

Au Maghreb la majorité des Berbères, élément indigène de l'Afrique du Nord, décidaient de l'état de la langue arabe. Leur langue était celle du pays, à l'exception de certaines grandes villes. L'arabe y fut submergé par le berbère, ce qui abaissa le niveau de la langue arabe et du goût linguistique.

La situation était meilleure en Andalousie où fleurissaient les belles-lettres et la poésie, les sciences philologiques, où on lisait les ouvrages classiques (15).

A l'Est aussi, pendant la domination des dynasties étrangères, des Deylemites et des Turcs, la connaissance de la langue arabe se rétrécit, les nouveaux éléments ethniques et linguistiques prirent le dessus, même dans les grandes villes, dont les habitants s'éloignaient de la langue arabe pure. Le nouveau milieu social ne permettait pas d'acquérir l'habitude d'une langue arabe classique parfaite. Aussi trouvons-nous leur langage (imparfait) dans les ouvrages de cette époque, dans la poésie et dans la prose (16).

3. L'ATTITUDE D'IBN KHALDOUN ENVERS LA LITTÉRATURE EN POÉSIE ET EN PROSE

Après des considérations sur la langue arabe et ses dialectes, Ibn Khaldoun s'arrête sur « deux genres » littéraires de la langue arabe : la poésie et la prose. Ici encore son jugement est très sage et réel, et d'autant plus digne d'attention qu'il l'énonce à l'époque de la décadence de la littérature arabe, quand le bon goût littéraire dispa-

rait, quand la prose imite la précision de la poésie. Ibn Khaldoun dit que chacune d'elles a ses propres « chemins » (*ustub*), thèmes et domaines. Et il n'est pas bon que la poésie imite les « chemins » de la prose qui en devient moins claire et moins compréhensible. C'est alors la décadence de la prose artistique saine, naturelle ; elle témoigne de la perte du goût littéraire.

Ce qui est extrêmement intéressant pour nous, ce sont les renseignements d'Ibn Khaldoun sur la poésie arabe en général et sur la poésie contemporaine non classique, par exemple la poésie strophique andalouse, *muwassahat* et *azzajal*, répandue aussi au Maghreb et en Orient, ainsi que sur la poésie bédouine en particulier.

L'auteur énumère plusieurs genres de la poésie populaire : *mawaliya*, *kan-wa-kan*, *kuma*, *bad-dawi*, *haurani*, etc., et indique leur structure. Il cite aussi leurs principaux représentants et théoriciens, par exemple Saffi ad-Din al-Hilili. Il donne une juste appréciation de la valeur artistique de cette poésie, alors que la production littéraire populaire était dédaignée par les auteurs arabes. Ibn Khaldoun nous présente un assez riche matériel de la poésie bédouine du Maghreb qui lui était bien connue, ce qui nous donne une idée juste de cette poésie à son époque, d'autant plus que nous ne la connaissons pas d'autres sources. Il s'arrête sur la forme de cette poésie, sur sa structure et sa langue, ainsi que sur son contenu. Toute cette création littéraire, classique et dialectale, urbaine et bédouine, résulte d'un milieu social spécifique et porte son cachet. Ibn Khaldoun reste toujours sur son terrain sociologique.

4. SOCIOLOGIE DE LA CALLIGRAPHIE ARABE

Arrêtons-nous encore quelques instants sur l'écriture et la calligraphie arabes, telles que les voit Ibn Khaldoun. Il est naturel qu'il les apprécie d'une position sociologique comme un art ou un métier. Il dit en l'espèce que le développement de l'écriture est conditionné par la société sédentaire et la culture. C'est pourquoi les Bédouins sont en général illettrés (17). D'autre part, dit Ibn Khaldoun, l'écriture est un art qui aide la société à se développer et favorise sa culture. L'imperfection de l'écriture n'est pas due, par exemple, au manque de religion ou de morale mais aux causes économiques et sociales, à la situation culturelle. Quand les Arabes eurent conquis beaucoup de pays et fondé leur empire, ils s'établirent à Basra et à Koufa, et eurent besoin de secrétaires, puis de calligraphes. Alors l'écriture arabe se perfectionna à Basra et à Koufa.

(14) Ibid. p. 1281.

(15) Ibid. p. 1284.

(16) Ibid. p. 1285.

(17) *Mukaddima*, éd. d'Abd al-Wahid Wafi, partie III, p. 949.

2. SOCIOLOGIE DE LA LANGUE ARABE

Ibn Haldun présente sa propre théorie de la langue qui, dans une grande mesure, diffère de celle des philologues arabes (11). Il souligne toujours la dépendance de la langue et de ses formes dialectales du milieu social. La langue, dit Ibn Haldun, est une habitude (*malaka*). C'est la capacité de réunir les mots de manière à exprimer la pensée. L'habitude naît de la répétition ; après de nombreuses répétitions l'habitude s'enracine, comme cela a lieu dans l'apprentissage d'un métier ou d'un art (*sina'a*). Ensuite Ibn Haldun poursuit ses observations de nature sociologique et lie les phénomènes de la langue arabe à l'état de la société et de la culture arabes. Aussi longtemps que les Arabes restaient dans leur pays sans se mélanger avec les non-Arabes, l'habitude de la langue arabe correcte était observée. La connaissance de la langue parfaite se transmettait de génération en génération. « C'est ainsi que l'on comprend l'affirmation que les Arabes-Bédouins ont un bon langage inné, dit Ibn Haldun. L'habitude de la langue arabe parfaite se détériore chez les Arabes Mudar (les Arabes purs, branche du nord, chez qui naissait la langue 'arabiyya et la poésie ancienne) quand ils eurent des contacts avec les 'Agam, c'est-à-dire les non-Arabes. Les générations nouvelles entendaient d'autres manières de s'exprimer, formulées non dans l'esprit de la langue arabe pure, puisque les Arabes avaient des contacts avec des étrangers... En résultat la langue se gâta, une habitude nouvelle naquit, inférieure à la précédente. La langue ne conserva sa pureté que dans quelques tribus bédouines éloignées des autres peuples. Telle est la signification de l'expression : la corruption de la langue arabe », conclut notre auteur.

D'après Ibn Haldun les Quraychites qui étaient éloignés des pays non arabes parlaient le langage le plus correct. Ils étaient suivis par les tribus voisines : Thakif, Hudhayl, Khusa'a, Kinana, Asad, Tamim et d'autres... Les Arabes du Yemen qui vivaient avec les Persans, les Byzantins et les Abyssins perdirent leur habitude linguistique, leur langue arabe n'était pas pure.

Ibn Haldun s'arrête sur les dialectes arabes, bédouins et urbains. Il dit très justement que l'arabe-bédouin est un dialecte différent de la langue mudar, c'est-à-dire de la 'arabiyya classique. Pourtant, en principe, la langue arabe-bédouine suit la langue mudar (classique). Seule est survenue une disparition partielle des voyelles finales (flexion), l'*'rab*. Mais l'ordre des mots et la syn-

taxe restent ainsi que l'éloquence. Les grammairiens qui estiment que l'éloquence disparut avec la disparition des voyelles finales (*'rab*) font erreur. Ibn Haldun souligne que les Bédouins continuent à être un modèle de correction en prononciation et en langage parlé.

Une situation différente s'observe dans les dialectes urbains arabes. La langue parlée par les citadins se façonnait dans des conditions nouvelles, dans un entourage ethnique et social nouveau. En résultat le langage ou dialecte de la population sédentaire et des habitants des métropoles est différent de la langue mudar (classique) et de la langue des Bédouins. C'est grâce aux changements politiques et sociaux dans la communauté arabo-musulmane que la langue arabe a subi cette transformation et différenciation. Le langage parlé urbain contient de nombreux changements et de déviations de sens. Selon les villes et les régions il présente des différences dans la signification des mots, dans la prononciation, etc. Ibn Haldun dit ce qui suit : « Le fait que la langue parlée aujourd'hui dans les villes soit plus éloignée de l'ancienne langue arabe que le langage des Bédouins contemporains, résulte de l'éloignement de l'ancienne langue (classique), des contacts avec les non-Arabes et du mélange avec ces derniers. Comme nous avons constaté, continue Ibn Haldun, la langue est une habitude, un art qui se perfectionne par la répétition. Plus les gens écoutaient les non-Arabes et plus ils s'éloignaient de la pure langue arabe, d'autant plus se détériorait leur habitude linguistique. D'autre part, dit notre auteur, la situation était différente dans les villes du Maghreb, d'Espagne et de l'Est. En Afrique et dans le Maghreb les Arabes se mélangèrent aux Berbères qui forment la majorité de la population. L'élément non-arabe domine ainsi la langue arabe et l'arabe — dialecte maghrébin — est plus éloigné de l'arabe classique que les autres dialectes arabes. A l'Est aussi, continue avec raison Ibn Haldun, les Arabes dominaient (tout au moins pendant un certain temps) sur les autres peuples, les Persans et les Turcs ; leurs langues se mélangeaient à la langue arabe et un dialecte nouveau naissait » (13).

A l'occasion Ibn Haldun se défend contre l'argument présomptif qu'il y eut de grands spécialistes et connaisseurs de la langue arabe qui n'étaient pas des Arabes. « On ne peut argumenter que Sibawayhi, al-Farisi, az-Zamahsari et d'autres qui font autorité dans la langue arabe n'étaient pas des Arabes, et pourtant ils possédaient une excellente habitude de la langue arabe et de son goût (*dawk*). Mais souvenons-nous, cons-

(11) Une caractéristique de cette théorie a été donnée par T.B. Irving dans un article intitulé *A fourteenth-century view of Language*, publié dans *Memorial Ph. Hitti, The World of Islam*, London 1960 (pp. 185-192).

(13) *Op. cit.*, pp. 1274-1275.

de toutes les dispositions de la loi religieuse » (5). La première et la plus importante des sciences linguistiques, d'après Ibn Haldun, est la grammaire car elle indique les principes fondamentaux utilisés pour exprimer ce que l'on veut dire ; l'enseignement de la grammaire est selon lui plus important que celui de la lexique, son ignorance rendant difficile la compréhension. L'auteur donne ensuite une explication sociologique quand et pourquoi se fit sentir le besoin de la grammaire : les Arabes n'avaient pas besoin de l'art d'enseigner les différents sens des mots. Les règles naissaient avec l'usage, devenaient une coutume que les générations se transmettaient depuis l'enfance. « Puis vint l'Islam, les Arabes quitteront le Higaz à la recherche du pouvoir qui se trouvait en possession des peuples et dynasties étrangères. Ils se mêlèrent aux non-Arabes et leur coutume change... C'est ainsi que la langue se gâta en assimilant des formes étrangères, puisque les Arabes les écoutaient parler. Et les hommes instruits craignaient que l'habitude [de parler correctement] se gâtât complètement si ce processus se prolongeait et que le Coran et le *hadith* finiraient par être incompris. Aussi déduisirent-ils de leur langage des règles à cette habitude » (6). Ibn Haldun mentionne de grands imams de la grammaire arabe comme al-Halil Ibn Ahmad et Sibawayhi, et les écoles de Basra et de Koufa qui élaborèrent les principes généraux et les règles de la grammaire arabe classique, et la science de la grammaire s'épanouit avec les autres sciences arabes pendant quelques siècles. « Mais cet art, continue Ibn Haldun, commença à s'évanouir quand nous vîmes la décadence des autres sciences et arts et la décroissance de la civilisation » (7).

Le second pilier de la langue, le lexique, explique le sens des mots. Ici aussi, tout comme dans le domaine de la grammaire arabe, quand l'habitude de la langue arabe se gâta, il fallut intervenir : « La langue continuait à se détériorer en résultat des contacts entre les Arabes et non-Arabes. La détérioration s'étendit au sens des mots qui n'étaient plus utilisés dans leur sens primitif, en résultat des fautes de grammaire qui se glissaient dans le langage des peuples arabisés, dans leur terminologie (8). Dans cette situation il devint nécessaire de protéger la signification des mots et d'élaborer des dictionnaires. Et de grands maîtres de la lexicographie apparurent : al-Gauhari, Ibn Sida, Ibn Durayd, Ibn al-Anbari, az-Zamachsari, et d'autres.

Ilm al-bayan, le troisième pilier de la langue arabe concerne la syntaxe, le style et la rhé-

rique. L'auteur remarque justement que cette science est née dans la société après la science de la langue (grammaire) et la lexicographie, qu'elle est le résultat de la philologie arabe. Ibn Haldun donne une preuve de sa compétence dans ce domaine théorique et de sa connaissance approfondie de la littérature arabe. Il évoque de grands maîtres de la rhétorique et stylistique arabes en Orient, en Andalousie et au Maghreb. Il s'arrête spécialement sur l'éloquence du Coran — *l'gaz al-Kur'an* — et en explique la signification. Il souligne (et c'est cela qui nous intéresse) la beauté et la perfection de la langue du Coran, résultat du milieu arabe pur où est né ce Livre d'Allah. Ce sont les Arabes qui ont entendu le Prophète lui-même prêcher les sourates du Coran, qui l'ont le mieux compris. Ensuite il a fallu des commentaires quand les non-Arabes sont entrés dans l'Islam et que la communauté musulmane est devenue multinationale. Le meilleur commentaire au Coran préparé du point de vue de l'éloquence (*al-balagha wa'l-bayan*), dit Ibn Haldun, a été écrit par az-Zamachsari : *Al-Kassaf*.

Sociologue, Ibn Haldun souligne que les « gens d'Orient » s'intéressaient beaucoup à *ilm al-bayan*. Il dit textuellement :

« En somme les Orientaux étaient plus forts dans ce domaine que les Occidentaux. Et la cause de cela — et Allah le sait le mieux — c'est que cet art est un luxe (une perfection) dans les sciences linguistiques ; et les arts luxueux se trouvent dans l'abondance de la civilisation. Et l'Orient était plus riche au point de vue civilisation que l'Occident, comme nous l'avons déjà mentionné » (9).

En caractérisant le dernier pilier des sciences de la langue arabe (*ilm al-adab*), Ibn Haldun constate que « cette science n'a pas de sujet spécial ». Pour définir cette branche, il cite l'opinion des autres et il est intéressant de connaître la signification du mot *adab* à cette époque : « Quand ils veulent définir cette science ils disent : *Al-adab*, c'est la conservation dans les mémoires des poésies et de l'histoire des Arabes, c'est l'assimilation d'une science qui constitue une partie des sciences de la langue ou des sciences religieuses, du point de vue de leurs textes seulement » (10). A l'occasion Ibn Haldun préconise la grande valeur de l'œuvre d'Abu 'l-Farag al-Isfahani : *Kitab al-Aghani*, très connu en Occident arabe également.

(5) Ibid.

(6) Op. cit., p. 1256.

(7) Ibid. p. 1257.

(8) Ibid. p. 1258.

(9) Ibid. p. 1265.

(10) Ibid. p. 1267.

par de Slane en 1862-1868. De nombreuses études lui furent consacrées, en particulier à ses opinions sociologiques et économiques ainsi qu'à ses opinions sur le droit, la religion, l'histoire et la culture en général. La bibliographie des études consacrées à Ibn Haldun, écrites en Occident et en Orient, comprend environ quatre cents livres ou articles (1), ce qui témoigne de l'intérêt porté à l'œuvre de ce personnage remarquable.

Pourtant jusqu'à présent on n'a pas étudié plus à fond ses opinions sur « les sciences de la langue arabe », c'est-à-dire sur la langue dans ses divers aspects et sur les lettres, la poésie et la prose, qu'il présente aussi comme des phénomènes sociaux. Ibn Haldun consacre la dernière partie de la *Mukaddima* à ces sciences arabes par excellence et les traite d'une façon originale, digne de notre attention.

Ainsi, la forme même de son œuvre, sa langue et son style, sa terminologie n'ont pas été étudiées convenablement bien qu'en se fût intéressé à certaines de ces questions. Et il me semble nécessaire d'élaborer la terminologie et la stylistique de cet auteur pour bien comprendre sa pensée ; Ibn Haldun a conçu une science nouvelle pour laquelle il a créé des termes nouveaux inconnus auparavant ou bien il a usé de mots communs en leur donnant une signification scientifique.

Depuis quelque temps je m'occupe d'Ibn Haldun, de sa vie mouvementée et de sa pensée sociologique, et j'ai publié deux articles dans des revues polonaises (2). Ce qui m'intéresse, ce sont des problèmes négligés jusqu'à présent : 1) les opinions d'Ibn Haldun sur la langue et la littérature arabes ; 2) la langue, la terminologie et le style d'Ibn Haldun. Je prépare deux études sur ces thèmes.

Je désire présenter ici brièvement quelques remarques sur le premier de ces thèmes en attirant l'attention sur l'aspect sociologique des opinions d'Ibn Haldun sur la langue et la littérature, la poésie et la prose arabes.

Comme je l'ai écrit plus haut, Ibn Haldun nous parle de la langue et de la littérature arabes dans la dernière partie de sa *Mukaddima*. Cette partie commence par le chapitre : « Les sciences de la langue arabe ». L'auteur partage ces « scien-

ces » en grammaire (an-nahw), lexicographie (al-luga), éloquence (al-bayan), c'est-à-dire rhétorique et stylistique, et la littérature (al-adab). Dans les chapitres qui suivent nous trouvons des considérations théoriques à base sociologique, qu'Ibn Haldun prêterait, sur la langue en général et la langue arabe en particulier, sur le développement de la langue et les changements qu'elle subit au cours des siècles selon les groupes sociaux, nomades ou sédentaires, selon leur isolement ou leur voisinage avec d'autres peuples, etc., et ensuite sur l'éloquence qui se manifeste en poésie et en prose. Ibn Haldun s'arrête sur la poésie urabe ; d'abord sur la poésie classique (si'r), et ensuite sur la poésie strophique, classique et dialectale, née en Andalousie : la *muwassaha* et le *zagal*, et les autres genres de la poésie populaire répandus en Andalousie, au Maghreb et en Orient arabe. De cette façon Ibn Haldun donne un tableau assez fidèle de la situation linguistique et littéraire du monde arabe à son époque. Et ce qui est spécialement important pour nous, il s'occupe des dialectes arabes et de la poésie populaire dialectale qui étaient négligés chez les Arabes, en les commentant comme des phénomènes sociaux, ce qui prouve la sagacité et le bon sens de ce penseur.

Considérons d'un peu plus près certaines opinions d'Ibn Haldun sur « les sciences de la langue arabe », en soulignant leur aspect sociologique.

1. CARACTERISTIQUE GENERALE DES « SCIENCES DE LA LANGUE ARABE »

Dans ses considérations linguistiques et littéraires Ibn Haldun analyse sommairement des ouvrages d'auteurs arabes et met à profit sa propre expérience. Mais comme dans de nombreux autres domaines, dans celui de la langue et de la littérature Ibn Haldun faisait également preuve de criticisme et énonçait des jugements très justes. Il dit au commencement (3) : « Il y a quatre piliers de la langue arabe : la lexicographie, la grammaire, l'éloquence (la manière de s'exprimer clairement) et la littérature (4) ». Tout de suite après il souligne qu'ils sont étroitement liés avec les sciences religieuses : « Leur connaissance est indispensable à ceux qui s'occupent des sciences religieuses, car le Coran et la Sunna, écrits dans la langue des Arabes, sont la source

(1) Une telle bibliographie jointe au volume III de la traduction anglaise de la *Mukaddima* faite par F. Rosenthal (New-York), préparée par W.J. Fischel comprend plus de 350 positions, et les études sur Ibn Khaldoun ne cessent de se multiplier.

(2) J. Bielawski, *Ibn Khaldoun, historyk, filozof i socjolog arabski z XIV w.*, « Przegląd Orientalistyczny » N. 2/22, 1967. J. Bielawski, *Tworca socjologii w swiecie islamu Ibn Khaldoun i jego poglady na kultura i spoleczenstwo*, « Kultura i spoleczenstwo », T. III, z. 2, (1959), Varsovie.

(3) Toutes les citations qui suivent se basent sur l'édition critique de la *Mukaddima*, préparée par 'Abd al-Wahid Wafi : *Mukaddima Ibn Khaldoun...* 4^e partie (pp. 1152-1352), Le Caire 1962.

(4) Op. cit., p. 1254.

Aspect Sociologique des opinions d'Ibn Khaldoun sur «les sciences de la langue arabe»

Josef Bielawski (Varsovie)

سبق ان اتمقد بمدينة رافيلو Ravello الإيطالية عام 1966 مؤتمر
للدراستات العربية والإسلامية . وقد صدرت الآن بعض الأبحاث التي قدمت
لهذا المؤتمر من جملتها بحثان لكل من الأستاذ يوسف بيلانفسكي
Josef Bielawski والأستاذة سفيتلانا باتسييفا Svetlana Batsieva
وقد تفضلا فاتحفانا بهذين البحثين القيمين حول شخصية عالية ما زالت
انظارها الإنسانية الأصيلة تثير اهتمام اقناب الفكر في العالم الحديث وهذه
الشخصية هي ابن خلدون . وكان الفرض من هذه الدراسة هي تعريف
القريبين بالبادرات الرائعة التي طوق بها ابن خلدون جيد الإنسانية في
مختلف المجالات الحضارية وخاصة في الحقل الاجتماعي وعلوم لغة الضاد
ونحن ننشر هاتين الدراستين ممنونين للأستاذين الكريمين بتفضلهما
المشكور :

Inutile de présenter Ibn Haldun historien, philosophe et sociologue, homme d'Etat arabe du XIV^e siècle, une des dernières lumières de la science arabe de l'époque révolue. L'originalité et la richesse des pensées contenues dans sa célèbre *Mukaddima* ou *Prolégomènes* à l'histoire universelle, continue (depuis le XIX^e siècle) à éveiller l'intérêt et l'admiration, incite à la réflexion. Nous y trouvons des opinions sur l'histoire et la société, sur l'Etat et le droit, sur la religion et la science ; nous y trouvons, ce qui est très important, un essai de définition des lois économiques et sociologiques qui régissent la société et l'Etat, et qui ne furent définies par la science européenne qu'au XIX^e et XX^e siècles. Ibn Haldun dit lui-même qu'il crée une « science nouvelle », la science sur la société et la culture humaines '*ilm al-igtima*' '*ilm al-'umran*, et c'est à juste titre qu'il est appelé le créateur de la sociologie dans le monde arabe.

Ses opinions sur la société, l'Etat et la culture, Ibn Haldun les basait non sur des idées préconçues ou des théories religieuses et philosophiques adoptées d'avance, comme faisaient ses prédé-

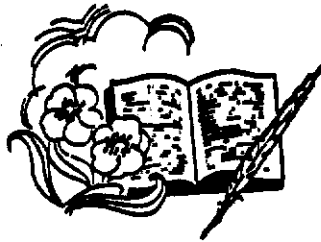
cesseurs (par exemple al-Farabi) mais sur une élaboration critique du matériel fourni par les autres auteurs et sur sa propre expérience.

Né à Tunis en 1332, ce servant et homme d'Etat brilla d'un vil éclat au firmament de la science et de la culture arabes à la veille du long assoupissement politique et culturel des Arabes. Il n'eut pas d'imitateurs ni de continuateurs dans ses idées originales pour l'époque. Ce n'est que lorsque les Arabes se réveillèrent à une vie nouvelle au XIX^e siècle et revinrent à leur glorieux passé qu'ils se rappelèrent le grand nom d'Ibn Haldun. Son œuvre immortelle, la *Mukaddima*, fut commentée à al-Azhar par le grand réformateur égyptien Muhammad 'Abduh, et ensuite de nombreux savants arabes se penchèrent sur la pensée sociale et politique d'Ibn Haldun. Aujourd'hui le monde arabe tout entier s'en honore, souligne son originalité et le célèbre comme le créateur de la sociologie si appréciée de nos jours.

L'Europe a connu l'œuvre d'Ibn Haldun grâce à la traduction française de la *Mukaddima* faite

dont les intérêts étaient représentés, ou peu s'en faut, à cette époque-là, par ce groupement. Le principal document moral de ce groupement fut l'œuvre d'Ibn Khaldoun, qui appartenait lui aussi au sommet politique et culturel de la société : aux Andalous. Dans la doctrine d'Ibn Khaldoun nous retrouvons les idées, les plus progressistes, devant leur siècle, les idées issues du développement et de la lutte des forces progressistes du pays contre celles de la réaction.

L'homme, ayant un esprit synthétique pénétrant et une observation fine, l'homme d'Etat enclin aux généralisations théoriques, l'éruudit au vif sentiment d'actualité, Ibn Khaldoun, mit tout son savoir et toute son expérience du labeur politique et scientifique du Maghreb dans ce remarquable traité historico-philosophique, inégalé à la science du Moyen-Âge, qui est la « Muqaddimah ».



propriétés foncières et agricoles. Cette aristocratie continuait à mener les affaires du gouvernement même au temps des Hafsides (1228-1574), qui eux-mêmes étaient sortis de ce milieu. En même temps, au début du XIII^e siècle, une autre partie de la classe féodale commença à avoir de l'importance (les membres de cette classe habitaient les villes et occupaient divers emplois administratifs et militaires) trouvant l'appui dans les couches les plus larges de la population marchande et artisanale urbaine, qui, outre des capitaux assez considérables, possédaient aussi des forces armées, avec lesquelles on fut obligé de régler les comptes.

Les Andalous et les Maures de l'Espagne échappés à la reconquête jouaient un rôle important dans le patriarcat des villes maghrébines.

Héritiers de la civilisation la plus avancée et la plus progressiste de cette époque, la civilisation hispano-mauresque, les Andalous, pendant de longues années conservaient leur supériorité culturelle et professionnelle par rapport à la population locale ; grâce à cela ils occupaient des positions de commande dans les corporations artisanales et commerciales et fournissaient à la société maghrébine ses meilleurs cadres scientifiques et littéraires. Ibn Khaldoun descendait d'une famille noble andalouse. Cette aristocratie andalouse n'avait pas de relations avec les peuplades locales qui ne possédaient pas de grandes propriétés terriennes. Son bien-être dépendait du service administratif et des revenus du commerce. Pour cette raison les Andalous étaient partisans du fort pouvoir centralisé, du commerce florissant et restaient les adversaires des cheikhs almohades, qui nourrissaient des tendances séparatistes et s'acharnaient pour le contrôle complet sur les affaires d'Etat. Les Andalous constituaient un noyau dirigeant et maître du patriarcat maghrébin et les représentants les plus distingués de l'aristocratie qui cherchait à mettre aux bas-fonds de l'arène politique la noblesse militaire des tribus. La lutte entre les Andalous et les cheikhs almohades pour le rôle dominant dans les affaires de l'Etat marquait du fil rouge toute l'histoire de l'Irîqiya des XIII^e-XIV^e siècles. Le développement de l'importance politique des villes côtières de l'Irîqiya et du Maghreb central et l'accroissement du pouvoir d'organes municipaux, où le rôle dominant revenait au patriarcat, étaient intimement liés à cette lutte.

Dans les conditions de la société maghrébine du XIV^e siècle le patriarcat se révélait comme le groupe le plus avancé et le plus progressiste de la classe dirigeante. Les exigences du patriarcat dans le domaine de la politique économique et administrative étaient limitées aux mesures offrant les meilleures possibilités au développement du com-

merce aux cadres de l'économie féodale et de petite production. Ce sont justement ces exigences qui formulèrent le programme politique d'Ibn Khaldoun. Ce programme fut une sublime expression de la pensée politique du patriarcat. Toutefois ce serait une simplification grossière que de croire la théorie et le programme d'Ibn Khaldoun causés par de bas intérêts matériels du patriarcat. Dans les conditions de la lutte sociale acharnée du Maghreb d'alors la course politique du patriarcat coïncidait avec le développement progressif du pays et avec l'intérêt commun de la plus grande partie du peuple agricole et citadin. Epousant la cause du patriarcat, Ibn Khaldoun se révélait le champion du progrès et le défenseur des intérêts des grandes masses de la population du pays. Ce qui explique les tendances humanistes et démocratiques de sa théorie.

Ibn Khaldoun vécut au temps de l'aiguïsement de la lutte sociale à l'intérieur de la société féodale du Maghreb. La classe dirigeante féodale se partagea en deux sections antagonistes, englobant dans leurs programmes les deux directions possibles du développement économique, social et politique du pays. Le groupement dominant, la noblesse politico-militaire, possédait de vastes propriétés terriennes dans les diverses régions du pays et était attachée par des liens patriarcaux et féodaux aux tribus et s'appuyait sur sa force armée. Son programme économique était l'exploitation exagérée des ruraux et des citadins, qui risquait de devenir un pillage ouvert, non seulement pour satisfaire ses besoins croissants mais également pour scouder la masse de ses compatriotes des tribus, qui subissaient l'exploitation considérablement adoucie par des rapports patriarcaux au sein des tribus. Le programme social de ce groupement se fondait sur l'opposition des tribus nomades et l'appui de ce groupement à la population rurale et urbaine du pays. Le programme politique est basé sur le séparatisme féodal et la conservation du pouvoir despotique du sultan, qui dépendait de ce groupement, vis-à-vis des masses populaires de la société. Le programme culturel consistait dans le soutien de la partie la plus réactionnaire du clergé musulman, qui poursuivait et anéantissait toute tendance de liberté spirituelle et d'hétérodoxie.

Cette politique avait comme conséquence la désolation rapide du pays, l'appauvrissement catastrophique des masses populaires et la diminution et la stagnation des activités économiques, politiques et culturelles, qui s'accusaient davantage à cause de la domination coloniale.

À l'aristocratie militaire des tribus s'opposait le groupement «patriotique» soutenu par les importantes masses des artisans et des commerçants,

annuelle de tous les centres industriels de la France. Une énorme demande de matières premières surgit en Italie. La laine des brebis italiennes, à cause de sa mauvaise qualité, n'était pas employée dans l'industrie, dont la matière première principale était la laine d'importation. L'import de la laine constituait la plus grande partie de l'importation des villes italiennes. La demande de la laine de meilleure qualité ne fit qu'augmenter continuellement durant le XIV^e siècle. Parallèlement à l'Angleterre, le plus grand fournisseur de la matière première dans la branche principale de l'industrie débutante capitaliste devint l'Ifrīqiya où l'on élevait les moutons donnant une des meilleures qualités de laine : la garbo.

La laine garbo, son marché et sa signification dans l'industrie de Florence font l'objet de grandes discussions dans la littérature spéciale. Sur les indications directes des chroniques italiennes du Moyen-Age et des documents du commerce on a généralement admis et reconnu qu'aux XIII^e-XIV^e siècles le terme géographique Garbo désignait les pays du Maghreb, exception faite, probablement, du Maroc. Au XIII^e siècle, par exemple, Brunetto Latini remarque que la terre que les Ecritures Saintes nomment l'Afrique (c'est-à-dire le territoire de l'« Africa proconsularis » des Romains, l'Ifrīqiya) « on le dit en vulgair parieur de Garb ». Quelques doutes, généralement, ont été soulevés par l'obligation de considérer comme garbo la laine provenant seulement de l'Ifrīqiya et non de tous les pays berbères. Mais d'après un arrêt de l'« Arte della Lana » de Florence de l'an 1338 on avait autorisé à employer pour le tissage la laine de provenance du Garbo, de l'Angleterre et de Bône, tandis que la laine du Maroc et du Portugal était reconnue d'une qualité inférieure. Cet arrêt montre assez clairement que le fournisseur de laine de meilleure qualité garbo fut l'Ifrīqiya. Cela est confirmé par le manuel Pegalotti, qui indique la haute qualité de la laine de Tunis en la nommant « boldroni » : la toison.

L'exportation de laine garbo de l'Ifrīqiya en Europe, au XIV^e siècle appartenait aux maisons de commerce florentines Bardi, Acciaiuoli, Peruzzi, qui avaient leurs comptoirs et leurs entrepôts à Tunis.

La laine était importante mais elle n'était pas l'unique objet d'exportation maghrébine. La Berbérie était un grand fournisseur de cuir pour l'Italie, la Catalogne et la Provence. La seule ville de Naples importait annuellement 8.000 peaux du Maghreb. Tunis, Bougie et Bône exportaient également des cuirs traités. L'huile d'olive de bonne qualité de l'Ifrīqiya était exportée non seulement en Europe mais aussi en Egypte et en Arabie. En

Italie et en France on exportait du coton, du lin, de la soie, du sucre et de la cire. Monopolisé par Venise, le commerce du sel et de l'alun, nécessaire au traitement de la laine, était de même très important. Les marchands maghrébins récoltaient du commerce transsaharien avec l'Afrique Noire des bénéfices énormes. Le flot d'export de l'Afrique du Nord était si puissant que vers la fin du XIII^e siècle il arriva jusqu'en Flandre. Dans un état de la douane de ce temps entre les marchandises importées « à Brugge et en Flandre » figurent les peaux de bétail et de moutons, la cire, le sucre du Maroc, les dattes et l'alun de Sidjil-massa, les peaux de bétail et de moutons, la cire, l'alun de Tunis et de Bougie. Toutefois le principal importateur des produits du Maghreb, et en premier lieu, de la laine, étaient les villes italiennes.

Tout en restant un exportateur important des produits agricoles, le Maghreb était un marché non négligeable pour les diverses marchandises européennes. Il est à remarquer que parallèlement à l'importation de tissus, d'objets métalliques, d'armes et d'articles de luxe, le Maghreb importait aussi des matières premières et demi-fabriquées pour son industrie : du fer, du cuivre, du plomb, du bois de construction, du vernis, des peintures et, pendant les années de mauvaises récoltes, des grains. Au XIV^e siècle, les pays du Maghreb occupaient une place importante dans le commerce méditerranéen et dans le système de la division du travail qui se forma autour du marché méditerranéen.

Les grands avantages qu'offrait l'exportation des produits agricoles stimulaient l'agrandissement de l'exploitation de la paysannerie maghrébine par des seigneurs féodaux, qui étaient insatiablement assoiffés du produit plus value, ce qui arrive habituellement quand les pays féodaux s'engagent au commerce développé, international. La forme la plus usuelle de l'exploitation agricole fut la location de terrain en ferme où le champart allait à trois-quarts ou, dans les cas les plus pénibles, à quatre-cinquièmes de la récolte. Dans la région du Tell au XIV^e siècle fut largement répandue une forme d'engagement de gardiens de troupeaux, qui, en effet, rendait les pâtres pratiquement les serfs des employeurs. La position de divers groupes sociaux au sein de la société féodale du Maghreb, et en premier lieu dans les couches intermédiaires de la classe féodale, fut largement modifiée. Les modifications les plus accomplies eurent lieu à l'Ifrīqiya.

La place dirigeante à l'intérieur de la classe féodale de l'Ifrīqiya fut occupée par « l'aristocratie de naissance » ; les cheikhs almohades réunis disposaient de contingents militaires importants dans les tribus et possédaient de considérables

mentale de l'existence de cette société serait le droit de la propriété privée des producteurs sur les moyens de production et les produits du travail. Toute la doctrine d'Ibn Khaldoun de l'Etat et du gouvernement, ses programmes politiques et économiques, sont fondés sur une conception claire de cette conjoncture. La raison d'être de tout pouvoir et de toutes ses fonctions, Ibn Khaldoun la réduit, au fond, à la défense de la propriété privée : « Quand les hommes se réunissent, la nécessité les mène aux rapports économiques et par cela à la satisfaction de leurs besoins. Et chacun tend ses bras pour saisir ce dont il a besoin. L'autre le chasse selon ses forces humaines... Pour cette raison l'existence des hommes est impossible sans un gouvernement qui défendrait les uns des autres ». Et dans un autre endroit : « Il faut considérer comme une méchanceté du caractère humain la disposition aux violences et l'hostilité des uns envers les autres. Et celui qui vise avec son oeil la propriété de son frère, eût tendu déjà son bras pour la saisir, s'il n'était pas retenu de cela par le souverain ».

D'accord avec les principes fondamentaux de sa doctrine, Ibn Khaldoun demande au gouvernement politique : (1) suppression de l'abus d'autorité en ce qui concerne la personne et la propriété des sujets ; protection de la vie et de la propriété des sujets ; (2) imposition raisonnable de la population taillable ; libération du commerce des contributions ; (3) suppression des monopoles statiques dans le commerce et l'industrie ; complète libération du commerce et de l'industrie ; (4) défense aux grands seigneurs d'accaparer des propriétés terriennes, à qui cette possession donnerait un pouvoir politique excessif ; liquidation des tendances séparatistes et de l'émiettement du pays ; (5) libération des esclaves ; (6) acceptation d'une politique de la paix envers ses voisins. Telles sont les thèses principales de la doctrine d'Ibn Khaldoun.

Le caractère matérialiste de la doctrine sociale d'Ibn Khaldoun et l'humanisme de son programme politique obligent à chercher plus attentivement les raisons de la position sociale de son auteur, ce qui serait impossible sans une analyse approfondie de la situation historique du Maghreb du XIV^e siècle.

Le fait le plus significatif de l'histoire du Maghreb au XIV^e siècle était le développement rapide des villes côtières accompagné de l'agrandissement de leur importance politique. Dans les villes, la production des industries textile, métallurgique, meunière, céramique, aussi bien que des cuirs, de l'huile et de quelques métiers était rapidement augmentée. La liste des marchandises exportées du Maghreb montre que seule une

partie de sa production industrielle était destinée à l'export et que la partie principale allait au marché nord-africain. La croissance des métiers de la ville montrait un développement rapide des relations commerciales au Maghreb et du caractère mercantile de production de l'économie dominante féodale.

La cause principale du développement rapide de l'économie commerciale du Maghreb était l'élan économique des pays méditerranéens aux XIII^e-XIV^e siècles, qui ouvrait de grandes possibilités pour la vente des produits agricoles. Ce temps-là fut l'aube d'une nouvelle ère : au sein de la société féodale commença à se former une nouvelle base économique. Le régime capitaliste, surgi au XIV^e siècle dans quelques centres de commerce et d'industrie en Italie, se révéla d'une vigueur nouvelle, qui a eu une grande influence sur la vie sociale non seulement de l'Italie, mais aussi de plusieurs pays méditerranéens. La raison de cette influence fut l'essor des manufactures en Italie, dont les précurseurs historiques étaient les rapports et le commerce avec l'étranger. Le commerce étranger des villes italiennes atteignit au XIV^e siècle des dimensions tout à fait énormes pour cette époque-là, ayant fort dépassé le niveau d'affaires du XIII^e siècle. A côté des villes côtières de la Catalogne et de la Provence, Constantinople, Alexandrie et d'autres villes, créèrent à la mer méditerranéenne un débouché étendu, qui conditionna l'énorme essor économique et fut la condition favorable pour l'élévation des manufactures capitalistes en Italie. Le marché méditerranéen du XIV^e siècle peut justement être considéré comme un marché international de l'époque de l'accumulation initiale du capital.

Les pays du Maghreb, et particulièrement l'Itriyia avec ses grandes villes côtières Tunis et Bougie, se trouvent englobés dans le système du marché méditerranéen. Leurs opérations commerciales sporadiques des X^e-XIII^e siècles furent remplacées vers la fin du XIV^e siècle par un commerce régulier, appuyé sur des contrats de longue durée avec presque tous les grands centres commerciaux de l'Italie, de la Catalogne et de la Provence. Le contenu du commerce berbéro-européen subit des changements qualitatifs et cela eut une grande influence sur la vie sociale du Maghreb. Cette influence est intimement liée au développement des manufactures capitalistes dans le tissage de laine de l'Italie et premièrement de Florence.

Au XIV^e siècle le tissage de laine à Florence atteignit un niveau jusqu'alors tout à fait inconnu — sa production annuelle fut 20-30 fois supérieure à celle des autres grands centres de l'industrie de la laine et surpassait la production

quement pour s'entraider en cherchant les moyens de vie ». La divergence par les modes d'existence d'après Ibn Khaldoun signifie premièrement une différence d'activité économique et il trouve que la vie sociale consiste en deux aspects généraux : la vie rurale et la vie urbaine.

Ibn Khaldoun partage les ruraux en agriculteurs sédentaires et pasteurs-nomades, sans toutefois rendre cette division absolue. Ces deux groupes ont en commun le fait qu'ils sont capables de se procurer des moyens d'existence « seulement en quantité suffisante pour soutenir la vie et pour créer ce qui est nécessaire pour la vie sans dépasser les limites. Par contre, les urbains « dont une partie s'occupe des arts et métiers, l'autre du commerce, grâce à la grande quantité de force ouvrière en villes et de la division du travail bien développée, produisent non seulement le nécessaire, mais aussi des produits excédentaires leur permettant de mener une vie à l'abri du besoin et en abondance. Tous les deux groupes sont liés génériquement. « La première chose que l'homme désire, est ce qui est nécessaire à sa vie. Il parvient à avoir le parfait et l'abondant seulement après que le nécessaire a été obtenu. De même la vie rustique rurale précède la vie urbaine. C'est pourquoi nous voyons que la vie urbaine est le but désiré du rural, qui cherche à l'atteindre. Les modes de la vie sociale urbaine sont secondaires par rapport à la campagne et cette dernière est la racine de la première ».

Si différentes qu'elles fussent les sociétés rurale et urbaine, Ibn Khaldoun souligne toujours leurs liens historiques certains. Le rapport entre la vie rurale et la vie urbaine, c'est le rapport de la basse et de la haute phase du développement social. La phase inférieure, c'est la phase de l'activité primitive et peu différenciée et du niveau de vie peu élevée. La phase supérieure dérive de la concentration dans un endroit même d'une grande quantité de force productrice, de l'attroupement des ruraux dans les villes, du changement de l'activité économique à la suite du développement du travail et de sa plus grande complexité.

Le progrès social est dû principalement à la conglomération des gens dans les villes, à la concentration de la force ouvrière et au développement du travail et à sa spécialisation croissante. Seules la division et la concentration du travail peuvent créer une production surabondante, condition primordiale du progrès matériel. « Si les habitants d'une ville ou d'une région partageaient toutes leurs œuvres conformément à leurs besoins impérieux, une petite quantité de travail leur donnerait satisfaction. L'œuvre

restante serait une surabondance par rapport à l'œuvre employée pour satisfaire les nécessités et serait disposée pour satisfaire les besoins d'abondance et ceux qui sont recherchés par les habitants d'autres villes, qui les reçoivent par voie d'échange équitable ou en payant un prix. Par ce moyen ils accumulent une certaine richesse ».

La division du travail dans une société suppose l'existence d'une forme quelconque d'échange du travail entre les membres de cette société. Du moment que dans la société où vivait Ibn Khaldoun, les simples relations commerciales étaient prépondérantes, il ne voyait d'autre moyen pour les relations productives entre les hommes que l'échange des marchandises.

L'échange équitable est fondé sur l'égalité de valeurs des produits échangeables. Pendant plusieurs siècles l'esprit humain s'évertuait à élucider cette substance mystérieuse déterminant l'équivalence de l'échange. Aristote alla plus loin que les autres dans ces recherches. Remarquant que tout produit sert à la consommation aussi bien qu'à l'échange, Aristote pensait que l'échange serait un emploi « peu naturel » de se servir d'une chose. « L'échange, dit-il, ne peut avoir lieu sans égalité... et l'égalité sans commensurabilité... Toutefois en réalité il serait impossible que les objets différents fussent commensurables ». Parvenu à la notion de valeur, Aristote arrête son analyse. Il ne se rendait pas compte que les objets, tout divers qu'ils sont, contiennent une substance commune : le travail humain. L'achoppement qui avait arrêté Aristote, borné dans les limites historiques de la société antique, a été surmonté par Ibn Khaldoun dans de nouvelles conditions historiques. Dans la progression de la pensée historique de l'humanité, Ibn Khaldoun fut le premier qui avança la thèse que le travail crée la valeur : « Sache que tout ce que l'homme use ou acquiert en guise de propriété... serait équivalent du travail consommé. Cette propriété est l'objet de conservation, mais le travail contenu en cette propriété ne peut être par lui-même le but de conservation. Il y a de certains métiers qui englobent en soi d'autres métiers, par exemple, le métier de charpentier est lié à la préparation du bois, la tissanderie à la filature et par ce fait il y a davantage de travail dans ces deux métiers et leur valeur sera, en conséquence, plus élevée. Par ce fait il est clair que tout ou la plus grande partie, de ce que l'homme acquiert et de quoi il tire le profit, serait équivalent à la valeur du travail humain ».

Telle serait l'entité de la société analysée par Ibn Khaldoun : une société fondée sur la production des marchandises commerciables par plusieurs menus producteurs. Une condition fonda-

Ibn Khaldoun

et son milieu social

Svetlana Batsleva (Leningrad)

Le problème des conceptions sociales, sur lesquelles se fonde l'œuvre principale d'Ibn Khaldoun — Muqaddimah —, n'est pas encore résolu, n'étant pas même bien posé dans la littérature consacrée à ce grand penseur arabe.

Il faut se rendre compte que l'on ne saurait comprendre le fond d'une doctrine de société, ni son caractère historique et sa portée, sa place dans l'histoire de la science sans la découverte de ses racines sociales.

Ibn Khaldoun a consacré son œuvre à l'étude des lois régissant la vie d'une société humaine. Il a écrit de sa doctrine : « Cela, c'est une science indépendante puisqu'elle a un objet social : la vie sociale et la société humaine. C'est une science nouvelle, surgie indépendamment et je ne connais pas de mots à ce sujet chez un seul autre homme ». Délimitant les relations de cette « nouvelle science » à l'histoire, Ibn Khaldoun remarque que l'histoire a deux aspects : l'un extérieur, l'autre intérieur. Et si les historiens précédents s'occupaient uniquement des descriptions des faits, la « nouvelle science » aurait comme but l'étude des liens internes des causes et effets de la vie historique de la société. « Une telle histoire forme une branche importante de la philosophie et mérite bien d'être comptée parmi ses sciences ».

L'objet de la « nouvelle science » serait 'umran — la vie sociale humaine. « La réunion des hommes dans la société est un fait indiscutable ; et cela serait le sens de 'umran ». Le terme 'umran est habituellement traduit comme « civilisation », « culture ». Toutefois dans la conception d'Ibn Khaldoun 'umran n'est pas un produit ou un résultat, mais le procédé même de la vie de société. La vie sociale est vue par Ibn Khaldoun principalement comme l'activité publique commune des hommes, dépendant de leurs besoins matériels. Tous les autres aspects de la vie sociale : la politique, la science, la culture forment aussi le contenu de 'umran, mais ne déterminent pas son sens.

Parmi les arguments en faveur de la nécessité de la réunion des hommes dans la société, Ibn Khaldoun évoque les paroles d'Aristote : « L'homme par sa nature est un citoyen ». Mais la conception qu'il développe par la suite se distingue nettement de la doctrine politique des auteurs anciens et de leurs successeurs. Si, d'après Aristote, l'homme est né comme un être politique et ses actions et ses désirs sont déterminés par sa conscience du bien-être général et sa poursuite du plaisir, Ibn Khaldoun, de son côté, lie l'existence sociale de l'homme non pas à sa nature spirituelle et à ses impulsions instinctives, mais à la nécessité naturelle d'avoir la nourriture et les moyens d'existence. « La vie et l'existence même de l'homme ne sont pas possibles sans la nourriture... mais la force d'un seul homme est trop petite pour lui procurer la nourriture nécessaire à lui... Il faut une réunion des forces de plusieurs semblables pour procurer la nourriture pour lui et pour eux ». Tenant compte de la différence des positions sociales et du contenu des conceptions d'Aristote et d'Ibn Khaldoun, on ne saurait identifier les idées de ces deux penseurs.

L'homme ne peut se procurer des moyens d'existence qu'en employant au travail ses forces et ses facultés, dit Ibn Khaldoun. L'entraide des hommes lorsqu'elle se concrétise trouve son expression en division du travail. Cette division du travail est provoquée par la nécessité d'avoir divers outils, employés aux ouvrages. « Chaque action requiert des outils que l'on ne pourrait fabriquer sans recours aux divers métiers ». Par conséquent, l'entité de société est l'œuvre commune de ses membres pour secourir des moyens d'existence en partageant le travail entre les hommes.

Ibn Khaldoun pense que l'activité économique est le principal déterminant de la vie d'une société. « Sache que la divergence des peuples par leur mode d'existence dépend seulement des diverses façons de se procurer des moyens d'existence. L'union d'hommes en peuplades se fait uni-

casien de lire un discours officiel prononcé par une haute autorité maltaise ; on n'aurait éprouvé aucune difficulté à le comprendre, d'autant plus que le patois maltais s'apparente aux dialectes arabes de l'Afrique du Nord. En Sicile on a découvert une épitaphe chrétienne rédigée en arabe et datée de l'ère hégirienne, soixante ans après la fin de la domination arabe. La langue hellénique elle-même fit de larges emprunts à l'arabe ; mais les termes hellénisés sont devenus méconnaissables. Certaines des grandes universités occidentales se sont préoccupées, très tôt, de la diffusion de l'arabe devenu langue internationale de civilisation.

Déjà en 1207 après J.-C. on signalait à Gênes, un Institut pour l'enseignement de l'arabe. Plus tard, le Concile oecuménique de Vienne organisa cet enseignement en Europe, par la création de chaires dans chacune des principales universités d'Occident. Mais ce sera surtout au XVII^e siècle que l'Europe du Nord et de l'Est s'engagea résolument dans l'étude et la propagation de la langue arabe ; ce n'est qu'en 1636 que le gouvernement suédois décréta l'enseignement de l'arabe ; on s'élança, dès lors, en Suède, dans l'édition des ouvrages de l'Islam. L'étude des langues orientales, dont l'arabe, fit son apparition en Russie, sous Pierre le Grand qui de Moscou, dépêcha en Orient cinq étudiants russes. En 1769, la reine Catherine en rendit l'enseignement obligatoire ; en 1815, une section des langues sémitiques s'éleva dans l'Université de Pétersbourg.

L'emprunt direct à l'arabe a marqué d'abord le domaine scientifique. Un grand nombre de termes employés en chimie et ailleurs sont d'origine arabe, tels l'alcool, l'alambic, l'élixir, l'algèbre, l'algorithme, etc... En botanique, « la majorité des noms de fleurs cultivées, dit M. Lévi-Provençal, témoigne encore, en espagnol, d'un emprunt direct à l'arabe qui les avait lui-même empruntés au persan. Même plusieurs de ces noms, par delà les Pyrénées, sont passés dans le vocabulaire français, tels : l'abricot, l'azérole, le jasmin, le coton, le safran, etc... » (« Civilisation arabe en Espagne »). Le même auteur signale dans un autre ouvrage : « L'Espagne musulmane au X^e siècle » que « la terminologie de l'irrigation est presque toute entière arabe ».

Plusieurs bijoux portent encore en Espagne des noms arabes. La technique savante de l'art architectural musulman devait fortement imprégner le vocabulaire espagnol de la construction. Bref, la langue espagnole, ainsi que celles de certains pays d'Amérique latine, reflètent, assez cette influence culturelle, économique et sociale, exercée en Méditerranée et outre-Atlantique, par notre civilisation.

Un grand savant italien a fait remarquer que la plupart des termes arabes qui firent irruption, en nombre incalculable, dans la langue romaine, ne furent nullement véhiculés, par un expansionnisme colonial, mais plutôt à travers le rayonnement intellectuel de l'Islam.

Le vocabulaire spécial à la chrétienté fut marqué d'une profonde empreinte arabe. Le baron Carra De Vaux, catholique fervent, n'a-t-il pas reconnu que « l'Islam a donné au christianisme un mode de philosopher, fruit du génie naturel de ses enfants », et que « ses philosophes ont préparé le langage scolastique qui, usité par le christianisme, lui a permis d'achever son dogme et d'en parfaire l'expression » ? (« Penseurs de l'Islam »). Le fait paraît naturel, étant donné la « part du péripatétisme musulman dans la formation de la scolastique médiévale, le rôle qu'y ont joué un Avicenne ou un Averroès, l'influence qu'ils ont exercée sur les plus illustres penseurs de la chrétienté » (G. Rivoire).

Des intellectuels musulmans ont, d'autre part, contribué effectivement à la diffusion de la langue arabe, par l'élaboration de dictionnaires gréco-arabes, latino-arabes et hispano-arabes, dont l'Escurial conserve encore des exemplaires inédits.

Ce même rôle que les Arabes ont joué au Moyen-Âge, ils l'avaient déjà joué dans l'Antiquité. Reprenant le titre de l'ouvrage de Renan, Israël Wolfenson (« Histoire des langues sémitiques », Le Caire, 1926) incite les Orientaux de langue arabe à étudier la linguistique et la philologie sémitiques, pour se convaincre de la grandeur de leurs ancêtres et du rôle que ceux-ci ont joué dans la civilisation ancienne du monde. Il a insinué qu'en dénigrant l'arabisme et son rayonnement, les orientalistes n'ont eu que « des buts religieux et colonialistes ».

Le professeur Massignon a exprimé une idée similaire, en déclarant à l'intention de ceux qui s'ingénient à minimiser la portée du véhicule de la pensée arabe, que « c'est en arabe et à travers l'arabe, dans la civilisation occidentale, que la méthode scientifique a démarré ». La valeur du vocabulaire dialectique, psychologique et mystique, « put rajeunir, ajoute-t-il, la pensée occidentale, comme « Les Mille et une Nuits », de Galland, ont rafraîchi la mentalité du XVII^e siècle, saturée des fables millésiennes de la Grèce et de Rome ».

Louis Massignon affirme ailleurs que « la religion et la culture impriment partout un « cachet arabe » et la langue arabe demeure la langue liturgique de l'Islam ».

« L'arabe, dit-il encore, est un pur et désintéressé instrument linguistique de transmission internationale des découvertes de la pensée. La survie internationale de la langue arabe est un élément essentiel de la paix future entre les nations ».

Jeunes chrétiens qui se sont remarquer par leur talent ne connaissent que la langue et la littérature arabes ; ils lisent et étudient avec la plus grande ardeur des livres arabes ; ils s'en forment, à grands frais, d'immenses bibliothèques, et proclament partout que cette littérature est admirable... Quelle douleur ! Les chrétiens ont oublié jusqu'à leur langue religieuse, et sur mille d'entre nous, vous en trouverez, à peine, un seul qui sache écrire convenablement une lettre en latin à un ami ! Mais s'il s'agit d'écrire en arabe, vous trouverez une foule de personnes qui s'expriment convenablement dans cette langue avec la plus grande élégance et vous verrez qu'elles composent des poèmes préférables, sur le point de vue de l'art, à ceux des Arabes eux-mêmes ». M. Lévi-Provençal en a emprunté un extrait dans son ouvrage sur la civilisation arabe en Espagne, paru avant la dernière guerre.

Les nations conquises par l'Islam n'ont pu résister à la beauté de l'expression verbale des sentiments et de la pensée du peuple arabe, dont aucun plus que lui n'a porté « à un plus haut degré de virtuosité la magie de la parole et l'art de la versification ». Viardot, qui a esquisé, il y a déjà plus d'un siècle, un célèbre essai sur l'histoire des Arabes et des Maures d'Espagne, n'a pas manqué de constater la richesse inouïe de la langue des Arabes : « Le nombre de leurs poètes, affirme-t-il, est prodigieux ; tout homme adonné aux travaux de l'esprit, fût-il astronome, médecin, chimiste, joignait à son talent spécial le talent général de poète. Faire des vers était, pour eux, une occupation presque familière, et leurs entretiens mêmes étaient souvent mêlés d'improvisations que rendait possible l'extrême richesse d'une langue dont le dictionnaire (celui L'Al Firouzadady) ne comptait pas moins de soixante volumes, et portait pour titre l'Océan Quamous comme si ce mot eût pu, seul, exprimer l'immensité du sujet ». L'auteur de la « Poésie Andalouse », citant Al Qarwini, fit remarquer que la plupart des habitants de Silves étaient capables de composer des vers ; si l'on avait sollicité un paysan en train de labourer, « il aurait pu, dit Di Giacomo, improviser des vers sur un sujet quelconque ». Dozy va jusqu'à déclarer que tout le monde y était poète.

La langue arabe, déjà « si souple et si riche au temps des Mo'allakats », atteint au X^e siècle, en pleine période abbasside, l'apogée de sa perfection. Victor Bérard qualifie le parler arabe de ce temps comme « le plus riche, le plus simple, le plus fort, le plus délicat, le plus solide, le plus flexible, le plus chatoyant des parlers humains, trésor féerique où la verve des générations entassa les plus prodigieuses des collections de métaphores, de délicatesse, de politesse, d'arabesque

audacieuses, subtiles ou splendides ! ». Chose étrange et sans pareille, chez les autres peuples : les bédouins étaient les véritables détenteurs des trésors de la langue, « les maîtres innés de la prosodie arabe ». C'est d'eux que tout poète acquit l'incomparable richesse de son vocabulaire et sa virtuosité de versification. L'influence de l'arabe devenait d'autant plus marquée qu'une bonne partie de l'Europe méridionale le considérait « comme le seul véhicule des sciences et des lettres ». « Ses progrès furent tels que les autorités ecclésiastiques avaient dû faire traduire en arabe la collection des canons à l'usage des églises d'Espagne. Jean Seville se vit dans l'obligation de rédiger en arabe une exposition des Saintes Ecritures. En même temps, des livres de religion et de droit musulman étaient traduits en langue romaine » (G. Rivoire). En Andalousie, tous les contrats étaient rédigés en arabe ; on en a découvert près de deux mille textes. « Les esthètes andalous avaient, les premiers, déclaré abandonner volontiers toutes les pauvretés de la littérature latine, pour quelques vers arabes » (Max Vintejoux). De même en Sicile, où le roi normand était vêtu à l'orientale, son manteau d'apparat était brodé de lettres arabes ; le sceau et les monnaies portaient des inscriptions bilingues. Bref, « l'arabe était devenu, affirme celui qui a eu le mérite d'approfondir ce « Miracle Arabe », une langue internationale du commerce et de la science ».

Mais comment et quand l'arabe acquit cette prépondérance ? Il y eut, à notre sens, deux moyens essentiels, qui procèdent, tous deux, d'un même facteur : le rayonnement de la civilisation arabe. Les intellectuels ont profité de la richesse de l'arabe pour en imprégner leur vocabulaire scientifique ; mais auparavant les universités qui dans les sciences physiques, naturelles et médicales, ainsi que dans leurs controverses philosophiques, puisaient dans une bibliographie arabe si riche et si variée, en conservaient la terminologie ; surtout celle qui touchait aux sujets inconnus des Grecs. Entre temps, le « brassage » social n'a pas manqué d'influer profondément sur certains patois méditerranéens. L'influence de l'arabe sur certaines langues a atteint un degré tel que d'aucuns ont évalué à 25 % la contribution de la langue de Mahomet dans l'élaboration de l'espagnol, et à plus de 3.000 le nombre des mots arabes empruntés par le portugais. D'ailleurs la langue avec laquelle les Portugais du Maroc correspondaient en plein XVI^e siècle était un arabe corrompu de termes marocains qu'ils écrivaient en caractères arabes (« Histoire du Maroc », G. De Chabrevière, p. 273). D'autres dialectes, comme le maltais, empruntèrent à l'arabe la majorité de leur vocabulaire ; nous avons eu récemment l'oc-

L'arabe instrument de transmission internationale des découvertes

par Abdelaziz BENABDELLAH,
Directeur Général du B.P.A.
Professeur à l'Université

Au VII^e siècle, un grand mouvement intellectuel animait les Universités d'Orient ; cependant, ce ne fut ni le syriaque, ni le pehvi, ni la langue hellène qui allaient en profiter, « mais bien celle d'un peuple qui avait vécu jusque-là un peu en dehors des limites du monde civilisé, et que rien, précise Max Vintejoux, ne semblait appeler au rôle immense qu'il allait cependant jouer dans l'histoire de la civilisation : le peuple arabe ». Cette langue était en effet, depuis longtemps, une langue littéraire. Mais c'est aux avantages matériels et spirituels découlant de l'Islam, « plus qu'au décret oméiade rendant la langue arabe obligatoire dans les textes officiels, qu'il faut, constate l'auteur du « Miracle Arabe », attribuer la rapidité de la propagation dans l'empire de la langue de Mahomet ». Cette transformation profonde, succédant à une déhellénisation systématique, donna lieu, pendant tout le cours du VIII^e siècle, à la « plus grande confusion » dans les langues comme dans les religions du Proche-Orient.

Au contact des Arabes, des nations aussi antiques que celles de l'Egypte et de l'Inde « ont adopté leurs croyances, leurs coutumes, leurs mœurs ». Bien des peuples, depuis cette époque, ont dominé les régions occupées par les Arabes, « mais l'influence des disciples du Prophète est restée immuable, affirme G. Rivoire. Dans toutes les contrées de l'Afrique et de l'Asie, où ils ont pénétré, depuis le Maroc jusqu'à l'Inde, cette influence semble s'être implantée pour toujours. Des conquérants nouveaux sont venus remplacer les Arabes : aucun n'a pu détruire leur religion et leur langue ». « En Perse, l'arabe devint, reconnaît Vintejoux, la langue officielle adoptée par les poètes eux-mêmes », le pehvi continuait à être parlé « comme patois national dans la montagne ».

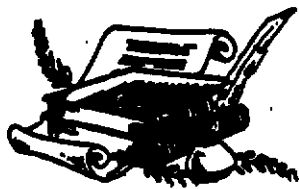
On verra comment la langue arabe continuera à prédominer dans les siècles suivants ; elle allait bientôt constituer l'élément essentiel de l'ourdou, langue culturelle des Hindous, où près de la moitié des termes est d'extraction arabe. Si certains poètes, comme Firdaousi, l'Homère iranien (qui apprit pourtant à fond la langue arabe), écrivirent dès la fin du X^e siècle en persan, c'est encore en arabe que seront écrits la plupart des ouvrages scientifiques, tels l'Encyclopédie Médicale de Rhazès et la majorité des ouvrages du célèbre Avicenne qui a mérité le surnom de « Prince de la science ». C'est que le vaincu est allé spontanément au vainqueur musulman et l'emprise de la langue arabe s'est révélée si puissante, qu'en Espagne même, les chrétiens ne sauront plus le latin (au IX^e siècle) et les textes des conciles mêmes devront être traduits en arabe.

Les meilleurs écrits de la langue grecque étaient déjà traduits en arabe, sous les auspices des premiers Khalifes abbassides. La passion avec laquelle les Arabes s'adonnèrent alors aux études littéraires « dépasse même celle qui se manifesta à l'Europe à l'époque de la Renaissance ». La langue arabe qui se plia, d'autre part, aux exigences d'une nomenclature nouvelle, « se propagea dans toutes les parties de l'Asie et détrôna définitivement les idiomes anciens » (« Visages de l'Islam ») : elle détrôna même le latin, surtout dans la presqu'île ibérique où le Cordouan Alvaro, un des plus actifs champions de la réaction anti-musulmane au IX^e siècle, déplorait l'ignorance du latin et s'écriait, dans un passage souvent cité de son *Indiculus Luminosus* : « Mes coreligionnaires aiment à lire les poèmes et les œuvres d'imagination des Arabes ; ils étudient les écrits des théologiens, non pour les réfuter, mais pour se former une diction correcte et élégante... Tous les

exceptions près, par exemple dans les comédies folkloriques ou dans certains dialogues de nouvelles ou de romans. Ainsi, existe-t-il dans les pays arabes « une dualité de langue » : d'une part, la langue officielle, nationale écrite et même, parfois parlée dans certains cas dans les Universités par exemple, pendant les réunions officielles et surtout à l'occasion des conférences inter-arabes, d'autre part, la langue dialectale, variant un peu selon les pays arabes, mais revêtant une forme élégante lorsqu'elle est parlée par l'élite cultivée. Cet intéressant contraste linguistique est constaté, par exemple dans les Universités. Dans la salle de conférences, le professeur parle obligatoirement la langue classique « arabiyya », mais quand il rencontre son collègue dans les couloirs, ils causent ensemble en langue dialectale.

A l'heure actuelle, la langue arabe écrite ou dialectale est utilisée par environ 100 millions d'Arabes. On manque de statistique précise à ce sujet, de même que l'on ignore le nombre exact d'éléments « arabisés » par les Arabes. La langue

arabe est une langue nationale et officielle dans 14 Etats indépendants, à savoir : Arabie Séoudite, République du Yémen, République du Yémen-Sud, Koweït, cheikats-émirats semi-indépendants tels que Bayrayn, Oman et autres, Syrie, Irak, Jordanie, Palestine arabe, Liban, R.A.U. Soudan arabe, Libye, Tunisie, Algérie, Maroc, Mauritanie, celle-ci n'ayant pas encore adhéré à la Ligue Arabe. La langue arabe est, en outre, très répandue dans certains pays non-arabes, tels que le Soudan Occidental Fr., Djibouti, Zanzibar. En tant que langue du « Coran » et de l'Islam elle est aussi bien connue dans quelques pays musulmans de l'Asie : Iran, Afghanistan, Pakistan et Indonésie. Langue de culte et de science, l'arabe a beaucoup influencé le vocabulaire d'autres langues telles que le persan, le turc et la langue ourdoue, auxquelles elle a donné son alphabet. La langue turque a cependant adopté l'alphabet latin à partir de l'année 1928. Il y a lieu de noter, enfin, que l'écriture arabe (caractères arabes) a joué un rôle important, comme élément d'ornementation, dans l'art arabo-musulman.



toires du Khalifat vers l'Est et vers l'Ouest, les Arabes y ont apporté non seulement la langue arabe dont la pratique fut généralisée, mais aussi leurs dialectes. Les Bédouins, vivant loin des villes, ont pu sauvegarder plus longtemps la pureté de leur langue. Par contre, les groupes d'Arabes qui se sont installés dans les villes, en vivant côte à côte avec la population autochtone, perdaient plus vite leurs dialectes maternels apportés de l'Arabie, et contribuaient au développement de nouveaux dialectes qui prenaient forme sous une forte influence des substrats linguistiques locaux. Ces dialectes arabes qui, avec le temps, se formaient dans diverses provinces du Khalifat, se distinguaient de plus en plus les uns des autres. Il en est résulté qu'ils sont devenus, à l'heure actuelle, des langues « nationales » de pays arabes particuliers.

La langue arabe a joué un grand rôle sur le double plan scientifique et culturel pendant tout le Moyen-Age, et tant que les Arabes ont maintenu une existence indépendante. Elle a perdu de son prestige à la suite de leur décadence politique et culturelle, notamment à partir du XV^e siècle. Mais ce n'était qu'une pause, un sommeil léthargique qui devait aboutir à une renaissance et à un renouveau au XIX^e et au XX^e siècles.

RENAISSANCE DE LA LANGUE ARABE AU XX^e SIECLE ET DIALECTES ARABES DANS LES PAYS ARABES CONTEMPORAINS

Après leur réveil à une vie nouvelle au XIX^e siècle, les Arabes devaient rattraper un grand retard culturel, il leur fallait, pour réaliser ce but, une langue bien développée, capable de répondre aux besoins scientifiques et culturels, conformément aux exigences de la civilisation européenne contemporaine avec laquelle ils prirent contact à la suite de la fameuse expédition de Napoléon. Une fois encore, la langue arabe fut en mesure de remplir la tâche difficile devant laquelle l'avait placée l'époque contemporaine. Et, de même qu'à l'époque de l'assimilation de la science et de la philosophie helléniques, au temps des Abbassides, la langue arabe des Bédouins transformée en langue scientifique et philosophique, de même pendant cette nouvelle période de renaissance du monde arabe, elle a évolué rapidement, en s'adaptant aux nouveaux besoins. Le problème essentiel et primordial demeurait dans l'enrichissement de la langue par la création d'une nouvelle terminologie scientifique. Tous les moyens et toutes les méthodes de développement du vocabulaire ont été mis en œuvre pour permettre, comme autrefois, aux IX^e et X^e siècles, l'épanouissement des sciences philoso-

phiques. C'est ainsi qu'on recourt à des changements systématiques des mots, à la création de néologismes suivant les règles morphologiques de la grammaire classique et enfin, à des emprunts. Les travaux linguistiques, entrepris individuellement au cours du XIX^e siècle ont fait place à des institutions scientifiques spéciales, bien organisées. Des Académies de langue arabe ont été créées, l'une après l'autre on ce XX^e siècle. La première vit le jour en 1919, à Damas, célèbre capitale des Omayyades. La deuxième Académie arabe, fut ensuite créée au Caire, en 1932 et, enfin une Académie des sciences fut institué à Bagdad, en Irak, en 1947. Dans toutes ces Académies des travaux intenses se poursuivent fiévreusement relativement à la langue arabe, à la littérature, à la culture, à l'édition des œuvres classiques arabes dont beaucoup sommeillent encore sous forme de manuscrits. Les travaux de ces Académies sont cependant concentrés particulièrement sur la langue et sur une évolution unifiée de sa terminologie. Des spécialistes éminents de tous les pays arabes y coopèrent. Toutes ces institutions font paraître de précieux « Bulletins » trimestriels ou semestriels, contenant des publications sur les résultats des travaux, des listes de termes nouvellement établis, ainsi que des études spéciales consacrées à l'arabe classique et aux dialectes.

La langue arabe a surmonté, d'ores et déjà, toutes sortes de difficultés; sans pour autant avoir été déformée par des éléments étrangers; elle a gardé toute son originalité et toute sa beauté. La langue « arabiyya » moderne est la langue classique elle-même, « renouvelée » et enrichie, suivant les règles élaborées dès le VIII^e siècle par Sibawayhi (décédé en 792) dans sa grammaire classique « Al-Kitab ». La langue arabe contemporaine a subi une certaine évolution ce qui est naturel: elle a été un peu modernisée au point de vue syntaxique, purifiée des archaïsmes et surtout enrichie dans son vocabulaire. Elle rivalise, à présent, courageusement avec les autres langues mondiales sur l'arène internationale. C'est ainsi, par exemple, qu'elle a pris sa place, comme langue officielle à l'U.N.E.S.C.O.

Outre cette langue nationale pan-arabe, il existe dans les pays arabes particuliers, des langues parlées ou dialectes régionaux, ayant leurs racines dans les anciens dialectes de l'Arabie et formant leur caractère linguistique individuel sous l'influence des substrats linguistiques: araméen, copte, berbère. Ils évoluent tout en subissant une certaine influence des langues européennes. Ces langues arabes régionales, étroitement liées à la langue arabe classique et renforcées par son vocabulaire, ne sont en usage ni dans l'administration, ni dans les œuvres littéraires, à quelques

LANGUE CLASSIQUE ARABIYYA ET DIALECTES ARABES

L'arabisation officielle des Etats formant le Khalifat eut lieu, comme nous l'avons signalé ci-dessus, au début du VIII^e siècle. Cela ne veut pas dire, cependant, que la langue arabe classique ait été adoptée immédiatement et d'une manière générale sur tout le territoire du Khalifat. Ce processus dura longtemps et dut être inégal dans les diverses régions, selon la différence des langues qui y étaient en usage.

Dans le Sud de la Péninsule Arabe, la langue arabe du Nord, c'est-à-dire l'arabiyya, a rapidement remplacé les dialectes arabes du Sud : sabéen, minéen et autres. De là, elle rayonna sur l'Est de l'Afrique et sur l'Éthiopie.

En s'étendant vers le Nord, la langue arabe devait, en peu de temps, dominer les régions de langue araméenne, puis éliminer celle-ci, bien qu'elle eût été enracinée depuis des siècles en Palestine, en Syrie et en Mésopotamie. Au cours de deux siècles, la langue araméenne a cédé, d'abord dans les villes et, un peu plus tard, dans la province. Parmi les dialectes araméens, seule la langue syrienne, en tant que celle de l'Église chrétienne de l'Est, s'est longtemps opposée à la langue arabe. Le clergé syrien utilisait cette langue non seulement à l'église, mais aussi dans la littérature, tandis que les séculiers parlaient dans leur vie quotidienne la langue arabe. Bientôt, cependant, le clergé, lui-même, adopta la langue arabe et, à partir du X^e siècle, une riche littérature chrétienne se mit à se développer en langue arabe.

L'Égypte fut la troisième région d'expansion de la langue arabe. Ici, le copte avait depuis longtemps rompu ses liens avec la culture ancienne des Égyptiens, pour diverses raisons dont le changement de religion, le christianisme y ayant été adopté, et aussi parce que la langue grecque y était, celle de l'administration et de la culture. Lorsque les Arabes eurent occupé l'Égypte, le changement de la langue s'effectuait progressivement et parallèlement avec le changement de la religion. C'est, approximativement à partir du IX^e siècle que l'Islam est devenu une religion générale dans la vallée du Nil, alors qu'aux X^e et XI^e siècles, le copte était de plus en plus oublié. Souvent, même les évêques de l'Église chrétienne ne parlaient plus la langue maternelle (copte) et se servaient de l'arabe. Au cours des XIII^e et XIV^e siècles, le copte a pratiquement cessé d'être utilisé en Égypte.

La langue arabe se répandit ensuite sur l'Afrique du Nord où l'arabisation connut un progrès lent. D'ailleurs, cette arabisation ne fut abso-

lument complète, ni dans le passé, ni même actuellement. Les chaînes montagneuses quasi infranchissables, la différence de mentalité des tribus berbères et la vivacité de leurs dialectes furent autant d'obstacles pour cette arabisation.

De l'Afrique du Nord, la langue arabe a pénétré en Espagne avec les troupes arabo-berbères à partir de 711 et elle y persista dans sa forme classique et dialectale, pendant plus de six siècles jusqu'en l'an 1492. Elle devint la langue des belles lettres et de la culture « andalouse ». Les chrétiens, appelés « mosarabes » (mustaribun - « arabisés ») ont aussi utilisé l'arabe comme langue courante. Lorsque les souverains chrétiens eurent reconquis l'Espagne, la langue arabe perdit son importance dans la vie publique. Elle cessa pratiquement d'exister en Espagne, depuis que les derniers représentants de la culture arabo-musulmane, les « morisques », furent chassés de ce pays, en 1609.

Il convient de signaler à cette occasion, qu'au début du Moyen-Age, la langue arabe s'était frayé un chemin de l'Afrique du Nord vers Malte, où sous une forme de dialecte et de langue écrite en caractères latins, elle devint une langue nationale, qui a pu survivre jusqu'à nos jours.

Au cours des premiers siècles, après les conquêtes, l'arabe a dominé les territoires de la Perse. Toutefois, déjà au X^e siècle, et par suite d'une vive réaction et de la renaissance nationale des Persans, la langue persane a de nouveau repris sa place dans la littérature, surtout dans la poésie, en recouvrant sa position de langue nationale. Néanmoins, pendant toute la période du Moyen-Age, la langue arabe demeurait répandue en Perse dans le domaine des sciences religieuses et juridiques ainsi que dans celui des sciences séculières, telles la philosophie, la médecine, les sciences biologiques, l'astronomie et les mathématiques.

Ces grandes victoires de la langue arabe étaient dues, non seulement à la nouvelle religion, à laquelle elle était étroitement liée, mais aussi à ses propres qualités spécifiques. Cette langue riche et dynamique a gardé sa vivacité malgré « les jours sévères du désert » et, les langues « vieillissantes » des civilisations en décadence n'ont pas pu lui résister. La concision et la précision de la langue arabe répondaient aussi bien aux besoins du peuple qu'à ceux des savants.

En parlant de la langue arabe, il ne faut pas oublier, qu'outre l'arabe classique, « arabiyya », il y avait les dialectes des tribus comme nous l'avons déjà mentionné. En quittant leur patrie en Arabie, et en se répandant sur les vastes terri-

dans les sources. Le dictionnaire d'al-Ashari, bien que composé suivant la difficile méthode phonétique, est fort apprécié, grâce à ses informations laborieusement acquises, mais très précises. Il devint la source principale des grands dictionnaires arabes composés plus tard, tel que « Lisan al-Arab », « Langue des Arabes », d'Ibn Mandhour du XIII^e siècle.

Vers la fin du X^e siècle, deux lexicographes tentèrent de créer une lexicographie plus claire, suivant l'ordre alphabétique : Al-Djahari, décédé vers 1003, qui composa son dictionnaire portant le beau titre de « Tadj al-Lughah Wa-Sahah al-Arabiyya », « La couronne de la lexicographie et des mots corrects de la langue arabe » et connu sous le titre abrégé de « Sahah ». C'est un vaste dictionnaire, à présent imprimé, qui comprend 7 volumes et compte plus de 40 mille mots fondamentaux classés dans l'ordre alphabétique mais, à l'inverse des dictionnaires plus modernes, en commençant par les lettres finales des racines : par exemple la racine composée des consonnes k-t-b est à chercher à la lettre finale « b » et non à l'initiale « k ». Ce système perfectionné plus tard, fut adopté par presque tous les lexicographes arabes.

Un autre ouvrage lexicographique de cette époque, digne d'intérêt et basé lui aussi sur l'ordre alphabétique, fut composé par le philologue et juriste connu, Ibn Faris, décédé vers 1008, imprimé en 6 volumes, il porte le titre de « Makayis al-Lughah », « Critères de la langue » (ou « Principes de la langue »). L'auteur y a suivi un ordre alphabétique semblable au nôtre, mais avec des concessions en faveur de l'ordre phonétique, ce qui rend un peu difficile son utilisation. Le mérite d'Ibn Faris demeure dans le fait, qu'il fut le premier à essayer de réduire toutes les significations des mots provenant de la même racine à deux ou trois significations fondamentales, qu'il détermine en les appelant « Ousoul » (principes) ou « makâis » (mesures-critères).

À l'Occident du monde arabe, en Espagne, dans la première moitié du XI^e siècle, Ibn Sida, décédé en 1065, devint célèbre par ses deux grands dictionnaires ; l'un « Kitab al-Moukhasas li al-Lughah » (livre spécial au sujet de la langue), c'est-à-dire au sujet d'un vocabulaire spécialement correct ; c'est un excellent ouvrage classé suivant le système sémantique des synonymes. Il est édité en 6 gros volumes. Le deuxième, intitulé « Kitab al-Muhkam Wa al-Mouhit al-A'dham » est un dictionnaire fort intéressant, mais non encore entièrement édité. Il n'en a été imprimé que trois volumes où le vocabulaire est classé d'après l'ordre phonétique d'Al Khalil avec une légère modification.

Nous avons cité, à titre d'exemples, quelques-uns parmi les plus célèbres dictionnaires classiques. Pendant la période faisant l'objet de notre analyse IX^e et X^e siècles, on a pu recueillir l'essentiel des études lexicographiques, et on a élaboré diverses méthodes. Les lexicographes des époques suivantes n'ont fait que compléter et perfectionner l'œuvre de leurs prédécesseurs, en enrichissant davantage le vocabulaire qui se développait sans cesse. Parmi les grands dictionnaires jouissant d'une haute autorité et composés dans des périodes plus récentes, il est nécessaire de mentionner le dictionnaire connu d'Ibn Manzour (décédé en 1311) intitulé « Lisan al-Arab », « La langue des Arabes », classé d'une manière systématique suivant l'ordre alphabétique à partir des finales des racines des mots et en donnant de nombreux exemples (chawahid), c'est-à-dire des citations puisées dans les œuvres classiques arabes : Coran, tradition, poésie ancienne et récente et autres ouvrages précieux de prose et de poésie. La signification des mots y est donnée ainsi que la diversité de leurs nuances. Cette œuvre dont l'édition imprimée comprend 20 volumes, contient 80 mille mots.

Il faut ajouter, que plus tard, le travail sur la lexicographie arabe n'a pas cessé, même à l'époque de la décadence des Arabes, car ce fut au XVIII^e siècle qu'a été élaboré le plus important des dictionnaires, « Tadj al-arus », « La couronne de la fiancée », qui renferme 120 mille mots, dont Mourtada az-Zabidi, décédé en 1791, est l'auteur.

Cette présentation, très brève, des œuvres lexicographiques arabes nous montre l'immense richesse par laquelle se distingue la langue arabe et la magnificence de la culture arabo-musulmane. Langue et culture sont naturellement très étroitement liées, car durant la même période s'est épanouie une très riche littérature arabe : poésie et prose de divers genres, belles lettres, histoire, géographie.

Quant aux sciences : théologie, jurisprudence, philosophie, histoire naturelle et sciences exactes, elles connurent leur plus grand éclat dans la civilisation islamo-arabe, d'une part du IX^e au XI^e siècles dans les régions orientales et, d'autre part, du X^e au XIII^e siècles dans l'Occident musulman.

N'oublions pas que les Arabes étaient considérés comme des maîtres en matière de mathématiques et d'astronomie. Tous ces domaines, si vastes soient-ils, ont trouvé leur expression dans la langue arabe. Les écrivains et les savants traversaient d'un bout à l'autre l'immense Khalifat, sans aucun obstacle administratif, ni la moindre difficulté linguistique. Ils pouvaient étendre leurs acquisitions tant scientifiques que littéraires, là où ils s'arrêtaient : à Bagdad, au Caire, à Kairouan, à Cordoue.

ple des matériaux concernant les dialectes). C'est alors que commence un nouveau et magnifique chapitre du développement de la langue arabe.

En général, les philologues arabes pourraient être classés en trois groupes : les « philologues » au sens strict du mot, c'est-à-dire les compilateurs, et les commentateurs de textes, surtout de l'ancienne poésie arabe ; les grammairiens et les lexicographes. Evidemment, ces spécialités n'étaient pas strictement observées, et un grammairien pouvait s'occuper aussi de la lexicographie, de même qu'un lexicographe devenait grammairien.

Al-Khalil ibn Ahmad, décédé vers 791, fut le premier savant éminent, original et compétent dans tous les domaines et la philologie. Il créa le fondement de la spéculation grammaticale, lexicographique, et, dans un certain sens aussi celui de la spéculation théorique littéraire. Il fut le premier à tenter de systématiser la lexicographie arabe suivant les principes de la phonétique, comme cela apparaît dans son dictionnaire intitulé « Kitab al-ayn » (cette lettre gutturale de l'alphabet arabe ayant servi à l'auteur de point de départ dans le classement des mots). Al-Khalil fut aussi le premier à élaborer la métrique arabe, en instituant seize mesures du verset (ou du vers) prosodique.

Al-Khalil ibn Ahmad eut un célèbre adepte dans la personne du maître de l'école philologique de Basra, Sibawayhi, décédé en 792. Il est l'auteur d'un ouvrage monumental de grammaire « Al-Kitab » (Le Livre) qui connut un prestige extraordinaire en raison de son extrême importance dans l'évolution de la langue arabe. C'est une grammaire normative, groupant les expériences et les matériaux de la génération précédente des philologues et des grammairiens, et présentant un exposé très riche et détaillé des formes morphologiques et des principes de la syntaxe. L'auteur énonce ses thèses théoriques par de nombreuses citations tirées du Coran, dites Chawahid (Attestations), par la tradition, l'ancienne poésie arabe et par des exemples puisés dans le langage vivant des Bédouins « éloquents ». Ce « livre » fut reconnu comme une autorité suprême dans le domaine de la grammaire arabe, et, plus tard, il fut non seulement commenté et développé par des grammairiens éminents des générations suivantes, mais considéré en principe comme une base de la grammaire arabe. Malgré tous les changements, plus ou moins insignifiants qu'a subis au cours des siècles la langue arabe, sauf en ce qui concerne la lexicographie, cette grammaire n'a pas perdu de son actualité jusqu'à présent.

L'œuvre des lexicographes arabes est particulièrement intéressante et riche. Il faut souligner ici, que la lexicographie arabe est exceptionnellement riche et possède de nombreux synonymes ; les règles morphologiques de la langue arabe permettent aisément la création de mots nouveaux, sans parler des changements sémantiques et des emprunts relativement peu nombreux. Pour cette raison les philologues arabes ont réussi à rassembler et à élaborer une quantité stupéfiante de mots dans des dictionnaires très volumineux. Ils ont élaboré plusieurs méthodes de classement lexicographique. Il y avait en principe, trois systèmes : 1°) le système sémantique des synonymes, groupant la lexicographie autour d'un thème ou d'un objet ; 2°) le système phonétique, assez compliqué et, 3°) le système alphabétique en deux variantes :

a) groupement des mots suivant les consonnes finales des racines ;

b) groupement des mots suivant les lettres-consonnes initiales.

Il convient de noter que les racines des mots arabes se composent le plus souvent de trois consonnes dites « radicaux ». Ces racines sont généralement mentionnées dans les dictionnaires arabes et suivies de nombreux dérivés (verbes, noms, adjectifs, etc.).

Les premiers lexicographes groupaient dans de petits traités la lexicographie liée à un objet ou à un thème, tel que : cheval, dramadaire, palmier, désert, etc. Ils formaient ainsi des petits dictionnaires « d'objets ». Leurs successeurs se sont efforcés à adopter, dans l'étude de la lexicographie, l'un des systèmes indiqués ci-dessus.

Le dictionnaire d'Ibn Douraid, décédé en 934, constitue l'une des premières œuvres lexicographiques générales. Il est connu sous le titre de « Djamharat fi l-Lougha », « Recueil ayant trait à la langue (lexicographie) ». Ce dictionnaire peu pratique, mais non sans grande importance, est apprécié surtout comme source pour les recherches sur les débuts de la lexicographie arabe. Le classement y est par ordre phonétique, sauf dans l'une de ses parties où la disposition est alphabétique.

Le grand dictionnaire, intitulé « Tahdhib al-Lougha », « Perfectionnement de la langue » (il s'agit évidemment de la lexicographie) est d'une grande valeur. Le philologue connu, al-Azhari décédé en 980, en est l'auteur. Ce savant voyagea durant plusieurs années parmi les Bédouins à travers l'Arabie centrale ; il eut ainsi l'occasion d'étudier la langue arabe dans sa belle forme vierge en puisant ses connaissances directement

op. de la littérature et de la culture arabo-musulmane.

Avec le Coran, la langue arabe est devenue celle de la nouvelle religion et de la nouvelle civilisation. Une nouvelle étape a commencé dans l'évolution de cette langue, étape liée aux grands changements dans la vie politique, sociale et culturelle des Arabes. Car le Prophète Mohamed, fut non seulement le créateur d'une nouvelle religion, mais il créa simultanément un nouvel Etat. Le Livre Saint de l'Islam ne fut pas uniquement un livre de culte, mais en même temps un Code de Lois et, à l'état embryonnaire, une constitution du nouvel empire.

Les grandes conquêtes réalisées avec une rapidité extraordinaire pour cette époque, par les Arabes au nom de la nouvelle religion, ont suscité pour la langue arabe, dès l'époque des premiers khalifes « les justes » (632-661) et, ensuite, au temps des Omayyades (661-750), de nouveaux problèmes et de nouvelles tâches. Déjà, au début du VIII^e siècle, les Arabes créèrent un vaste empire qui s'étendait de la Chine et de l'Inde, à l'Est, jusqu'à l'Océan Atlantique et à l'Espagne, à l'Ouest. Les territoires de ce vaste empire différaient tant par leur composition ethnique que par leurs cultures et leurs langues. Les pays conquis furent arabisés dans une période relativement courte. Les néophytes musulmans, de nationalité étrangère, étaient obligés d'apprendre la langue arabe, celle de la nouvelle religion qu'ils ont adoptée et, en même temps, celle des nouvelles autorités. Le Coran, livre de l'Islam, devait être récité en arabe (il était interdit de le traduire), et il fallait aussi le faire bien comprendre autant par les Arabes que par les représentants d'autres nationalités de confession musulmane. Il était absolument indispensable de faire comprendre correctement le Livre Saint, pour que la doctrine religieuse et juridique fût observée et pour qu'elle se développât normalement. Ainsi est née une classe spéciale de savants religieux, auteurs des premiers commentaires appelés « tafsihs ». En même temps, naissait la science du droit musulman — Fikh — constituant une partie de la science religieuse. Les traditions du Prophète, c'est-à-dire ses déclarations concernant des problèmes liés à la religion et à la loi, devaient compléter le Coran, et furent très utiles aux commentateurs du Coran. Pour expliquer les difficultés linguistiques de certains termes du Coran, on se servait de l'ancienne poésie arabe. Tout cela conduisit à des recherches philologiques, car l'étude du Coran et de la tradition (Hadith) commençait par une analyse scrupuleuse des mots et de leur signification.

Des villes assez considérables furent édifiées en peu de temps à l'emplacement des camps mili-

taires arabes fondées dans diverses régions du nouvel empire, telles que Basra et Kouffa en Mésopotamie, Fostat en Egypte, Kairouan en Afrique du Nord (Tunisie), etc. Ces villes, et notamment Basra et Kouffa sont devenues plus tard des centres de la science philologique. L'étude de la langue arabe qui, jusqu'à la moitié du VIII^e siècle, avait été une « science empirique », un don de la nature des Arabes-Bédouins, devait se transformer en une langue « scientifique » élaborée, enrichie et polie par les philologues « professionnels ».

Mais, antérieurement à cette époque, avant d'être traitée et systématisée par les philologues, la langue des Bédouins, vivante, mais « inculte », « Wahchi » comme l'appelaient les Arabes eux-mêmes, avait été en mesure de remplir les tâches que lui avait imposées l'histoire. Elle devint au début du VIII^e siècle la langue officielle du nouvel Etat arabe. Cette « arabisation » officielle du vaste « royaume arabe » nom donné parfois au Khalifat des Omayyades, commença au temps du Khalife Abd al-Malik (685-705) et fut affirmée sous le règne de son successeur, le Khalife al-Walid (705-715). Elle visait surtout le remplacement par l'arabe, des anciennes langues officielles sur les territoires Est du Khalifat, grec et pahlawi (Perse centrale). Il faut ajouter ici, que le processus de l'arabisation complète de la population s'est effectué progressivement, beaucoup plus tard. Nous en reparlerons encore ci-après.

EPANOUISSEMENT DES SCIENCES PHILOLOGIQUES

Les études philologiques ont commencé, comme il a été mentionné ci-dessus, sur le Coran et par une analyse de sa lexicographie. Ainsi, elles ont été liées, dès l'origine, aux sciences religieuses. La science spéculative et les recherches philologiques étaient très rapprochées les unes des autres, car elles avaient leur base matérielle commune dans le Coran, le « Hadith » (tradition du Prophète) et dans l'ancienne poésie arabe, complétée par les traditions des Bédouins. Les méthodes et les principes de l'évolution de ces deux sciences se ressemblaient aussi : l'analogie (kiyas) et la conformité des opinions des savants (idjmâ). Bientôt, cependant, à partir de la deuxième moitié du VIII^e siècle, les recherches philologiques deviennent indépendantes et de plus en plus spécialisées. Au IX^e siècle elles connaissent une brillante époque d'épanouissement dans les deux centres culturels de l'Irak : Basra et Kouffa. Ces deux centres ont élaboré leurs propres méthodes de recherche, en créant leurs « écoles » ; l'école de Basra avait un caractère plus spéculatif, tandis que le caractère de l'école de Kouffa était plus empirique (elle collectionnait par exem-

le Prophète de l'islam, Mohammed. C'est dans cette langue, selon les grammairiens arabes, que le Prophète avait proclamé les saintes sourates du Coran, qui lui ont été révélées par Allah en « claire langue arabe ».

La réalité, cependant, semble probablement un peu différente, bien qu'il soit difficile de connaître toute la vérité, quant à la genèse de la langue de l'ancienne poésie arabe. Cette poésie n'a existé pendant longtemps —, presque durant trois siècles — que dans la tradition orale. Elle n'a été complétée et écrite que vers la fin du VIII^e et au IX^e siècle, par les philologues de cette époque. Il semble juste de supposer que la langue de l'ancienne poésie, lorsqu'on prit soin de l'écrire, fut l'objet d'un travail de perfectionnement et d'épuration des mots d'origine dialectal par les poètes et les philologues de l'époque de l'épanouissement des sciences philologiques au IX^e siècle. En principe tout indique, cependant, que cette poésie est authentique, et qu'elle remonte aux V^e et VI^e siècles. Les magnifiques poèmes bédouins — les *kassidas* et notamment les *mou'allakat*, — étaient considérées jadis comme la plus belle poésie d'origine purement arabe ; elles sont encore à présent l'objet de la même admiration dans tout le monde arabe.

Comme l'indiquent des recherches philologiques plus récentes, la langue des anciennes poésies arabes devait avoir pour origine le dialecte de l'une des importantes tribus du Nejd en Arabie centrale. Il est vraisemblable que ce dialecte ait dû son prestige et sa popularité à un poète célèbre, dont les poésies se sont répandues parmi les tribus de l'Arabie. Aucun rôle n'a pu être joué par une autorité centrale dans cette affaire, car à cette époque, avant la naissance de l'islam, elle n'existait pas en Arabie. Certains sont enclins à croire, que ce fut le dialecte de la tribu *Kinda*, qui s'est avancé au premier plan. Au V^e siècle, cette tribu a réussi à créer une sorte de fédération des tribus de l'Arabie et à fonder un petit « royaume ». Cependant, ce royaume éphémère a duré trop peu de temps pour pouvoir jouer un rôle important dans l'intégration de ces tribus, au point de donner lieu à la création d'une langue pan-arabe. D'autres croient trouver les origines de la langue poétique pan-arabe dans le dialecte de la tribu *Tamim*, qui menait une vie de nomades en Arabie centrale, et fut célèbre par son éloquence et par sa belle poésie. Bref, bien qu'il existe des divergences d'opinions concernant la naissance de la langue pan-arabe des poètes, les chercheurs sont d'accord quant au fait que la langue de l'ancienne poésie arabe a ses origines dans le Nejd. Cette langue commune n'était pas un domaine fermé, elle était une langue vivante, parlée par les « Bédouins nobles et

éloquents ». Elle se distinguait par une richesse extraordinaire de sa lexicographie et par l'abondance des synonymes, grâce à la contribution que lui apportait les autres dialectes arabes.

LE CORAN ET SON IMPORTANCE DANS LE DEVELOPPEMENT DE LA LANGUE ARABE

Au début du VII^e siècle, un grand événement eut lieu dans la vie des Arabes, événement qui a changé le courant de leur histoire, en décidant en même temps de la grandeur et de la renommée de leur langue. Ce fut l'islam, la nouvelle religion et la nouvelle idéologie proclamée par le « Prophète des Arabes » Mohammed. Le Coran naît rédigé « en langue arabe claire et éloquentes » et constitue le premier monument arabe — linguistique et littéraire — rassemblé par écrit sur l'ordre du troisième khalife Othman (644-656). Or, la langue du Coran est presque identique à celle de l'ancienne poésie arabe, c'est-à-dire à la langue des Bédouins du Nejd. On admettait généralement, notamment dans les milieux des philologues arabes, que le Prophète de l'islam prêchait les saintes sourates du Coran dans son dialecte natal de la Mecque ; cependant, plus tard, quand le texte du Coran fut reproduit par écrit, cette langue, le dialecte de la Mecque, fut perfectionnée et adaptée à la langue de l'ancienne poésie arabe. Il n'est pas sans fondement aussi de supposer, que le Saint Livre de l'islam avait été prêché, non pas en dialecte de *Koraich* de la Mecque, où est né le Prophète, mais en langue poétique, d'autant plus qu'une grande partie du Coran possède le caractère d'une poésie inspirée. Or Mohammed, lui-même, qui, avant la parution de l'islam, avait traversé l'Arabie dans tous les sens, comme guide des caravanes, connaissait, sans aucun doute, fort bien cette langue poétique ; il pouvait donc s'en servir dans sa mission de Prophète, afin de mieux se faire comprendre par les peuples bédouins.

Bien qu'il nous soit impossible d'établir avec une certitude absolue la genèse de la langue poétique, ainsi que celle de la langue du Coran, nous pouvons par contre constater indubitablement que la langue de l'ancienne poésie arabe et celle du Coran, dans leur forme définitive écrite, sont la même langue pan-arabe. L'ancienne poésie arabe et le Coran, deux magnifiques monuments linguistiques et littéraires, sont devenus plus tard la source principale des recherches philologiques arabes et une base essentielle de la langue arabe classique « *arabiyya* », qui a évolué merveilleusement dans le sens le plus large de ce mot, se transformant en langue de la scien-

En tant que langues de grandes puissances et de grandes civilisations babylonienne et assyrienne, les langues sémitiques ont fait depuis longtemps leur apparition sur l'arène historique ; cela remonte à environ 2 mille ans avant notre ère. Ces langues, étroitement liées entre elles, manifestent de grandes ressemblances dans leur structure grammaticale et dans leur lexicographie. Elles tirent certainement leurs origines d'un tronc sémitique commun et très ancien.

Il a été admis de placer les langues sémitiques dans les trois groupes suivants :

I. - Le premier groupe est formé par la langue akadienne babylonienne et assyrienne, appelée aussi Est-sémitique.

II. - Le deuxième groupe se compose des anciennes langues de la Syrie et de la Mésopotamie, groupe Nord-Ouest, qui lui-même, se subdivise en deux groupes inférieurs :

a) Les dialectes cananéens — dont les plus importants sont la langue phénicienne et l'hébreu.

b) La langue آراميية, celle de la culture de l'Asie Mineure (plusieurs siècles avant J.-C. dans l'Etat des Achéménides) et la langue syrienne — qui, elle, est proche-parente de la langue du culte et de la littérature des chrétiens orientaux.

III. - Le troisième groupe des langues sémitiques comprend les langues de l'Arabie, qui se subdivisent, à leur tour, en deux groupes inférieurs :

a) La langue arabe du Nord qui, au début, comprenait les dialectes de l'Arabie centrale, dont est née plus tard la langue arabe classique — *arabiyya* — objet de notre article.

b) Les dialectes arabes du Sud qui ne nous sont connus que par certaines inscriptions : le minnéen, le sabéen, l'himiarique et la langue éthiopienne ; ce sont, plus strictement parlant, des dialectes sémitiques éthiopiens.

Nous étudierons ensuite la langue de l'Arabie du Nord. La préhistoire de la langue arabe — initialement dialectes arabes — s'étend sur une période d'assez longue durée. Cependant, il nous est impossible de suivre de près l'évolution de cette langue, faute de monuments propres à nous guider. Il n'y a que des fragments d'anciennes inscriptions arabes éparpillées dans diverses parties de l'Arabie du Nord. Ces inscriptions thamu-diennes, lithaniques et saïfaiques, illustrent au moins partiellement, l'étape de l'évolution de la langue arabe précédant son ère classique. Elles remontent à une période étendue sur un millier d'années environ.

Le document linguistique, le plus ancien, rapproché par sa forme à la langue classique, est une inscription tumulaire d'an-Namara, se trouvant au Sud-Est de Damas et datant de l'année 328. Cependant, cette inscription a été composée avec des caractères nabatéens. Les caractères arabes, qui ont leurs origines dans l'écriture nabatéenne, se manifestent dans trois autres inscriptions arabes : celle de Zabad, au Sud-Est d'Alep datant de la période 512-513 ; celle de Haran, au Sud de Damas, remontant à l'année 568 — et celle d'Umm al-Djimal, au Sud de Basra, datant de la même année que la précédente.

Bien que les Arabes — avant l'époque du Prophète Mohammed (début du VII^e siècle) — aient immortalisé leur langue uniquement dans les inscriptions tumulaires en pierre, nous sommes en possession d'autres témoignages indiquant qu'ils disposaient d'une langue « parlée » très développée et se distinguant par sa belle forme littéraire. Car, ils avaient une magnifique poésie nationale, transmise d'une génération à l'autre dans la tradition verbale. Cela prouve que la langue arabe avait dû se développer et se perfectionner durant des centaines d'années avant de s'épanouir dans sa forme littéraire la plus parfaite dans l'ancienne poésie arabe du VI^e siècle.

DIALECTES D'ARABIE : NEJD ET HIJAZ ET LANGUE POETIQUE

Les tribus arabes parlaient, dans la vie quotidienne, leurs divers dialectes, différant les uns des autres. Les dialectes de l'Arabie centrale, Nejd et Hijaz, se distinguaient par leur perfection naturelle et, peu à peu, ils ont pris la première place. Ce fut l'un de ces derniers qui devint, grâce à sa supériorité, la langue littéraire de l'ancienne poésie arabe. Ainsi, il existait déjà en Arabie, probablement au V^e siècle et, très certainement au VI^e, une langue « pan-arabe », qui s'élevait au-dessus des dialectes et dont se servaient les poètes et les orateurs.

Cette langue leur permettait de jouer un rôle social et politique très important ; la tâche de défenseurs ou d'arbitres leur incombait à l'occasion des litiges entre tribus. Leurs paroles, non écrites, « volaient à travers le désert, plus vite que des flèches », comme le dit la tradition, en convainquant les cœurs et les esprits de ceux qui les avaient entendues.

Suivant la thèse des grammairiens arabes, ce dialecte était celui de la puissante tribu des Koraichites, à laquelle appartenait l'aristocratie commerciale de la Mecque et dont était originaire

Rôle et importance de la langue arabe au Moyen-Âge et à l'heure actuelle

Dr Josef BIELAWSKI,
Chef de la Section des langues arabes
et de l'islamisme
(Université de Varsovie) (1)

La langue arabe est à l'heure actuelle dans sa forme écrite et parlée une langue d'usage quotidien et la langue nationale de tous les peuples du monde arabe. Dans sa forme classique, elle est une langue de culte, une langue « liturgique » de plus de 400 millions d'adeptes de l'Islam, de diverses nationalités, qui vivent, dans de vastes régions de l'Asie et de l'Afrique s'étendant de l'Océan Atlantique aux îles de l'Indonésie, et de la Sibérie à l'équateur.

L'arabe classique « Arrabiyya » est par excellence, durant l'époque du Moyen-Âge, la langue exceptionnellement riche d'une belle poésie, d'une littérature légère en prose, d'une littérature religieuse et profane, de la philosophie et des sciences exactes. Elle est aussi la langue dans laquelle s'exprime une nouvelle littérature moderne qui prend une ampleur croissante et se développe dans l'ensemble du monde arabe, tant dans le domaine des belles-lettres que dans celui de la science.

Pour toutes ces raisons, la langue arabe mérite une attention spéciale, surtout à présent, au moment où le monde arabe et sa langue

propre commencent à jouer sur cette terre un rôle de plus en plus important.

Son épopée est vraiment stupéfiante — car ayant été à l'origine un simple dialecte de Bédouins vivant dans le désert de l'Arabie —, elle est devenue, en moins de cent ans, la langue officielle du vaste empire arabe et, par voie de conséquence, l'instrument d'expression de la magnifique culture arabo-musulmane.

Sur les pages qui suivent nous ferons brièvement état de la genèse et de l'évolution de la langue arabe et du grand intérêt dont elle est l'objet dans tout le monde arabo-musulman. Nous parlerons aussi des dialectes arabes.

LANGUE ARABE DANS LA FAMILLE DES LANGUES SEMITIQUES

La langue arabe appartient à la grande famille des langues sémitiques en usage dans l'Asie du Sud-Ouest; elle est la plus jeune de ces langues et la plus riche, toujours vive et dynamique dans son évolution.

(1) Article paru en 1969 dans le n° 8 de la revue mensuelle de vulgarisation de la Science « Problemy », en langue polonaise et dont nous avons pu obtenir la traduction en français grâce au concours de notre ami, le Docteur Abdelham el Harraki, ambassadeur du Maroc à Varsovie.

الفهرس العام

(1) دراسات وابحاث

صفحة

5	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	المقدمة : وحدة اللغات
18	للاستاذ عبد الحق فاضل	دخيل ام السيل
32	للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح	اللغة العربية بين اللغات السامية
44	للاستاذ محمد سليم رشدان	اللغات السامية في مجال علم اللغات
49	للاستاذ محمد المبارك	التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطورها
52	للدكتور عبد العزيز مطر	علماء الاصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين
59	للدكتور محمد يحيى الهاشمي	حاجتنا الى التعيئة العلمية
63	للدكتور ابراهيم نحال	تنظيم البحث العلمي على مستوى الوطن العربي
68	للدكتور عبد الفنى ماجد السروجي	التعريب اهم وسائل تقدمنا العلمي
74	للدكتور محمد معروف الدواليبي	العرب والعصارة الانسانية
79	للاستاذ عبد الرحمن الكيالي	عوامل تطور اللغة العربية
89	للاستاذ فؤاد الشايب	العربية ورجال المهجر
97	للاستاذ انور الجندي	تحديات في وجه اللغة العربية
101	للاستاذ محمد سمك	الجيل العربي الجديد
104	للاستاذ زكي الارستوزي	العربية تعمل في ذاتها نزعاً انسانية
107	الجامعة السورية	الاسلام ولفة القرآن
109	للاستاذ درويش العلواني	الاسلام عز العروبة
114	للدكتور توفيق برود	العربية والاسلام بين الغابر والحاضر
117	مركز البحوث السورية	الوعي الاسلامي يقوى بانتشار اللغة العربية
119	للاستاذ خليل الهنداوي	القرآن عامل جوهري في وحدة الفكر
121	للاستاذ الفاروقي الرحالي	اللغة العربية والقرآن في تطورها
126	للدكتور محمد التونخي	نظرة في الصلات العربية الفارسية
131	للاستاذ سامي الكيالي	آثار لفة القرآن في لغة المسلمين المعجم
134	للشيخ مكى حيدر	الرباط المسلمة متعمسة
136	للاستاذ احمد الصولي	معنة القومية العربية

140	للدكتور حسن نصار	الاتباع في العربية
149	للدكتور يوسف الخوري	مشكلة اللفظة والمصطلحات
152	للاستاذ محبوب الحلبي	حرف الجيم بين الشمس والقمر
155	للاستاذ سامي الحفار الكزبري	اثر اللسان العربي في اللغة الاسبانية
158	للدكتور محمد عبد الرحمن مرجبا	تشوهات في اللفظة العربية
161	للاستاذ محمد جميل ييهم	تطور النهضة الثقافية في الشام
169	للاستاذ خليل عبد الله	كيف نشأت اللفظة في المجتمع البشري ؟
193	للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح	اللفظة والمجتمع الانساني
202	للاستاذ عبد الحق فاضل	تخطئة الصواب
206	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	تطور الفكر واللفظة في المغرب
249	للدكتور جوزيف بيلوسكي	اللفظة العربية : نورها واهميتها
252	مجمع اللفظة العربية (بالقاهرة)	اصول اللفظة وتطبيق الالفاظ والاساليب

(2) موسوعة المغرب العربي

259	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	معجم الاعلام البشرية والحضارية
307	للاستاذ محمد الاخضر	الميثاق ابو سالم
312	للاستاذ عبد القادر زمامة	اسماء الحرف بطناس
320	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	معجم اعلام النساء بالمغرب الأقصى
328	المكتتب	معلبة مركزة عن القبائل والمدن والقرى

(3) ابحاث مختلطة

333	للدكتور عبد الوهاب البرلسي	اتجاهات التعليم الجامعي في العصر الحديث
342	للاستاذ محمود عبد المولى	التحليل العلمي والنظر الميثاري الشامل
349	للدكتور عبد الحليم منتصر	المؤتمر العلمي العربي السادس
353	للدكتور محمد واصل الظاهر	الرياضيات وتربيتها في البلاد العربية
359	للدكتور عباس بن عبد الله الجرازي	مراحل التعريب الاولى في المغرب
365	للاستاذ احمد المحلاوي	الثقافات : ماهيتها واهدافها
369	المجمع العلمي العراقي	نشاط المجمع العلمي العراقي
376	المجلس الاعلى للعلوم في سوريا	نشاط المجلس الاعلى للعلوم في سوريا
378	للدكتور عمر الجارم	مصر في طليعة الركب العلمي
380	للاستاذ احمد بن شقرون	دعاة المسلمين (قصيدة)
381	للاستاذ كيثورك ميناجيان	الاستشرافي في الاتحاد السوفياتي
384	للدكتور الحاج مير (ترجمة)	الاستشرافي في سكونلاندا

(4) نشاط المكتتب الثالث

395	النظام الاساسي للمكتتب
398	دعم المكتتب في مؤتمر مراكش

صفحة		
399	بين المجلة وقرائها
403	جوائز لاهم مخطوط نادر حول اللغة العربية
404	حملة ضد التخيل الاجنبي
405	الكتب العالم فامة صامدة لحماية التراث
410	الكسري للعالم العربي
411	خبراء المكتب
		انتاج المغرب الاقصى في الميزان

5 بحوث

415	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله والاستاذ ابراهيم الكتاني	تقويم اللسان (لابن الجوزي)
-----	--	------------------------------

6 ابحاث ودراسات باللغات الاجنبية

I	للاستاذ يوسف بيلانسكي	دور اللغة العربية واهميتها في العصور الوسطى
X	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	ول العالمة الراهنة
XIII	للاستاذ فيتلانا بانسيفا	اللغة العربية اداة دولية لتبليغ الكشوف العلمية
XIX	للاستاذ يوسف بيلانسكي	ابن خلدون وبيئته الاجتماعية
XXV	المكتب لعالم لتتبع التصريب	المظهر الاجتماعي لآراء
		حلقة دراسية حول الثقافة الانسانية

تصويبات

رغم كل الجهود المبذولة في تيسير التجارب المطبعية ومراجعتها وقيمت أخطاء في البحث القيم الذي نشرناه للاستاذ الكبير عبد الحق فاضل في هذا العدد من المجلة بعنوان « فخل أم ابل ؟ » ومع اعتذارنا للاستاذ الفاضل ولترائنا الكرام نرجو التفضل بالتصويبات التالية قبل الشروع في الغلاوة :

السطر	الفقرة	الضلع	الصفحة	الصواب	الخطا
9		2	26	الجث	— البحث
22	5	2	27	ومن معذب الهواء في المية صسوا ابراحة	— ومن الريح حاجوا المروحة اداة الترويح
16	6	2	28	يحدف	— ومن سل نشأ (أسن) وبفه (السنان)
25	6	2	29	يحدف التكرار	— المسمى بالقناء الهندي، ويؤثونها من الاغريقية

مع خالص الشكر
(الامان العربي)